سليم حسن

موسوعة مصر القديمة

الجزء السادس

موسوعة مصر القديمة (الجزء السادس)

موسوعة مصر القديمة (الجزء السادس)

عصر رعمسيس الثاني وقيام الإمبراطورية الثانية

تأليف
سليم حسن

هنداوي

موسوعة مصر القديمة (الجزء السادس)

سليم حسن

الناشر مؤسسة هنداوي سي آي سي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٠١٧/١/٢٦

٣ هاي ستريت وندسور، SL4 1LD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: سيلفيا فوزي.

الترقيم الدولي: ٦ ١٥١٣ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

تمهيد

كانت نهاية الأسرة الثامنة عشرة — وهي آخر مرحلة وصلنا إليها في الجزء السالف — فاتحة عصر جديد في تاريخ مصر وسياستها في الداخل وفي الخارج، وهو عصر قيام الإمبراطورية الثانية على يد سلسلة من الفراعنة الأماجد.

فقد قضى «حور محب» على النظام الديني الذي اصطفاه «إخناتون»، وكان يُعد في جوهره وثبة قوية نحو عقيدة التوحيد الحقة، فرجعت البلاد ثانية إلى ديانتها التقليدية العتيقة التي ارتضتها لنفسها منذ فجر التاريخ، قاد هذه الحركة الرجعية «حور محب» آخر ملوك هذه الأسرة، فأعاد الأمور إلى نصابها، وسنَّ من القوانين الرادعة ما ضرب به على أيدي العابثين، فاستقرَّ الأمن بعد أن اختلَّت موازينه في البلاد.

ولقد أراد أن يرأب صدع إمبراطوريته من الخارج، وأن يعيد إليها أملاكها الضائعة، ولكن الموت أسرع إلى اختطافه؛ فمات قبل أن يحقق ما كان يعتلج بين جوانحه من آمال.

وقد خلفه على العرش قائده ووزيره الأكبر وولي عهده الذي أحسن تدريبه قبل وفاته على سياسة الملك، ونعني به «رعمسيس الأول»، وقد أنجب سلسلة من الفراعنة العظام لا ينتسبون من بعيد أو قريب إلى فراعنة الأسرة الثامنة عشرة الذين دبَّت في أجسامهم عقارب الترف، ودلف إلى نفوسهم الوهن، وانحلال الأخلاق؛ فطواهم الدهر، وذرتهم أعاصير الفناء.

نبتت أسرة «رعمسيس» في مقاطعة «ستوريت» في شمال «الدلتا»، ولقد خلف «رعمسيس» على العرش ملكان يعدان من أمجد الفراعنة الذين وُلوا أمر الكنانة، وهما: «سيتي الأول»، وابنه «رعمسيس الثاني»، وهما المحور الذي يدور حوله بحثنا في هذا الجزء من الكتاب.

ولقد تمت في عهد هذه الأسرة أعمال عظيمة ميزتها في التاريخ المصري على الرغم من قِصر عهد ملوكها، ويبتدئ عهدها في نحو سنة عشرين وثلاثمائة وألف قبل الميلاد، ويعتبر هذا العهد تجديدًا في الدم الملكي المصري؛ فهذه الأسرة العريقة التي وضعت حدًّا للتناحر حول سرير الملك، وتربعت على عرش «حور»، تنتمي إلى شمال «الدلتا»، ونُسلت من أصول كانت في خدمة الإله «ست» إلههم المحلي، ذي السمعة السيئة في سائر البلاد الذي قتل أخاه «أوزير» صاحب الخلق الرفيع، والسمات الفاضلة.

وما عهدنا من قبل أن تجيء فراعين البلاد من هذه الطريق، بل كانوا ينحدرون من أصل «منفى»، أو من أرومة «طيبة»، أو يترعرعون في مقاطعات مصر الوسطى بين «قفط» و«الفيوم».

وأول من قام بأعباء الحكم في هذه الأسرة الجديدة — كما نعلم — رجل حنكته تجارب السنون، وصهرت أخلاقه الأحداث الجسام التي انصبت على البلاد في عهد الانتقال؛ ذلكم هو «رعمسيس الأول» الذي كان أول حياته قائدًا ووزيرًا للفرعون «حور محب»، واعتلى عرش الملك بعد وفاة سيده مباشرة، وقد سار بالبلاد قدمًا في طريق الإصلاح على النهج الذي رسمه له «حور محب»، فكان أول ما وجه إليه عنايته إعلاء شأن الإله «آمون» بمشايعة كهنته ومؤازرتهم، والعمل على رد سلطانهم، فأسس قاعة العمد العظيمة بالكرنك التي تعد نسيجًا وحدها بين المباني الدينية التي خلفها لنا الفراعنة، وقد غلبت الزمن، وبقيت حتى الآن ثابتة في مكانها برهانًا بيِّنًا على النهضة الجديدة التي قام بها فراعنة هذه الأسرة الأماجد، غير أن القدر المحتوم لم يطل في عمر «رعمسيس الأول» ليتم هذه القاعة الفخمة، وليسير قدمًا بالبلاد نحو تحقيق أغراضها؛ إذ كان قد تولى الحكم وهو في شيخوخته، ولكنه مع ذلك كان قد أعد للأمر عدته، فأشرك معه في حكمه القصير ابنه «سيتي الأول» الذي كان آنذاك مكتمل الرجولة في الحلقة الرابعة من عمره أو يزيد، ولا نزاع في أنه قد حضر الدور الهام الذي لعبه «حور محب» في العمل على إعادة بنيان الإمبراطورية التي كانت قد تداعت وذهب ريحها، فرأى نُظم الإصلاح التي سنها لإعادة الأمن في الداخل، كما لمس السياسة التي انتهجها ليرد إلى مصر اعتبارها وهيبتها في الخارج. وكان «سيتي» نفسه قد تربى تربية عسكرية من الطراز الأول، وتحدثنا الآثار أنه كان قائدًا محنكًا قبل أن يتولى الملك؛ إذ قاد الجيوش لمحاربة أعداء والده. ولما حضرت «رعمسيس الأول» الوفاة كان راضيًا مطمئنًّا على مصير البلاد التي خلقها من جديد؛ لأنه ترك من خلفه شبلًا كان يجمع بين الجندية والسياسة، والتدين وأصالة الرأي في تسيير أمور الدولة. وسيرى القارئ أن «سيتي الأول» كان حاكمًا من الطراز الأول؛ ركز همَّته في إعادة النظام «ماعت» الذي كانت قد عصفت به الأهواء مدة الانقلاب، وبخاصة بعد وفاة «إخناتون»، وهو ذلك القانون الذي سنه الإله «رع» أول من حكم على الأرض، كما حدثتنا بذلك الأساطير المصرية، وقوامه: العدالة، والصدق، والحق، وتأدية الواجب على الوجه الأكمل دون تقصير أو تراخٍ، وهو الذي سارت على سنته كل فراعنة مصر، حتى أن من يحيد عن سبيله لا يكون جديرًا بأن يُدعى «ابن رع». وقد ارتضى المصريون هذا النظام عن طيب خاطر، وقنعوا بالملكية نظام حكم لهم طوال مدة تاريخهم، اللهم إلا فترات انحرف فيها الملوك عن «ماعت»؛ فانفض الشعب من حولهم، وهبت في وجوههم الثورات تطالب بعدالة «ماعت» التي كانت غذاء الآلهة وقوام حياتهم، كما كانت طعام الشعب وعماد حياته. ولا غرابة إذن في أن نرى الشعب المصري كان يخضع للفراعنة خضوعًا تامًّا، ويعتقد أن ما كانوا ينطقون به هو الصواب الذي لا مرية فيه؛ لأنه جاء من وحي «ماعت» التي سنها «رع» أول من حكم العالم، ثم سار على نهجها الفراعنة من بعده؛ من أجل ذلك نرى في الصور الفرعونية أن أهم قربان وأثمن هدية يقدمها الفرعون للآلهة هي صورة «ماعت» التي تتمثل في هيئة امرأة ترتدي على رأسها ريشة يرمز بها للعدالة «ماعت»، وكثيرًا ما نشاهد «سيتي الأول» يقدمها للآلهة، كما أنه لزامًا على كل قاضٍ ممن يفصلون في قضايا الشعب أن يحلي صدره بصورة «ماعت»، وعند النطق بالحكم كان يقبض على هذه الصورة بيده، ويتجه بها نحو من في جانبه الحق، فكأنه يقول له: «إن العدالة في جانبك.»

وعلى هدى «ماعت» سار «سيتي» في حكم البلاد؛ فأسعد أهلها، وأرضى آلهتها، وبذلك استتب له النظام في الداخل؛ مما هيأ له القيام بتنفيذ الخطة التي رسمها لإعادة الإمبراطورية المصرية شمالًا وجنوبًا كرَّة أخرى.

وقد كان أول ما قام به في الداخل هو إعادة مجد الآلهة الذين خذلهم «إخناتون»، وقضى على عبادتهم جملة في أنحاء الإمبراطورية، وبخاصة عبادة الآلهة «آمون»، و«أوزير»، و«بتاح»، فأقام معبدًا فخمًا «بالعرابة المدفونة»، وهو المعروف بمعبد «سيتي» الآن، ورصده لعبادة «أوزير» أولًا، وكذلك أقام فيه محاريب للآلهة «آمون»، و«حور»، و«إزيس»، و«بتاح»، و«حور اختي»، ولنفسه. ونقوش هذا المعبد وحُسن تنسيقه، وفنه الرفيع تعد من آيات الفن الذي خلفه لنا عصر الرعامسة. والطريف المدهش في أمر «سيتي الأول» أنه ينتسب باسمه للإله «ست» الذي كان معبود مقاطعته المحلي، ومع ذلك لم يُفرد محرابًا لعبادة هذا الإله، كما أُفرد لغيره من المحاريب في معبد «العرابة المدفونة»، ولعله كان يقصد بذلك عدم إغضاب أتباع «أوزير» الذي كان تعلقه وتعلق الشعب به عظيمًا، حتى إنه أقام لنفسه ضريحًا بالعرابة قبلة المصريين بالقرب من ضريح «أوزير» هذا إلى أنه كان يعد نفسه بمثابة «حور» الذي خلف والده على عرش الملك، وبخاصة إذا علمنا أن «سيتي الأول» لم يكن من دم ملكي، فاتخذ من تعظيم «أوزير» سندًا يعاضده في ادعائه عرش الملك، ولم يقصر «سيتي» همَّه على إقامة هذه المباني الفذة، بل قام بإصلاحات شاملة عظيمة في المباني المقدسة بالعرابة، وأوقف عليها الأوقاف الضخمة في بلاد النوبة التي كانت على ما يظهر مزدهرة وقتئذ بالمزارع اليانعة، وتزخر بكل أنواع الطيور والحيوان، وقد سنَّ القوانين لحمايتها من يد العابثين، وكذلك استخرج الذهب من بلاد النوبة للإنفاق عليها بعد أن عبَّد الطرق المؤدية إلى المناجم، وأمدَّها بالمياه والمؤن لحماية العمال، وهو في كل ذلك كان يراعي مصالح العمال والفلاحين؛ إذ كان يمدهم بالغذاء والكساء والماء؛ لدرجة تسترعي الأنظار في حسن المعاملة، ونجد كل ذلك مدوَّنا على جدران معبد الرديسية الذي أقامه بالقرب من مناجم الذهب في الصحراء الشرقية على مسافة قريبة من مدينة «إدفو»، وكذلك على اللوحة التي أقامها في بلدة «نوري» من أعمال بلاد النوبة. ولم يقتصر «سيتي» على إقامة المباني الضخمة للآلهة ولنفسه، بل أخذ كذلك على عاتقه إصلاح ما خرَّبه «إخناتون» خلال مدة حكمه عندما قام بحملة شاملة لمحو اسم «آمون» وغيره من الآلهة، وقد كان «سيتي» من الفراعنة المعدودين بين ملوك مصر؛ إذ أعاد الأسماء والنقوش الأصلية إلى أصحابها على الآثار دون أن ينسبها لنفسه، بل اكتفى بأن ينسب لنفسه فضل إصلاحها، اللهم إلا بعض آثار كانت لـ «إخناتون» ادَّعاها لنفسه، والشيء الذي يلفت النظر في إصلاحاته أنها كانت شاملة كاملة في كل أنحاء الوادي، فلم يترك مبنى صغيرًا أو كبيرًا بعيدًا أو قريبًا حتى أصلح ما أفسده «إخناتون»، أو قضت عليه الأيام والليالي.

وقد قفا في سياسته الخارجية أثر الفاتح العظيم «تحتمس الثالث» لإعادة الإمبراطورية التي ضيعها «إخناتون»؛ فكان أول ما قام به تأمين خطوط مواصلاته بين مصر وسواحل

سوريا وفينيقيا؛ ليكون على اتصال مباشر ببلاده إذا ما أوغل في الفتح من جديد في قلب آسيا، وقد تم له ما أراد في هذه الجهات إلى حدٍ ما؛ إذ أعاد لمصر فلسطين، وجزءًا من جنوبي سوريا، واشتبك مع ملك «خيتا» في موقعة بالقرب من مدينة «قادش» كانت هي نهاية المواقع التي شنها على تلك المملكة، غير أنها لم تكن من المواقع الفاصلة.

ولا نزاع في أن ما أحرزه «سيتي» في بلاد آسيا من فتح جديد كان عملًا جليلًا، وبخاصة إذا علمنا أن ما أعاده لمصر من أملاكها أخذه بالنضال مع دولة «خيتا» الفتية القوية، ولم يكن له قِبل بمناهضتها بعدُ.

وقد قام اللوبيون في غربي مصر بحملة على تخوم الفرعون، فسار إليهم بجيش جرار هزمهم به في عُقر دارهم، ولم تقُم لهم قائمة بعد ذلك إلى أن هبُّوا مرة أخرى لمحاربة مصر، والإغارة على تخومها في عهد حفيده «مرنبتاح»، وكذلك كانت الحال مع بلاد النوبة؛ فقمَع الثورات التي هبت فيها؛ مما مهد له السبيل لتثمير مناجم الذهب في تلك الجهات، وقد ترك لنا هذا الفرعون صورة رائعة تمثل حروبه في آسيا وأفريقيا على جدران معبد الكرنك، غير أن عوادي الزمن قد طغت على جزء كبير منها.

وإذا كانت الإمبراطورية المصرية في آسيا لم تمتد رقعتها في عهده إلى ما كانت عليه في زمن «تحتمس الثالث»، فليس ذلك لفتور في روح «سيتي» الحربي، ولكن لحسن تقديره للأمور، فقد لمس بنفسه عندما التحم رجال الجيش المصري وجيش «خيتا» للمرَّة الأولى منذ عهد «تحتمس الثالث» في واقعة حربية بقيادة ملك «قادش» يؤازره حلفاء عديدون؛ أن مصر لا قِبل لها بكسر هذه الجيوش المجتمعة، ومن ثم رأى أن الوقت لم يحن بعد لأن تنازل مصر مثل هذه العدو الجبار كرة أخرى، فترك الأمر لابنه الصغير الذي كان قد أشركه معه في تسيير أمور الملك منذ صباه.

ولما أخذ «رعمسيس الثاني» مقاليد الحكم في يده منفردًا (سنة ١٢٩٠ق.م) سار على نهج والده في سياسته الداخلية والخارجية، وقطع فيها شوطًا بعيدًا، وذلك بفضل حكمه الطويل الذي قارب السبعين عامًا، قضاها في عمل مستمر في الداخل والخارج، وأتى خلالها من الأعمال ما ليس له مثيل في تاريخ الفراعنة الذين تربعوا على عرش الكنانة بعده.

وقد انفرد بالملك وهو في حوالي العشرين من عمره؛ فقبض على ناصية الحكم، وهو مدرَّب محنك في أمور الحرب والسياسة، وتدل شواهد الأحوال على أنه كان في صباه أرشق وأجمل فتيان عصره؛ إذ تحدثنا صوره وموميته على أنه كان طويل القامة، نبعي العود، ممشوق القوام، عريض المنكبين، ممتلئ الساعدين قويهما، عضلي الساقين، مستدير المُحيا، ارتسم على فمه الثبات والحزم، وبدت على شفتيه ابتسامة مفترة، أقنى الأنف، واسع العينين كبيرهما، ولسنا مبالغين إذا قرَّرنا هنا أنه لا الشيخوخة ولا الموت نفسه قد أفلحا في تشويه تلك التقاسيم الفاتنة الخلابة التي عمرت قرابة قرن تشويهًا محسًّا، فلم

تخلق جدَّتها بصورة ظاهرة. وقد تزوج «رعمسيس الثاني» عدة نساء، منهن ثلاث من بناته، ورُزق من الذكور أكثر من مائة وعشرين، ومن الإناث ما يربي على الستين.

وقد تولى زمام الحكم، وهو عالم بما ينتظره من الأعمال الجسام التي شرع والده في القيام بأعبائها؛ فسار قُدمًا في تنفيذها، وكان الجو مهيئًا لأن يبلغ كل ما كانت تصبو إليه نفس والده، فعمل على إنجازه، وقد كان يشحذ من همته، ويقوِّي من عزيمته لبلوغ مقاصده دم الشباب الذي كان يتدفق في عروقه، ونفسه الطموح إلى إعادة مجد مصر في الخارج، وإسعاد أهلها في الداخل. والواقع أن سياسته كانت منذ بداية حكمه رشيده في كل مظاهرها داخل البلاد وخارجها، إذا راعينا الظروف التي كانت تحيط به وقتئذ، وبخاصة الأمم الفتية التي كانت قد نشأت حول بلاده، وأخذت تشعر بقوتها.

وكان أول ما وجه إليه همه في أرض الكنانة نفسها إظهار مجد الفراعنة الأقدمين الذين عبث «إخناتون» بآثارهم، وهي التي أصلح والده الجمَّ الغفير منها، فأقام لهم من المعابد والمحاريب والتماثيل ما لم يُسمع بمثله من قبل، وبذلك التف حوله الشعب المتدين التفافًا وثيق العرى، وقد انتحى سياسة حكيمة لبلوغ تلك الغاية؛ إذ تقلد في بادئ حكمه رياسة كهانة الإله «آمون» بالكرنك فعلًا مما لم نقرأه بعد في المتون المصرية، ولكنه لم يلبث أن قلدها أحد المقربين إليه من كهنة العرابة (كاهن الإله أُتوريس) عندما شعر بعبء الحكم ومستلزماته، هذا إلى أنه نهج منهج والده الذي ضم كهنة «أوزير» بالعرابة إليه بجعل كبيرهم «وننفر» كاهنًا أكبر لمعبد «أوزير»، ذلك الإله الذي كان يعد من أعظم آلهة الدولة في تلك الفترة.

وتدل شواهد الأحوال على أنه كان هناك اتصال أسري بين كهنة «أوزير» وكهنة الإله «آمون» بالكرنك، وقد عمل هؤلاء الكهنة مجتمعين على جعل كل وظائف الدولة الهامة في أيدي أفراد أسرتهم بما كان لهم من سلطان روحي على الشعب في تلك الفترة. وتدل الأحوال على أن «رعمسيس الثاني» نفسه لم يعارض في ذلك، فنقرأ في الآثار التي تركوها لنا أنه كان من بينهم الوزير، والقائد، ورئيس الشرطة، وحاكم السودان، ورئيس المالية. وكان نساؤهم يشغلن أهمَّ الوظائف الدينية في مختلف المعابد المصرية؛ وبذلك أصبح «رعمسيس» مسيطرًا على داخلية البلاد من الوجهة الدينية والإدارية بتلك البطانة المخلصة لعرشه؛ مما سهل له تنفيذ كل مآربه على حسب نظام «ماعت».

وقد كان التوفيق حليفه في كل المشروعات التي قام بإنجازها في داخل البلاد وخارجها؛ ففي الداخل أقام العمائر الدينية التي أصبحت فيما بعد مضرب الأمثال في الضخامة والعظمة والأبهة؛ مما يدل على الرخاء ووفرة المال، فأقام لنفسه ولإلهه «آمون» معبدًا جنازيًّا يحتوي قصرًا فاخرًا له يطلق عليه المحدثون الآن اسم «الرمسيوم»، وهو في ضخامته، واتساع رقعته، وحسن تنسيقه لا يدانَى، حتى إنه أصبح فيما بعد يعد من العجائب التي تحدث بها الكتَّاب اليونان. ولا تزال بعض بقاياه الضخمة تنطق بما كان عليه من أبهة وبهاء، وقد أوقف عليه الضِّياع، وأمدَّه بالموظفين والكهنة من كل صنف. وكذلك

حفر لنفسه مقبرة عظيمة في أعماق صخور «طيبة» الغربية، وأقام المعابد للآلهة ولنفسه — لأنه كان مؤهلًا — في جميع أنحاء القُطر، في أمهات المدن مثل: «منف»، و«هليوبوليس»، و«طيبة»، و«العرابة»، و«تانيس»، وزيَّنَها بالتماثيل والمسلات التي يخطئها العد، وقطع لها الأحجار من محاجر سينا، والجبل الأحمر القريب من القاهرة، ومن جبال أسوان، هذا فضلًا عن أنه لم يترك مكانًا أثريًّا من الأمكنة التي أقامها أجداده الفراعنة الذين سبقوه إلا جدَّده أو زاد في مبانيه؛ اعترافًا منه بجميل آلهته الذين آزروه في ساعة العسرة، وحبوه النصر والقوة، وتفاخرًا بقوَّته وعِظم سلطانه؛ ولذلك نجد أن مبانيه — على الرغم مما أصابها من تهديم وتخريب — لا تزال بقاياها في كل أنحاء القطر، غير أنه مما يؤسف له جد الأسف أنه في كثير من الأحيان كان ينتحل آثار أسلافه بصورة ظاهرة، وقد كان ذلك سببًا في تحقير أعماله العظيمة في نظر بعض المؤرخين. والواقع أن ما اغتصبه لا يكاد يعد شيئًا بالنسبة لما أنجزه من أعمال ضخمة في فنيْ النحت والبناء، وبخاصة ما أقامه من المعابد الهائلة الحجم في بلاد «النوبة»؛ فقد بنى فيها عدة عمائر للآلهة كانت في الواقع فريدة في بابها؛ فقد نحتها كلها في الصخر بدلًا من إقامتها بالحجر، وبخاصة معبد «بو سمبل» الذي يعد مفخرة الزمان، ثم معبد «بيت الوالي»، ومعبد «السبوع»، ومعبد «جرف حسين»، ومعبد «الدر»، وغيرها مما لا تزال بقاياه موجودة حتى الآن.

وإذا صدَّقنا ما تركه لنا «رعمسيس الثاني» ووالده «سيتي الأول» من نقوش عن معاملتهما لأولئك العمال الذين نحتوا من الجبال تلك البيوت المقدسة، وقطعوا تلك التماثيل الهائلة للآلهة؛ لسقط كل ما يُنسب إليهم من أعمال «السخرة» والعسف؛ ولعلمنا أن العمال كانوا ينعمون برغد العيش، وبالتشجيع الأدبي الذي كان يلقيه الفرعون على عماله بنفسه.

أليس هو«رعمسيس الثاني» الذي يقول في إحدى الوثائق التي تركها لنا في وصف معاملته لعماله وتشجيعه لهم: «أنتم يأيها الرجال الطيبون، يا من لا يعرفون التعب، ويأيها الحراس الساهرون على العمل طوال الوقت، ويا من ينفذون واجباتهم على الوجه الأكمل، وأنتم يا من يقولون إننا نعمل بعد التروِّي؛ فنقوم بهذه الخدمات في الجبال المقدَّسة، لقد سمعت ما يقوله بعضكم لبعض، وإن فيكم لبركة؛ لأن الأخلاق تظهر في تضاعيف الكلام، وإني «رعمسيس» الذي ينشئ الشباب بإطعامهم، والأغذية أمامكم وفيرة حتى أصبح لا يتلهف عليها أحد من بينكم، والطعام غزير حولكم، ولقد كفيت حوائجكم من كل وجه صحيح حتى تعملوا بقلوب مُحبة، وإني دائمًا المحافظ على حوائجكم، وإن المؤن قد أصبحت لديكم أثقل من العمل نفسه؛ وذلك لأجل أن تنفذوا وتصبحوا عمالًا صالحين للعمل؛ لأني أعلم علم اليقين عملكم الذي ينشرح له صدر كل من يعمل فيه عندما يكون البطن مملوءًا؛ فالمخازن مكدسة بالغلال أمامكم، ولا يمر يوم تحتاجون فيه للطعام، وكل واحد منكم عليه عمل شهر (بالتناوب)، ولقد ملأت لكم المخازن بكل شيء، من خبز ولحم وفطائر ونعالٍ وملابسَ، وكذلك العطور لتعطير رءوسكم كل أسبوع، ولكسائكم كل سنة، ولأجل أن تكون أخمص أقدامكم صلبة دائمًا، وحتى لا يكون من بينكم من يمضي الليل يئن من الفقر، ولقد عينت خلقًا كثيرًا ليموِّنوكم من الجوع، وكذلك خَصصت سماكين ليحضروا لكم سمكًا،

وزرَّاعًا لينبتوا لكم الكروم، وصنعت لكم أواني واسعة على عجلة صانع الفخار، مسوِّيًا بذلك أوعية لتبريد الماء لكم في فصل الصيف. والوجه القبلي يحمل لكم حَبًّا للوجه البحري، والوجه البحري يحمل للوجه القبلي حَبًّا وقمحًا وملحًا وفولًا بكميات وافرة، ولقد قمت بعمل كل هذا لأجل أن تسعدوا وأنتم تعملون بقلب واحد.»

ولا نزاع في أن هذا الوصف الرائع لا يحتاج إلى تعليق، ولا يمكن لعامل أن يطلب عليه من مزيد، كما أنه لا يصوِّر لنا من فراعنة مصر جبابرة سخَّروا الناس لقضاء شهواتهم ومآربهم.

والواقع أن ما لدينا من وثائق يدل دلالة واضحة على أن كل طبقات الشعب في ريف البلاد وصعيدها، مدنها وقُراها كانوا في عيش رغيد؛ مما يشعر بأن نظام «ماعت» كان سائدًا مُراعًى في طول البلاد وعرضها.

فنرى الجندي في ساحة القتال، وبعد أن تضع الحرب أوزارها يرتع في بحبوبة العيش الناعم، ولا أدلَّ على ذلك مما جاء على لسان «رعمسيس الثاني» نفسه عندما تخلى عنه جنوده في ساحة القتال في موقعة «قادش» عند منازلة مملكة «خيتا» إذ يقول:

> ألم أقم فيكم سيدًا حين كنتم من البائسين، ومع ذلك رضيت عن طيب خاطر أن تصبحوا عظماء بواسطة حضرتي كل الأيام، فقد ورَّثت الابن متاع الوالد، وأبعدت كل الظلم الذي كان في الأرض، ونزلت لكم عن جزية أرضكم، ومنحتكم أخرى إذا اغتُصبت منكم، وأنصفت من استنصفني، وكنت أقول له (آي آمون): كل يوم ليس هناك سيد عمل لجنوده ما عمل جلالتي، وذلك على حسب ما تهوى قلوبكم، وسمحت لكم أن تبقوا في مدنكم دون القيام بمهام الجندية، وجعلت لخيالتي طريقًا إلى مدنهم — أي سمحت بالعودة إلى مدنهم — على شرط أن أستدعيهم لمثل هذا اليوم وقت خوض المعارك … إلخ.

وكذلك كانت الحال في عاصمة الملك، فكان من فيها يتمتعون بحياة سعيدة ليس وراءها لطالب من مزيد. وقد ترك لنا كتَّاب هذا العصر بعض الرسائل في وصف هذه الحاضرة ومباهجها، وما فيها من خيرات تتدفق عليها من كل أصقاع الإمبراطورية، ويخيل لمن يقرؤها أنه يسمع وصف جنات النعيم التي نقرأ عنها ونتخيلها: «حقًّا إن الإنسان ليبتهج بالسكنى فيها؛ إذ لا ينقصها رغيبة تخطر على بال، وقد تساوى فيها الصغير والعظيم.»

أما أهل القرى والفلاحون فكانت تحميهم من عسف الحكام وظلمهم قوانين خاصة يقوم بتنفيذها الوزير الذي كان يسهر على راحة كل مواطن منفذًا قانون «ماعت»، كما كان لرجال الدين والمعابد ضِياع تزخر بالثراء والخيرات الوفيرة، وقد سنَّ لها قوانين رادعة لكل من يتعدَّى عليها؛ هذا إلى إعفائها من الضرائب في مصر، وفي بلاد النوبة.

ولقد كانت القوانين صارمة لدرجة أن كل من تعدَّى على تلك المؤسسات الدينية يُجدع أنفه، ويُجلد مائة جلدة، ويكوَى بالنار كيًّا داميًا، ويُلزم بغرامة تبلغ أحيانًا مائة ضعف لما اغتصبه.

ولقد بلغ من شأن رجال الدين ونفوذهم في البلاد وقتئذ أن أصبحوا أصحاب ثروة عظيمة، ومكانة قوية؛ مما مهد لهم السبيل فيما بعد إلى قيام أسرة منهم قبضت على زمام الملك، وأصبحوا فراعنة في نهاية الأمر.

والواقع أن «رعمسيس الثاني» كان من الممهِدين لهذا الانقلاب حينما ضعف أمام كهنة «آمون»، وألقى في أيديهم رياسة الكهانة في «الكرنك»، وفي «العرابة». وقد زاد الطين بلة أن «رعمسيس» اعترف لهذه الطائفة بأن تنصيب الكاهن الأكبر لـ «آمون» قد جاء من وحي الإله وبإذنه، وأنه لا دخل له فيه، ومن ثم أصبحت سلطتهم جارفة، حتى أصبحوا يؤلفون في الواقع مملكة داخل مملكة، ليس للفرعون عليها سلطان إلا بالاسم.

وهكذا نرى أن البلاد كانت في ظاهرها في باكورة الأسرة التاسعة عشرة تسير سفينتها في ريح رخاء تهب عليها نسمات الحياة الدافعة إلى بر السلامة والعزة، إلى أن أرساها «رعمسيس الثاني» في الميناء بين سفن العالم الناشئ؛ فكانت أجملها منظرًا، وأرحبها شراعًا، وأثمنها حمولة، حتى إذا ما قامت الدول الأخرى لمناهضتها في مكانتها ومباهاتها في عزتها وقوة بأسها بعد وفاته كان من نصيبها الخيبة وسوء المنقلب فترة من الزمان.

والواقع أن «رعمسيس الثاني» ومن قبله والده «سيتي الأول»، و«رعمسيس الأول» قد أخذوا في إعادة مجد مصر الخارجي بكل الوسائل الفعالة الممكنة، وقد لعب «سيتي» دوره، وخلفه «رعمسيس» فقام بدوره خير قيام. ومن الغريب أن بعض المؤرخين لم يعطوا «رعمسيس الثاني» حقَّه من العظمة في حروبه التي شنها على بلاد «خيتا»، ودويلات آسيا الصغرى حلفائها، فينحون عليه باللائمة؛ لأنه لم يفلح كل الفلاح في استعادة الإمبراطورية المصرية كما كانت عليه أيام «تحتمس الثالث»، ولكن فاتهم أن «رعمسيس الثاني» كان في عهده يحارب جيش أمة فتية لها حلفاء أشدَّاء، وأن الجيش الذي تقابل معه «رعمسيس الثاني» في موقعة «قادش» العظيمة، وقد أصاب فيها النصر إلى حدٍّ لا بأس به على «خيتا» وحلفائها كان أعظم قوَّة، وأشد بطشًا من ذلك الجيش الذي اشتبك معه «تحتمس الثالث» في موقعة «مجدو» مع «خيتا»، وما جاورها من الممالك الصغيرة.

هذا فضلًا عن أن «رعمسيس الثاني» لم يكن يحارب للفتح، بل كان يحارب لاسترداد ما ضيعه «إخناتون». وعلى أية حال، فإن «رعمسيس» كان حكيمًا في سياسته الخارجية، وبخاصة في حروبه؛ فقد أفلح فيها إلى حدٍّ بعيد؛ إذ إنه في نهاية الأمر اضطر عدوه ملك «خيتا» ومن معه إلى طلب الصلح، وإبرام معاهدة في السنة الواحدة والعشرين من حكمه بعد أن مد فتوحه إلى بلاد «نهرين» كما يقول في نقوشه، وتدل شروطها على أن مصر كانت صاحبة اليد الطولى في إملاء فقراته.

وتعد هذه المعاهدة أقدم وثيقة من نوعها في تاريخ الشرق القديم، بل وفي تاريخ العالم الدولي، والمطلع على نصوصها يجد أنها الأساس الذي سارت على نهجه أمم العالم فيما بعد في إبرام المعاهدات. ومن الطريف أن صيغة هذه المعاهدة ظلت معروفة لنا بالمصرية فحسب، إلى أن كُشف حديثًا عن نسخة منها في مدينة «بوغازكوي»، التي قامت على أنقاض عاصمة «الخيتا» القديمة، وقد وجدت بين سجلات وزارة الداخلية التي تركها لنا ملك «خيتا» وقتئذ، فكانت من أدهش الصدف التي فاجأتنا بها الكشوف الحديثة.

بهذه المعاهدة عقدت أواصر المهادنة بين البلدين، وأصبحت مصر آمنة مطمئنة من هذه الجهات، وتراسل بعدها ملك مصر مع ملك «خيتا»، كما تراسلت ملكة مصر «نفرتاري» مع ملكة «خيتا»، بما يدل على الود والإخاء، وجاءت الوفود إلى مصر من كل الأقطار الأسيوية، واكتظت عاصمة الملك «بررعمسيس» بسفراء الدول وعظماء الأجانب، واتخذوا من حاضرة الملك هذه سكنًا لهم، وأصبحت الآلهة الأجنبية تُعبد في مصر، كما أصبحت الآلهة المصرية تُعبد في الأقطار الأسيوية، وبذلك أصبحت «بررعمسيس» ملتقى كل حضارات الشرق والعالم المعروف وقتئذٍ، فنقرأ عن المعابد التي أقيمت للآلهة الأجنبية فيها، والتماثيل التي صُنعت لها في كل أنحاء القطر، وبخاصة في عاصمة الملك الدينية «تانيس».

وجيء بالمفتنين الأجانب للعمل فيها، كما كانوا يعملون في حاضرتها السياسية، وهناك أقيمت المحاريب للآلهة الأسيوية الذين كان يتعبد لهم الملوك والأفراد على السواء.

وقد بالغ الفرعون في العناية بهذه الآلهة، فسمى إحدى بناته باسم الإلهة «عنتا» الأسيوية، وعندما تزوج ببنت ملك «خيتا»، التي أحضرها والدها ليقدمها لهذا الفرعون ثمنًا للصداقة بين البلدين أطلق عليها اسمًا مصريًّا هو: «مات نفرو رع»؛ أي التي ترى جمال رع.

وفي هذه الفترة ازدادت روابط الود بين مصر وجيرانها بالتجارة، فقد كان لمصر أسطول عظيم يروح ويغدو في ميناء عاصمتها، حاملًا لمصر من خيرات البلاد الأجنبية كل أنواع الطرائف، فكان يَرد إليها الأثاث المُطعم من بلاد «العاموريين»، ومن بلاد «قدي»، والأسلحة والخمر والفاكهة من بلاد «خيتا»، والزيت من سهول بلاد «سوريا»، والنحاس من «قبرص»، والخيل من «سنجار» (بابل)، والثيران من «خيتا»، والغلمان الذين كانوا يمتازون بجمالهم وحُسن هندامهم للقيام على خدمة الفرعون من بلاد «كركيسيا»، وكانوا عندما يتقدمون في السنِّ — كما تقول النقوش — يوضعون في المطابخ، ويُكلَّفون بصنع الجعة. وكذلك كانت التجارة رائجة بين مصر وكريت، وغيرها من بلاد الشرق، وبخاصة الأواني المزخرفة التي كانت محببة لدى المصريين، حتى إنها كانت تقلد محليًّا.

ومما تجدر ملاحظته هنا كذلك، أنه في هذه الفترة من تاريخ البلاد أخذ المصري يتحرَّر من قيود الماضي في نواحٍ كثيرة، فلم يعد بعد يحب البقاء في عقر داره، بل أخذ يجوب البلاد الأجنبية، ويتعرَّف مجاهلها، ويفتخر بمعرفة جغرافيتها، وتخطيط بلدانها، حتى أصبح كل

نابغ في هذا الباب يطلق عليه لفظ «ماهر»، وقد كان من جرَّاء هذا الاختلاط وتلك المغامرات أن اتسع أفق تفكيره، وأخذ يدرس العلوم الرياضية والهندسية؛ ليكون جديرًا بهذا الاسم، وكذلك أخذت الألفاظ السامية تشق طريقها إلى اللغة المصرية؛ حتى أصبح من علامات المعرفة والثقافة أن يستعمل المتعلم الألفاظ السامية في حديثه، وفي مخاطباته؛ ومن ثم أخذت الألفاظ الأجنبية على وجه عام تحتل مكانًا ساميًا في اللغة المصرية. وكذلك كان من نتائج هذا الاختلاط أن فُتحت أبواب الجيش والوظائف الحكومية للأجانب الذين كانوا يهاجرون إلى مصر دون خوف، ولا وجل كما حدث في العهد العباسي، وفي عهد المماليك البرجية والبحرية، ومن ثم أخذ الدم المصري يختلط بعض الشيء بالدم الأجنبي في المدن فحسب، أما القرى فكان الدم فيها مصريًّا صميمًا حتى يومنا هذا.

وقد أُحكمت أواصر المودة بين جنوب الوادي وشماله، بما قام به الفرعون من المباني العظيمة في بلاد «النوبة» و«كوش»، ولا سيما أن حاكم هذه الأقطار كان يُلقب بابن الملك؛ ولذلك لم يقم أهل الجنوب بأية ثورة في تلك الفترة من تاريخ البلاد.

وفي مضمار الفنون والعلوم والأدب والدين سجل عصر الرعامسة الأول من التجديد والابتكار ما ميزه عن غيره من العصور المصرية، وطبعه بطابع خاص.

ونجد بعد القضاء على عهد «إخناتون» الذي أحدث في البلاد انقلابًا دينيًّا وفنيًّا معًا أنَّ الفنَّ القديم قد عاد إلى مجراه في كثير من النواحي، غير أنه مع ذلك قد تأثر بفن «إخناتون» الذي كان يدعو للحرية في العمل، وعدم التقيد بالتقاليد القديمة؛ فأصبح المثَّال والرسام حرًّا طليقًا إلى حد بعيد، متأثرًا في ذلك بفن عهد «إخناتون»؛ ولذلك نجد في صور المقابر والمعابد التي تركها لنا هذا العهد خليطًا من صناعة العهدين، نقرأ في مرآته فن عصر الأسرة الثامنة عشرة، وفن عهد «إخناتون» معًا.

وكذلك نهض الأدب نهضة عظيمة شعبية كُتبت كل متونها باللغة العامية السلسة، وتتمثل في القصص الذي تنعكس على مرآته عادات القوم، وأخلاقهم، وخرافاتهم، واتصالاتهم بالبلاد المجاورة، كما يتمثل لنا أدب هذا العصر كذلك في أشعارهم وملاحمهم.

والواقع أن قصيدة «رعمسيس الثاني» التي نقشها على جدران معابده مفتخرًا فيها بانتصاره على جيوش «خيتا»، وما أتاه من ضروب الشجاعة منفردًا في موقعة «قادش» في السنة الخامسة من حكمه تُعد أول ملحمة كُتبت في التاريخ، وهذه الملحمة هي المعروفة خطأ عند عامة الشعب المصري، وعند معظم المتعلمين بقصيدة «بنتاور»؛ لأن «بنتاور» هذا هو ناسخها فحسب.

وقد ضرب المصري بسهم وافر في قرض الشعر الغزلي والغنائي، فدوَّن لنا روائع ذكرنا منها أمثلة تضع المصري في الصف الأول من ناظمي هذا النوع من القريض. وكذلك اتسع أفق كاتب الحِكم والأمثال؛ فأصبح لا يقتصر على تعليم الابن كيف يؤدي واجبه، بل نشاهد فيها في هذه الفترة من التاريخ حيوية وتجارب لم تكن معروفة من قبل.

وكان لعقيدة التوحيد التي طلع بها «إخناتون» على العالم الشرقي أثر بيِّن في عبادة القوم، بل على التفكير الشرقي كله، على الرغم من رجوعهم إلى عبادة الآلهة الأقدمين؛ إذ نلحظ أن الفرد أخذ يتضرع لإله واحد، ويناجي ربه — وإن كان في صور متعددة — وقد انتشر هذا التضرع بين عامة الشعب جنبًا إلى جنب مع العبادة الرسمية. وقد تغلغلت فكرة التعبد المنفرد في نفوس العامة حتى أخذ الفرد يعترف بما اقترف من ذنوب بعد أن كان كل ما يفعله في هذا السبيل نفي كل ذنب عنه، ومن ثم أخذت فكرة التنسك والتحنف تظهر في الديانة المصرية القديمة، وهي الفكرة التي ظهرت في ثوب التصوف فيما بعد، والرهبنة التي هي من بقايا تلك المعتقدات.

هذه نظرة عاجلة في تاريخ الفترة الأولى من عهد الرعامسة، مهدنا بها للقارئ؛ حتى يمكنه أن يتذوق ما فصلناه في هذا المؤلف، وكانت خطتنا في بحثنا هذا — كما هي عادتنا — الرجوع إلى المصادر الأصلية المصرية، وآخر البحوث العلمية. وقد فصلنا القول في بعض الموضوعات التي قد يملَّها القارئ العادي، ولكن غرضنا منها هو أن يطلع عليها الباحث الذي يدرس تاريخ أرض الكنانة لعله يجد فيها بعض مآربه. وفقنا الله لخدمة هذا الوطن الذي أصبح من أهم ما يحتاج إليه الرجوع إلى ماضيه القديم؛ ليكون له منه عبرة وذكرى، وإن الذكرى تنفع المؤمنين، ولا إخال كل وطني إلا عاملًا على قراءة تاريخ بلاده بقلب مخلص سليم.

شكر

وإني أتقدم هنا بعظيم شكري لصديقي الأستاذ محمد النجار ناظر مدرسة سمدون الأميرية لما قام به من مراجعة أصول هذا الكتاب، وقراءة تجاربه بعناية بالغة، كما أتقدم بوافر الثناء على حضرة الأستاذ محمد نديم مدير مطبعة دار الكتب المصرية لما بذله من جهد مشكور، وعناية ملحوظة في إخراج هذا المؤلف، ولا يسعني إلا أن أقدم شكري للأستاذ محمد إبراهيم نصر الذي أبدى عناية في كتابة أصول هذا الكتاب، وبذل مجهودًا مشكورًا في قراءة تجاربه كلها، وعمل الفهارس معي.

والله أسأل أن يوفقني إلى ما فيه خير البلاد ومجدها.

أبريل سنة ١٩٤٩

الأسرة التاسعة عشرة

مقدمة

كانت العلاقات السياسية بين مملكة «متني» وجيرانها هي المحور الذي يدور حوله تاريخ غربي آسيا في خلال النصف الثاني من عهد الأسرة الثامنة عشرة؛ فمنذ الحملات التي قام بها «تحتمس الثالث» على سوريا حتى عهد «تحتمس الرابع» كانت مصر في حروب دائمة مع مملكة «متني»، وهي التي كانت تُعرف وقتئذ في التاريخ باسم «نهرينا»، وفي نهاية هذه المدة استيقظت مملكة «خيتا» من رقدتها الطويلة التي ظلت نحو قرنين، ومن ثم بدأت تحمل بقوة متواصلة على أملاك بلاد «متني» من الجهة الشمالية الغربية، فلم يسع الأخيرة إلا أن سارعت بمهادنة مصر، وخطب ودها بأوثق العلاقات الأسرية، وظلت أواصر هذا السلام قائمة مدة حكم ثلاثة من الفراعنة بالزواج من أميرات متنيات.

ولكن حوالي عام ١٣٧٠ق.م قهر «شوبيليو ليوما» ملك «خيتا» بلاد «متني» فأصبحت شبه ولاية تابعة لملكه، وعلى الرغم من ذلك ظلت بلاد «متني» باقية نحو قرن آخر تناضل عن استقلالها حتى استولى عليها الملك «سالمنزار الأول» ملك «آشور» (١٢٨٠–١٢٥٠ق.م) ومنذ عام (١٣٧٠ق.م) تقريبًا حتى عام (١٣٢٥ق.م) كانت مصر وبلاد «خيتا» متجاورتين في سوريا، يفصل بينهما «نهر الكلب» على الساحل على وجه عام، وقد كانت تحدث في أثناء تلك المدة بعض تغييرات ضئيلة في الداخل ليست بذات بال، وتدل ظواهر الأحوال على أن كلًّا من الدولتين كانت منهمكة في شئونها الداخلية؛ فعاقها ذلك عن التدخل في أمور جارتها نحو نصف قرن (١٣٧٠–١٣٢٠ق.م) فقد كانت مملكة «خيتا» معظم هذه الفترة مشغولة بحروب وثورات قامت عليها في «آسيا الصغرى». وقد بدأ الفرعون «سيتي الأول»، وتلاه ابنه «رعمسيس الثاني» حروبًا طاحنة مع «خيتا» القوية الجانب، ولم تكن نتيجة هذه الحروب ما كانت ترجوه مصر منها، غير أن «خيتا» لحسن الحظ كانت قد دب في جسمها الضعف، واستولى عليها الوهن بدرجة عظيمة، بسبب الاضطرابات التي كانت في أملاكها الشمالية والغربية، فلم تستفِد من انتصاراتها على مصر. وحوالي عام (١٢٨٠ق.م) اضطرَّت — على ما يظهر — لعقد صلح مع مصر وُثِّق بالمصاهرة، ويبدو أن «خيتا» قد راعت عهودها مع مصر المهيبة الجانب حتى زالت دولتها أمام ضربات المغيرين الهمج، الذين انقضوا عليها من الشمال في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد.[١]

---

[١] راجع: From The Stone Age To Christianity (Albright) p. 157.

بداية الأسرة التاسعة عشرة

كان عهد ملوك الأسرة التاسعة عشرة بداية عصر جديد في تاريخ الأمة المصرية من الوجهتين السياسية والدينية، كما كان كذلك عهد رخاء وإصلاح داخلي من ناحية الإدارة والعمارة، فقد رأينا أن الفرعون «حور محب» آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة قد أعاد للبلاد ديانتها الأصلية، كما استرد لها بعض مكانتها السياسية بإخضاع بلاد النوبة ثانية للحكم المصري، وبالانتصارات التي أحرزها على أقوام البدو و«خيتا» الذين كانوا قد أغاروا على أملاك مصر في سوريا وفلسطين، هذا إلى أنه وطَّد أركان السلام في داخلية البلاد بسنِّ القوانين التي أصبحت فيما بعد مضرب الأمثال؛ ومما يؤسف له أن هذا العاهل العظيم لم يكن في مقدوره أن يسترد للبلاد مكانتها الأصلية في آسيا، وقد ترك ذلك لأخلافه من بعده، غير أنه لم يعقب من يرث الملك من نسله؛ فخلفه أحد قواده. والواقع أن ما لدينا من المصادر التاريخية عن وراثة العرش بعد «حور محب» أحيط بحجاب كثيف من الغموض والإبهام، وبخاصة عندما نعلم أن ما وصل إلينا عن طريق الكتَّاب القدامى من مؤرِّخي العصر اليوناني الإغريقي يتناقض مع ما تستنبطه من الآثار الباقية لنا من هذا العصر؛ ولذلك تعترض المؤرِّخ عندما يتناول درس تاريخ الأسرة التاسعة عشرة مسألتان؛ أولاهما: من أول ملوك هذه الأسرة؟ والثانية: إلى أي بيت يُنسب هذا الملك، وبأي حق استوى على عرش مصر؟

والجواب عن السؤال الأول ينحصر في رأيين؛ أولهما: أن بعض المؤرخين، ومن بينهم الأستاذ «برستد» يظن أن هذه الأسرة تبتدئ بالفرعون «حور محب». والرأي الثاني: ما يزعمه البعض الآخر من المؤرخين، ومن بينهم الأستاذ «أدورد مير»، والأستاذ «فلندرز بتري» من أن «حور محب» كان آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة، وأن أول ملوك الأسرة التاسعة عشرة هو الفرعون «رعمسيس الأول»، وهذا الرأي الأخير هو المرجح وقد اتبعناه. غير أن ما وصل إلينا من التقاليد التي نقلها لنا كتاب الإغريق، وغيرهم لا يتفق مع هذا الرأي.

والواقع أن ما جاء في قائمة «مانيتون»، وما ذُكر في مختصر «أفريكانوس»، ومختصر «يوزيب» يبدو قلقًا عند هذه النقطة، يضاف إلى كل ذلك أن «يوسفس» المؤرخ اليهودي يبتدئ الأسرة التاسعة عشرة بالملك «سيتي الأول». ولا نزاع في أننا إذا نظرنا إلى هذا الموضوع من الوجهة التاريخية ظهر لنا بطبيعة الحال وجوب أن يكون «حور محب» هو الحد الفاصل بين الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة؛ إذ إن الحقيقة لا مراء فيها هي أن نسل الذكور في ملوك الأسرة الثامنة عشرة كان قد انقطع حبله بموت الملك الشاب «توت عنخ آمون»، إذ إنه قُضِيَ دون أن يعقب ذكرًا، ومن أجل ذلك خلفه على عرش الملك الفرعون «آي» أقوى رجل في البلاد وقتئذ، وقد عزز اعتلاءه عرش المُلك زواجه من أرملة «توت عنخ آمون» (راجع الجزء الخامس). وقد خلف «آي» القائد «حور محب» الذي يُعد بلا

نزاع الممهد الأول لبناء ملك الأسرة التاسعة عشرة؛ لما قام به من إصلاحات عظيمة، كان الغرض منها إقالة مصر من عثرتها، وإنعاشها من رقدتها، وإنهاضها من كبوتها التي جرَّها عليها «إخناتون» بسوء سياسته داخل البلاد وخارجها. والظاهر أن «حور محب» قد قُضِيَ دون أن يترك خلفًا على عرش الكنانة؛ ويدل ما قام به قبل موته على أنه كان يشعر بذلك قد هيأ الأمور لوزيره وقائد جيشه المسمى «بارعمسيس» ليخلفه على أريكة البلاد وفقًا لسياسة اختطت من قبل، ثم خلف «رعمسيس» هذا بدوره ابنه «سيتي الأول»، ومن ثم تعاقب الملك أخلافه من ظهره قرنًا ونصف قرن من الزمان. ومن بعض المؤرخين «رعمسيس الأول» على رأس ملوك الأسرة التاسعة عشرة، وقد أخذنا بهذا الرأي؛ لأنه على ما يظهر هو الرأي الصواب.

أما الجواب عن المسألة الثانية، وهي البيت الذي يُنسب إليه ملوك هذه الأسرة فنجد الإجابة عنه قد وردت في متن لوحة أربعمائة السنة التي عُثر عليها في «تانيس» (راجع الجزء الرابع)، هذا بالإضافة إلى أن أسماء أعضاء الأسرة المالكة الجديدة قد ركبت تركيبًا مزجيًا مع اسم الإله «ست» الذي كان يُعبد في «ستوريت»، وهي المقاطعة السادسة عشرة من مقاطعات الوجه البحري، (راجع كتاب أقسام مصر الجغرافية في العهد الفرعوني ص٩٧)؛ مما يدل على أن أسرته نبتت من هذه الجهة.

أما شرعية اعتلاء «رعمسيس الأول» عرش مصر، فليس لدينا حتى الآن براهين معاصرة قاطعة تؤكد لنا هذا الحق، وكل ما لدينا في هذا الصدد بعض احتمالات منطقية يقبلها العقل، وتعززها النقوش إلى حد بعيد، وسنستعرضها هنا ليحكم عليها القارئ بما تستحق من منزلة تاريخية.

(١) «مانيتون» وتواريخ الأسرة التاسعة عشرة

كان المفروض إلى عهد قريب جدًّا أن قائمة الملوك التي خلفها لنا المؤرخ المصري «مانيتون» تبتدئ ملوك الأسرة التاسعة عشرة باسم الملك «سيتي الأول» على حسب قراءة الأستاذ «إدوردمير»، وغيره من فحول المؤرخين في التاريخ القديم، غير أن «إدوردمير» يقول: إن ترتيب «مانيتون» للجزء الأول من ملوك هذه الأسرة يعتوره ارتباك بالغ، وخلط في الحقائق، إذا وازنا ما جاء فيها بما بقي لنا على الآثار، يضاف إلى ذلك أن المؤرخين الذين نقلوا عن «مانيتون» وبخاصة «أفريكانوس»، و«يوسفس»، ثم «يوزيب» قد اختلف بعضهم عن بعض في كتابة أسماء هؤلاء الملوك، وقد بقيت الحال كذلك حتى عام ١٩٢٨م عندما نشر الأستاذ «ستروف»[١] مقالًا؛ الغرض منه موضوع ظهور نجم الشعرى الذي ذكر فيما كتبه «ثيون Theon» الرياضي الإسكندري الأصل. فقد ذكر لنا «ثيون» هذا أن نجم الشعرى بدأ دوره في عهد ملك يُدعى «منوفيس» في عام(١٣٢٢ق.م) ولا بد أن هذا التاريخ يقع في حكم أحد الملوك الثلاثة التالين، وهم؛ «حور محب»، و«رعمسيس الأول»، و«سيتي

الأول»، وقد حكم على حسب ما ذكره «بتري»[٢] ما بين عامي (١٣٢٨–١٣٢٢ق.م) وعلى حسب ما ذكره «برستد»[٣] ما بين عامي (١٣٢٠–١٣١٥ق.م).

وإذا نظر الإنسان نظرة سطحية وجد للمرة الأولى عدم التجانس اللفظي بين أسماء هؤلاء الملوك وبين اسم «منوفيس»، ولكن لا بد أن نذكر هنا أن اسم «سيتي» العلم الكامل هو «سيتي مرنبتاح»، وأن الجزء الأخير من هذا الاسم — وهو«مرنبتاح» — يمكن أن يعادل الاسم «منوفيس» على حسب النطق اليوناني، كما ذكر لنا ذلك الأثري «لبسيوس». يضاف إلى ذلك أن تاريخ حكم «سيتي الأول» يتفق على وجه التقريب مع عام (١٣٢٢ق.م) الذي ذكره لنا «ثيون»، وأن حذف كلمة «سيتي» من الاسم كان يحدث أحيانًا في تاريخ هذا الفرعون، كما يمكن تفسيره بسهولة؛ وذلك أن المصادر التي استقى منها «ثيون» معلوماته كان قد حذف منها كلمة «سيتي» التي تدل على اسم الإله الشرير المخيف الذي قتل أخاه «أوزير» الطيب المحبوب، ويعزز ذلك الرأي من جانبنا أن «سيتي» نفسه كان يتحاشى كتابة اسمه بصورة هذا الإله الشقي.

وتدل شواهد الأحوال على أن ملوك البطالمة كان يعز عليهم أن يذكروا أحد أسلافهم المبجلين باسم مُشين مرذول؛ ولذلك فضلوا إسقاط الجزء الأول من الاسم وهو الممقوت، واكتفوا بالدلالة على هذا الملك بالجزء الثاني من اسمه العلم، وهو«مرنبتاح»، وهو ما يقابل في الإغريقية «منوفيس». ويمكن الاعتراض على ذلك من ناحية أخرى بأن قائمة «مانيتون» لا تحتوي على اسم «ستوس» الذي قال عنه كل من فحص هذه القائمة من مؤرخي اليونان أنه يقابل اسم «سيتي الأول». ولكن طالعنا الأستاذ «ستروف» ببحث حاول فيه أن يثبت خطأ توحيد هذين الاسمين؛ وأن ذلك قد نتج عن غلطة ارتكبها النُّسَّاخ الذي نقل عن «مانيتون»، يدل على ذلك أن «يوسفس» الذي اقتبس عن «مانيتون» في كتابه (Contra Apion I, 15.) لم يوحد اسم «سيتي» باسم «ستوس»، بل إن الوقائع التي ذكرها «يوسفس» لا يمكن أن تُنسب إلا لـ «رعمسيس الثاني»؛ من أجل ذلك يعتقد «ستروف» أن اسم «ستوس» ليس إلا تحريفًا لاسم «سوس» الذي يمكن توحيده باسم «سسي»، وهو الاسم المحبب الذي كان ينادَى به الفرعون «رعمسيس الثاني». فإذا كان الرأي الذي جاء به «ستروف» مقبولًا فإن رواية «مانيتون» عن الأسرة التاسعة عشرة تصبح مفهومة لا خلط ولا ارتباك فيها، وتتفق مع الحقائق المعاصرة، ومن ثم يمكن ترتيب أسماء ملوك هذه الأسرة كما يأتي:

- (١) حور محب، حكم خمسة أعوام.
- (٢) رعمسيس الأول، حكم عامًا وبعض عام، أو عامين على الأكثر.
- (٣) سيتي الأول، حكم تسعة عشر عامًا.

- (٤) رعمسيس الثاني (سسي)، حكم سبعة وستين عامًا.
- (٥) مرنبتاح، حكم عشرين عامًا.
- (٦) سيتي الثاني، حكم ستة أعوام.
- (٧) رعمسيس الثالث، حكم سبعة أعوام.
- (٨) أمنمس، حكم خمسة أعوام.
- (٩) الملكة توزرت، حكمت سبعة أعوام.

والواقع أن قائمة ملوك هذه الأسرة — كما ذكرها «مانيتون» — لا تحتوي إلا على ثمانية ملوك، في حين أنه وُجد على الآثار تسعة ملوك كانوا حكام هذه الأسرة، والملك الذي لم يأتِ ذكره في قائمة «مانيتون» هو «سيتي الثاني مرنبتاح». وقد فسر ذلك «ستروف» بأنه قد سقط من قائمة «مانيتون» إهمالًا من الناسخ، ويقول: إنه من المحتمل حدوث ذلك بسبب حذف كلمة «سيتي» من اسم «سيتي مرنبتاح»؛ وبذلك أصبح موحدًا باسم «مرنبتاح» الذي سبقه في ترتيب القائمة. والحقيقة الهامة التي يمكن استخلاصها إذا وحدنا اسم «منوفيس» باسم «سيتي الأول» هي أنه يصبح في استطاعتنا تحديد عهد هذا الفرعون بعام (١٣١٨ق.م) تقريبًا، كما يرجح ذلك ظهور نجم الشعرى في اليوم الأول من السنة الجديدة، على أن كل ما ذكرنا هنا لا يتعدى حد نظرية مقبولة في ذاتها وحسب.

---

[١] راجع: A. Z., Vol. LXIII, pp. 45–50.

[٢] راجع: History of Egypt II, p. 104.

[٣] راجع: Breasted History of Egypt p. 599.

رعمسيس الأول

تولى «رعمسيس الأول» عرش مصر إثر وفاة العاهل العظيم «حور محب» الذي لم يعقب ولدًا يرثه على أريكة الكنانة، وقد كان انتخاب «رعمسيس الأول» لملك أمرًا تتطلبه الأحوال ونظم الحكم التي كانت تسير عليها البلاد وقتئذ؛ إذ كانت تحكم مصر حكومة مشبعة بالروح العسكري، وكان «حور محب» نفسه قبل كل شيء جنديًّا معروفًا؛ ولذلك انتخب خلفه ضابطًا من ضباط الميدان يُدعى «بارعمسيس».

(١) نشأته قبل تولي الملك

وتدل الآثار على أن «بارعمسيس»[١] قد نشأ من أسرة ضباط قديمة، فقد كان والده «ستخي» أو «سيتي» يحمل لقب رئيس الرماة، ويدل الاتصال الوثيق الذي نجده بين ملوك الرعامسة فيما بعد، وبين بلدة «تانيس» — هذا بالإضافة إلى ما جاء على لوحة أربعمائة السنة، وما ذُكر في نقوش «بحر نفر» أحد كبار رجال الدولة في الأسرة الرابعة — على أن هذه الأسرة تنتسب إلى بلدة «سترت» (ستوريت) من أعمال الدلتا، كما فصلنا القول في ذلك (راجع مصر القديمة الجزء الرابع).



شكل ١: الملك رعمسيس الأول (من مناظر قبره).

هذا ونعلم أن «بارعمسيس» قد بدأ حياته بالانخراط في سلك الجندية، وأخذ منصب والده «سيتي»، ودرج إلى منصب رئيس الرماة، ويلحظ على حسب الألقاب التي كان يحملها أنه رُقي قائدًا لحامية قلعة «سيلة» (تل أبو صيفة الحالي فيما بعد)، ومن هنا نعلم أنه كان موكلًا بحماية الحدود الشمالية الشرقية للدلتا. وأخيرًا، نعلم أنه وصل إلى رتبة قائد فرسان؛ مما يدل على أنه كان محظوظًا، وأنه كان ذا علاقات حسنة مع رجال البلاط، وقد ورث ابنه «سيتي» عنه فيما بعد وظائفه العالية، غير أننا لا نعرف في أي وقت وصل «بارعمسيس» إلى رتبة قائد فرسان التي كانت تُعد من أعلى الرُّتب العسكرية، والمحتمل أنه نالها في عهد الملك «آي»، ولا نزاع في أن هذه الوظيفة كانت ذات قيمة عظيمة جدًّا، وبخاصة عندما نعلم أن «آي» قد حصل عليها قبل تولي عرش الملك في عهد كل من «سمنخكارع»، و«توت عنخ آمون»، ولا نستبعد أنه كان عاملًا هامًّا في نجاح «حور محب» نجاحًا أدى إلى اعتلائه العرش. وتدل شواهد الأحوال على أن مكانة «بارعمسيس» بجوار الفرعون «حور محب» تشبه تمام الشبه مكانة «حور محب» بجوار الفرعون «آي»؛ فقد كان في استطاعة الفرعون بمساعدته وموافقته أن ينفذ إرادته، والظاهر أن الفرعون «آي» لم يفطن لهذه الحقائق، وغابت عن حسابه؛ ولذلك سقط من عليائه، فكان ذلك درسًا مفيدًا لخلفه «حور محب» في سياسة الملك، فلم يتأخر أو يتردد في أن يجعل هذا القائد العظيم خلفًا له على العرش، فمنحه لقب «ربعت»، وهو كما أسلفنا لقب[٢] يضم في غضون معانيه أن حامله هو نائب الفرعون في إدارة البلاد في الدولة المصرية. أما وظيفة المدير العظيم للبيت الفرعوني التي كانت تُعد من أعظم ألقاب الدولة فلم يتقلدها «بارعمسيس» كما كان يتقلدها يومًا ما «حور محب»؛ وذلك لأن لقب «ربعت» كان يدل على أن حامله في يده كل سلطة المدير العظيم للبيت الفرعوني، وغيرها من السلطات العظيمة في الدولة.

وعلى الرغم من ذلك كانت في حكومة البلاد وظيفة أخرى عظيمة الخطر بالنسبة للإصلاح الجديد الذي قام به رجال الحزب العسكري، وكانوا يعدونها حربًا عليهم تحول دون سلطانهم، وتقلل من نفوذهم، وهذه وظيفة منصب الوزير. والواقع أنه كان يوجد في البلاد منذ منتصف الأسرة الثامنة عشرة وزيران: واحد للوجه القبلي، والآخر للوجه البحري على وجه عام، غير أنه مما يلفت النظر أننا لم نجد لهذه الوظيفة أثرًا في عهد «توت عنخ آمون» حتى الآن، ولا في عهد الفرعون «آي» أيضًا، وقد كان في قدرة الوزير بوصفه الرئيس الأعلى لطائفة الموظفين أن يؤلبهم على رجال الجندية الذين كانوا يقبضون في تلك الفترة على السلطة العليا في طول البلاد وعرضها، ولكن «حور محب» قد فطن لهذا الموقف، وعين «بارعمسيس» الذي كان من طائفة الجنود وزيرًا على البلاد؛ وبذلك تفادى كل خطر من ناحية الموظفين. ومن ثم نعلم أن وظيفة الوزير — إذا كانت قد ألغيت — قد أعيدت، غير أن حاملها لم تعد له علاقة بالشعب كما كانت حال الوزير قبل عهد «إخناتون»، وما كان

له من جاه بوصفه صاحب أعظم وظيفة في الدولة وقتئذ، بل أصبح حاملها الآن مجرَّد ضابط من ضباط الجيش يعمل لصالح طائفته.

وليس لدينا براهين بينة على مقدار ما كان للوظائف الأخرى الهامة في الدولة من قيمة إذا ما قيست بمصير وظيفة الوزير، وقد بقي الارتباط بين وظيفة ولاية العهد ووظيفة الوزير وثيقًا في أول عهد فراعنة الرعامسة، غير أنه كان لزامًا على ولي العهد أن يكون قد خدم في الجيش العامل؛ ولذلك نجد أن «بارعمسيس» لما تولى العرش بعد موت «حور محب» كان ابنه وخلفه على العرش يحمل نفس الألقاب التي كان يحملها والده قبل توليه أريكة الملك؛ فنجد «سيتي» (ستخي) يحمل في بادئ الأمر لقب رئيس الفرسان، ثم رُقي إلى رتبة قائد الخيالة، ثم أصبح ولي العهد ورئيس الوزارة، وكذلك نجد «سيتي» نفسه قد نصب بدوره ابنًا له يُدعى «رعمسيس» الذي كان يحمل لقب رئيس الفرسان؛ ولي عهده ووزيره على البلاد، غير أن الأخير قُضي دون أن يتولى العرش كما سنذكر بعد. ومع كل ذلك نجد أن هاتين الوظيفتين قد فُصلتا في عهد «رعمسيس الثاني».

ونلحظ أنه كان يوجد فرق واحد بين الوظائف التي تقلدها «بارعمسيس»، والتي قام بأعبائها «حور محب» في عهد الملك «آي»؛ ذلك أن «بارعمسيس» لم يكن يحمل لقب القائد الأعلى للجيوش. ويمكن تفسير ذلك من الأحوال التي كانت تحيط بكل منهما؛ فقد كان «بارعمسيس» — على ما يظهر — يتقلد وظيفته بوصفه وزيرًا في «طيبة»، كما يدل على ذلك تماثيله في «الكرنك»، في حين أن وظيفة القائد الأعلى كان مقرُّها في «منف». والظاهر أن «حور محب» كان يقطن «منف» وهو الرأي السائد، وإن لم تكن لدينا براهين قاطعة تؤكد لنا هذا الزعم؛ وأصحاب هذا الرأي يستندون على ما جاء في نقوش تمثال «تورين» الخاص «بحور محب»؛ إذ إنه عند تتويجه صعد في النيل نحو الأقصر. ونجد كذلك أن «حور محب» لم ينصب في وظيفة القائد الأعلى أميرًا، كما كان المتبع، بل قلدها «أمنمأبت» الذي لم يكن من طبقة الموظفين؛ بل كان من الضباط العاملين في الجيش، وكان يحمل قبل توليته منصبه الجديد لقب رئيس الفرسان.[٣]

وبالجملة نرى أنه قد حل محل طبقتي الموظفين والكهنة ضباط قدامى من ضباط الجيش العامل في عهد «حور محب»، ومما لا شك فيه أننا لم نجد إلا النزر اليسير من كبار الموظفين ورجال الكهانة؛ مما يحتم علينا فحص هذا الموضوع من جديد، على أن هذا النقص في رجال هاتين الطبقتين له ارتباط بنقل العاصمة من «طيبة» إلى «منف»، ولكن الكشوف الأثرية لم تسعفنا بمعلومات كافية في هذا الصدد، ومع ذلك يقص علينا «حور محب» نفسه على تمثاله الموجود «بتورين» الآن ما يأتي:[٤] «أنه جهز المعابد بكهنة مطهرين، وكهنة مرتلين من خيرة رجال الجيش.»

على أنه من جهة أخرى لم تصل إلينا أية معلومات عن السلطات التي كانت في يد «بارعمسيس» بوصفه نائب الملك ووزيره، كما لا نعرف اسم الوزير الذي كان يسيطر على الوجه البحري في عهد «حور محب»، وليس من شك في أنه كان يوجد في عهده وزيران،[٥]

ومن المحتمل أن «بارعمسيس» نفسه كان مصورًا في مقصورة «حور محب» التي نحتها في صخور السلسلة، وقد مثل هناك بوصفه حامل المروحة على يمين الفرعون بجوار محفة الفرعون في منظر يمثل «حور محب»،[٦] وهو عائد من حروبه في بلاد النوبة.

وعلى أثر وفاة «حور محب» اعتلى بعده «بارعمسيس» عرش الملك، وسمى نفسه «رعمسيس الأول»، غير أنه كان وقتئذ متقدمًا في السنِّ جدًّا، وقد لقَّب نفسه بالألقاب الملكية التالية: (١) الثور القوي صاحب الملك الزاهر. (٢) الممثل للإلهتين الذي يظهر ملكًا مثل … (٣) حور الذهبي … الخطا في الأرضين. (٤) ملك الوجه القبلي «من بحتي رع» (شديد القوى). (٥) ابن الشمس «رعمسسو».

ومما يلفت النظر في ألقابه أنه عد نفسه المؤسس للأسرة التاسعة عشرة؛ إذ قد اتخذ لنفسه لقبًا يشبه لقب «أحمس الأول» أول فراعنة الأسرة الثامنة عشرة، لقب «أحمس الأول»: «واز خبر رع نب بحتي أحمس.»

لقب «رعمسيس الأول»: «وازنيستيو رع من بحتي رعمسسو.»

ولدينا مثال آخر بعد هذا العهد، فقد قلد «شيشاق الأول» مؤسس الأسرة الثانية والعشرين ألقاب الملك «نسيبا نبدادو» مؤسس الأسرة الواحدة والعشرين.[٧]

(٢) أسرة رعمسيس الأول

ولقد أصبح من المؤكد الآن أن والد «رعمسيس الأول» هو «سيتي» (ستخي)، وكان يحمل ألقابًا حربية وغير حربية (راجع مصر القديمة الجزء الرابع)، وهي الألقاب التي كان يحملها والده من قبل.

أما والدته، فإنها على حسب ما جاء في لوحة أربعمائة السنة كانت تُدعى «تيو»، وتلقب «ربة البيت»، وهو اللقب العادي الذي كانت تحمله كل امرأة محترمة، كما كانت تلقب فضلًا عن ذلك مغنية «بارع» أي إله الشمس. وقد يتساءل الإنسان عما إذا كانت هذه السيدة إحدى أتباع شيعة عباد «رع» حتى جعلها تسمي ابنها «بارعمسيس»؛ أي إنها جعلت اسم ابنها مركبًا تركيبًا مزجيًا مع اسم الإله «رع»، وقد صار اسم «رعمسيس» تقليدًا يطلق على معظم ملوك هذه الأسرة.

ويدل نسبة «رعمسيس الأول» إلى أسرة من مدينة «ستريت» من أعمال الدلتا على عدم وجود أية صلة أسرية بينه وبين «حور محب»، الذي نعلم واثقين أن مسقط رأسه هو بلدة «حت نسوت» (راجع الجزء الخامس)، وكذلك كان الإله الذي يعبده ويُنسب إليه هو الإله «حور» لا الإله «ست» معبود هذه الأسرة.

ومن المحتمل أن نشأة هذه الأسرة في شمالي الدلتا كان ضمن الأسباب التي أوحت لملوك الأسرة التاسعة عشرة بتأسيس عاصمة الملك الجديدة في هذه الجهة في المكان الذي فيه بلدة «قنتير» الحالية على أغلب الظن، والواقع أنه توجد أسباب أخرى سياسية ودينية ذات أهمية عظمى جعلت هؤلاء الملوك يتخذون العاصمة في هذه البقعة (راجع الجزء الرابع من مصر القديمة).

ولدينا مناظر تمثل لنا أسرة «رعمسيس الأول» على جدران معبده الجنازي «بالعرابة المدفونة»، وهو المعبد الذي أقامه له ابنه «سيتي الأول»؛ فنشاهد «رعمسيس» يحرق البخور ويصب القربان أمام الإله «أوزير»، والإلهتين «إزيس»، و«حتحور»، وتقف خلف «رعمسيس» الملكة ضاربة بالصاجات، وخلفها رجل وامرأتان، ثم ثلاث نسوة، وكل هؤلاء يحملون طاقات أزهار، ولكن مما يدعو للأسف أن أسماء كل أولئك الأشخاص قد فُقدت بسبب ما أصاب الجدار من عطب، وقد أشير إلى هؤلاء الأشخاص على حسب رأي الأستاذ «ونلك» الذي درس آثار هذا المعبد[٨] في السطر السادس عشر من لوحة الإهداء التي دونها «سيتي الأول»، إذ نجده يعلن في صراحة عندما يتحدث عن والده قائلًا: «إن والدته بجانبه، وأجداده لم يهجروه؛ لأنهم مجتمعون في حضرته، وإني ابنه الذي يخلد اسمه، ووالدة الإله (أي الملكة «ساترع») قد احتضنته بساعدها مثل «إزيس» عندما تضم والدي، وكل إخوته وأخواته يصحبونه، وأنه مغتبط لأن أسرته تحيط به.» ومن هذا النقش نعلم أن الملكة «ساترع» تقف بجانب «رعمسيس الأول»، والرجل الذي يليها يمكن أن يكون أخا الملك المحبوب. أما السيدة الثانية، فيجب أن تكون «يويا» أم «رعمسيس»، وأما سائر الرجال والسيدات فهم إخوته وأخواته، والظاهر أن آخر سيدة ذُكرت في هذا النقش كانت تحمل لقب «ربة البيت»، وهذا يتفق مع الرأي القائل بأن هذه الأسرة ليست من أصل ملكي. ويرى الأستاذ «ونلك» في هذا اللقب برهانًا على أن هؤلاء الأفراد قد وقفوا بجانب «رعمسيس» على حسب ترتيب قرابتهم له، لا على حسب قرابتهم للملك «سيتي» كما يفهم ذلك من الوصف. وإذا كانت السيدة المذكورة أخت «سيتي الأول» كانت بطبيعة الحال بنت «رعمسيس الأول»؛ فكان من الواجب أن تحمل لقب «بنت الملك من صلبه»، لا لقب «ربة البيت» الذي يُعد لقبًا عاديًّا.[٩]



شكل ٢: الملكة «ساترع» زوج «رعمسيس الأول».

ولسنا مبالغين إذا قرَّرنا هنا أن هذا المنظر يعد من أعظم المناظر المؤثرة التي وصلتنا عن الملوك وأسرهم حتى الآن؛ فقد كشف لنا عن المحبة الوثيقة العرى بين أفراد أسرة متحابين متآلفين. فضلًا عما يشاهده الإنسان فيه من عاطفة إنسانية تذكرنا بتلك المناظر التي رأينا كثيرًا منها على لوحات الدولة الوسطى الجنازية؛ حيث نجد أن كل ما كانت تتوق إليه نفس المتوفى أن يكون محاطًا بأحبائه من أفراد أسرته في عالم الآخرة. وأمثال هذه المناظر ظلت تُرسم في مقابر عامة الشعب؛ حيث نشاهد الأسرة تولم الولائم التي قد يجتمع فيها أحيانًا ثلاثة أجيال من أفرادها، وهذه الظاهرة لا يكاد يخلو منها قبر من مقابر وجهاء القوم. والواقع أنه — على قدر ما وصلت إليه معلوماتنا — لا يوجد منظر يدل على ألفة ومحبة أسرية مثل هذا المنظر في معابد الملوك الجنازية إذا استثنينا معبد «إخناتون»، ومقابر «تل العمارنة» التي يرجع وجود مثل هذه المناظر فيها إلى سبب خاص، ومن أجل ذلك يعد المنظر الذي نتحدث عنه الآن برهانًا بينًا على أن أسرة «رعمسيس الأول» ليست من نسل ملكي.

وكان «رعمسيس الأول» يحمل غير الألقاب التي على لوحة أربعمائة السنة الألقاب التالية، وقد وُجدت منقوشة على تمثاله المنصوب أمام بوابة «حور محب» العاشرة بالكرنك:[١٠] قائد الحامية، والمشرف على مصبات فروع النيل، أي الموكل بحماية مداخل فروع النيل الخمسة من بلوزيم حتى دمياط، وسائق عربة جلالته، وهذا اللقب كان لقب شرف عظيم لحامله، وكان لا يُعطاه إلا الأمراء، وأصحاب المكانة العالية، ولما كان سائق العربة يجاور الفرعون في العربة المصرية الصغيرة، اقتضى ذلك أن يوكل هذا العمل إلى رجل على جانب عظيم من الكمال والتهذيب، ورسول الفرعون في كل بلد، وقائد الرماة، وقائد جيش سيد الأرضين، والمشرف على كهنة الآلهة، ونائب جلالته في الوجهين القبلي والبحري، ورئيس القضاة، ونائب «نخن»، وكاهن الإلهة «ماعت»، والمشرف على قاعات العدل الست العظيمة، والأمير الوراثي للأرض قاطبة، ونجده على تمثال آخر يحمل غير ما ذكر لقب

حامل المروحة على يمين الفرعون (Ibid. p. 30.). ومما تجدر ملاحظته في هذه الألقاب أننا لم نجد «بارعمسيس» يحمل لقب ابن الملك، أو لقب قريب الفرعون، مع أنه كان يحمل أعلى الألقاب الإدارية والحربية في الدولة؛ مما يثبت أنه لم يكن بينه وبين «حور محب» قرابة ما، بل تدل قرائن الأحوال على أنه كان زميلًا لـ «حور محب» في الجيش، ومن الجائز أن الأخير قد رباه تربية خاصة ليخلفه على عرش البلاد حتى ينفذ سياسته الحربية والإدارية التي وضعها «آي»، وسار عليها هو من بعده، كما أوضحنا ذلك من قبل (راجع مصر القديمة الجزء الخامس).

ويظن المؤرخ «كيث سيلي»[١١] أن «رعمسيس الأول» قد يكون مدينًا بعرشه للمساعدة التي قدمها له كهنة «آمون»، وهذا يوضح لنا السبب الذي من أجله اهتم بإقامة مباني «آمون» الضخمة بالكرنك، لدرجة أنه أهمل إقامة المعبد الجنازي الخاص به نفسه.

وقد تزوج في باكورة مجال حياته الحكومية من سيدة تُدعى «ساترع»، ولا نعرف شيئًا عن نسبها، ولكن «بتري» يلقبها بالأميرة الملكية،[١٢] وكل ما نعرفه عنها أنها كانت ملكة تحمل الألقاب التالية: زوج الملك، وزوج الإله، والأم العظيمة والدة الملك، وأم الإله، وسيدة الأرضين، وسيدة الوجه القبلي والوجه البحري المحبوبة، جميلة الحب، (راجع Maspero, La Reine Satra. P. S. B. A. XI, p. 190 ff.)، ونجدها في مقبرة «سيتي الأول» تحمل الألقاب التالية: الأميرة الوراثية، العظيمة الحظوة، وحظية حور (الفرعون) رب القصر، والتي ينفذ قولها، وزوجة الملك العظيمة، وقريبة الفرعون، والظاهر أن «رعمسيس الأول» لم يعقب منها أحدًا غير «سيتي الأول». ومن الغريب أن الأثري «كابار» قال عنها: إنها زوج «سيتي الأول» لا والدته دون أن يدلي ببرهان يعزز ما ادَّعاه. وكذلك يقول: إن «مسبرو» قد جمع ألقابها من مختلف النقوش التي وجدت على الآثار، ودرسها، واستخلص منها صورة نجد ترجمتها في كتابه المسمى: (Maspero Etudes de Mythologie & Archeol. IV, P. 327–332).

وقد خالفه «كابار» في بعض نقط، وهاك نص الترجمة كما يفهمها الأخير:[١٣]

> الأميرة التي نالت أعظم حظوة محبوبة «حور» سيد القصر، وهي الملكة التامة في أعضائها؛ لأن «إزيس» هي التي سوتها، وهي التي تُعبد عندما ترى مثل جلالة سيدة السماء، وهي الهدية اليومية من «ماعت» (العدالة) لـ «حور» الثور القوي ابن «إزيس» الأم المقدسة، وعندما تقترب من جلالته يضع يديه حولها ليحملها كل يوم، وهي التي يفعل لها ما تقوله، والزوجة الملكية العظمى للفرعون التي يحبها «ساترع» محبوبة «إزيس»، سيدة السماء وحاكمة الأرضين العائشة المتجددة الشباب السليمة الجسم أبد الآبدين.

ولا شك في أن هذه النعوت تكاد تكون فذة في بابها؛ إذ لا نراها كثيرًا في النعوت الملكية.

والواقع أن «رعمسيس الأول» قد تولى الملك وله ابن واحد في مقتبل العمر وعنفوان الصبا، وكان بدوره قائدًا حربيًّا محنكًا، وإداريًّا ماهرًا.

وقد كانت مدة حكم «رعمسيس الأول» قصيرة؛ ولذلك لا يمكننا بطبيعة الحال أن نعزو إلى عهده حوادث تاريخية جسيمة، غير أنه ثبت لدينا سيره على نهج السياسة التي كان قد اختطها له «حور محب»، ويمكن أن نرى ظلالها منعكسة في الأعمال التي قام بها ابنه «سيتي الأول» الذي لم يحِد عن هدي والده، وقد كان «رعمسيس» يهدف إلى القيام بإتمام الإصلاحات التي بدأها «حور محب»، أي إنه كان يسعى إلى السير بمصر ثانية نحو المكانة الرفيعة التي كانت تحتلها بين دول الشرق القديم قبل نزول «أمنحتب الثالث» لابنه «إخناتون» عن عرش الإمبراطورية المصرية. وهذه السياسة الطامحة كانت تتطلب حكومة ثابتة الأركان قوية البنيان في الداخل، وإعادة الفتوح الأجنبية في الخارج، وبخاصة في آسيا، وهي السياسة التي وضع أسسها الفرعون «آي»، وسار بها «حور محب» قدمًا إلى حد ما، وسنرى فيما يلي أنها كانت السياسة التي اتُّبعت بعدهما بحذافيرها.

(٣) أعمال «رعمسيس الأول»

خلَف «رعمسيس الأول» على الرغم من قِصر مدة حكمه آثارًا عدة منتشرة في طول البلاد وعرضها من «سرابة الخادم» بسينا شمالًا حتى «أمدا» في بلاد النوبة جنوبًا.

(٣-١) سرابة الخادم

ففي «سرابة الخادم» وجدت له لوحة دون عليها أنه قد جدد آثار والدته «حتحور» سيدة الفيروزج،[١٤] وعلى لوحة أخرى مشابهة للأولى في نفس المكان نشاهد «رعمسيس الأول» يقدم إناءين للإلهة «حتحور سيدة الفيروزج» أيضًا، وهاتان اللوحتان لهما أهميتهما الخاصة؛ إذ نعلم منهما أنه في عصره بُدئ إعادة فتح محاجر هذه الجهة بعد أن بقيت مهجورة نحو ثلاثة أجيال؛ أي منذ عهد «أمنحتب الثالث» حتى عهد «رعمسيس الأول».

(٣-٢) القنطرة

وفي القنطرة عُثر على قاعدة تمثال ضخم لصقر، نُقش عليها صورة «سيتي الأول» يقدم آنية للإله «حور» صاحب «مسن»، وتحدِّثنا النقوش أن «سيتي الأول» قد أقام صورته ليكون عملًا طيبًا باقيًا؛ فيقول: «تأمل، إن رغبة جلالته تمكين اسم والده الملك «رعمسيس الأول» أمام هذا الإله «سرمديًّا».» والظاهر أن هذا الأثر لم يكن تامًّا عند موت «سيتي

الأول»؛ لأن ابنه «رعمسيس الثاني» قد أضاف نقشًا على ظهره قال فيه: «إنه نحت أثر والده هذا حاملًا اسم جده «رعمسيس الأول» يعيش في معبد حور» (راجع patrie Nebesheh (Am) and Depenneh Tahpanhis p. 104). ومن الأشياء الطريفة السارة أن نرى «رعمسيس الثاني» يقوم بدور الابن البار متممًا آثار أسلافه بدلًا من اغتصابها لنفسه كما هو المعروف عنه.

(٣-٣) تل اليهودية

عثر الأثري «نافيل» على بعض الآثار منقوشًا عليها اسم هذا الفرعون في «تل اليهودية».[١٥]

(٣-٤) منف

ويوجد في متحف «اللوفر»[١٦] قاعدة تمثال لهذا الفرعون، يقال أنها وُجدت في «منف».

(٣-٥) المرج

وعُثر لهذا الفرعون عند بئر بالقرب من «الشيخ عبادة» على قطعة من الحجر عليها طغراء هذا الفرعون.[١٧]

(٣-٦) القاهرة

وبالقرب من «باب الفتوح» وُجدت قطعة من الحجر عليها لقب «رعمسيس الأول» منقوشًا نقشًا دقيقًا.[١٨]

(٣-٧) العرابة المدفونة

وعثر «بتري» على قطعة تحمل الاسم الحوري لهذا الفرعون في «العرابة المدفونة»،[١٩] وكذلك عثر لهذا الفرعون على تمثال عند أحد تجار الآثار «بالبلينة» القريبة من «العرابة المدفونة»، وعليه نقوش تحدثنا بأن «سيتي الأول» قد أقامه ليجعل اسم والده ثابتًا وسعيدًا في مقاطعة «العرابة المدفونة»، ومخلدًا طول الأبد السرمدي (راجع: A. S. XXI, pp 193)، وفي معبد «العرابة المدفونة» مثل الفرعون «رعمسيس الأول»، وزوجه «ساترع» في هيئة تمثالين مقدسين في القارب المقدس، كما نجد اسمه مذكورًا في قائمة الملوك التي نُقشت في إحدى حجرات المعبد العظيم (راجع: Petrie History III. P. (4).

(٣-٨) آثار «رعمسيس الأول» في الكرنك

يدل ما خلفه لنا هذا الفرعون في «الكرنك» على مقدار طموحه، وطول باعه في فن العمائر، وأعني بذلك؛ قاعة العمد الضخمة القائمة إلى الآن في معبد الكرنك، وهذه القاعة الفخمة تُعد بحق أكبر قاعة في عمائر مصر كلها، ويبلغ طولها نحو سبعين ومائة قدم، وعرضها نحو ثمانية وثلاثين وثلاثمائة قدم، ومجموع مساحتها حوالي ستة آلاف ياردة مربعة، نظمت عمدها ستة عشر صفًّا، يمتاز الصفان اللذان يتوسطانها بارتفاعهما عن الصفوف الأخرى، ولعمدهما تيجان على هيئة زهرة البردي المُفتحة، ويبلغ أعلى هذه العمد النباتية الشكل، الشاهقة الطول نحو تسع وستين قدمًا، أما تاج كل منها فيبلغ ارتفاعه نحو إحدى عشرة قدمًا، ومحور ساق كل عمود حوالي إحدى عشرة قدمًا وثلاثة أرباع القدم، أما محيط العمود فيبلغ حوالي ثلاث وثلاثين قدمًا، ويمكن للإنسان أن يتصور ضخامة هذه العمد عندما يعلم أنه يلزم لقياس محيط الواحد منها ستة رجال واقفين ناشرين أذرعتهم حوله.

أما سائر العمد الأخرى غير ما ذكرنا فيبلغ ارتفاع كل منها اثنتين وأربعين قدمًا ونصف قدم، ومحيطه نحو سبع وعشرين قدمًا ونصف قدم، وهذه القاعة الجميلة الأخاذة قد أقيم أمامها بوابة تُعرف الآن بالبوابة الثانية، يشاهد على كل من جانبيها أربع قنوات محفورة، كان مثبتًا فيها عمد أعلام ترفرف في أعلاها أيام الأعياد والأحفال الرسمية. وطبعي أن إنجاز مثل هذا العمل الضخم لا يتسع له عمر ملك كان قد بلغ من العمر أرذله؛ ولذلك ترك إتمامه لابنه ثم حفيده من بعده.

وإذا أردنا أن نفهم مقدار العمل الذي أنجزه «رعمسيس الأول» في قاعة العمد هذه فلا بد لنا أن نتصور هذا الجزء من معبد الكرنك كما كان عليه عند نهاية حكم الفرعون «حور محب» الذي يُعد المؤسس الأول للبوابة الثانية، وقد كانت وقتئذ تعد جزءًا خارجيًّا بالنسبة لمعبد الكرنك، وكانت هذه البوابة مزينة بنقوش غائرة كما كانت العادة في مثل هذه المباني، وكانت متصلة بالبوابة الثالثة التي أقامها «أمنحتب الثالث» بصفين من العمد الضخمة كما كان يكنفها جدران، فتألفت بذلك قاعة عمد ضيقة طويلة، ويظن البعض أن هذا البناء كان تقليدًا لقاعة العمد العظيمة التي أقامها «أمنحتب الثالث» في معبد الأقصر،[٢٠] ويعد اتخاذ «حور محب» هذا التصميم في معبد الكرنك دليلًا آخر على أن هذا الفرعون كان يريد منافسة أعمال سلفه العظيم في فن العمارة، ويدل تزيين البوابة الثانية بنقوش غائرة على يد «حور محب» — وهو طراز كان يستعمل عادة في الزينة الخارجية — على أن «حور محب» لم يكن له دخل في تغيير التصميم العام؛[٢١] ولذلك يجب أن يُنسب للفرعون «رعمسيس الأول».

ومن المدهش إذن أن ترى رجلًا قد أثقلته السنون يقدم على القيام بمشروع ضخم مثل هذا مع أنه لم يكن قد بدأ بعد إقامة معبده الجنازي، ويظن الأثري «كيث سيلي» أن «رعمسيس الأول» ربما كان مدينًا بعرشه إلى مساعدة كهنة الإله «آمون»، وأنه قد شرع في إقامة

أضخم قاعدة عمد في مصر وفاءً للدين الذي يثقل كاهله، وفي الوقت نفسه ليوطد أركان أسرته الجديدة التي لم يكن لها من المبررات الشرعية ما يخولها تسنم عرش مصر كما أسلفنا، ومهما تكن مقاصد «رعمسيس الأول» فإنه لم يعِش طويلًا ليرى مشروعه العظيم منفَّذًا، بل لم يمتد أجله حتى يرى اسمه منقوشًا على جدران هذه القاعة العظيمة التي بدأها.

(٣-٩) قبر رعمسيس بطيبة

ويلحظ قِصر مدة حكم «رعمسيس الأول» من المقبرة التي أقامها لنفسه في «وادي الملوك»، وهي المعروفة الآن بمقبرة رقم ١٦؛ إذ لا تحتوي إلا على حجرتين فقط لم تُزين منهما إلا حجرة الدفن بنقوش على نمط مقابر الملوك الأخرى، وتشمل مناظر ومتونًا تصف لنا سياحة إله الشمس الليلية في عالم الآخرة السفلي، وفي وسط هذه الحجرة وضع تابوت الفرعون، وقد زُينت جدرانه بالصور والمتون الملونة بالأصفر. وقد جرت العادة بأن تُنقش التوابيت المصنوعة بالجرانيت. وتلوين تابوت «رعمسيس الأول» بدلًا من نقشه يُشعر بأن ساكنه قد مات قبل إتمامه. ولم تمكث موميته طويلًا مطمئنة في مخدعها الأصلي، فقد حدث في نهاية الأسرة العشرين عندما انحلت قوة الملكية المصرية التي كان من نتائجها نهب مقابر الملوك نهبًا منظمًا؛ لما كانت تحويه من نفائس وذهب، أن نُقلت الموميات الملكية — كما هو معروف — أولًا: إلى مقبرة الملكة «إنحابي»، وأخيرًا إلى المخبأ السري الواقع بجوار الدير البحري. والظاهر أن تابوت «رعمسيس الأول» الخشبي فُقِد أو هُشِّم قبل نقله أو في أثناء ذلك، ونلحظ أنه قد وضع في تابوت مستعمل من عهد الأسرة الحادية والعشرين بعد أن عملت فيه إصلاحات، وقد كُتب متن التحقيق الخاص بنقل مومية «رعمسيس الأول» بالمداد على هذا التابوت، وأرِّخ بالسنة السادسة عشرة، الشهر الرابع من فصل الزرع، اليوم الثالث عشر من حكم الفرعون «سيامون» (الأسرة الواحدة والعشرون)، وقد وُجد مع هذا التابوت مومية لم تُسمَّ، وجسمها عارٍ، ولكن ليس لدينا برهان بيِّن على أنها مومية «رعمسيس الأول».

(٣-١٠) معبد رعمسيس الأول الجنازي

ذكرنا من قبل أن «رعمسيس الأول» لم يكن لديه متسع من العمر ليقيم لنفسه معبدًا جنازيًّا خلال مدة حكمه، ولكن ابنه البار «سيتي الأول» قد سد هذا الفراغ؛ إذ أقام له محرابًا صغيرًا بجوار معبده الفاخر الذي رفع بنيانه لنفسه في «العرابة المدفونة».

ولكن على الرغم من صغر حجمه كان جميلًا فخمًا،[٢٢] ويحتوي على قاعة متوسطة الحجم مبنية كلها بالحجر الجيري الأبيض، تكنفها حجرتان جانبيتان، ويحيط بالمحراب جدار سميك البنيان، وله ردهة أمامية.

وقد غُطيت واجهة هذا المحراب الوسطى بنقوش وكتابات تحدثنا عن إهداء هذا المعبد؛ فنشاهد على الجانب الأيسر «سيتي الأول» واقفًا مادًّا يده بالوضع الجنازي المتبع عند تقديم القربان. وعلى الجانب الأيمن يرى «رعمسيس الأول» مواجهًا له، وقد نقش أمام صورة سيتي الكلمات التي كان مفروضًا أن يتلوها، وهي: «يقول ملك الوجه القبلي والوجه البحري «من ماعت رع» ابن الشمس «سيتي مرنبتاح» معطي الحياة مثل «رع»: تعالَ في أمان يأيها الإله الطيب، ليتك تحتل المكان الذي صنعته لك، وترى المعبد الجنازي القائم بجوار «وننفر» (يشير هنا إلى أن هذا المعبد قد أقيم بالقرب من معبد أوزير العظيم)، وإني أسست لك قربانًا فيه، وكذلك شرابًا يوميًّا»، ثم تستمر النقوش تحت صورة «سيتي»، فنقول: «يا ملك الوجه القبلي والوجه البحري «من بحتي رع»، لقد صنعت هذه الأشياء المفيدة لك عندما أقمت معبدًا لروحك في الجهة الشمالية من معبدي العظيم، وحينما حفرت بحيرته المغروسة بالأشجار، وجعلتها بهجة بالأزهار، وحينما أمرت أن يوضع تمثالك في داخله، ورتبت الطعام والشراب، وكل قربان يوميًّا، وذلك على حسب ما فعلت لكل الآلهة، وإني ابنك الحقيقي من قلبك. ولقد جعلت … كل ما طلب مني؛ لأنك أنت الذي أنجبتني، وإني أرفع اسمك إلى عنان السماء، وأعلي تاجك (؟) … وإني أمكن اسمك في الأرض كما فعل «حور» لوالده «أوزير»».[٢٣]

وتحتوي النقوش التي أمام صورة «رعمسيس» وتحته على جواب هذا الفرعون على الخطاب الذي وجهه إليه ابنه «سيتي الأول»، وفيه يرجو الآلهة أن يطيلوا في حياة ابنه البار.

وكانت بوابة سور المعبد المصنوعة من الحجر الجيري كذلك مزينة بالنقوش، وتحمل اسم «من ماعت رع» الذي يطلب القربان لأفق «أوزير»، وقد أضاف أسفل هذه النقوش الفرعون «مرنبتاح» حفيد «سيتي الأول» اسمه بحروف ضخمة.[٢٤] وقد كشف الأستاذ «ليفبر» عن لوحة من الحجر الجيري عندما كان يقوم بأعمال الحفر في موقع هذا المعبد، دوّن عليها متن إهداء وضعه «سيتي الأول»؛ فجاء مؤكدًا للنقوش التي على البوابة السالفة الذكر.[٢٥]

وقد أقام «سيتي الأول» معبدًا «بالقرنة» للإله «آمون»، ولوالده «رعمسيس الأول» معًا، ولكن هذا المعبد لم يتم في عهده، وقد قام بإنجازه ابنه «رعمسيس الثاني»، وقد أتمه بطريقة جعلته يستعمل معبدًا جنازيًّا لجده «رعمسيس الأول»، ولوالده «سيتي الأول»، ثم لنفسه كما سنتكلم عن ذلك بعد.

ويشاهد في معبد «الرمسيوم»،[٢٦] وفي معبد مدينة «هابو» تمثال «رعمسيس الأول» محمولًا في موكب الأجداد.[٢٧]

(٣-١١) وادي حلفا

والأثر الوحيد الذي وصل إلينا حتى الآن مؤرَّخًا هو لوحته التي عثر عليها في «وادي حلفا»، وقد ذكر لنا الأثري «ويجول» نقشًا مهشمًا للفرعون «رعمسيس الأول» في قاعدة عمد «أمدا» في بلاد النوبة السفلية مؤرَّخًا بالسنة الأولى، الشهر الرابع، من فصل الزرع اليوم الأول، وهذا النقش معظمه مهشَّم، ولكن يظهر أنه يشير إلى ابن الملك نائب بلاد النوبة.[٢٨]

أما لوحة «وادي حلفا» السالفة الذكر فقد أقيمت تخليدًا للأعمال الصالحة التي قام بها «رعمسيس الأول» في معبد الإله «حور بوهن» في السنة الثانية من حكمه، وهاك ما جاء عليها: راجع: (Breasted A. R., §§ 76 ff).

> السنة الثانية، الشهر الثاني من الفصل الثاني، اليوم العشرون: يعيش حور الثور القوي المزهر في الملك محبوب الإلهتين، والمنير بوصفه ملكًا مثل … حور الذهبي … في الأرضين ملك الوجه القبلي والوجه البحري «من بحتي رع» ابن الشمس «رعمسيس» محبوب آمون رب طيبة، «ومين» ابن «إزيس»، والظاهر على عرش حور الأحياء مثل والده «رع» يوميًّا.
>
> «تأسيس القربان»: تأمل، لقد كان جلالته في مدينة «منف» يؤدي شعائر والده «آمون رع»، و«بتاح جنوبي جداره»، ورب «حياة الأرضين»، وكل آلهة مصر بقدر ما أعطوه (القوة والنصر على كل البلاد)، وقد اتحدوا بقلب واحد في مديح حضرتك، وقد هزمت كل البلاد، وكل الممالك، وقبائل الأقواس التسع … وقد أمر جلالته ملك الوجه القبلي والوجه البحري «من بحتي رع» (رعمسيس الأول) معطي الحياة بحبس قربات مقدسة على والده «مين آمون» القاطن في «بوهن»، وأولى مخصصاته في هذا المعبد هي اثنا عشر رغيفًا (برسن)، ومائة رغيف (بعيت)، وأربع أواني جعة، وعشر حزم من الخضر، وكذلك اكتظ المعبد بالكهنة المرتلين، وبالكهنة المطهرين، وجهزت معابده بالعبيد والإماء من الذين أسرهم جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري «من بحتي رع» (معطي الحياة مثل رع مخلدًا وسرمديًّا)، وكان جلالته … يقظًا، ولم يقصر في البحث عن الأشياء الممتازة ليقوم بعملها لوالده «مين آمون» القاطن في «بوهن»؛ فأقام له معبدًا مثل أفق السماء الذي يشرق فيه «رع».

وفي نهاية هذا النقش كتب اسم «سيتي الأول» ولقبه، ويدل ذلك على أنه كان مشتركًا معه في الملك، ومما يقوي هذا الزعم أنه وجد اسم «اسم سيتي الأول» مع اسم «رعمسيس الأول» في مباني قاعة العمد الكبرى بالكرنك، يضاف إلى ذلك أنه عثر على قاعدة تمثال في «المدمود» نُقش عليها اسما هذين الملكين معًا.

ويلفت النظر في نقوش لوحة «وادي حلفا» ذكر العبيد والإماء الذين أسرهم جلالته، مما يوحي بأن «رعمسيس الأول» قد شن حروبًا في مكان ما في بلاد النوبة، ولكن اللوحة قد ذكرت لنا في صراحة أن الفرعون نفسه كان في «منف»؛ لذلك يحتمل كثيرًا أن هذه الحملة (إذا كانت قد حدثت فعلًا) قد قام بها ابنه «سيتي الأول»، وبخاصة أن اسمه قد جاء في نهاية هذا النقش.

ويقول الأستاذ «برستد»: إن «رعمسيس الأول» قد قُضِيَ بعد إقامة هذه اللوحة بستة أشهر؛ وبذلك يكون قد حكم على أكثر تقدير سنتين ونصف سنة، غير أن المتفق عليه عند عامة المؤرخين القدامى والأحداث أنه حكم أقل من سنتين.[٢٩]

(٤) عبادة رعمسيس الأول

وعلى الرغم من أن «رعمسيس الأول» لم يكن له الحق في عرش مصر شرعًا، وعلى الرغم من أن مدة حكمه كانت قصيرة، فإن الخلف لم يكتفوا بالاعتراف به ملكًا شرعيًّا على البلاد، بل كذلك عدُّوه إلهًا كغيره من الفراعنة الذين حكموا البلاد من قبله، وكانوا من دم ملكي خالص، وبخاصة أولئك الفراعنة الذين أسسوا أسرًا جديدة أمثال «أحمس الأول» وغيره. والآثار الدالة على تأليهه عديدة لدينا، فقد وجدت بعض الآثار عليها اسم «سيتي الأول» ابنه، وحفيده «رعمسيس الثاني» يتعبدان له،[٣٠] وقد ذكر لنا «بتري»،[٣١] كذلك بعض أمثلة نعلم منها أن هذا الفرعون كان يتعبد له الأفراد أيضًا كما نشاهد ذلك في مقبرة «إنحركوي»،[٣٢] وكذلك «بنبوي»، هذا إلى لوحة وجدت في «العرابة المدفونة»[٣٣] لشخص يُدعى «حورا»، نشاهده عليها يتعبد إلى هذا الفرعون (راجع Mariette Abydos II, p. 51).

---

[١] راجع ما جاء على تمثاله الذي أقيم أمام البوابة العاشرة في الكرنك (A. S., 14 p. = 30.)، وكذلك ما جاء على لوحة أربعمائة السنة (مصر القديمة الجزء الرابع).

[٢] راجع مصر القديمة الجزء الخامس.

[٣] راجع: A Z., 67. P. 78.

[٤] راجع: Maspero & Davies Tomb of Haramhabi p. 40. L. 25.

[٥] راجع: Dumichen Hist. Inschrift II, 40 e.

[٦] راجع: Schafer-Andrae Kunst pl. 372.

[٧] راجع: Petrie Hist. III, p. 5.

[٨] راجع: Winlock. The Temple of Ramses I, at Abydos, Pl. III, p. 17.

[٩] راجع: Ibid. p. 17.

[١٠] راجع: A. S., XIV, pp. 30 ff.

[١١] راجع: Keith Seele: The Coregency of Ramses II, with Seti I, and the Date of the Great Hypostyle Hall At Karnak p. 22, Note 25.

[١٢] راجع: Petrie History III, p. 2, 5.

[١٣] راجع: Chronique D'Egypte Vol. 33. Jan. 1942. P. 72.

[١٤] راجع: Gardiner & Peet Inscrip. Of Sinai, pl. LXVIII, No. 244.

[١٥] راجع: Naville Tell el Yahudiyah p. 69.

[١٦] راجع: Rev. Egyptologyque III, p. 46.

[١٧] راجع: Naville Mound of the Jews & Griffith Tell el Yahudyah pl. XXII, p. 69.

[١٨] راجع: A. S., XII. P. 85.

[١٩] راجع: Petrie Abydos I, p. 31 pl. LXVI.

[٢٠] راجع: Seele; Coregency p. 2. Note. 8.

[٢١] ويلاحظ أن هذه النقوش قد كُشطت فيما بعد في كل مكان يمكن رؤيتها فيه.

[٢٢] راجع: Winlock, The Temple of Ramses I, at Abydos.

[٢٣] راجع: Winlock Ibid. p. 14.

[٢٤] راجع: Ibid. p. 10.

[٢٥] راجع: Ibid. p. 6.

[٢٦] راجع: L. D., III, pl. 136.

[٢٧] راجع: L. D., III, pl. 212.

[٢٨] راجع: Welgall. A Report on the Antiquities of Lower Nubia p. 107.
راجع: Bisson de la Roque Fouilles de Madamoud (1925) p. 45, 46.

[٢٩] راجع: Br. A. R., III, §§ 74–79.

[٣٠] راجع: A. S., XL, p. 43.

[٣١] راجع: Petrie Hist. III, p. 4.

[٣٢] راجع: L. D., III, 101.

[٣٣] راجع: Ibid. pl. 173.

سيتي الأول

كان «سيتي الأول» بن «رعمسيس الأول» يدعى «سيتي مرنبتاح» على الآثار، وكانت أمه تُدعى الملكة «ساترع»، ولم يكن «سيتي» بطبيعة الحال من دم ملكي مثل والده، الذي تدل الآثار حتى الآن على أنه لم ينجب غيره، وتدل الأحوال على أن والده كان قد أنجبه وهو في ريعان الشباب ومقتبل العمر، وتاريخ حياته يشعرنا بأنه كان قد ترسم خطَى والده في مجال حياته؛ فقد انخرط في سلك الجندية، وبلغ فيها درجة عالية، كما تحدثنا بذلك لوحة أربعمائة السنة، ومنها نعلم أنه قد حاز الألقاب التالية (راجع الجزء الرابع): الأمير الوراثي، وعمدة المدينة، وحامل المروحة على يمين الفرعون، ورئيس الرماة، والمشرف على البلاد الأجنبية، والمشرف على حصن «ثارو» (تل أبو صيفة الحالي)، ورئيس «المازوي» (الشرطة في الصحراء)، والكاتب الملكي، والمشرف على الخيالة، ومدير «عيد كبش منديس» (تل الربع الحالي)، والكاهن الأول للإله «ست»، والكاهن المرتل للإلهة «بوتو»، والمشرف على كل كهنة الآلهة «سيتي» المرحوم. ولا نزاع في أن لقب الكاهن الأول للإله «ست» يعد برهانًا على أن الأسرة التاسعة عشرة المالكة لعرش الفراعنة كان موطنها مقاطعة «ستوريت» من أعمال الدلتا كما سبق شرح ذلك. ولما كان الإله «ست» لا ينظر إليه بعين الرضى في مصر كلها لم يحاول «سيتي الأول» أن يجبر رعاياه على عبادة إلهه المحلي، ومن أجل ذلك اختار الإله «بتاح» من بين الآلهة الشماليين، وضمه لاسمه؛ فأصبح يدعى «سيتي مرنبتاح» (أي سيتي محبوب بتاح) أما اسم هذا الملك — العلم المركب من لفظة «ست» وياء النسب «سيتي»، ومعناه: المنسوب للإله «ست» إله الشر كما ذكرنا من قبل — فقد غيَّره في كثير من الأحيان، وبخاصة في «العرابة المدفونة» إلى اسم «أوزيري»، ورسمه بكلمة تدل على «أوزير»، وبعلامة؟ تنطق «ثث» بدلًا من صورة الإله «ست»، غير أن «سيتي» لم يقم بأي تغيير رسمي في كتابة اسمه كما فعل «إخناتون»، بل اكتفى برسم اسمه بإحدى الطريقتين السابقتين على حسب ما تتطلبه الأحوال، وحسن الذوق، وبخاصة عندما لا يستحب كتابة صورة الإله «ست» على آثار مهداة للإله «أوزير».



شكل ١: الملك سيتي الأول (المومية).

(١) سياسة «سيتي الأول»

عرفنا مما سبق ذكره أن «سيتي الأول» كان شريكًا لوالده في الملك، وكان في هذه الفترة يناهز الأربعين من عمره، وتدل ألقابه على أنه كان جنديًّا مجرِّبًا، وإداريًّا حازمًا؛ ولذلك كان الرجل الذي تتطلبه مصر في تلك الفترة من تاريخها.

وفي الحق كان «سيتي» منذ باكورة حكمه يسير على نهج قويم واضح لا عوج فيه، متبعًا في ذلك تلك السياسة الرشيدة التي وضع أسسها «حور محب»، وهي التي كانت تهدف لإعادة سيادة مصر، والقضاء على كل رذائل عهد الزيغ المنصرم؛ ولذلك نجد أن كل عمل من أعمال عهده أساسه هذا الاتجاه، فكان يرى أنه لا بد لمصر إذا أرادت إعادة مكانتها الغابرة في العالم المتمدين من أمرين، هما: حكومة ثابتة موطدة الأركان في الداخل، وإعادة فتح إمبراطورية مصر التي كانت قد مزقت أوصالها شر ممزق. وقد رأى «حور محب» بثاقب نظره أنه لا بد من تحقيق الأمر الأول قبل الشروع في القيام بالثاني، وقد أفلح «حور محب» فعلًا في إعادة النظام إلى ربوعه في داخلية البلاد، فلما تولى «سيتي الأول» وجد داخلية البلاد ثابتة الأركان؛ فسهل عليه ذلك القيام بتنفيذ الجزء الثاني من منهاج الإصلاح الذي كان يرمي إلى إعادة مجد مصر الإمبراطوري.

ولا يبعد أن تكون سياسة البلاد الحربية كانت قد بدأت فعلًا في عهد «رعمسيس الأول» إذا فهمنا العبارة التي جاءت على لوحة «حلفا»، وهي التي تشير إلى العبيد والإماء الذين أسرهم جلالته بما تدل عليه في ظاهرها، أي إن «رعمسيس» قد استولى على هؤلاء العبيد والإماء من بلاد النوبة في حروب وقعت حقيقة. ويدل وجود اسم «سيتي الأول» ولقبه المكتوبين في نهاية هذا المتن على أنه كان حاضرًا في بلاد النوبة بوصفه مشتركًا في الملك مع والده، ومنفذًا لأوامره في تلك الجهة، هذا فضلًا عن أنه هو الذي كان يقوم بأعباء الحروب والقيادة مدة حكم والده، كما تدل على ذلك ألقابه الحربية.

(٢) حروب سيتي الأول

كانت أهم المصادر التي في متناول المؤرخ عن حروب «سيتي الأول» حتى عهد قريب تنحصر في سلسلة المناظر التي خلفها لنا على الجدار الشمالي الخارجي لقاعة العمد بمعبد الكرنك،[١] وتمتد رقعة هذه النقوش شرقًا على واجهة الجدار الشرقي من نفس هذه القاعة، وهذه المناظر تُعد من أقدم مناظر المواقع الحربية التقليدية التي مثلت أمامنا تمثيلًا صادقًا، وهي في الواقع من الذخائر الفنية التي خلفتها لنا مصر القديمة، ويبدو أن الغرض من هذه المناظر كان دينيًّا قبل كل شيء؛ ولذلك ينقصها الشيء الكثير من الوجهة التاريخية، وهي تصور لنا باختصار وإبهام على أقل تقدير ثلاث حملات عظيمة قام بها «سيتي الأول»؛ الأولى: حربه التي شنها على «شاسو» (البدو). والثانية: على اللوبيين. والأخيرة: على بلاد «خيتا». ولم نجد من هذه الحروب مؤرخًا إلا الحملة التي قام بها على «الشاسو» (البدو) في العام الأول من حكمه.

وإذا ألقينا نظرة فاحصة على هذه المناظر التي نحن بصددها وجدناها — كما قلنا — لا توضح لنا حروب «سيتي الأول» من الناحية الفنية، بل من الناحية الدينية على وجه عام، وهذا ما نشاهده في توزيع المناظر على جدران المعبد؛ فنجد — مثلًا — الحوادث المختلفة التي وقعت في أثناء القتال قد صورت في مناظر متلاحقة متتابعة — لا وحدة مجتمعة كما سنشاهد في موقعة «قادش» في حروب «رعمسيس الثاني» — ينتهي كل منها عند باب المعبد؛ حيث تشاهد آخر صورة مثل فيها الفرعون يضحي بالأمراء الأسرى في حضرة «آمون» الذي ينسب إليه الفرعون انتصاراته؛ ولذلك يقدم له الغنائم التي عاد بها من حروبه المظفرة، وهذا هو نفس ما شاهدناه في حروب «تحتمس الثالث» منذ ثلاثين ومائة سنة مضت تقريبًا؛ إذ كان على الإله أن يمنح الفرعون القوة ليتغلب بها على الأعداء، وفي مقابل ذلك كان على الفرعون أن يقدم له الأسرى والغنائم التي غنمهما.

ولا نشك في أن «سيتي الأول» كان يقلد «تحتمس الثالث» في كل شيء عن قصد لا عفو الخاطر؛ إذ سنرى بعد أن «سيتي الأول» كان يسير في وضع خططه الحربية عند القيام بحملاته على النهج الذي سار عليه «تحتمس الثالث»؛ ولذلك نلحظ في الحال أن غرض

«سيتي الأول» من حروبه في آسيا هو السيطرة التامة على موانئ الساحل الفينيقي، وتوثيق الصلة البحرية بين موانئ هذه البلاد ومصر، وبهذه الوسيلة كان في مقدوره أن يضمن وصول المؤن والنجدات في الحملات المقبلة التي تكون مرساها ساحل «فينيقيا» وموانيها، وهي التي تكون بمثابة قواعد حربية يمكنه أن يتحرَّك منها وإليها في داخل سوريا، وبخاصة إلى نهر «الأرنت». والواقع أننا نجد «سيتي» قد ترسم خطى «تحتمس الثالث» وتفاصيلها خطوة فخطوة، فكانت أول حملة قام بها في شمالي فلسطين مثل الحملة التي قام بها «تحتمس الثالث»، وكذلك نجده قد اخترق شمالي فلسطين على غرار الفاتح العظيم، وأخضع لبنان، وأخيرًا أخضع شاطئ «فينقيا» تمهيدًا لمهاجمة «قادش» مقلدًا كذلك «تحتمس».

(١-٢) حالة البلاد الداخلية والخارجية قبل حروب «سيتي الأول»

إن حالة الفوضى المحزنة التي كانت تسود داخلية البلاد بعد الثورة التي قام بها «إخناتون» قد عاقت البلاد بطبيعة الحال زمنًا عن القيام بأي عمل جدي لإعادة الإمبراطورية المصرية في آسيا بوجه خاص، ولا نزاع في أن «حور محب» الذي وقع عليه عبء إعادة بناء الإمبراطورية من جديد في الداخل والخارج بوصفه القائد الأعلى لجيوش الملك الشاب «توت عنخ آمون» قد سار على رأس حملة إلى فلسطين، كما يدل على ذلك نقش قد يرجع إلى هذا العهد فقط؛ إذ يقول فيه هذا القائد: «إنه كان يحرس قدمي سيده في ميدان القتال يوم ذبح الأسيويين»،[٢] وكذلك نعلم أن «توت عنخ آمون» نفسه كان يطارد الأعداء الأسيويين في عربته، كما نشاهد ذلك على جدران صندوقه[٣] الملون الذي عُثر عليه في قبره، وكما نشاهد «حوي» نائب الفرعون في بلاد «كوش» يقدم له الأسيويون والنوبيون جزية،[٤] غير أنه يشك كثيرًا فيما إذا كانت مصر قد استردت جزءًا يُذكر من أقطارها المسلوبة ولو مؤقتًا؛ لأن الأحوال الداخلية في البلاد كانت لا تسمح بحملة عظيمة مجهزة بكل ما يلزم في هذه الجهات خلال تلك الفترة الحرجة من تاريخ البلاد، وبخاصة إذا علمنا أن دولة «خيتا» قد أضحت ذات قوة؛ ولذلك كان من المحتمل جدًّا أن تكون هذه حملة رمزية فقط أرسلت لتثبيت مركز مصر الإمبراطوري، كما كانت في الوقت نفسه علاجًا وقتيًّا لإنعاش الروح القومي الذي خبت ناره في الخارج. ولمَّا تولى «حور محب» نفسه عرش البلاد لم يوجه قوته للحروب الخارجية، بل سلطها على إعادة النظام، وسن القوانين الرادعة، ولا نعلم حروبًا حقيقية قام بها إلا حملة سار على رأسها لإخماد عصيان شب في بلاد النوبة كما أسلفنا.

أما قائمة البلاد المغلوبة التي دونها على جدران معبد الكرنك،[٥] وتشمل بينها اسم بلاد «خيتا»؛ فيجب أن نعدها تقليدًا من التقاليد التاريخية التي انتهجها ملوك مصر مَن قبله ومن بعده، وحقيقة الأمر أن مصر لم تكن في حالة تسمح لها بالدخول في حروب طاحنة، وبخاصة مع بلاد «خيتا»؛ ولذلك كان من الجائز أن هذه القائمة تشير إلى الحروب التي

شنها هذا القائد في عهد «توت عنخ آمون»؛ أي قبل توليته الحكم، هذا إلى أن «رعمسيس الأول» كان مسنًّا — كما علمنا، ولم تمتد به سنون حكمه أكثر من عامين؛ ولذلك كان «سيتي الأول» الذي اشترك معه في الحكم في تلك الفترة يعد العدة ليعيد للبلاد إمبراطوريتها عندما ينفرد بالحكم.

(٢-٢) حروب مصر مع الشاسو البدو

من أهم الوثائق التي بقيت لنا منقوشة على جدران معبد الكرنك المتن الذين يحدثنا عن السبب المباشر الذي حدا بالفرعون «سيتي الأول» لمهاجمة قبائل «شاسو» (البدو) الأسيويين في فلسطين. والظاهر أن الموقف الذي كان يواجهه هذا الفرعون في فلسطين كان موقف خداع ومناجزات كالذي صادفناه في خطابات «تل العمارنة»، وبخاصة تلك التي كتبها «عبدي خيبا» صاحب «أورشليم»، وقد نوَّه عنها في نقوش مقبرة «حور محب»،[٦] وقد كان للعبرانيين في الحركة التي قام بها هؤلاء البدو ضلع؛ إذ كانوا يسعون لتوطيد أقدامهم في فلسطين، وكان هؤلاء البدو المغيرون قد انتهزوا من جانبهم الفرصة للتخلص من البقية الباقية من تسلط مصر على بلادهم. وقد وصلت التقارير إلى «سيتي» بأن الثورات قد اندلع لهيبها، وأن قوانين القصر الفرعوني قد أصبحت لا قيمة لها، وهاك الوثيقة التي تحدثنا عن الموقف فاستمع لما جاء فيها:

> السنة الأولى[٧] من عهد مجدد الولادة، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين «من ماعت رع» معطي الحياة: لقد أتى إنسان ليخبر جلالته أن الشاسو الخاسئين قد دبروا العصيان، فقد تجمع رؤساء قبائل سوريا معلنين العصيان على أسيويي «خارو»، وقد أخذوا في السلب والنهب والشجار إذ يقتل الواحد منهم جاره، وعصوا قوانين القصر، وقد كان قلب جلالته — له الحياة والفلاح والصحة — فرحًا بسبب ذلك. تأمل، فإن الإله الطبيب كان قلبه مبتهجًا ليبتدئ الواقعة، وفرحًا ليدخل غمارها، وكان لبُّه مرتاحًا عند رؤية الدماء تسيل، وقطع رءوس عصاة القلوب؛ وأنه يحب ساحة الواقعة أكثر من حبه ليوم فرح، وقد قضى عليهم جلالته دفعة واحدة، فلم يترك ساقًا واحدة منتصبة بينهم، ومن فرَّ منهم حيًّا كانت تحمل يده إلى مصر (كان الأسرى تقطع أيديهم).

ونعلم من جهة أخرى من نقوش الكرنك أن حملة السنة الأولى سارت في ثلاث مراحل رئيسية؛ الأولى: هي زحف الجيوش من ثارو (تل أبو صيفة) إلى «باكنعان» لمنازلة «الشاسو»، الذين كانوا يسكنون الإقليم الواقع بين مصر و«كنعان»، وقد كان من الطبعي أن يخضع هذا الإقليم أولًا قبل القيام بأي تقدم في داخل فلسطين، ومن أجل ذلك كانت أول خطوة في سبيل الوصول إلى ذلك هي الاستيلاء على «باكنعان».

والمرحلة الثانية في سير هذه الحملة كانت الاستيلاء ثانية على إقليم «رتنو» العليا، وهو إقليم يمتد ما بين شمالي جبال الكرمل، وأعالي نهر الأردن، ولم تمدنا نقوش الكرنك بأية تفصيلات غير الاستيلاء على حصن «ينعم»،[٨] وخضوع رئيس بلاد لبنان.

وقد كشف حديثًا الأثري «فشر» عن لوحة في «بيت شان» (بيسان الحالية) عام ١٩٢٣ ميلادية، ولحسن الحظ تمدنا بتفاصيل هامة عن هذه المرحلة من الحملة التي قام بها «سيتي»، وسنتحدث عنها فيما بعد. أما المرحلة الثالثة من هذه الحملة؛ فإنها على حسب ما جاء في نقوش الكرنك تصف لنا عودة الفرعون مظفرًا منتصرًا بجيشه إلى أرض الكنانة، كما تصف لنا تضحيته الأسرى أمام الإله الأعظم «آمون رع».

طريق سيتي إلى فلسطين

وسنتبع سير الحملة خطوة فخطوة هنا بقدر ما تسمح به المعلومات التي في متناولنا، فنجد أولًا أن «سيتي الأول» قد بدأ سيره لمقاتلة أعدائه من «الشاسو» من بلدة «ثارو» الواقعة على الحدود الشرقية لمصر، وهذه البلدة كانت القلعة التي يشرف على إدارتها «سيتي» قبل أن يتولى عرش الملك، ولا يسع الإنسان هنا إلا أن يرخي لخياله العنان الآن عندما يتصور أمامه حماس الجنود القدامى الذين لا يزالون في هذه القلعة، وهتافاتهم الحارَّة عندما يشاهدون زميلًا قديمًا رئيسًا أعلى للجيش الذي جاء لقهر الثوار، بل أصبح الملك المتوج على البلاد كلها، وقد وضع بنفسه الخطط لإعادة مجد البلاد، ولنشر سلطانها الإمبراطوري بعد أن كان قد زال من عالم الوجود تقريبًا.

طريق الفرعون إلى فلسطين

وعندما نفحص نقوش الكرنك فحصًا دقيقًا نستطيع أن نتأثر بوضوح الطريق التي سار فيها «سيتي» عندما بدأ حملته إلى فلسطين ثم العودة منها، والواقع أن المناظر التي صورها لنا «سيتي» عن سيره إلى هذه الجهات تتألف من مشاهد حيوية تمثل الحوادث الهامة في هذه الحروب، ولكن المفتن فضلًا عن ذلك قد حشر بين تلك المشاهد أشكال الحصون التي كان يقف عندها الفرعون لأخذ المدد وللسقاية، وقد نظِّمت صورها تنظيمًا طوبوغرافيًا متقنًا، وفي استطاعتنا تحقيق بعض هذه الأماكن وتوحيدها ببعض الأماكن التي لا تزال موجودة حتى الآن، ومن ثم يمكننا أن نعلم شيئًا عن هذه الطريق القديمة التي كانت تربط مصر بفلسطين، والواقع أنها تخترق الصحراء الجرداء القاحلة التي لا زرع فيها ولا ضرع، الواقعة في شمالي شبه جزيرة سيناء، جنوب بحيرة «سربونيس»، وهذه الصحراء إقليم لا يسكنه أحد إلا فئة قليلة من العرب الرحل.

وقد وصفت هذه الطريق بأنها أقدم طريق في العالم، ولا نزاع في أننا إذا عددنا الحوادث التاريخية التي وقعت فيها قصصنا بذلك تاريخ الشرق الأدنى كله. ومما تجدر ملاحظته هنا أن هذه الطريق التي كان يسلكها الفراعنة لغزو فلسطين، ثم العودة منها إلى مصر هي نفس

الطريق التي استعملت لنفس الغرض في الحرب العالمية الكبرى (١٩١٤–١٩١٨ ميلادية)، وهي تمتد شرقًا من «ثارو» حتى «رفح»، وقد وصفت هذه الطريق، فضلًا عما جاء في نقوش الكرنك، في فقرة من فقرات ورقة أنسطاسي الأولى (راجع كتاب الأدب المصري القديم الجزء الأول ص٣٨٩)، وقلعة «ثارو»، أو طريق «حور»، كما كان يسمى أحيانًا قد صوِّرت في نقوش الكرنك بمثابة محط محصن واقع على ضفتي قناة تسمى «الفاصلة»؛ لأنها تفصل مصر عن الصحراء الحقيقية، وقد رُسمت القناة بشاطئيها اللذين نبتت عليهما الأعشاب تمرح في مائها التماسيح. وتتألف القلعة من جهة مصر من سياج مستطيل الشكل، تكنفه مبانٍ من الشمال والجنوب، وله بابان: أحدهما في الشرق، والآخر في الغرب، ويؤدي الباب الشرقي إلى قنطرة فوق القناة. ورسم القنطرة هنا يلفت النظر جدًّا عندما نذكر أن الاسم الحديث لهذه البلدة هو «القنطرة» (ثارو)، وعلى ذلك لا يبعد أن هذا الاسم الحديث يرجع أصله إلى عهود سحيقة في القدم.

وأول محط بعد القنطرة قلعة مستطيلة الشكل تحتوي بركة مستطيلة تظللها الأشجار تسمى «عرين الأسد»،[٩] ولفظة الأسد هنا تشير إلى «سيتي الأول»، وقد سُمي هذا المكان بعينه «مسكن سسي» (وهو لقب كان ينادى به «رعمسيس الثاني») أو مسكن «رعمسيس» محبوب «آمون»، ويظنُّ الأستاذ «جاردنر» أن هذا المكان هو «تل حابو» الحالي، ويلي «عرين الأسد» قلعة صغيرة بالقرب من بركة أو بئر صغيرة يطلق عليها اسم «مجدول من ماعت»، وكلمة «مجدول» معناها في السامية: البرج، وقد استعمل المصريون هذه اللفظة في لغتهم منذ الأسرة الثامنة عشرة. وقد وحَّد الأستاذ «جاردنر» هذا الحصن «بتل الحر» الحالي، ويلي «تل الحر» هذه حصن صغير آخر له بئر تظللها الأشجار، ويطلق عليه اسم «بوتوسيتي مرنبتاح»، ويسمى في ورقة أنسطاسي «بوتوسسي»، ويظنُّ «جاردنر» أن هذا المكان يمكن توحيده «بالقاطية» الحالية؛ حيث نجد خمائل نحيل عظيمة، ويلاحظ أن هذا المكان في نقوش الكرنك قد ظُلل بالأشجار الباسقة.

ونشاهد كل هذه الأماكن المحصنة في المناظر التي ظهر فيها «سيتي الأول» بعد عودته منتصرًا من حروبه المظفرة إلى مصر. أما الأماكن التي سنورد أسماءها هنا فيما يلي فهي التي تتم الطريق من مصر إلى فلسطين، وقد وجدت في نفس المنظر على جدران الكرنك حيث نرى «سيتي» منهمكًا في حومة الوغى مع الأسيويين أعدائه؛ غير أنه لم يمكن توحيدها بأماكن حديثة، ومما يلحظ هنا أن الحصون كان بعضها مميزًا عن بعض من جهة الحجم وتفاصيل المباني، كما ميزت كذلك البرك بعضها عن بعض بميزات خاصة؛ مما يدل على أن المفتن كان يمثل مناظر حقيقية أمامه ليس فيها للخيال مجال. فنجد مثلًا أنه كتب تحت بطن جواد «سيتي الأول»، وهو في ساحة القتال اسم قلعة وبركة يطلق عليهما حصن «من ماعت رع المسمى … في حمايته.» والواقع أنه توجد عدة حصون تحمل أسماء ملوك الأسرة الثامنة عشرة، ويظن «جاردنر» أن واحدة منها، وهي قلعة «مرنبتاح الذي ينعم في الصدق» يمكن توحيدها بالقلعة السالفة الذكر، وكذلك نقش تحت السيقان الأمامية اسم حصن صغير يدعى «البلد الذي أقامه جلالته جديدًا»، ومن الجائز أن هذا

البلد كان مخرَّبًا وبناه «سيتي الأول» من جديد، وإذا كان هذا الزعم صحيحًا فإن كل الحصون السالفة الذكر كانت موجودة في حالة خراب، ولكن «سيتي الأول»[١٠] قد أعاد بناءها وسماها باسمه، كما شاهدنا ابنه يفعل بالحصون السالفة فيما بعد، وهي التي قد سماها باسمه بعد وفاة والده. أما البئر التي بجوار الحصن الأخير فتسمى بئر «إب سقب»، وقد ذكرت لنا ورقة «أنسطاسي» عند هذه النقطة من الطريق مكانًا يدعى «سب إيل»، ثم شفعته باسم «إب سقب»، ومن ثم يمكن أن تكون «سب إيل»، اسم بلدة أقامها «سيتي الأول»، أو أعاد بناءها. ويأتي بعد ذلك قلعة ضخمة وبئر، ويظن «جاردنر» أنها تدعى «عنن»، وقد جاء ذكرها في ورقة «أنسطاسي». ويلفت النظر أن اسم محط المياه الذي يلي قد ذُكر له اسمان يدلان على البئر فقط؛ فالاسم الأول: هو «بئر من ماعت رع عظيم الانتصارات»، والثاني: «البئر الحلوة». وبعد ذلك تصادفنا لأول مرة أسماء أماكن ليست على الطريق السورية مباشرة، وعندما نعود إلى الطريق الأصلية نجد حصنًا صغيرًا جدًّا يدعى «بئر من ماعت رع»، وماء يدعى ماء «نخس الأمير»، والمكان الأخير يقابل «نخس» التي ذُكرت في البردية، وهو آخر مكان قبل الوصول إلى «رفح».

ويبلغ طول هذه الطريق من «القنطرة» حتى «رفح» نحو عشرين ومائة ميل، وقد حُفرت على طولها آبار في عهدنا الحالي على مسافات تتراوح بين خمسة وستة أميال، وقد وقعت الواقعة بين المصريين و«الشاسو» على طول هذه الطريق. وتلخص لنا النقوش السياحة من «ثارو» إلى «رفح» كما يأتي:[١١] «السنة الأولى من حُكم ملك الوجه القبلي والوجه البحري «من ماعت رع»، التخريب الذي ألحقه سيف الفرعون البتار (له الحياة والفلاح والصحة) بالشاسو الخاسئين من قلعة «ثارو» حتى «باكنعان»، عندما سار جلالته نحوهم مثل الأسد المفترس العين، وصيرهم أشلاء في الوديان مخضبين بدمائهم كأن لم يغنوا بالأمس. وكل من أفلت من بين أصابعه يقول: إن قوته على الممالك النائية هي قوة والده «آمون» الذي كتب له الشجاعة المظفرة في الممالك الأجنبية.»

المرحلة الثانية من الحرب

بعد أن غرس «سيتي الأول» الخوف من مصر في قلوب قبائل «شاسو» مما أمَّن له الطريق ذهابًا وإيابًا من مصر إلى فلسطين، بدأ المرحلة الثانية من مراحل حملته على ثوار فلسطين وعصاتها، وتحدثنا نقوش الكرنك وقوائم البلاد المقهورة التي خلفها لنا هذا الفرعون على أنه بعد أن اخترق جبال «الكرمل» استولى على مدن «باهيريا» و«بيت شائيل» و«حماة» و«رحوبو» و«ينعم»، وقد رأينا المدينة الأخيرة مصوَّرة تحوطها غابة، واللوحة التي عثر عليها «فشر» توضح لنا في بيان بعض تفاصيل هامة عن هذه المواقع السالفة الذكر، وهذه اللوحة تُعد أحدث الآثار القليلة التي تمدنا ببعض معلومات حقيقية عن حملة حربية بالمعنى الصحيح في تلك الأزمان السحيقة في القدم، فتحدثنا هذه الوثيقة أولًا أن الرأس المحرِّك لهذه الاضطرابات أمير بلدة «حماة» إذ قد استولى على مدينة «بيت شائيل»، وانضم إلى ولاية «باهيريا»، وأخذ في إثارة القلاقل في الأقاليم المجاورة، ومن

أجل ذلك عقد «سيتي الأول» العزم على القيام بضربة حاسمة يحصل بها على انتصار سريع فاصل يقضي به على الثورة قضاء مبرمًا؛ ولذلك أرسل فيالقه الثلاثة التي سُميت بالتوالي بأسماء الآلهة: «آمون» و«رع» و«ستخ»؛ ليقوموا بالهجوم في وقت واحد على المدن الثلاث الثائرة، وبعد حرب دامت يومًا واحدًا انتصر الجيش المصري انتصارًا باهرًا، وهاك متن اللوحة، فاستمع لما جاء فيه: «السنة الأولى،[١٢] الشهر الثالث من فصل الصيف، اليوم العاشر من الشهر من عهد حور الملك الثور القوي المشرق في طيبة … ملك الوجه القبلي والوجه البحري، من ماعت رع بن رع سيتي مرنبتاح معطي الحياة … وأن افتخارات أقوامهم عظيمة، وكل الأجانب تقول إنا نهاجم (؟) الممالك، ورؤساؤهم يقولون إلى أي قدر نحن مسوقون (؟) فإنهم آمنون من جهة ذلك، ولكن أصحاب الألباب اليقظة يقولون: ليتهم يعون في قلوبهم قوة والده آمون الذي يقرر له — أي الفرعون — القوة والظفر.» وبعد هذه المقدمة المهشمة يأتي الجزء الخاص بالحرب، وهو:

> لقد حضر هذا اليوم إنسان ليخبر جلالته أن العدو الخاسئ الذي كان في بلدة «حماة» قد جمع لنفسه نفرًا عظيمًا، وهو يهاجم بلدة «بيسان»، واتحد مع أهل بلدة «بلا»، ولم يسمح لأمير «رحوب» أن يخرج من مدينته، وقد أرسل جلالته الجيش الأول لـ «آمون» المسمى «عظيم الأقواس» إلى بلدة «حماة»، والجيش الثاني لـ «رع» المسمى «الغني الشجاعة» إلى بلدة «بيسان»، والجيش الأول للإله «ستخ» المسمى «المنتصر الأقواس» إلى بلدة «ينعم»، وحدث أنهم في يوم واحد خضعوا لقوة جلالته ملك الوجه القبلي والوجه البحري «من ماعت رع» ابن الشمس «سيتي مرنبتاح» معطي الحياة.

وهذا المتن يوضح بجلاء أن تقدم الجيش المصري في سهل «إسدرالون Easdraelon» قد أعقب مباشرة اقتحام «كنعان» بوصفه معبرًا عن جزء من أغراض الحملة نفسها، ومن المحتمل كذلك أن حصن «مجدو» الذي يشرف على المنفذ الشمالي لسهل «كنعان» الساحلي لم يعترض مرور الجيش المصري، وليست لدينا معلومات عن حروف وقعت هناك، ومن الواضح إذن أن قلعة «بيسان» التي يعزو تأسيسها إلى «تحتمس الثالث» قد ساعدت المصريين، كما فعلت مدينة «رحوب» الصغيرة، وهذه الحقيقة تكشف لنا أحد أمرين: إما أن النفوذ المصري في فلسطين لم يكن قد ضاع كله في عهد الفوضى الخارجية التي كانت ضاربة أطنابها في عهد «إخناتون»، كما هو المفروض، وإما أن الحملة التي أرسلت في عهد «توت عنخ آمون»، وإن لم تكن ذات أثر فعال من جهة نتائجها المادية — لأنه كان لزامًا على «سيتي» أن يقوم بحروب على «الشاسو» عند حدود فلسطين الجنوبية — قد تركت أثرًا أدبيًّا لا يمكن إغفاله، ولو من جهة تحذير بعض الرؤساء الفلسطينيين بأن قوة مصر كانت توحي من جديد بأنها ستكون عملًا يحسب حسابه في المستقبل. ويدل هذا المتن — فضلًا عن ذلك — على أن السير نحو «بيسان»، و«حماة»، و«ينعم» كانت قد وضعت

خططه لتنفيذ في وقت واحد؛ وإنه لمن المهم جدًّا أن يتاح لنا معرفة القاعدة التي بدأ منها «سيتي» الزحف بجيوشه، فهل يا ترى كانت بلدة «مجدو»؟ وتظهر بلدة «حماة» — التي نحن بصددها الآن — على معظم المصورات الجغرافية على الشاطئ الغربي من «بحيرة الجليل»، وإن كان الأثري «رو» يقول: إن موضعها يبعد بعض الشيء نحو الجنوب؛ فتقع عند مدخل وادي «اليرموك»، ويجب بهذه المناسبة ألا نخلط هذه المدينة بالمدينة الأخرى التي تحمل نفس هذا الاسم، وهي التي تقع على نهر «الأرنت» على مسافة ثلاثة وأربعين ميلًا في انحدار النهر من «قادش».

ولم يُذكر أي شيء في متن «بيسان» عن أية محاولة مباشرة لخلاص «رحوب» التي يحتمل أنها تقع جنوبي «بيسان» الواقعة في وادي «جزريل» القريبة من نهر الأردن، وقد تم إنقاذ «رحوب» بطبيعة الحال بتخليص «بيسان»، والهجوم على «حماة»، يضاف إلى ذلك أنه لم يذكر لنا أي هجوم على «بلا» (بحر) الواقعة في الجنوب الشرقي من «بيسان» على الجهة المقابلة من نهر الأردن، ولكن مما لا شك فيه أنها كانت قد أخضعت قبل عودة «سيتي» إلى أرض الوطن؛ لأن اسمها جاء ضمن قائمة الأماكن التي فتحها «سيتي»، وهي التي ذُكرت في نقوش قاعدة تمثال «بولهول» الذي عُثر عليه في معبده الجنازي «بالقرنة»، [١٣] وقد أقام لوحة عند «تل الشهاب» في «حوران» على مسافة اثنين وعشرين ميلًا شرقي بحر الجليل.[١٤]

ولا بد أن الميناءين البحريين: «عكا» و«صيدا» كان قد استولى عليهما الجيش المصري في مرحلة من مراحل الحملة الأولى هذه قبل الحوادث التي ذكرناها الآن، كما نعرف ذلك من نقوش «بولهول» السالف الذكر، هذا ويعد الاستيلاء على «ينعم»، وبلدة «جادر» الواقعة في «لبنان»، وإخضاع رؤساء لبنان آخر ما وصلت إليه هذه الحملة من الفتوح.[١٥]

ومما يلفت النظر في نقوش لوحة «بيسان» هذه أنه أصبح في استطاعتنا أن نعلم شيئًا عن قوة جيش «سيتي» وقتئذ الذي كان تحت إمرته، فقد اتضح لنا بصفة مؤكدة أن أقسام الجيش المصري قد سميت بأسماء أعظم الآلهة المصريين، وذلك يؤكد لنا أن هذا النظام كان قائمًا قبل ذلك؛ فقد ذكر لنا «كارتر» (راجع Carter Tut Ankhamon II, p. 31) تصوير الآلهة «آمون» و«رع» و«بتاح» الذين نُقشت أسماؤهم على بوق عُثر عليه في مقبرة «توت عنخ آمون» مع ذكر أقسام الجيش التي سميت بأسماء هؤلاء الآلهة، يضاف إلى ذلك أن متن «بيسان» قد ذكر لنا في صراحة أنه قد أُخذت الفيالق الأولى من كل جيش من جيوش هؤلاء الآلهة؛ مما يدل على أن باقي الفيالق كانت لا بد في معسكرات الاحتياطي بمصر. ولا يبعد أن هذا النظام، وهذه المسميات كانت موجودة في عهد الفرعون العظيم «تحتمس الثالث» الذي كان يقلده «سيتي الأول» في كل خطواته، وأنظمته الحربية كما ذكرنا.

وبعد أن تم لـ «سيتي» النصر انتهز فرصة وجوده في بلاد «لبنان» فأخذ في قطع الأخشاب اللازمة لبناء المعابد في مصر، ولدينا منظر على جدران معبد الكرنك نرى فيه صورة قطع

الأخشاب، ونشاهد فيه الفرعون يصحبه أحد رجال دولته العظام، والمتن الذي يصف هذا المشهد يقول:[١٦]

> الإشراف على رؤساء لبنان الذين يقطعون خشب الصنوبر لبناء السفينة العظيمة الخاصة بُعيد بداية النهر، وكذلك لصنع خشب الأعلام العظيمة للإله «آمون» … لبناء … بحياة بهجة … مثل رع كل يوم … محبوب الآلهتين: مجدد الولادة … أقوى الناس قوسًا … وسرور … وأنه يراهم سيده … وقلبه مطمئن جاعلًا حدود مصر … ليملأ المخازن …» وباقي المتن قد فُقد، ولا بد أنه كان يقص علينا فيه كلام الفرعون الذي أجابه الضابط المصور في المنظر قائلًا: ما قاله حامل المروحة على يمين الفرعون جوابًا للإله الطيب، إنه سينجز على حسب كل ما قلته يا حور، يا محي الأرضين، إنك منتو (إله الحرب) كل مملكة: وعندما يراك رؤساء «رتنو» يسري خوفك في أعضائهم، وقد أجاب أمراء لبنان قائلين في مديح سيد الأرضين، وللتعظيم من قوته! إنك ترى مثل والدك «رع»، وإن في النظر إليك الحياة.

وبعد أن تم لـ «سيتي الأول» النصر وتزود بالأخشاب اللازمة لسفينة الإله، ولإقامة معابده، عاد إلى أرض الكنانة، ودخلها دخول الفرعون الظافر الفاتح، على أنه لم يفُته أن يصور لنا هذا النصر المبين على الأعداء من «الشاسو»، وقد انتهز المفتن هذه الفرصة ليمثل ذلك بصورة خلابة، فانتظر اقترابه من قلعة «ثارو»، ورسم لنا مشهدًا رائعًا يرى فيه الفرعون واقفًا في عربته، وهو يسوق جواديه، قابضًا على الغل الذي كبل فيه الأسرى، وقد سيق منهم ثلاث مجاميع أمام جواديه، ومجموعة رابعة كان أفرادها يتعثرون في سيرهم خلف عربته. وكان يرافق الفرعون في أثناء ذلك أمير يحمل قوسًا، كما كان يحمل رمز حامل المروحة على يمين الفرعون، وكتب فوقه المتن التالي:

> مصاحبة الأمير الوراثي العظيم الدعاء … وكاتب الفرعون الحقيقي ومحبوبه … وابن الملك من صلبه ومحبوبه … للفرعون في سيره في بلاد «رتنو».

ويظن الأستاذ «برستد» أن هذا الأمير المذكور في هذا النقش كان أخًا أكبر لـ «رعمسيس الثاني» الذي أصبح الوارث لعرش مصر بعد وفاته؛ وأنه قد أمر بمحو اسمه من نقوش الكرنك، ولكن هذا موضع سنتناوله بالبحث والدرس في مكان آخر.

وعندما اقترب «سيتي» من معقل «القنطرة» المحصنة التي عندها تعبر القناة التي تفصل «ثارو»، وأرض الكنانة عن الصحراء قابله وفد من جموع رعاياه كان يغمرهم الفرح والغبطة بنصر سيدهم، وقد قُسموا طائفتين؛ الأولى: تحوي كهنة محلقين رءوسهم، وحاملين

طاقات أزهار، والثانية: تشمل الأشراف، ووجهاء الموظفين، وكلهم رافعون أذرعتهم فرحًا وتضرعًا، وقد فسرت لنا النقوش هذا المشهد، فاستمع لما جاء فيها:

> الكهنة والموظفون من شمالي البلاد وجنوبها أتوا ليحتفلوا بالإله الطيب عند عودته من بلاد «رتنو»، ومعه أسرى كثيرون جدًّا، ولم يُرَ مثل ذلك من قبل منذ زمن الإله، وهم يقولون في مدح جلالته وفي تعظيم قوته: «مرحبا بمقدمك من الممالك التي أخضعتها، وإنك لمنتصر، وأعداؤك تحت قدميك، وإن مدة حكمك ملكًا هي مثل «رع» في السماء، في حين أنك تسر قلبك بانتصارك على أهل الأقواس التسعة، وعندما وضع «رع» حدودك كانت ذراعاه تحميانك من خلف، وسيفك كان في وسط كل أرض، وقد سقط رؤساؤها بنصالها.

ولا غرابة في أن نرى المصريين مبتهجين فرحين بما أوتوا من نصر عظيم، فقد مرت السنون تلو السنين الطوال قبل أن يشاهد المصريون عودة جيوشهم مظفرة من آسيا، وعلى رأسها الفرعون يحمل غنائم الحروب وأسلابها، ولا بد أنهم لما رأوا نتائج تلك الحملة الأولى المظفرة استبشروا بما سيعقبها من انتصارات باهرة في المستقبل القريب. ولا يبعد أن «سيتي» عندما سمع وقع أقدام خيله في ردهة قلعة «ثارو» تذكر تلك الأيام الخوالي عندما كان قائدًا لهذه القلعة يصرف أعمالها اليومية، ولم يكن يدور بخلده وقتئذ أنه سيكون يومًا ما فرعونًا يحفل به الشعب بمثل هذا الحفل الرائع في هذه البقعة بعينها!

وقد جرى «سيتي» — كما قلنا — على نهج سلفه العظيم «تحتمس الثالث» في كل شيء، فنسب انتصاراته لإلهه «آمون رع» رب «طيبة»، وعلى ذلك ولَّى وجهه شطر هذه المدينة المقدسة يضع تحت قدميه كل أسلابه وغنائمه، كما تصور لنا ذلك نقوش الكرنك؛ حيث نجد الإله «آمون» يخاطب الفرعون قائلًا: «يا بني المحبوب، يا رب الأرضين، يا «من ماعت رع»، لقد وهبتك النصر على كل البلاد، وجعلتك تحكم أمراءها حتى يأتوا إليك مجتمعين سويًّا، محملة ظهورهم (بالجزية) خوفًا منك.»

أما الأسرى فكانوا طائفتين: وُصفت طائفة منهم بأنهم رؤساء الأقاليم الذين لم يعرفوا مصر، وهم الذين حملهم جلالته معه أسرى من انتصاراته في بلاد «رتنو» الخاسئة، ويقولون معظِّمين جلالته ومهللين بانتصاراته: «مرحبًا بك، ما أعظم اسمك! وما أجل قوتك! إن الممالك تبتهج بأنها رعاياك، وأولئك الذين يتعدون حدودك يغلون بحياة حضرتك، نحن لا نعرف مصر، ولم تطأ أقدام آبائنا أرضها، امنحنا النفس الذي تهبه.»

أما الطائفة الأخرى من الأسرى؛ فهم من بلاد «رتنو السفلى»، ويقول المتن التابع لهم: «الأسرى الذين جاء بهم جلالته من بلاد «شاسو» وهم الذين أخضعهم جلالته في السنة الأولى من عهد مجدِّد الولادة «سيتي الأول».»

هذا فضلًا عن أننا نشاهد مناظر أخرى ممثلة للأسرى؛ حيث نجد السوريين بدلًا من «الشاسو»، ولا بد أن هذا المنظر يشير إلى الجزء الثاني من حملة السنة الأولى، والحوادث التي وُضعت على لوحة «بيسان»، وتنتهي مناظر هذه الحملة بذبح الأسرى أمام الإله «آمون»؛ اعترافًا من الفرعون بأن قوته قد وهبها إياه الإله، وهذا المنظر له نظائر كثيرة من أقدم العهود، ويرجع عهد الاحتفال بذبح الأسرى إلى الأسرة الأولى؛ حيث نجد الملك «دن» ممثلًا على لوحة من العاج، وهو يقتل عدوًّا شرقيًّا راكعًا أمامه، وفي يد الفرعون مقمعة من الحجر يضرب بها العدو، وقد بقي هذا التقليد مرعيًّا في كل عهود ملوك الأسرات الفرعونية، ولا نزاع في أن الأسرى كانوا على ما يظهر يُذبحون في بادئ الأمر فعلًا حتى أصبح هذا العمل الوحشي في العهود المتحضرة، وبخاصة في عهد الدولة الحديثة، مجرَّد احتفال رمزي؛ فنجد مثلًا على البوابة السابعة في الكرنك «تحتمس الثالث» مصورًا في الوضع التقليدي على وشك ذبح طائفة من الأسرى يبلغ عددهم نحو الثلاثين، وهو قابض على نواصيهم،[١٧] في حين نجد في أماكن أخرى رؤساء الأسرى يُعاملون معاملة كريمة، فيظهرون في المناظر بدون أغلال في حضرة الفرعون جالبين معهم الجزية. والآن يتساءل الإنسان: هل عاد «سيتي الأول» لارتكاب هذه الفعلة الشنعاء ثانية فقتل أسراه، على الرغم من أنها عادة قد لَفَظَها الزمن رغبة في إحياء تقليد قديم؟ هذا ما لا يمكن الإجابة عنه.

وقد وجدنا مع هذا المنظر قائمة بأسماء البلاد والممالك التي فتحها هذا الفرعون، غير أنه لا يمكن الاعتماد على صحة ما جاء في مثل هذه القوائم؛ لأنها كانت مرتبكة، وتقليدية يتناقلها الملوك بعضهم عن بعض، ولكن لدينا قائمة من عهده عن فتوحه قد يُعتمد عليها إلى حد ما، نقشها على قاعدة تمثال «بو الهول» الذي عُثر عليه في معبده الجنازي بالقرنة،[١٨] نقش عليه ما يأتي: (١–٩) قبائل الأقواس التسعة، (١٠) بلاد خيتا، (١١) «بلاد نهرين»، (١٢) «ارسا»، (١٣) «عكة»، (١٤) «سميرا»، (١٥) «بحرا»، (١٦) «بيت شائيل»، (١٧) «ينعم»، (١٨) «كمهم»، (١٩) «أولوزا» (: أناراثا)، (٢٠) «كمد»، (٢١) «صيدا»، (٢٢) «أوثو»، (٢٣) «بت عنتا»، (٢٤) «قراميم» إلخ.

ومما تجدر ملاحظته هنا أن المتن الذي يفسر منظر التضحية قد نُقل معظمه من متون أخرى، فمثلًا: نجد أن الكلام الذي فاه به الإله «آمون» للملك أساسه ما جاء على لوحة «أمنحتب الثالث» التي على مبانيه،[١٩] وهذه اللوحة كان قد طُمس ما عليها من نقوش «إخناتون»، وقد أعادها إلى ما كانت عليه «سيتي الأول»، والظاهر أنه كان مرتاحًا لما جاء عليها حتى إنه استعمل متنها مع بعض تغيير طفيف، وقد نقل «رعمسيس الثالث»[٢٠] فيما بعد رواية «سيتي الأول»، واستعملها لنفسه في نقوشه التي تركها لنا على جدران معبد مدينة «هابو»، وهاك المتن كما جاء على نقوش «سيتي الأول»:

> كلام آمون رع رب «طيبة»: يا بني الذي من صلبي، يا محبوبي، ويا رب الأرضين «من ماعت رع»، رب القوة في كل مملكة، إني والدك، وإني أنا الذي أجعل الرعب

منك في أرض «رتنو» العليا والسفلى، وقبائل النوبة قد ذبحوا تحت قدميك، وإني آتي إليك برؤساء الممالك الجنوبية لتتسلم الجزية من كل منتجات ممالكهم الجيدة، ولتسرع … وإني أُولي وجهي قِبل الشمال، وآتي بأعجوبة لك … متصديًا العصاة في أوكارهم ببأس شديد.

وإني آتي إليك بممالك لا تعرف مصر حاملين جزيتهم من فضة وذهب ولازورد، وكل حجر كريم غالٍ من أرض الإله.

وإني أُولي وجهي قِبل المشرق وآتي بأعجوبة لك؛ فأغلهم جميعًا لك مجتمعين في قبضتك، وإني أجمع كل ممالك «بنت» سويًّا، وكل جزيتهم من بلسم وقرفة وكل الأخشاب الزكية الرائحة من أرض الإله ناشرًا شذاها أمامك، وأمام صلِّك.

وإني أولي وجهي قبل المغرب، وآتي بأعجوبة لك، فأقضي على أرض «تحنو» لك، فهم يأتون منحنين أمامك وراكعين، وهم على خوف منك، ورؤساء … يقدمون لك الحمد.

وإني أولي وجهي قبل السماء، وآتي بأعجوبة لك؛ فآلهة السماء يبتهلون لك عندما يولد «رع» كل صباح، وإنك تنمو مثل «رع» عندما يأتي بالظهيرة.

وإني أولي وجهي قبل الأرض، وآتي بأعجوبة لك؛ فإني أقدر لك النصر على كل مملكة، والآلهة يفرحون بك في معابدهم، وأنك ستبقى طول الأبدية ملكًا على عرش «جب».

أما الجزء التالي من خطاب آمون لـ «سيتي» فمأخوذ من أنشودة النصر الكبرى التي أنشدها لـ «تحتمس الثالث» (راجع مصر القديمة الجزء الرابع)، ويلاحظ أنه قد عمل فيها بعض التغييرات، فيقول:

لقد جعلتهم ينظرون إلى جلالتك باعتبارك رب الإشعاع حتى أضاءت وجوههم مثل صورتي.

ولقد جعلتهم يرون جلالتي مرتديًا شعارك الملكي عندما تقبض على أسلحة الحرب في العربة.

ولقد جعلتهم يرون جلالتك كالنجم السائر الذي ينشر لهيب النار، ويخرج نداه.

ولقد جعلتهم يرون جلالتك كالثور الفتي ثابت القلب، ومتأهب القرن لا يقاوم.

ولقد جعلتهم يرون جلالتك كالتمساح المفزع على الشاطئ، فلا يمكن الاقتراب منه.

> ولقد جعلتهم يرون جلالتك كلهيب النار، ومثل «سخمت» نفسها في وقت عاصفتها.
>
> ولقد جعلتهم يرون جلالتك مثل … عظيم في القوة، لا يقاوَم في السماء، ولا في الأرض، خذ السيف يأيها الملك العظيم، يا من تضرب مقمعته الأقواس التسعة.

هذه أمثلة من النقوش التي تركها لنا «سيتي الأول» بعد عودته من حملته الأولى، ولا شك في أن المطَّلع يرى أنه قد حاول في كل مراحلها، وفي كل متونها تقليد عاهل مصر العظيم «تحتمس الثالث».

الحملة الثانية: أما حملة «سيتي الثانية» في آسيا فإن نقوشها قد فُقدت إذا كان ما دوِّن عنها هو الجزء الأعلى من النقوش التي كانت على يسار سجل مناظر معبد الكرنك، غير أن ما ادعاه «سيتي» في نقوش تمثال «بو الهول» «بالقرنة»، وهو الاستيلاء على «سميرا» و«أولازا» يجيز لنا أن نظن أن الجزء الضائع من هذه المناظر قد مثل عليه على أقل تقدير جزء من بلاد «آمور» الساحلية التي كانت تعد «سميرا» أهم ميناء فيها، وهذا يعادل المرحلة الثالثة من خطط تحتمس الثالث، وهو ما سار على هديه «سيتي الأول».

أما المرحلة الرابعة في حروب «سيتي الأول»، فكان الغرض منها إخضاع «قادش» الواقعة على نهر «الأرنت»، وتعد المنفذ لسهل بلاد سوريا الشمالية، وهذا ما بقي لنا مدونًا على الجزء الأعلى من سجل الكرنك،[٢١] وقد كشف بزارد Pizard في بلدة «قادش» هذه عن الجزء الأعلى من لوحة لـ «سيتي الأول» أقامها في هذه الجهة؛ فبرهن[٢٢] بذلك على أن هذا الفرعون قد تملك هذه المدينة، وبهذا حُلَّ الجدل الذي دار بين «أدوردمير» و«برستد»[٢٣] بأن «قادش» المقصودة هنا، والتي على سجل الكرنك هي «قادش» التي في منطقة الجليل. ويظهر من النقوش التي على منظر الكرنك الخاصة بقلعة «قادش»، والتي جاء فيها الهجوم الذي قام به الفرعون لتخريب أرض «قادش»، وأرض «آمور»، أن الاستيلاء على «قادش»، وفتح بلاد «آمور» قد حدث في مرحلتين من حملة واحدة، على أن ظهور منظر الاستيلاء على «قادش» مصورًا على نهاية الجدار الذي عليه مناظر حروب «سيتي» بالكرنك؛ أي بعيدًا بقدر المستطاع عن الباب الأوسط، يدل دلالة واضحة على أن هذه كانت أبعد نقطة وصل إليها الجيش المصري في هذه الحملة،[٢٤] أما الجزء الأول منها فقد فُقد الآن، وعلى ذلك فمن المحتمل أن «آمور» لا تشير هنا إلى الساحل الشمالي السوري، وأن موضوع فتحها كان مدونًا على ما يظهر على الجزء الواقع على يسار المدخل، بل المقصود بها هنا الجزء الداخلي من إقليم «آمور» حتى البلاد الواقعة جنوبي «قادش»، ومن المحتمل أنها كانت تمتد جنوبًا في الداخل حتى مدينة «دمشق» التي كانت قد خضعت على ما يظهر للنفوذ الآموري في أثناء الثورة التي قامت في عهد «إخناتون».[٢٥] ومن الجائز أن الفرعون «سيتي» كان يشير في هذه الحملة إلى بلاد «تخس» عندما وضعها ضمن القائمة التي دوَّن عليها فتوحه، وهي التي نقشها على تمثال «بو الهول» الذي عثر عليه في معبده الجنازي «بالقرنة»، ولا تبعد حدودها الجنوبية كثيرًا عن «دمشق».

ويعتقد الأستاذ «مير» أن هذه الحملة قد جاءت بعد الحروب التي شنها «سيتي» على بلاد «خيتا»، وفضلًا عن خطئه في تحقيق موضع مدينة «قادش» نفسها، فإن رأيه يتعارض مع الاعتبارات الاستراتيجية التي ذكرناها فيما سبق، وليس لدينا مصادر تدلنا على أن حدود إمبراطورية «خيتا» كانت تقع جنوبي بلدة «قادش»، وهي التي كانت في عهد «رعمسيس الثاني» حصنه الحصين في الجنوب للدفاع عن أملاكه. ويلاحظ كذلك أنه حتى عهد «إخناتون» كان الوادي — من «قادش» إلى الجنوب يُعرف وقتئذ باسم «عمقي»، وهو الوادي الذي يُطلق عليه الآن البقاع — ضمن النفوذ المصري، كما يدل على ذلك لوحات سجل بلاد «خيتا» التي جاء فيها ذكر حادثة الملكة المصرية التي سُميت فيها «دخ آمون»، وما جرى لها مع «شوبيليو ليوما» ملك «خيتا»، وقد تحدثنا عن ذلك من قبل (راجع مصر القديمة الجزء الخامس).

(٢-٣) الحرب مع لوبيا

وتدل المصادر التي في متناولنا على أن «سيتي الأول» لم تهيأ له الفرص لمتابعة انتصاراته عند «قادش» بالتقدم شمالًا، فقد وصلت إليه أخبار اضطرابات وقلاقل على حدود بلاده الغربية؛ حيث كان اللوبيون يرسمون خططهم للإغارة على بلاد الدلتا، كما فعلوا فيما بعد في عهد الفرعون «مرنبتاح» حفيده، وقد خصص «سيتي» لحملته الرابعة هذه على بلاد لوبيا الجزء الأوسط من الجهة اليمنى من السجل الذي دوَّنه على جدران معبد الكرنك، وقد انتهت هذه الحروب بهزيمة منكرة، انتصر فيها على اللوبيين في واقعتين، غير أن الأستاذ «برستد» يقول: «إن اللوحة التي عُثر عليها منقوشة في معبد الكرنك، وهي التي نصبها بعد عودته من حملته الأولى، كان الغرض منها إعلان ما كان يجري على حدود بلاد «لوبيا» من مناوشات.»[٢٦] وهاك ما جاء عليها:

> السنة الأولى من عهد جلالة «سيتي الأول» — يذكر بعد ذلك ألقابه — لقد عاد بقلب فرح من أول حملاته المظفرة عندما كانت إغارته تقتحم كل إقليم، واستولى على الممالك الثائرة أسرى بقوة والده «آمون» الذي كتب له القوة المظفرة، وإنه يضع نفسه أمامه بقلب منشرح، مقدمًا الحماية لابنه، وواهبًا إياه الجنوب والشمال، والغرب والشرق، وأولئك الذين يغيرون على تخومه قد جمعوا سويًّا، وأسلموا ليده، ولا يوجد من يضع يديه جانبًا؛ أي كانوا جميعًا في الأغلال؛ سيق رؤساؤهم أسرى أحياء، وجزيتهم على ظهورهم، وقدمهم لوالده الفاخر «آمون»، ولجماعة الآلهة لأجل أن يملئوا مستودعاتهم بالعبيد والإماء من أسارى كل مملكة. تأمل لقد كان جلالته في المدينة الجنوبية «طيبة» يقوم بالأحفال السارة لوالده آمون رع رب طيبة …

(الجزء الباقي من اللوحة ضائع).

والمدهش هنا أن الأستاذ «برستد» قد استنبط بسهولة من مخيلته أن الجزء الضائع لا بد قد ذُكر فيه: أن رسولًا أتى إلى الفرعون وأعلنه بقيام المناوشات على الحدود اللوبية، معتمدًا في استنباطه هذا على ما جاء في لوحة «كونوسو» التي ترجع لعهد «تحتمس الرابع»؛ حيث نجد أن نظام الكلام فيها يكاد يكون نسخة واحدة (راجع مصر القديمة الجزء الخامس)، وليس لدينا معلومات يقينية تدل على الحرب التي كانت تشير إليها نقوش هذه اللوحة، على الرغم من وجه الشبه بينها، وبين لوحة «تحتمس الرابع».

وكذلك يميل الأستاذ «برستد» إلى تأريخ الحرب مع «لوبيا» بالسنة الثانية؛ أي قبل قيام الحملة الثانية التي قام بها «سيتي الأول» على الأقاليم الأسيوية، غير أنه بذلك يتجاهل أي ترتيب تاريخي جاء على الآثار الأصلية المصورة على جدران معبد الكرنك — كما أشرنا إلى ذلك من قبل — وحجته في ذلك أن «سيتي الأول» يمكن أن يكون قد أمضى الجزء الأكبر من هذه السنة في الدلتا، وهذا قول مردود؛ إذ من الجائز وجود أسباب أخرى لمكثه هناك، وبخاصة أن عاصمة البلاد كانت في الشمال، هذا بالإضافة إلى أنه يحتمل جدًّا أن يكون مكثه هناك طلبًا للنزهة، كما يدل المعنى اللغوي للفظه الذي عبر به عن سبب بقائه في هذه الجهة،[٢٧] وعلى أية حال فإن وضع نقوش حروب «لوبيا» في مناظر الكرنك بين نقوش الاستيلاء على «قادش»، وبين نقوش الانتصارات على مملكة «خيتا» دليل كافٍ على أن هذه الحروب قد وقعت في فترة بين هاتين الحادثتين.[٢٨]

الحملة على بلاد لوبيا

يدل كل ما لدينا من معلومات على أن «سيتي الأول» كان أول فرعون دافع عن بلاده بصفة جدية أمام عدوان اللوبيين، ولا نعلم عن هذه الحروب شيئًا يُذكَرُ؛ إذ لم تصلنا أية وثيقة خاصة إذا استثنينا النقوش التي بقيت لنا على جدران معبد الكرنك؛ وقد جاء فيها ذكر هؤلاء اللوبيين باسم «تحنو»، ونعلم من ملابس هؤلاء الغزاة أنهم من قبائل «المشوش»، وإن كانوا لم يُذكروا بهذا الاسم صراحة، وقد ذكرت قبائل «المشوش» لأول مرة في التاريخ المصري على الآثار المنسوبة للفرعون «تحتمس الثالث»،[٢٩] وليس لدينا أية تفاصيل عن هذه الحروب، ومن المحتمل أنه على حسب ما جاء في نقوش «الكرنك» قد حارب «سيتي» في واقعتين، ولا يمكننا أن نحدد تاريخهما إلا إذا اعتمدنا على ما استنبطه الأثري «فولكنر»، وهو أن الحرب قامت بين الأمتين في فترة تقع بين استيلاء «سيتي» على «قادش»، وبين حروبه مع بلاد «خيتا» كما ذكرنا. ويعزز هذا الرأي ما جاء على لوحة أقامها «سيتي» جاء فيها أن «رنتو» قد أتوا منحنين، و«التحنو» جاءوا ساجدين؛ وبذلك أشبع الفرعون نفسه بقدر ما يريد من أرض «خيتا» الخاسئة. أما قول «برستد» أنه أشعل نار الحرب في السنة الثانية، فلا يرتكز على أي دليل قاطع، كما أسلفنا. وتتلخص نقوش الكرنك عن حروب «لوبيا» في صور تقليدية لا يمكن استنباط حوادث تاريخية منها، فكل ما نشاهده فيها ينحصر في منظرين لموقعتين، ثم العودة إلى مصر، وتقديم الأسرى للإله «آمون»، وتضحية بعضهم أمام هذا الإله. ومما يلفت النظر في هذه الصور قوة تمثيلها،

وحسن تنسيقها؛ مما جعلها تُعد من أحسن ما أخرجه المفتن المصري في هذا الباب بالنسبة لعصرها.

ونشاهد بين صور هذه المناظر صورة «رعمسيس الثاني»، ولكنها ليست أصلية، بل أضيفت فيما بعد؛ ولذلك أصبحت قيمتها التاريخية مشكوكًا فيها، وقد ظن الأستاذ «برستد» أن صورة «رعمسيس الثاني» هنا كانت قد وضعت مكان صورة أخ أكبر له، ويحتمل أنه هو الذي جاء ذكره في حروب «الشاسو» كما أسلفنا، ولكن ليس لدينا برهان بيِّن على صدق ذلك، ومن هنا ينكر المؤرخ «كيث سيلي» هذه النظرية[٣٠] إذ يقول: «إن نقوش حروب «سيتي الأول» التي على جدران الكرنك لا تحتوي إلا على صورة أمير واحد، وهي صورة أصلية ومعاصرة لنقوش «سيتي»، وقد فُقد اسم هذا الأمير ولم يبقَ منه إلا إشارة واحدة، والقراءة التي اقترحها «فيدمان» لهذا الاسم وهي: «آمون نفرنبف» لا ترتكز على شيء من الحقيقة.

ولكن يلفت النظر وجود تابوتين خاصين بأمير يُدعى «رعمسسو»، أو «بارعمسسو» واحد منهما عثر عليه في مدينة «هابو»، والثاني في بلدة «غراب»، غير أنه بعد أن تم صنع هذين التابوتين أضيف لقب ابن الملك،[٣١] ثم عبارة محبوب «آمون»، وسيد أهل عين «شمس» لاسمه.» وقد عثر على تابوت مدينة «هابو» في قعر حفرة عميقة لم تكن قد استُعملت قط للدفن، أما تابوت «غراب» فكان يحتوي على بقايا رجل لم يكن قد بلغ الثلاثين ربيعًا، وكان أحدب الظهر، ويظهر عليه أنه كان قعيدًا، وليس لدينا برهان بيِّن على اسم الفرعون الذي كان ينتسب إليه هذا الأمير، غير أن «برنتون» قد نسج قصة عريضة في نسبة هذا الأمير، وانتهى به خياله في آخر الأمر إلى أنه كان ابن «سيتي الأول»،[٣٢] وبذلك يكون الأمير «رعمسسو مري آمون نب خنمت» هو الأخ الأكبر للفرعون «رعمسيس الثاني»، وقد يحتمل، أو لا يحتمل، أنه هو الأمير الذي رُسم في نقوش حروب «شاسو» على جدران معبد الكرنك، والواقع أن إخفاء تابوته الداخلي في «مدينة هابو»، ودفنه في التابوت الخارجي في «غراب» يُعد من الأمور المدهشة المحيرة، على أن موضع التابوت الداخلي يُشعر بأنه قد أُريد إخفاؤه عن قصد؛ هذا بالإضافة إلى أن اسم الأمير الذي في نقوش «الشاسو» قد مُحي عن قصد أيضًا، ولكن إذا كانت هذه الشواهد تدل على وجود أمير أكبر سنًّا من «رعمسيس الثاني»، وأنه قد أُقصي عن تولي العرش، ومُحيت شخصيته عمدًا، فإنه لا يمكننا مع ذلك أن نعود على «رعمسيس الثاني» باللائمة كما فعل «برستد»؛ لأنه كان لا يزال صبيًّا لم يتجاوز الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من عمره عندما توفي أخوه الأكبر، وعلى ذلك يظهر أن محو الاسم كان بأمر من «سيتي» نفسه، ولكن السبب الذي دعاه إلى ذلك لا يمكن الإدلاء به إلا عن طريق الحدس والتخمين ما دامت الوثائق التاريخية لم تسعفنا.

(٤-٢) دولة خيتا، وقيام الحروب بينها وبين سيتي الأول

لقد رأينا — فيما سبق — أن حروب «سيتي الأول» مع «الشاسو» لم تكن مقدمة للحملة التي قام بها على أهالي «رتنو» العليا والسفلى معًا، وكذلك يظهر أن الحروب مع «لوبيا» كانت قد سبقت حروبًا أهم خطرًا شنتها على مملكة «خيتا»، على أننا لا نعرف في الحقيقة تواريخ هذه الحروب كلها إلا على حسب موقعها، وترتيبها في نقوش معبد الكرنك التي تركها لنا «سيتي الأول».

وكان «سيتي الأول» بعد أن أمَّن طرق مواصلاته البحرية بالاستيلاء على بعض الموانى الفينيقية استطاع تموين جيوشه، وإمدادها بالجنود والعتاد، وذلك على غرار ما فعله «تحتمس الثالث»؛ وبذلك أصبح في استطاعته السير في داخل الأقطار السورية، والاستيلاء عليها، وقد زحف حتى وصل إلى نهر «الأرنت»؛ حيث تقابلت جموعه مع جيش «خيتا» في أول موقعة بين البلدين. ويظن الأستاذ «برستد» أن «سيتي الأول» قد وصل شمالًا حتى «نهرين»، كما يدعي ذلك «سيتي» في قائمة البلدان التي فتحها، غير أن ذلك لم يفُت في عضد دولة «خيتا»، وبقيت مهيبة الجانب، ولم يكن في استطاعة «سيتي» أن يحتفظ لنفسه بتخوم ثابتة في الشمال أكثر من مساحة يحدها خط يمتد شرقًا وغربًا من الساحل الفينيقي حتى «حوران». وعلى أية حال فإن ما وصل إليه «سيتي الأول» بعد تفكك الدولة المصرية في نهاية حكم «إخناتون» يعد مجهودًا جبارًا من جانب هذا العاهل، وقد كان من نصيب «رعمسيس الثاني» ابنه أن يواصل الكفاح الطويل المرير للاستيلاء ثانية على أعالي نهر «الأرنت»، ويُخضعها لسلطان مصر.

ونشاهد في آخر حملة سجلها «سيتي الأول» على جدران معبد الكرنك أنه التحم مع جيش «خيتا»، وهزمه واستولى منه على أسرى وغنائم، ولكن من جهة أخرى لا نعرف الأسباب المباشرة التي دعت «سيتي الأول» لإعلان الحرب على مملكة «خيتا»، ولا بد أنه كان هناك سبب مِلِح أجبره على القيام بهذه الحروب، غير أننا من جهة أخرى نعلم أن التقاليد الفرعونية قد لعبت دورها في هذا الموضوع بالذات؛ فقد كان من عادة الفراعنة أن يقوم الفرعون عند تولي عرش الملك بشنِّ الغارات والفتح ليثبت لشعبه أنه جدير بملك الفراعنة. وقد ذكر لنا «خاتوسيل» ملك «خيتا» باختصار أنه قام بالحرب على مصر، فسار بمشاته وفرسانه الذين أمكنه جمعهم لمنازلة عدوه، ولا شك في أن ذلك لا يعني إلا أن ملك «خيتا» قد تقابل مع ملك مصر في موقعة «قادش». وقد حدَّثنا ملك «خيتا» كذلك بأنه حاول تفادي الحرب مع مصر؛ لأنه لم يكن يطمع في طلب الفخر أو الشهرة، وأنه على وجه عام يمقت الحروب، وهذا كل ما وصلنا من وثائق «خيتا» عن حروبها مع «سيتي الأول»؛ وبذلك أصبح مصدرنا الوحيد عن حروب «خيتا» مع مصر هو — كما قلنا — ما جاء في نقوش جدران الكرنك التي لم تدوَّن فيها في الواقع إلا بعض حوادث فردية خاصة بالفرعون وغيره، فنرى — مثلًا — «سيتي» مصورًا في منظر (كما جرت التقاليد) ممتطيًا عربته، وشادًّا قوسه، ومفوقًا سهمه في معمعة المعركة؛ ليقضي على الأعداء الذين كانوا يجرءون على الوقوف أمامه، بل كانوا يولون الأدبار، وهنا يشاهد سائق عربة أحد الرؤساء من الأعداء قد أصيب؛ فيقود الرئيس عربته بنفسه طالبًا النجاة، ولكنه يسقط بدوره في حومة

الوغى أمام الفرعون، وكذلك فعل غيره؛ فامتطوا صهوة الجياد، وأرخوا لها العنان نجاة بالنفس، وقد كدِّست ساحة القتال بأكوام القتلى والجرحى؛ ثم نرى في آخر الأمر طوائف من الأسرى يُساقون إلى مصر، ويقدمون إلى ثالوث آلهة معبد الكرنك: «آمون»، و«موت»، و«خنسو» عبيدًا وقربانًا.

وليس لدينا تفاصيل عن الواقعة غير ما ذكرنا، أما المتن الوحيد الطويل الذي يحدثنا عن هذه الحروب فيصف الفرعون وشدة بأسه في الحروب وشجاعته، وهو:

> حور الثور القوي، الظاهر في طيبة، محيي الأرضين، ملك الوجه القبلي والبحري، رب الأرضين، شديد البأس، الشجاع مثل «منتو»، وأشجع الشجعان مثل من أنجبه، مضيء الأرضين مثل إله الأفق، العظيم القوة مثل ابن «نوت»، والمنتصر؛ وهو حور المزدوج (أي يمثل حور وست)، ومن يطأ ميدان القتال مثل «ست» (إله الحرب)، ومن الفزع منه عظيم مثل «بعل» (إله القوة) في الممالك الأجنبية، محبوب الإلهتين وهو لا يزال في العش (أي المهد)؛ لأن قوته قد حمت مصر، ومن جعل «رع» حدوده حتى الحدود التي يضيئها «آتون»، والصقر المقدس ذو الريش اللامع، والسائح في السماء مثل جلالة «رع»، والذئب الجائل، والذي يدور حول هذه الأرض في لحظة، والأسد ذو العين المفترسة، ومن يشق طريقه في المسالك الوعرة في كل مملكة، والثور القوي صاحب القرن المهيأ للهجوم، وصاحب القلب الشديد، والضارب الأسيويين، ومخضِع «خيتا»، وذابح رؤسائهم، ومخضبهم بدمائهم، والهاجم في وسطهم كأنه لسان اللهب؛ فيجعلهم كأن لم يغنوا بالأمس.

ومن ذلك نرى أن «سيتي» كان يصف شجاعته وقوته كما فعل غيره من الملوك في مثل هذه المشاهد الحربية (راجع Br. A. R. III, § 144).

ولا نعرف على وجه التأكيد المكان الذي دارت فيه رحى القتال، غير أنه مما لا شك فيه أنها قد وقعت في مكان شمالي بلدة «قادش»، إذ نعلم أن «سيتي الأول» قد وصل فعلًا إلى بلدة «قادش» واستولى عليها، ولا أدل على ذلك من العثور على لوحة في «تل نبي مند»، وهو المكان الذي يمثل دمن هذه المدينة التاريخية العظيمة، واللوحة من حجر البازلت، وقد عُثر عليها على عمق مترين من سطح الأرض، وتدل شواهد الأحوال على أنها لم تُنقل إلى هذا المكان، وقد نُقشت عليها صورة «سيتي الأول» واقفًا — يقبض بيده على سيفه (خبش) رمزًا للنصر الذي أحرزه — أمام الآلهة التالية: «آمون»، و«ستخ»، و«منتو»، و«خنسو».

ومما يؤسف له أن الجزء الأسفل من هذه اللوحة قد فُقد،[٣٣] ولا بد أنها كانت قد أُقيمت في هذا المكان بطبيعة الحال تشييدًا لانتصارات «سيتي» على «مورسيل» عاهل «خيتا».

وتدل النتائج على أن انتصار «سيتي» لم يكن حاسمًا؛ لأنه لم يؤثر تأثيرًا ماديًّا على قوة «خيتا» كما أشرنا إلى ذلك من قبل؛ لأنه على الرغم من سيطرة المصريين مؤقتًا على جزء من شمالي سهل سوريا — وليس لدينا من المبررات القوية ما يحملنا على الشك فيما ادعاه «سيتي» في قوائم البلاد المغلوبة التي فتحها، أو تغلَّب عليها، وبخاصة قائمة «بولهول» السالفة الذكر، وتحتوي على بعض أسماء الأماكن المألوفة لنا من قبل مثل «قطنا»،[٣٤] و«تونب» — فليس هناك من شك في أن «سيتي» في نهاية الأمر قد أفلتت من يده كل فتوحه التي أحرزها في أقصى الشمال؛ وقد نسيت بطبيعة الحال أخبار الحروب التي لم يحالف النصر فيها مصر بعد هذه الواقعة؛ إذ لم يدوِّنها المصريون، ولقد كان لزامًا على «رعمسيس الثاني» خلف «سيتي» في حملته الأولى أن يستولي على «بيروت» بقوة السيف، ومن المحتمل إذن أن صارت حدود إمبراطورية «سيتي الأول» الأسيوية عند نهاية حروبه تمتد شرقًا من مصب نهر «الكلب»، وكانت كل من مدينة «صيدا» و«مجدو» و«بيسان» مستعمَلة قواعد حربية، والظاهر أن «سيتي الأول» لما رأى عجزه عن القيام بأي توسيع في رقعة إمبراطوريته في داخل سوريا عقد معاهدة مع ملك «خيتا» المسمى «مواتالو»، ولم يشهد بعد ذلك الصلح أية حروب[٣٥] أخرى حتى وفاته، على ما نعلم.

وعلى الرغم من أن «سيتي الأول» لم يوفَّق لإعادة الإمبراطورية المصرية في آسيا لما كانت عليه — يومًا ما — من الاتساع والعظمة في عهد الأسرة الثامنة عشرة، فإنه مع ذلك قد أفلح إلى حدٍّ كبير في إعادة السيطرة المصرية على كل «فلسطين»، بل من المحتمل على جزء من جنوبي سوريا أيضًا، ولا نزاع في أن ذلك كان عملًا جليلًا، وبخاصة إذا علمنا أنه قد وصل إلى ما وصل إليه في نضاله أمام دولة قوية مثل دولة «خيتا» في الشمال، وقد كانت تناضل مصر بقوة عظيمة، وتقف لها بالمرصاد بجيوشها الجرارة، وربما كان من الخير لكل من الدولتين أن يتريث «رعمسيس الثاني» عندما تولى الحكم، ويعرف الموقف الحربي على حقيقته، ولم يندفع في حروب طاحنة مع تلك الدولة القوية.

حقًّا نقرأ في القوائم التي تركها لنا «سيتي الأول» أنه تغلب على «خيتا»، و«نهرين»، و«آلاشيا» (قبرص)، وغيرها من البلدان، ولكن هذه الادعاءات العريضة المبهمة لا يصح أن تؤخذ بصفة جدية، بل إلى حد محدود يقرره الواقع، إذ لا يمكن أن نسلم أنه هزم «خيتا»، واستولى عليها أو على إقليم من أقاليمها الشمالية. ولا جدال في أن «سيتي» شعر في أعماق نفسه بما كان يشعر به أجداده من الزهو وحب العظمة، فلم يتأخر طرفة عين عن تدوين قصة انتصاراته على جدران المعابد بصورة لا تقل في فخامتها عما أحرزه أجداده الأماجد أمثال «تحتمس الثالث»، و«أمنحتب الثاني» من فتوح. وإذا ضربنا صفحًا عن أمثال هذه الادعاءات الضخمة المبهمة فإنه لا يوجد لدينا ما يمنع من تصديق ما جاء في قوائم فتوحه التي عددت لنا بدقة تفاصيل أسماء المدن والأصقاع، وبخاصة إذا عرفنا أن أسماء هذه الأماكن، وما يمكن تحقيقه منها يتفق عقلًا من خطط حروب «سيتي الأول» كما نعرفها من الوجهة الجغرافية.

(٣) سيتي الأول وبلاد النوبة

يظهر أن «سيتي الأول» كان قد قام ببعض حملات في بلاد النوبة، غير أننا لا نعلم إذا كان قد سار بها من تلقاء نفسه في عهده هو، أو كان قد أرسله والده على رأسها؛ فقد عُثر على لوحة في «وادي حلفا» تكاد تكون صورة مطابقة للَّوحة التي أقامها «رعمسيس الأول» والده في نفس المكان، وقد أُرِّخت بالسنة الأولى من حكمه، وقد جاء ما فيها مثبتًا للقرابين التي قربها «رعمسيس الأول» في أقصى الجنوب من المعبدين القائمين في «وادي حلفا»، وهذه اللوحة تشير كذلك إلى أسرى؛ ولذلك يُعتقد أنها تقليد أعمى للوحة القديمة. وعلى أية حال، فقد عُثر على لوحة أخرى للملك «سيتي الأول» تشيد بذكره على أنه هو الذي مدَّ حدوده في بلاد السود بوصفهم أسرى أحياء لجلالته.[٣٦] هذا غير لوحة داخل مقياس النيل القديم في «إلفنتين» يشاهد عليها صورة «سيتي الأول» يتعبد للإلهين «خنوم»، و«آمون رع».

والمتن الذي على هذه اللوحة هو دعاء للإله «خنوم»، وما أسبغه على الفرعون من نِعَم، فيقول: «لقد أعطيتني الجنوب والشمال، والغرب والشرق التي أضحت تحت نعلي.»[٣٧] وبالقرب من هذه اللوحة نجد على صخرة صورة «سيتي الأول»، وهو يضرب عدوًّا من الجنوب على الطريقة التقليدية المألوفة كما نشاهد «أمنمأبت»[٣٨] نائب بلاد النوبة يتعبد إليه، وكذلك نجد على مسافة من النقش السالف نحو أعالي النهر «أمنمأبت» نفسه قد نحت منظرًا في الصخر يشاهد فيه «سيتي الأول» يذبح عدوًّا، أما المتن الذي نُقش هناك فيحتوي على مدائح عادية للفرعون، ويشمل بعض جمل طريفة في بابها فيقول: «الملك الشجاع الذي جعل حدوده حتى قرون الأرض … هادمًا مدنهم … وأهل الجنوب يأتون إليه خاضعين، وأهل الشمال يأتون إليه ساجدين.»[٣٩]

وربما دلت هذه الجمل على غزو قام في بلاد النوبة، أو قد تكون — وهو الأصح — كلمات جوفاء من نوع الملق الرخيص الذي كان يكيله نائب بلاد النوبة لمليكه، كما نسمع أمثال ذلك الإطراء في كل زمان ومكان.

وقد عثر الدكتور «ريزنر» على لوحة في جبل «بركل» عند الشلال الرابع مؤرَّخة بالسنة الحادية عشرة من حكم «سيتي الأول»، تحدثنا عنه بوصفه أسدًا على بلاد «خارو» (سوريا)، وثورًا على الكوش،[٤٠] وهذه اللوحة من الأهمية بمكان لأنها تقدم لنا أرفع سنة في حكم «سيتي الأول»، وهي السنة الحادية عشرة، وتدل شواهد الأحوال على أن الغرض من إقامة هذه اللوحة في هذه البقعة النائية ديني؛ إذ يدل ما بقي لنا منها على أنها تخليد لذكرى إعادة بناء معبد آمون بوجه خاص، وكذلك يشير سطر من نقوش اللوحة إلى نبوءة وقعت على ما يظهر قبل أن يبتدئ «سيتي» حكمه، وهي: «أن من أنجبه مبجل وأنه سيكون ملكا على الجماهير (؟) …» وتوجد نبوءة أخرى وقعت عند اعتلاء «سيتي» عرش الملك، وقد جاء ذكرها في النقوش التي خلفها لنا في معبد «سبيوس أرتيميدوس Sepios

Artimedos» (هو المعروف بإصطبل عنتر)؛ حيث نقرأ أن الإله «تحوت» يقول (بفمه نفسه): إن ابني سيعتلي العرش جالسًا على سريره مخلدًا، ابن الشمس «سيتي مرنبتاح»،[٤١] وكذلك نجد نبوءة أخرى على لوحة «نوري» العظيمة؛ حيث يقول: «إن رع صوَّر جلالته، وأنه هو الذي أبدع جماله، وقد عرف أنه سيختاره من بين ألف الألف ليكون ملكًا على الوجه القبلي والوجه البحري».[٤٢]

ويدل كل ما لدينا من وثائق على أن «سيتي الأول» لم يستعمل أسطورة الولادة الإلهية التي تدل على أنه منحدر من صلب الإله مباشرة، وهي التي كان يستعملها الفراعنة عندما تعوزهم الأسباب المبررة لاعتلاء العرش؛ ولكنا سنرى أن ابنه «رعمسيس الثاني» قد استعملها.

(٤) مكانة سيتي في التاريخ

ولا نزاع في أن التاريخ سيحفظ لـ «سيتي الأول» أجمل الذكريات، فقد أفلح في إعادة ما يقرب من نصف إمبراطورية مصر في آسيا، كما أمن طرق المواصلات بين بلاده وبين «فلسطين»، وأزال الخطر الذي كان يتهدد البلاد من ناحية بلاد «لوبيا»، وقد أفلح في ذلك فلاحًا عظيمًا لدرجة أن هؤلاء القوم لم يجسروا على القيام بأية محاولة أخرى للإغارة على مصر حتى عهد الفرعون «مرنبتاح» حفيده. وأخيرًا، يظهر أنه قد قمع الثورات التي قام بها أهل النوبة، وبذلك مهد السبيل لتثمير مناجم الذهب، وهو مشروع كان تصميمه في نفسه منذ أن تولى العرش.

ولا شك في أن كل هذه الأعمال كانت لها قيمتها العظيمة في أعين الشعب المصري، ولا بد أنه كان ينظر إليها بعين الإعجاب والتقدير، وبخاصة بعد أن بقيت البلاد في خمول وضعف سنين عدة، ولا يبعد أن رجلًا أقل عزيمة وأصالة رأي من «سيتي» كان يركب رأسه بما قال من ظفر وفتح عظيم؛ فيقوم بحروب أخرى كانت تعرِّض بلا شك كل ما كسبه للضياع والدمار، وبخاصة أمام دولة فتية قوية مثل «خيتا»، ولكن «سيتي» بتجاربه الحربية قد رأى بعين فاحصة أنه قد ذهب في فتوحه إلى الحد الذي تتحمله البلاد، ومواردها وحسب.

حقًّا إن الإمبراطورية المصرية في آسيا لم تمتد رقعتها في عهده إلى ما كانت عليه في زمن «تحتمس الثالث»، ولكن ذلك لم يكن لنقص في روح «سيتي» الحربي، بل لحسن تقديره للأمور، فقد لمس بنفسه عندما قابل رجال الجيش المصري جيش «خيتا» للمرة الأولى في وقعة حربية أنه يحارب جيشًا أشد بأسًا، وأعظم بطشًا من سلفه الذي حارب «تحتمس الثالث» بقيادة ملك «قادش» يؤازره حلفاء عديدون، ومن ثم رأى «سيتي» أن مصر لم يحن لها الوقت بعد لمنازلة مثل هذا العدو الجبار، وأنه لا فائدة من استمرار الحروب للاستيلاء على وادي «الأرنت»؛ إذ قد يدعو ذلك إلى إطالة أمد حرب مضنية

مهلكة قد تكون نتائجها كارثة على مصر؛ ولذلك اتخذ سبيل الحذر والحرص، وعقد معاهدة مع الملك «مواتالو» عاهل «خيتا» القوية، ومتن هذه المعاهدة لم يصل إلينا بعد، ولكنا نعلم وجوده من إشارة ذكرها ملك «خيتا» المسمى «خاتوسيل الثاني» في المعاهدة التي أبرمها مع «رعمسيس الثاني»؛ إذ جاء فيها: «وكذلك المعاهدة السابقة التي كانت في عهد «مواتالو» والدي، فإني سأتمسك بما جاء فيها، تأمل فإن رعمسيس محبوب «آمون» حاكم مصر العظيم سيتمسك بها معي أيضًا منذ هذا اليوم.»[٤٣] وسنفصل القول في ذلك في حينه.

(٥) نشاط سيتي الأول داخل البلاد

بعد أن أخذ «سيتي الأول» في إعادة جزء كبير من أملاك الإمبراطورية المصرية بحروبه المظفرة بدأ في الوقت نفسه، على ما يظهر، يفكر في إصلاح ما تخرب من معابد الآلهة على يد «إخناتون» وشيعته، وكذلك فكر في إقامة المعابد الجديدة للآلهة العظام الذين كانوا يمدونه بالنصر في ساحة القتال اعترافًا منه بحسن صنيعهم له، ولرفع شأنهم في أعين الشعب بعد أن ظلوا ردحًا من الزمن مكبوتين متروكين في زوايا النسيان، لا يجرؤ أحد على ذكر اسم واحد منهم، أو عبادته علانية.

والمباني التي أقامها «سيتي الأول» وهي التي لم تزَل باقية حتى الآن عديدة، وعلى وجه عام جميلة الصنع لدرجة كبيرة، وتمتد بقاياها من شرقي نهر «الأردن»، وشبه جزيرة سيناء، مخترقة أرض الكنانة، ومصعدة حتى «سسبي» الواقعة خلف «سمنة» معقل الحدود المصرية القديمة في الجنوب، بل وجدت كذلك في «بركل» بالقرب من الشلال الرابع، وسنتحدث هنا عن عمائره على حسب أهميتها وضخامتها.

(٥-١) قاعة العمد العظمى بالكرنك

ذكرنا فيما سبق أن «سيتي الأول» قد قام بنصيب وافر في تشييد قاعة العمد الكبرى بالكرنك في أثناء اشتراكه مع والده «رعمسيس الأول» في الحكم؛ وتدل شواهد الأحوال على أن هذه القاعة كان قد تم بناؤها عند موت «رعمسيس الأول»، وكذلك كان قد بدئ في تزيينها بالنقوش والصور، فلما تولى «سيتي» تابع تزيينها مستعملًا النقوش البارزة الجميلة التي ميزت بها آثاره، وقد أشرك معه فيما بعد ابنه الصغير «رعمسيس الثاني» في الحكم، وجعل له نصيبًا وافرًا في إتمام هذه القاعة العظيمة، ولما مات والده أنجز ما بقي من نقوشها وزخرفها.[٤٤]

(٥-٢) العرابة المدفونة

لقد أظهر «سيتي الأول» منذ باكورة حكمه ميلًا عظيمًا بارزًا لمدينة «العرابة» المقدسة كما تحدثنا عن ذلك لوحة «نوري» التي سنفصل فيها القول فيما بعد، ويرجع تاريخ هذا الاهتمام إلى السنة الرابعة من حكمه، إذ نعلم أنه في هذا التاريخ قد أسس معبدًا يسمى «بيت من ماعت رع راحة القلب في العرابة»، وهذا البناء لم نستطع تحديد حقيقته بصفة قاطعة، فيظن بعض المؤرخين أنه هو الاسم العلم الذي يطلق على معبد العرابة المشهور الذي أقامه «سيتي»، وفي اعتقادي أن هذا هو الرأي الصحيح،[٤٥] إذ يقولون: إنه أحد أسماء معبد العرابة. وقد وُجد هذا الاسم على لوحة «نوري» بصور أخرى،[٤٦] وهذا المعبد بعينه قد جاء ذكره على لوحة وُجدت في «العرابة»، وكذلك نجده مذكورًا في معبد «بوهن» الواقع بالقرب من «حلفا» باسم «بيت من ماعت رع»،[٤٧] وكذلك على اللوحة رقم ٩٢ بمتحف «اللوفر»، وهي التي أهداها شخص يُدعى «رِر»، وكان يُلقب كاتب الملك، ورئيس بيت هذا المعبد، غير أننا على الرغم من كل ذلك نجد أن اسم معبد «سيتي» العظيم قد ذكر على جدرانه، وكذلك على جدران معبد وادي مياه أو «وادي عباد» بصفة مختصرة هكذا: «بيت من ماعت رع» (راجع Gauthier Dic, Geog. IV, p. 72)،[٤٨] على أنه لا يمكن توحيده بالمعبد المسمى «راحة القلب» بمعبد «أوزيريون» الذي يقعد بجوار معبد «سيتي» الكبير؛ لأن اسم معبد «الأوزيريون» هو «آخ من ماعت رع» (له الحياة والفلاح والصحة) لأوزير (راجع Porter & Moss VI, p. 29 ff.)، ومن المحتمل إذن أنه كان اسم معبد «أوزير» القديم الذي كان قد عمل فيه «سيتي الأول» بعض الإصلاحات كما يقول «جرفث» (راجع Pertrie Abydos II, pl. XXXV & Griffith J. E. A., Vol. XIII, p. 206).

(٥-٣) معبد العرابة الكبير

لا نزاع في أن أشهر معبد أقامه «سيتي الأول» في البلاد المصرية وفي غيرها من بلدان الإمبراطورية المصرية هو المعبد الكبير الذي كانت تعظم فيه شعائر آلهة مصر الستة الهامة في «العرابة»، وكذلك كانت تقام فيه الشعائر الجنازية لملوك مصر القدامى، هذا إلى أنه كان في الوقت نفسه يعد معبدًا جنازيًّا لـ «سيتي الأول» نفسه، وهذا المعبد هو المعروف باسم «بيت من ماعت رع»، أو باسمه المطول «البيت الفاخر لملايين السنين لصاحبه ملك الوجه القبلي والوجه البحري من ماعت رع.»

ويقع المعبد على مسيرة سبعة كيلومترات من النيل، وقد كان يصل إليه الحجاج في الأزمان الغابرة بوساطة قناة تخرج من النيل حتى جوار المعبد نفسه.

وهذا المعبد الفخم بما يحتويه من نقوش بارزة أنيقة الصنع حفظت ألوان بعضها حتى الآن يعد من أثمن الذخائر الفنية التي ورثناها عن العالم القديم. ومما يؤسف له أن «سيتي» لم تمتد به السنون لإنجاز هذا العمل الفني المنقطع النظير بأكمله. وقد كان لابنه «رعمسيس الثاني» شرف إتمام ما بدأه والده، غير أن «رعمسيس» لم يحافظ في إنجازه على المستوى الفني الرفيع الذي اختطه والده؛ ولذلك يرى المفتن، بل الشخص العادي الفرق واضحًا بين

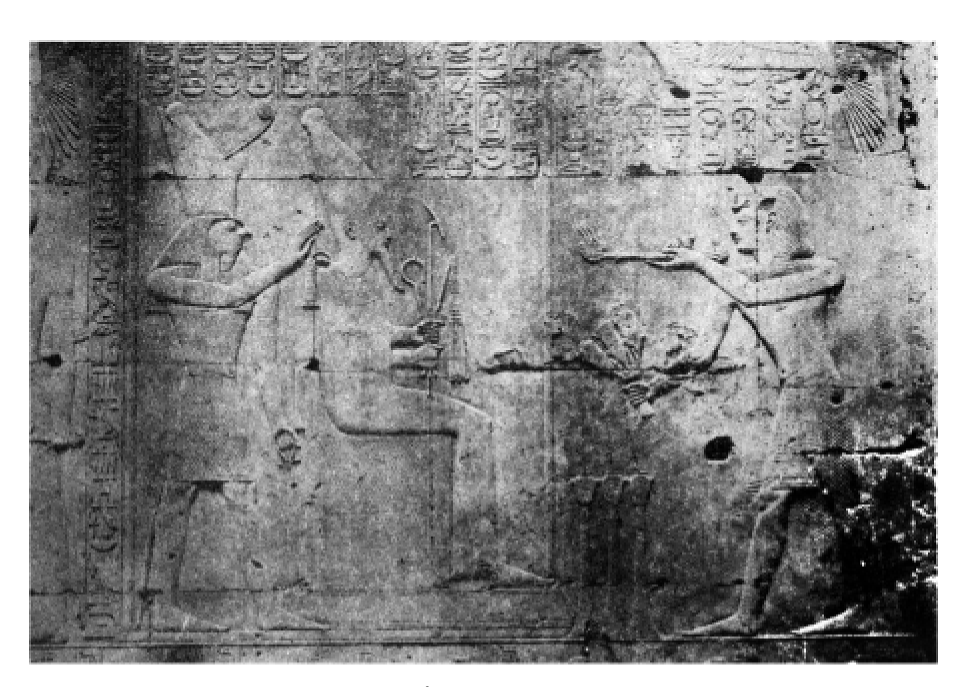
جمال ما أقامه «سيتي» وقبح ما أنجزه «رعمسيس الثاني» في هذا المعبد، وبخاصة أنه قد قام ببعض تغييرات في البناء الذي رفعه «سيتي» لم يمكن حتى الآن معرفة ما كان يقصد بها. وتخطيط معبد «العرابة» فريد في بابه؛ إذ قد وضع تصميمه على صورة زاوية قائمة ⊥ بدلًا من الشكل المستطيل المعتاد المتبع في تخطيط المعابد، على أنه قد يكون الداعي للانحراف عن اتباع الشكل المألوف وجود معبد آخر بجواره يحتوي على مبانٍ سفلية سرية، وهو المعبد المعروف الآن باسم «الأوزريون» أو الضريح، وسنتناول الحديث عنه في حينه.

وهذا المعبد على ما هو عليه الآن غير كامل لما أصابه من تهديم وتخريب، فلم يبقَ من بوابته الفخمة وردهته الخارجية العظيمة إلا دمن ضئيلة لا يزال عليها بقايا بعض زينة متناثرة من عهد «رعمسيس الثاني»، وكذلك الردهة الثانية التي زينها «رعمسيس الثاني» لم يبقَ منها إلا القليل؛ وفي نهاية هذه الردهة الأخيرة ممرٌّ مزين بالعمد المستطيلة الشكل يوصل إلى قاعة العمد الأولى التي يبلغ طولها نحو واحد وسبعين ومائة قدم، وعرضها حوالي ستة وثلاثين قدمًا. ويرتكز سقف هذه القاعة على أربعة وعشرين عمودًا، كل منها مثل في صورة حزمة من البردي، أما تيجانها فعلى هيئة زهرة لم تفتح بعد، وقد نظمت هذه العمد في صفين في مجاميع مؤلفة كل منها من عمودين؛ وبذلك يتخلف بينها سبعة ممرَّات متصلة بعدد مماثل من الممرَّات أو الطرقات في قاعة العمد الثانية، وهذه الطرقات أو الممرَّات تؤدي في نهايتها إلى سبعة المحاريب التي خُصصت لآلهة القطر الستة العظام، ولمحراب «سيتي الأول» الذي كان يُعد إلهًا في هذا المعبد أيضًا، وهكذا كانت مواكب الآلهة التي ابتدعت من أجلها هذه الطرقات على هذا النمط تدخل من الردهة الأمامية، وتتخذ سبيلها صاعدة في هذه الطرقات السبع مخترقة قاعتي العمد؛ فتتقدم مصعدة تدريجًا حتى تصل إلى المحاريب السبعة المقدسة التي كان يأوي إليها الآلهة، غير أن «رعمسيس الثاني» — لسبب غاب عنا — قد أقام جدارًا منخفضًا حاجزًا بين ثلاثة العمد الخارجية المربعة الشكل الواقعة على الجانب الشرقي، وبين العمودين الثاني والثالث الواقعين على الجهة الغربية؛ وبذلك أغلق المدخل المباشر للطريق التي بين العمد المؤدية إلى محاريب كل من «سيتي الأول»، والإله «بتاح»، والإله «حور اختي»، والإلهة «إزيس»، ولم يترك بذلك منافذ إلا لمحاريب كل من الإله «آمون»، والإله «أوزير»، والإله «حور».

والنقوش التي زُخرفت بها قاعة العمد الأولى من النوع الرخيص الذي أصبح طرازًا خاصًّا لـ «رعمسيس الثاني» في جميع نقوش مبانيه الدينية المعروفة على وجه عام، وسقف قاعة العمد الثانية محمول على ستة وثلاثين عمودًا انتظمت في ثلاثة صفوف في مجاميع أُلِّف كل منها من عمودين، والأربعة والعشرون عمودًا التي يتألف منها الصفان الأولان من طراز العمد البردية الشكل، وتيجانها برعومية الصورة، أما باقي العمد فقد مثلت على هيئة جذوع شجر سيقانها أسطوانية، وقمتها مربعة بسيطة، وليس لها تيجان؛ ويلاحظ أن رقعة القاعة ترتفع قليلًا بين صفي العمد الثاني والثالث بالنسبة لباقي السطح، ويصل الإنسان إلى الجزء المرتفع بوساطة منحدرات ستة لكل من الممرات الستة، وكذلك يوجد منحدر ذو

درجتين خاص بالممر الأوسط. ويلاحظ في المعابد المصرية أن العمد تقل في الارتفاع كلما اقترب الإنسان من المحراب؛ وذلك لأن السقف يأخذ في الانخفاض تدريجًا، ولكن في «العرابة المدفونة» يلاحظ أن العمد قد اختصر طولها لا بسبب انخفاض السقف، بل لارتفاع مستوى رقعة المعبد نفسها، وقد يعزى ذلك إلى ارتفاع طبعي في الأرض نفسها.

ويرجع تاريخ المناظر والنقوش التي حُلِّيت بها قاعة العمد الثانية إلى عهد «سيتي الأول»، وهي من أحسن ما أخرجته يد المثال المصري في هذا العهد. ومما يسترعي النظر في هذه المناظر أن الآلهة الذين مثلوا برءوس آدمية قد صوروا جميعًا بنفس الوضع الجانبي الذي مثل به الفرعون، ومن ثم نرى أن المفتن عندما كان يستعمل صورة الفرعون لتكون نموذجًا معبرًا عن صورة الإله، فإنه كان يتملق الفرعون ملقًا مزدوجًا؛ وذلك لأن جمال صورة «سيتي» أولًا كان خليقًا أن يمثل به تقاطيع صورة الإله نفسه، وثانيًا لأن التشابه بين صورة الملك والإله يؤكد ما يدعيه كل ملك مصري من بنوَّته للإله، وهذا التقليد كان متبعًا من قبل، كما يلحظ ذلك في صور الملك «توت عنخ آمون»، وتشابهها بصور تماثيل الإله «آمون»: وتقع المحاريب السبعة الخاصة بآلهة المعبد خلف قاعة العمد الثانية.



شكل ٢: معبد العرابة. «سيتي الأول» يطلق البخور ويُقدم القربان للإله أوزير وقد ظهر خلفه ابنه حور.

وقد انتظمت في الترتيب التالي من أقصى اليمين؛ إذ نشاهد أولًا محراب الإله «حور»، ويليه محاريب الآلهة «إزيس»، و«أوزير»، و«آمون»، و«حور اختي»، و«بتاح»، ثم محراب «سيتي الأول» نفسه؛ إذ كان يُعد إلهًا أيضًا. ويلاحظ أن كل هذه المحاريب لم تكن لها

أبواب من خلفها إلا محراب «أوزير»، فقد كان له باب يؤدي إلى قاعة ذات عمد، يوجد في الجانب الغربي منها ثلاث مقاصير صغيرة لثالوث الآلهة المؤلف من: «أوزير»، و«إزيس»، و«حور»، هذا بالإضافة إلى مقاصير أخرى مهداة للإلهة «نفرتوم»، و«بتاح سكر»، ثم الإله «سكر». ومن ذلك نعلم أنه على الرغم من أن المعبد كان مُهدى لأوزير فإنه كان بجانب ذلك يحتوي على محاريب لآلهة مصر العظمى، ويلفت النظر محراب «آمون» ملك الآلهة؛ إذ كان يحتل المحراب الأوسط بين محاريب الآلهة، وعلى يمينه محراب «بتاح منف»، ومحراب الإله «حور اختي»، ويقابلهما على اليسار محرابا «أوزير»، و«إزيس»، في حين أن محراب الملك الذي كان مؤلهًا يقع في الجهة اليسرى ويقابله في الجهة اليمنى محراب «حور بن إزيس»، وهذا الوضع الأخير ربما كان عن قصد؛ لأن «سيتي الأول» كان يريد أن يؤكد وجه الشبه بينه وبين «حور» في كل مناسبة ممكنة، فقد وجد نفسه هنا مع الإله «حور» بوصفه الملك الشرعي على مصر.

وبين الصفين الأخيرين من قاعة العمد الثانية في الجدار الشرقي باب يؤدي إلى ممر ضيق يوصل إلى قاعة ذات عمد؛ وعلى الجدار الجنوبي من هذا الممر الضيق نُقشت قائمة أسماء الملوك الشهيرة باسم «قائمة العرابة»، وتشمل أسماء ملوك مصر الذين عدهم «سيتي الأول» ملوكًا شرعيين للبلاد؛ وقد بدأت هذه القائمة باسم الملك «مينا»، وانتهت باسم «سيتي الأول»، ومما تجدر ملاحظته في الأسماء التي دوِّنت على هذه القائمة أن اسم الملكة «حتشبسوت»، وكذلك كل أسماء ملوك عهد الإصلاح الديني؛ أي «إخناتون» وأخلافه لم يُنقشوا فيها.

وكان الغرض من تدوين أسماء الملوك الذين ذُكروا في هذه القائمة التي تعد في نظرنا وثيقة تاريخية من الطراز الأول، هو إقامة شعائر عبادة هؤلاء الملوك القدامى، ولا أدل على ذلك من أننا نرى «سيتي الأول» يصحبه ابنه «رعمسيس الثاني» الفتى الصغير يقرأان صلوات من إضمامة «بردي»، وهاك ما جاء عليها: تأدية الصلاة للموتى «ليت «بتاح سكر»، و«أوزير» رب القبر الذي يسكن معبد «سيتي الأول» يضاعفان الهدايا لملوك الوجه القبلي والوجه البحري بوساطة الملك «سيتي»؛ فيجعلانها ألفًا من الخبز، وألفًا من أباريق الجعة، وألفًا من الماشية، وألفًا من الأوز، وألفًا من البخور … إلخ على يد الملك «سيتي الأول» للملك «منا» … إلخ.» (بعد ذلك تتبع أسماء الملوك).

ويشاهد على رقعة الجدار الجنوبي من نفس هذا الممر كل من «سيتي»، و«رعمسيس» الفتى الصغير يقدم البخور والقربان للآلهة، ويلاحظ أن «رعمسيس الثاني» كان يرتدي جلبابًا نُقش عليه طغراء الملك بمثابة حلية، وفي هذا برهان على أنه كان في هذه الفترة مشتركًا مع والده في الحكم، وعلى ذلك يدل تمثيله في صورة صبي صغير لم يبلغ الحلم بعد على صحة ما قاله عن نفسه في نقش الإهداء الذي دونه فيما بعد على جدران هذا المعبد، وقد ادعى فيه أنه قد تُوج ملكًا مشتركًا مع والده في حكم البلاد، وهو لم يزل طفلًا صغيرًا، ويقتبس لنا في هذا النقش الأمر الملكي الذي أصدره والده بمناسبة تنصيبه ملكًا معه، فيقول سيتي: «توِّجوه ملكًا حتى أرى جماله وأنا عائش.»[٤٩]

وقد عارض الأستاذ «برستد» ما ادعاه «رعمسيس الثاني» من اشتراكه مع والده في الحكم، وهو صغير، غير أن لدينا آثارًا أخرى تثبت صحة ما ادعاه «رعمسيس». ويقول الأستاذ «كيث سيلي» في هذا الصدد: «والآن نعلم أن ادعاءات «رعمسيس الثاني» لا لبس فيها من حيث اشتراكه في الملك مع والده «سيتي الأول»، وقد اعترض عليها بأنها لا تنطبق على الواقع، وبخاصة ما يشير إليه «برستد» بصدد الإضافة التي حُشرت في رسوم الواقعة التي صوِّرت على جدران الكرنك، وهذه الادعاءات ليست مرجحة فحسب، بل إنها قد أصبحت محققة تحقيقًا أكيدًا بالبراهين المعاصرة، هذا على الرغم من عدم وجود آثار باقية تشمل تاريخًا مشتركًا لهما في سنة واحدة من سني حكمهما معًا، كما نجد مثل ذلك في ملوك الأسرة الثانية عشرة.» وسنتناول موضوع اشتراك هذين الفرعونين في الحكم معًا فيما بعد.

وقد زُينت جدران الردهة التي يؤدي إليها الممر المكتوب عليه أسماء الفراعنة بمناظر ذبح ثيران، وتقطيعها لتقدم قربانًا، ومن المحتمل أنها كانت المكان العام للذبح في هذا المعبد، ويوجد خلفها عدة حجرات وقاعات صغيرة، وسلم يؤدي إلى السقف.

وكان يحوط هذا المعبد في إبان ازدهاره حديقة غناء مغروسة بالنباتات المزهرة والأشجار الباسقة، وقد ظلت بقايا جذوع هذه الأشجار موجودة في أماكنها الأصلية في حفر عميقة حتى أخرجها معول الحفار عندما كشف عن هذا المعبد الذي تكتنفه الصحراء القاحلة الآن.

وتدل مادة مباني المعبد على أنه قد رفع بنيانه كله بالحجر الجيري الأبيض ذي الحبات الدقيقة، ويسهل فيه نحت الأشكال الفنية، وقد استفاد المفتن الذي كُلِّف تزيين هذا المعبد من ذلك؛ فأظهر كل ما أوتيه من مهارة لإخراج صورة على هذا الحجر الطيع السلس القياد. وقد ذكرنا من قبل أن كل صور الآلهة الذين مثلوا برءوس آدمية كانت وجوههم تُنحت بصور الفرعون نفسه، وقد دلت الموازنة بين هذه الوجوه ووجه مومية «سيتي الأول» على أن الشبه بينهما كان تامًّا، ويعد طراز النحت الذي يسود في هذا المعبد من طراز عهد المذهب القديم، وليس فيه أية إشارة تدل على تأثير فن مدرسة عهد «إخناتون»، ولكن الغريب هو أننا لم نرَ من قبل ولا من بعد أن فن العصر الذي سبق عهد «إخناتون» قد أخرج للناس نقوشًا غاية في الإبداع مثل التي جُملت بها جدران هذا المعبد في الجزء المنسوب إلى «سيتي» وكذلك النقوش التي حُليت بها جدران مقبرته الفخمة. والواقع أن التأثير العظيم الذي تتركه هذه النقوش يرجع بعض الفضل فيه إلى مهارة المثَّال الذي كان يسير في عمله بكل دقة على نهج مدرسة ما قبل عهد العمارنة؛ إذ قد جمع مناظره ورتبها، وكذلك أفسح المسافات بين الأشكال، وبين النقوش مما لا يقتصر على إنتاج صور فنية وحسب، بل كذلك وضع أمامنا نموذجًا جميلًا متزنًا، هذا فضلًا عن أن الصور نفسها قد أُخرجت بدقة ورشاقة يكاد يعجز القلم عن وصفها. وعلى سبيل المثال نأخذ صورة «أوزير» وهو مزمل في ملابسه العادية التي كانت تعد بمثابة كفن، فنجد أن المثَّال قد أخرج صور هذا الإله بمهارة مدهشة؛ إذ أظهر فيها كل التفاصيل التشريحية من تحت الملابس، حتى أصبح في استطاعتنا أن نرى تفاصيل العضلات التي في ذراعيه الموضوعتين على صدره، كما نشاهد

تفاصيل عظام الفخذين، ودقائق مفاصل الركبتين والكعب، ولكن على الرغم من كل هذا الإبداع في التصوير يقول الأستاذ «بتري» عن نحت هذا المعبد ما يأتي: «إن النعومة البديعة، والإتقان التام اللذين نشاهدهما في العمل الجيد الذي أقامه «سيتي الأول» في العرابة خالٍ تمامًا من كل حياة، وعارٍ عن قوة الملاحظة؛ إذ ليس فيه تفاصيل تشريحية، بل قد أخرجته آلات إنسانية تحسن الصنعة لم يكن في مقدورهم أن يعبروا عن عاطفة لم يحسوا بها أنفسهم.»[٥٠] على أن مثل هذا الحكم يجعل الإنسان في حيرة من أمره، ويتساءل عما إذا كان «بتري» قد فحص مناظر معبد العرابة حقيقة، أو أنه قد بنى حكمه على بعض صور من التي تُعد من الدرجة الثالثة بالنسبة لصور المعبد الرائعة؛ حيث توجد التفاصيل التشريحية ظاهرة واضحة لكل ذي عينين، هذا فضلًا عن أن الصور كلها عاطفية إلى حد كبير؛ إذ إن كل حركة من حركات الفرعون أو الإله مملوءة بالرشاقة والحنان والعواطف الطافحة التي يعبر فيها عن الحب والإخلاص. وعلى الرغم من أننا نجد أحيانًا إشارات عابرة تدل على الكآبة، وهي التي نلحظها في الابتسامات الحلوة المطبوعة على وجوه الإلهات، فإنها تُعد مع ذلك انتصارًا للفن؛ لأن المثَّال قد نجح في إسباغ الرشاقة الرقيقة التي تُطبع بطابعها العذارى في عنفوان شبابهن، وفي الوقت نفسه أضفى على صور هؤلاء الإلهات مسحة الجلال والوقار اللذين تتميز بهما امرأة أعلى من بنات البشر.

وإذا كانت نقوش معبد «العرابة» تنقصها قوة الفن القديم وحيويته؛ فإنها من جهة أخرى قد اكتسبت حواس داخلية تعبر عن أحاسيس نفسانية. والواقع أن فن الدولة القديمة على ما فيه من جمال وصدق تعبير كان خاصًّا بعالم الدنيا والمادة، في حين أن مثَّال «العرابة» عندما كان يمثل جسم الإنسان في كل مظاهر جماله ألقى نظرة خاطفة على ما هو أعظم من ذلك الجمال المادي، وهو جمال الروح الذي يقع وراء الجسم، وقد وصل بمهارته ودأبه الذي لا يعرف الملل إلى أن مثل الصورتين الجسمية والروحية في قطعة واحدة من الحجر الجيري الأبيض.

على أن تقدير قيمة هذه النقوش المدهشة بالنسبة لذوق عصرنا الحالي يمكن إدراكه في المناظر التي ذهبت عنها ألوانها التي كانت تزينها. ويجب أن نعترف بأن المثَّال الذي حفر هذه المناظر كان عبقريًّا، كما أن الذي أبدع ألوانها لا يقل عنه مهارة وحذقًا، فالألوان التي لا تزال باقية حتى الآن في أماكن كثيرة من أرجاء المعبد كما كانت عليه في الأصل تشبه قطع المجوهرات في بهائها ورونقها، فلا يعتورها أي نقص أو سماجة في إبداعها، فنشاهد مجاميع الألوان متزنة التوزيع والتنسيق، ويسودها ظلال بديعة من اللون الأزرق واللون الأخضر، مشفوعين باللون الأحمر القاني، والأصفر الفاقع. وقد كان المصري يستعمل اللون الأزرق بدلًا من الأسود كلما سمحت الأحوال بذلك؛ تفاديًا من وقوع تغيير مفاجئ في ظهور قطع من الألوان المتناقضة التي تزوَر عنها العين، ويمجها الذوق. والواقع أن اللون الأسود كان يستعمل في الأصل لإبراز التفاصيل الدقيقة الصغيرة مثل: العينين، والحاجبين.

ويخيل للإنسان أن جدران هذا المعبد عندما كانت سقفها تامة كانت تشبه قطع المجوهرات الذهبية الثمينة المرصعة بالأحجار نصف الكريمة التي عرفناها في مجاميع المجوهرات

التي عُثر عليها من عهد الأسرة الثانية عشرة في «اللاهون»، و«دهشور»، وكذلك ما أخرج من مقبرة «توت عنخ آمون».

والواقع أن الفن المصري الذي مثل في معبد «العرابة» كان مثله كمثل أغنية البجعة، أو كبيضة الديك، لم يصل المصري ثانية إلى جماله وسمو منزلته قط في أي عصر من العصور التي تلت.

وعندما قضى «سيتي» كان الجزء الرئيسي من المعبد قد تم تشييده، فلم يبقَ منه إلا الردهة الخارجية، التي لم تكن قد تمت زينتها، أو أخذت زخرفها بعد.

وفي استطاعة الإنسان الآن بعد هذا الوصف أن يرخي لخياله العنان، ويتصور الأحفال والشعائر الدينية التي كانت تقام في هذا المعبد في حياة بانيه، فيشاهد أمامه مواكب الكهنة بملابسهم البيضاء يتهادون في الطرقات بين الأعمدة المزخرفة بأجمل الألوان، متجهين نحو المحاريب التي كانت تشبه في بهائها قطع المجوهرات الأخاذة، كما أنه في استطاعتنا أن نسمع في مخيلتنا أغاني أولئك الكهنة في ردهات المعبد، ونشم رائحة البخور ودخانه الأبيض الذي يتصاعد من المباخر نحو سقف القاعات المحلاة بالألوان البديعة، وكذلك في استطاعتنا أن نتصور الفرعون نفسه راكعًا أمام أرباب «العرابة» في ملابسه الفاخرة ذات اللون الأزرق والذهبي، وهي نفس الملابس التي كان يرتديها الآلهة وهم جالسون على عروشهم، أو وهم واقفون يستقبلون الفرعون، أو يقودونه إلى عرش ملكه عند الاحتفال بتتويجه، أو حينما نراهم كذلك، وهم يتقبلون منه الأسرى الذين كانوا يقدمون لهم عبيدًا جزاء لما وهبوه الفرعون من انتصارات ساحقة على الأعداء في البلاد النائية.

(٥-٤) الاوذديون أو ضريح «سيتي الأول» بالعرابة المدفونة

يقع خلف المعبد العظيم الذي أقامه «سيتي الأول» في العرابة — وهو الذي فصلنا فيه القول فيما سبق — بناء سري تحت جوف الأرض، ليس له مثيل في كل المباني الأثرية التي عثر عليها في مصر حتى الآن.[٥١] والمعتقد أنه كان متصلًا بالمعبد الكبير السالف الذكر، ولا أدل على ذلك من أن هذا البناء يقع بأكمله داخل المنطقة المقدسة الخاصة بهذا المعبد، وباب هذا البناء المقوس الشكل يقع أسفل جدار هذه المنطقة الحرام بالقرب من ركنها الشمالي الشرقي، وقد أقيم معظمه من الحجر الرملي، والجزء الباقي منه مبني بالجرانيت، والحجر الجيري الأبيض.

ويؤدِّي مدخل هذا المبنى إلى ممر طويل ضيق، يبلغ طوله نحو أربعة عشر مترًا، وعرضه نحو مترين وستين سنتيمترًا، ويتجه جنوبًا وينتهي بحجرة للاستراحة على ما يظهر، يتفرع منها ممر ضيق قصير يتجه شرقًا، ويؤدي إلى قاعة مستطيلة الشكل، يوجد في وسط جدارها الغربي منفذ يؤدي إلى قاعة وسطى عظيمة، تعد النواة لهذا المبنى الغريب.

وتحتوي هذه القاعة العظيمة على جزيرة في وسطها تحيط بها قناة، ويحيط بكل القاعة طنف عرضه حوالي ستين سنتيمترًا يقطعه في جهتيه الشرقية والغربية دعامات يرتكز عليها العقد، ويؤدي هذا الطنف إلى سبع عشرة حجرة صغيرة مربعة الشكل، ست منها على كل جانب من جانبيها الطويلين، واثنتان على الجانب الغربي، وثلاث على الجانب الشرقي. ويشاهد حول الجزيرة نفسها طنف آخر موازٍ للذي حول القاعة العظيمة، ومماثل له، ويعترضه عند نهاية الجانبين الشرقي والغربي سلَّمان مصنوعان من الحجر، وينزل الأول بإحدى عشرة درجة، والثاني باثنتي عشرة درجة إلى مسافة ثلاثة أمتار وخمسة عشر سنتيمترًا، وينتهي هذا السلم بدرجة واسعة ينزل منها الإنسان إلى قعر القناة مباشرة.

أما الجزيرة السالفة الذكر فقد بُنيت من الحجر الرملي الضخم، ويعتقد الأثريون الذين كشفوها أنها صلبة، وأقيم عليها عُمُد من الجرانيت القرنفلي اللون يرتكز عليها السقف، ويلاحظ أن سبعة منها من قطعة حجر واحدة، وهذا يذكرنا بعمد معبد الوادي الذي أقامه «خفرع» لهرمه بالجيزة. والواقع أنه لما كشف عنها أولًا لم يكن في استطاعة رجال الآثار معرفة كنه هذا البناء، ولكن لما تقدمت أعمال الكشف في هذا المكان ظهر أن هذا البناء لم يكن قد تم إنجازه تمامًا، ولا أدل على ذلك من أن اسم بانيه وصورته لم يُنقشا على المبنى الأصلي، بل جاءا عرضًا في النقوش والمتون التي على الأجزاء الأخرى الثانوية من المبنى.

ويستند على عمد الجرانيت السالفة الذكر عقد ضخم من نفس مادة العمد، كما كانت تحمل العمد البارزة من الجدارين الشرقي والغربي للقاعة الوسطى عقودًا، وكانت هذه العقود بدورها تحمل أحجار السقف الضخمة.

وعلى سطح الجزيرة العلوي بين صفي العمد حفرتان قريبتا الغور؛ إحداهما: مستطيلة، والثانية: مربعة. ويلاحظ أن القناة التي بين الجزيرة وبين جدران القاعة كانت ولا تزال مملوءة بالماء الذي يكون في زمن الفيضان على مستوى واحد مع الطنف، والظاهر أن مستوى منسوب الماء في عهد «سيتي الأول» كان أقل مما هو عليه الآن بنحو ثلاثة أمتار وخمسة وعشرين سنتيمترًا؛ وبذلك كان الماء يغطي وقتئذ الدرج السفلي من السلم في وقت الفيضان، وقد حاول الحفارون الأحداث تفريغ الماء من هذه القناة بآلات بخارية فلم يفلحوا.

وقد بُنيت جدران هذا المبنى بالحجر الجيري، إلا في الجهة الغربية فإنها من الحجر الرملي.

ولما كانت هذه القاعة العظيمة تُغمر دائمًا بالمياه في أثناء الفيضان، فإن ما عليها من نقوش سرية قد مُحيت، ولكن السقف المبني من الحجر الرملي الأصفر لم يصبه عطب كبير، وقد بقي لنا من نقوشه الطريفة متن تمثيلي يشرح لنا كيف أن إله الأرض «جب» تخاصم مع الإلهة «نوت» ربة السماء بسبب التهامها أولادها النجوم، وقد مثلها الإله «جب» في صورة خنزيرة تأكل صغارها! وهذه القاعة ليس لها مدخل، ولا يمكننا أن نجزم إذا كان قد وضع لها في الأصل عند تصميمها باب، ولكن من الجائز جدًّا أنها صُنعت لتكون مستورة تمامًا،

وتذكرنا هذه القاعة بالحجرة ذات الطابقين المستورة من كل الوجوه التي وُجدت في معبد «سيتي» الكبير في الشمال الغربي منه.

الغرض من هذا المبنى

كان من المعلوم أن الجمَّ الغفير من عامة الشعب يرغبون عندما تسمح لهم مواردهم أن يقيموا لأنفسهم آثارًا جنازية من أي نوع في جبانة العرابة، وذلك على الرغم من أن مدافنهم كانت في مسقط رأسهم، وسبب ذلك أن العرابة كانت البلدة المقدسة التي تواري جثمان «أوزير» إله الآخرة، وقد ذكرنا في مواطن عديدة أن بعض الملوك قد أقاموا لأنفسهم في العرابة أضرحة رمزية غير مقابرهم الحقيقية التي أقيمت بالقرب من مقرِّ ملكهم، ونخص بالذكر من بين هؤلاء؛ الفرعون «سنوسرت الثالث»، والملكة «تتي شري» التي أقام لها «أحمس الأول» مقبرة في «العرابة المدفونة» (راجع الجزء الرابع)؛ ولذلك يرى الأستاذ «فرنكفورت» أن المبنى الذي نحن بصدده الآن هو من نوع هذه المباني الجنازية؛ ويعتقد أنه ضريح «سيتي الأول» الرمزي، وأنه أقامه لنفسه على أديم «العرابة» المقدسة على غرار قبر الإله «أوزير» الذي أقيم في هذه البقعة المباركة على زعم المصريين. والعناصر المختلفة التي يتألف منها هذا المبنى تعيد إلى ذاكرتنا نظام مقابر الملوك في طيبة الغربية، فمثلًا: نجد الممر الضيق الطويل، والعمد المربعة القائمة في القاعة الوسطى، والحجرة المستطيلة الواقعة في الشرق، وهي التي تشبه في هيئتها تابوتًا ضخمًا، وتذكرنا بحجرة تابوت هرم سقارة؛ ولكن القاعة الوسطى العظيمة والجزيرة ليس لهما نظير في أي قبر ملكي معروف لنا، غير أن القاعة تشبه مدفن «أوزير» التقليدي، أما الجزيرة فتمثل التل الأزلي،[٥٢] وهو على حسب عقيدة كهنة «عين شمس» قد ظهر أولًا من المياه الأزلية المسماة «نون»، وقد وقف على هذا التل الإله «رع» في أول صباح بدأ الخليقة، ثم كان يقف فيه فيما بعد عند مطلع الشمس في كل صباح. ولما كانت كل من الشمس الغاربة والشمس المشرقة ترمز للموت والقيامة ثانية على التوالي، وكذلك لما مُزجت على مر الأيام عبادة الشمس بعبادة «أوزير» الذي مات ليحيا ثانية مثل الشمس، فقد أصبح هذا التل الأبدي هو المكان المناسب لدفن «أوزير» الذي كان قد مات، ثم أُحيي ثانية، ثم وصل إلى الخلود بدفنه هذا، وصار يرافق الشمس في دورتها التي يتمثل فيها الموت عند الغروب، والحياة عند الشروق، وهكذا على التوالي.

وقد جمع كل من الأستاذ (كرستنسن Kristensen)، والأستاذ (دي بك De Buck) براهين قاطعة تثبت أن التل الأزلي كان يمثل بسلم ذي درج متين يدفن عليه «أوزير»، أو كان يجلس عليه بوصفه حاكم الموتى، وفضلًا عن ذلك يرى الأستاذ «كرستنسن» أن دفن «أوزير» على التل الأزلي قد أشير إليه في السلم الشهير القائم بالعرابة المدفونة، وهو المكان الذي يرغب أن يدفن بالقرب منه كل مؤمن صادق الإيمان،[٥٣] وعلى ذلك يعتقد «فرنكفورت» أن الجزيرة تمثل التل الأزلي، ولهذا يعد الحفرة المستطيلة الشكل التي في رقعتها الموجودة بين العمد هي المكان الذي وضع فيه التابوت، أما الحفرة الأخرى المربعة

التي بجوار حجرة التابوت فهي المكان الذي كانت تُحفظ فيه أواني الأحشاء، أما الماء الذي في القناة فيمثل المحيط الأزلي، وهو على حسب التفكير المصري كان له معنى آخر ثانوي؛ فارتفاع الماء فيه وانخفاضه حول الجزيرة يذكرنا بالاعتقاد العام بأن «أوزير» كان مفروضًا فيه أنه يغرق كل سنة في ماء الفيضان الذي كان يأتي كل عام، ثم يعود ثانية إلى الحياة بعد انخفاض المياه، فكان مثله كمثل الزرع الذي يحيا ثانية بعد انقضاء فصل الفيضان، وهكذا كل عام. وفضلًا عن ذلك نجد على الجانب الشرقي من هذا الضريح حفرة بعيدة الغور مملوءة بالغرين الخصب، وكانت تنمو فيها خميلة أشجار، وكانت هذه الحفرة التي فيها الشجر تمتد إلى قعر جدران القاعة الوسطى لتصل الأشجار التي فيها إلى مياه القناة. ويعتقد الأستاذ «فرنكفورت» أن هذه الأشجار تمثل الحياة الطبعية التي تُجدَّد أبديًّا؛ لأنها تُسقى بماء المحيط الأزلي وبمياه الفيضان التي تنبع منها كل الحياة الطبيعية.[٥٤]

ويلفت الدكتور «كرستنسن» النظر إلى متن ورد في كتاب «الموتى» يبرهن على أن في عهد الدولة الحديثة كان التل الأزلي الذي موضعه الأصلي في «عين شمس» مقرًّا للإله «رع»، أصبح القوم يعتقدون أنه في العرابة المدفونة.

وقد ترك «سيتي الأول» ضريحه الرمزي هذا دون أن يتم بناؤه بعد، ولم يهتم «رعمسيس الثاني» ابنه بإتمامه. وتدل الظواهر على أنه قد اغتصب بعض أحجاره الجرانيتية من السقف، واستعملها في بناء معبده الذي أقامه بالعرابة. أما «مرنبتاح» حفيد «سيتي»، وابن «رعمسيس الثاني» فإنه نقش باسمه الجدار الشرقي لهذا الضريح، وجزءًا من العقد الجنوبي، والممر المنحدر، وحجرة الاستراحة، وممر المدخل، وكذلك وضع صوره عليها.

وتدل شواهد الأحوال على أن هذا المبنى قد بقي بعد ذلك مهجورًا إلى أمد طويل، ويحتمل أن النهاية الشمالية من مدخل الممر الطويل قد استعملت مخبأ لأشياء ثمينة؛ إذ وجد في هذا المكان إناء جميل الصنع من البرنز طوله تسعة وثلاثون سنتيمترًا، وكذلك عثر على كنز من النقود من عهد البطالمة، وكذلك خيط جميل نُظمت فيه حبات من حجر الدم.

وقد زار «استرابون» العرابة في العهد الإغريقي الروماني، ووصف المعبد الذي أطلق عليه اسم (ممنوريم Mimnoruim) (راجع Strabo XVIII) أي في خلال القرن الأول من الميلاد، وبعد الوصف يقول: «وهناك بئر عميقة ينزل الإنسان إليها بوساطة قبو مقام من أحجار فائقة في الحجم والصنع، وتوجد قناة تؤدي إلى هذا المكان من النهر العظيم، وحول هذه القناة خميلة من شجر السنط المقدس للإله «أبوللو».» ولا شك في أن هذه القناة هي التي تحيط بالجزيرة في القاعة الوسطى العظمى، وهي التي تحدثنا عنها في هذا الضريح؛ وكان يستعملها أهل القرى المجاورة في عهد «استرابون» بمثابة بئر يمتاحون منه المياه، كما كانت مستعملة في الأزمان الحديثة منذ عام ١٩١٤، وهو التاريخ الذي ظهرت فيه القناة ثانية.

أما الخميلة التي ذكرها «إسترابون» فيحتمل أنها تشير إلى الأشجار التي زُرعت في حفر الأرض التي سبق ذكرها، والقناة التي توصل البئر بالنيل يمكن أن تكون مجرد موصل إلى القناة التي كانت موجودة وقتئذ كما هي الحال الآن، وتمتد من النيل حتى حافة الأرض المنزرعة بالضبط أمام المعبد.

ويمكن البرهنة على وجود هذه القناة في الزمن القديم بما جاء على قطعة «استراكون»[٥٥] وجدت في مدخل الممر المؤدي للضريح، وقد كُتبت بالهيراطيقية، ويشير المتن إلى جر الأحجار وتفريغها، والعمل في الجسور. ويرجع عهد هذا النقش إلى حكم «سيتي الأول»، ومغزاه ترخيص بعمل تقوم به طائفة من العمل (؟) في أحد مباني الفرعون، وقد أرِّخ بالشهر الرابع من فصل الزرع في اليوم الثاني والعشرين.

متون هذا الضريح

والمتون التي وجدت على جدران هذا الضريح معظمها جنازية من النوع الذي نصادفه عادة في المقابر الملكية في عهد الدولة الحديثة، ويرجع الجزء الأعظم منها إلى عهد الفرعون «مرنبتاح»، وليس فيها ما يلفت النظر إلا متنان يستحقان التقدير والدرس. فعلى الجانب الغربي من سقف حجرة التابوت تشاهد صورة ضخمة تمثل الإلهة «توت» ربة السماء، يرفعها الإله «جب» رب الأرض، وقد ذُكر على رسم جسم هذه الإلهة أسماء نجوم الدكان وكل واحد منها يظهر مرة كل أسبوع (وهو عشرة أيام)، كما دون على بطنها وذراعيها وساقيها قائمة بأسماء الأيام والأشهر التي يحدث فيها ظهور البرج المقابل في الصباح، أو في منتصف الليل، أو في الغروب، ومن جهة أخرى يمكن الإنسان استعمال هذه القائمة الآن لتحديد اليوم والفصل من السنة، وساعة الليل عندما يلاحظ السماء ليلًا، ويتعرف على مواقع مجاميع النجوم أو الأبراج.

وتسهيلًا لذلك كان الظهور الحقيقي لكل مجموعة أو برج يرسم تحت اسمه على جسم الإلهة «توت»، أما التغييرات في مواقع النجوم التي كانت تبتدئ بطبيعة الحال تدريجًا من ليلة إلى ليلة، فقد قدرت هنا بمدة عشرة أيام؛ وبذلك تكون الفروق بين كل مدتين متتاليتين كافية لملاحظتها.[٥٦]

أما المتن الثاني الهام، فقد وُجد على نفس السقف، وفيه تُقرأ التعليمات التي كانت لازمة لعمل مزولة، أو ساعة شمسية، وكيفية استعمالها.

وأما المتن الأخير الهام، فيوجد في الجانب الغربي من سقف حجرة التابوت أيضًا، وهو متن التمثيلية التي أشرنا إليها آنفًا؛ حيث نجد الإله «جب» يتخاصم مع الإلهة «توت»، ومما يؤسف له جد الأسف أن جزءًا عظيمًا من هذا المتن قد وُجد مهشمًا.

(٥-٥) مرسوم «نوري» والمؤسسات الخيرية التي أقامها «سيتي» بالعرابة

نعود الآن بعد أن تحدثنا عن معظم آثار «سيتي الأول» الباقية في «العرابة المدفونة» وغيرها، فنفحص الموارد التي كان قد أعدها لتموين هذه المنشآت العظيمة، وغيرها من الأعمال التي قام بها في طول البلاد وعرضها.

كان من الصفات البارزة في أخلاق الفرعون «سيتي الأول» تحيزه الظاهر لمدينة العرابة، والآلهة الذين كانوا يُعبدون فيها، وقد حدثنا «مسبرو» عن مقدار هذا التحيز، فاستمع لما يقول: «إنَّا لا نعلم السبب الذي كان من أجله يميل «سيتي» إلى هذه البلدة ميلًا خاصًّا، فمن المحتمل أنه كان يملك فيها فيما مضى بعض الضياع، أو ربما كان يرغب في أن يظهر إجلاله الخاص لإلهها المحلي، وكان غرضه من إغداق الحمد له أن يجعل القوم ينسون أنه كان يحمل اسم الإله «ست» المتهم بقتل أخيه «أوزير» صاحب «العرابة»،[٥٧] ومن ثم كان يعرف بإله الشر.»

وقد يوجد سبب آخر لذلك الحب الظاهر للعرابة، ولـ «أوزير» أكبر آلهتها، فعلى الرغم من أن «سيتي» كان ثاني ملوك أسرته، فإنه — كما أثبتنا من قبل — لم يكن من دم ملكي، ولكن مع ذلك كان ملكًا وابن ملك، وإن كان هذا اللقب الأخير لم يطلق عليه إلا بعد أن صار رجلًا مكتمل الرجولة.

ومن المعلوم أن كل فرعون كان يتقمص صورة «حور» على الأرض، ولكن لما لم يكن موقف «رعمسيس الأول» من عرش الملك وطيدًا، ولم يكن من حقه أن يحمل هذا اللقب المقدس؛ فإن «سيتي» من جهة أخرى كان يعد نفسه «حور» بحق، وحاكم مصر الذي اعتلى مكانته الرفيعة على عرش والده، وربما كان غرض «سيتي الأول» الذي كان يحمل فيما مضى لقب الكاهن الأول للإله «ست» أن يبرز بجلاء علاقته السامية مع الإله «أوزير»، فترك إله أسرته وإلهه المحلي حبًّا في «أوزير» والد «حور»، ومن ثم عقد العزم بوصفه ابنًا بارًّا لـ «أوزير» على أن يمجد والده المحبوب؛ ولذلك كان من الطبعي أن يوجه عناية خاصة للعرابة المدفونة التي كانت تعد أقدس مكان لعبادته. والواقع أن الإنسان يشعر بروح الإخلاص الذي كان يسود كل نواحي معبد العرابة، ويلحظ أن الدافع الأول لإقامته هو وغيره من المباني الدقيقة كان الحب الطاهر المقدس لثالوث «أوزير».

ويدل ما لدينا من نقوش على أن «سيتي الأول» قد أصلح معبد «أوزير» القديم في العرابة، وكان قد تهدم في الأيام السود التي مرت على الآثار في عهد «إخناتون»؛[٥٨] وكذلك أقام معبده الفاخر المسمى «بيت ملايين السنين من ماعت رع» للإله «أوزير» أولًا، وهو الذي كان يشمل محاريب لأهم آلهة البلاد الآخرين، كما فصلنا القول في ذلك. وكذلك أقام «الأوزيريون» أو ضريح «سيتي» كما أسلفنا. وقد جاء ذكر معبد أقامه على لوحة «نوري» يسمى: «بيت ملايين السنين من ماعت رع راحة القلب في العرابة»، وهو على ما نعتقد

المعبد الكبير الذي تكلمنا عنه، هذا بالإضافة إلى المعبد الصغير الجميل الذي أقامه لوالده «رعمسيس الأول» في العرابة.

ولكن إقامة المعابد، وحبس الأوقاف عليها كان يتطلب أموالًا باهظة؛ حتى تبقى على مر الأيام، وكرِّ الدهور، وبخاصة عندما نعلم أن التماثيل الفردية التي كانت في المعابد أو المقابر كانت على حسب الشعائر الدينية، تحبس عليها الأوقاف ليقدم لها القربان من ريعها الخاص، ولا شك في أن معبد «أوزير» القديم في العرابة كان له أوقافه الخاصة، غير أنها قد ضاعت في عهد الانقلاب الديني، ولا بد أنها قد أعيدت إليه في حكم «توت عنخ آمون»، أو «حور محب»، ولكن البناء الجديد الذي أقامه «سيتي الأول» كان لا بد له من أوقاف خاصة لحفظ بقائه؛ ولذلك نرى الفرعون قد أعطى عناية خاصة لهذا الأمر بنفسه. وقد وصل إلينا مرسومان عن هذه الأوقاف؛ أولهما: مرسوم «نوري» المؤرخ بالسنة الرابعة من حكم هذا الفرعون، وقد كان المقصود منه المحافظة على حقوق مؤسسة ملكية تُعرف باسم: «بيت ملايين السنين للملك من ماعت رع راحة القلب في العرابة»، وكذلك المحافظة على كل عقار الأفراد الذين لهم علاقة بهذه المؤسسة. ونعلم من مضمون متن هذا المرسوم أن هذه الملكية أو الضيعة على الرغم من أنها تابعة للعرابة فإنها كانت في مكان ما بالقرب من «نوري»، أو على أية حال كانت في بلاد النوبة.

بلدة نوري

تقع بلدة «نوري» على مسافة خمسة وثلاثين كيلومترًا شمالي الشلال الثالث، وعلى بُعد خمسة وعشرين كيلومترًا غربي شلال «كاجيار»، وفي هذه البقعة تلان من الحجر الرملي ينحدران انحدارًا عظيمًا إلى سهل منبسط، ويبعد كل منهما عن الآخر حوالي خمسمائة متر تقريبًا، والتل الواقع غربًا أكبر التلين، ويبلغ ارتفاعه حوالي أربعمائة قدم، ويشاهد على جانبه الشمالي من جهة النهر بقايا قلعة، يرجع تاريخها إلى القرون الوسطى، والتل الشرقي يبلغ ارتفاعه قرابة ثلاثمائة قدم، وقد حفرت اللوحة على الواجهة الشمالية الغربية في نهاية الثلث الأول من ارتفاع هذا التل، وقد دون عليها «سيتي الأول» مرسومه[٥٩] العظيم الخاص بمعبد العرابة المدفونة، واللوحة قمتها مستديرة، وجوانبها كالمعتاد مستقيمة، وتبلغ مساحتها ٢٫٨٠ × ١٫٥٠ من الأمتار؛ أي نحو خمسة أذرع في ثلاثة أذرع.

- **وصف اللوحة:** يشاهد الملك «سيتي» في الجزء الأعلى من اللوحة واقفًا من جهة اليسار، وهو يقدم القربان للآلهة «آمون رع»، و«رع حور اختي»، ثم الإله «بتاح»، وهؤلاء هم آلهة «طيبة» و«هليوبوليس» و«منف» على التوالي، وكانوا يُقدَّسون وقتئذ بوصفهم الآلهة الرئيسية للدولة. ومما هو جدير بالذكر هنا أنه على الرغم من النقوش المدونة على

اللوحة، وهي على ما يظهر وثيقة وُضعت من أجل معبد الإله «أوزير»، لم يظهر هذا الإله بين الآلهة الذين مثلوا في هذا المنظر.

ويلاحظ أن الملك «سيتي» كان يرتدي هنا لباس الرأس الذي يتألف من قرني كبش عليهما ريشتا نعام، وقرص الشمس وصلان، كما كان يرتدي قبعة «نمس» المحلاة بصلٍّ، ويلبس قميصًا قصيرًا مثبتًا فيه ذيل من الخلف، ومنمقًا من الأمام، وينتعل خفين، وكان يقدم بإحدى يديه صورة الإلهة «ماعت» أي العدالة، ويحتمل أن ذلك كان رمزًا يدل على أنه كان سيحكم بالعدل ويعمل بالحق؛ لأن «ماعت» كانت الطعام الذي يعيش منه الآلهة، والنظام الذي يجب أن يسير عليه كل فرعون، وقد نُقش فوق رأسه طغراءان، وهما اسمه ولقبه: سيد الأرضين من «ماعت رع»، سيد المظاهر الفاخرة «سيتي مرنبتاح»، ثم يأتي بعد ذلك عبارة: «معطي الحياة مثل «رع».» وكذلك نقش أمامه: «تقديم العدالة لرب العدالة «آمون رع»، رب تيجان الأرضين، وإله السماء»، وكُتب خلفه: «كل الحماية والحياة حوله مثل «رع» سرمديًّا.»

ويرى بين الملك و«آمون رع» أربع شجرات خس مغروسة رُسمت رسمًا مختصرًا، وبينها ثلاث قواعد لموائد قربان، مد عليها طبق كبير، وُضع عليه فطيرتان مستطيلتان، أو قطعتان من اللحم يحيط بهما خيارتان، وثلاثة رغفان مستديرة، ووُضع فوقهما موقدان متقدان، أو مصباحان، أو مبخرتان.

وكُتب فوق المائدة ما يأتي: «يعيش الإله الطيب سيد الأرضين «من ماعت رع»، خطاب «آمون رع» رب تيجان الأرضين، لقد منحتك الأبدية بوصفك ملك الأرضين والخلود في حين قيامي بما يرغب فيه لبُّك مثل «رع» إلى الأبد السرمدي، أنت يا رب الأرضين.»

ونقش أمام «آمون رع» ما يأتي: «لقد وضعت تحت موطئ قدميك الجنوب والشمال معًا.»

أما الآلهة الآخرون فلم يقوموا بدور هام. وقد كُتب أمام الإله الثاني «رع حور اختي»: «الإله العظيم رب السماء.» وفي أسفل هذا كُتب: «لقد منحتك كل الحياة والقوة،

والصحة مثل «رع».» وكُتب أمام الإله الثالث «بتاح»: «جميل الوجه، المشرف على المكان العظيم (أي المحراب).»

- **تاريخ المرسوم:** السنة الرابعة، الشهر الأول، من فصل الشتاء، اليوم الأول، وهو بداية السرمدية لاستقبال السعادة لمئات آلاف سنين أمن وملايين الأعياد الثلاثينية على عرش إله الأفق، وأبدية حكم «آتون» مع جلالة حور، الثور القوي المضيء في طيبة، ومن يجعل الأرضين تحييان، والمنسوب للآلهتين، ومجدد الولادة، والقوي السيف، قاهر الأقواس التسعة، الصقر الذهبي، والمجددة مظاهره، ومن رماته عديدون في كل البلاد، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «من ماعت رع» ابن الشمس، (٢) «سيتي مرنبتاح» العائش مخلدًا في الزمن السرمدي، محبوب «آمون» ملك الآلهة الظاهر على عرش حور الأحياء مثل والده «رع» يوميًّا.

- **التعليق:** يدل ما تبقى من التاريخ على أن السنة المقصودة هنا من حكم هذا الفرعون هي الرابعة لا الرابعة عشرة، ويلاحظ كذلك هنا أنه قد ذكر بين التاريخ وألقاب الفرعون الكاملة بعض جمل تعبر عن رغبة الفرعون الصالحة، وأنه سيبتدئ هنا عهدًا سرمديًّا لهذا الفرعون ينطوي على أعمال الخير العظيمة، والواقع أن هذا الوضع الكلامي لم يُعرف له مثيل في النقوش الأخرى التي من هذا الطراز، وقد يعزى ذلك إلى طيبة هذا الفرعون، وكثرة إصلاحاته في مواطن كثيرة كما سنرى بعد.

- **الملك والآلهة:** «تأمل! لقد كان جلالته في مدينة «حكبتاح» (منف) يقوم بأداء ما يرغب فيه والده «آمون» رب تيجان الأرضين في «الكرنك»، و«رع حور اختي»، و«آتوم» رب الأرضين صاحب «أيون» (عين شمس)؛ و«بتاح العظيم القاطن جنوبي جداره»، رب الحياة للأرضين، و«سخمت» العظيمة محبوبة «بتاح»، و«بتاح سكر أوزير» في شتيت، و«نفرتم»، والإله «نب كو»، والإله «حرحكن»، و«حور» (٣) … و«إزيس» والدة الإله، وسيدة السماء، والساحرة العظيمة؛ و«تحوت» رب كلمات الإله؛ وكل آلهة وإلهات مصر؛ لأنهم يمنحون ملايين السنين، وعشرات آلاف السنين من السلام، وكل البلاد وكل الممالك والأقواس التسعة تحت قدميه، ليته يكون فرحًا مع روحه مثل «رع» سرمديًّا.»

ونلاحظ أن هذه الفقرة تبتدئ بقائمة تعدد لنا أسماء ثلاثة الآلهة الرئيسية في الدولة المصرية، وهم «آمون رع» رب «طيبة»، و«آتوم» صاحب «عين شمس»، و«بتاح» إله «منف»، وبعد ذلك يستمر المتن في ذكر الآلهة المحلية التابعين لهم. وتدل الظواهر على أن ذكر هؤلاء الآلهة ليس له علاقة مباشرة بالمرسوم الذي سيأتي بعد، وإنما قد جاء ذكرهم للدلالة على إرجاع عبادة الآلهة القدامى.

- **الآلهة توافق على شرعية الملك في اعتلاء العرش:** «الإله الطيب ابن «أوزير»، والمنتقم للإله «وننفر» (أوزير بعد الموت)، والبذرة الصالحة لسيد الأرض المقدسة، وهو الذي قد هيأه والده عندما خرج من الفَرْج، وهو مقرر حكمه، وهو لم يزَل على يدي «إزيس» والدة الإله، وقد منحه عرش «جب»، وهي الوظيفة الصالحة لمن في السماء، وقد سوَّى جلالته «رع»، وكذلك سوى جماله، وعرَّفه بوصفه واحدًا يُنتخب من مليون ليكون ملك الوجه القبلي والوجه البحري في مكانه، وقد صوره بطلًا (٥) … شريف … وكل إله يفرح به، وأهل مصر العليا، ومصر السفلى يضعون جباههم سجودًا أمامه، والأشياء التي حوله قد صورت من أجله، وما يحيط به «آتون» تحت إشرافه، وقد اتحدت الآلهة لحمايته، ولإرضاء قلب «وننفر»، وقد قادوه إلى القصر الكريم، والتاسوع يمرح فرحًا، وقلوبهم في سرور، ويجدون في ذلك لذة قائلين: تعالَ أنت يا حور (؟) يابن «وننفر»، إنك سترث؛ أنت يا منتقمًا لوالده أوزير «خنتي أمنتي»، إنك مُمَكَّن على عرشه حتى نهاية حدود الأبدية، وإن قلب رب الجبانة لفرح عندما يراك على السدَّة مثل «رع»؛ لأنك على الأرض لتنظم الأرضين، ولتجعل المعابد في فرح.»

هذه الفقرة تتناول بحذق ومهارة ودهاء الانتقال الضروري من التحدث عن إصلاح الفرعون وتقاه وتعبده لآلهته، إلى خشوعه وقنوته وحبه الخالص للإله «أوزير»، وذلك بموافقة كل الآلهة. وقد مثل «سيتي» نفسه هنا كالإله «حور بن أوزير» الوارث الشرعي للفرعون، غير أنه لم يكن لوالده ولا للفرعون الذي سبقه على ما يظهر حق تولي عرش مصر، هذا بالإضافة إلى أنه كان يريد أن يقضي على اسمه «سيتي» الذي كان يُنسب إلى اسم هذا الإله البغيض «ست» إله الشر. وتدل شواهد الأحوال على أن هذين الاعتبارين قد دفعاه من وجوه عدة مختلفة للسعي في اكتساب حظوة الإله «أوزير» إله الشعب، ولبعث عبادته ثانية في أنحاء البلاد، وبخاصة بعد أن كان قد قضى عليها في عهد الانقلاب الديني الذي قام به «إخناتون»؛ وبذلك فقط رأى أنه قد يصبح في استطاعته أن يبعد عنه اتهام الكهنة بمحاباته

لإلهه المحلي «ست» الذي كان يُعبد في مقاطعة «ستوريت» مسقط رأسه كما تحدثنا عن ذلك فيما سبق.

(٥-٦) تُقى الملك وبرُّه بأوزير رب «العرابة»، ومؤسسته العظيمة فيها

سيلاحظ في الجزء التالي من المتن أن الفاصل الذي اتخذ هنا بين هذه الفقرة والسابقة مصطنع بعض الشيء، كما سيلاحظ كذلك أن أجزاءه ليست منسجمة. ففي البداية يستمر كلام الآلهة مخاطبين الفرعون بضمير المتكلم، ولكن بعد بضع جمل تصف لنا مؤسسة الفرعون، نجد أنه يشار للفرعون بضمير الغائب، وأخيرًا يحدثنا الفرعون بضمير المتكلم وهاك المتن:

> إنك قد ولدت لتجعل «العرابة» محمية (٧) ثانية، وتجعل من فيها ينعمون بما قررت، وإنك تبني بيته — أي بيت أوزير — مثل أفق السماء، وأشعته تسطع في الوجه، وصور أرباب «تاور» (الجزء المقدس في العرابة) قد صورت، والتماثيل المقدسة قد وضعت في مقاعدها وأشكالهم حقيقية كما كانت في زمن «رع»، ورصعت قواربهم بالأحجار الثمينة، وإنك تمنحهم كل يوم «ماعت»، ومنها يعيشون؛ وتضع لهم الهدايا المنعشة، وأعشابًا وأزهارًا على فطائر القربان، وإنك تجلب لهم ماء جاريًا في المكان الذي يرغب فيه — أي أوزير — لتمرِّن أرباب الأرض المقدسة؛ أما القصر الذي فيها — أي في العرابة — فقد حلي كثيرًا بالذهب الجميل الحقيقي الجديد من المصانع — أي الذهب الذي لم يُستعمل من قبل، وعندما يرى — أي البيت — تبتهج القلوب، وكل القوم يقدمون الطاعة، وإن وجهاءه هم الذين يسبغون عليه بهاءه مثل أفق رع عند إشراقه، أما الطوار الذي فيه فإنه كسهل من الفضة يسطع عندما يلقي الإنسان بصره عليه، وأبوابه المتناهية في الضخامة عملت من صنوبر الغابة، وأجسامها مغشاة بالذهب النضار، وملفوفة من الخلف بالشبه، وينتعش الإنسان عندما يرى صورتها. أما البوابات العظيمة ذات الأبراج، فقد أقيمت من حجر «عانو»، وقممها من الجرانيت، وجمالها يصل إلى أعلى عمد السماء؛ إذ تصل إلى «رع» في أفقه؛ والبحيرة التي أمامه — أي أمام المقر — تشبه الأخضر العظيم — البحر الأبيض المتوسط — الذي لا تعرف دائرته، وعندما يلقي الإنسان بصره عليها تظهر لامعة كاللازورد في زرقتها، أما وسطها فينبت فيه السقي (نبات البردي)، والغاب، ويزخر بالسوسن يوميًّا.
>
> تأمل إن البجعة تنزل لتسبح في أرجائها، وتحيط بها الأشجار التي تصل إلى عنان السماء، وقد غرست كالصنوبر في موطنه الأصلي، وينزل في بحيرتها قارب «نشمت» العظيم ليحمل موحد أثره — يقصد هنا إما «أوزير»، وإما الملك بوصفه

باني هذا المعبد — عندما يسبح عليه. تأمل إنه في بهجة ونواتيه في فرح، وكذلك ينادي أتباع «حور» قائلين: امنحه أبدية من الأعياد الثلاثينية لتضاعف سني حياته على الأرض، وليمكث أمد حكم «آتوم»، أما قاعات النطرون (للطهور أو التحنيط) فقد طهرت تطهيرًا عظيمًا، وأنها تصب الماء العذب من جديد، وهي مسورة بأحجار فائقة في صنعها، وأسرارها تصل إلى عنان السماء الأولى (؟)، ويكون الإنسان في داخلها وقلبه راضٍ. أما ماء الغسل الذي يصل إليها بمجارٍ كل يوم دون انقطاع على يد كهنة مرتلين مهرة، فأفواههم مختارة، تنطق بحديث وجمل تسر القلب ليمدوا العالم السفلي من أجل من يأوي إليه، وتاسوعه الذين يتمتعون بنفس الحياة. أما الخزائن فمفعمة بالطرائف، فالفضة والذهب مكدسة فيها على الأرض، والكتان الملكي والملابس بكميات منوَّعة (؟)، وكذلك وحدات الزيت، والبخور، والخمر، والشهد يخطئها العد، وبخور «بنت» فيها يحسب بالأكوام.

وقد عين له كهنة (خدام الآلهة)، وكهنة وضباط … وصوت يعلن الوظائف إلى أرباب كل الجبانة الذين يستيقظون كل صباح ليؤدوا شعيرة كشف وجه الأب — أي أوزير — عندما يرفعون الحجاب عن وجهه، ويقدم للأب الفاخر ملايين ومئات الآلاف من كل شيء نقي طيب لا يُحصى، مما يمنحه إياه ابنه نفسه، والوظائف … في هذا المعبد مفخمين إله الأفق في أفقه، وإنهم يقدمون المديح لمن في السماء ليقهر العدو الذي في طريقه، ويوجه النسيم العليل للإله «خبري»، ويضع سفينته على هذه البحيرة (؟)، ونواتي «رع» في عيد، وقلوبهم راضية بالإلهة «ماعت».

والمخازن هناك تحتوي على مواد دهنية، والأوقاف متكاثرة بالملايين، والعبيد فيه من أولاد الأمراء الذين أسرهم في بلادهم «رتنو» — أي من الحملة التي قام بها أول سنة من حكمه — وقد جعل كل فرد يعرف واجباته فيما يخص قواعد الطهارة كلها.

وقد قدم له مزرعة طيور في مستنقعاته، وكان عددها كعدد رمال الشاطئ، ويرى الإنسان بيته كأنه مستنقعات «خميس» (المكان الذي وُلد فيه حور) يعج بصياح الدواجن التي تسمن وتربى، وكل طير من طيور المزرعة، وتنتج له — أي لأوزير — طيور الشواء في بيته، أو ضيعته، والحظائر مفعمة بالفحول السمينة، والبقرات والثيران، والماعز والغزلان والعجول تُعد فيها بمئات الآلاف، ولا يمكن حصرها وعدها لكثرتها، وهي تجبى للقربان في تواريخها على حسب قاعدة الأشياء المقدسة … أوامر صانعها. وقد قدَّم — أي الملك — «ماعت» لروحه حتى يقرب له — أي الملك — ما يحيط به «آتون»، هذا فضلًا عن عبيد معبده — أي معبد أوزير.

وقد كثر له كل أنواع الحيوانات التي تسير على وجه الأرض، فالفحول تنزو، والقطعان يزداد عددها (؟)، والأعشاب تورق أضعافًا مضاعفة، وسيقان الأشجار تورق في مواقيتها المحددة، وتتضاعف ملايين المرات، فعددها يكثر من جديد بما وهبته حديثًا، والرعاة يتعهدون قطعانهم التي تحت يدهم من ابن لابن؛ حتى الأبد

السرمدي، ويقدم لها الكلأ في حظائر الأوز (؟)، وفي المستنقعات، وكذلك الورق والأزهار. وهذه الأرض قد تُركت لها بمثابة حفل ترتع فيه، وليس لأحد قط أن يسيطر عليها، والفحول والثيران قد انتشرت في الأدغال وعلى الشواطئ، فالنتاج القديم يملؤها، والقطعان قد عمرت بطونها بالصغار لتلدها، والفحول التي تتبع أمهاتها هي من نتاجها. وبُنيت له — أي لأوزير — أساطيل من السفن لتكثير عقاقير الأعشاب في معبده، وقد غطى عددها «الأخضر العظيم» (البحر)، ومصبات النهر قد ازدحمت بالقوارب والسفن المجهزة بنواتيها، وكل سفينة منها طولها مائة ذراع، وحمولتها من أعشاب العقاقير الواردة من أرض الإله (بلاد العرب)؛ فترسو عند الميناء العظيمة لتمد تخوم صحراء «تاور» (مقاطعة العرابة المدفونة). وأعد له — لأوزير — الفرعون قوائم تحتوي مئات الآلاف من الأرض المنخفضة، والجزر والأرض العالية، وكل الأرض الصالحة لإنتاج المحاصيل لتصبح قربانًا لروحه، وبنى له سفن كرر لحمل كل محصول، وأصبحت مخازن الغلال طافحة بالقمح، وأكوامها وصلت إلى عنان السماء في ارتفاعها.

وقد صدر مرسوم بسنٍّ قانون لأجل عبيده في كل مراكز الوجه القبلي والوجه البحري، وقد ميز كل أهله وحموا مثل الأوز (المقدس للإله آمون) على الشواطئ التي يرغبون فيها؛ وذلك لأن كل أعمالهم موقوفة لخدمة روحه، في المقاطعة العظيمة التي أحبها؛ ولذلك لن يتلقوا الأوامر من آخرين، ولن يتدخل في أمرهم من ابن لابن، كما هو مقرر، في أعمالهم حتى نهايات حدود الأبدية.

ولقد طهرت بيتي ملايين المرات، وقد ميزت أولئك الذين يسكنونه ثانية، ووضعت العبيد الذين حصلت عليهم في بيتي، ولن أنفصل عنهم. وقد بدأت هناك منذ طفولتي حتى تولي الحكم (؟) … ومنحته كل أراضي الوجه القبلي طعامًا لوحه (كا)، ولن أمَلَّ، ولن أنسى واحدًا من منشوراتي سواء أكان ذلك على الماء، أم على اليابسة، وهذا على وجه التأكيد إلى الأبد السرمدي.

المرسوم: وعلى الرغم من كثرة الفقرات المتآكلة والمهشمة في المرسوم التالي، فإن تكرار العبارات في المتن قد سهل علينا نقل هذه النقوش، وتكملة ما تهشم منها في جهة مما بقي في جهة أخرى، وعلى ذلك لم يغِب عنَّا من المتن كله إلا بعض جمل أو ألفاظ يمكن رؤية ما بقي منها أحيانًا، وتقدير أصلها هذا إلى أنه لم يكن في استطاعتنا حتى الآن فهم معاني بعض الألقاب والاصطلاحات الفنية المستعملة في هذا المتن على وجه التأكيد، وهاك نص المرسوم:

نص المرسوم: مرسوم موجه من جلالة البلاط الملكي — له الحياة والفلاح والصحة — في هذا اليوم إلى الوزير وكبار الموظفين، ورجال البلاط، ومجلس القضاة، ونائب الملك في «كوش»، ورؤساء الرماة، والمشرفين على الذهب، والعمد، ومراقبي المعسكرات في الوجه القبلي والوجه البحري، والسُّيَّاس، ورؤساء الإصطبل، وحاملي المروحة، وكل مدير بيت لأملاك الفرعون، وكل فرد بُعث في مأمورية لبلاد «كوش»، لكل هؤلاء يقول المرسوم: أمَر جلالته بسن قانون لبيت ملايين السنين ملك الوجه القبلي والوجه البحري «من ماعت رع» المسمى «القلب في راحة في العرابة» على الماء واليابسة، وفي كل أنحاء مقاطعات الوجه القبلي والوجه البحري لمنع أي تدخل في أمر أي شخص تابع للبيت المسمى «القلب في راحة في العرابة»؛ في كل البلاد سواء أكان رجلًا أم امرأة، ولتحريم الاستيلاء على أي أناس تابعين لهذه الضيعة بالقبض من صقع إلى صقع آخر للسخرة، وإكراههم على حرث الأرض، أو إجبارهم على الحصد عن طريق أي نائب فرعون، أو أي رئيس رماة، أو أي عمدة أو أي مدير بيت، أو أي شخص أرسل في مأمورية لبلاد «كوش»، وكذلك للتحريم على قواربهم الوقوف على الماء بأي دورية تفتيش.

ولمنع التدخل في أمر أي أرض يملكها «بيت من ماعت رع» المسمى «القلب في راحة في العرابة» في الأرياف أجزاء … في سياحتهم؟ أو في عبورهم على يد أي نائب ملك، أو رئيس رماة، أو مدير بيت تابع لبيت تفتيش أملاك الفرعون، أو أي فرد في مأمورية بلاد «كوش».

ولمنع البقرات والحمير والكلاب والماعز، أو أي حيوان واحد ملك (بيت من ماعات إلخ) من أن تؤخذ سرقة، أو بطريق الامتياز على يد أي نائب ملك، أو أي رئيس رماة، أو أي عمدة مدينة، أو أي رئيس جياد، أو أي رئيس إصطبل، أو أي حامل مروحة، أو أي ضابط جيش، أو أي فرد أرسل في مأمورية لبلاد «كوش».

ولتحريم التدخل في شأن أي صائد طيور تابع لبيت (الاسم الكامل للمعبد) (٣٧) في مستنقعات صيده، وفي مياه صيد سمكه، وعلى اليابسة بقصد مضايقته (؟)، ولمنع الاقتراب من أي صائد سمك تابع لمقر الملك … إلخ (٣٨) على برك صيده للسمك التي على أي جزء من أرض «كوش» بوساطة أي نائب ملك، أو أي رئيس رماة، أو أي عمدة مدينة أو أي مدير بيت تابع لأي جزء من أرض «كوش».

ولتحريم التدخل في أمر أي خدم تابعين لبيت (الاسم الكامل) الذين في أرض «كوش» سواء أكانوا رجالًا أم نساء، أم حراس أرض، أم مديري بيوت، أم نحالين، أم زراعًا، أم بستانيين، أم عاصري خمر (؟)، أم أصحاب قوارب، أم حزامين، أم تجارًا أجانب، أم عمال غسيل الذهب، أم بنائي سفن، أم أي فرد يقوم بعمله في بيت «من ماعت رع المسمى القلب في راحة في العرابة»، بل يجب أن يميزوا ويكونوا محميين، ويقوم كل واحد منهم بمباشرة حرفته التي تؤدي في «بيت من ماعت رع» إلخ، دون أن يزعجهم أي نائب ملك في «كوش»، أو أي رئيس رماة، أو أي موظفين كبار، أو أي رئيس خيل، أو أي رئيس إصطبل، أو أي حامل مروحة، أو أي ضابط جيش، أو أي فرد أرسل في مأمورية لبلاد «كوش».

أما عن أي نائب ملك في كوش، أو أي رئيس رماة، أو عمدة مدينة، أو أي مدير بيت، أو أي فرد يستولي على شخص تابع «لبيت من ماعت» إلخ، بالقبض عليه من صقع إلى صقع آخر سخرة لتشغيله في الحرث أو الحصاد، وكذلك كل من يستولي على أية امرأة، أو أي شخص تابع «لبيت من ماعت رع» إلخ، وكذلك عبيدهم بالقبض عليهم للقيام بأي عمل مهما كان، وكذلك أي رئيس جياد، أو رئيس إصطبل، أو أي فرد تابع لضياع الفرعون من صقع إلى صقع آخر سخرة لتشغيله في الحرث أو الحصاد، وكذلك للقيام بأي عمل كان.

فإنه يعاقَب بجلده ثمانين جلدة، وخمسة جروح دامية، هذا إلى إرغامه على القيام بالعمل الذي كان يقوم به التابع للمقر عن كل يوم سيمضيه معه، ويؤدي

ذلك لبيت «من ماعت رع» إلخ.

وأي نائب فرعون، أو رئيس رماة، أو عمدة مدينة، أو مدير بيت، أو أي موظف كبير، أو أي فرد أرسل في مأمورية لبلاد «كوش» يتعمد وقف أي قارب تابع لبيت «من ماعت رع» إلخ، أو أي قارب لمدير بيت تابع لضياعه، ويجعله يرسو إلى البر، ولو يومًا واحدًا قائلًا: «إني سأستولي عليه، كما فرض عليه لأجل عمل خاص بالفرعون له الحياة والفلاح والصحة.» فإنه سيعاقب بالجلد مائة جلدة، ويجرح خمسة جروح دامية، هذا فضلًا عن خصم ما يوازي عمل السفينة منه عن كل يوم تكون قد رسته، ويؤدي ذلك لبيت «من ماعت رع» إلخ.»

وأي موظف أو أي مشرف على أرض تابعة لهذه الضيعة، أو أي حارس لثيران حرث، أو أي مدير بيت يتدخل في حدود الأراضي التابعة لبيت «من ماعت رع»، إلخ، بأن يزحزح حدودها سيعاقب بقطع أذنيه، ويكلف أن يكون زارعًا في المقر … إلخ.

وأي فرد في البلاد قاطبة يهاجم أي صائد تابع لبيت «من ماعت رع» إلخ، في مستنقعات صيده، أو في بركة صيده سيعاقب بجلده مائتي جلدة، وجرحه خمسة جروح دامية.

وأي فرد يوجد سارقًا متاعًا خاصًا ببيت «من ماعت رع» إلخ، سيعاقب بجلده مائة جلدة، وينتزع منه المتاع الخاص «ببيت من ماعت رع» إلخ، بوصفه متاعًا مسروقًا (؟) بنسبة مائة لواحد.

وكذلك قرر جلالته سن قانون خاص بالموجود من البقر، والماعز، والحمير، والكلاب، والأوز والموجود من … ملك بيت «من ماعت رع» إلخ على الماء (٥٧)، وعلى اليابسة ليمنع التدخل في أمر أي قطيع منها، ويمنع التدخل في شئون رعاتها، ويمنع الاستيلاء على ماشية، أو حمير، أو كلاب، أو ماعز، أو أي شيء من قطيع منها بالقهر أو الاستباحة، وكذلك يحرَّم على كل مشرف على

ماشية، أو مشرف على كلاب، أو أي راعٍ تابع لبيت «من ماعت رع» إلخ الاستيلاء على ثور، أو حمار، أو كلب، أو ماعز من أملاك بيت «من ماعت رع» إلخ، أو إعطائها آخر خلسة، أو جعلها تقدم لإله آخر، وألا تقدم لـ «أوزير» سيدهم في بيته الكريم الذي أقامه جلالته.

ويحرِّم مهاجمة أي راعٍ تابع لبيت «من ماعت رع» إلخ، في كلئه الخاص بالماشية بوساطة أي موظف كبير، أو عمدة أي مدينة، أو أي مشرف على الماشية، أو أي وكيل، أو أي مشرف على كلاب الصيد، أو أي شخص مهما كان.

ويحرِّم الاستيلاء على نسائهم، أو خدمهم الذين يقبض عليهم في أي عمل للفرعون — له الحياة والفلاح والصحة — وكل شخص سيتعدى حدود هذا القرار، ويستولي على «راعٍ» تابع لبيت «من ماعت رع» إلخ، بالقبض عليه، أو بنقله من صقع إلى صقع آخر للقيام بأي عمل يجعل الراعي يقول: «إنني منذ أن أخذت قد حاقت خسارة بقطيعي في رأس من الحيوان أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة، فإنه سيوقع عليه العقاب بجلده مائتي جلدة، وانتزاع رءوس حيوان بيت «من ماعت رع» منه بوصفها مسروقة، وذلك بنسبة مائة لواحد.

وأي شخص يُضبط مستوليًا على رأس من حيوان بيت «من ماعت رع» إلخ، سيوقع عليه العقاب بجدع أنفه وأذنيه، وجعله زارعًا في بيت «من ماعت رع» إلخ، عقابًا له على جريمته، وكذلك يستخدم زوجه وأولاده عبيدًا لمدير بيت الضيعة.

وأي حارس ماشية، وأي حارس كلاب صيد، أو أي صياد تابع لبيت «من ماعت رع» إلخ، يعطي آخر رأس؛ أي حيوان لبيت «من ماعت رع» إلخ، اختلاسًا؛ وكل من يسعى لإعطائها جهة أخرى، ولا تقدم لـ «أوزير» سيده في بيت «من ماعت رع» إلخ، فإنه سيعاقَب بطرحه أرضًا، ووضعه على خازوق، والاستيلاء على زوجه وأولاده، وكل متاعه لبيت «من ماعت رع» إلخ، واسترجاع رأس الحيوان

من الذي قد أعطيها بوصفها مسروقة من بيت «من ماعت رع» إلخ، بنسبة مائة لواحد.

وأي فرد في الأرض قاطبة يهاجم راعيًا تابعًا لبيت «من ماعت رع» إلخ، في مرعى (٨٢) ماشيته سيعاقَب بجلده مائة جلدة، وجرحه خمسة جروح دامية.

وفضلًا على ذلك قرر جلالته سن قوانين لأسطول جزية بلاد «كوش» التابع لبيت «من ماعت رع» إلخ؛ لمنع أي مشرف حصن سيكون على حصن «سيتي مرنبتاح» التي في «سخمت» (مكان غير معروف موقعه) أن يستولي على ذهب، أو جلود، أو أي نوع من جزية حصن (؟)، أو أي بضاعة … بوصفها امتيازًا إلى أبد الآبدين.

وكذلك يحرَّم الاستيلاء على أي بحَّار تابع لسفينة خاصة بجزية بيت «من ماعت رع» إلخ، وتكليفه بعمل في طريق آخر.

وكذلك يحرَّم على أي نائب ملك، أو أي رئيس رماة، أو أي رئيس نوبيين تابع لأرض «كوش» أن يتدخل في شأن قارب تابع لبيت «من ماعت رع» إلخ، وكذلك نواتيهم (؟)، وأي مشرف على قلعة، أو أي كاتب فيها، أو أي مفتش تابع لها يصعد على ظهر قارب تابع لبيت «من ماعت رع»، ويستولي على ذهب، أو عاج، أو أبانوس (؟)، أو جلود فهود، أو جلود شواشتي (نوع من الحيوان)، أو ذيول زرافات، أو جلود زرافات … أعشاب، أو أي سلعة من بلاد «كوش» جُلبت جزية لبيت «من ماعت رع» إلخ، سيعاقَب بالجلد مائة جلدة، وتُنتزع منه الأشياء المغتصَبة؛ عقابًا له، وتُرد إلى بيت «من ماعت رع» إلخ، بنسبة ثمانين لواحد.

وكل نائب ملك، وكل مشرف على كلاب، وكل مفتش، أو كاتب تابع الأرض «كوش» يستبيح سفينة تابعة لبيت «من ماعت رع» إلخ. و(٨٥) ويأخذ سلعًا منها، أو يستولي على ضابط أية سفينة تابعة لبيت «من ماعت رع»، ويرسله في عمل سيعاقب وتُنتزع منه السلع تعويضًا لبيت «من ماعت رع»، وكل يوم من

أيام الضابط المستولي عليه يؤخذ بدله منه بنسبة … أيام من كل يوم سيصرفه عنده.

وكذلك قرر جلالته سن قانون لأجل … الكهنة، والكهنة المرتلين، وعمال المعبد (٩٩) … وكل الموظفين … بأنواعهم، يحرَّم على أي فرد في البلاد التدخل في شئونهم، أو شئون أهلهم، أو في أمر أي متاع من أمتعتهم، أو أخذ أي واحد منهم، أو سبي نسائهم، وعبيدهم بالقبض من صقع إلى صقع آخر للعمل سخرة في حرث الأرض، أو في الحصاد بوساطة أي حاكم، أو أي عمدة، أو أي شخص في الأرض قاطبة.

وأي شخص في البلاد قاطبة سيتدخل في شئونهم أو في شئون أي فرد من أهلهم أو في أي شيء من متاعهم سيعاقَب بالجلد مائة جلدة، وبخمسة جروح دامية.

وإذا نتجت خسارة خاصة ببيت «من ماعت رع» إلخ، فإن الخسارة يجب أن تعوَّض؛ وإذا شكا فرد تابع لبيت «من ماعت رع» إلخ، لأي مجلس قضائي في أي مدينة قائلًا: «إن مفتشًا أو سائس خيل أو رئيس إصطبلات، أو ضابطًا، قد تدخل في شئوني وأخذ سلعي فعليهم أن ينتزعوا الأشياء الناقصة منه، وأن يسترجعوا السلع من الرجل الذي تدخل في شئونه.»

ولقد تجنب جلالته طرح من ضايقهم أرضًا، ووضعهم على خازوق؛ رغبة منه في أن يترك لمجلس أي مدينة يذهبون إليها أن يُحكم عليهم، وإذا أتى رجل أي واحد من التابعين لبيت «من ماعت رع» آخر في أي بقعة قائلًا: «إن فلانًا … قد تدخل في شئوني، واغتصب ثوري، أو أنه أخذ الثور، أو أخذ ماعزي، أو أي شيء سُرق من الناس، أو أن واحدًا كالمفتش قد قبض على رجل ليقوم له ببعض العمل، ولا يطير لكلمته لإحضار خصمه بسرعة لمحاكمته، فإن «أوزير خنتي

أمنتي» (أول أهل الغرب) صاحب هذا الشخص، ومالك السلع سيتعقبه، وزوجه، وأولاده ليمحو اسمه، ويقضي على روحه، ويحرِّم على جسمه البقاء في الجبانة.

وأي عضو (؟) في أي محكمة (؟) في أي مدينة يذهب إليه فرد تابع لبيت «من ماعت رع» إلخ ليشكو إليه، ولم يلتفت إليه، ولم يسرع عند سماع صوته بالفصل في قضيته، سيعاقب بالجلد مائة جلدة، ويحرم وظيفته، ويسخر زارعًا في بيت «من ماعت رع» إلخ.»

- **خاتمة:** إن جلالته قد قام بعمل هذه برًّا بوالده «أوزير» «خنتي أمنتي» رب «العرابة» رغبة منه في أن يميزه بها لأجل الأعمال المجيدة التي عملتها (؟) في (١٢١) … له لأن العرابة قد قدِّر لها أن تقوم باستعطافه، ولإرضاء روحه (كا) في أثناء كل يوم، ولتجعله … (١٢٣) … في الأرضين … هم الذين في محاريبهم (١٢٤) حتى يستريحوا في أماكنهم (١٢٥)، مبتهجين بكل ما فعل؛ حتى يهبوه بقاء «رع»، وحكم الأرضين باقيًا ضعفين، مخلدًا وسرمديًّا.

- **تعليق:** كان الغرض من هذا المرسوم المحافظة على حقوق مؤسسة ملكية عظيمة حبسها الفرعون «سيتي الأول» على الإله «أوزير»، غير أن طبيعة هذه المؤسسة، وما جاء فيها من إبهام، أو بعبارة أخرى؛ عدم قدرتنا على فهم كنهها قد عاقنا عن إعطاء حكم واضح على أصلها؛ فنجد أولًا: أن اسمها وموقعها ليسا واضحين تمام الوضوح؛ فقد كُتب الاسم في المرسوم نفسه في عدة مواضع كاملًا، وفي مواضع أخرى كُتب باختصار، هذا فضلًا عن أنه حدث في كتابة الاسم بعض التغيير؛ ولذلك يمكن ترجمته على وجهين؛ فقد كُتب: بيت ملايين السنين للملك «من ماعت رع» راحة القلب في العرابة، وكذلك كُتب: بيت ملايين السنين قلب الملك «من ماعت رع» في راحة العرابة. يضاف إلى ذلك أن الاسم قد كُتب مختصرًا هكذا: بيت «من ماعت رع» راحة القلب في العرابة، أو البيت المسمى «قلب من ماعت رع في راحة في العرابة». ولدينا مرسوم مشابه لهذا المرسوم أصدره الفرعون «رعمسيس الثالث» في «إلفنتين» خاص بمعبد الإله «خنوم»؛[٦٠] وتدل الإشارات

المستمرة للصيادين والرعاة في متن «نوري» هذا إلى أن هذه الضيعة التي نتحدث عنها كان معظمها مكوَّنًا من مستنقعات ومراعٍ، وكانت منتجاتها ترسل إلى «العرابة»، ومن ثم كانت الحاجة ماسة لبناء أسطول من السفن لحملها إلى هناك، هذا فضلًا عما تكشفه لنا ما كانت عليه بلاد النوبة من رخاء وخصب، وأرزاق كثيرة لا يكاد يصدقها العقل إذا ما قرناها بالحالة الراهنة، وعلى الرغم من أن هذه القوانين كان قد سنها «سيتي» لمعاقبة كل من يتعدى على أملاك الإله «أوزير»، فإنها في الوقت نفسه تضع أمامنا مثالًا حيًّا عن نوع القوانين والعقوبات التي كانت تجري عليها البلاد في عهد «سيتي الأول». وإذا نظرنا إليها بعين فاحصة وجدنا أنها هي نفس القوانين التي كان قد سنها «حور محب» عندما قام بالإصلاح الشامل الذي كان يبغي من ورائه استتباب الأمن في البلاد، وسنرى فيما بعد أن «سيتي» كان يطبقها أو يسنها في أحوال أخرى. ويلاحظ أن «سيتي» بعد أن هدد بالعقاب الدنيوي لجأ في النهاية إلى العقاب الأخروي، وهو غضب «أوزير»، وسخطه على كل مذنب. أما ذكر الذهب في هذا المنشور، فلم يرد إلا ضمن مواد الجزية من بلاد النوبة، ومن ثم يظهر أن «سيتي الأول» قد رصد معظم جزية بلاد «كوش» من الذهب لمعبد «العرابة»، غير أنه لم يرتكن على هذا المصدر لإمداد المعبد، وغيره من الأعمال التي كان يقوم بها بالذهب، بل قرر أن يقوم بمشروع أساسه استغلال مناجم الذهب الواقعة في الصحراء الشرقية.

(٥-٧) الذهب واستخراجه من أرض الوادي

ولم يبتدع «سيتي الأول» جديدًا عندما وطد العزم على استغلال مناجم الذهب، بل كان في الواقع يترسم في هذا الشأن خُطى أسلافه الذين بحثوا عن الذهب منذ أقدم العهود، فقد كان الذهب منذ عصر ما قبل الأسرات يستعمل في زخرفة الحلي، وأدوات الزينة في مصر؛ فنجد في المتحف المصري خنجرًا من الظران الجميل الصنع، مقبضه من الذهب الخالص، كما توجد فيه كذلك سكين من الظران يرجع تاريخه إلى باكورة العهد العتيق في مصر، مقبضه مُزين بأشكال حيوان مموهة بالذهب، وقد كشف الأستاذ «ريزنر» عن أشياء مصنوعة من الذهب يرجع تاريخها لعصر الأسرة الأولى في بلدة «نجع الدير».[٦١] يضاف إلى ذلك أن آثار الملكة «حتب حرس» والدة الملك «خوفو» تضع أمامنا صحيفة بليغة عن مهارة صياغ الذهب في عهد الأسرة الرابعة، كما تحدثنا عن وفرة الذهب، ومقدار الكمية التي كانت في متناول الأسرة المالكة. ومنذ عهد بناة الأهرام نجد أن الذهب كان يستعمل

بنظام في مصر، ولا أدل على ذلك من مجوهرات الدولة الوسطى التي تمتاز بفخامة صنعها، ودقة إخراجها. ولا نعلم على وجه التأكيد من أي مكان جلب المصريون الذهب في العهود الأولى، فيقول الأستاذ «بتري»: إن الذهب الأسيوي كان بلا شك يُستعمل في مصر في عهد الأسرة الأولى؛ وذلك لأنه معلَّم بما خُلط فيه من الفضة التي كانت فيه بنحو السدس (راجع الجزء الثاني من تاريخ مصر[٦٢] ص١٨٩–٢٠٠). ويظن كذلك أن بعض الذهب قد وصل إلى مصر عن طريق «ترانسلفانيا» منذ عهد الأسرة الثانية. وعلى أية حال فإن مستر «لوكاس» قد كذَّب ما ذكره «بتري» في كلتا الحالتين (راجع: Lucas, Ancient Egyptian Materials & Industry p. 183).

إذ الواقع أن الإقليم الذي فيه الذهب في مصر يقع بين وادي النيل والبحر الأحمر، وبخاصة في هذا الجزء من الصحراء الواقع على طريق «قنا» و«القصير»، وحدود السودان، وقد وجدت بعض مناجم قديمة مشغولة فيه في شمالي «قنا»، وكذلك وجدت مناجم ذهب خارج تخوم مصر وفي السودان حتى «دنقلة» جنوبًا. ولم يعثر على مناجم للذهب في شبه جزيرة سيناء، وإن كان لدينا بعض الوثائق القديمة التي ربما تشير إلى أن الذهب كان يأتي من هذه الجهة (راجع Lucas Ibid. p. 182)، ولدينا من عهد الأسرة الثانية عشرة وثائق مدونة تحدثنا عن جلب الذهب إلى مصر من الجهات الجنوبية، فعلى حسب رأي «لوكاس» لم تصلنا وثائق حتى الآن عن جلب الذهب من الشمال إلى مصر قبل الأسرة التاسعة عشرة (راجع Luca ibid p. 185)، ولكن تاريخ «تحتمس الثالث» يحدثنا عن جلب الذهب إلى مصر بمثابة غنيمة حرب وهدايا، أو جزية، وقد كان يَرد إلى مصر في «صور» تحف مصنوعة، أو في شكل حلقات (راجع الجزء الرابع من مصر القديمة) من البلاد المقهورة في آسيا؛ ولا شك إذن في أن الجزية التي كانت تجيبها مصر من إمبراطوريتها في آسيا من هذا المعدن بالإضافة إلى محصول المناجم المصرية، والإتاوة التي كانت مفروضة على بلاد النوبة تبرر التسمية الحرفية للأسرة الثامنة عشرة: «العصر الذهبي المصري» فقد كانت ثروتها من هذا المعدن الثمين مضرب الأمثال عند الممالك المجاورة لها، ولا أدل على ذلك من خطاب ملك بابل الذي أرسله للفرعون «أمنحتب الثالث» يلحُّ فيه على هذا الفرعون أن يرسل ذهبًا وصفه بأنه عادي في مصر مثل التراب (راجع الجزء الخامس).

ويعد استعمال الذهب بسخاء في مقبرة «توت عنخ آمون» — الملك الشاب الذي لم يكن بعد من عظماء ملوك مصر في تلك الفترة — برهانًا على مقدار ثروة مصر من النضار في هذا العهد، على أن الذهب لم يكن وقتئذ محبوسًا استعماله على الأسرة المالكة وحدها، بل نجد أن كل موظف حكومي كبير المكانة على وجه التقريب،[٦٣] كان يجزل له العطاء من الحلي الذهبي الضخم علامة على رضاء الفرعون عليه، وبخاصة في العهد الأخير من الأسرة الثامنة عشرة، وكذلك في عهد الأسرة التاسعة عشرة.

وعلى أية حال فإن الكثير من هذه الذخائر الذهبية قد وُزع، ولم يعد يُجلب منه من الخارج إلا النزر اليسير، ومن أجل ذلك وجد ملوك الأسرة التاسعة عشرة أنهم في حاجة إلى

استغلال مناجم الذهب استغلالًا واسع النطاق ليحصلوا على ثروة يمكنهم بها تنفيذ برامج إعادة تنظيم الإمبراطورية في الخارج، والقيام كذلك بحملة واسعة النطاق لإقامة العمائر، وبخاصة المعابد، والمؤسسات الدينية، وإصلاح ما أفسده «إخناتون» وشيعته في داخل البلاد، وفضلًا عما قام به «سيتي الأول» من نشاط في منطقة «وادي عباد» فإنه كان يقوم بأعمال لاستخراج الذهب من أماكن أخرى بعيدة عن هذا المكان في الجنوب، وبخاصة في «أكيتا»، وليس لدينا وثائق مدونة تحدثنا بأن «سيتي الأول» نفسه قد قام بهذا العمل، ولكنا نعلم من لوحة «كوبان» العظيمة أن ابنه «رعمسيس الثاني» يقول: إنه قد سمع عن وفرة الذهب في «أكيتا» akita، غير أن فقدان الماء في الطريق المؤدية إلى هذه البقعة قد سبب موت كثير من الرجال والعير، الذين كانوا يُستعملون في المناجم؛ مما أدى إلى وقف العمل هناك جملة.

عندما أمر «رعمسيس» بحفر بئر هناك أجابه نائب الملك في «كوش» هناك قائلًا: «إن كل ملك من قبل قد قام بحفر بئر هنا غير أنه لم يتفجر منها ماء»، وقد قام بمثل هذا العمل الملك «من ماعت رع» (سيتي الأول)، فأمر بحفر بئر عمقها نحو عشرين ومائة ذراع في عهده، ولكنها هُجرت على الطريق لأنه لم يخرج منها ماء (راجع Br. A. R., III, § 289)، ومن ثم نرى أن «سيتي الأول» قد حاول عبثًا استغلال مناجم «أكيتا»، وسنتكلم عن لوحة «كوبان» في مكانها.

(٥-٨) المصور الجغرافي لمناجم الذهب في عهد «سيتي»

وبهذه المناسبة يجب علينا أن نتحدث عن بردية اشتراها «درافوتي» من «طيبة»، وهي الآن محفوظة ضمن نفائس متحف «تورين»، وقد صُوِّر عليها على حسب ما وصلت إليه معلوماتنا أقدم مصور جغرافي في العالم، وهذا المصور قد مثل عليه الأصقاع التي يوجد فيها الذهب في وادي النيل، فنرى فيها الجبال، والطرق، والعمل، والمباني المختلفة، كما نشاهد لوحة نُقش عليها اسم «سيتي الأول»، وهي تقع بجوار بئر في قطعة أرض مزروعة، ومن هذه الإشارة عرفنا أن هذه البردية قد ترجع إلى عهد «سيتي الأول»، وقد قامت محاولات عدة للتعرُّف على البقعة التي تمثل هذا المصور على وجه التأكيد، ولكن الأمر لا يزال تكنفه بعض الشكوك، ويظنُّ «توماس» أن المناجم القديمة المسماة «داراهيب darahib» الواقعة في «وادي علاقي» هي المكان الذي يمثل هذا المصور،[٦٤] وقد كشف «لينان دي بلفور» عن هذه المناجم ثانية، وعمل لها مصورًا، وبمضاهاة مصور «تورين» القديم بمصور «لينان» في عتبايه وجد «توماس» أوجه الشبه الآتية، وهي:

- (١) أن المناجم المشغولة كانت في جنوب الوادي.

- (٢) أن الوادي يحتوي كلأ وفيرًا، وفي المصور القديم نجد أن الجزء الأوسط المنزرع الذي رُسمت فيه اللوحة يشير بصفة تلفت النظر إلى الرواسب الخصبة الواقعة شمالي الوادي.

- (٣) لاحظ «لينان» بعض الدلائل على وجود بئر قديمة بالقرب من جامع قرية المناجم، وكذلك لاحظ وجود قبر أو معبد محفور في الصخر في الشمال من المنجم الرئيسي، وهذه الظواهر نجدها كذلك ممثلة في المصور.

- (٤) يظهر أن موضع الوديان أو الطرق الجبلية متشابهة في المصور القديم وفي مصور «لينان»، ويلاحظ في هذا المصور أن البحر يقع فيه على اليسار، ولولا وجود هذا الاتجاه لأصبح في وسع الإنسان أن يقول: إن منجم «براميا» الواقع شرقي «إدفو» هو الذي يمثل مكان المعبد، أو البئر، والمنجم القديم. ولم يعثَر حتى الآن على اللوحة التي نحتها الملك «سيتي» بالقرب من البئر الموجودة في «وادي مياه»، أو «وادي عباد»، وليس ببعيد أن تكون واحدة قد حُفرت هناك، وأنها لا تزال مطمورة تحت الرمال، وتنتظر الكشف عنها؛ لأن هذا المكان لم تعمل فيه حفريات علمية حتى الآن.

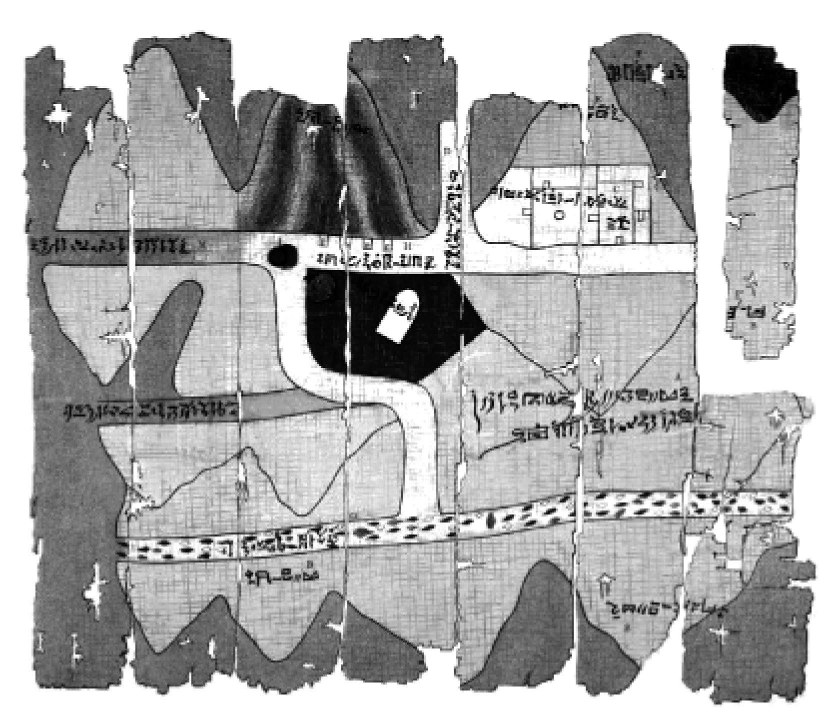
أما البردية التي رسم عليها هذا المصور (انظر الصورة ٣) فيبلغ عرضها نحو ثلاثة وثلاثين وخمسمائة مليمتر، وارتفاعها نحو سبعة وخمسين وأربعمائة مليمتر، ويظهر في المصور ترتيب خاص تُعرف منه الجبال، والطرق، وبعض تفاصيل أخرى، وإيضاحات كُتبت بالخط الهيراطيقي، فتُعرف فيه ست طرق، وسلسلة من التلال رُسمت بقمم مدببة، وقد رُسم واحد منها باللون الأحمر المائل للسمرة، وتظهر في وسط المصور تقريبًا بقعة ذات قمة مستديرة، وبئر بيضية الشكل لونها أخضر، وبالقرب من البئر مباشرة نشاهد أربعة بيوت للعمال، وإلى اليمين يوجد معبد، أما النقوش التي على هذا المصور فقد ترجمها الأستاذ «جاردنر»،[٦٥] وهي كالآتي:

- (١) الجبال التي يُستخرج منها الذهب، وهي بهذا اللون الأحمر.

- (٢) نقشان موجودان تحت الطريق السفلية، إحداهما على الشمال، وفوق الطريق العلوية على اليسار، وهو «جبل ذهب»، وعلى الجهة اليمنى تحت أسفل الطريق «جبال من الفضة (؟) والذهب.»

- (٣) ونقرأ بجانب تخطيط معبد، أو محراب ما يأتي: «محراب آمون صاحب الجبل النقي (الطاهر).»
- (٤) وعلى الطريق المؤدية جنوبًا إلى أعلى طريق نقرأ: «طريق ثامتني».
- (٥) وعلى التل الواقع فوق المحراب كتب: «جبل آمون (؟).»
- (٦) ونجد أعلى من الطريق المؤدية لبيوت العمال، وعلى يمينها ما يأتي: «الجبل الذي يأوي إليه آمون.»
- (٧) وبجانب بيوت العمال على الطريق كُتب: «بيوت مستعمرة مناجم الذهب.»
- (٨) وبجانب اللوحة كُتب: «لوحة من «ماعت رع» (سيتي الأول) (له الحياة والصحة).»
- (٩) وعلى الطريق الوسطي من اليسار كُتب: «طريق أخرى تؤدي إلى الصحراء.»
- (١٠) وعلى أسفل طريق من اليسار دوِّن: «طريق تنت … بارمر … (؟).»

ولا شك في أن المطَّلع على هذا المصور لا يشك كثيرًا في أن المصري في ذلك العهد السحيق كانت له دراية لا بأس بها في علم تخطيط البلدان، والأماكن الطبعية.



شكل ٣: مصور لمناجم الذهب أقدم مصور جغرافي في العالم.

الأماكن التي كان يُجلب منها الذهب من الوثائق الأصلية

إن أول وثيقة أصلية مدونة وصلت إلينا عن بعثة منظمة أرسلت لاستحضار الذهب بخاصة يرجع عهدها للأسرة الثانية عشرة (١٩٨٠–١٩٣٥ق.م) فقد ذكر لنا «أمنمحات» الذي كان يُعد من أقوى حكام المقاطعات في «بني حسن» أنه اشترك في ثلاثة بعوث إلى الجنوب، وقد كان القصد من البعثين الأخيرين منها الحصول على الذهب. وقد قال عن حملته الثانية: «ثم سحت جنوبًا لإحضار ركائز ذهب لجلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري «خبر كارع» «سنوسرت الأول» عاش مخلدًا وسرمديًّا»، وقد صاحب الأمير الوراثي الذي أصبح فيما بعد «أمنمحات الثاني»، وقد أفلح في إحضار الذهب الذي فُرض عليه، وعندئذ دعا ابن الملك الإله «لي».[٦٦]

وحدثنا عن الحملة الثالثة فقال: «وعندئذ سحت جنوبًا لأحضر ركائز الذهب إلى مدينة «قفط»، وبصحبتي الأمير الوراثي «سنوسرت».» (راجع Br. A. R. I., 520-521). ولدينا نقش آخر على لوحة لمدير خزانة الفرعون «أمنمحات الثاني» المسمى «ساحتحور»، يقول فيها: «لقد عدت بالنتيجة — إذ اخترقت بلاد النوبة السود … هازمًا بالفزع من سيد الأرضين — ولقد سرت على الأقدام إلى أرض «حا» أيضًا»، وهذه اللوحة محفوظة بالمتحف البريطاني الآن (رقم ٥٦٩).[٦٧]

ونقوش «تحتمس الثالث» تشير إلى جلب الذهب من آسيا، ومن السودان كما ذكرنا ذلك من قبل، وقد جاء ذكر بلاد «آمو»، وبلاد «بنت»، والأرض العالية، و«كوش»، والأقاليم الجنوبية. وقد كان أحد ألقاب نائب الملك في بلاد «كوش»: المشرف على أرض الذهب، أو ذهب أرض «آمون» (راجع الجزء الخامس). هذا، ولدينا إشارة في نقوش «منخبر رع سنب» كاهن «آمون» الأكبر، والمشرف على الخزانة في عهد «تحتمس الثالث» إلى حاكم إقليم الذهب في «قفط». ويرى هذا الكاهن العظيم في إحدى صور قبره، وهو يتسلم حمولة سفن من الذهب من هذا الموظف، ومن ضابط الشرطة في «قفط»، وقد فُسر هذا المنظر بمتن: «تسلم ذهب الأراضي العالية في «قفط» بالإضافة إلى ذهب «كوش» الخاسئة، وهو الجزية السنوية» (راجع مصر القديمة الجزء الرابع).

ولما كانت «قفط» قد ذُكرت صراحة بأنها إقليم يوجد فيه الذهب كان الغريب أن نرى في قائمة معاصرة للأماكن التي تدفع جزية حكومية بالذهب أن هذه المدينة قد مر عليها واضع هذه القائمة، وذكر أنها لا تدفع إلا «دبنًا» واحدًا؛ أي ما يعادل نحو واحد وتسعين جرامًا من الفضة، ونصف دبن من الذهب، في حين نرى أن «إلفنتين» كانت قد أسهمت بدفع تسعة وأربعين دبنًا من الذهب، ودفعت «كوم أمبو» سبعة دبنات، «وإدفو» ثمانية دبنات، «وإسنا» عشرة دبنات، وكانت «أرمنت» تدفع على أقل تقدير تسعة دبنات. أما بلاد الوجه البحري فلم تكن تدفع جزية من الذهب أكثر من خمسة دبنات،[٦٨] وقد جاء ذكر ذهب جبال «قفط» في عهد الأسرة العشرين؛ حيث نجد في ورقة «هارس» أنه كان جزءًا من دخل آمون، وأنه كان يُعرف بالذهب النضار، وقد قدر المحصول الكلي من الذهب بنحو تسعة وستين وخمسمائة دبن، وستة قدات، ونصف قدت، منها واحد وستون دبنًا، وثلاثة قدات من ذهب «قفط».

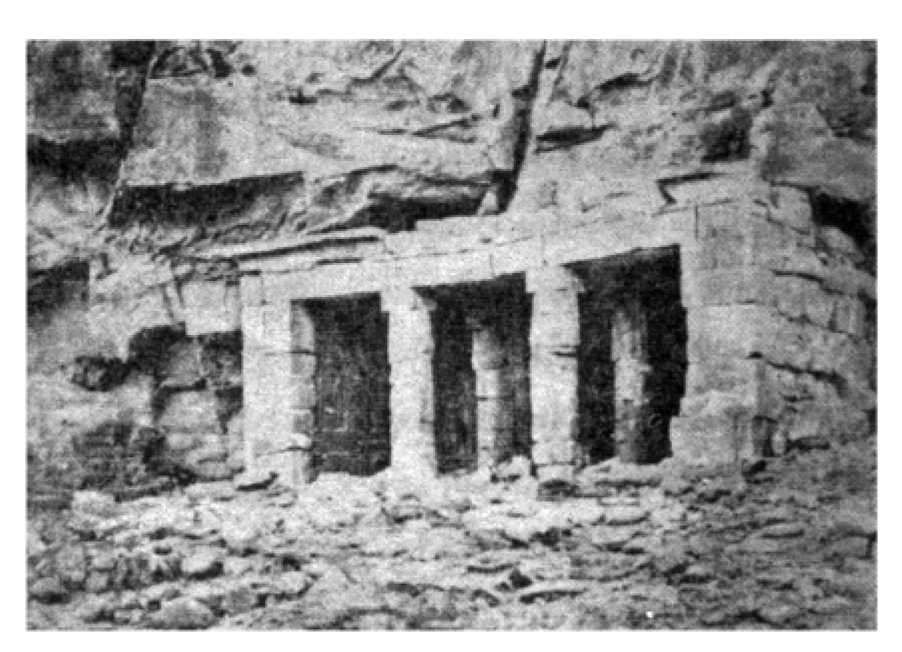
هذا، ونجد بالإضافة إلى المصادر الخاصة بنشاط «سيتي الأول» في استخراج الذهب التي نجدها في نقوش «وادي عباد»، ولوحة «كوبان» التي يرجع عهدها إلى حكم «رعمسيس الثاني» ذكر ذهب أرض الإله في نقوش «سيتي الأول» بالكرنك (راجع Br. Ibid. § 116)، وكذلك في نقوش الإهداء العظيمة التي دونها «رعمسيس الثاني» على جدران معبد «العرابة»، وفي كل حالة من هذه نلحظ أن الإشارة مبهمة؛ فلا نستطيع تحديد موضع أرض الإله بالضبط، غير أنه مما لا شك فيه أنها كانت بلاد «بنت» على وجه عام كما تحدثنا عن ذلك.

(٥-٩) معبد «وادي مياه» المعروف بمعبد «الردسية»

يقع معبد «وادي مياه»، أو «وادي عباد» — وهو المعروف عند علماء الآثار بمعبد «الردسية» — على مسيرة خمسة وثلاثين ميلًا شرقي «إدفو» على الطريق القاحلة المؤدية إلى مناجم الذهب القريبة من البحر الأحمر، وهذا المعبد قد نحته «سيتي الأول»، وأطلق عليه هذا الاسم «لبسيوس»؛ لأنه قد وصل إليه عن طريق بلدة «الرديسية» التي

تبعد عنه حوالي أربعين ميلًا تقريبًا، والواقع أن هذا المعبد كان معروفًا قبل عهد «ليسيوس»، وقد وصل إليه بحاثون أثريون قبله، ووصفوه، واسمه الأصلي هو «وادي مياه»،[٦٩] أو «الكنايس»، وهذا الاسم الأخير قد أطلق عليه من اسم المعبد الذي كان في نظر السكان هناك يشبه الكنيسة.

وتدل نقوش هذا المعبد على أنه نُقر في واجهة صخرية عالية في «وادي مياه»، أو «وادي عباد» الذي يمتد في الصحراء قبالة «إدفو». والواقع أن الظل الظليل الذي ترسله الصخور الشامخة على رقعة الصحراء هناك قد جعلت تلك البقعة محط رحال طبعيًّا للذين يخترقون هذه الطريق المجدبة؛ ومن المحتمل أنه كانت هناك مستعمرة منذ الأزمان السحيقة في القدم، يدل على ذلك ما نشاهده من صور القوارب المقدسة الجميلة المنقوشة في الصخور الواقعة شرقي المعبد، ويرجع تاريخها إلى عهد الأسر الأولى المصرية، ويلاحظ أن هذه القوارب قد نسبت للإله «مين» الذي كان يُعد من أهم المعبودات في الصحراء الشرقية، وكذلك نجد أن «منموسي» نائب الفرعون في «كوش»، والذي عاش في عهد «أمنحتب الثالث» قد نقش اسمه على هذه الصخور.[٧٠]



شكل ٤: معبد وادي مياه (الردسية).

وقد كانت الطريق في عهد «سيتي الأول» قد أصبحت عسيرة شاقة وعرة بسبب قلة الماء؛ من أجل ذلك قام هذا الفرعون بحفر بئر في هذه الجهة أطلق عليها بئر «سيتي مرنبتاح»، وخرائب هذه البئر لم تزَل ظاهرة حتى الآن، وسنجد في نقوش هذا المعبد وصفًا شيقًا لهذه البئر جاء على لسان الفرعون. فيحدثنا فيه عن عطفه الأبوي، ورعايته لمصالح مواطنيه، والسهر على ما فيه راحتهم وسلامتهم، إذ قد جاس خلال هذه الصحراء بنفسه — كما

يقول المتن — باحثًا عن أحسن مكان ليحفر فيه بئر للسابلة، يستقون منه في أثناء ارتيادهم الصحراء إلى مناجم الذهب فيها، والواقع أن هذا الحادث على ما نظن لا يخرج عن صياغة واقعة عادية في قالب فصيح منمق بالألفاظ الخلابة، والتعابير الأخاذة؛ مما كان يصوغه لأولئك الفراعنة طائفة درِّبت عليه، ونُشئت على تسطير مثل هذه الحوادث، وإحاطتها بهالة من التزلف، والمبالغة، والإغراق في المديح؛ حتى إننا نفقد أحيانًا الحقائق التاريخية التي تكون قد غرقت في مثل هذه الألفاظ الجوفاء، ومن ثم تختلط الحقيقة بالخيال، وتغطي على التاريخ الخرافات اللفظية؛ فيصبح نسيًا منسيًّا.

والواقع أنه عندما كان يرغب الفرعون في إقامة أثر، أو الشروع في عمل كانت العادة أن الفرعون بعد الافتتاح الرسمي يمثل جالسًا يستشير قلبه الصالح الآلهة، أو الشعب، ثم يبتدئ بنفسه تنفيذ هذا العمل الصالح، وتقدَّم أمامه تفاصيله، ثم يتبع ذلك مدائح العظماء الذين يكونون قد التفوا حوله؛ ليعرض عليهم ما أوحى به قلبه إليه؛ فيشيدون بعظمته، وأصالة رأيه، ونشاطه بما لم يسمع به من قبل. ويلاحظ أن الدور الذي قام به «سيتي الأول» في «وادي مياه» شخصيًّا كان من هذا النوع من التمثيل، غير أنه لدينا وثائق رسمية تجعلنا في شكٍّ من أن «سيتي» كان يمثل هذا الحادث أيضًا، وهذه الوثيقة تحدثنا بأنه قد قام بزيارة هذا المنجم فعلًا. وهكذا يقف المؤرِّخ حائرًا بين التصديق والتكذيب، وإن كانت أفعال هؤلاء الملوك تجعل الإنسان يميل إلى الرأي الأخير.

وبعد هذه الزيارة المزعومة بزمن قصير استقرَّ الرأي على ما يظهر على إقامة معبد، ومساكن للعمال، وكانت البئر التي حُفرت هناك تعرف — كما قلنا — ببئر «سيتي مرنبتاح» (تاخنمت سيتي مرنبتاح).

المعبد

ومعبد «وادي مياه»، أو معبد «وادي عباد» طرازه بسيط جدًّا، فقد كانت واجهته المبنية من الأحجار والمستندة على واجهة الصخر مرتكزة على أربعة عمد بردية الشكل، وجدرانه الخارجية كانت في الأصل عارية عن كل زينة أو نقش، ولكن نُقش عليها بعد ذلك نقش أو نقشان، واحد منهما باسم «رعمسيس الرابع»، وقد زُينت الواجهة الداخلية بمناظر تمثل «سيتي الأول»، يدوس تحت قدميه رؤساء «كوش» الخاسئين، ورؤساء كل الممالك في حضرة الإلهين؛ «آمون رع»، و«حور بحدَّت» اللذين يقدمان له سيفًا، ويقبضان على حبال غُل فيها البلاد المغلوبة على أمرها بصورة رمزية.

ويشاهد على كل من عارضتي الباب المؤدي إلى القاعة الرئيسية صورة ضخمة للملك في صورة الإله «أوزير»، ويحتمل أن هذا كان رمزًا لعلاقة المعبد ببيت «من ماعت رع» في «العرابة»؛ حيث كان يعبد الفرعون في صورة «أوزير» هذا البلد المقدس. وأبعاد القاعة الكبرى تبلغ حوالي ثمانية عشر قدمًا في نحو عشرين قدمًا، وسقفها يرتكز على أربعة عمد مقطوعة في الصخر، ويشاهد على جدرانها وعمدها الفرعون «سيتي الأول» ممثلًا يقدم

القربان للآلهة المحلية «مين-آمون» و«حور بحدت»، «ونخبت» وثالوث طيبة: «آمون رع» و«موت» و«خنسو»، والآلهة الشمسية: «آتوم»، و«حور اختي»، و«رع حور اختي»، والآلهة المنفية: «بتاح»، و«أوزير»، و«إزيس»، و«حتحور». وقد انفردت «إزيس» من بين كل هذه الآلهة بقولها للفرعون: «لقد منحتك بلاد الذهب والتلال تعطيك ما في جوفها الذهب النضار، واللازورد، والفيروزج». ويوجد ثلاث كوات في جدار هذه القاعة في نهايتها القصوى، في كل واحدة منها ثلاثة تماثيل جالسة مقطوعة في أصل الصخر، وتمثل التماثيل التي في الكوة الغربية: «سيتي الأول»، و«أوزير»، والإله «بتاح»، أما التي في الكوة الوسطى فتمثل: «آمون رع»، و«حور اختي»، و«سيتي الأول»، وتمثل التي في الكوة الأخيرة: «سيتي الأول»، و«إزيس»، و«حور بحدت». وهؤلاء الآلهة جميعًا يمثلون التاسوع الإلهي الذي أهدي إليه المعبد بخاصة. والواقع أنه لا يوجد إلا سبعة آلهة؛ أما باقي التاسوع فقد كمل بتكرار الملك «سيتي» ثلاث مرات في ثلاثة المجاميع التي في الكوات. ولا يدهشنا وجود الملك «سيتي» بين أولئك الآلهة؛ لأنه قد ذكر صراحة في أحد النقوش الطويلة أن الفرعون قد عُد ضمن التاسوع الإلهي، وهؤلاء الآلهة قد وُصفوا — كما سنرى — في نقش آخر بأنهم تاسوع هذا المعبد. وسنجد في النقوش أن «آمون»، و«رع» قد ذكرا كل عن حدته في حين أن شكلي «حور»، وهما «حور بحدت»، و«حور اختي» لم يميزا في الرسم.

والنقوش الطويلة الهامة التي في القاعة الرئيسية مدونة على عارضتي الباب، وعلى جدرانها، وهذه النقوش لها أهمية خاصة، وأقدم متن بينها هو الذي نُقش على الجدار الشمالي، وقد أرخ بالسنة التاسعة من حكم «سيتي»؛ أي حوالي عام ١٣٠٤ق.م وهو يقص علينا في أربعة عشر سطرًا عموديًّا حفر بئر، وبناء معبد، وينتهي بصلوات يدعو بها الفرعون للآلهة لتخليد اسمه، وأعماله العظيمة، ويشاهد بجانب هذا المتن صورة الفرعون واقفًا يواجه في خضوع وخشوع وتضرع النقش، وهاك المتن فاستمع لما جاء فيه:

> السنة التاسعة من الشهر الثالث من فصل الصيف اليوم العشرين من الشهر في عهد جلالة حور الثور المنتصر، الظاهر في طيبة ومنعش الأرضين، والمنتسب للإلهتين، ومجدد الولادة، وصاحب السيف الجبار، قامع الأقواس التسعة، حور الذهبي مجدد المظاهر عظيم الأقواس في كل الأراضي، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «من ماعت رع» ابن الشمس «سيتي مرنبتاح» معطي الحياة إلى الأبد السرمدي في هذا اليوم، كان جلالته يفحص الأراضي الصحراوية تجاه التلال؛ لأن لبه كان يرغب في رؤية المناجم التي يُجلب منها النضار. ولما كان جلالته يسير مصعدًا في هذه التلال، وهو عالم بالكثير من مجاري المياه وقف في الطريق ليتبادل المشورة مع قلبه، فقال: ما أيئس الطريق التي لا ماء فيها! وفي الحق ماذا يفعل المسافرون ليطفئوا حناجرهم الملتهبة، فمن ذا الذي يطفئ ظمأهم وأرض الوطن بعيدة، وهم في الصحراء الشاسعة، فما أتعسه من رجل يصيبه الظمأ في القفار الموحشة، تعال الآن،

دعني أفكر في خير هؤلاء، سأعمل على ما يحفظ حياتهم حتى يترحموا على اسمي في السنين المقبلة، وحتى تفخر بي الأجيال التي ستأتي بعدي من أجل نشاطي؛ لأني في الحق رحيم، وممتلئ حزنًا من أجل السابلة.

وبعد أن نطق جلالته بهذه الكلمات لقلبه جال حول الصحراء باحثًا عن مكان يتخذه محطًّا للسقاية — وقد كان الإله وقتئذ يرشده حتى يمنحه طلبته التي كان يرغب فيها — وقد عين عمال قطع أحجار لحفر بئر على التلال ليستطيع الملك إغاثة من أضناه التعب، وينعش القلب الذي يتحرَّق عطشًا وقت القيظ. وقد أنجز العمل في هذا المكان، وسمي بالاسم العظيم «من ماعت رع»، وقد غمرته المياه بوفرة عظيمة، مثل: كهف منبعي النيل في «إلفنتين».

وقال جلالته: تأمل، لقد استجاب الآلهة لدعوتي، فجعلوا الماء ينبع لي من الصخور، وقد مهدت الطريق في حكمي، وكانت منذ زمن الآلهة مشئومة، وأصبحت أراضي المراعي مفيدة للرعاة، وكل البلاد تصبح سعيدة عندما يكون مليكها نشيطًا، فكل عمل عظيم مجهول أصبح معلومًا في زمني، وقد تملك لبي عمل صالح آخر بأمر الإله، وهو تأسيس بلدة يكون فيها مأوى، والمكان الذي يشتمل معبدًا لا شك يكون رفيع القدر، وسأقيم مأوى في هذا المكان يحمل اسم آبائي العظام (الآلهة)؛ وبذلك سيجعلون أعمالي تبقى، واسمي ينتشر ويُذاع في الخارج في الأراضي الأجنبية، وعندئذ أمر جلالته أن تُعْطَى التعليمات رؤساء العمال الذين كانوا معه بوصفهم قاطعي أحجار، وقد عملت حفائر في هذا التل لتكون معبدًا لهؤلاء الآلهة؛ فكان فيه «آمون». و«رع» كان في داخله كما كان «بتاح»، و«أوزير» في قاعته الرئيسية، و«حور»، و«إزيس»، و«من ماعت رع»، وهم جماعة الآلهة الذين كانوا يأوون إلى هذا المعبد، وبعد أن تم الأثر، وزُين، وعملت صوره ونقوشه أتى جلالته ليتعبد لآبائه كل الآلهة فقال: مرحبًا بكم يأيها الآلهة العظام، يا من أسستم السماء والأرض على حسب رغبتكم الطيبة! إنكم سترونني عطفكم مدى الأبدية، وستخلدون اسمي سرمديًّا، بقدر ما أنا خادم ونافع لكم، ويقظ للشئون التي ترغبون فيها.

ومن أجل ذلك ستخبرون أولئك الذين سيأتون، سواء أكانوا ملوكًا أم موظفين، أم أناسًا عاديين أن يثبتوا لي أعمالي تحت مراقبة بيتي في «العرابة»، وإن من يعمل على حسب كلمة الإله يكون سعيدًا لأن خططه لن تخيب، فتكلموا أنتم وكلمتكم ستنفذ لأنكم أنتم الأرباب، ولقد مضيت حياتي وأنا أمين لكم، أبحث عن تحسين حالي معكم، فاجعلوا آثاري تخلد لي، واسمي يبقى دائمًا عليها.

وتدل الأحوال على أنه لم يبقَ أي أثر من البلدة أو المستعمرة التي تكلم عنها «سيتي» في هذا النقش؛ إذ كان المنتظَر في مثل هذا المكان المهجور البعيد عن السكان أن يبقى بعض الدمن من المباني؛ ولذلك يحتمل أن هذا الجزء من المشروع الذي كان قد أخذ في تنفيذه

لم يتم، وكذلك من الجائز أنه قد غُطي بالرمال، ولم يزل محفوظًا تحتها ينتظر معول الحفار للكشف عنه، ومكان البئر ليس معروفًا على وجه التأكيد، غير أن الأثري العظيم «جولنيشف» رأى مباني في عام ١٨٨٩ ميلادية في الوادي قريبة جدًّا مقابلة للمعبد، ويعتقد أن في هذه البقعة حُفرت البئر، ولكنا لسنا على يقين مع كل ما ذكرنا من أن «سيتي» قد عاش حتى افتتح هذا المعبد.

ولدينا متن مؤلف من خمسة أسطر نقش على عارضة الباب المؤدي إلى القاعة الرئيسية على الجهة اليسرى من المدخل، وهذا المتن في تركيبه العام غير عادي، حقًّا إنه يبتدئ بصيغة الإهداء العادية، ولكن مؤلفه ينتقل بعد ذلك إلى سرد قصيدة كلها مديح في الفرعون، وأعماله العظيمة، وينشدها الشعب المعترف له بالجميل، وهاك المتن فاستمع لما جاء فيه:

> حور الثور المنتصر، الظاهر في طيبة، منعش الأرضين ملك الوجه القبلي والوجه البحري «من ماعت رع». لقد أقامه — يقصد المعبد — أثرًا لوالده «آمون رع» مع تاسوع الآلهة، فبنى لهم معبدًا جديدًا كله يرتاح فيه الآلهة، وقد حفرت بئرًا أمامه، ولم يعمل مثله قط على يد أي ملك غير الملك البار ابن «رع» «سيتي مرنبتاح»، الراعي الطيب الذي يحمي حياة جيشه، ووالد بني الإنسان وأمه. وأنهم يتناقلون من فم لفم:
>
> أعطه يا آمون كل الأبدية
>
> ضاعف له الأبدية ضعفين
>
> وأنتم يأيها الآلهة الذين في البئر
>
> امنحوه مدة حياتكم
>
> لأنه فتح هذه الطريق أمامنا
>
> بعد أن كانت مغلقة في وجوهنا
>
> وعلى ذلك أصبحنا نسير عليها آمنين
>
> ونصل إلى آخرها على قيد الحياة
>
> والطريق التي كنا نحسبها في صدورنا وعرة
>
> أصبحت الآن طريقًا معبدة

وقد صار نقل الذهب بسرعة نظر الصقر

وكل الأجيال الآتية سيصلون لينال الخلود

وليحتفل بأعياد ثلاثينية مثل «آتوم»

وليستطيع تجديد شبابه مثل «حور بحدت»

وذلك منذ أن أقام أثرًا في الأراضي الصحراوية لكل الآلهة

وجلب المياه على التلال التي كانت بعيدة عن الناس

فيا رجال كل حملة تطأ الصحاري نادوا بحياة وثبات وحظ

ملك الوجه القبلي والوجه البحري «من ماعت رع» محبوب «آمون رع» ملك الآلهة

النقش الثالث

ولدينا نقش ثالث في وادي مياه، أو وادي عباد،[٧١] ويعد على الرغم مما فيه من غموض في بعض معانيه، وما أصابه من تهشيم أهم نقش في المعبد، وهاك الترجمة الحرفية:

ملك الوجه القبلي والوجه البحري «من ماعت رع»؛ ابن الشمس «سيتي مرنبتاح» يقول أمام آبائه كل ملوك الوجه القبلي وملوك الوجه البحري حكام الشعب:

أصغوا إلي يا ضباط مصر

وعلى ذلك سيعي لكلامكم آخرون

وستكونون في سرور كما أحب لكم

وستكافأ أعمالكم على حسب ذلك

وعلى ذلك ستكونون مثل الآلهة

وسيسعد الفرعون بين تاسوع الآلهة.

وقد قلت ذلك عندما عينت عمال تنظيف الذهب لمعبدي لأجعلهم يمدون بيتي … معبدي.

أما عن الذهب، وهو لحم الآلهة فإنه ليس من ضرورياتكم؛ فتجنبوا ذكر ما قاله «رع» عند بداية كلماته؛ إذ يقول: إن جلدي من خالص النضار؛ لأن «آمون» معبدي سوف … وعيناه على أشيائه، وإنهم لا يحبون سوء استعمال أمتعتهم، وعليكم ألا تضايقوا أناسيهم؛ لأنهم — أي الآلهة — مثل التماسيح (؟)، فلا تفرحوا … أما من يشين عمل إنسان آخر فسينال بالمثل في النهاية، وأن الله سيتلف آثار المتلف؛ وأن عمل الكذابين لا يمكث … الملك … وأجعلكم تعلمون أني قد عزمت من بعيد أن أخبركم (؟)، ولقد عينت طائفة من عمال الذهب، وقد قدمتهم كلهم إلى … لأجلي وحدي، وجعلتهم كلهم موظفين جدًا لأجل أن يستمروا معي، ولم آخذهم من موظفين آخرين لأضيفهم … وسيصيرون أولاد بيتي، وتابعين لمعبدي.

وأي ملك سيأتي بعدي، ويمتحن أعمالي ليجعلها باقية … مقدمًا ما ينتجونه — أي العمال — لبيت «من ماعت رع» لتمويه كل تماثيلهم بالذهب أي «آمون»، و«حور اختي»، و«بتاح تنن»، و«وننفر» … سيستيقظون … وسيجعلونهم سعداء، وليحكموا البلاد في نعيم، وليذبحوا الأرض الحمراء (الصحراء)، وأرض النوبة، وروحهم سيبقى وتستمر مؤنتهم الغزيرة، وسيشبع أولئك الذين على الأرض، وسيصغي «رع» لصلواتهم حتى لا يقول واحد: إني أحتاج.

وأي ملك سيأتي بعدي ويقلب خطتي، أو يقول: إن الأراضي تحت تصرفي، وإنها متاعي فذلك عمل آثم في قلوب الآلهة! ولا شك في أن أمثال هذا سيجاب عليه في «هليوبوليس»، وإن هم القضاة … وسيقدمون جوابًا على حسب متاعهم، وأنهم سيكونون حمرًا مثل لهيب النار، وسيطبخون لحوم أولئك الذين لا يصغون إلي، وسيمحون من يتلف خطتي، وسيلقى به في قاعة عذاب العالم السفلي، لقد قلت (؟) … دع إنسانًا بريئًا من إثمه يخلصك، ولماذا إذن؟ فإنه سيكون إنسانًا آخر ضال القلب يتهمه تاسوع الآلهة، وأي موظف يتطاول على سيده بإبداء هذه الرغبة، وهي أن يستولي على عمال، ويستخدمهم في ضيعة أخرى بشهادة زور، فإن مصيره نار تصلي لحمه، ولهيب يلتهم أعضاءه لأن جلالتي قد عمل كل هذه الأشياء لروح أرباب بيتي.

وإن الإله يمقت من يتدخل في شئون قومه، وإنه لن يتوانى عن خذلان المتلف، ولكن عمال تنظيف الذهب الذين ألفتهم لبيت «من ماعت رع» سيُستثنون ويُميزون، ولن يعتدي عليهم إنسان في الأرض قاطبة على يد أي ضابط من ضباط أي مراقب صحراء، وأي شخص يتدخل في شئونهم ينقلهم إلى مكان آخر يجعل الآلهة والإلهات أعداء له؛ لأن كل متاعي إرث لهم تحت أقدامهم أبد الآبدين، وضابط طائفة عمال غسل الذهب الخاص ببيت «من ماعت رع» سيكون مستقلًا في توريد ما ينتجونه من الذهب لبيت «من ماعت رع».

وأي شخص يتجاهل هذا المنشور فإن الإله «أوزير» سيتأثره، وسيحاسبه كذلك زوجه «إزيس»، وابنه «ماحور»، والآلهة العظام أرباب الأرض المقدسة.

تعليق على هذا المتن

إذا ألقينا نظرة فاحصة على هذا المتن وجدنا أنه خطاب من الفرعون «سيتي الأول» إلى الملوك الذين سيخلفونه؛ يحضهم فيه على احترام مؤسسات الذهب التي وضعها لبيته في «العرابة المدفونة»، وهذا الذهب كان مخصصًا لأولئك الآلهة الذين أُهديت لهم تلك المؤسسة، ونراه يعدهم، أنهم إذا حفظوا العهود احترم رغباتهم بالمثل، وكافأ أعمالهم العظيمة، والظاهر أنه كان يرمي إلى صرفهم عن عدم التفريط في الذهب الذي لا يحتاجون إليه، وأنه لا يصلح إلا للآلهة فقط. ويلمح إلى أن استعمال الملوك «لحم الآلهة» — أي الذهب — لأغراضهم الشخصية كفر وجحود وطغيان، ومن الطريف أن «سيتي الأول» قد اقتبس بعض قصة هلاك الإنسانية (راجع كتاب الأدب ج١ ص٧١)، وفيها يقص عن إله الشمس: «والآن قد أصبح جلالته متقدمًا في السن، وكانت عظامه من فضة، ولحمه من ذهب، وشعره من اللازورد.» وكأنه بذلك يحض ملوك المستقبل على أنه ينبغي ألا يتدخل إنسان مع عمال الذهب في المستقبل؛ لأنه لم يخرج على أي نظام كان قائمًا في عصره خاصًّا بتأليف طائفة عمال تنقية الذهب، بل أنشأ طائفة عمال جدد لم يؤخذوا من عمال طائفة أخرى. ثم يذكر لنا بتحفظ أن الذهب كان لازمًا لتمويه صور الآلهة؛ ومن أجل ذلك يطلب الرحمة لكل فرعون يحافظ على مؤسسته، ويستنزل النقمة على كل من أراد أن يستغلها لمنفعته الشخصية. وكذلك نراه يطلب الخير لكل وزير يجعله مليكه يسير في طريق الصلاح، كما يطلب لكل وزير يهيئ سبيل الشر لمليكه عقابًا وخسرانًا مبينًا، ويلاحظ هناك أن اللعنات التي وردت في المتن كانت على وجه خاص شنيعة وقاسية. والظاهر أن «سيتي» كان يهدد الآثم بأن آلهة المعبد هم الذين سيتولون حسابه، وقد كانوا ضمن أعضاء تاسوع «عين شمس»، وهم — كما نعرف — كانوا يؤلفون قضاة يوم الحساب، وبعد تحذيرات أخرى، وعرض حقوق طائفة عمال الذهب، وضباطهم يختتم الخطاب باللعنات الشنيعة، على كل من لا يرعوي لقوله.

على أنه ليس في طبيعة الشره البشرية أن يتعظ الإنسان بأصوات الموتى، وتحذيراتهم، وبخاصة عندما يكون الذهب هو الحافز على إيقاظها؛ إذ يظهر لنا من نقش الإهداء الذي صاغه «رعمسيس الثاني» بألفاظ بديعة منمقة في بيت «من ماعت رع» «بالعرابة» أنه عند موت «سيتي» هجر هذا المعبد الفخم الذي لم يكن قد أتمه بعد، واستولى على دخله؛ مما اضطر «رعمسيس» إلى إعادة نظام المؤسسة كلها، وحبس الأموال عليها من جديد، على أننا لا نُبرئ «رعمسيس الثاني» نفسه من أنه في أواخر أيامه قد استغل مؤسسة «وادي مياه»، أو «وادي عباد» لمنفعته الشخصية؛ إذ قد ترك لنا كاتب لم يهبه الله شيئًا من حُسن البصيرة الكلمات التالية على أحد عُمُد هذا المعبد: «إحضار الذهب للعيد الثلاثيني الحادي عشر للفرعون «وسر ماعت رع ستب أن رع» (رعمسيس الثاني).» وإذا تسامحنا في تفسير

هذا المتن، فقد نفرض أنه يشير إلى الذهب الذي كان يقدمه الكهنة قرابين اختيارية لبيت «سيتي» في «العرابة» في مناسبة عيد «رعمسيس الثاني» الثلاثيني الحادي عشر.

وأخيرًا، نعود مرة أخرى إلى موضوع البئر التي حفرها «سيتي الأول» في وادي مياه، أو «وادي عباد»، فنذكر برهانًا قويًّا على إنجاز هذا العمل في عهد «سيتي الأول»، إذ يدل على ذلك إحدى اللوحات التي نُحتت في الصخر المجاور للمعبد، ومما يؤسف له أن اسم مقدم اللوحة قد مُحي، ولكن جاء في النقش ما يأتي: «عملها البحار … الذي كان مكلفًا بحفر بئر «سيتي مرنبتاح».» وهكذا أصبح لدينا وثيقة من أحد الرجال الذين اشتركوا فعلًا في إنجاز هذا العمل العظيم، ويدل تعبد هذا البحار للإله «بتاح»، والإلهة «سخمت» على أنه كان من أصل منفي.

(٥-١٠) معبد «القرنة»

يقع معبد «القرنة» الجنازي الذي أقامه «سيتي الأول» عند مدخل «وادي الملوك»، وما بقي منه إلى الآن لا يمثل إلا جزءًا صغيرًا مما كان عليه البناء الأصلي من بهاء وروعة، فقد اختفت منه «البوابة» الأولى والثانية، وكذلك ردهتاه الأولى والثانية، ولم يبقَ منها إلا آثار دارسة تدل على وجودها، وهذا المعبد كان قد أقامه «سيتي الأول» تكريمًا للإله «آمون» كما كان يقصد استخدامه معبدًا جنازيًّا لوالده «رعمسيس الأول» الذي لم تمكنه مدة حكمه القصيرة من إعداد معبد جنازي لنفسه، وهذا المعبد مثله كمثل معظم مباني «سيتي» العظيمة لم يكن قد تمَّ حتى حضره الموت، وقد كان على «رعمسيس الثاني» إنجاز بناء ما بقي من هذا المعبد، ويلاحظ في أيامنا أن واجهة المعبد الحالية تقابل ما كان في الأصل طريق العمد التي كانت في الطرف النهائي من الردهة الثانية.

وهذه الطريق لها خاصية غريبة بعض الشيء؛ إذ كانت تحتوي على عشرة عمد بردية الشكل لكل منها تاج في صورة برعوم زهرة، وقد تبقى منها حتى الآن سبعة أعمدة، ونشاهد بدلًا من (الكرنيش) الذي كان على هيئة سعف النخل، وهو الذي كان يحوط طريق العمد تشييد واجهة مستطيلة، وخلف هذه العمد جدار ذو ثلاثة أبواب، وعلى الجدار الأوسط الذي على اليسار رُسمت صور مقاطعات مصر ممثلة في هيئة رجال ونساء على التوالي، وكل منها يحمل قربانًا مما تنتجه المقاطعة ليقدمه للفرعون، وعلى يمين الباب نقوش مماثلة للأولى تصوِّر مقاطعات الوجه البحري، وبعد اختراق الإنسان الباب الأوسط يدخل قاعة العمد التي تحتوي على ستة أعمدة في هيئة برعوم زهرة البردي يكتنفها من كلا الجانبين ثلاث حجرات جانبية، وزخرف هذه القاعة بعضه من عمل «سيتي الأول»، والبعض الآخر من عمل «رعمسيس الثاني». ويمكن تمييز فن «سيتي» بسهولة لسموه، ودقة نقوشه البارزة، أما صناعة عهد «رعمسيس» فقد استعمل فيها النقوش الغائرة التي كانت على الرغم من أنها محببة إليه تزوَر عنها العين لسماجتها. وفي نهاية قاعة العمد المحرابُ الذي لا يزال محتفظًا بالحجر الذي كان مستعملًا قاعدة ليوضع عليها قارب الإله

«آمون» المقدس، وعلى يسار قاعة العمد مقصورة «رعمسيس الأول»، وعلى اليمين حجرة عظيمة زخرفها «رعمسيس الثاني» بالنقوش الغائرة، وقد صُور فيها، وهو يقدم القربان للآلهة المختلفة. ولا نزاع في أن صناعة الزخرف فيها كانت أقل جودة بالنسبة لأجزاء المعبد الأخرى، وهذه القاعة قد استعملها المسيحيون كنيسة فيما بعد، ويعتقد الأستاذ «بتري» أن معبد «القرنة» كان قد وضع تخطيطه «سيتي» في الأصل ليكون معبدًا جنازيًّا لوالده «رعمسيس الأول»،[٧٢] وأنه بدأ البناء المعروف باسم «الرمسيوم» ليكون معبده الجنازي، وعند وفاة «سيتي» كان معبد «القرنة» لم يزل ينقصه بعض الزخرف، وكان بناء «الرمسيوم» في بدايته فقط. ويلاحظ أن «رعمسيس الثاني» غيَّر الغرض الذي من أجله أقيم معبد «القرنة»، وأتم النقوش بطريقة جعلته يقوم مقام معبد جنازي لجده «رعمسيس الأول»، ولوالده «سيتي الأول»، وكذلك لنفسه، ولكن ما يقوله «بتري» من أن «رعمسيس» قد استولى على «معبد الرمسيوم» الذي وضع «سيتي الأول» تخطيطه لاستعماله لنفسه قول لا يدعَم ببراهين صحيحة كما سنفصل القول بعد.

وفي محاجر «جبلين» عثر على نقش يحدثنا عن البحث عن حجر مناسب لاستعماله في بناء معبد «سيتي» الجنازي «بالقرنة»، وقد قام بالإشراف على إنجاز هذه المهمة مدير أعمال «سيتي»، وهاك النص على الرغم مما به من تهشيم:

> … البحث عن … «حتحور» لأجل قطع أحجار كثيرة من هناك؛ لأجل «بيت من ماعت رع» لملايين السنين غربي طيبة»، ثم جاء لجلالته — له الحياة والصحة والفلاح — قائلًا: «… فرصة لجعل اسمه ينتشر في الأرض كلها، وفي هذا اليوم جاء رئيس الخزانة تحتمس: … الذي … أعطى فضة وذهبًا مرة لإنجاز العمل … لقطع أحجار كثيرة لبيت «من ماعت رع» (سيتي الأول) عندما كان يعمل … قال: … تصميم … لملك يحمي … تنظيم الضرائب، وليعين المشرف عليهم الذي كان مكلفًا «بسيد الحياة» — اسم للتابوت، وكذلك لجبل غربي طيبة — الناس … العمل، وأنه والده «آمون» … مخبرك رغبات القلب منذ زمن الإله لأجل روح الكاتب، ومدير أعمال رب الأرضين، ورئيس الأعمال «حوي».[٧٣]

ويدل اسم معبد القرنة: معبد روح «سيتي مرنبتاح» في بيت «آمون» في غربي «طيبة» على أنه كان معبدًا جنازيًّا «لسيتي الأول»، ولا أدل على ذلك من وجود ستة متون باسمه، أو باسم «آمون»:

> (١) «سيتي الأول» قد أقامه بمثابة أثر لوالده «آمون رع» رب «طيبة» … الكرنك، فعمل له قصرًا عظيمًا، وقدس أقداس فاخرًا للتاسوع المقدس، ومكان راحة لرب

الآلهة في عيد واديه الجميل، وهو الذي أقامه له ابن «رع» «سيتي الأول» مثل «رع» أبديًّا.

- (٢) «سيتي الأول» عمله بمثابة أثر لوالده «آمون رع» ملك الآلهة، فأقام له بيت ملايين السنين في غربي «طيبة» قبالة «الكرنك» من الحجر الرملي الأبيض الجميل، وقد أقيم عاليًّا جدًّا وعظيمًا، وهو الذي عمله ابن «رع» إلخ.
- (٣) «سيتي الأول» أقامه بمثابة أثره لوالده «آمون رع» رب «طيبة» الساكن في معبد روح «سيتي مرنبتاح» في بيت «آمون» في «طيبة الغربية»، فصنع له بيت ملايين السنين من الحجر الرملي الأبيض الجميل، وهو مكان لظهور رب الآلهة ليشاهد جمال «طيبة»، وأبوابه من خشب الأرز الحقيقي المشغول بنحاس «آسيا»، وقد أقيم عاليًا شاسعًا.
- (٤) عمله «سيتي» إلخ. فأقام له قاعة شاسعة، ويضيء في وسط بيته، مكان لظهور تمثاله الفاخر في عيده الجميل «عيد الوادي»، والتاسوع العظيم المقدس للآلهة الذين في «جبانته المقدسة» قلوبهم راضية.
- (٥) لقد عمله بمثابة أثر لآبائه الآلهة والإلهات الذين يسكنون في المعبد المسمى «روح «سيتي مرنبتاح» في «بيت آمون» في غربي طيبة»، فأقام لهم قصرًا فاخرًا بمثابة بيت لقدس الأقداس للآلهة، وعندما يسكنون في قصره يكون «آمون رع» في المقدمة …
- (٦) عمله بمثابة أثر … إلخ … فأقام له بيتًا لملايين السنين على الشاطئ الغربي لطيبة قبالة «الكرنك»، من الحجر الرملي، وقد بني عاليًا وشاسعًا.[٧٤]

(٥-١١) مقبرة سيتي الأول

يعد قبر[٧٥] «سيتي الأول» الواقع في وادي الملوك بطيبة الغربية من أضخم المقابر التي نُحتت في صخور هذا الوادي، كما أنه من أحسنها زخرفًا ودقة نحت وتصوير، وأول من كشف عن هذا القبر الأثري «بلزوني» في أكتوبر عام ١٨١٧م، ومما يستدعي الأسف أنه قد وُجد منهوبًا نهبًا تامًّا في الأزمان القديمة.

وهذا القبر الواقع على مقربة من مقابر الأسرة الثامنة عشرة نُقر في الصخر لمسافة خمس وعشرين وثلثمائة قدم، وبابه الواسع الشامخ يؤدي إلى سلم ذي سبع وعشرين درجة، ينتهي إلى دهليز منحدر يليه درجات أخرى ومحاط، يتبع ذلك سلسلة حجرات استراحة، وأخرى عظيمة المساحة في الطريق إلى أن يصل الإنسان في النهاية إلى حجرة التابوت العظيمة بسقفها المقبب، وعمدها المربعة، ويوجد خلفها حجرات صغيرة ثانوية، وجدران هذا الضريح الشاسع مزينة بمتون وصور من الكتابين الجنازيين العظيمين الخاصين بالدولة الحديثة، وهما: «كتاب البوابات»، و«كتاب ما في العالم السفلي»، وهذان الكتابان كما ذكرنا آنفًا (راجع ج٣) يصفان السياحة الليلية لإله الشمس في العالم السفلي المظلم، وخروجه ثانية منه منتصرًا على عالم الظلام في الصباح التالي، وهكذا على التوالي، وهذه المناظر الجنازية قد حُفرت بنقوش بارزة ثم لُونت، ويظهر فيها نفس دقة الفن، والرسوم الممتازة التي شاهدناها في معبد «العرابة»، وغيره من مباني «سيتي» التي كانت ذات طابع خاص يميزها.

وبناء القبر وما يحتويه من دهاليز منحدرة إلى أسفل ودرج؛ يتمشى تمامًّا مع تلك الموضوعات التي صُورت على جدرانه، وبخاصة صور الثعابين الطويلة الملتوية، والشياطين الرجيمة، والجن، والآلهة العابسين الذين تزخرَف بصورهم الجدران؛ مما يجعل الإنسان يحس حقًّا أنه ينحدر إلى عالم سفلي حقيقي. وقد خُصصت مساحة كبيرة للصور الحية الناطقة التي تمثل العذاب الذي ينصب على المغضوب عليهم، والذين ضلوا سبيل الرشاد في الحياة الدنيا، كما تمثل الحرب التي لا ينطفئ لهيبها ولا يهدأ أوارها بين قوى الخير وقوى الشر، ويلفت النظر بين هذه المشاهد صورة الثعبان الهائل المسمى «أبوبي» — عدو إله الشمس — وذرِّيته الملعونة. ويلاحظ كذلك أن الزواحف المؤذية كلها قد غُلَّت، ثم خرجت من الأرض يدًا ضخمة عظيمة قابضة على الأغلال كلها دفعة واحدة مبعدة الثعابين الناهشة. وإنه لمن العسير أن يجد الإنسان مزيجًا له أثره في النفس أكثر مما نشاهده هنا بين قوى الخير وقوى الشر، وأن الخير يتغلب في النهاية على الشر ويصرعه.

وقاعة التابوت الشاسعة الشامخة الارتفاع لها تأثيرها الخاص على النفس عندما يمتد البصر في أرجائها، ويلقي نظرة على سقفها المقبب المزين بصور نجوم السماء الشمالية، وهنا كان يأوي الفرعون العظيم إلى تابوته المصنوع من المرمر الجميل، والمحلاة جوانبه بمتون هي رواية أخرى من متون الكتابين الجنازيين السابقين اللذين زُينت جدران القبر بنقوشهما، ولكن في هذه الحالة نجد أن المناظر قد صغرت، والنقوش منحوته بالحفر الدقيق في المرمر الشفيف، وملئت بعجينة زرقاء لتحاكي اللازورد في زرقته البهجة، أما غطاء هذا التابوت فقد نُحتت فيه صورة الفرعون «سيتي» مضطجعًا بوجه صبوح يسود

تقاطيعه الهدوء، وهي صورة صادقة لمحياه الأصلي، وقد هشم أولئك المخرِّبون الذين لا روح ولا عاطفة عندهم ذلك الغطاء لينهبوا ما في تابوته، ولكن لحسن الحظ قد أخطأت عين هؤلاء الطغاة التابوت نفسه، وكانت موميته سليمة، ولم يصبها سوى الضرر الطفيف، وقد عثر «بلزوني» على التابوت، وقطع من الغطاء في مكانهما الأصلي، ونقلهما إلى إنجلترا، وهما يعدان الآن أحسن ذخيرة في متحف «جون ساون» في «لنكلنز-ان-فيلدس» (راجع Bonomi and Sharpe. The alabaster Sarcophagus of Oimenephtah; Budge The Egyptian Heaven and Hell II, p. 48–306).

ويلاحظ أن بعض حجرات المعبد الثانوية لم يتم نقشها بعد؛ مما يدل على أن «سيتي» قد توفي والعمل لا يزال جاريًا في القبر، وهذا هو نفس المصير الذي حاق بمعظم آثار «سيتي»؛ مما يوحي أن هذا الفرعون الطيب الذكر قد مات فجاءة وعلى غير انتظار، وعلى الرغم من جمال زينة هذا القبر، وما فيه من نقوش ومناظر هامة يسود نواحيه جو قاتم عابس، لم يفلح — حتى إله الشمس — في زحزحته عنه، مع انتصاره على الظلمة، وما تحتويه في جوفها من عوامل الشر. حقًّا إن الأيدي الماهرة التي أخرجت لنا ما نشاهده من التحف العجيبة في مناظر «العرابة المدفونة» هي التي أبدعت مناظر هذا القبر، ولكننا مع ذلك نرى أن الروح الوثاب المتقد هنا يختلف اختلافًا بينًا؛ إذ نجد أن اعتلال هذه المناظر، وما فيها من سقم أقل انتشارًا في مناظر معبد «العرابة»، أو في ضريح «سيتي» السالف الذكر، وفي استطاعتنا أن نتساءل عما إذا كانت المتون الجنازية، وما تحويه من إشارات مستمرة إلى تلك الشياطين القبيحة المنظر، وتلك الثعابين الهائلة الأجسام؛ تحدد لنا إلى حد ما، ما تصفه العقائد الدينية التي اعتنقها «سيتي الأول»، أو أنه لم يضمن هذه المناظر وتلك الصور قبره إلا جريًا على التقاليد الموروثة. أو كان يومئ بها عن قصد لمناهضة تعاليم «إخناتون» التي كانت قد حرَّمت كل هذه التصاوير والمتون في القبور عامة؟

وقد عثر على مومية «سيتي الأول» بين الموميات الملكية التي وجدت في خبيئة الدير البحري، وجسمه يدل على أنه كان رجلًا طويل القامة، نحيل القوام، ولم يكن على ما يظهر قد تخطى نضارة العمر، وإن كان قد وخط المشيب حاجبيه. وتدل تقاطيع وجهه المحفوظة تمامًا على ما بلغه فن التحنيط من الإتقان والمهارة، وتشابه محياه بصوره في نقوش معبد «العرابة»، تلفت النظر بوجه خاص إلى ما كان عليه فن النحت في ذلك الوقت من تقدم بالغ، ويلاحظ أن جسمه قد علاه السواد، وأن أنفه قد تفرطح بعض الشيء من أثر اللفائف التي زُمل بها، غير أن ذلك لم يُنقص من جمال محياه الهادئ الذي تنبعث من قسماته نضرة النعيم، ونبل المحتد، أما عيناه فمفتوحتان بعض الشيء، ويمكن الإنسان أن يشاهد بين الجفنين العينين الصناعيتين المتقنتين اللتين وضعهما المحنطون، وذراعاه مطويتان، ويداه النحيلتان الطويلتان مبسوطتان على صدره، وقد عبث اللصوص بلفائفه المصنوعة من الكتان الجميل عبثًا بالغًا إلى أن حولتها إلى طبقة بالية من الخرق، ومع ذلك فإن كل ما حاق بجسمه من عبث قد عجز عن تشويه الجلال الهادئ الذي أسبِغ على تلك

المومية التي تعد أعظم الموميات المحنطة تأثيرًا وروعة، من بين كل موتى المصريين المحنطين.

(٥-١٢) آثار «سيتي» الأخرى في أنحاء إمبراطوريته

ذكرنا آنفًا آثار «سيتي» في آسيا عندما تحدثنا عن حروبه، وسنذكر هنا آثاره في الديار المصرية وبلاد السودان.

سيناء

تدل الآثار التي تحمل اسم هذا الفرعون في «سيناء» على أنه استغل فعلًا مناجم هذه البقعة، فقد عثر له على ثلاث لوحات في «سرابة الخادم»، وهي تدل على قيامه ببعض أعمال في هذه المنطقة التي كان قد سبقه فيها والده «رعمسيس الأول» لاستخراج الأحجار منها، وكانت هذه المناجم على ما يظهر قد هُجرت منذ عهد «أمنحتب الثالث».

وأولى هذه اللوحات المؤرَّخة كانت قد أقيمت في السنة السابعة من حكمه على يد موظف مُحي اسمه، وكان يحمل لقب «مبعوث الفرعون إلى الأرض كلها»، وكذلك لقب «رئيس الرماة». والمنظر العلوي من اللوحة يظهر فيه «سيتي الأول» يقدم إناءين من الخمر للإله «حور اختي»، ونجد في النقوش اسم «سيتي» وألقابه، ونعوت مدح كلها مَلَق، وقد شبه فيها بوالده «ست»، وهذه إشارة إلى أن أصله من مقاطعة «ستريت» (المقاطعة السابعة عشرة من مقاطعات الوجه البحري)، وقد كان مثل هذا التشبيه مباحًا في بلاد مثل «سينا»؛ وذلك لأن تشبهه بالإله «ست» كان مغفلًا تمامًا في مصر نفسها على وجه التقريب، وبخاصة في «العرابة» بلد «أوزير» عدو[٧٦] «ست»، وفي السنة التالية للتاريخ السالف — أي في السنة الثامنة — أهدى «سيتي» نفسه لوحة للإلهة «حتحور» سيدة الفيروزج، وهي الإلهة المحلية لهذه الجهة، والمنظر الذي على اللوحة يشاهد فيه «سيتي» يقدم رغيفًا مخرطي الشكل للإلهة «حتحور»، وفي الجزء الأسفل نقش طويل مهشم، (Ibid p1. LXIX, No. 248).

ولدينا كذلك قطعتان من لوحة أخرى يُرى عليهما «سيتي الأول» يقدم إناءين من الخمر للإله «بتاح جنوبي جداره»، وكانت اللوحة مؤرَّخة، غير أن التاريخ قد مُحي (Ibid P1. LXIX No. 249).

آثاره في الدلتا

وله آثار عدة منتشرة في أنحاء الدلتا، ولكنها بكل أسف مهشمة، ويمكن الإنسان أن يفهم بسهولة أن هذا الفرعون لم تبقَ له آثار هامة حتى الآن في هذا الجزء من البلاد؛ لأنه يقع

في الأصقاع الخصبة الآهلة بالسكان، ولأن كل الآثار القديمة التي لم تقضِ عليها الرطوبة أو تعلوها الرواسب النيلية قد عبث الأهلون بها، وأتلفوها، وبخاصة تلك الأماكن التي لم يكن بها محاجر كما هي الحال في وسط الدلتا.

القنطرة

تكلمنا فيما سبق عن الصقر الضخم المصنوع من الحجر الرملي الذي أقامه «سيتي» تعظيمًا لوالده «رعمسيس الأول»، وتدل ظواهر الأحوال على أن «القنطرة» كانت ذات يوم غنية بالآثار التي من عهد الأسرة التاسعة عشرة.

قنتير

قام الأستاذ «حمزة بك» بعمل حفائر في بلدة «قنتير» الواقعة في مركز «فاقوس»، وقد أسفرت هذه الحفائر عن وجود آثار من عهد «سيتي الأول»، وبخاصة القصر الذي أقامه هناك، ومعظمه بكل أسف واقع تحت الجبانة الحديثة،[٧٧] وقد ظهر من خصائص هذا المبنى أنه كان مزينًا بالفخار المطلي الجميل، وكان بعضه يحلًّى في الأصل مدخلًا، وقد اشترى «متحف اللوفر» بقاياه، ثم وجد الأستاذ «حمزة» كثيرًا من قطع الفخار المطلي، ويعتقد أن هذه القوالب أو القطع قد جاءت من معمل خاص بها، وأن الذي أقام هذا المصنع هو «سيتي الأول»، ثم زاد عليه وحسنه «رعمسيس الثاني»، ولكن الأمر الهام الذي أسفر عنه هذا الكشف هو ما يعتقده الأستاذ «حمزة» بحق من أن بلدة «قنتير» هي الموقع الأصلي لعاصمة «رعمسيس الثاني» المسماة «بر رعمسيس»، وقد ناصره في هذا الرأي كثير من العلماء، ولم يعارضه على ما نعلم حتى الآن سوى الأستاذ «جاردنر»، وإن كان الآن أصبح لا يشك في أن «قنتير» هي «بر رعمسيس»؛ ونظريته هي أن مدينة «بر رعمسيس» هي نفس «تانيس».[٧٨] وسنتناول الحديث عن هذا الموضوع تفصيلًا عند الكلام على عاصمة «رعمسيس الثاني» في الدلتا.

كوم الشيخ رازق

وفي «كوم الشيخ رازق»، وهو موقع قديم في مديرية الشرقية بين «أبو كبير» و«فاقوس» عثر الأثري «إدجار» على قطعتين من الحجر الجيري نُقش عليهما اسم «سيتي الأول»، ويقول: «إنهما يدلان على موقع مكان قديم أقامه هذا الفرعون، وقد نُقش عليهما المتن التالي: «ملك الوجه القبلي والوجه البحري، سيد الأرضين «من ماعت رع» بن «رع»، رب التيجان «سيتي مرنبتاح»، معطي الحياة، ثم الإله الطيب الذي يجعل الأرضين في عيد تام» (راجع A. S., XIII, (1913) p. 279).

وكذلك وجد «نافيل» بقايا مبانٍ «لسيتي الأول» في هذه البقعة، وتشمل قطعًا من الأحجار عليها طغراء هذا الفرعون المزدوجة.[٧٩]

تانيس

يوجد في متحف «فينا» مائدة قربان من حجر الكوارتس يُظن أنها من «تانيس»، ونقوش الإهداء التي عليها هي: «يعيش الإله الطيب حاكم «هليوبوليس»، رب الأرضين «من ماعت رع»، لقد أقام هذا أثرًا له لوالده … رب «حت وعرت» (تانيس)، فصنع له مائدة قربان من حجر الكوارتس الأحمر الجديد، وصانعه هو «ابن رع».» ويلاحظ أن اسم الإله الذي أهدي له هذا الأثر هو الإله «ست»، وقد مُحي اسمه قصدًا في كل مكان في النقش، كما مُحيت صورته أيضًا أينما وجدت في تركيب اسم الملك «سيتي»، فإذا كان هذا الزعم صحيحًا كان هذا الأثر هو الوحيد الذي عثر عليه مهدي من «سيتي الأول» لإله مسقط رأسه المحلي «ست».[٨٠]

تل اليهودية «نموذج معبد «هليوبوليس»»

وجد في «تل اليهودية» أثر غريب للملك «سيتي الأول» في عام ١٨٧٥م، وهو قطعة حجر كانت قاعدة لنموذج معبد، والظاهر أن هذا النموذج نُقل عن أصل معبد «عين شمس» الذي أقامه «سيتي الأول»، وهذه القاعدة من الحجر الرملي الخشن، وأبعادها هي ٣٤٫٥ × ٤٤٫٥ × ٩٫٥ بوصة، وقد نُقشت على جوانبها الثلاثة مناظر يظهر فيها «سيتي الأول» يقدم القرابين المختلفة لآلهة «هليوبوليس»، وعلى الجانب العلوي يمكن رؤية الحُفر التي كانت تثبت فيها أجزاء هذا المعبد وملحقاته، وهذه كانت مصنوعة من المواد الثمينة، وقد اختفت بطبيعة الحال، والنقوش التي على جانبي القاعدة من اليمين، ومن اليسار هي: لقد صنعه أثرًا لوالده «رع آتوم خبري»، فأقام قدس أقداس له فاخرًا يشبه أفق السماء، وهو مأوى الأفقين الذي يثوي فيه أرباب «هليوبوليس» مثل «آتوم» في السماء … الإله الطيب الذي يقيم الآثار لوالده «رع حور اختي»، فأقام له في المعبد المصنوع من الحجر الرملي الأحمر الجيد بوابتين من الحجر الأبيض الثمين، وأبوابًا من البرنز، وعمودين للأعلام من حجر «مسدت» لأجل العقب، ومسلتين من البازلت الأسود، وهو مؤسس في «هليوبوليس» أفق السماء، وقد ابتهج أرواح «هليوبوليس» عند رؤيته.»[٨١] والمواد المذكورة في المتن تشير بطبيعة الحال إلى النموذج؛ لأنها لم تستعمل قط كلها على ما نعلم في إقامة معبد حقيقي، وهذا النموذج لم يكن في الواقع من عمل مهندس بناء قصد تنفيذه، بل يحتمل أنه كان يستخدم في أغراض دينية في معبد حقيقي، كما كانت تستعمل نماذج المعابد التي كانت تقدم للآلهة والملوك، أو كما كانت تعمل بيوت الأرواح للأفراد[٨٢] لتنقلب إلى صورتها الحقيقية بقراءة تعويذة سحرية خاصة بذلك.

هليوبوليس

يظهر مما لدينا من الآثار الباقية أن «هليوبوليس» قد أعيد معظم مبانيها في عهد «سيتي الأول»،[٨٣] ولكن مما يؤسف له جد الأسف أن هذه المدينة قد أصابها من التهديم والتخريب أكثر مما أصاب أي بلدة مصرية عظيمة؛ ولذلك لم يبقَ لنا إلا بعض دمن ضئيلة تدل على ما كانت عليه من عظمة وفخار في عصورها القديمة المختلفة، فنعلم مثلًا من ورقة «رولن» أن مدينة «هليوبوليس» كانت إحدى عواصم البلاد، وأن «سيتي الأول» كان له قصر فيها يسكنه هو وحاشيته أحيانًا (راجع Pleyte Rollin Papyrus 13).

- **مسلة «هليوبوليس»:** قفا «سيتي الأول» تقاليد أجداده العظماء، فأقام — على ما وصلت إليه معلوماتنا — مسلة في «هليوبوليس»، والظاهر أنه أقام غيرها؛ لأن «رعمسيس الثاني» يحدثنا بأن والده قد ملأ «عين شمس» بالمسلات، وهذه المسلة نُقلت إلى «روما»، وهي منصوبة الآن في ميدان «بيازا-دل-بو بولو»، والظاهر أنها من أواخر الآثار التي أقامها؛ لأنه مات قبل أن يبدأ نقشها، وقد قام بهذا العمل ابنه «رعمسيس الثاني» الذي حفظ لنفسه إحدى واجهاتها، ودوَّن عليها ما فعله، أما النقوش فهي:

> - (١) **الواجهة الشمالية:** ألقاب الفرعون «سيتي الأول» صاحب الآثار الجميلة في «عين شمس» مكان الأبدية مثل عمد السماء الأربعة، مخلدة وباقية في ردهة «رع» الأمامية، وتاسوع الآلهة مرتاحون لأعماله لبيت «ابن رع سيتي مرنبتاح» محبوب آلهة «هليوبوليس»، ليته يعيش مثل «رع».
> - (٢) **الواجهة الجنوبية:** ألقاب الفرعون «سيتي الأول» الذي زين «هليوبوليس» لسكانها، والذي طهرها «لرع» ربها، وأرباب السماء والأرض يبتهجون، وحظوته قد تضاعفت بسبب أعماله العظيمة، ليت ابن الشمس «سيتي مرنبتاح» محبوب «حور اختي» يعيش بوساطته مثل «رع».
> - (٣) **الواجهة الغربية:** … «سيتي الأول» الذي ملأ «هليوبوليس» بمسلاته المضيئة بالأشعة، وبيت «رع» قد غمر بجماله، وآلهة البيت العظيم فرحون به، ليت «ابن رع» «سيتي مرنبتاح» محبوب التاسوع الذين في البيت العظيم، يعطي الحياة بوساطته (أي رع).

(٤) **الواجهة الشرقية:** ألقاب الفرعون «رعمسيس الثاني» الذي أقام آثاره مثل نجوم السماء، وأعماله تناطح القبة الزرقاء، مبتهجًا بما يشرق عليه «رع» في بيت ملايين السنين، وإن جلالته هو الذي جمَّل هذا الأثر بالنقوش لوالده؛ ليجعل اسمه يبقى في بيت «رع»، ليت «رعمسيس الثاني» محبوب «آمون»، ومحبوب «آتوم»، ورب «هليوبوليس» يعطي الحياة بوساطته (أي رع).[٨٤]

ولدينا نقش في «أسوان» مؤرَّخ بالسنة التاسعة من عهد «سيتي الأول» دوَّن تذكارًا لحملة أرسلت للمحاجر هناك للحصول على جرانيت لعمل مسلات، وتماثيل ضخمة، والجزء الأعلى من هذه اللوحة المنقورة في الصخر يظهر فيه «سيتي الأول» مقدمًا قربانًا للآلهة «خنوم»، و«ساتت»، و«عنقت»، وفي الجزء الأسفل نقرأ المتن التالي: «السنة التاسعة في عهد جلالة «سيتي الأول»؛ هنا تأتي ألقابه العادية، وقد أمر جلالته — له الحياة والفلاح والصحة — بإنجاز أعمال عدة لصنع مسلات عظيمة جدًّا، وتماثيل ضخمة مدهشة باسم جلالته …»[٨٥]

هذا بالإضافة إلى نقش آخر في نفس البقعة، ولكنه مهشم، والنسخة التي وصلتنا من «لبسيوس» محشوة بالأخطاء، ومؤرَّخة بالسنة التاسعة، وتبتدئ هكذا:[٨٦]

> إن جلالته — له الحياة والسعادة والصحة — قد أمر بعمل مسلات عظيمة لمصر، ثم وجد جلالته …

وقد ضاع الجزء الباقي من هذا النقش بكل أسف، ويحتمل ألا نعرف ما كان عليه قط.

عارضة باب من «هليوبوليس»: يوجد الآن بمتحف «الإسكندرية» عارضة باب من الحجر الرملي الأصفر، وهي بلا شك من المباني التي أقامها «سيتي الأول» في «هليوبوليس»، كما تدل على ذلك النقوش التي عليها، فعلى أحد وجوهها أربعة مناظر وضعت في أربعة

صفوف بعضها فوق بعض، فنشاهد في الصف الأعلى إلهًا ممسكًا بيده علامة الحياة، ومتجهًا نحو «سيتي» ويقول: «خذ لنفسك الحياة بأنفك.» وفوق هذا المنظر عقاب يُحلق، وفي الصف الثاني يرى الإله «آتوم» رب الأرضين في «هليوبوليس» ممسكًا بيده الفرعون، ومقدمًا علامة الحياة لخيشومه قائلًا: «خذ الحياة بأنفك.» وفي الصف الأسفل يشاهد تمثال «بولهول» برأس إنسان يجثم على قاعدة، ويحلق فوق رأسه عقاب ولم يبقَ من النقوش التي تصحبه إلا بعض كلمات لا تؤدي معنى مفهومًا.

أما الوجه الثاني للعارضة، فمنقوش عليه المتن التالي في ثلاثة أسطر، وهو:

- (١) «حور» الثور القوي، الظاهر في «طيبة»، ومنعش الأرضين، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «من ماعت رع» محبوب «آتوم»، رب الأرضين في «هليوبوليس»، الإله العظيم، سيد البيت الكبير، معطي الحياة والثبات والسعادة مثل «رع» أبديًّا.
- (٢) محبوب الإلهتين، مجدد التوالد، صاحب السيف البتار، وقامع الأقواس التسعة، ابن الشمس «سيتي مرنبتاح» محبوب الإله «شو»، والإلهة «تفنوت»، ولقد أقامه أثرًا لوالده «آتوم» رب «هليوبوليس».
- (٣) أقام له بابًا من الحجر الرملي، وأبوابه من خشب الصنوبر المصفح بِ … ومؤسسًا بوصفه عملًا سرمديًّا، وهو الذي عمل لجلالته؛ لأنه كان يرغب كثيرًا … لأرواح «عين شمس».[٨٧]

- **مائدة قربان من «هليوبوليس»:** عثر على مائدة قربان من الجرانيت مبنية في جدار أحد البيوت بعطفة «البرقدار» بالقرب من «بوابة الفتوح»، وتدل نقوشها على أنها من «عين شمس»، وقد مثل عليها منظران يظهر فيهما «سيتي الأول» يقدم إناءين للإله «آتوم خبر» الذي أوجد نفسه، هذا بالإضافة للنقش التالي:

الإله الطيب البار بوالده عظيم الآثار ... ابن «آتوم» عالي العرش (؟) ومن جماله صوَّر أرواح «هليوبوليس» (الملوك القدامى) ملك الوجه القبلي والوجه البحري «من ماعت رع» (إوعو رع) ابن الشمس، رب التيجان «سيتي مرنبتاح» محبوب «بتاح»، ومحبوب «آتوم خبري» خالق نفسه، معطي الحياة مثل «رع» مخلدًا.

«الإله الطيب ابن آتوم صاحب التاجين، وجلالة «خبري»، والذي خرج من البذرة الفاخرة لثور «هليوبوليس»، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، حاكم الأقواس التسعة، ورب الأرضين «من ماعت رع» (إوعو رع) ابن الشمس، رب التيجان «سيتي مرنبتاح»، محبوب «آتوم» (خالق نفسه)، معطي الحياة مثل «رع».».

ويعتقد «كمال باشا» أن هذه المائدة قد جيء بها من مدينة «هليوبوليس» المقدسة، ومعها آثار أخرى في زمن «بهاء الدين يوسف» حوالي عام ١١٧٥م، وفي تلك المدة كانت الآثار المصرية مستعملة محاجر لبناء العمائر الجديدة التي زين «بهاء الدين» هذا بها عاصمة البلاد (القاهرة)،[٨٨] وفي متحف «برلين» عمود مثمن الأضلاع من بناء في «هليوبوليس» أقامه «سيتي الأول»،[٨٩] والنقوش التي عليه تحدثنا عن «سيتي» بأنه محبوب «آتوم» سيد «هليوبوليس»، ومحبوب «رع حور اختي» سيد السماء، وقد نُقش على جانبين منه صورة «بولهول»، ولكنها غريبة في بابها؛ إذ مثل جالسًا على مؤخرته، ورافعًا إحدى ذراعيه التي على هيئة ذراع الآدمي في صورة تضرع، والظاهر أنه يمثل الملك الذي ظهرت طغراؤه أسفل منه.

ويلاحظ أن صورة الإله «ست» التي كانت في الطغراءات التي تحوي اسم «سيتي» قد مُحيت عمدًا.

وفي متحف «بروكسل» قطعة حجر من الجرانيت الأزرق الرمادي، نُقش عليها مناظر الاحتفال بتتويج «سيتي الأول».[٩٠]

ويشاهد حفل التتويج والتقديس بالإناء «حس»، يقوم به الإلهان «حور»، و«ست» على التوالي، والنقوش تحتوي على لقب «سيتي» المبكر، وهو «من ماعت رع إوعو رع»،[٩١] ويظهر الفرعون على جانبي المجموعة الرئيسية مقدمًا إناءين للإله «آتوم»، وعطورًا للإله «حور».

الجيزة

سار «سيتي الأول» على نهج عظماء ملوك الأسرة الثامنة عشرة في الحج إلى معبد «بولهول»، فقام بزيارة رسمية لهذا التمثال العظيم الرابض في صحراء الجيزة حاجًّا بيته، وكذلك ليتمتع بصيد الأسود في الصحراء المجاورة، وكانت هذه عادة محببة لملوك هذه الدولة، وقد خلف لنا وراءه برهانًا محسًّا على انتجاعه تلك البقعة، فأقام هناك لوحة من الحجر الجيري الأبيض أهداها لـ «بولهول» في مقصورة صغيرة ضمن المعبد المُقام من اللبن الذي أسسه «أمنحتب الثاني»؛ وفاء لنذر نذره، وهو لا يزال يافعًا قبل تولي العرش للإله «بولهول». ومما يؤسف له أن اللوحة التي أقامها «سيتي الأول» قد تآكل جزؤها العلوي كثيرًا، غير أنه لم يزل بها بقايا صورة «بولهول» رابضًا تحت جناحي الإله «حور بحدتي» الخفاقين، أما الجزء الأوسط من اللوحة فلم يزل على حالة حفظ لا بأس بها. وقد مثل عليه منظر طراد يظهر فيه «سيتي الأول» واقفًا على قدميه على الأديم، ومفوقًا سهمه على قطيع من حيوان الصحراء المنوعة. ويُرى أسد ذو معرفة كثيفة، ووعل قد صُرِعَا أمامه، والسهام الدامية نافذة في جسميهما، ويرى في هذا المشهد لبؤة ملتفتة، ومولية الأدبار، ولكن سهام الفرعون القاتلة قد أصابتها في الكتف والبطن.

ويرتدي الفرعون هنا على رأسه شعرًا مستعارًا قصيرًا وقميصًا قصيرًا أيضًا، وكان يستعمل في طراده القوس الطويل، ويقف جانبًا مصوبًا سهامه نحو الهدف، شادًّا خيط قوسه إلى الخلف حتى الأذن، وهذه الوقفة تهيئ الإصابة لسهم أطول بكثير، وأعظم خطرًا عن المعتاد، غير أنها تستلزم قوسًا أقوى، وبأسًا أشد من جانب الرامي، ويشاهد خلف الملك

علامة الحياة لها ذراعان وساقان بشرية، وتحمل صولجان فقد أعلاه بفعل التعرية في الحجر، ومن المحتمل أنه كان مروحة، ونُقش فوق الفرعون: «معطي الحياة مثل «رع» مخلدًا»، ووراءه «معطي كل الحياة، والثبات، والسعادة خلفه مخلدًا»، ودوِّن بين الملك والحيوانات سبعة أسطر أفقية، وهي:

> يذهب جلالته ليضيء مثل «رع» عندما يشرق في السماء … والآن لمح أسدًا متوحشًا عظيمًا مثلما يلمح الصقر المقدس هدهدًا فامتحن القوس، ثم أخذ سهام

> «مونتو» — إله الحرب — وقوس «باستت» — إلهة القوة — فأردى الأسد في لحظة؛ لأنه «رع» محبوب والده «آمون». وقد عمل ذلك حقًّا أمام رجال القصر، وعندئذ هللوا لرب الأرضين، ووصلت أصواتهم إلى عنان السماء.

وفي الجزء الأسفل من اللوحة نقش مهشم بعض الشيء؛ إذ قد ضاع منها جزء كما فُقدت بداية الأسطر العمودية أيضًا، وهاك ما تبقى منها:

> … معطي الحياة للأرضين، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، مجدد التوالد، قوي السيف، وهازم الأقواس التسعة «حور» الذهبي، مجدد المظاهر، قوي الأقواس في كل الأرضين، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «ابن رع»، رب التيجان «سيتي مرنبتاح» معطي الحياة مخلدًا مثل «رع»، لقد أقامها — أي اللوحة — أثرًا له ليقدمه لوالده «حول» (اسم بولهول الكبير الرابض في الجيزة، ومن ثم أخذ الاسم الحديث أبو الهول) «حورم اخت»، وقد عمل … وقد خرج ليعلي من شأن الأماكن التي يتعبد فيها الشعب للإله الطيب القوي الشجاع على الخيل عندما يحارب مئات الآلاف … وجنوده، ومن يفتح بسيفه، ويصبح في مقدمة الخيالة … كل الأراضي الأجنبية الآتي … القوي الشجاع القلب … في وسط الجنود، وجميل في مقدمتهم مثل «آمون رع» عندما يشرق في السماء … على رأس الموقعة في كل بلد أجنبي الثوار، والذي يقهر … جنود الماهر في شد قوسه، ومن يرغم الأسيويين على التقهقر بقوة والده «آمون» الذي يكتب له النصر.

وهذه اللوحة على وجه خاص لها أهمية ممتازة؛ لأنها الأثر الوحيد — الذي في متناولنا — يصف «سيتي» في صورة رجل رياضي، ويشير إلى طرحه أعباء الحكم جانبًا، والتفرُّغ لنفسه، وعلى الرغم من أن «سيتي» يقول: إنه أردى أسدًا فعلًا بسهامه — وليس لدينا سبب يدعو إلى الشك فيما قاله — فإن ما يدعو إلى الريبة هو أنه قام بهذا الطراد لا حبًّا في الصيد، بل تمسكًا على ما يظهر بالتقليد القديم الذي كان مرعيًا في عهد أباطرة الأسرة الثامنة عشرة العظام كما أسلفنا. وقد قام «سيتي الأول» غير هذه اللوحة بإضافات أخرى في المعبد؛ إذ إنه أضاف بعض حجرات في الجزء الأمامي من هذا المبنى، وكذلك في المدخل الرئيسي مستعملًا نفس الطراز، أو نفس المادة التي استعملت في الأصل، أي إنه أقام الجدران من اللبن، أما الأبواب والعتب فمن الحجر الجيري الأبيض الجميل المزين بالمناظر والنصوص، وقد نقش على الباب المؤدي للقاعة الجنوبية الغربية من هذا المعبد ما يأتي: «… «من ماعت رع» معطي الحياة مخلدًا، وابن «رع» رب التيجان «سيتي مرنبتاح»، لقد صنعه أثرًا له ليقدمه لوالده «حول» حور الثور القوي الذي يبقي الحياة في الأرضين، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، سيد الأرضين «من ماعت رع»، معطي الحياة»، ثم «يعيش الإله الطيب سيد الأسلحة، ومن يطأ مئات الآلاف، والأسد المحارب على قدميه،

ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين «من ماعت رع»، ولقد صنعه أثرًا ليقدمه لوالده «حور اختي».» وقد اغتصب «مرنبتاح» حفيد «سيتي» فيما بعد جزءًا من المدخل الرئيسي، ونقشه باسمه، وهو مصنوع من الحجر الجيري الأبيض الجميل النقش.

وقد مثل كل من «سيتي الأول»، والإله «حور اختي» سويًّا على سمك عارضة الباب الأيمن، ويلاحظ أن الملك يضم الإله بحب وحنان، والأخير يقدم بيده صورة الحياة لوجه «سيتي». ولما كان هذا الأثر واقعًا في الجزء الخارج من المبنى نحته المثال بالحفر الغائر الجميل الصنع كما هي العادة. وكذلك نرى أن صورة كل من الإله والفرعون قد نُحتت نحتًا جميلًا في وضع قوي يملأ العين والمشاعر، وفوق رأسيهما نقرأ بقية نقش ذُكر فيه اسم الملك الذي نُعت: بمحبوب «حور اختي».

ولدينا لوحة كذلك من عهد «سيتي الأول» لموظف قدمها لتمثال «بولهول» العظيم، ونشاهد عليها الفرعون يقدم الشراب لـ «بولهول» الذي يسمى هنا «حول حور ام أخت»، وأسفل هذا المنظر نشاهد مُهدي اللوحة المسمى «حات تي»، يحمل لقب رئيس وزراء رب الأرضين، وهو راكع تعبدًا. وهذا الأثر الذي كُشف عنه في الحفائر التي قمت بها في منطقة «بولهول» عام ١٩٣٦-١٩٣٧م يحتمل أنه عمل تذكارًا لمصاحبة «حات تي» وزير «سيتي» لسيده عندما قام برحلة الحج لتمثال «بولهول».

منف

على أن «سيتي الأول» لم يحرم مدينة «منف» العظيمة إقامة آثار له فيها، فقد عثر على لوحة في مجموعة «بوزنو»[٩٢] (Tablet No. 8) نقش عليها اسم المحراب الذي أقامه «سيتي» هناك، وكذلك وجدت طغراءاته على لوحة من الحجر في «منف»،[٩٣] كما نقرأ في نقوش «العرابة» الكبيرة أن «رعمسيس الثاني» يدَّعي أنه نحت تمثالًا لوالده «سيتي» في «طيبة»، وآخر في «منف»، وأهداهما إليه في المعبد الذي أقامه «سيتي» هناك.[٩٤]

ووجدت قطع[٩٥] من ودائع أساس باسم «سيتي الأول» في معبد «بتاح»، وقد نقش عليها اسم المعبد، وقد نقش اسم المعبد على جعران عثر عليه في «ميت رهينة» كما يأتي: «البيت المقدس الفاخر، سيتي مرنبتاح في بيت بتاح.»[٩٦]

سقارة

وفي «سقارة» عُثر على مقصورة لأحد عجول «أبيس»، وأجزاء من معداتها نُقش عليها اسم «سيتي الأول»؛ مما يدل على أن هذا الفرعون كان يعظم ثور «منف» المقدس (راجع Porter and Moss III, p. 206).

الفيوم

ولدينا لوحة من «الفيوم» مؤرَّخة بالسنة الثانية من حكم «سيتي الأول»، وهي دليل على أنه وجه عنايته، أو ذهب إلى هذا الإقليم، ونعلم من ورقة «رولن» أن «سيتي الأول» أمضى جزءًا كبيرًا من سنته الثانية من سني حكمه في النزهة في الدلتا، ويظهر أنه لا بد من ضم الفيوم إلى الأماكن التي زارها في هذه السياحة أيضًا، واللوحة مستديرة من أعلى، ويشاهَد الفرعون مصورًا عليها لابسًا تاج الوجه القبلي، وأمامه النقش التالي: «الجنوب الغربي من بيت «سبك شدتي» شمالي شاطئ النهر، وشرقي البيت العظيم — له الحياة والفلاح والصحة — تأمل …» وفوق ذلك نقش: «السنة الثانية في عهد جلالة ملك الوجهين القبلي والبحري «من ماعت رع» ابن الشمس «سيتي مرنبتاح» معطي الحياة أبدًا، أمر جلالته أن تدوَّن هذه الكتابة.» والظاهر أن هذا النقش — كما تدل الشواهد — هو لوحة الحدود لتعيين حدود نقطة ما من الأرض (راجع Rec. Trav. XIV, p. 38).

نقوش «سيتي الأول» في «سبيوس أرتميدوس» (إصطبل عنتر)

يقع المعبد الصغير الذي أطلق عليه اليونان «سبيوس أرتميدوس» وسماه المصريون المحدثون «إصطبل عنتر» على مسافة ميل جنوبي مقابر «بني حسن» المنسوبة للدولة الوسطى (راجع ج٤)، وهذا المعبد أو المحراب منحوت في الصخر، وتاريخه لا يمكن القطع به على وجه التأكيد، ولكن يبدو أنه كان من الأصل من عمل الملكة «حتشبسوت»، وأن «سيتي الأول» قد أصلحه فيما بعد، وأضاف على جدرانه متونًا خاصة به، وليس في استطاعتنا أن نجزم إن كانت إصلاحاته مجرَّد اغتصاب مناظر نقشتها «حتشبسوت» بعد إصلاح ما أفسده الدهر، أو أن هناك ملوكًا سابقين قد غيروا أو أتلفوا هذا الأثر، إذ لم نعثر في الواقع على محو اسم «آمون». ومن المحتمل إذن أن معبد «سبيوس أرتميدوس» كان قد أُهمل كلية في عهد «إخناتون»، أو أخطأه نظر المكلفين بتخريب آثار «آمون». وكان من الطبعي أن نجد المتون الخاصة «بحتشبسوت» كلها قد غُيرت باسم «تحتمس الثالث»؛ لأن ذلك هو ما حدث في المعبد الصغير الذي نحته في «بطن البقرة»، حيث يشاهد اسم «تحتمس الثالث» على العمد، غير أنه لا يمكن البرهنة على صحة ذلك. والواقع أننا لا نجد لقب «تحتمس الثالث»، وهو «منخبر رع» في أي مكان على الجدار الجنوبي من الممر، فمن المحتمل إذن — وليس مؤكدًا — أن «تحتمس الثالث» لم يغير متون «حتشبسوت»، وأن «سيتي الأول» قد قام بإصلاحات أصلية كما يتضح من النقوش؛ فضلًا عن اغتصابه هذا الأثر؛ ولهذا يُعتقد أن هذا المعبد كان قد هُجر، وعفت الأيام على دمنه قبل توليه العرش.

واسم الوادي الذي يقع فيه هذا المعبد (إصطبل عنتر) يسمى «سرو» على حسب أحدث البحوث،[٩٧] أما المعبد نفسه فكان يشار إليه في النقوش بالعبارة التالية: «معبدها — أي الإلهة «بخت» — في الوادي الوعر»، و«بخت» إلهة بجسم لبؤة، ورأس قطة.

والواقع أن المتون الأصلية التي نقشتها «حتشبسوت» قد أصلحها «سيتي الأول» في أماكن كثيرة، ولم يكتفِ بتجديد الأجزاء الناقصة من المتن وحسب، بل كذلك أعاد اسم

الملكة على الرغم من أنها لم تكن ملكة شرعية في نظره، فقد رأينا أنه أسقط اسمها من قائمة الفراعنة التي نقشها على جدران «معبد العرابة» كما سلف. ولكن نشاهد من جهة أخرى أن «سيتي» قد استغل بعض جدران هذا المعبد لنقش المتون الخاصة به شخصيًّا، ولم يقُم مع ذلك بأي مجهود لاغتصاب أعمال «حتشبسوت» عندما كان يجد سبيلًا لإصلاحها. ومن الجائز إذن أن المساحات التي استعملها «سيتي» لنقش متونه الشخصية كانت نقوشها لا يرجى إصلاحها قط. ومتون «حتشبسوت» هي خطابات على لسان الإله «آمون» يؤكد فيها أن «حتشبسوت» كانت ابنته، والوارثة الشرعية لمُلك مصر.

وعلى الجدار الداخلي من الممر الجنوبي من المدخل الرئيسي نقرأ متن إهداء «لسيتي الأول»[٩٨] وهو:

> يعيش «حور» طويلًا الثور القوي الذي ينعش الأرضين، والمنسوب للسيدتين صاحبتي البأس العظيم جدًّا، ومن يقهر الأقواس التسعة، حور الذهبي، الكثير الرماة في الأراضي كلها، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، نسل الآلهة، وصورة «رع»، وابن «آمون»، رب الأرضين «من ماعت رع» بن «رع»، والذي يهدئ الآلهة «سيتي مرنبتاح»، لقد أقام هذا بمثابة أثر منه لأمه «بخت» العظيمة سيدة «سرو» في معبدها في الوادي الوعر، الذي نحتته بنفسها، مثل «رع»،[٩٩] وتستمر النقوش على يمين الباب: «يعيش «حور» طويلًا الثور القوي منعش الأرضين، والمنسوب للسيدتين صاحبتي البأس الشديد جدًّا، ومن يقهر الأقواس التسعة حور الذهبي الكثير الرماة في الأراضي كلها، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، ومن يقبض على تاج الوجه القبلي وسيد الأرضين «من ماعت رع» ابن «رع»، ومن يهدئ الآلهة «سيتي مرنبتاح»، لقد أقام هذا بمثابة أثر منه لوالدته «بخت» العظيمة سيدة «سرو» في معبدها في الوادي الوعر، وهو الذي نحتته بنفسها، مثل رع مخلدًا وسرمديًّا.»

أما متن الإهداء الكبير فقد نقشه «سيتي» على الجدار الأيسر من الجزء الخارجي من الممر القصير المؤدي للمحراب، وهاك النص:

> - **التاريخ:** السنة الأولى: بداية الأبدية وفاتحة الخلود، والاحتفال بملايين الأعياد الثلاثينية، ومئات آلاف السنين التي يسودها السلام، وأبدية «رع» في السماء، وملكية «آتوم» على الأرض.

- **ألقاب «سيتي»:** حور الثور القوي الذي يجعل الأرضين تنتعشان، والمنسوب للسيدتين صاحبتي البأس الشديد جدًّا، ومن يقهر الأقواس التسعة «حور» الذهبي الكثير الرماة في الأراضي كلها، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، وسيد الأرضين «من ماعت رع» ابن «رع» «سيتي مرنبتاح» معطي الحياة مخلدًا وسرمديًّا، محبوب «آمون رع» ملك الآلهة … المشرق على عرش «حور» الأحياء مثل والده «رع» يوميًّا.

- **مقدمة:** والآن كان جلالته في بلدة «حت كا بتاح» (منف) يعمل ما يرضي والده «آمون رع» رب عروش الأرضين، والمبرز في الكرنك (ابت إسوت)، و«آتوم» رب الأرضين في «هليوبوليس»، و«رع حور اختي»، و«بتاح» العظيم القاطن جنوبي جداره، وسيد «غنخ تاوي» (حي من أحياء «منف»)، والإلهة «بخت» العظيمة سيدة «سرو»، وسيدة السماء، والساحرة وكل آلهة، وإلهات مصر بقدر ما يقدمون له بقاء «رع»، وملك «آتوم»، وكل أرض منخفضة، وكل أرض جبلية قد سقطت تحت قدميه سرمديًّا.

- **إطراء الفرعون:** الإله الطيب ابن «باستت»، وربيب الإلهة «سخمت» سيدة السماء، وبيضة «رع»، والذي ولدته «بخت»، ومن ربته الساحرة، والبذرة المقدسة الخارجة من «آتوم»، ومن هذبته «وازيت» … بعناية الملك اليقظ المحسن.

وأسنُّ أولاد التاسوع كله.

ومن أقام المعابد، ووسع المحاريب — التي غطيت بالتراب.

ومن … المعابد.

ومن جعل الصور المقدسة تسكن محاريبها.

وماد مائدة القربان العظيمة بالقرب يوميًّا.

… القربان المقدسة …

والذي أعلى لهم الآثار طبقًا للقانون، وجعلها أكثر عددًا مما كانت عليه قبلًا، وأوانيها العدة صيغت من الذهب، والفضة، والنحاس.

وقلائدهم (منت) مصوغة من الذهب، والفضة.

ومخازنهم مملوءة بالحبوب.

وخزاناتها تحتوي على الثراء.

والعبيد قد تضاعفوا في المعابد.

والمأجورون …

والحقول والحدائق … في أماكنها اللائقة.

… مزودة بالرجال الذين يضعون الأحجار في أماكنها (؟).

والمعابد قد مونت بفخامة.

دون أن يقال قط: «إذا كان لي فقط هناك.»[١٠٠]

وذلك لأجل حياة وفلاح وصحة ملك الوجه القبلي والوجه البحري.

«من ماعت رع» ابن الشمس «سيتي مرنبتاح» معطي الحياة مخلدًا وسرمديًّا.

… … … … … … … … …

والذي كافأته والدته بأعياد ثلاثينية، وأعوام يسودها السلام.

وقد اتخذت مكانتها بين حاجبيه.

ومكانها هناك مدى بقاء السماء.

وعندما تمتد ذراعاها للمساعدة.

تخضع له البلاد الأجنبية.

وتستولي له على قلوب الأقواس التسعة.

وإنه يضرب بدو السودان.

ويهزم اللوبيين (تحنو).

ويضع حدوده حيثما أراد.

… … … … … … … …

بطل شجاع القلب في ساحة القتال.

ومخلاب الأسد الذي يقتل في لمح البصر أمام كل الناس.

ولم يرَ مثله في كل سجلات الأجداد.

والقصة لم تتناقل من فم إلى فم.

إلا تشير إلى جلالته نفسه.

… في لمح البصر.

ملك الوجه القبلي والوجه البحري «من ماعت رع».

ابن رع «سيتي مرنبتاح» محبوب «بخت» سيدة «سرو».

إصلاح «سبيوس» (المعبد): والآن بحث جلالته عما يفيد والدته «بخت» سيدة «سرو» لتجديد — … الخاص بالآلهة أسياد «سرو» — لأجل أن يجدد ما ينعشهم

في داخل معبدها، فجدد جلالته معبدها، وأغلق أبوابه على غرار المأوى العظيم لأجل أرباب «سرو».

- **الإلهة «بخت» تتحدث للإله «تحوت»:** وتحدثت «بخت» سيدة «سرو» إلى «تحوت» سيد الكلمات المقدسة: «تعال انظر إلى هذا الأثر العظيم جدًّا الخالد الذي أقامه لي ابني المحبوب سيد الأرضين «من ماعت رع» على حسب ما أمرت به في الأزل عندما قلت بفمك سيعتلي ابني العرش، وسيمكث على السدة مخلدًا ابن «رع» «سيتي مرنبتاح»، وإنه سيقيم آثارًا للآلهة على حسب ما أمر به ملك الأبدية، وسيشيد آثارًا للإلهة «بخت»، وسينحت تماثيل آلهة «سرو»، وليته يفعل ما أمرت به يا ملك الأبدية، امنحه كل الحياة والفلاح الذي ينبعث منك.

امنحه الأبدية مثل جلالتك، وتلك السرمدية التي أنت فيها.

امنحه النصر تلو النصر مثل «مين» … امنحه عظيم … حبي.

امنحه عظيم … حتى يخدموه متحدين …؟

امنحه قطعانًا عدة سليمة الجسم، وكلأ وفيرًا مثل وفرة الجراد.

امنحه نيلًا عاليًا بهجًا بكل الخيرات.

امنحه أراضي في سلام … وقلبه في كل مكان يرغب فيه.

واجعل كل الآلهة يتمكنون من بسط حمايتهم حوله بالحياة والثبات والسعادة على حسب صلاة ابنتك العظيمة دون حذف أي شيء قلته.»

- **جواب «تحوت»:** كلام «تحوت» رب الكلمات المقدسة، ما أطيب كلماتك يا «بخت»، يا سيدة «سرو»، إني سأمكن ابني رب الأرضين «من ماعت رع» ابن «رع» مُرضي الآلهة، رب التيجان «سيتي مرنبتاح» بوصفه ملك الخلود، في إقامة

الآثار لأمه «بخت» العظيمة، وسيدة «سرو» أبديًّا، وإنه سيكون على رأس الأحياء كلهم مخلدًا.

وادي الحمامات

تدل النقوش التي عُثر عليها في إقليم «وادي الحمامات»، على أن الملك «سيتي الأول» كان صاحب نشاط في استغلال محاجر هذا الإقليم العظيمة لإقامة آثاره، وقد كان آخر ملك قبل «سيتي» وجد اسمه منقوشًا على صخور تلك الجهة، هو الملك «إخناتون» الذي كان بلا شك يقطع الأحجار منها لبناء عاصمته الجديدة، فنشاهد «سيتي» على لوحة منقوشة نقشًا بديعًا؛ راكعًا ومقدمًا إناء خمر للإله «آمون رع» الذي كان بدوره جالسًا على العرش أمامه، ويلاحظ أمام هذا الإله مائدة قربان صغيرة عليها طاقة أزهار، وفوق الإله قرص الشمس يتدلى منه صلّان يخرج منهما أشعة تنتهي بأيد بشرية، وهذا الأثر بلا شك من أعمال «إخناتون» كما يوحي بذلك صراحة قرص «آتون»، وأشعته الخاصة. ولا نزاع في أن «سيتي» قد اغتصبه من «إخناتون» عمدًا انتقامًا، وتشفيًا منه، ومن معبوده، وأضاف الصلِّين لقرص «آتون»، كما أضاف نقشًا فوق المائدة وهو: ««آمون رع» حاكم «طيبة»، رب السماء وسيد الأرض.» أما طاقة الأزهار والمائدة فقد نُقشت على طغراءات «إخناتون» التي مُحيت قصدًا، وقد كان المعروف عن «سيتي الأول» أنه لم يخرِّب أو يغتصب آثار أسلافه، وهذا المثل الذي نحن بصدده يعد استثناء ارتكبه انتقامًا للإله «آمون» من الرجل الذي سعى في القضاء على ديانته ردحًا من الزمن،[١٠١] وكذلك لدينا في نفس الجهة نقش كبير يمثل «سيتي الأول»، وهو يقدم صورة العدالة للإله «مين» حامي الطرق الصحراوية. أما طغراء «سيتي» فهي «سيتي مرنبتاح».[١٠٢] هذا إلى نقش دقيق الصنع إلى حد بعيد يشاهد عليه صورة «سيتي الأول» يقدم طاقة أزهار للإله «آمون رع» رب السماء.[١٠٣]

قفط

الظاهر أنه لم يعثر لـ «سيتي الأول» على آثار في «قفط» حتى الآن إلا قاعدة تمثال «بولهول» منحوت في الحجر الرملي. وقد ذكر لنا «بتري» هذا الأثر دون أية تفاصيل.[١٠٤]

المدمود

تدل نتائج الحفائر التي قام بها «بيسون دي لاروك» في «المدمود» على وجود معبد في تلك الجهة كان قد بدأه «سيتي الأول»، وأتمه ابنه «رعمسيس الثاني»، وهذا المعبد — على ما يظهر — كانت مساحته عظيمة، وأقيم من الحجر الرملي، ولم يبقَ من البناء الأصلي إلا دمن ضئيلة تدل على آثاره، فقد عُثر على قطع ضخمة من الحجر عديدة، عليها نقوش لـ

«سيتي الأول»، وقد وجدت مبنية في أصل بوابة الإمبراطور «تيبريوس» الروماني Tiberius، وقد عُثر كذلك في كومة من الأتربة، والمخلفات المحطمة الواقعة خارج سور المعبد المتأخر، وعلى عمق سبعين سنتيمترًا من مستوى رقعة المعبد البطليموسي على قاعدة تمثال من الجرانيت، عليها نقوش خاصة بـ «رعمسيس الأول»، و«سيتي الأول»، وكذلك عُثر على قطع أخرى عليها طغراء الفرعون «سيتي الأول» في داخل سور المعبد.

طيبة

ومن بين الآثار الصغيرة التي عُثر عليها في «طيبة» لوحة من الحجر الرملي مؤرَّخة بالسنة الأولى، وكان قد أهداها لمعبد «بتاح»، ويشاهَد في أعلاها منظران: على الشمال نشاهد «سيتي» يقدم خمرًا لـ «آمون»، و«موت»، وعلى اليمين يقدم صورة العدالة للإله «بتاح»، وخلف الفرعون تقف الإلهة «حتحور» تَعِده ملايين السنين، ومئات آلاف الأعياد الثلاثينية، ثم يأتي بعد ذلك متن طويل تُذكر فيه ألقاب الفرعون، وصفاته، وبطشه، وجبروته على البلاد الأجنبية التي يأتي إليه أهلها محملين بجزيتهم على ظهورهم، وكذلك الأسرى الأحياء، فيقودهم الملك بدوره إلى والده «آمون»، وتاسوعه ليملئوا مخازنهم بالعبيد والإماء من كل بلد أجنبي، وبعد ذلك يذهب جلالته إلى المدينة الجنوبية (طيبة) ليقدم شكره لوالده الإله «آمون» رب تيجان الأرضين جميعًا، والإله «بتاح» رب العدالة، القاطن في «طيبة»، و«حتحور»، وكل الآلهة والإلهات إلخ.[١٠٥]

وقد وجد بين كنوز خبيئة الكرنك تمثاله الضخم الغريب المنحوت في المرمر، وهو الآن بالمتحف المصري، وقد رُكب هذا التمثال من قطع متفرقة ألصق بعضها ببعض بملاط ذي ألوان مناسبة لقطعه، وقد يكون السبب في تعدد أجزائه عدم استطاعة الحصول على قطعة واحدة من المرمر سليمة كبيرة الحجم، وافية بالغرض، وعينا التمثال كانتا مرصعتين في محجريهما، غير أنهما فُقدتا الآن، وقد كان يحيط به إطار من الذهب قد نُهب أيضًا، والتمثال بديع الصنع، ونوع الحجر — وبخاصة الجزء الذي يتألف منه الجسم — من أحسن أنواع المرمر، وقد نُقش بالقرب من ساقه الأيسر المتن التالي على القاعدة:

> الإله الطيب والروح العظيم للإله «آمون رع»، وتمثاله اليقظ … الخارج من صلبه ليعطيه النصر، والذي يقتل الأعداء بقوة «حور»، «وست»، وقد عمل الآثار بقلب محب مثل الابن الذي يعمل كل صالح لمبانيه … وجدد … الآلهة في مساكنهم، وضاعف تماثيلهم على الأرض، وزاد ما كان أمامهم، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين «من ماعت رع» ابن الشمس من صلبه «سيتي مرنبتاح» من المرمر النقي ليخلد اسمه في بيت والده «آمون» الذي وهبه الأرض جميعًا، وإنه الملك رب الأرضين «من ماعت رع» الجالس على عرش «حور الأحياء» … والأرض

كلها، والأراضي الأجنبية، وفرح القلب كله، والقوة كلها، والنصر كله … وتجديد شباب الملك.[١٠٦]



شكل ٥: تمثال «سيتي الأول» من المرمر (بالمتحف المصري).

جبل سلسلة

إن أهم أثر للفرعون «سيتي الأول» في «سلسلة» هو لوحة مؤرَّخة بالسنة السادسة، وقد دوِّن عليها متن خاص بقطع الأحجار، ويرى «سيتي» على الجزء الأعلى منها يقدم خمرًا للإله «آمون رع»، والإله «بتاح»، ثم إلى إلهه، وأسفل هذا المنظر المتن التالي:

السنة السادسة، الشهر الرابع من الفصل الأول، اليوم الأول من الشهر في عهد جلالة «سيتي الأول» — تأتي بعد ذلك الألقاب الفرعونية مهشمة — في هذا اليوم كان جلالته — له الحياة والسعادة والصحة — في المدينة الجنوبية، يقوم بالأحفال البهجة لوالده «آمون رع» ملك الآلهة، وممضيًا الليل يقظًا طلبًا في عمل الخيرات للآلهة أرباب مصر، وعندما أضاءت الأرض، وطلع النهار أمر جلالته — له الحياة والفلاح والصحة — بإرسال مبعوث ملكي من قبل جلالته مع طائفة من الموظفين من رجال الجيش عددهم ألف نفس … في طوائف لنقل آثار والده «آمون رع أوزير»، وتاسوعه المقدس من الحجر الرملي الجميل.

- **جرايات الجنود:** وقد زاد جلالته — له الحياة والسعادة والصحة — ما كان يمون به الجيش من عطور، ولحم بقر، وسمك، وكذلك الخضر الوفيرة التي لا حصر لها، وكان نصيب كل رجل منهم عشرين دبنًا (أربعة أرطال) من الخبز يوميًّا، وحزمتين من الخضر، وشواء من اللحم، وثوبين من الكتان شهريًّا؛ ولذلك كانوا يشتغلون بقلب ملؤه الحب لجلالة الملك — له الحياة والفلاح والصحة — وكانت خططه سارة في أفواه الناس الذين كانوا برفقة المبعوث الملكي لجلالته.

- **جراية رسول الملك وحاملي أعلامه:** كان ما لديه: الخبز الجيد، ولحم البقر، والخمر، والزيت الحلو، وزيت الزيتون، والشحم، والشهد والتين، والسمك، والخضر يوميًّا، وكذلك إكليل الفرعون الذي كان يُدفع له من بيت الإله «سبك»، رب «السلسلة» يوميًّا، وكان يورِّد عشرين ثوبًا إلى مخزن حاملي أعلام جيشه أيضًا[١٠٧] …

ومما يلفت النظر أن النقوش تنتهي عادة بالجمل الاصطلاحية التقليدية التي تتبع اسم الفرعون، غير أن هذا النقش كان من نوع آخر يدل على طبيعة الفرعون الطيبة التي رأيناها فيما سبق في نقوش «وادي مياه»، أو «وادي عباد». ولسنا في حاجة للتنويه عما جاء في هذا المتن من حسن معاملة العمال، وإطعامهم وكسائهم.

ولدينا أثر آخر في «جبل سلسلة» من عهد «سيتي الأول»، وهو نقش في محراب مقطوع في الصخر، ومما يؤسف له أن ماء النهر أتلفه تقريبًا، وفيه نشاهد الفرعون يقدم بخورًا وقربانًا للآلهة «منتو»، و«آتوم»، و«أنحور»، و«تفنوت»، و«جب»، و«تحوت»، و«نوت».[١٠٨]

الكاب

وفي «معبد الكاب» الكبير عُثر على بعض قطع من الحجر عليها طغراء «سيتي الأول»؛ مما يدل على أنه أقام بعض مبانٍ هناك (راجع J. E. A., VIII, p. 37)، وفي سنة ١٩٣٧م عثرت البعثة البلجيكية على صورة أسد ضخمة قدمه «سيتي الأول» للإله «حور» الذي يطرد الشر، وقد عثر على مثل هذه الصورة في معبد «أمنحتب الثالث» الصغير في مدينة «الكاب»،[١٠٩] ووجدت قطع منقوش عليها اسم «سيتي الأول» مبنية في أساس معبد داخل سور، أو قلعة «الكاب».[١١٠]

إلفنتين

أقام «سيتي الأول» لوحة في ركن من أركان أحد المعابد في «إلفنتين»، وقد نقل نقوشها «شامبليون»، والظاهر أنها غطيت ثانية بالأتربة؛ لأنها لم تكن ضمن اللوحات التي نسختها بعثة «دي مرجان»،[١١١] والمنظر الذي في أعلاها يظهر فيه «سيتي الأول» يتعبد للإلهين «خنوم»، و«آمون رع»، وفي الجزء الأسفل متن مؤلف من ثمانية عشر سطرًا جاء فيه صلاة الفرعون للإله «خنوم»، والمتن مهشم جدًّا، وأهم ما بقي منه الجمل التالية: «… لقد غمرت معبدك بقربانهم من المأكولات … من الفضة والذهب واللازورد والنوتية، وقد ملأت مخزنك … ومنحتني الجنوب، وكذلك الشمال والغرب والشرق تحت موطئ قدمي.» ويعتقد الأستاذ «برستد» أن هذه الجمل لا تعبر عن شيء حقيقي، بل مجرد جمل اصطلاحية،[١١٢] ويقول «بتري»: إن هذه اللوحة مقامة في معبد «خنوم».[١١٣]

أسوان

لقد ذكرنا فيما سبق النقوش التي في «أسوان» الخاصة بقطع المسلات والتماثيل، من حجر الجرانيت، وكذلك لدينا نقش آخر مهشم مؤرخ بالسنة التاسعة، ويقع على الطريق القديمة بالقرب من «أسوان»، والمنظر الذي عليه يظهر فيه «سيتي» أمام الإله «آمون».[١١٤]

كلبشه

وفي بلدة «كلبشه» نقش يظهر فيه الملك «سيتي الأول» بين الإلهين «حور»، و«ست» كما هي الحالة في مناظر «هليوبوليس»، و«الكرنك».[١١٥]

دكة

عثر «أيزن لور» على بعض أحجار نقش عليها طغراء «سيتي الأول» في معبد «دكة»، وهي الآن بمتحف مدينة «هيدلبرج» بألمانيا، وذلك يبرهن على أنه أقام بعض المباني في هذه

البلدة نفسها.[١١٦]

أمدا

أقام «سيتي الأول» معبدًا صغيرًا في «أمدا» متصلًا بالمعبد الكبير المُهدى لـ «آمون رع»، و«حور اختي»، وقد جاء عليه النقش التالي:

> لقد جدد آثار والده ملك الوجه القبلي وملك الوجه البحري «من ماعت رع» ابن الشمس «سيتي مرنبتاح» المحبوب من «حور اختي»، و«آتوم» رب الأرضين في «عين شمس».[١١٧]

وكذلك أقام «سيتي الأول» في معبد «أمدا» الكبير بوابة بين قاعة العمد والاستراحة،[١١٨] كما أنجز إصلاحات في المناظر القديمة، والنقوش الخاصة بالإله «آمون رع» التي شوهتها يد شيعة «إخناتون».[١١٩]

كوبان (قوبان)

عثر على لوحة من عهد «رعمسيس الثاني» في خرائب «كوبان»، جاء فيها كيف أن «سيتي الأول» قد حفر بئرًا في الطريق الصحراوية المؤدية من النيل إلى «كوبان»؛ فمناجم الذهب في «وادي علاقي»، وهذه البئر كانت لسقاية العمال الذين كانوا يعملون في المناجم، وسنتكلم عن هذه اللوحة فيما بعد.[١٢٠]

دوشه

توجد في صخور «دوشه» لوحة جميلة منحوتة في الصخر يظهر فيها «سيتي الأول» يقدم قربانًا وبخورًا وشرابًا للآلهة «خنوم»، و«ساتت»، و«عنقت»، وفي أسفل هذا المنظر صورة صغيرة لنائب الملك في «كوش» المسمى «أمنمأبت»، غير أن النقوش الأفقية التابعة له قد هُشمت.[١٢١]

قصر أبريم

يوجد في «قصر أبريم» لوحة مقطوعة في واجهة الصخرة المطلة على النهر، ويظهر فيها «سيتي الأول» يذبح عدوًّا أمام إله لم تحقق شخصيته، وبالقرب منه تقف العربة الملكية، والجزء الأعلى من اللوحة قد اختفى، وفي الجزء الأسفل الباقي نقش أحد عشر سطرًا،

وصورة نائب الفرعون في بلاد «كوش» «أمنمأبت» السالف الذكر، وقد رأى هذه اللوحة الأثري «سايس» ونقلها،[١٢٢] وهاك النص الذي نقله:

> يعيش «حور» الثور القوي الظاهر في «طيبة» منعش الأرضين، والمنسوب للسيدتين، ومجدد التوالد، صاحب السيف البتار، وقار الأقواس التسعة «حور الذهبي» قوي القوس في كل الأرضين، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «من ماعت رع» «ستبن رع» ابن الشمس «سيتي مرنبتاح»، معطي الحياة مخلدًا وسرمديًّا، الملك الطيب ضارب الأقواس التسعة، قوي القلب، ومجدل أعدائه وذابحهم، وهازم أهل «رتنو»، وحاملو جزيتهم يأتون أسرى أحياء أمامك … مثل ابن «نوت» — أي الإله ست — الملك القوي الذي يمد حدوده حتى نهاية قرن الأرض …

جبل بركل

زاد الملك «سيتي» وابنه «رعمسيس الثاني» في معبد «آمون رع» الذي أسسه الفرعون «توت عنخ آمون» في جبل «بركل» المقدس، ومن هذا المكان جاءتنا كذلك اللوحة التي سجل عليها «سيتي الأول» إعادة بناء معبد «آمون»، ومتن هذه اللوحة مؤرَّخ بالسنة الحادية عشرة، وهو على ما نعلم حتى الآن أرفع تاريخ في حكم «سيتي» وصلنا، ومتن هذه اللوحة مهشم جدًّا.[١٢٣]

سيسبي

كان المؤسس الأول لمعبد «سيسبي» الذي وجدت على جدرانه نقوش للفرعون «سيتي الأول» هو الملك «إخناتون»، ويعتقد أنه هو المعبد المسمى في النقوش «جم آتون» في بلاد النوبة، ويقع في الركن الشمالي الغربي من قلعة «جم آتون» قبالة «دنقلة»، ويعد المعبد الوحيد الباقي حتى الآن للإله «آتون» في هذه الجهات، ويلاحظ أن كل النقوش الأصلية التي نقشها «إخناتون» قد مُحيت، ونُقش مكانها متون باسم «سيتي الأول»، وهذا مثل آخر نجد فيه «سيتي» قد اغتصب عن قصد وروية آثار سلفه الزائغ في نظره،[١٢٤] ففي أحد المناظر يظهر «سيتي» مقدمًا قربانًا للإله «آمون رع»، وأمامه مائدة قربان عليها إناء وأزهار بشنين، وخلف «آمون رع» نرى يدًا مرفوعة لشخص مُحيت صورته، وتدل النقوش على أنه صورة الإلهة «موت»، وفوق رأس «سيتي» يحلق قرص شمس يتدلى منه صلان، والمحو ظاهر في كل أرجاء المناظر والنقوش في هذا المعبد.[١٢٥]

آثار أخرى لسيتي الأول

يوجد بالمتحف البريطاني لوحة باسم «سيتي الأول»، فُقد منها جزء كبير، والمتن المهشم الباقي عليها يشير إلى شجاعة «سيتي» الحربية، وقد شبه في انقضاضه على العدو بالصقر، غير أن الغرض الأصلي من اللوحة على ما يظهر، كان إعادة تأسيس عيد من الأعياد، إذ يقول المتن: «وقد أمر جلالته أن يقام من جديد العيد الذي كان يحفل به في اليوم العاشر من الشهر الرابع من فصل الزرع في «طيبة».» وليس في استطاعتنا تعيين اسم هذا العيد بالضبط،[١٢٦] وهذا مثل آخر يدل على غيرة «سيتي الأول» لإحياء العادات، والأحفال القديمة التي كانت سائدة في البلاد قبل عهد «إخناتون». ويعتقد الأستاذ «شورتر» أن ما ذُكر هنا عن أعمال الحرب، وما أحرزه «سيتي» فيها لا يشير إلى حملة معينة، بل مجرد جمل فرعونية الصيغة.

وفي متحف «تورين» لوحة يظهر فيها «سيتي» يقدم القربان للملك «أمنحتب الأول»، وهذا دليل على استمرار وتشجيع عبادة هذا الفرعون المؤله الذي أصبح كما ذكرنا آنفًا الإله الحامي للجبانة في «طيبة» الغربية[١٢٧] (راجع ج٤)، وسنرى أن ملوك الأسرة التاسعة عشرة وعظماءها كانوا مغرمين بعبادة الملوك الأقدمين، وبخاصة ملوك الأسرة الثامنة عشرة الذين أسسوا مجد مصر الإمبراطوري.

(٥-١٣) إصلاحات سيتي البنائية

أشرنا فيما سبق إلى الإصلاحات والترميمات التي قام بها «سيتي الأول» في الآثار القديمة التي عدا عليها الدهر أو خربت عمدًا، وتمتاز كل هذه الإصلاحات بحسن صنعها، والنقوش جمة التواضع التي كان يُنوه فيها «سيتي» بإصلاحاته، إذ كانت توضع على الآثار في الأماكن التي أصلحت بحيث لا تتدخل قط في النقوش الأصلية التي دوَّنها صاحب الأثر الأصلي، وهذه الإصلاحات نجدها في طول البلاد وعرضها، وهاك بعض الأمثلة التي تدل على صدق ما قررناه هنا:

- **بوصير:** نقش «سيتي»[١٢٨] متنًا في المعبد القديم الذي أقامه الفرعون «سحورع» أحد ملوك الأسرة الخامسة، أشار فيه إلى معبد الإلهة «موت سخمت» (باستت) الذي أقامه الملك «سحورع».

- **الكرنك:** أصلح «سيتي الأول» منظرًا على البوابة التاسعة، فيقول في المتن الخاص بذلك: «تجديد الآثار التي عملها ملك الوجه القبلي والوجه البحري «من ماعت رع» في بيت والده «آمون».»[١٢٩] وكذلك نشاهد على البوابة العاشرة منظرًا ظهر فيه الملك «سيتي» واقفًا أمام الإله «آمون رع»، وخلفه يقف الإله «منتو»، وتاسوع «هليوبوليس»، وهم:

«آتوم»، و«شو»، و«تفنوت»، و«جب»، و«نوت»، و«أوزير»، و«ست»، وصورته ممحوَّة، ثم «إزيس»، و«نفتيس»، والمتن الذي يتكلم عن الإصلاح هو: «يقول الابن المحبوب رب الأرضين «من ماعت رع» لقد أقمت المعبد من جديد حتى وصل إلى عنان أفق «نوت» (السماء)، وقلبي ممتلئ بحبك، وفرح بجمالك، وأعطيت الحياة والسعادة.»[١٣٠]

وكذلك أصلح «سيتي الأول» اسم «آمون» على لوحة الفرعون «تحتمس الثالث»، وكان قد هشمه «إخناتون»،[١٣١] وقد جاء في النقش الذي كتبه «سيتي» أنه عمله لوالده «آمون رع» رب تيجان الأرضين، وقد عمل إصلاحًا مشابهًا لذلك في لوحة لـ «تحتمس الثالث» في معبد «بتاح القاطن جنوبي جداره.»[١٣٢] هذا بالإضافة إلى إصلاحات أخرى نشاهدها في مسلة «حتشبسوت»،[١٣٣] ولوحة «أمنحتب الثاني».[١٣٤]

وفي «القرنة» بـ «طيبة» الغربية نشاهد إصلاحاته في لوحات «أمنحتب الثالث».[١٣٥]

- **الدير البحري:** وقد قام «سيتي» بإصلاحات في معبد الدير البحري،[١٣٦] وكذلك في معبد «تحتمس الثالث» في مدينة «هابو» (راجع L. D., III, pl. 202 d.)، وفي معبد «أمنحتب الثالث» في «الكاب» نجد كذلك أن الإصلاحات التي قام بها كانت تعظيمًا لوالدته الإلهة «نخبت».[١٣٧]

وفي «إلفنتين» أصلح «سيتي الأول» معبد «أمنحتب الثاني الصغير» الواقع جنوبي مقياس النيل،[١٣٨] وقد ذكرنا من قبل إصلاحاته في «أمدا».

(٦) الأسرة المالكة

(٦-١) الملكة «تويا»

لم تسجل لنا الآثار زوجًا للفرعون «سيتي الأول» إلا الملكة «تويا»، ويقول «مسبرو»: إن هذه الملكة كان لها حق الملك أكثر من أي عضو آخر من الأسرة المالكة،[١٣٩] وألقابها التي تنحصر فيما يأتي: «الأميرة الوراثية، والمربية العظيمة، والتي ترى «حور» و«ست» وزوج الإله، وزوج الملك العظيمة، ومحبوبته، والحظية العظيمة، والمنضمة لـ «حور»، وأم الملك

التي حملت الثور القوي «رعمسيس الثاني» والممدوحة، وصاحبة الحظوة عند سيد القصر، والأم الملكية، ورئيسة نساء «آمون»، وسيدة النساء.» لا يوجد من بينها لقب ابنة الفرعون، أو لقب أخت الفرعون؛ من أجل ذلك يصعب أن نعرف الأساس الذي استحقت من أجله الملك أكثر من غيرها، اللهم إلا إذا فهمنا معنى لقب الأميرة الوراثية بمدلوله الحقيقي لا بمعناه التقليدي، إذ كان لقب شرف فقط، ولم تكن «تويا» تحمل ألقابًا أعلى من ألقاب الملكة «تي» زوج «أمنحتب الثالث» التي لم تكن من أسرة مالكة، والظاهر أن «تويا» قد عاشت مدة بعد وفاة زوجها، ويقول «مسبرو»: إنها كانت وصية على عرش ابنها «رعمسيس الثاني» في أثناء غيابه في الحروب التي شنها على «خيتا»،[١٤٠] غير أننا لا نعرف الأسباب التي بنى عليها هذا الرأي.

والآثار التي خلفتها «تويا»، أو ذُكر اسمها عليها هي ما يأتي:

- (١) تمثال من الجرانيت الأسود لملكة من الأسرة الثانية عشرة اغتصبه «رعمسيس الثاني» كعادته، ونقش عليه اسم والدته، ويلاحظ أن الوجه قد نُحت من جديد؛ ولذلك نجد الأذنين الكبيرتين لهذا التمثال قد صغرتا، كما أن الشعر المستعار الكثيف الذي كان طرازًا محببًا في عهد الدولة الوسطى قد حوِّل إلى شعر مستعار يتفق مع زي الأسرة التاسعة عشرة، ولباس الأسرة الثانية عشرة البسيط الذي كانت ترتديه هذه الملكة قد أعيد تفصيله إلى جلباب «مكشكش» على غرار طراز الأسرة التاسعة عشرة، وهذه التغيرات قد حتمت أن تكون الذراعان نحيلتين، وكذلك الفخذان. وقد حاول المثال أن يسبغ على اليدين نحافة أنيقة في منظرهما، وذلك بتضييق الإبهامين، غير أن محاولته أخطأت التوفيق، وهذا التمثال عثر عليه في «تانيس»، وهو الآن «بالمتحف المصري».[١٤١]
- (٢) ولهذه الملكة تمثال «بمتحف الفاتيكان»، وقد رُسم عليه صورة ابنتها «حنت مي رع».[١٤٢]
- (٣) ولها تمثال آخر عثر عليه في مدينة «هابو» نقش عليه ألقابها، واسمها، فكانت تلقَّب عليه بأم الملك، وقد أضيف إلى ذلك أنها … ﻟ «حور» حملت ابنها للإله «رع»،[١٤٣] ويظهر أن هذا اللقب جعل «رعمسيس الثاني» يدَّعي أنه من أصل إلهي.
- (٤) ولها تمثال نُحت على يسار تمثال «رعمسيس الثاني» الضخم القائم أمام معبد «أبو سمبل» العظيم.[١٤٤]

- (٥) وجد اسمها في نقوش «معبد الرمسيوم».[١٤٥]
- (٦) وتظهر مع ابنها «رعمسيس الثاني» في مجموعة «مريمار».[١٤٦]
- (٧) وُجد طغراؤها في نقش في «تانيس» مع اسم «رعمسيس الثاني».[١٤٧]

ونُقش اسمها على لوحة ألوان كاتب محفوظة «بالمتحف البريطاني»، ومن صورتها نفهم أنها كانت رشيقة القوام، قوية الإرادة، ولكنها لم تكن على شيء من وداعة الخلق وسهولته (راجع L. D., III, p. 297).

(٦-٢) أولاد «سيتي الأول»

رعمسسو

لقد ذكرنا فيما سبق أن «رعمسسو» أكبر أولاد «سيتي الأول» يحيط باسمه وبوجوده على ما يظهر شيء من الغموض والإبهام، وقد كان يحمل الألقاب التالية: ابن الملك، والأمير الوراثي، وعمدة المدينة، والوزير، والأمير الوراثي لكل الأرض قاطبة، والمشرف على جياد رب الأرضين، ورئيس القضاة، وكاهن «ماعت»، والأمير الوراثي ابن رب الأرضين (راجع A. S. XLIII, p. 133).

وفي لوحة في «متحف بروكسل» نشاهد «سيتي الأول» واقفًا أمام ثالوث «العرابة»، وبصحبته أسن أولاد الملك من صلبه «رعمسيس»، وقد ظهر «رعمسيس» هذا ممثلًا في صورة شاب صغير السن جدًّا يحمل الرمز الذي يدل على لقب حامل المروحة على يمين الملك، غير أن هذا اللقب لم يُذكر في النقوش، فهل هو نفس الشخص المسمى «رعمسسو» الذي ذُكر في نقوش تابوت مدينة «هابو»، وعلى تابوت بلدة «غراب»؟ والمرجح أنه يمثل «رعمسيس الثاني» قبل اشتراكه مع والده في الملك؛ لأن «رعمسسو» الذي ذُكر على التابوتين كان وزيرًا في عهد والده؛ مما يدل على أنه كان قد بلغ مبلغ الرجال في تلك الفترة، ولم يكن طفلًا حدث السن، يضاف إلى ذلك أن الصورة التي على اللوحة السالفة الذكر تشبه كثيرًا صورة «رعمسيس الثاني» في معبد «سيتي الأول» في «العرابة».[١٤٨]

وكان له ابن آخر يُدعى «آمون نفر نبف» ابن الملك الأكبر من جلالته، وقد عثر على اسم هذا الأمير في لوحة في جزيرة «سهل» «بأسوان».[١٤٩]

ابنته

وكان لـ «سيتي» ابنة تُدعى «حنت مي رع» ظهرت على تمثال والدتها «تويا» كما ذكرنا من قبل، وكذلك في مجموعة «رعمسيس الثاني» التي عثر عليها في «أبو كبير»،[١٥٠] وقد تزوجت من «رعمسيس الثاني» شقيقها، وكانت تحمل الألقاب التالية: … بنت الملك، وزوج الملك، وبنت الملك من صلبه، وزوج الملك العظيمة. وقد ذكر موضوع إعادة دفنها في ورقة «صولت» (راجع Salt, Pap. 124 Verso i-11)، وقد عثر على تابوتها المصنوع من الجرانيت الوردي في مدينة «هابو»، وهو الآن «بالمتحف المصري».[١٥١]

(٧) الموظفون والحياة الاجتماعية في عهد «سيتي الأول»

تدل الوثائق التي في متناولنا حتى الآن على أن الوظائف الكبرى سواء أكانت إدارية أم سياسية أم دينية في عهد الأسرة التاسعة عشرة كانت في أغلب الأحيان في يد أسر خاصة وفروعها، وبخاصة منذ أن استقرت الأحوال في البلاد في عهد «سيتي الأول»، حتى إنه لما جاء عهد «رعمسيس الثاني» برز نفوذ إحدى هذه الأسر بدرجة عظيمة جدًّا تسترعي النظر، فجمعت معظم وظائف الدولة العالية في أيدي أفرادها؛ ويرجع السبب في ذلك إلى تسلط رجال الدين في هذا العهد، وما كان لهم من سلطان ونفوذ، وبخاصة في «العرابة المدفونة» التي كانت تُعد كعبة المصريين، ومحط أنظار الملوك، وموضع رعايتهم، فقد كان الإله «أوزير» هو الإله الذي وجه إليه «سيتي» معظم عنايته؛ وبذلك كان كهنته وكهنة الآلهة الآخرين في «العرابة» هم أصحاب النفوذ والسيطرة على مشاعر الفرعون وعواطفه؛ ولذلك نجد أن طائفة الكهنة هناك قد عملوا على جعل كل الوظائف الدينية منحصرة في دائرة أسرتهم، ثم أخذوا بعد ذلك يعملون بما لهم من نفوذ حتى جعلوا الفرعون ينصب أفراد أسرتهم في كل مناصب الدولة الكبيرة، فكان منهم رئيس الوزارة، ورئيس كهنة معبد آمون، وقواد الجيش، ورؤساء المالية، ورئيس الشرطة، ونائب الملك في بلاد «كوش» وغير ذلك من الوظائف العالية، ولم يقف الأمر عند تولي رجال هذه الأسرة الوظائف الدينية والإدارية الكبرى، بل وجدنا نساءهم يشغلن أهم الوظائف الكبرى الدينية، فكان ينتخب من بينهن رئيسات الحريم للمعابد، وكبيرات المغنيات للإله «آمون»، و«أوزير»، و«أنحور»، وغيرهم. وسنرى أن دائرة الوظائف في عهد «رعمسيس الثاني» كانت محصورة معظمها — كما قلنا — في أسرة واحدة، وهي أسرة الكاهن «ونّنفر» بوجه عام؛ وذلك بفضل ما كان لكهنتها من نفوذ ديني، ولا نزاع في أن ذلك النفوذ هو الذي أخذ يتزايد ويعظم خطره شيئًا فشيئًا من الوجهتين المادية والدينية، حتى انتهى الأمر في عهد الأسرة الحادية والعشرين، إلى أن قفز الكاهن الأكبر لـ «آمون» إلى عرش ملك البلاد، وأسس أسرة من الكهنة.

وسنحاول هنا أن نتحدث أولًا عن كبار رجال الدولة في عهد «سيتي الأول»، وما خلفوه لنا من آثار تميط اللثام عن حياة البلاد في هذه الفترة، وكذلك سنتكلم عن صلة هؤلاء

الموظفين بعضهم ببعض كلما وجدنا لذلك سبيلًا، بادئين بالكلام عن الكهنة الأول لـ «أوزير» الذين سيكون لأسرهم شأن عظيم في تسيير أمور الدولة في عهد «رعمسيس الثاني».

(٧-١) وننفر وأسرته

«مري» الكاهن الأول للإله «أوزير»

وجدت لهذا الكاهن مجموعة تمثله هو وابنه «وننفر» الذي خلفه في وظيفته هذه في «العرابة المدفونة»، وهي الآن في «متحف القاهرة». والمجموعة مصنوعة من الجرانيت الرمادي، وقد مثل «مري» جالسًا بجانب ابنه «وننفر»، وقد عاش «مري» في عهد «سيتي الأول»؛ إذ نجد طغراء هذا الفرعون على كتفه الأيسر، وقد كتب على الشريط الذي وُضع في وسط جلد الفهد الذي يرتديه هذا الكاهن: «الإله الطيب رب الأرضين «من ماعت رع» محبوب «أوزير».» وكتب على الجزء الأمامي من قميصه: «الكاهن الأول للإله «أوزير» المسمى «مري» المرحوم، وابنه الذي يحيي ذِكر والده الكاهن الأول للإله «أوزير»، و«وننفر» الذي وضعته «معياني».» وقد صوِّرت زوجة «مري» هذه على جانب كرسي من هذه المجموعة، وكتب عنها: «ربة بيته «ميعاني»، ووالدها هو الكاهن الأول للإله «أوزير» المسمى «تا» المرحوم الذي وضعته «بويا» المرحومة.»

أما تمثال «وننفر» فقد نُقش على كتفه الأيمن اسم «رعمسيس الثاني» ولقبه؛ مما يدل على أن والده كان كاهنًا — أولًا — لـ «أوزير» في عهد «سيتي» كما ذكرنا، وقد خلفه في هذه الوظيفة في عهد «رعمسيس الثاني» ابنه «وننفر»، هذا وقد كتب على «مريلة» تمثاله: «الكاهن الأول للإله «أوزير»، و«وننفر» المرحوم ابن الكاهن الأول لـ «أوزير»، والمشرف على كهنة «العرابة» «مري» المرحوم، الذي وضعته «معياني» المرحومة».

ويقف أمام الكرسي شخص صغير رافعًا يده اليمنى نحو «وننفر»، وقد كتب عليه: «أخوه الكاهن المطهر الذي يعلم ما يحدث في بيت الحياة للأرضين «مري».»

وعلى الجهة اليمنى من الكرسي رُسمت امرأة جالسة على كرسي تشم زهرة البشنين، وقد كتب عنها المتن التالي: «أخته ربة البيت، ورئيسة حريم «أوزير» المسماة «تي»، ووالدها المشرف على مخازن الغلال «قني» الذي وضعته «ويا» المرحومة.»

أما ظهر الكرسي فقد كتب عليه متن مؤلف من سبعة أسطر جاء فيها: «حامل الخاتم الإلهي، والذي في المقدمة، والكاهن الثاني لـ «حور» الحامي لوالده، والكاهن الأول لأوزير المسمى «وننفر» المرحوم كاتم الأسرار، وكاهن «ماعت»، والذي يصب لها الماء في «العرابة»، الكاهن الأول للإله «أوزير» المسمى «وننفر» المرحوم، كاهن الساحرة العظيمة، وكاهن «وازيت»، والكاهن الأول لـ «أوزير» المسمى «وننفر».

والد الكاهن الأول لـ «أوزير» «مري» المرحوم الذي ابنه الكاهن الأول لـ «أوزير» المسمى «حات» الذي ولدته «أوي» المرحومة، ووالدتها «معياني» المرحومة، ووالدها الكاهن الأول لأوزير «تا» المرحوم، وقد وضعته «بويا»، وربة بيته تُدعى «تي» رئيسة حريم الإله «أوزير» الذي يدعى والدها «قني»، المشرف على خزائن الغلال، والذي تُدعى أمه «ويا».» وسنتحدث عن سلسلة هذا النسب عند الكلام على الموظفين في عهد «رعمسيس الثاني» (راجع: Rec. Trav. XXXI, p. 206 ff.).

(٧-٢) الوزراء في عهد سيتي الأول

الوزير «نب آمون»

لم نعثر حتى الآن على قبر هذا الوزير، وكل ما نعرفه عنه هو ما جاء على تمثال له محفوظ الآن «بمتحف القاهرة»، وهو مصنوع من الحجر الجيري الأبيض، وقد عثر عليه «مريت باشا» في «العرابة المدفونة» (راجع Borchardt Statuen und Statuetten pp. 76–78 & Mariette Abydos II, 56 d-f)، وكذلك ما جاء عنه على تمثال أخيه «ونفر» الذي كان يشغل وظيفة الكاهن الأول للإله «أوزير»، هذا بالإضافة إلى ما كُتب عنه في ورقة حسابات من عهد «سيتي الأول» (راجع Spiegelberg; Rechnunurg aus der zeit Sethos I b/a (= Pap. Rollin (1882,) 2/4. 2)، وألقابه ونعوته التي نستخلصها من هذه الآثار هي: الأمير الوراثي، والحاكم، وحامل المروحة على يمين الفرعون، وعمدة المدينة، ورئيس القضاة، ومدير كل أعمال بيت الأبدية (الجبانة)، ومدير كل الأعمال الممتازة في الأرض المقدسة (الجبانة)، ومن في قلب حور — أي الملك — في بيته — يقصد الذي يطلعه على كل أسرار بيته، والمشرف على قصر الملك، ومن ينعطف له القلب كثيرًا، ومن يجعل كل رجل يعرف خطواته، صادق القلب، ونائب «نخن»، وكاهن العدالة، وحاجب جلالته، والعظيم الوحيد في الأماكن العشرة (؟)، ومن يقوم بالمعجزة لحمايته؛ أي الملك، ومن تظهر مهارته في إدارة مكانه (؟)، ورئيس القصر، ومن يدير قوانين سيده، والقاضي في محكمة المحكِّمين الثلاثين، ومن يميل إليه الشعب بسبب جوابه، ورسول الفرعون في الريح الرخاء (؟)، ومن تهتم كل الأراضي لسماع كلامه.

ومن هذه الوظائف والنعوت نستطيع أن نفهم مقدار مكانة الوزير في هذا العصر، وبخاصة في حرصه على إقامة العدالة، وإرضاء الفرعون.

الوزير «حات تي»

(؟) عثر لصاحب هذا الاسم على لوحة ضمن اللوحات التي كشفنا عنها بجوار معبد «بولهول»، وهو يحمل لقب رئيس الوزراء، ويشاهد على هذه اللوحة الفرعون «سيتي

الأول» يقدم قربانًا من النبيذ، أو الماء لتمثال «بولهول» الذي يُرى جاثمًا أمامه، وقد نُعت التمثال على اللوحة باسم «حول»، ويحتمل أن هذا الوزير قد أقام هذه اللوحة تذكارًا لمصاحبته للفرعون «سيتي الأول» عندما جاء لأداء فريضة الحج لتمثال «بولهول»، كما كانت العادة المتبعة منذ عهد الأسرة الثامنة عشرة على ما نعلم، ويشاهد هذا الوزير في الجزء الأسفل من اللوحة راكعًا يتعبد برأس عارٍ، ويَديْن مرفوعتين، ويقرأ الأنشودة التالية: «تقديم الحمد للإله» «حول»، وتقبيل الأرض لـ «حور ام أخت» ليهب الحياة والسعادة والصحة لروح رئيس (؟) الوزراء لرب الأرضين المسمى «حات تي»، ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن «حات تي» هذا قد عد «حول»، و«حور ام أخت» بمثابة إله واحد، وهذان هما الاسمان اللذان كانا متداولين لتمثال «بولهول» في هذه الفترة من التاريخ على ما نعلم.

الوزير «باسر»

كان «باسر» الوزير الأول في عهدي «سيتي الأول»، وابنه «رعمسيس الثاني»، وسنفصل القول عن حياته، وأعماله في عهد «رعمسيس الثاني».

«نبنترو» الكاهن الأكبر للإله «آمون» «بالكرنك»[١٥٢]

لم تصارحنا الآثار التي كُشفت حتى يومنا هذا عن الشخص الذي كان يشغل وظيفة الكاهن الأول للإله «آمون» في «الكرنك»، ولكن من المحتمل جدًّا أن «نبنترو» كان يشغل هذا المنصب في عهد الفرعون «حور محب»، أو في عهد «رعمسيس الأول»، وكذلك في عهد خلفه وابنه «سيتي الأول»، والواقع أن هؤلاء الملوك الثلاثة قد أظهروا برَّهم وغيرتهم على عبادة الإله «آمون»؛ وذلك بما أقاموا له من مبانٍ ضخمة في «الكرنك»، وبخاصة قاعة العمد التي تعد فريدة في ضخامتها بين كل مباني العالم الدينية، والظاهر أن نفوذ هذا الكاهن كان عظيمًا؛ لأن ابنه «باسر» كان هو الجالس على كرسي الوزارة في عهد «سيتي الأول»، وقد انتقلت إليه أوقاف الإله آمون في «أرمنت» على ما يظن، غير أنه لم يتقلد قط وظيفة رئيس كهنة «آمون» في «الكرنك» كما يظن البعض، وسنتحدث عن ذلك فيما بعد. وقد كانت أسرة «نبنترو» على ما يظهر مسيطرة على الوظائف الدينية، فكانت زوجه «مريت رع» تحمل لقب رئيسة حريم «آمون» بالكرنك كما كانت ابنته «تي» تلقب رئيسة حريم «آمون»، وكان «نبنترو» يتقلد الوظائف والألقاب التالية: الكاهن الأول للإله آمون، وكاهن «آمون» في «أرمنت»، والكاهن «سم» في معبد «بتاح» بـ «طيبة»، ورئيس كهنة الوجهين القبلي والبحري، أو وزير الأوقاف، ورئيس الأسرار في المعابد، والوجيه، والأمير الوراثي، والحاكم، وحامل خاتم ملك الوجه البحري، والسمير الوحيد. والألقاب الخمسة الأخيرة كلها ألقاب فخرية. ومما سبق نفهم أن الكاهن الأكبر للإله «آمون» لم تكن وظائفه دينية وحسب، بل كان كذلك يقوم بمهام دنيوية محضة كما كانت العادة في عهد الأسرة الثامنة عشرة (راجع مصر القديمة ج٤).

«أمنمأبت» المسمى «إبي»

المدير العظيم لبيت «آمون» في المدينة الجنوبية «طيبة»، وقبر هذا الموظف الكبير يقع في جبانة «شيخ عبد القرنة» (رقم ٤١)، وتدل نقوشه على أنه عاصر كلا من «رعمسيس الأول»، و«سيتي الأول» (؟)، وعلى أن صاحبه قد عُني بنقشه وزخرفته عناية بالغة لما فيه — على الرغم مما أصابه من تهشيم — من صور وزخرف رائع، وقاعته الرئيسية ترتكز على عمد في صورة الإله «أوزير» المزمل، وقد نُقش عليها اسمه واسم زوجه «نزم»، ويرى على جدران هذه القاعة منظر الحفل بفتح الفم، ومعه نائحات يندبن المتوفى (راجع Wresz. I, 166)، كما نشاهد المتوفى في محراب (Ibid. 163)، ويلفت النظر مشهد محاسبة المتوفى في عالم الآخرة، إذ نشاهد على غير المعتاد في مثل هذا المنظر أن الإله «تحوت» قد جلس في محرابه، وفتح نافذته، ويشير إلى الميزان الذي كان يوزن فيه المتوفى نفسه — لا قلبه — في كفة، وفي الأخرى إلهة العدالة، يحلي رأسها الريشة الدالة على العدالة نفسها باللغة المصرية (راجع Champ. Notices I, P. 527, 849).

ومن المناظر الطريفة كذلك الخاصة بالشعائر الدينية؛ صورة طريفة للقبر الخاص في هذا العصر، ويحتوي على هرم صغير، وبوابة ضخمة، وطريق ذي عمد على هيئة نبات البشنين المزهر، ومن الجائز أن هذه الصورة هي المقصورة التي بداخل القبر، ونشاهد على يسار هذه الصورة لوحة رسم عليها علامة الغرب بذراعين ممتدتين لاستقبال المومية، وبجانبها الكهنة الذين يؤدون شعائر الاحتفال بفتح الفم على المومية نفسها التي كان أقارب المتوفى يقبلون قدميها، ويصحبهم بعض رجال قد ظهر على محياهم الحزن الصامت، في حين كانت النسوة يصحن ويلطمن، وفي أسفل هذا المنظر نشاهد تمثال المتوفى في محراب، وأمامه كاهن يحرق البخور، ويصب الماء، وآخر كان يرتل من إضمامة بردي في يده، وقد أبدع المثَّال هنا في تصوير جماعات المشتركين في تشييع المتوفى إلى مقرِّه الأخير. حقًّا قد رُسمت صورهم دون تفاصيل دقيقة التمثيل، بل كانت خشنة وقبيحة، إلا أنها قد مثلت في أوضاع مختلفة، فنرى الحزن قد استولى على بعضهم؛ فغلبهم البكاء، وقاموا بحركات عصبية عنيفة، ملقين بأنفسهم فوق الأديم، وناثرين التراب على رءوسهم، وشادِّين شعورهم، على حين نرى آخرين قد غمرهم الحزن؛ فكمم أفواههم، وحبس دموعهم، ووضعوا رءوسهم بين أيديهم ووجوههم واجمة، ونفوسهم مفعمة بالحزن العميق (راجع Wresz I, pl. 167).

أمنمأبت

حامل المروحة على يمين الفرعون، ونائب بلاد «كوش» (راجع مصر القديمة ج٥)، وقبر هذا العظيم لم يُعثر عليه حتى الآن، غير أنه عُثر له على لوحات منحوتة في الصخور القريبة من مقر حكمه، ففي الصخور المجاورة لـ «أسوان» نقش مثِّل فيه حاملًا على ظهره المروحة رمز وظيفته، وهو راكع أمام «سيتي الأول» الذي كان يضرب أسيرًا بسيفه (راجع L. D.,

(III, 141 n & De Morgan. Cat. Mon. I, 28 (5). وله نقش آخر في الصخور التي على الطريق القديمة بالقرب من «أسوان»، وقد ظهر فيه «سيتي» واقفًا خلف عربته، وبيده أسير سوري راكعًا، وكان «أمنمأبت» راكعًا كذلك أمامه، وقد نقش أمامه سائق عربة الفرعون، وابن الملك حاكم «كوش» (De Morgan. Cat. Ibid I, 20). وتوجد في «دوشه» لوحة مثل عليها «سيتي» يحرق البخور، ويقدم القربان والماء لثالوث منطقة الشلال، وهم الإله «خنوم»، والإلهتان «عنقت» و«ساتت»، وفي أسفل اللوحة صورة صغيرة لابن الملك «أمنمأبت»، وبيده مروحة، وهو راكع يتعبد، وقد لُقب هنا ابن الملك، أما النقش الكبير فقد هُشم (راجع L. D., III, pl. 141 k).

وقد نُحت في قصر «إبريم» لوحة نقش عليها اثنا عشر سطرًا، ثلاثة منها خاصة بـ «سيتي الأول»، وثلاثة أخرى خاصة بـ «أمنمأبت»، والمنظر في هذه اللوحة مهشم، ومع ذلك نستطيع أن نشاهد فيه «سيتي» يقتل أسيرًا، وخلفه عربة وخيل، وفي أسفل اللوحة يرى «أمنمأبت» قابضًا بيده على المروحة رمز وظيفته (راجع Rec. Trav. XVI, p. 169–172).

«أمنمس» الكاهن الأول للفرعون أمنحتب الأول صاحب «الردهة الأمامية»[١٥٣]

حفر هذا الكاهن قبره في «جبانة ذراع أبو النجا» (رقم ١٩) (راجع G. W. Cat. No 19; & Porter & Moss I, p. 61). ويحتوي هذا القبر على مناظر هامة تكشف لنا عن بعض نواحي الحياة الاجتماعية والدينية، وأهمها ما يأتي:

- (١) منظر سفينة «آمون رع» المقدسة التي كانت تنقل تمثال «آمون» من المعبد إلى الشاطئ الأيمن في احتفال «عيد الوادي»، وقد تحدثنا عنه (راجع مصر القديمة ج٣).

- (٢) منظر للألعاب الرياضية، وبخاصة اللعب بالعصا — الذي لا يزال موجودًا حتى الآن في ريف مصر وصعيدها، والمصارعة أمام محراب الفرعون المؤله «أمنحتب الأول». ولما كان موضوع الألعاب الرياضية من الموضوعات الهامة على ما يظهر في عهد الدولة الحديثة، فقد آثرنا أن نشير إليه هنا؛ وبخاصة لأنها ألعاب شعبية لا تزال باقية حتى الآن في جميع أنحاء القطر، فنشاهد اللعب بالعصا في الأفراح التي تقوم في حفلات الزواج، ويتقدم للعب بها مهرة من القرى المجاورة للقرية التي أقيم فيها الفرح. أما المصارعة فعلى الرغم من أنها معروفة بين الألعاب الرياضية عند كل الأمم، كان لها طابع خاص

بقيت آثاره في مصر حتى اليوم بين أفراد الشعب لا سيما في الأرياف، ويعبر عنه «بالملابطة»، وفيها يظهر كلا المتلابطين قوته الجسمية على قرينه، وهو ما نشاهده في الصور المصرية القديمة.

وقد بحث هذا الموضوع الأستاذ «جون ولسن» فجمع كل ما عثر عليه من مناظر خاصة بهذا الموضوع في الدولة الحديثة، وشرحها شرحًا لا بأس به (J E A., XVII, p. 211 ff.)، وأهم هذه المناظر ما يأتي:

- (١) منظر على جدران معبد مدينة «هابو» (راجع wresz Atias II, 158 15, 8 a & Meyer Darstellung Der Fermd. 335 ff.).
- (٢) منظر باسم «رعمسيس الثاني» بمدينة «هابو» نقل من مكانه الأصلي «بالرمسيوم».
- (٣) منظر قبر «أمنمسو» الذي نحن بصدده الآن.
- (٤) منظر في مقبرة «مري رع الثاني» من عهد «إخناتون» (راجع مصر القديمة ج٥).
- (٥) منظر على قطعة استراكا محفوظة الآن «بالمتحف المصري» تحت رقم ٢٥١٣٢ من معبد «رعمسيس السادس» (راجع Daressy Ostraca. pl. xxv, p. 26).

ففي مناظر «تل العمارنة» يظهر الفرعون أمام الشعب على عرشه ليتقبل جزية الجنوب؛ فيعبر أفراد الشعب عن فرحهم بهذ الحادث بالمصارعة، والملاكمة، واللعب بالعصيِّ، أما في المنظر الذي على الاستراكا المحفوظة «بالمتحف المصري» فنشاهد عليها مصريين يبدءان بشوط مصارعة — كما يدل المتن المفسر — أمام الفرعون أيضًا.

وفي مقبرة «أمنمسو» رقم ١٩ نشاهد الصراع يعقد أمام محراب الملك المؤله «تحتمس الثالث» الذي كان يعد من أكبر الملوك الرياضيين في عهد الأسرة الثامنة عشرة كما ذكرنا (راجع مصر القديمة ج٤)، فنشاهد في المنظر رجلين يتنازلان بعصاوين (راجع J. E. A. Vol. XVI, pl. XXXVII, 8)، وفي أسفل هذا المنظر نجد اثنين يتصارعان (Ibid 9)، ويحاور واحد منهما قرنه قائلًا: «وا أسفاه عليك يأيها الجندي التعس الذي يتشدق بفمه.» والقرن هنا مصري ويُدعى «التعس». إني سأجعلك تقول: «من الجنون أن يقبض الإنسان على يد جندي من جنود جلالته.» وفي الأسفل منهما على اليمين نشاهد اثنين قد فرغا من شوط مصارعة (Ibid. pl. XXXVII, fig. 10)، ويلاحظ أن الظافر يواجه المحراب في

هيئة المنتصر، وهو يقول: «إن «آمون» هو الإله الذي يقرِّر الحماية من كل أرض للحاكم أنتم يا جنود «وسر ماعت رع» حاكم الأرضين يأيها القائد.» وإنه لمن المهم أن ننوِّه هنا بأن هذه الألعاب كانت تقام تكريمًا لملك متوفى في أعيادهم، كما نشاهد الآن في مصر الحديثة.

وفي أسفل منظر المصارعة في هذا القبر نشاهد قاربًا فيه محراب صغير يحتوي على تمثال الملكة «أحمس نفرتاري» المؤلهة، وأمام المحراب كاهن يحرق البخور للتمثال، ونلحظ أن القارب يجر قاربًا آخر أصغر منه، وهو على وشك الرسو في الميناء بجوار المعبد؛ حيث يوجد منحدر يكنفه سُلمان يؤديان إلى حافة الماء، ويظهر أنه كان هناك كهنة قد أتوا لاستقبال التمثال وحاشيته (راجع Wresz I, pl. 118)، وفي منظر آخر نشاهد تمثال الفرعون المؤله «أمنحتب الأول» محمولًا على أعناق كهنة من المعبد، ويلحظ أنه قد جلس على عرش مزخرف، ويصحبه كهنة يحملون في أيديهم المراوح والمظلات، وهذا مظهر من المظاهر الكثيرة التي نشاهد فيها «أمنحتب» وأمه «أحمس نفرتاري» مؤلهين (راجع مصر القديمة الجزء ٤).

«باشدو» رسام آمون

قبر هذا الرسام في جبانة «دير المدينة» (رقم ٣٢٣) (راجع Bruyere Fouilles des Dier el Medineh (1923-4) p. 80). ويمتاز هذا القبر بأن صاحبه قد ذكر لنا أنساب أسرته حتى الجيل الثالث، وزوجه تُسمى «موت نفرت»، وأمه تسمى «موت مويا» وولده يدعى «إرو نفر» وجده «مان نختوف» كان رسامًا لـ «آمون» أيضًا، وجدته الأولى تدعى «تنت أمنت»، وتلقب ربة البيت. وجده الثاني يسمى «باشدو»، ويحمل نفس اللقب الذي كان يحمله والده، وهو رسام «آمون» في بيت الإله «سكر» إله الآخرة. أما جدته الثانية فكانت تسمى «نفرتاري»، وتلقب ربة البيت ومغنية «آمون». وجده الثالث يحمل لقب رسام «آمون» في معبد «سكر» أيضًا، وجدته الثالثة تُدعى «موت نفرت»، وتلقب ربة البيت، أو سيدة البيت كما هو الشائع عندنا الآن «ست بيت». ومما سبق نرى أن وظيفة رسام «آمون» كانت وراثية في هذا البيت، يتعلمها الابن عن والده، ووجد على جدران هذا القبر لوحة مثل فيها «سيتي الأول» يقدم زهرة البشنين للإله «أوزير»، وهو لابس شعرًا مستعارًا بسيطًا يحليه الصل على جبينه، ويرتدي جلبابًا طويلًا ومجعدًا، ويلبس في قدميه حذاء، وخلف الفرعون يشاهَد الرسام «باشدو» واقفًا بصورة تقرب من صورة الفرعون في الارتفاع، ورأسه حليق، ويلبس قميصًا طويلًا، ولكنه عاري القدمين، ويلفت النظر في هذه الصورة أن «باشدو» قد مثل بصورة تماثل صورة الفرعون في الحجم؛ إذ يلحظ أن قمة رأسه تصل إلى صل الفرعون الذي على جبينه، وقد انحنى «باشدو» بعض الشيء؛ ولذلك فإنه إذا وقف منتصبًا تمامًا في الصورة كان حجمه مثل حجم الفرعون في الطول، وهذا منظر غير مألوف في الرسوم التي يظهر فيها الفرعون؛ إذ قد جرت العادة في كل المناظر أن الملك يُرسم بصورة ضخمة بالنسبة لمن حوله الذين يظهرون كالأقزام.

وفي أسفل اللوحة يشاهَد «باشدو» راكعًا أمام الإله «أنوبيس» موجهًا أنشودة للإله «خنتا منتي».[١٥٤] هذا، ويشاهَد في حجرة الدفن عدد عظيم من الأشخاص يتعبدون لآلهة مختلفة.

«وسرحات» كاتب حرس «منماعت رع» الذي يحمي «آمون» وجنوده

نحت هذا الكاتب بالاشتراك مع بعض الموظفين لوحة أقيمت في «العرابة المدفونة» تبركًا، وحبًّا في الإله «أوزير» سيد هذه البلدة، وبخاصة في هذا العهد الذي أُحييت فيه عبادة «أوزير» على يد الفرعون «سيتي الأول»، أما الموظفون الذين اشتركوا في إقامة هذه اللوحة فهم:

- (١) «واز رمبت» رئيسة حريم ومغنيات «آمون»، وابنها الذي أقام اللوحة هو الكاتب «وسرحات».
- (٢) حامل العلم المُسمى «حوي».[١٥٥]
- (٣) «خعي»، وكان يحمل لقب ضابط.
- (٤) «باكا» ويحمل لقب مقدم الأعمال في مكان الصدق (جبانة دير المدينة)، ويوجد لهذا الموظف لوحة في «متحف تورين»،[١٥٦] وقد ذكر معه ابنه، وبعض أشخاص لا نعرف نسبتهم وهم:
  - (أ) ابنه «حورمويا»: الخادم في «مكان الصدق على الجبل الغربي».
  - (ب) «باشدو»: رئيس الصناع في «مكان الصدق».
  - (جـ) «أمنمس»: الخادم في «مكان الصدق».[١٥٧]

ومن ذلك نفهم أنه يجوز اشتراك عدة أشخاص في إقامة لوحة في هذا المكان المقدس، وإن لم تربطهم ببعضهم صلة نسب.

معي

كاتب القربان المقدس لثالوث العرابة؛ أي «أوزير»، و«حور»، و«إزيس»، وكل الآلهة الذين في معبد «من ماعت رع» (معبد «سيتي الأول» بالعرابة).

وجد لهذا الكاتب لوحة عثر عليها في «االعرابة المدفونة»، وهي الآن «بمتحف بروكسل» ببلجيكا، وقد كشف عنها «جارستانج» في «العرابة المدفونة» بين عامي ١٩٠٦، ١٩٠٩م، وتُعد من أهم اللوحات الجنازية من حيث مادتها، كما أنها في الوقت نفسه نُحتت نحتًا جميلًا. والواقع أن هذه اللوحة تحتوي على أنشودة للإله «أوزير» بوصفه إله الآخرة؛ فتُعدد لنا ما كان له من نفوذ وسلطان في نفوس الشعب، وهي في الأصل رواية لأنشودة قديمة كُتبت في عهد الدولة الوسطى عندما كان نفوذ هذا الإله قد بلغ شأوًا بعيدًا في التسلط على أذهان الشعب، وبخاصة بعد أن تحرر من القيود والامتيازات التي كانت خاصة بالملوك بعد الثورة الاجتماعية التي أشعل نارها أهل الطبقة الدنيا المظلومة المكبوتة من أصحاب الإقطاع، وقد كان من جرائها أن نال عامة الشعب بعض حقوقهم الدنيوية، ولكنهم قد تساووا مع الملوك في حقوقهم في عالم الآخرة، فأصبح في مقدور كل من الملك، والفلاح البسيط، والعامل الصغير أن يكون «أوزير» في عالم الآخرة إذا كان تقيًّا ورعًا مؤديًا ما عليه من حقوق لله والناس، والأنشودة التي نحن بصددها تعد تجديدًا لهذا العهد الغابر بعد أن كان قد طغى على ديانة أهله «إخناتون». وقد جُمعت إحدى عشرة رواية لهذه الأنشودة الهامة في كتاب «الأناشيد الدينية لعهد الدولة الوسطى».[١٥٨] وقبل أن نورد هنا ترجمة هذه الأنشودة نصف اللوحة، وما عليها من نقوش ومناظر أخرى: يشاهَد على الجزء الأعلى المستدير من هذه اللوحة قرص الشمس المجنح محلى بصلِّين، أحدهما يلبس تاج الوجه القبلي، والآخر يلبس تاج الوجه البحري. وعلى يمين هذا الجزء من اللوحة نشاهد الفرعون «سيتي مرنبتاح» لابسًا قبعة يزينها الصل الملكي، ويرتدي ثوبًا طويلًا مزركشًا، وهو يقدم للإله «أوزير» الجالس أمامه على عرشه علامات الحياة والثبات والعافية، وخلف «سيتي» نرى صبيًّا صغيرًا يتبعه، تتدلى من رأسه خصلة شعر غزيرة، ويرتدي قميصًا بسيطًا، ويحلِّي رقبته قلادة، وقد نُقش فوقه المتن التالي: «ابن الملك الأكبر من صلبه «رعمسيس».» وخلف «أوزير» نشاهد الإلهة «إزيس» واقفة، وتلقب «إزيس العظيمة، والأم المقدسة»، وخلفها الإله «حور» ابنها، وبيده علامة الحياة، ويلقب «حور المنتقم لوالده».

وقد عُرف صاحب هذه اللوحة في خمسة أسطر عمودية كتبت فوق صورته، وهي:

> المنفرد في كماله، والمستقيم، والصادق، والذي يرضي سيده، ومنفذ تعاليم جلالته، كاتب القربان المقدس لـ «أوزير»، و«وحور»، و«إزيس»، وكل آلهة معبد «سيتي»، «معي» صادق القول الذي يثوى في سلام في «مكان الصدق» (الجبانة)، ابن رئيس الرماة «بس»، صادق القول في أمان في الغرب، وهو الذي وضعته ربة البيت «ورنور» صادقة القول في سلام.

وفي أسفل هذا المتن يرى «معي» واقفًا رافعًا يده يشير إلى الأنشودة التي نُقشت أمامه في أربعة عشر سطرًا عموديًّا كأنه يقرؤها. ويرى أمامه مباشرة مائدة قربان صُف عليها ألوان من الطعام، ويلاحظ أن «معي» كان يرتدي شعرًا مستعارًا طويلًا كما كان يلبس ثوبًا طويلًا مجعدًا.

وهاك نص الأنشودة:

> الدعاء لك يا «أوزير» من كاتب القربات المقدسة لكل الآلهة في بيت «من ماعت رع» على لسان «معي» صادق القول يقول: السلام عليك يا «أوزير وننفر»، يابن «نوت» (ربة السماء)، ويا سيد القرابين، ويا رفيع التاج، ويا سيد القوة، وعظيم الاحترام، ويا من أعطى التاج المزدوج، والفرح على رأس «هرا كليوبوليس» (أهناسيا المدينة التي كان يُعظَّم فيها «أوزير»)، ومن الإله «رع» قد أذاع الخوف منه، ومن أوجد «آتوم» الرعب منه في قلوب الناس، والآلهة والمنعمين والموتى، ومن أعطى روحه في «منديس»، ومن يخاف في «هرا كليوبوليس»، ومن قواه قد اتخذت مكانتها في «هليوبوليس»، ومن صوره عظيمة في «بوصير»، وسيد الخوف في المكانين المقدسين (أي المعبدين)، ومن الفزع منه عظيم في «روستاو» (عالم الآخرة)، وسيد القوة في «تنين» (قبر أوزير)، ومن حبه عظيم على الأرض، وصاحب الذكرى الحسنة في القصر، والعظيم الظهور في العرابة (خلال أعياده)، ومن أعطى صدق القول؛ أي برئ أمام الإله «جب»؛ إله الأرض وتاسوع الآلهة مجتمعين، ومن لأجله ذُبحت الذبائح في القاعة العظمى الشاسعة التي في «حرور»؛ أي بلدة «قصر هور» في الشمال الشرقي من «الأشمونين»، ومن يخافه الأقوياء والعظماء؛ لأنه قد وُهب الخوف، ومن يقف العظماء له على حصرهم، ومن نشر الإله «شو» — أي إله الفضاء — الذعر منه، ومن الإلهة «تفنوت» قد أوجدت سلطانه، وإنه ملك الآلهة وصاحب القوة المطلقة في السماء، وحاكم الأحياء — يقصد الأموات — وملك من هم هنالك؛ أي الأموات، ومن تقوم له الملايين بالأحفال في «بابليون» (مصر عتيقة إشارة إلى أن «أوزير» هنا يمثل النيل)، ومن تبتهل له الإنسانية بصياح الفرح في «هليوبوليس»، وصاحب القطع المنتخبة من اللحم في البيوت العالية؛ أي المكان الذي تُذبح فيه الذبائح، ومن جُزرت له الذبائح في «منف»، ومن احتفل له بعيد اليوم السادس من الشهر، وعيد اليوم السابع في «هليوبوليس» عندما ينادَى في محط «بنو» (قصر في عين شمس)، ومن عملت له الوجبات الليلية في «ليتوبوليس» (أوسيم الحالية)، ومن أعطي السيف والنصر في «هليوبوليس»، وعندما تراه الآلهة يقدمون له الخضوع، وعندما يراه المنعمون (الأموات) يهللون له. هذا هو «أوزير» بن «نوت» عظيم الرهبة، وعظيم السطوة، ومن يأتي إليه الرجال والآلهة والمنعمون والأموات خاشعين.

وكذلك تهرول نحوه الجماهير في «جحستي» (المكان الذي قُتل فيه أوزير)، مهللين ومعهم من في العالم السفلي. وإني ابنك «حور» وقد أتيت وضربت لك أعداءك، وضحيت بهم لك مثل حيوانات الأضاحي، وأهلكتهم مثل الثيران، وقد سقطوا على وجوههم من أجلك، وإني أرضيك لأنك محبَّب، فلتكن راضيًا عني رضاء طيبًا في هذا اليوم (يوم الحساب)، وتقصي عني شري، وتسمع عندما أدعوك، وتخرج لتبعد عني الشر بسبب ما قلته من خير في هذا اليوم.

وهذه الأنشودة على الرغم مما فيها من إشارات بعيدة لشعائر دينية خاصة، وأساطير عتيقة، وصفات خاصة بالإله «أوزير» المهيمن على عالم الآخرة، والحاكم الأول على الأرض؛ تضع أمامنا صورة صادقة عن هذا الإله، ومقدار نفوذه على عقول عامة الشعب، وبخاصة إذا علمنا أن كل إنسان كان يرجو بعد الحياة الدنيا أن يصير «أوزير» في عالم الآخرة؛ ولذلك نجد كل فرد كان يعمل لآخرته، ويعد لها العدة بشتى الطرق، وبالتقرب إليه بخاصة، وإقامة أثر بجوار ضريحه المقدس الذي كان في «العرابة المدفونة». ولذلك نرى «معي» — كاتب هذه الأنشودة — يرجو من هذا الإله بعد أن عدَّد كل مناقبه، وكل ما عمل له من خير أن يبعد عنه الشر، ويجعله من المقبولين في «هذا اليوم»؛ أي يوم تُجزى كل نفس بما عملت، ومن ثم نرى أن الفرد أخذ يناجي ربه.

والأمر الهام الثاني الذي نلحظه في صور هذه اللوحة هو صورة الأمير الصغير «رعمسيس» بِكر أولاد «سيتي الأول»، غير أننا لا نعلم إذا كان «مِعِي» قد كتب هذه اللوحة في أول عهد «سيتي الأول» عندما كان ابنه «رعمسيس» الذي توفي فيما بعد، وهو الذي كشف قبره في «سد منت»، وتابوته في مدينة «هابو» هو «رعمسيس» هذا أم هو «رعمسيس» الذي أصبح فيما بعد «رعمسيس الثاني»، والأرجح أن الذي صُور على هذه اللوحة هو «رعمسيس الثاني» فيما بعد؛ إذ قد محا «سيتي الأول» اسم «رعمسيس» المتوفى من نقوش معبد الكرنك على حسب قول «كيث سيلي»، ووضع مكانه صورة «رعمسيس» الذي أصبح وارثه في الملك، هذا فضلًا عن أننا لا نجد آثار محوٍ هنا.

حوي

الكاتب الذي يدير آثار رب الأرضين، ورئيس الأعمال. عثر لهذا الموظف على لوحة في محاجر «الدبابية» في جبلين.[١٥٩] واللوحة تشير إلى أن «سيتي الأول» قد استخرج أحجارًا من هذا المكان لإقامة معبده الجنازي «بالقرنة» في «طيبة الغربية»، وهو المُسمى ببيت «من ماعت رع لملايين السنين في غربي طيبة». ومما يؤسف له أن المتن الذي نقله «دارسي» من هذه اللوحة مهشم جدًّا، ولكن مع ذلك يفهم منه أن الفرعون قد أرسل بعثًا إلى هذه المحاجر بما يلزم من المال، والعتاد لقطع الأحجار من هناك.

حوي شرا

حاسب الفضة والذهب لرب الأرضين في مصر السفلى ومصر العليا، وقد وُجدت له لوحة محفوظة الآن بمتحف «استوكهلم».[١٦٠]

حور مين

كاتب الملك الحقيقي ومحبوبه.[١٦١] عثر على قبر هذا الكاتب في «سقارة» بالقرب من هرم الفرعون «وناس» أحد ملوك الأسرة الخامسة. ومن ألقابه: حامل الخاتم، والمشرف على حريم الفرعون في بيت … في «منف»، وما تبقى من نقوش قبره هي صيغ قربان عادية للآلهة «أوزير»، و«حور»، و«إزيس»، و«نفتيس». وزوجته تُدعى أخته، محبوبته، ربة البيت، مغنية إزيس: «مِعِي»، هذا بالإضافة إلى أننا نشاهد فيه صورة رجل يضرب حمارًا (راجع Porter and Moss III, p. 177).

وتوجد له لوحة عثر عليها «مريت» في «السربيوم» تُدعى أحيانًا باسم لوحة الأطواق، أو القلائد؛ وذلك لأن الفرعون «سيتي الأول» يظهر فيها واقفًا في شرفة قصره، مانحًا «حور مين» الذي كان يحمل لقب المشرف على حريم الفرعون القلائد الذهبية، وفي الصورة خادمان قد شُغلا بتحلية جِيد «حور مين» هذا بالقلادات الذهبية، في حين أن المنعم عليه كان يرفع ذراعيه فرحًا واعترافًا بالجميل. والواقع أن منح القلائد كان إنعامًا ملكيًّا كما هي الحال الآن، كما تكلمنا عن ذلك من قبل.

والمتن في هذه اللوحة يشمل خطاب الفرعون، وجواب المنعم عليه، وصلاة مؤلفة من أربعة أسطر موجهة للإله «بتاح» رب منف (راجع Boreux Guide Tom. I, p. 80).

حعبي

رئيس أتباع جلالته ومحبوبه. وجد لهذا العظيم لوحة في جبل «السلسلة»، وقد مثل فيها متعبدًا لطغراء الفرعون «سيتي الأول»، وكان يحمل غير اللقب السالف؛ لقب المشرف على جنود قلعة سيد الأرضين.[١٦٢]

سايمبترف

رئيس[١٦٣] صُياغ ملك الأرضين، أو رئيس صياغ بلاط «سيتي الأول»، تدل الشواهد على أن قبر هذا الصائغ كان في «سقارة»، وتوجد منه الآن خمس قطع في «متحف لاهاي»، وقطعة واحدة في «متحف القاهرة»، ويقول التاجر الذي اشتريت منه القطعة الأخيرة إنه ابتاعها من «سقارة»، وهذه القطع عليها منظر غريب في بابه؛ إذ نشاهد عليها صورة من صور الآلهة التي تخرج من شجرة الجميز.

والمدهش أن الإنسان عندما يفحص الآلهة لأول وهلة يخيل إليه أن لها أربع أذرع بدلًا من اثنتين، ويلحظ أن اثنتين تحمل كل منهما إناء ماء، أما الذراعان الأخريان فتحملان مائدة قربان عليها خبز، وطاقة أزهار، وخيارة. ولكن نشاهد أن ورق شجرة الجميز تعلوه نخلة، وأمام الآلهة نرى المتوفى راكعًا ورافعًا يده ليتقبل الماء الذي تصبه له الآلهة، وتحت المتوفى زوجه المسماة «ناشايت» راكعة، وتحت الشجرة طائران برأس آدميين، وهما يمثلان روحا الرجل وزوجه، وأمام هذين الروحين وضعت مائدة قربان تشبه التي أمام الرجل وزوجه. والحوض المستطيل الذي نبتت فيه الجميزة هو حوض مقدس.

وعلى حسب الاعتقاد المصري كان المتوفى في أثناء سياحته في عالم الآخرة تستقبله إلهة «طيبة» فتطعمه وتسقيه، وكان اسمها بوجه عام الإلهة «نوت»، أو «حتحور»، أو «إزيس»، ولكن في غالب الأحيان كانت تسمى «سيدة الجميزة» فحسب. والواقع أن شجرة الجميزة كانت تلعب دورًا هامًّا في المتون المصرية، غير أن رسم هذه الآلهة الخارجة من شجرة الجميزة لم يظهر إلا منذ الأسرة الثامنة عشرة.

والآن يتساءل الإنسان عن السبب في أن لهذه الإلهة أربع أذرع، ولماذا نجد نخلة تعلوها؟ والجواب على ذلك: أنه لا بد أن تفصل هذه الصورة على الوجه الآتي: نرى في الصورة أولًا المنظر المعروف الذي يمثل الآلهة في شجرة الجميز، وأن جذع الجميزة هذه كان يغطي جذع النخلة، ولا نرى من الأخيرة إلا جزءها الأعلى الذي يفوق الجميزة في ارتفاعها، وكذلك نشاهد أن إلهة الجميزة كانت تغطي إلهة النخلة التي لا نرى منها إلا ذراعيها، وهذا هو السبب الذي من أجله نرى في الرسم إلهة بأربع أذرع. والمنظر كما يقول الدكتور «كيمر» منقطع القرين في كل المناظر المصرية التي عرفها حتى الآن من هذا النوع: ولكن يجب أن تكون هناك مناظر أخرى مماثلة. على أنه من جهة أخرى توجد بعض مناظر من الدولة الحديثة نشاهد فيها إلهة الجميزة وإلهة النخلة مجتمعتين معًا في صورة واحدة.

أما المتن الذي على هذا الحجر فهو: كلام الجميزة البارة بسيدها: «إني أقدم لك الخبز والماء العذب إلى «أوزير» — أي لك — يا رئيس صياغ ملك الأرضين «سايمبترف».»

والواقع أن كلا شجرة الجميزة والنخلة لم تزالا موضع تقديس عند العامة حتى الآن، وأنه محرَّم عند العامة قطع شجرة الجميز، وبخاصة ما كان منها في الجبانة؛ لأن العامة يعتقدون أنها تروي الموتى، وتظلهم بظلالها.

وكذلك تعد النخلة شجرة مقدسة لا يستحسن قطعها أبدًا، حتى إن بعض القرى، وبعض المدن قد غير نظام تخطيط بعض البيوت فيها لوجود شجرة نخيل في مكان البناء، هذا بالإضافة إلى أن سعف النخل لا يزال يوضع على قبور الموتى عند زيارتهم، وبخاصة في الأعياد، وهذه العادة منتشرة كثيرًا في ريف مصر وصعيدها، ولا أظن ذلك إلا من بقايا الاعتقاد القديم.

«ستي»[١٦٤] حامل المروحة على يمين الفرعون

يقع قبر هذا الموظف الكبير في جبانة قرية «الخوالد» الحالية عند سفح الجبل الشرقي المواجه لبلدة «أبو تيج»، وقد عثر عليه أحد الأهالي عندما كان يحفر قبرًا لأسرته. وقد نحت «ستي» قبره في مكان أحجاره هشة، ويظهر أنه أقام سقفه من الحجر الجيري الأبيض، ويصل الإنسان إلى الضريح بوساطة بئر يبلغ عمقها نحو ثلاثة أمتار وسبعين سنتيمترًا، وفي الجدار الشرقي باب يوصل إلى قاعة تستند على ستة عمد من الحجر الجيري، وقد نُقشت جدرانها بصيغ دينية للإله «أوزير»، وألقاب المتوفى. فعلى الجدار الأيسر لهذه القاعة نقرأ الألقاب التالية: «حامل المروحة على يمين الملك، والكاتب الملكي، وقائد الجيش الأعظم لجلالته … رب الأرضين، والمشرف على بيت المال لمعبد «ستي» المقدس في بيت «آمون ستي».» وعلى جانبي الباب مثل المتوفى يقدم قربانًا للإله «أوزير»، وعلى العتب صورة سفينة «رع» المقدسة التي كان يقوم فيها المتوفى بسياحته من الشرق إلى الغرب، ومن الغرب إلى الشرق مع الإله «رع»، وفوق صورة «أوزير» نقرأ: ««أوزير» رب الغرب، الإله العظيم، حاكم الأبدية.» وفوق صورة المتوفى نُقشت صيغة قربان لـ «أوزير»، وكذلك ألقاب «ستي»، وقد جاء فيها غير ما ذكرنا أنه: «المشرف على بيت مال الفرعون في كلا الأرضين»، وكذلك نقش على العتب صيغ قربان للآلهة «أوزير» و«بتاح» و«أنوبيس» ثم الإله «آمون رع» رب تيجان الأرضين، ورئيس الكرنك، ورب السماء، وحاكم الأبدية، وكذلك للإله «حور اختي». وقد وجد في هذه القاعة بعض التماثيل الصغيرة المصنوعة من الجرانيت تمثل المتوفى، وعلى يمين هذه القاعة حجرة خالية من النقوش، وتؤدي قاعة العمد من الشرق إلى حجرة مقسمة ثلاثة أقسام، ففي الجزء الأوسط الذي تبلغ مساحته ٤٫٦٥ + ٢٫٣٥ مترًا نجد عند المدخل بئرًا مكسوة بالحجر الجيري الأبيض، وقد دفن فيها «ستي»، ووضعت جثته في تابوت من الجرانيت له غطاء من نفس المادة، غير أن التابوت وُجد مهشمًا، وقد نُقش كل منهما بالمتون والصور التي تشمل ألقاب المتوفى، والصيغ الدينية، وبخاصة أسماء الآلهة الذين يحرسون المتوفى أمثال «حابي»، و«دواموتف»، و«أنوبيس»، و«أوزير». أما الجزء الثاني: فهو حجرة وجد فيها بعض عظام، وفي الجهة الشرقية نجد سلمًا يؤدي للتابوت. أما الجزء الثالث: فيقع على اليسار، ويحتوي على ممر يؤدي إلى حجرة أخرى توصل إلى حجرة تحتوي على بقايا مومية، وعلى قطع من أواني الأحشاء المصنوعة من المرمر.

وقد تكلمنا عن هذه المقبرة ببعض التفصيل؛ لأنها كانت لرجل من كبار رجال الدولة في عهد الأسرة التاسعة عشرة، وهذا العظيم لم يدفن بجوار مليكه في «طيبة»، بل فضَّل — على ما يظهر — أن يدفن في مسقط رأسه؛ وبذلك قدم لنا نموذجًا للمقبرة التي كانت تقام في الأقاليم في هذا العصر، وهي قليلة لدينا، ويلاحظ أن «ستي» كان يتعبد جريًا على التقاليد المتبعة للآلهة العظام في الدولة وقتئذ، وهم: «آمون رع»، و«بتاح»، و«حور اختي»، و«أوزير»، وكان آمون يلقب «آمون رع» رب تيجان الأرضين، ورب السماء، وحاكم الأبدية؛ مما يدل على مكانته في العاصمة والأقاليم.

ومحتويات هذا القبر التي بقيت لنا حتى الآن تدل دلالة واضحة على أن صاحبه كان من عظماء القوم، كما تدل على ذلك ألقابه، فقد صنع تابوته من الجرانيت، وكذلك تماثيله المجيبة من نفس المادة، كما نُحتت أواني أحشائه من المرمر، ولا بد أن التابوت كان يحوي بعض المجوهرات، وبخاصة أن صاحبه كان يحمل لقب المشرف على بيت مال رب الأرضين.

ومما يلحظ هنا أن هذا الموظف الكبير قد تسمى باسم مليكه، غير أنه لم يستعمل في كتابة اسمه صورة الحيوان الدال على الإله «ست»؛ مما يبرهن على أن هذا الإله، على الرغم من انتشار عبادته في هذا الوقت، كانت صورة الحيوان الدال عليه مكروهة، وقد تحاشى كتابتها الملك «سيتي» في اسمه في كثير من الأحيان، كما شرحنا ذلك من قبل، ومع ذلك نجد أن «ستي» صاحب المقبرة، قد نقش اسم سيده «سيتي الأول» بصورة الحيوان «ست»، ولعله فعل ذلك في داخل قبره؛ لأنه بعيد عن أعين النظارة بخلاف المعابد التي كانت تحت نظر القوم في كل وقت.

رِر

المشرف على جياد رب الأرضين، والمدير العظيم لبيت الملك: توجد بمتحف «اللوفر» لوحة جميلة الصنع لهذا الموظف الكبير، وزوجه ربة البيت مغنية «آمون»، و«سخمت»، وقد نقشت هذه اللوحة نقشًا بديعًا من طراز نقش «سيتي الأول» الدقيق، وكان «رِر» هذا يحمل ألقابًا أخرى، وهي: «كاتب الفرعون، والمدير العظيم، والكاهن «سم» في معبد «من ماعت رع» راحة القلب، والذي يملأ قلب سيد رب الأرضين.»

ونشاهد صاحب اللوحة وزوجه في الجزء الأعلى يتعبدان أمام «أوزير» الذي كان يتبعه «إزيس»، و«حور»، والإله «وبوات». وفي الجزء الأوسط من اللوحة نرى صاحب اللوحة يتقبل القربان والبخور من كاهن يصحبه خمس من بنات المتوفى. وفي الجزء الأسفل من اللوحة نجد خمسة آخرين من أفراد الأسرة يقدمون الأزهار لوالد المتوفى المسمى «باكا»، ولزوجه مغنية «آمون»، وتُدعى «حنت إبون».

وهذه اللوحة تقدم لنا صورة صادقة عن ارتباط أفراد الأسرة بعضهم ببعض حتى في عالم الآخرة؛ إذ نجد الرجل وزوجه يتعبدان لثالوث العرابة، وهم: «أوزير»، و«إزيس»، و«حور»، ثم إلى الإله الحارس «وبوات» الذي يحرس الموتى من عبث الحيوان المفترس، ثم نرى بعد ذلك الكاهن — ولا بد أن يكون ابن المتوفى — يقدم له القربان هو وأخواته. وأخيرًا، نجد في الصف الأخير خمسة أفراد من الأسرة يقدمون لجدهم وجدتهم الأزهار ترحمًا عليهما، وعلى الرغم من أننا لا نعرف مصدر هذه اللوحة، فإننا نكاد نقطع بأنها كانت منصوبة في «العرابة المدفونة»، وبخاصة أنها كانت لكاهن معبد «سيتي» في «العرابة المدفونة».[١٦٥]

نياني

في متحف «اللوفر» لوحة باسم رجل يُدعى «نياني»، والظاهر أنه كان مدير الحريم في معبد «سيتي»، وتدل النقوش التي عليها على أنه قد أقامها تذكارًا لذكرى والده المسمى «خعمواست»، وكان يحمل لقب مدير بيت «العيد» (؟)، ووالدته تسمى «كام»، وزوجه تدعى «حنت نفر»، وله أخ يحمل لقب صف ضابط، ويدعى «نب ور».[١٦٦]

نب زفا

رئيس فرقة عمال؛ عثر على قبر هذا الموظف في جبانة «دير المدينة»،[١٦٧] وقد وجد فيه بعض آثار مهشمة منها قطعة من لوحة نُقش عليها صورة «أمنحتب الأول»، والملكة «أحمس نفرتاري» باللون الأسود، وكذلك بعض قطع من موائد قربان، وأشياء أخرى باسم «نب زفا»، وقد نُقش عليها صيغ دينية، وتقديم القربان لآلهة مختلفة، منها الإله «سكر»، والإله «حور اختي»، والإله «آتوم»، و«أمنحتب الأول»، و«نفرتاري» المؤلهان، وقد لقب «نب زفا» على بعض هذه الآثار خادم مكان الصدق. وقد عثر على قطع آثار كثيرة باسمه في المنطقة المجاورة لقبره.

ولهذا الموظف كذلك لوحتان في «المتحف البريطاني» وحوض، وله لوحة في «متحف فلورنس» بإيطاليا مهداة للإله «بتاح»، وزوجه «سخمت»، وكذلك باب محراب من الحجر الجيري الأبيض مهدى للإلهة «نوت»، وهو محفوظ الآن «بالمتحف المصري» (رقم ٦٣٦٤٤). وعلى كل هذه الآثار نجد أن «نب زفا» يعدد لنا أفراد أسرته، ومن مجموعها نعلم أنه عاش في أوائل الأسرة التاسعة عشرة، وأنه أضاف إلى لقب زملائه الذين كانوا يعملون في هذه الجبانة — وهو لقب خادم مكان الصدق — لقبًا آخر يظهر أن أسرته كانت أول من حمله، وأنه خلعه على ابنيه «حور نفر»، و«تحوت حر مكتف»، وهذا اللقب يظهر أنه يعني رئيس فرقة أو إدارة عمل. وكان حامله تحت إدارة رئيس العمال في الجبانة مباشرة، والظاهر أنه كان لقبًا مدنيًّا خاصًّا بالمعامل والمصانع في الجبانة الملكية، وليس له دخل بالأمور الدينية، والظاهر أن هذه الوظيفة قد أوجدها «سيتي الأول» لضرورة وقتية خاصة بالأعمال العظيمة التي قام بها في أوائل حكمه، وعين فيها كلًّا من «نب زفا»، وموظف آخر يُدعى «عم كت» وحسب.

وقد خلعها كل منهما بدوره على ابنه، غير أنه — على ما يظهر — قد بدا لأولي الأمر أن هذه الوظيفة كانت منبع شقاق ومخاصمات بين كبار رجال جبانة «دير المدينة» فألغيت. وهذا هو التفسير الوحيد لعدم وجود هذا اللقب قبل هذا العهد وبعده.

تحوت حر مكتف

وهو ابن «نب زفا» السالف الذكر، وقد عثر على قبره في «دير المدينة» أيضًا (رقم ٣٥٧)، ويحمل لقب خادم مكان الصدق، ولقب رئيس فرقة، وهو الذي ورثه عن والده، وقد وجدت

في قبره أدوات وتماثيل مجيبة، وكذلك عثر له على آثار عدة موجودة الآن في مختلف متاحف أوروبا،[١٦٨] ومن كل آثاره أمكن وضع سلسلة نسب هذه الأسرة، وهو:

«نب زفا»: تزوج من «حتحور حنرا»، وأنجب منها «تحوت حر مكتف» الذي تزوج من «تاورت» (ورنرا)، وأنجب منها «نخت تحوتي».

كما أنجب «نب زفا» ولدًا آخر هو «حور نفر» الذي تزوج من «حمت نتر»، ولكل هؤلاء آثار عثر عليها في جبانة «دير المدينة».[١٦٩]

مقبرة الكاهن «وسرحات»

من أهم المقابر التي تسترعي النظر بصفة خاصة في عهد الأسرة التاسعة عشرة؛ مقبرة الكاهن الأول لروح الفرعون «تحتمس الأول»، وهو الذي وكل إليه أمر القيام بأداء الشعائر الدينية في معبد هذا الملك الجنازي الذي أقامه لنفسه في الجهة الغربية من «طيبة»، والظاهر من نقوش قبر هذا الكاهن أن وظيفته هذه كانت وراثية في أسرته التي يدِّعي أنها كانت عريقة في المجد، وأنه كان منها الوزراء، ورؤساء كهنة «آمون»، وما إلى ذلك مما كان يفخر به المصري عادة على جدران مقبرته التي كانت تُعد في نظره بمثابة سجل لأعماله، وتاريخ عصره، غير أننا نجد في هذه النقوش المبالغة الصارخة، والافتراء على التاريخ؛ ولذلك يشعر الأثري الحديث الذي خبر مقابر هذا العصر ودرس نقوشها، أن صاحب هذه المقبرة إما أنه كان يكتب لشعب لا يعرف التاريخ؛ فيزور فيه ويخترع كيف يشاء، وإما أننا لم نصل إلى حقيقة الأمر في فهم كنه ادعاءات «وسرحات» كما سنبين بعد. وتمتاز نقوش هذا الكاهن بميزات نذكرها فيما يأتي:

- (١) تقدم لنا مناظر هذه المقبرة صورة واضحة عن حالة فن التصوير، وما طرأ عليه من تغير وبخاصة التلوين، وإدخال التظليل في التصوير المصري مما لم يسبق له مثيل من قبل.
- (٢) وكذلك نفهم من النقوش مقدار ما كانت عليه البلاد من رخاء، ونستنتج ذلك من الهدايا التي كانت تُقدم للمتوفى من مليكه، وما فيها من صناعات وفنون دقيقة تستحق الإعجاب. وكذلك تضع أمامنا صورة ناطقة عن زي هذا العصر، والتأنق في الملبس، وحب الأزهار، ومباهج الطبيعة.
- (٣) نشاهد فيها التغييرات التي حدثت في هذا القبر ونقوشه من محو وإثبات؛ مما يدل على محاولة اغتصابه من صاحبه، والدور الذي كان يلعبه كل من الكاهن والمرأة، وكذلك

المنافسات التي كانت تقوم بين نساء الرجل الواحد.

(٤) تقدم لنا مناظر هذا القبر صورة واضحة عن الشعائر الدينية التي كانت تؤدَّى للمتوفى عند دفنه، وصورة عن محاسبته في عالم الآخرة، وما طرأ على ذلك من تغير، وبخاصة الميزان، والدور الذي كان يلعبه في حساب المتوفى، وقد ظهرت أمامنا ظاهرة غريبة في هذا الصدد، وذلك أن المتوفى وقت حسابه في عالم الآخرة كان يوضع قلبه في كفة، والعدالة توضع في كفة أخرى، أما الآن فقد وجدنا مقبرة «وسرحات» أن جسم الرجل نفسه كان يوضع في كفة، وقلبه في كفة أخرى، وفي مقبرة أخرى وجدنا أن جسم المتوفى نفسه كان يوضع في كفة، والعدالة في كفة أخرى. ومن ذلك يمكن أن نستخلص أن الإنسان في هذا العهد قد بدأ يشعر بمحاسبة ضميره له؛ ولذلك كان يوضع ضميره الذي عبر عنه بالقلب في كفة، وجسمه في كفة أخرى، وهذا بالطبع أعلى ما وصل إليه الخلق الإنساني من الرقي، ولا غرابة في ذلك؛ فقد كان لتأثير ديانة «إخناتون» التي كانت تدعو للوحدانية، والعدالة المطلقة أثر قوي حتى بعد التغلب على مبادئها، والعودة إلى الديانة القديمة، يضاف إلى ذلك أننا نجد أن محاسبة الإنسان لنفسه ولضميره ومناجاته لربه والتنسك، كل ذلك قد ظهر بصفة بارزة في هذا العهد، وبخاصة بين أفراد الشعب، كما سنبين ذلك بعد. وسنحاول هنا أن نصف مناظر هذا القبر الذي يعد من أجمل المقابر الباقية لنا من هذا العهد على حسب الرسوم التي نقلها المستر «ديفز»[١٧٠] الأثري، والمفتن العظيم.

نحت الكاهن «وسرحات» قبره في الجزء الأسفل من واجهة علوة «شيخ عبد القرنة» بالقلعة التي تسمى «الكوم الأحمر»، وقد عاصر الكاهن «وسرحات» كلًّا من الفرعونين «رعمسيس الأول»، و«سيتي الأول»، كما يستدل على ذلك من نقوش هذا القبر.

ويحتوي القبر على ردهة صغيرة تمدُّنا بتاريخ الفن في النصف الأول من الأسرة التاسعة عشرة، ويصل إليها الإنسان من الشرق، وقد نحت في ركنها الشمالي الغربي لوحة جنازية، وتوصل هذه الردهة إلى قاعة مستطيلة بوساطة مرقاة مرتفعة بعض الشيء، وهذه القاعة تمتد على يمين الداخل ويساره، وقد نقشت جدرانها بالرسوم، والأشكال الزاهية الألوان، ومنها يصل الإنسان إلى حجرة أخرى بابها في المحور، غير أنها عارية من النقوش، ويرتكز سقفها على أربعة عمد مقطوعة في أصل الصخر، والظاهر أن إطار مدخل هذه الحجرة كان مغطى بملاط من الجبس، كما أن عمدها وسقفها قد غُطيت بطبقة من الطين، وفي نهايتها

باب يؤدي إلى حجرة صغيرة بمثابة استراحة، وهذه الحجرة توصل إلى الحجرة التي دفن فيها الكاهن «وسرحات»، وبابها صغير جدًّا.

هذا، وفي قاعة العمد مكانان أُعدَّا للدفن، ويلحظ كذلك أن سقف القاعة الأولى مقبب، وقد نُقش عليه اسم صاحب المقبرة.

والمناظر التي على جدران هذه القاعة تنحصر فيما يأتي:

- (١) مناظر خاصة بخدمة الكاهن «وسرحات» للآلهة، والملك «تحتمس الأول»، ومكافأته على هذه الخدمات.
- (٢) مناظر تصف لنا محاكمة المتوفى، وبراءته في عالم الآخرة، وكذلك ما ناله من مكافآت في الحياة الدنيا على يد الفرعون، وما كسبه في الحياة الآخرة أيضًا.
- (٣) منظر مثل فيه تمتع «وسرحات» بحديقته الجنازية.

وصف المقبرة

- **المناظر التي على الجدار الشمالي الخاصة بعبادة «أوزير»:** يشاهد على هذا الجدار محراب للإله «أوزير» وضع تحت جوسق، وهو محلى بالأزهار والأكاليل، ويلفت النظر أن حب المفتن للزخرفة قد حوَّل قاعدة المحراب الذي يجلس فيه الإله «أوزير» إلى بحيرة نبتت فيها سيقان السقي المزهرة، وقد وقف على أربعة من أزهارها أولاد الإله «حور» الأربعة الذين كانوا يحمون أواني الأحشاء كما هو معلوم في الشعائر الدينية، وقد التفت حولها أعشاب نضرة. أما الآلهة الذين كانوا بصحبة «أوزير» في هذا المنظر فهم: الإلهة «حتحور سميت»، والإلهة «ماعت»، والإله «أنوبيس» (راجع p1. V)، ويلحظ هنا أن الإله «أوزير» قد لون جسمه كله باللون الأخضر علامة على أنه إله الخضرة النضرة، وإله النيل الذي يبعث الخضرة،[١٧١] وقد جلس على عرش مزخرف بالألوان الزاهية، وقد حَلي جيده ويداه بالقلائد الفخمة، والأساور الثمينة، وقد وضعت أمام المحراب كومة من الطعام على أربع قواعد فيها من اللحوم قلوب حيوانات، وضلوعها، ورءوسها، وشحم، وأفخاذ لحم، هذا بالإضافة إلى خيار قد شُق ليرى ما في داخله، وقد حليت كل هذه الأطعمة

بالأكاليل، وكذلك نُشرت عليها الأعشاب النضرة، وطاقات الأزهار. ويسترعي النظر ما نشاهده من قطع فحم أسود قد وضعت بين القرابين؛ ليستمر حرق الزيت العطر (راجع p1. VI a).

ويقف أمام الإله «أوزير» صاحب المقبرة «وسرحات»، ويقوم بدور الكاهن فيصب البخور على كومة الطعام السالفة الذكر، وقد مثل هنا «وسرحات» برأس عارٍ، ويحلي جيده قلائد من أقراص الذهب، وغيره من الأحجار الثمينة، ويرتدي قميصًا قصيرًا، ويتدلى من خلفه شريط، ويرتدي فوق القميص جلبابًا فضفاضًا، وفوق كل هذا يرتدي فراء فهد، وهو رمز لوظيفة الكاهن، وهذا الفراء قد نُمق بتفاصيل مدهشة لا تتفق مع ما يشاهد في الطبيعة، وهو يختلف عما كان يُلبس من قبل في عهد الأسرة الثامنة عشرة، إذا كان الفراء يُنقش بنقوش طبعية، وقد سُجل على كتف فراء «وسرحات» طغراءان خاليتان من النقوش، ويجب أن تكونا للفرعون «رعمسيس الأول»، وهو الملك الذي عاش في عهده «وسرحات»، وكذلك وُجد على «مريلته» نقوش خاصة بهذا الفرعون، وهي: «الإله الطيب رب الأرضين وسيد الشعائر، عظيم القوة، ومن عدالته جميلة أمام «آمون» ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين «من بحتي رع» ابن «رع»، رب التيجان «رعمسيس الأول» معطي الحياة مثل «رع».» ويظهر أمامنا جليًا الغرض المادي الأصلي الذي من أجله كُتب هذا النقش عندما نرى أن كاتبه قد نقش فوق صورة «وسرحات» الجملة التالية:

> لأجل روح «وسرحات» الكاهن الأول لروح الملك «عاخبر كارع».
>
> تحتمس الأول

وتقف خلف «وسرحات» زوجه «شبسوت» برشاقة، وقد زاد في جمال وقفتها ساق البردي المزهر الطويل المنحني بعض الشيء الذي تحمله في يدها، وهنا نلحظ أن المفتن

قد رسمه بالوضع الطبعي لا حسب التقاليد الدينية العتيقة التي نشاهده فيها يرسم بصورة جافة مستقيمة لا عوج فيها كأنه خُلق في صورة خط مستقيم.

ويسترعي النظر في ملابس هذه الزوجة أنها تلبس شعرًا ضخمًا غزيرًا، ولكنه كان مستعارًا؛ إذ قد ظهر من تحته بعض خصل من شعرها الحقيقي، وقد استعمل المثَّال هنا — في تمثيل بشرة الجلد — ألوانًا مختلفة، فرسم بشرة الرجل باللون الأسمر الزاهي وكذلك باللون الأحمر اللامع، أما بشرة المرأة فقد مثلت باللون البرتقالي أو اللون الأسمر الخفيف، وقد استعمل اللونان الكميت والأصفر لكل من الجنسين، وقد كان هذان اللونان لا يستعملهما المفتن من قبل بهذه الكيفية. وقد نُقش بجوار زوجة «وسرحات» المتن التالي: «زوجه (أخته) وربة البيت، ومغنية آمون «شبسوت»، (وهذا الاسم هو مصغر اسم «حتشبسوت»).» ويشاهد بجوار «شبسوت» ولد صغير في يده طاقة أزهار وأوزة، ويلقب ابن الكاهن الأول للملك «عا خبر كا رع» «تحتمس»، أما السيدة التي تأتي بعده في المنظر فتُدعى زوجه (أخته) ربة البيت، ومغنية «آمون» …» والظاهر أن اسمها قد مُحي هنا عمدًا.

والواقع أن تاريخ العلاقات بين أفراد هذه الأسرة يحيطه الغموض، كما سنرى بعد.

- **عبادة تحتمس الأول (المنظر السفلي):** يشاهد في هذا المنظر «تحتمس الأول» جالسًا في جوسق، وقد وقفت خلفه الملكة «أحمس نفرتاري»، ويسترعي النظر هنا أن تاج عمود الجوسق الذي جلس فيه هذا الفرعون قد جمع بين زهرتي السوسن والبردي، اللهم إلا إذا كان يمثل عمودين معًا.

- **«وسرحات» كاهن شعائر هذا الفرعون:** والظاهر أن ما تقدمه أسرة «وسرحات» من احترام لـ «تحتمس الأول» لا يرجع إلى ما لهذا الفرعون من شهرة تاريخية، بل إلى ما كان يجنيه أفراد هذه الأسرة من فوائد مادية من الأوقاف التي حبسها هذا الفرعون على معبده الجنازي، وبخاصة إذا علمنا أن وظيفة الكاهن الأول لروح هذا الفرعون كانت وراثية في أسرة «وسرحات» منذ وفاته.

والقربان الذي وضع أمام هذا الفرعون وأمه المؤلهين قد كُدس في إناء جميل من الذهب، هذا فضلًا عن أن «وسرحات» كان يقدم أوزة تُشوى على موقد، وقد مثل لابسًا شعرًا مستعارًا، ولحية قصيرة، وفراء نُقش على كتفه اسم «سيتي الأول»، كما نُقش كذلك على مريلته. وهاك النص: «الإله الطيب، رب الأرضين، وسيد الشعائر لعظماء الأبدية، ول «رع»، والآلهة الآخرين، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين «من ماعت رع»، ابن الملك من صلبه، ابن الشمس ومحبوب «سيتي»، معطي الحياة مثل «رع» أبديًّا.»

- **أقارب «وسرحات» من النساء:** وهنا تتبع «وسرحات» والدته الملقبة «والدته ربة البيت، ومغنية «آمون رع»، ملك الآلهة «حنت تاوي».[١٧٢] وتحمل هذه السيدة في إحدى يديها ثلاث بطات، وصاجات، وعقد منات من الطراز الجديد، يظهر فيه الرأس الملكي، وكذلك

يتدلى من ذراعها طاقة أزهار شكلت على هيئة رمز يدل على الحياة ، وعلى طاقة أزهار في آن واحد، ويأتي بعد ذلك صورة امرأة كتب عليها: «زوجه ربة البيت ومغنية …» ويلفت النظر هنا أنها لم تلون باللون الزاهر، وصاجاتها غير ظاهرة، وملابسها ليست منمقة مثل سالفتها.

وبعد ذلك نصل إلى أربعة مناظر صغيرة ذات طابع مختلف، في كل منها المتوفى وزوجه قد جلسا إلى مائدة قربان على اليمين، وعلى اليسار كاهن يطهر القربان بالبخور والماء، وكذلك نرى أربع نسوة كن يقمن بدور النائحات على المتوفى؛ مما لا يتفق مع العقيدة الصحيحة، وفي ثلاثة من هذه المناظر نعرف أن الرجل وزوجه هما «وسرحات»، و«شبسوت»، ولكن نجد أن القربان في الصف الأسفل مقدم لروح موظف آخر يُدعى «نب محيت»، وزوجه التي لم يذكر اسمها. هذا إلى أن الكاهن الذي يقوم بخدمتهما قد كتب فوقه: «طهور لأوزير «تا» المرحوم»؛ وذلك يدل على ظهور أشخاص آخرين في القبر؛ مما يبرهن على أن نقشه قد تم بعد موت «وسرحات» على يد أشخاص معادين له، وهذا ما يفسر لنا انحطاط التلوين في الجزء الغربي من المقبرة (راجع p1. XVII)، هذا بالإضافة إلى المحو والإثبات الذين نشاهدهما كثيرًا في أجزاء مختلفة من القبر؛ مما يدل على أن

النية كانت متجهة لحرمان «وسرحات» من قبره. ويظن الأثري «ديفز» أن الذين قاموا بهذه المؤامرة هم: أمه «توازرت»، وأولاد أخيها؛ وذلك لأنها قد تزوجت من «نب محيت» بعد موت والد «وسرحات».

ونشاهد في المنظر الأعلى من هذه المناظر الأربعة أن الشعيرة التي كانت تؤدى هي تقديم المياه والقربان، وتقديم حزمة بصل أخضر هُيئت على شكل إكليل، ويرى الدخان يتصاعد من القربان كأنما قد وضع عليه بخور.

- **تقديم البصل:** ويلاحظ في هذا العصر تقديم البصل قربانًا في حالات كثيرة؛ وذلك لما له من مفعول قوي في إنعاش جسم المتوفى، وإعادة حواسه.[١٧٣] أما المنظر الثاني فقد نُقش عليه صيغة القربان المعروفة التي كانت تُتلى عند تقديم كل أنواع الطعام للمتوفى.

- **المنظر الثالث:** والمنظر الثالث له أهمية كبرى؛ إذ يمثل لنا عملية الإضاءة للمتوفى، وهي تختلف هنا عن عملية الإضاءة المعتادة التي كانت تنحصر في وضع الشريط على الدهن الذي يشعل فيه النار، فإنها كانت توضع على الأرض، ولا تُحمل على اليد، وتتألف من ثلاثة أشرطة ملفوفة كالحبل، ومربوطة من الوسط. والظاهر أن كل خيط من هذه الخيوط الثلاثة قد أُشعل على حدة، وبين هذه المشاعل شموع من نوع مختلف جدًّا، وهي التي تصور كثيرًا في مقابر هذا العصر، ويخرج اللهيب من قمتها، وتشبه المشاعل ذات الخيوط الثلاثة التي ذكرناها الآن المشاعل التي تستعمل في الأرياف الآن في الأفراح.

- **الجدار الجنوبي للجهة الشرقية PL. XL:** وعلى الجدار المقابل نشاهد عبادة «أوزير»، وقضاة محكمته، وكذلك عبادة الإله «منتو»، وهو الذي كانت والدة «وسرحات» ضمن موظفي معبده، والصورة السفلى تؤلف جزءًا من مناظر المحافل المرسومة التي على الجدار الذي بحثنا مناظره الآن. والإله الذي يتقبل القربان الآن هو الإله «منتو»، ويمثل هنا برأس صقر وجسم إنسان، وهذا الإله القديم الذي أخرج من «طيبة» قد اتخذ مقره في بلدة «أرمنت»، وأخذ يناهض الإله «آمون» من مقره هذا، والإلهة التي تتبعه هي

الإلهة «مرت سجر» سيدة الغرب، و… بيت التحنيط، وهذه الإلهة بوصفها رفيقة آلهة الموتى — واسمها يعني محبوبة القاهر — كان عامة الشعب يقدرونها كثيرًا في «طيبة». وفي المنظر نشاهد «وسرحات» يطهر الطعام الذي أمام الإله «منتو» يصب زيت بخور أحمر بين القرابين، ويتبعه كاهنان يلبسان نفس الملابس التي كان يرتديها، ويحملان نفس الوظيفة التي كان يحملها، ثم يأتي بعد ذلك ثلاث سيدات يحتمل أنهن زوجاتهم، وأحد هؤلاء الكهنة يسمى «عاخبر كارع سنب»، وسنصادفه فيما بعد. والظاهر أنه كان ضمن الكهنة المرصودين لخدمة «تحتمس الأول». أما الكاهن الثاني فهو «نب محيت» الذي شاهدنا أنه قد حشر نفسه في المناظر السالفة الخاصة بـ «وسرحات» على غير استحياء، والكتابة التي عليه، وكذلك التي على «شبسوت» زوجة «وسرحات»: «ربة البيت ومحبوبة «حتحور» سيدة السماء وربة الأرض» أصلية. والسيدة التي تأتي بعد ذلك في الصورة قد كتب عليها: «زوجه وموضع حبه.» وعلى الرغم من أن المنظر هنا يدل على ذلك، فإن اسمها قد محي؛ والسيدة الأخيرة في المنظر قد محي اسمها ولقبها معًا (راجع Pl. XII)، ولا يسع الإنسان أمام كل هذه الألغاز، وهذا المحو والإثبات إلا الحيرة والدهشة من أمر هذه الأسرة.

- **الصف الأعلى «أوزير القاضي»:** نشاهد في هذا المنظر الإله «أوزير» جالسًا في جوسقه، ومعه قضاة محكمته، فمنهم «تحوت» سيد «الأشمونين»، والكاتب العادل لجماعة الآلهة، «وأنوبيس» الذي يشرف في المحراب المقدس على خدمة الإله الأكبر رب الأبدية، وبارئ السموات والأرض، ويتقمص «تحوت» صورة القمر في تمامه، وفي بدوره معًا، وهو الذي ينظم بعلمه حركاتها، ويدونها بالدواة التي يحملها، ثم يشاهد «وسرحات» جالسًا في النهاية الأخرى من المنظر كأنه لم يجسر أن يجلس بجوار الآلهة إلا بعد أن يطهر.

- **تطهير «وسرحات»:** بعد ذلك نشاهد «وسرحات» راكعًا على قاعدة ضامًّا إلى صدره جُعل القلب، وهو الذي كانت تُنقش عليه صيغة سحرية حتى لا يشهد على صاحبه يوم القيامة، بل يكون في جانبه، وحول «وسرحات» ثمانية من الكهنة في يد كل منهم إبريق لتطهيره. ويدل المتن التابع لهذا المشهد على أن أصدقاءه قد خانوه؛ ذلك لأن المتن الذي

كان يتلوه الكهنة في أثناء التطهير لم يكن لـ «أوزير وسرحات»، بل نجد اسمه قد مُحي ووُضع مكانه اسمان آخران وهما: ««عاخبر كارع سنب»، وابنه …» على طبقة من الملاط وُضعت فوق اسم «وسرحات». ومتن الطهور هو: «طهر طهر لأجل أوزير «وسرحات» المبرأ، والضامن لعزلة شريفة في سلام.»

- **صلوات «وسرحات» لقضاته:** وبعد أن أتم «وسرحات» طهوره جلس أمام «أوزير»، وأمامه مائدة قربان، وكان قرير العين مطمئنًا، والظاهر أن تقاه كان أحسن حالًا من كلامه؛ لأن لغة صلاته كانت ركيكة؛ إذ يقول ما قاله «أوزير» لأجل روح الكاهن الأول لروح الملك «تحتمس الأول» «وسرحات» والمنتصر، يقول: «الخضوع لك يا رب الأبدية وللأمراء أصحاب الأبدية السرمدية ليمنحوا حياة سعيدة في مصاحبة روحك بعد شيخوخة، ودفن حسن في غربي «طيبة» في مكان العدل (الجبانة) لروح الكاهن الأول «وسرحات».» وقد كان الأجدر به ألا ينطق بالجملة الافتتاحية إذ ليس لها معنى هنا.

وليس من الغريب أن يتلعثم في كلماته؛ فقد كان يجلس بين ثلاث مجاميع من الآلهة كل منها يتألف من ثمانية آلهة، وبإضافة اسم «أوزير» لمجموعتين منها يتألف تاسوعان، فالبيت الذي كان فيه التاسوع الأول في المنظر يحتوي على «أوزير» رئيس آلهة السماء الشرقية، ورب الأبدية وكل الآلهة الذين يأوون إلى الجبانة، وكل أرباب الأبدية في حضرة «وننفر»، وفي المجموعة الثانية نجد «أوزير» يشرف على مجاميع آلهة جنوبي وشمالي وغربي السماء. أما مجموعة الآلهة الثمانية الأخرى فلم يعرف منها «وسرحات» إلا الآلهة الأربعة الذين يحرسون أحشاء المتوفى (راجع p1. XVII a).

- **الجدار الشرقي: كرم الإلهة «نوت» راجع P. LIX:** يعد تلوين هذا المنظر ورسمه على ما يظن أحسن ما أخرجته يد «المفتن» في عهد الرعامسة. حقًّا إن الاستقبال الكريم الذي استقبلت به الإلهة «نوت» إلهة الجميزة، موضوع عادي جدًّا في مناظر الأسرة الثامنة عشرة، غير أنه كان يُرسم عادة بصورة مصغرة؛ حيث نشاهد الإلهة تطلع علينا من شجرة الجميزة، غير أن المفتن في المنظر الذي أمامنا قد رسم الصورة بحجم كبير؛ لما في ذلك

من ذوق حسن، يضاف إلى ذلك أنه راعى أن الفائدة البشرية لا بد أن تتغلب على شخصية هذه الإلهة الخاملة الذكر؛ ولذلك رأى أن الشجرة التي يجلس تحت ظلالها ضيفانها لا بد أن تكون ظلًّا ظليلًا لهم لا مأوى لها، هذا فضلًا عن أنه قد استعمل في الرقعة التي رسم عليها صورته اللون الأصفر؛ وبذلك أضفى على ورق الشجرة الخفيف متانة وبهجة.

وتحت ظل هذه الشجرة جلس «وسرحات» في ثوب عيد، وعلى رأسه تاج يجوز أنه صُنع من ورق النضار على شريط أحمر وعريض مشغول بالخرز، وفوق ذلك لبس مخروط العيد، وهو عبارة عن كتلة من العطور توضع فوق قمة الرأس لتضوع منها الرائحة الذكية، والظاهر أنه في هذا الوقت كان هذا المخروط يوضع لمجرد الرمز لذلك وحسب. ويتقبل «وسرحات» الماء في قدح مزخرف تصبه له الإلهة «نوت»، كما أنه كان يقطف بيده الأخرى ثمرة الجميز من الشجرة بنفسه، وقد جلست بجانبه كل من والدته وزوجه على كرسي، وكانتا تتقبلان كذلك الماء السماوي من الإلهة «نوت».

وقد كُتب اسم كل منهما على ساعدها «زوجه ربة البيت، ومغنية آمون «حتشبسوت»؛ وأمه مغنية الإله «منتو توازرت».» والواقع أن جمال وجهيهما الطبعي قد أضفى على المنظر بهاء ورونقًا؛ إذ نشاهد «حتشبسوت» بلونها الأسمر الجذاب «وتوازرت» أمه بلونها الأسمر الفاتح يظهران بمظهر أنيق. وبجانب هذا نشاهد كلًّا من روحي «وسرحات» وزوجه قد رسم بصورة طائر وجسم إنسان، وهو يشرب بحفنته من بركة، في حين أن الإلهة «نوت» نفسها قد رُسمت خارج الشجرة على غير المألوف واقفة، وعلى رأسها شجرة، وتحمل في يدها إناء.

- **إدخال التظليل في التصوير:** أما الظاهرة الغريبة الأخرى التي نشاهدها في هذه الصورة للمرة الأولى في تاريخ الفن المصري فهي استعمال التظليل، مع أن الأدلة على ذلك قليلة؛ إذ قد مثل هنا التظليل بتغميق لون خدود زوجتي «وسرحات»، وكذلك تحت الذقن، وبين الشفتين، وتحت كعب «حتشبسوت»، ثم بدرجة خفيفة تحت الحاجب. وقد يعد البعض ذلك مجرد إبراز موضعي اللون لا تظليلًا؛ وبذلك يُحرم الرسام المصري كشفه

كيفية تصوير الأشياء بالنور والظل. غير أن ما نشاهده في مقبرة الملكة «نفرتاري» (زوج «رعمسيس الثاني») من تقدم في استعمال الظلال، كما يشاهَد ذلك على بشرة الملكة الوردية لدليل ناطق على أنه فن مقصود، وإن كان ذلك لم يستعمل على بشرة الآلهة والإلهات. ولا نزاع في أن المفتن قد لحظ الدور الذي يلعبه كل من النور والظل على هذه الصور التي كان يرسمها، ثم استعمله ثانية بدوره إلى حد ما، وإن لم يكن بدرجة شيقة.

- **خطاب الإلهة نوت:** والنقوش التي نُقشت فوق رأس الإلهة «نوت» قد هُشمت، ولكن يمكن إصلاحها من نقوش أخرى مماثلة، وهي: «خطاب «نوت» الواحدة العظيمة التي تقوم بالمعجزات باسمها الجميزة، لقد منحتك هذا الماء السائغ لأجل أن ينعش قلبك به، هذا الماء الذي يأتي من البركة في الجبانة التي في غربي «طيبة»، وأنك تسلمتِ طعامًا لذيذًا يخرج من أعضائي، وطائر روحك يجثم في ظلي، ويشرب ماء بقدر ما يحب قلبه.»

- **المنظر الثانوي:** أما المنظر الثانوي في هذه الصورة فيمثل رحلة المتوفى إلى «العرابة»، والعودة منها (راجع الجزء الثالث).

- **مناظر الجدار الغربي: «منظر تنزهه»:** لقد لاحظنا أن فائدة «وسرحات» الشخصية في قصته ومصيره كانت ظاهرة في الصورة العظيمة التي في الجزء الشرقي من المقبرة، والظاهر أن نفس الدافع نجده في الصور التي على الجزء الأسفل من الجدار المقابل (راجع p1. XV)، غير أنه مما يؤسف له قد وجد في حالة خربة، فعلى الجهة اليسرى نشاهد «وسرحات» وزوجه جالسين معًا تحت تكعيبة كرمة، وقد نشرت شجرة عنب ظلالها اللطيفة على عمدها، وتجلس «حتشبسوت» على كرسي خلف زوجها الذي يجلس على كرسي بدون ظهر، ويشاهَد وهو يقدم قضيبًا لصيد السمك لزوجه، فتتسلمه منه محبوبة «حتحور»، وفي الوقت نفسه كانت تقدم شيئًا لزوجها. ويلحظ هنا أن المفتن كان حرًّا في رسم شجر العنب، ولكنه قد بالغ في زخرفتها، فنشاهد أن ورق العنب كان حقيقيًّا، يضاف إلى ذلك أن المثَّال كان يُظهر ورقة العنب الملفوفة عندما يرى ذلك ضروريًّا لإبراز صورته في هيئة طبعية».

ويشاهَد كلب صيد «وسرحات» جالسًا تحت كرسيه، ومما يؤسف له أن باقي المنظر مهشم، ولكن كان بالقرب من الكرمة (التكعيبة) بِركة حُليت شواطئها بالأعشاب المزهرة.

- **الأسرة تتعبد للإله «منتو»:** والمنظر الذي فوق السالف مهم لأهمية المتن المفسر له؛ لأن رسمه رخيص جدًّا لا يدل على أي فن، وهو يمثل عبادة إله برأس صقر، ويحتمل أنه الإله «منتو»، ويتعبد إليه ثلاثة رجال، أولهم يلبس حول رقبته خاتم الوزير، والاثنان الآخران يلبس كل منهما فراء الكهانة، وقد كتب اسماهما على طبقة من الطين خشنة الصنع، كان تحتها المتن الأصلي الذي أصبح مغطى، والأسماء هي: «الأمير الوراثي، وعمدة المدينة، والوزير «أمنحتب» ابنه، ومحبوبه الكاهن الأكبر لآمون «حبو سنب»، ووالده — أي والد «وسرحات» — كاهن «آمون الأول» «خنسمحب» (؟)، وابنه — أي نسله — الذي يخلد أسماءهم الكاهن الأكبر لزوج «عاخبر كارع» «وسرحات» الذي يسمى كذلك «نفر حبف».»

وقد فُسر هذا الاقتباس من تاريخ أسرة «وسرحات» بأنه قلب للحقائق مقصود، وأن الغرض منه أن يعطى الكاهن «وسرحات» أهمية لا يستحقها (راجع A. S., VIII, p. 258). ولكن التاريخ الشخصي للوزراء والكهنة الأول للإله آمون في مصر لا بد كان قد استعمل هنا فعلًا، ويمكن مراجعة هذا الموضوع والوقوف على كنهه من تاريخهم، ومما دون على قبر «حبو سنب» القريب من قبر «وسرحات» هذا. والغرض هنا ليس وضع تاريخ سلالة «وسرحات» أمامنا، ولكن إظهار ارتباط أسرته بالملك «عاخبر كارع» في أثناء حياته قبل خدمته وبعد مماته عندما أصبح إلهًا، وأن أفرادها كانوا يشغلون وظائف مدنية ودينية سامية خلال حكم أخلاف هذا الفرعون، والظاهر أن الحاجة كانت ملحة لإظهار ذلك في هذه الفترة لضمان تسلسل وراثة وظيفة «وسرحات» في أخلافه من بعده لإلهه هو، ويخيل إليَّ كثيرًا أن كتابة بعض عظماء رجال الأسرة هنا هو من عمل نفس اليد التي وضعت أسماء الأفراد الذين لا صلة لهم بالأسرة في أماكن أخرى من المقبرة؛ وذلك بقصد إظهار أن هذه الأسرة كانت منذ الأزمان القديمة هي مصدر الكهنة الأول للشعائر، وأنه كان منها الكهنة الأول لـ «آمون» والوزراء، وعلى حسب المصادر التاريخية نجد أن كل هؤلاء الأشخاص لهم وجود في التاريخ المصري، فنعلم أن

«أمحتب» كان وزيرًا في عهد «تحتمس الأول»، و«حبوسنب» كان كذلك الوزير الأول، والكاهن الأول لـ «آمون» في عهد «حتشبسوت» (راجع مصر القديمة الجزء الرابع)، وقد ذكر لنا «حبو سنب» في نقوش قبره أن والده «حبو» كان يشغل وظيفة مرتل ثالث للإله «آمون»، غير أنه ليس لدينا أي برهان على أن «حبو» كان حتى ابن «أمحتب». وإذا فرضنا أن «ابن» هنا يعني «ابن ابنه»، فان العلاقة على أية حال تكون ممكنة، فقد وجد فعلًا وزير اسمه «حبو» (راجع Tomb. 66 & Daressy, Recueil de Cones funeraires No. 270). وقد دفن بالقرب من «حبو سنب»، غير أنه لا يمكننا أن نقدر أنه هو والد «حبو سنب»، هذا إذا فرضنا أن هذا اللقب كان قد اعترض عليه، وأنه مات بسرعة، وترك الوظيفة لابنه الذي لم يشغلها بدوره إلا مدة قصيرة؛ وذلك لأن الأخير لم يدَّعِ هذه الوظيفة لا لنفسه، ولا لوالده في قبره. ومن المحتمل إذن أن «حبو»، وابنه كانا قد تقلدا الوزارة في عهد «حتشبسوت» على غير إرادة الحزب المعارض لها في اعتلاء العرش؛ وأن كلًّا منهما قد دفع بحياته ثمنًا لذلك (راجع ما كُتب عن الوزير «وسر»، ووالده «عمثو» في مصر القديمة الجزء ٤)، وأنه لم يُعترف بواحد منهما وزيرًا بالحزب المنتصر فيما بعد.

وعلى أية حال، فالمرجح أن هذه القائمة قد بُنيت على تقاليد أسرية، وليس لها قيمة تاريخية على الأقل في نظرنا حتى الآن إلا إذا كشف ما يؤكدها.

- **والد «وسرحات»:** كان «أمحتب» — والد «وسرحات» كما يدَّعي النقش — مربي أولاد «تحتمس الأول»، وليس من المؤكد أنه كان «خنسم» … الكاهن الأول لـ «آمون»، وعلى ذلك فيكون هذا الرجل والد «وسرحات» الذي بوساطته يتصل بهؤلاء العظماء الغابرين، وعلى ذلك يكون زوج «توازرت»، وليس لدينا وثيقة تدل على حامل هذه الوظيفة في عهد «حور محب» (؟)، والواقع أن «وسرحات» قد أحيى أسماء أجداده ثانية بصورة ناقصة، وغير مرضية من الوجهة التاريخية كما ذكرنا.

- **الجدار الشمالي، الحفل السنوي لدفن «تحتمس الأول»:** والمنظر الذي على الجهة الغربية من الخلف «الشمال» (راجع p1. XVI) مقسم ثلاثة أقسام في ثلاثة صفوف، وليس من السهل علينا أن نحكم إذا كانت كلها تتحدث عن موضوع واحد، فالمناظر العلوية يحتمل أنها تمثل أمامنا الاحتفال بعيد ودفن الملك «تحتمس الأول» الذي كانت تمثل فيه الشعائر ثانية على الماء والأرض. وقد كان التمثال في هذه الحالة يحل محل المومية الموضوعة في تابوتها. فالمنظر السفلي خاص بعرض الأثاث الجنازي، غير أن دلائل الأحوال تُشعر بأنه كان أثاث «وسرحات»، وأن هذا العرض لا بد أن يكون متصلًا بما جاء على الجدار الجنوبي من الجهة الغربية (راجع p1. XIII).

- **السفينة الجنازية:** في وسط المنظر الأعلى نشاهد باب المعبد الذي دخل منه «وسرحات» توًّا إلى الردهة الداخلية أو المحراب ليتعبد للملك الذي أُخفي عن الأنظار بستائر مسبلة داخل المقصورة التي في سفينته، ويلبس الفرعون على رأسه الذي يحلي مقدمة السفينة ومؤخرتها التاج «آتف»، ويُحرق البخور أمامه في أطباق موضوعة على قواعد للقربان، ونشاهد من بينها طاقة يقدمها كاهن لـ «وسرحات» علامة على رضاء الملك المؤله، وكذلك يشاهَد صف من الخدم خارج الردهة يحضرون مؤنًا أخرى لأجل إقامة الشعائر.

- **تمشية التمثال:** وفي وسط الصف نجد تمثال الإله قد كُشف عنه غطاؤه، وأُلبس ملابس العيد الكاملة، ويجرُّه رجال على قاعدة تشبه الزحافة ليظهر للملأ كأنه يمشي فعلًا. وحبكًا لهذه الحيلة كان يمشي على جانبي التمثال مرتلان يظللان وجه الملك من أشعة الشمس، غير أن استعمال البخور يظهر الحقيقة. والتمثال لونه أسود؛ وذلك لأن تمثال الشعائر بلا شك في بادئ الأمر كان من الأبنوس. وكان في الحفل كذلك خمس نسوة يستقبلن ظهور الملك بعلامات الحزن، كما كن يفعلن لو كان المتوفى جديدًا، وكذلك نجد خمسة رجال يقودون الموكب، ويؤلفون جماعة من الموظفين لم يرتَّبوا على حسب مراكزهم، ويظهر أن أولهم — الذي كان يقف على حدة — أمير يُدعى على ما يظن «أحمس»، ويتبعه مشرف على الخزانة يسمى «نب محيت» (؟)، ومشرف … «أمنحتب»، ونائب الجيش

(؟) «مام حكا»، وفرد آخر يُدعى «أمحتب» (؟)، وأمام الموكب بحيرة تحيطها حديقة. وهنا يبتدئ الجزء الثاني من منهج الاحتفال، فقد أنزل التمثال الملكي في قارب، ويقوم بخدمته كهنة فيه، على حين نشاهد ثلاثة رجال على الشاطئ يجرون القارب حول البحيرة، وفي خلال ذلك يقوم عوَّام بتطهير الطريق للقارب من الأعشاب التي تعترضه. وتشاهد جواسق بسيطة محاطة بعصي لراحة المتوفى في يوم دفنه، ونجدها منتشرة بين أشجار الحديقة.

- **جهاز «وسرحات» الجنازي:** وليس من الغريب أن نجد «وسرحات» — الذي كان يقرأ الصلاة مرارًا وتكرارًا لروح «تحتمس الأول» في معبده الجنازي — يعلق آماله على أن يُدفن دفنًا يتناسب مع دفن سيده الملك، ويمكننا أن نتصور «وسرحات» — الكاهن الأول للفرعون «تحتمس الأول» في معبد «خنمت عنخ» — جالسًا؛ لأن يده قد ظهرت ممتدة لتلمس أنواع الهدايا التي منها صدرية، ووجه مستعار من النسيج المقوى، وهما اللذان قد أهداهما إياه ابنه … الذي يخلد اسمه. ويشاهَد خلف هذا الابن مهدون آخرون يحملون قربانًا من الطعام وصفًا من الأثاث، ويشمل أطواقًا وأدوات جنازية، ومبخرة، وموقدًا، وإناء ماء القربان، وثلاثة وجوه مستعارة، وعدة أغطية مومية، وتوابيت، وتماثيل صغيرة، ومواد طعام أخرى.

- **الجدار الجنوبي، الجانب الغربي:** آمال المتوفى في الحياة الآخرة: والواقع أن المناظر التي على الجانب الغربي من الجدار الجنوبي (p1. XIII.) يمكن وصفها بأنها لوحة قبر مصورة تلخص في الجمل الثلاثة التالية: «كرَّمه الملك في الحياة الدنيا، وبكاه أصدقاؤه عند موته، ورحب به الآلهة في السماء.» ولا نزاع في أن المصري كان بعيدًا كل البعد عن النظر إلى الحياة بأنها وصمة ذات ألوان متعددة على ضياء الآخرة الأبيض، بل على العكس كان ينظر للحياة بأنها صورة من عالم الآخرة إلى حد ما، ذلك العالم الذي كان يرجو أن يكون وجه الخلاف بينه وبين عالم الدنيا هو أنه أقوى وأكثر تنوعًا، وإن كان بعض الأحيان ينساق للمخاوف التي كانت تمثل له الآخرة بأنها ليست إلا ظلًّا من الأرض أشد كآبة، وأكثر حلوكة. وليس من الغريب أن نجده ينتظر معاملة كريمة من ملك الأبدية

لما أسداه من خدمات لمليكه؛ ولذلك نجد «وسرحات» يضع الهبات التي أعطاها إياه الفرعون عند طلبه للظهور أمام «أوزير» لتكون شاهدًا عدلًا على إخلاصه، ورضاء الملك الذي كان يعد ابن الإله عنه.

- **مكافآته في الحياة:** والهبات الملكية نجدها ممثلة في أسفل صف، وقد مثلت على وجه عام بصور الأشكال التي كانت في «تل العمارنة». وقد حُذف في المنظر هنا استقبال الملك الفعلي، وقد مثل بصورة مختصرة برسم القصر الذي يحتل وسط المنظر فحسب، والصورة تمثل واجهة قصر لا معبد، ومع ذلك نجد خلف هذه الواجهة تمثالين كل منهما في هيئة «أوزير»، يمثلان ملك مصر العليا، كما نشاهد لوحين للقربان بجانبيهما، وعلى مسافة بعيدة على اليمين مائدة قربان، والخدم يحضرون الطعام، أو يحضرون المؤن، وعلى اليسار «وسرحات» المقدم في القصر — أو الكاهن الأول في معبد الملك — يغادر المبنى الذي احتفل به فيه، وحوله الخدم، وطاقات الأزهار، وقد أثقل نحره بالقلائد من الذهب، كما حليت ذراعاه اللتان كان يرفعهما ليظهر ما أنعم به عليه من أساور أمام أصحابه. أما المجوهرات التي لم يمكنه لبسها فقد وُضعت على منضدة. وقد جاءت نساؤه ليرحبن به بالموسيقا والغناء؛ ولم ينسَ الفرعون زوجه «حتشبسوت»، فقد كان ضمن الهدايا التي نالها «وسرحات» أقراط، وكذلك كان الخادم يحمل إليها شيئًا في يديه. وقد غنت النساء مديحًا لكرم الفرعون، وهاك النص: «إن ثروته عظيمة، ذلك الذي يعرف الهدايا التي أعطاها «آمون» ليسر قلبه، الفرعون، سيد مصر، وإنك ستمنح ثروة لأجيال لم تأتِ بعد يأيها الفرعون، يا سيد كل واحد منا.» وكانت عربة «وسرحات» في انتظاره، وكان سائسه يقف عند رأس خيله، أما السائق فكان يتحدث مع «البواب»، هذا إلى أن الاستعداد للوليمة كان قد تم؛ إذ نشاهد ثانية هدايا، ويحتمل أنها من مائدة الفرعون قد صُفت على الموائد.

- **تكريمه في الممات:** والصف الثاني يمثل أمامنا الموكب الجنازي، وهو ذاهب نحو مقر المتوفى الأخير في الغرب؛ فيأتي أولًا القارب النموذجي، وفيه المحراب المزخرف الذي وُضع فيه التابوت، ويجر القارب على زحافة ثلاث بقرات، ويشاهد طاقات عظيمة من

الأزهار على هيئة عمد — مما يذكرنا أن العمود المصري لا يخرج عن كونه طاقة أزهار بسيطة أو مركبة — منصوبة في أركان القارب الأربعة، ومتصل بعضها ببعض بأكاليل نضرة، وبجانب الطريق التي يسير فيها الموكب أواني ماء محلاة بأزهار، وقد حلت محل الجواسق التي تكلمنا عنها فيما سبق (p1. XVI.)، ويسير خلف التابوت مشيعون ثلاثة، وقد وضعوا أيديهم على أفواههم رمزًا للسكوت الرهيب، أو خوفًا من إزعاج قداسة الاحتفال بالمتوفى. والأشخاص الثلاثة الأوَل قد عُرفت شخصياتهم؛ وهم: الكاهنان المطهران، و«وسربحتي»، و«أمنحتب»، ثم المشرف على مصانع «آمون» «نب موسى». والثلاثة الباقون هم: الكاهنان المطهران «نفر حبف»، و«نبسني»، وكاتب خزانة الإله «تحوت». أما الثلاثة الأخيرون فقد وُضعوا سويًّا، ولكن لم يمكن قراءة لقبهم. والأنشودة الجنازية المحزنة التي كانوا يرتلونها هي: «يا «وسرحات» يا رئيس الكهنة في معبد «خنمت عنخ» الذي تجدد حياته، يا «وسرحات» يأيها الكاهن الأكبر لروح «تحتمس الأول».» ويشاهد رجلان يمشيان بجانب البقرات، حاملين صناديق فيها جهاز الدفن ومراوح. والواقع أن هذه الهبات كانت قليلة بالنسبة للعطايا التي كانت تقدَّم عادة في العصور السالفة، ولكن يجب أن نضيف إلى هذه الهدايا التي ذكرناها من قبل (p1. XVI).

- **شعيرة الدفن:** وقد قابل الموكب طائفة من النساء النائحات، عددهن سبع، كن ينثرن التراب على رءوسهن بسخاء، حتى أن أثره الأخير كان يُرى عليهن من الرأس إلى الكعب، وقد رُسمن بصورة قبيحة، ويشاهد كذلك امرأتان — هما بلا شك أم «وسرحات» وزوجه، وقد التفتتا إلى التابوتين المنصوبين أمام القبر — التابوت الثاني لزوجه باعتبار ما سيكون — في حين أن كاهنًا مرتلًا كان يقرأ صيغة القربان، وآخر يقوم بأداء الشعيرة، وأمامهم مائدة تحتوي طعامًا، وستة عشر إناء لصب الماء المطلوب، والستة عشر هذه كانت لعملية التطهير أربع مرات.

- **الترحاب بالكاهن «وسرحات» في الغرب:** ويشاهد في الصورة أنه كان لا يفصل بين الحياة وبين الموت إلا طاقة أزهار وضعت خلف التابوتين؛ وذلك لأنه يوجد على الجانب الآخر المتوفى، وقد مُنح قوة الحياة المجددة، ترحب به «حتحور» ربة الغرب، وهي

واقفة أمام بناء غريب الشكل لا بد أنه يمثل القبر، وإن كان على النقيض من الضريح الذي يوجد فيه المتوفى. وعلى أية حال، فإنه يشبه كثيرًا منظرًا جانبيًّا لهرم مقابر عهد الرعامسة في «ذراع أبو النجا»، وتتمثل فيه الخصائص البارزة لمعبد «منتوحتب»[١٧٤] في الدير البحري الذي كان يحتوي على محراب «حتحور»، وكان النموذج على ما أعتقد للقبر الهرمي الشكل. ومن الجائز أنه لم يكن واضحًا لمصممه، وكذلك لنا، إذا كان هذا البناء يمثل المعبد الذي تسكن فيه «حتحور»، أو إذا كان القبر المثالي الذي لا يوجد بينه وبين قبر «وسرحات»، ولا الأغلبية العظمى من مقابر «طيبة» أي شبه قط، وقمة الهرم هنا قد لونت بالأسود كأنه مصنوع من البازلت، ومنحدراته قد كُللت بأكاليل على حسب خيال المفتن.

- **سعادة «وسرحات» الأبدية قد عُرضت للخطر على يد مغتصب:** تدل شواهد الأحوال على أن رجال الكهانة قد نمت في نفوسهم هبة النفاق إلى درجة عظيمة؛ إذ نجد أن ما بذله «وسرحات» للحصول على سعادة أبدية لروحه في عالم الآخرة قد مُحي خيانة في آخر لحظة؛ وذلك لأن اسم الرجل الذي قبلته الآلهة في عالم الغرب قد تغير بالحيلة المألوفة في كل عهد من عهود التاريخ المصري، وتنحصر في تغطية الاسم الأصلي بملاط من الجص، وكتابة اسم الشخص المراد إحلاله محله بالمداد، وهنا نجد أنه قد كُتب بدلًا من «وسرحات» اسم كاهن آخر يُدعى «أمنموسي» (وهو الخامس في عداد الكهنة الأول لعبادة «تحتمس الأول»، وقد أراد بذلك أن يغتصب ما للكاهن «وسرحات» من حقوق في عالم الآخرة أمام الإله «أوزير» المنتقم من الظالم، وهذا الكاهن معروف لدينا (راجع Daressy Cones Funeraires No. 93).

والواقع أن عمل «أمنموسي» لا يدل على الحقد، بل على الدناءة، ومع ذلك لم تكن حالة «وسرحات» موئسة؛ لأنه كان عليه أن يحصل كذلك على جواز مرور لأجل أن يدخل في مملكة «أوزير» الواقعة فيما وراء القبر.

الحساب الأخير: والصورة العلوية (p1. XI.) يظهر فيها «أنوبيس» يقود «وسرحات» وزوجه إلى قاعة الحساب، وهنا نجد كاتب الإلهة «تحوت»، والإلهة «ماعت» ربة العدالة يشرفان على الميزان الذي كان على خلاف المعتاد يوزن فيه المتوفى في كفة والقلب في الكفة الأخرى؛ وذلك بدلًا من وزن القلب قبالة العدالة كالمعتاد، وقد ظن البعض أن الفكرة المليئة بالمعاني التي تتجلى في محاسبة الإنسان بضميره هي فكرة لم تنضج بعد في الأخلاق البدائية، وأنه لا بد من وجود خطأ هنا من الرسام (راجع .Davies. Ibid p. 28. & Note. 1). وقد فاتهم أن هذا المنظر ليس الوحيد في بابه، بل وجد له ما يشابهه، والواقع إذن هو أن هذا العصر كان عصر التنسك الشخصي، ومحاسبة الإنسان ضميره، كما فصلنا القول في ذلك في مكانه، وقد جاء ذلك عن طريق تأثير عبادة «إخناتون».

وبجانب الميزان يُرى مارد ملتهم برأس تمساح، ومقدمتي كلب، ومؤخرتي فرس البحر رابض ينتظر نتيجة الميزان، ولكن كما جرت العادة تتعادل الكفتان؛ وبذلك ينجو «وسرحات» من فكي هذا الوحش المفترس، ومن ثم نراه غير مكترث بمصير زوجه راكعًا بوصفه روحًا مبرأة أمام عرش «أوزير»، وهذا الإله في محرابه تحيطه إلهة الغرب بذراعيها وجناحيها ذوي الريش، وهذه طريقة جديدة لتحل مكان الأيدي التي كانت تتدلى من قرص الشمس في عهد «إخناتون».

وبعد أن اجتاز «وسرحات» عقبة الميزان الإلهي أصبح ضمن أهل الغرب (راجع .P1 XIV)، وقد رحب به إلهة أهل الغرب عندما ركع باحترام أمام التلال المقدسة؛ لأنه يعلم أنها هي المدخل الذي تمر منه الشمس المغربة في مملكتها الليلية، وهذه التلال قد مثلت ببساطة في أشكال بدائية، وقد لُونت بلون قرنفلي مائل للصفرة، ومن المدهش أن هذا هو نفس اللون الذي تُصبغ به التلال المصرية عند الغروب، وتشترك في هذا التعبد أرواح «نخن»، وأرواح «بوتو» (الملوك الذين تُوفوا)، وكذلك كانت تشترك[١٧٥] القردة التي قد لُونت بلون باهت لدرجة أنها تظهر كعفاريت الجن، في حين أن صورة أرواح «نخن»،

و«بوتو» كانت ألوانها ظاهرة، وتتقبل إلهة الغرب الطارق الجديد بعلامة الترحاب المعروفة.

- **اللوحة الجنازية:** ويلحظ أن آخر شعائر لدفن المتوفى قد كررت على اللوحة التي أقيمت في الردهة (راجع p1. XIX)، ونشاهد عليها تابوت «وسرحات» منفردًا، وتتبعه زوجه «حتشبسوت» وابناه، وكان يقوم بالشعائر كاهنان، ويبكيه واحد أو اثنان من أقاربه، والمتن التابع لذلك هو: «قربان يقدم لـ «آمون»، و«آتوم»، و«حور اختي» و«جب»، و«أوزير» و«إزيس» سيدة الغرب، و«حتحور» المشرفة على الجبانة، و«أنوبيس» المشرف على قاعة الإله وجماعة الآلهة … وللآلهة والإلهات هناك، ولعظماء الجبانة، ولمعبد الجنوب، ومعبد الشمال، ولسفينة الليل، ولسفينة النهار، وللآلهة الذين في السماء والأرض؛ لأجل أن يمنحوا مياهًا باردة (؟)، وعبير النسيم، وحتى لا تصد الروح أبدًا، وحتى يُنادى اسمك، ويخرج في كل عيد على الدوام، وحتى تستطيع أن ترى «رع» عند الفجر، وتتبع «سكار» رب «روستاو»، ولتستطيع رؤية الإله على العرش، ولأجل أن يمنحك «رع» السفر في سفينة الليل، ويستقبلك الغرب، وتصب ماء الطهور على القربان، وتتسلم قربان الإله، ويعطيك «حعبي» (النيل) من كل أنواع الطعام ألفًا، من الخبز، والجعة، والثيران، والطيور، والخيط، والكتان، والشحم، والبخور، والخمر، واللبن، والخضر، والأزهار العطرة … لأجل روح الكاهن الأول للملك «تحتمس الأول»، «وسرحات» المنتصر. يقول: إن وظيفتي كانت كاهنًا مطهرًا (؟) … محراب الإله الكاهن الأول … الذي وضعته ربة البيت مغنية «منتو» رب «أرمنت» توازرت، وزوجه ربة البيت «حتشبسوت»، وابنه «رع مويا»، وابنه «حوي» وابنه …»

والنقوش التي على السقف تحتوي على صيغ دينية من الطراز المعتاد، وليس فيها من جديد.

هذه لمحة عن قبر هذا الكاهن ومحتوياته، وهي في الواقع تضع أمامنا صورة عن حياة القوم الدينية، وعقائدهم بالنسبة للآخرة، كما تمثل لنا صفحة من الأحقاد الشخصية، وبخاصة بين الكهنة أنفسهم، بل الكهنة الذين من أسرة واحدة، ومقدار عبثهم وغشهم،

بل افترائهم، ونفاقهم حتى أمام الآلهة، هذا فضلًا عن افترائهم على التاريخ لبلوغ مآربهم الشخصية، على الرغم من إيقاظ الضمير في ذلك الوقت الذي مثل أمامنا في أجلِّ مظاهره وأرقاها؛ فقد انتزع الإنسان من نفسه في هذا العهد ضميره، وهو قلبه، وجعله في كفة، وهو في يوم الحساب ليلقى عقابه أو ثوابه.

---

[١] راجع: Br. A. R., III, § 80–156.

[٢] راجع: De Rouge Inscrip Hierog p. 108.

[٣] راجع: Davies Anc. Egypt. Paintings pl. 78.

[٤] راجع: Davies & Gardiner Tomb of Huy pl. 19.

[٥] راجع: Simons. Egyptian Topographical lists pp. 50–52.

[٦] راجع: Br. A. R., III, 10, 11.

[٧] راجع: Ibid. III, § 101.

[٨] تقع ينعم في الجنوب الغربي من بحيرة طبرية على مسافة خمسة أميال ونصف (راجع Gardiner Onomastica I, p. 146).

[٩] راجع: Gardiner. The Military Road Between Egypt & Palestine. J. E. A., Vol. VI, (1920) pp. 99 ff.

[١٠] راجع: J. E. A., VI, pl. XII.

[١١] راجع: Br. A. R., III, § 88.

[١٢] راجع: Moret: Revue de l’Egypte Ancienne (1928) pp. 20 ff.

[١٣] راجع: L. D., III, 131 a, Br. A. R., III, § 114.

[١٤] راجع: Hall Ancient Hist. of the Near East 6th. P. 356.

[١٥] راجع: Wresz Atlas II, pls. 34 ff.

[١٦] راجع: Br. A. R., III, § 94.

[١٧] راجع: Capart Thebes p. 46. Fig. 26.

[١٨] راجع: L. D., III, pl. 13 a; Muller. Asien Und Europa p. 191–195.

[١٩] راجع: Br. A. R., II, §§ 891-892.

[٢٠] راجع: Br. A. R., IV, § 137.

[٢١] راجع: Wresz op. cit. II, Pl. 53.

[٢٢] راجع: Syria III, p. 108 ff.

[٢٣] راجع: Br. A R. III, p. 71; Ed. Meyer Gesch III, p. 451; Gardiner Onomastica I, p. 141.

[٢٤] راجع: Br. A. R. III, § 8, J. E. A. VI, p. 99.

[٢٥] راجع: Hall. Anc. Hist. 346.

[٢٦] راجع: Br. A. R., III, § 82.

[٢٧] راجع: Helck Militarfuhrer 74. Note. 4.

[٢٨] راجع: J. E. A., Vol. 33. p. 37 ff.

[٢٩] راجع: Urk. IV, p. 722. No. 282.
راجع: Wresz Atlas II, pl. 47; Sander Hansen. Hist. Insch. Der. 19. Dy. I, p. II, 6 ff.

[٣٠] راجع: Keith Seele The Coregency of Ramses II, & Sety I, p. 24.

[٣١] راجع: A. S., XLIII, p. 133 ff.

[٣٢] راجع: Ibid. p. 139.

[٣٣] راجع: Pezard, Une Nouvelle Stele de Sety I, Monuments & Memoires p. 387 ff.

[٣٤] راجع: Karnak List L. D., III, pls. 45 ff.

[٣٥] راجع: Delaporte Les Hittites p. 129.

[٣٦] راجع: De Rouge Inscrip. Hierog. pp. 165–167.

[٣٧] راجع: Br. A. R., III, § 204, & Champ. Notices I, p. 223-4.

[٣٨] راجع: L. D., III, pl. 141 n. & De Morgan. Cat. Mon. 28, 5.

[٣٩] راجع: Br. Ibid. 89. Note a.

[٤٠] راجع: A. Z., LXIX, p. 77.

[٤١] راجع: J. E. A., XXXIII, p. 24.

[٤٢] راجع: J. E. A., XIII, p. 196-7.

[٤٣] راجع: Br. A. R., III, § 377.

[٤٤] راجع: Keith, Seele Coregency Par. 33–38.

[٤٥] راجع: Gauthier Dic. Geog. IV, p. 72.

[٤٦] راجع: J. E. A., XIII, pl. XLI.

[٤٧] راجع: Mariette Abydos II, pl. 51.

[٤٨] راجع: Brugsch Dic. Geog. p. 1169.

[٤٩] راجع: Gauthier A. Z., 48. P. 53. L. 45 ff.

[٥٠] راجع: Petrie Arts & Crafts of Anc Egypt p. 53.

[٥١] راجع: Frankfort. The Cenotaph of Seti I, at Abydos, Vol. I, p. 9 ff; Vol. II, pl. II.

[٥٢] راجع ما كتبه «فرنكفورت» حديثًا عن هذا الموضوع في كتابه عن ديانة قدماء المصريين Frankfort. Ancient Egyptian Religion (1948) p. 153 ff.

[٥٣] راجع: Kristensen Het Leven Uit de Dood (Life after death) p. 88.

[٥٤] راجع: Frankfort Ibid. p. 30. Krestinsen Ibid. p. 93; Book of the Dead Chap. XVII, 24. (Naville).

[٥٥] راجع: The Cenotaph of Seti I, at Abydos Vol. I, Text p. 92–4.

[٥٦] راجع: Frankfort Ibid. I, p. 71.

[٥٧] راجع: Maspero. The Struggle of the Nations pp. 379-380.

[٥٨] راجع: Griffith the Abydos Decree of Seti I, at Nuri; J. E. A., Vol. XIII, p. 206 ff.

[٥٩] عثر على جزء من مرسوم يشبه مرسوم «نوري» على قطعة حجر من لوحة، وقد قال عنه بائعه: إنه وجده في الشمال من معبد «سيتي الثاني» في هرموبوليس (راجع: Mitteilung der Deutschen Instit. Fur Agyptische Altertumkunde Kairo Band 8. pp. 160–164).

[٦٠] راجع: J. E. A., Vol. XIII, p. 207 ff.

[٦١] راجع: Reisner Naga-ad Dier. I, p. 30-1, 143-4. Fig. 54 pl. 5–9.

[٦٢] راجع: Petrie. The Arts & Crafts In Anc. Egypt. p. 83.

[٦٣] راجع: Petrie Descriptive Sociology Ancient Egypt. p. 57.

[٦٤] راجع: E. S., Thomas. The Ancient Mine Plan of Turin Papyrus Caire Scientific Journal Vol. VIII, (1913) pp. 158–160.

[٦٥] راجع: Cairo Sceintific Journal VIII, (1914) p. 41–46.

[٦٦] راجع: A. Z., IX–XII, Act. P. 74.

[٦٧] راجع: Br. A. R., II, § 265, 273, 502, 514, 526 & 652., 279–282.

[٦٨] راجع: Hume Geology of Egypt II, Part. III, p. 699.

[٦٩] راجع ما كتب عن اسم هذا الوادي وموقعه في مجلة B. L. F. A. O., Tome. XVII, p. 1–38 & J. E. A., Vol. IV, 241–251.

[٧٠] راجع: Rec. Trav. XIII, pl. 4. Fig. I.

[٧١] راجع: Rec. Trav. XIII, pl. 2.

[٧٢] راجع: Petrie History of Egypt III, p. 43.

[٧٣] راجع: Br. A. R., III, § 210.

[٧٤] راجع: Br. A. R., III, §§ 211–221.

[٧٥] راجع: Baedeker's, Egypt. P. 308 ff.

[٧٦] راجع: Gardiner and Peet Inscrip. Of Sinai pl. LXVIII, No. 247.

[٧٧] راجع: A. S., XXX, p. 31.

[٧٨] راجع: Gardiner Onomastica II, 173 & 278.

[٧٩] راجع: Naville, Goshen pl. 9. d.

[٨٠] راجع: Rec. Trav. XII, p. 4–6.

[٨١] راجع: Br. A. R., III, § 246.

[٨٢] راجع: Br. A. R., Ibid.

[٨٣] راجع: Petrie History III, p. 118.

[٨٤] راجع: Br. A. R. III § 545 ff.

[٨٥] راجع: Br. A. R. III 201.

[٨٦] راجع: L. D. III, pl. 141, i.

[٨٧] راجع: A. S. V., p. 120-1; Br. A. R., III, § 245.

[٨٨] راجع: A. S., II, p. 95.

[٨٩] راجع: Inschrift. Mus. Berlin II, p. 322.

[٩٠] راجع: Speelers Inscrip Egyp. Musée Bruxcelles p. 46.

[٩١] راجع: Seele. The Coregency of Ramses II, with Seti I, p. 29.

[٩٢] راجع: Petrie History of Egypt III, p. 7.

[٩٣] راجع: Prokesch Von Osten Nil Fahrt p. 272.

[٩٤] راجع: Br. A. R. III § 261.

[٩٥] راجع: Brugsch Thesaurus p. 1223.

[٩٦] راجع: Gauth. Dic. Géogr. IV, 92.

[٩٧] راجع: J. E. A. Vol. 33. P. 13.

[٩٨] راجع: J. E. A., Vol. 33. P. 21.

[٩٩] ولا بد أن هذه العبارة تشير إلى أسطورة عزى فيها لهذه الإلهة أنها نحتت المعبد أو الوادي، ومن الجائز أن هذه الخرافة لها علاقة باسم الوادي الذي كُتب بعلامة التل والسكين دلالة على حفر المعبد بالسكين (راجع J. E. A., Ibid. p. 15).

[١٠٠] معنى هذه العبارة: أن المعابد كانت مجهزة تمامًا حتى أصبح كل إنسان لا يشعر أنه في حاجة إلى أي شيء فلا يقول: «إذا كان لي كذا وكذا رضيت.»

[١٠١] راجع: Couyat & Montet Les Inscrip. Hierog et Hierat. Du Ouadi Hammamat p. 69. No. 94. Pl. XXIII.

[١٠٢] راجع: Ibid. p. 105. No. 213. Pl. XLI.

[١٠٣] راجع: Ibid. p. 105. No. 214. Pl. XL Petrie, Koptos p. 15.

[١٠٤] راجع: Petrie, Koptos p. 15.

[١٠٥] راجع: Bisson De La Roque Fouilles de Medamoud (1925) p. 4. fig.4, 45. 46; Ibid (1930) p. 28, 68, 69 fig. 46.

Legrain.Le Temple de Ptah Ris Anbou f dans Thebes A.s; III, p. 112,113.

[١٠٦] راجع: Legrain Stat. et Statuettes II, p. 1, pl. I.

[١٠٧] راجع: Br. A. R., III, §§ 205 ff.

[١٠٨] راجع: Porter & Moss V, p. 218.

[١٠٩] راجع: A. S., XXXIII, p. 639.

[١١٠] راجع: Petrie Hist., III, p. 22; Neu Entdeckte Denkmaler Von Nubien an den Ufer des Nil (Stuttgart 1921–28) p. 13.

[١١١] راجع: Champ. Notices Desc. I, 223-4.

[١١٢] راجع: Br. A. R., III §, 204, Note 6.

[١١٣] راجع: Petrie Hist., III, p. 8.

[١١٤] راجع: L. D. Text IV.

[١١٥] راجع: L. D. III, 124.

[١١٦] راجع: Weigall. Description of the Antiquities of Lower Nubia p. 85.

[١١٧] راجع: Gauthier Le Temple d’Amada p. 183.

[١١٨] راجع: Ibid p. 183.

[١١٩] راجع: Weigall, Ibid. p. 103.

[١٢٠] راجع: Br. A. R. III § 283.

[١٢١] راجع: L. D. III, pl. 141. K.

[١٢٢] راجع: Rec. Trav. XVI, p, 170.

[١٢٣] راجع: Reisner A. Z., LXIX p. 73.

[١٢٤] راجع: Baedeker’s Egypt (1929) p. 447.

[١٢٥] راجع: L. D., III, pl. 41 n.

[١٢٦] راجع: J. E. A., Vol. XIX, p. 60-1.

[١٢٧] راجع: Lanzone Catalogue of Turin. 1466.

[١٢٨] راجع: Brochardt Grab denkmal des Konig Sahura I, p. 104.

[١٢٩] راجع: Champ. Notices. Desc. II, p. 191-2.

[١٣٠] راجع: Ibid. II, p. 188.

[١٣١] راجع: Legrain. A. S., V, p. 17.

[١٣٢] راجع: A. S., III, p. 107.

[١٣٣] راجع: L. D., III, pl. 23, 24.

[١٣٤] راجع: Rec. Trav. XIII, p. 160.

[١٣٥] راجع: Petrie Six Temples pl. X, XI.

[١٣٦] راجع: Ebres Oberagypten p, 237.

[١٣٧] راجع: Taylor El Kab. Amenhotep III, p. I, III.

[١٣٨] راجع: Nestor. L’Hote. Mss. 20402, 2.

[١٣٩] راجع: Maspero, The Shruggle of the Nations p. 369.

[١٤٠] راجع: P. S. B. A. Vol. XI, p. 194.

[١٤١] راجع: Petrie. Tanis I, pp. 6, 7, pl. II, 11-12, pl. XIV, I & A. S., II, p. 195.

[١٤٢] راجع: Petrie Hist. III p. 22.

[١٤٣] راجع: L. D. Text III, p. 148.

[١٤٤] راجع: Baeder Egypte (1929) p. 432; L. D., III, 291, 55.

[١٤٥] راجع: Quibell. The Ramesseum pl. XXIX.

[١٤٦] راجع: Petrie Hist. III, 9.

[١٤٧] راجع: Rec. Trav. IX, p. 18.

[١٤٨] راجع: Engelbach Gurob pp. 19–25 pl. XXXII; Speelers. Rec. Trav. XXXIX, pl. IV.

[١٤٩] راجع: Wiedemann. Rec. Trav. XVIII, p. 121 & Gauth L. R. III, pp. 30–32.

[١٥٠] راجع: Rec. Trav. XII, p. 211.

[١٥١] راجع سجل (No. 6252).

[١٥٢] راجع: Histoire des Grands Pretres D'Amon de Karnak P. 246.

[١٥٣] كان هذا لقبًا يطلق على تمثال خاص يتعبد إليه العمال في جبانة «طيبة» التي كان فيها «أمنحتب الأول» مؤلهًا.

[١٥٤] راجع: Bruyère Ibid. p. 86 fig. 5.

[١٥٥] راجع: Lieblein Dic Noms. No. 2062.

[١٥٦] راجع: Lanzone, Cat. Turin 1549.

[١٥٧] راجع: Speelers. Rec. Trav. XXXIX p. 113–144 pl. IV.

[١٥٨] راجع: S. Hassan, Les Hymnes Religieux du Moyen Empire p. 5 ff.

[١٥٩] راجع: Br. A. R. III, § 210; Rec. Trav. XI, p. 134.

[١٦٠] راجع: Lieblein Dic. Noms. No. 882.

[١٦١] راجع: Roeder. Agyptische Insch Berlin II, pp. 153–6, 236–9.

[١٦٢] راجع: L. D. texte. IV, p. 97 (6).

[١٦٣] راجع: A. S. XXIX, pp. 81–88.

[١٦٤] راجع: A. S., II, p. 137–140.

[١٦٥] راجع: Boreux: Guide-Catalogue I, p. 82.

[١٦٦] راجع: Boreux Ibid. I, p. 88.

[١٦٧] راجع: Bruyère. Fouilles de Dier El Medineh (1933-4) p. 45 ff.

[١٦٨] راجع: Bulletin de L'Inst Franc XXIV, p. 178.

[١٦٩] راجع: Bruyere Ibid. (1929) p. 80.

[١٧٠] راجع: Two Ramasside Tombs at Thebes. By Davies, Oxford 1927 نلفت النظر هنا إلى أن أرقام اللوحات التي أوردناها في الكلام عن هذا الموظف تشير إلى كتاب الأثري «ديفز» هذا.

[١٧١] ومن الطريف أن الموتى في مصر الآن على وجه خاص يكفنون في لفافة خضراء، وهذه عادة شائعة في مصر، ولا شك أنها ترجع في أصلها إلى الفكرة المصرية القديمة، وبخاصة أن العامة يقولون: إن الأخضر هو لون الجنة.

[١٧٢] يلحظ هنا أن اسم هذه المرأة قد كُتب على طبقة من الجص وُضعت فيما بعد، وإذا كانت هذه الكتابة أصلية فإن «حنت تاوي» تكون زوج والد «وسرحات»؛ لأن أمه الحقيقية هي «توازرت».

[١٧٣] ولا يزال البصل من الأطعمة المحببة إلى عامة الشعب، ويستحب أكله في عيد شم النسيم، وقد كان له عبادة خاصة عند المصريين (راجع Keimer in Egyptian Religion Vol. I, July. 1933. No. 2 p. 52 ff.).

[١٧٤] راجع مصر القديمة الجزء الثالث.

[١٧٥] كان المصري يعتقد أن القردة تُسبح للشمس عند شروقها وعند غروبها، وهذه الظاهرة نجدها حتى الآن في أواسط أفريقية؛ حيث تتجمع القردة، وتصيح عند الشروق، وعند الغروب.

رعمسيس الثاني

(١) اشتراك «رعمسيس الثاني» في الملك مع والده «سيتي الأول»

من الموضوعات المعقدة التي كانت ولم تزَل تعترض المؤرِّخ عند فحص تاريخ «رعمسيس الثاني» لأول وهلة، مسألة اشتراكه في الحكم مع والده «سيتي الأول» قبل أن يتربع على عرش البلاد منفردًا مدة طويلة بلغت أكثر من جيلين من الزمن، وقد تناول بحث هذا الموضوع أخيرًا الأثري «كيث سيلي» في مقال رائع فصل القول فيه على ضوء الآثار العدة التي أقامها هذا الفرعون هو ووالده «سيتي الأول»، وقد وصل فعلًا إلى بعض نتائج تستوقف النظر، وسنتكلم عنها هنا بعض الشيء ليرى القارئ مقدار ما فيها من صواب.[١]

فقد دلت الوثائق التي وُجدت على آثار «رعمسيس الثاني» التي أقامها، أو اشترك في إقامتها في أثناء حكمه مع والده، على أن ادعاء هذا الفرعون باشتراكه مع والده في الحكم كان ادعاء حقيقيًّا لا غبار عليه، غير أن هذه الحقيقة قد أنكرها الأستاذ «برستد»، وشايعه في رأيه بعض المؤرخين[٢] مثل الأستاذ «زيته»، وغيره.

فقد فسر الأستاذ «برستد» — كما ذكرنا آنفًا — إضافة «رعمسيس الثاني» صورته إلى بعض نقوش المناظر الحربية التي لوالده على جدران معبد الكرنك بأنها غش وتزوير في الوثائق التاريخية الأصلية، وأن غرض «رعمسيس» من ذلك قلب الحقائق؛ ليبرهن للعالم مقاسمته لوالده في الحروب التي قام بها، وأن والده قد أشركه منذ نعومة أظفاره معه في عرش الملك مدة حياته، ثم انفرد به من بعده، ولكن التحليل والفحص الدقيق لنقوش المعابد من حيث موضوع مادتها، وطراز نقشها، وترتيبها قد أسفر عن ظهور صورة واضحة تتفق في معظم تفاصيلها مع الاقتباس الذي يدَّعي «رعمسيس الثاني» أنه مقتبس من كلمات والده التي فاه بها، كما وردت في نقش الإهداء العظيم الذي حفره «رعمسيس» على جدران معبد «العرابة المدفونة» بعد موت والده، وقد أرِّخ بالسنة الأولى من حكم هذا الفرعون، وهو أعظم وثيقة وصلت إلينا عن فاتحة حكمه، عندما انفرد بالمُلك بعد وفاة والده. وفي هذه الوثيقة يدَّعي «رعمسيس» أن والده قد عينه «الابن الأكبر، والأمير الوراثي، ورئيس المشاة والفرسان.» ثم يستمر قائلًا: «وعندما ظهر والدي للملأ كنت لا أزال طفلًا بين ذراعيه، وقد قال عني: توِّجوه ملكًا حتى أستطيع رؤية جماله وأنا عائش معه.»

وعلى ذلك اقترب (؟) رجال البلاط ليضعوا التاج المزدوج على رأسي، وقد تكلم عني، وهو لم يزل على الأرض قائلًا: «ضعوا له التاج على رأسه.»



شكل ١: تمثال رعمسيس الثاني في عنفوان شبابه (محفوظ في متحف تورين).

ونجد مثل هذا الادعاء في نقوش لوحة «كوبان» المؤرَّخة بالسنة الثالثة من حكمه عندما خاطب رجال البلاط «رعمسيس» قائلين: «لقد وضعت خططًا حينما كنت لم تزل في البيضة في وظيفة طفل أمير، وكانت تلقى عليك شئون البلاد حينما كنت صبيًّا تتحلى بالضفيرة، ولم يُنفذ أثر إذا لم يكن تحت سلطانك، ولم يُقطع بأمر إلا كنت تعلمه، وكنت رئيس الجيش منذ أن كنت طفلًا في العاشرة.»[٣] ومع ما في هذه العبارات من مبالغات، فإن نواة الحقيقة ظاهرة فيها؛ إذ الواقع أن «رعمسيس» اشترك في شئون والده الفعلية، وهو في سن العاشرة، فقد أُعلن وليًّا للعهد في سن مبكرة، وتُوج شريكًا لوالده في الملك، وعلى أثر ذلك كلف القيام ببعض مسئوليات الدولة وشئونها كإقامة المباني وغيرها، ولا نعلم —

على وجه التأكيد — التاريخ الذي تُوج فيه على التحديد، غير أن حوادثه ظاهرة وواضحة، فقد ذكر لنا «رعمسيس الثاني» حوادث الاشتراك في الملك بألفاظه هو، وكذلك مثل أمامنا حادث تتويج[٤] «رعمسيس» على يد الإله «آمون» في حضرة الفرعون «سيتي الأول» والده، الذي كان يقف خلف الإله «خنسو» في المنظر، ويقبض على القضيب المعقوف، والسوط في يده اليسرى، وعلامة الحياة في يده اليمنى، وهذا المنظر ممثَل في معبد «سيتي الأول» «بالقرنة» بنقوش بارزة، وقد لُقب فيه «رعمسيس الثاني» بلقبه البسيط «وسر ماعت رع»؛ أي رع قوي العدالة.[٥]

ولدينا منظر تتويج له آخر حدث في مدينة «هليوبوليس» على يد الإله «آتوم» كما سيأتي بعد.

والواقع أن «رعمسيس الثاني» قد أعلن اشتراكه في الملك مع والده في أثناء حياته، وكتب اسمه ولقبه في طغرائين. وقد اتخذ «رعمسيس» لنفسه اللقب الرسمي التالي: «وسر ماعت رع»؛ أي رع قوي العدالة، مقلدًا في ذلك والده الذي كان يحمل اللقب الرسمي «من ماعت رع» (رع ثابت العدالة)، ولكن «رعمسيس» كان يضيف في حالات خاصة إلى لقبه هذا نعوتًا مختلفة مثل: «مري رع» (محبوب «رع»)، أو «تيت رع» (صورة «رع»)، أو «أعورع» (وارث «رع»)، أو «ستبن رع»، (مختار «رع»)، وكان في هذا كله مقلدًا والده أيضًا، وقد استمر في استعمال هذه النعوت كلها مدة قصيرة بعد وفاة والده مع اللقب القصير «وسر ماعت رع» الذي كان له غالبية الاستعمال على كل الألقاب الأخرى الطويلة التي كان يتألف كل منها من هذا اللقب القصير، مع إضافة نعت من النعوت السابقة، وفي النهاية اتخذ لقب «وسر ماعت رع، ستبن رع» (رع قوي العدالة، ومختار رع) لقبًا مختارًا، ونبذ كل النعوت الإضافية التي كانت تضاف إلى اللقب «وسر ماعت رع».

من أجل ذلك يمكن القول بأن اللقب البسيط «وسر ماعت رع» كان من مميزات مدة اشتراك «رعمسيس الثاني» في الملك مع والده، هذا بالإضافة إلى استعماله مع النعوت السالفة بدرجة قليلة في تلك الفترة، مع مراعاة أنه كان يستعمل نادرًا مع النعت «ستبن رع»، أما اللقب «وسر ماعت رع، ستبن رع» فكان يحمله «رعمسيس الثاني» فقط على الآثار التي تُنسب إلى عهد حكمه المنفرد بعد وفاة والده.

وإذا ألقينا نظرة فاحصة على كثير من المعابد التي كان العمل مستمرًّا فيها خلال السنين الأخيرة من حكم «سيتي الأول»، ظهر لنا واضحًا حقيقة اشتراك «رعمسيس» مع والده، فإن «سيتي الأول» كان يستعمل بوجه عام النقش البارز طرازًا رئيسيًّا لتزيين جدران معابده.

ويظهر أن «سيتي» قد وكل أخيرًا لضرورة حربية تزيين معابده لابنه الصغير، وشريكه في الملك «رعمسيس الثاني»، وربما كان هذا هو السبب الذي نجد من أجله رجال بلاطه يخاطبونه كما جاء على لوحة «كوبان» المؤرَّخة بالسنة الثالثة من حكمه، واصفين بعض

نواحي حياته الملكية الأولى قائلين: «وإنه لم يُنفذ أثر إذا لم يكن تحت سطانك.» وقد قفا «رعمسيس» في بادئ الأمر تقاليد والده الهندسية باستعمال النقش البارز، ولكن بعد فترة من الزمن — لا يمكن تحديد مداها — نبذ استعمال هذا الطراز من النقش كلية، واتُّخذ بدلًا منه طراز النقش الغائر، وجعله طرازًا سائدًا متبعًا في مبانيه كلها؛ ولذلك محا عندما انفرد بالحكم كل نقوشه، وقليلًا من نقوش والده البارزة، وأعادها بالنقش الغائر، وهذا التحول في طراز النقش من بارز إلى غائر، يمكن الاهتداء إليه بسهولة عظيمة على جدران المعابد التي أقامها.

ويمكن القول بأن التدرج الذي حدث مدة حكمه من هذه الناحية قد مر في أربعة أطوار تاريخية متتالية معلمة، من حيث الألقاب التي كان يحملها، ومن حيث نقش المعابد، وهي:

- **الطور الأول:** كان «رعمسيس» يحمل اللقب القصير «وسر ماعت رع»، وكان يضيف إليه أحيانًا نعتًا من النعوت السالفة الذكر، هذا إلى أن النقش البارز كان هو الطراز الشائع الاستعمال.
- **الطور الثاني:** كان «رعمسيس» يحمل فيه نفس أشكال لقب الطور الأول المختلفة، غير أن النقوش التي استعملها كانت من الطراز الغائر كلها، والطوران الأول والثاني كانا في عهد اشتراكه في الملك مع والده، هذا إلى أن الطور الثاني قد امتد بعض الشيء في مدة حكمه المنفرد.
- **الطور الثالث:** يبدو فيه جليًا أن «رعمسيس الثاني» قد حول طراز النقش من بارز إلى غائر، وبخاصة في «معبد العرابة»، وقاعة العمد العظمى في الكرنك، وكذلك نشاهد أنه زاد في لقبه القصير «وسر ماعت رع» بإضافة النعت «ستبن رع»؛ أي مختار رع.
- **الطور الرابع:** نجد أن «رعمسيس» حفر نقوشًا جديدة من الطراز الغائر فقط، واستعمل اللقب «وسر ماعت رع ستبن رع»، ويجب أن نضع الطورين الثالث والرابع في فترة انفراده بالحكم، ومن الجائز أنهما كان يتداخلان تاريخيًا.

ومن أهم الشواهد التي قد تبرهن لنا على صحة اشتراك «رعمسيس الثاني» مع والده «سيتي الأول» ما نجده محفورًا حفرًا غائرًا على جدران معبد «بيت الوالي» الواقع في منتصف الطريق بين الشلال الأول والشلال الثاني، وكله منحوت في الصخر، فنشاهد منظر جزية بلاد النوبة يقدمها للفرعون «رعمسيس» طائفة من وجهاء المصريين، ومن بينهم

ولده البكر المسمى «آمون حرونمف» الذي مات قبل إتمام نقش هذا المنظر، وكذلك «أمنمأبت» الذي كان يحمل لقب نائب الملك في بلاد النوبة، وقد أشار الأستاذ «ريزنر» عند درسه نوَّاب الفرعون في بلاد النوبة، إلى أن ابن الملك صاحب «كوش» «أمنمأبت» ابن «باسر» شغل هذه الوظيفة نحو عشرين عامًا، قضى معظمها في خدمة «سيتي الأول»، وأنه قد مثل بلقبه نائب الملك في منظر «بيت الوالي»، الذي يقدم فيه الجزية، وقد أخذ بعد ذلك «ريزنر» يقول: «إنه كان يوجد ابن ملك صاحب «كوش» يُدعى «يوني» ممثلًا على جدران معبد «وادي مياه»، أو «وادي عباد»، وهو المعروف عند الأثريين بمعبد «الرديسية»، ومعه نقوش ذُكر فيها «سيتي الأول»، وأنه كان لم يزَل على قيد الحياة، وأن «يوني» هذا نفسه قد مثل ثانية بوصفه «ابن الملك صاحب كوش» على لوحة منقوشة في الصخر تقع شمال معبد «بو سمبل» الصغير، في عهد «رعمسيس الثاني».» ثم يقرر بعد ذلك «ريزنر» أنه لم يكن في مقدوره أن يجد بين نوَّاب الملك في «كوش» مثالًا واحدًا لنائبين حكما في وقت واحد في بلاد النوبة مدة أربعة القرون التي أمكنه خلالها بحث تاريخ هذه الوظيفة، وبذلك يقرر «ريزنر» أنه إذا كان «أمنمأبت» نائبًا للملك في بلاد «كوش» في عهد كل من «سيتي»، و«رعمسيس»، فمن الواضح جدًّا أن يكون «يوني» قد خلف «أمنمأبت» في مدة اشتراك الملك «سيتي» مع ابنه في حكم البلاد.[٦] ولما كان «أمنمأبت» قد ظهر ممثلًا في النقش الذي في «بيت الوالي» — وهو الذي كان قد نُحت في مدة الطور الثاني، عندما كان «رعمسيس» يستعمل لقب «وسر ماعت رع» — فلا شك في أن هذا اللقب القصير كان من مميزات عهد اشتراك الملكين في الحكم، وإذا كان «سيتي» على قيد الحياة عندما زين معبد «بيت الوالي»، كانت الحملات الحربية التي شنها على «سوريا»، و«لوبيا»، وبلاد «النوبة»، وهي الممثلة على جدرانه قد حدثت في عهد اشتراك الوالد والابن في حكم البلاد؛ ولذلك يمكن العدول عن التفسير الذي ذكره «برستد»، وهو الذي يقول فيه: «إن «رعمسيس الثاني» قد أقحم صورته في نقوش حروب «سيتي الأول» التي حفرها على جدران معبد الكرنك؛ إذ الواقع أن «رعمسيس» قد أضاف صورته لاشتراكه فعلًا في بعض الحملات، ومن المحتمل أنه كان — كما جاء في لوحة «كوبان» — رئيس الجيش عندما كان طفلًا في العاشرة من عمره.» …

وللبرهان الذي عثرنا عليه في نقوش معبد «بيت الوالي» نتائج أخرى؛ إذ لم يقتصر الأمر على أن «رعمسيس» كان مشتركًا في ثلاث حملات على الأقل في حياة والده وحسب، بل إن اثنين من أولاده كانا يصحبانه، وهذا يضع أمامنا مسألة بحث عمره عندما اشترك في الملك مع والده «سيتي».

ولما كنا نعلم أن حكم «رعمسيس» قد امتد نحو سبع وستين سنة — على أقل تقدير، فمن المعقول أنه كان لم يزل حدث السن نسبيًّا عندما اشترك في الحكم مع والده، وتدل موميته بوضوح على أنه كان رجلًا طاعنًا في السن عند وفاته، ولكنا مع الأسف لا نستطيع من فحصها تقدير سنه على التحديد. ومن نقوش السنة الأولى من حكمه — وهي التي عثر

عليها في مقبرة الكاهن الأعظم «نب ونف»، وما يتبعها من رسوم — نعلم أنه كان في هذا الوقت قد بنى بزوجته المحببة إلى قلبه الملكة «نفرتاري».

ولما كانت نقوش معبد «بيت الوالي» قد مثل فيها ابناه الأميران «آمون حرونمف»، و«خعمواست» فلا بد أنهما قد ولدا بطبيعة الحال قبل ذلك ببضع سنين؛ وبذلك يجوز لنا أن نحكم بأن الملكة «نفرتاري» قد تزوجت من «رعمسيس» في صباه المبكر جدًّا، ويحتمل أن ذلك كان قبل اشتراكه مع والده في الحكم، وأنها كانت أم ولديه السالفي الذكر.

والآن يتساءل الإنسان، كم كان عمر «رعمسيس» وقتئذ، وبخاصة أنه كان قد أنجب ولدين في مقدورهما أن يشتركا معه في ساحة القتال، ويقودا العربات، ويقدما الجزية عند الاحتفال بالنصر النهائي، وهو لم يبدأ السنة الأولى من حكمه المنفرد؟

والجواب على مثل هذا التساؤل يقتضي — كغيره من الأسئلة التي يُطلب تفسيرها في التاريخ المصري — أن يكون مبنيًّا إلى حد بعيد على الظن والاستنباط، يضاف إلى ذلك ما قد يكون لدينا من الحقائق الثابتة التي تسعفنا بها الآثار، ومع ذلك فإن لدينا براهين تستحق النظر، غير أنها مع ذلك مبهمة لا يعتمد عليها اعتمادًا تامًّا. ففي مناظر معبد «بيت الوالي» نشاهد كلًّا من الأميرين ولدي «رعمسيس» قد رُسم مُحلى بضفيرة جانبية، وهذه الضفيرة تعد في الفن المصري، والتقاليد المصرية رمز صغر السن والطفولة، غير أنه كان يحتفظ بها أحيانًا عند الأمراء لمدة طويلة بوصفها شارة لرتبة ملكية، ولكنها أقل من رتبة الملك الحاكم، ومن المحتمل إذن أنهما كانا صغيري السن. وقد ذهب «إدوردمير» إلى أبعد من ذلك، إذ قال: «إنهما ماتا في طفولتهما.» وإذا كانا قد تبعا والدهما في ساحة القتال، فكما يفعل الأطفال حين يتبعون مربياتهم،[٧] وليس هناك ما يمنع من أن يكون قد سُمح للطفلين الصغيرين بالظهور أمام الملأ في الحفل الذي أقيم تكريمًا لانتصار والدهما، كما يحتمل أن يكون ظهورهما لأجل أن يقدما لوالدهما بصورة رسمية الجزية التي جُبيت من بلاد العدو المقهور، أما رسمهما وهما يقودان عربتيهما في ساحة القتال فيمكن التجاوز عنه؛ لأن الصورة لا تمثل إلا الكبرياء الفرعوني، والمبالغة المعهودة في فراعنة مصر عند تمثيل الحوادث. ولا أدل على ذلك مما نشاهده في صور الحروب التي مثلت على غطاء صندوق «توت عنخ آمون» وهو يحارب الأعداء، ولم يكن بعد قد تجاوز سن العاشرة. وعلى ذلك يمكن القول بأن ابني «رعمسيس» كانا في طفولتهما عند تمثيلهما على جدران معبد «بيت الوالي»، ومن الجائز كذلك أنهما كانا قد ماتا في طفولتهما على الرغم من أنهما رُسما بالحجم الطبيعي الذي يمثل الرجولة.

وعندما نطبق هذا القياس على صور «رعمسيس الثاني» نفسه في الصور التي ربما كانت تمثله من بداية مجال حياته، نجد فيه ما يمكن أن نعتمد عليه بحق في استنباط براهين على صدق ما نقول بوجه عام، حقًّا إن هذه البراهين لا تخلو من الإبهام، ولكنها مقبولة، فمثلًا؛ في نقوش «الكرنك» التي اقتبسها «برستد» ليبرهن على أن «رعمسيس» لم يكن يومًا ما وارثًا للعرش إلا بعد أن أزال من الوجود أميرًا آخر نجده (رعمسيس) قد رُسم عليها

بصورة أصغر من أي شخص آخر معه، وتعليل ذلك: أن ضيق المكان هو الذي دعا إلى حشر كل صور «رعمسيس» في مساحات صغيرة جدًّا بالنسبة للصور الأخرى، وأغلب الظن أن هذه الأشكال المحشورة لا يمكن أن تعد معاصرة للنقش الأصلي؛ ومن الجائز أنها قد أضيفت إليه بأمر من «رعمسيس» بعد مضي سنين على الحوادث التي أراد تخليدها بنفسه. وإذا ألقينا نظرة فاحصة على منظر التتويج الذي رسمه «رعمسيس» في معبد «القرنة»، شاهدنا أن «رعمسيس» نفسه قد رُسم بنفس الحجم الذي رُسم به والده «سيتي»، وبحجم الآلهة الثلاثة الذين أقيم هذا الحفل في حضرتهم. وإذا كان هذا المنظر يمثل فعلًا تتويج «رعمسيس» مشتركًا في الملك مع والده كما سنرى، فإن ذلك يدل على أنه قد بلغ سن الرشد على الأقل من حيث النمو الجسمي، اللهم إلا إذا اعترفنا — وذلك ممكن — أن «رعمسيس» لم يكن ليسمح أن تُنحت صورته في هذا المنظر بالذات بحجم أصغر من صور والده، أو الآلهة الذين كانوا معه، وعندنا على أية حال ثلاثة مناظر في معبد والده «بالعرابة المدفونة» رُسم فيها «رعمسيس» بوصفه ولي عهد بصورة أصغر من صورة والده «سيتي الأول»، ويلاحظ في كل من هذه المناظر أن اسمه لم يُنقش في طغراء في نهاية سلسلة الألقاب التي لُقب فيها «رعمسيس» «بالأمير، بكر وأولاد الملك من صلبه.»

وفي منظر آخر نشاهد الأمير يحمل الطغراءين اللذين يحتويان اسمه وألقابه على مقدمة ردائه، ويلاحظ أن لقبه قد كُتب بالصيغة القصيرة؛ أي «وسر ماعت رع»، وعلى أساس ما استنبطناه من براهين في نقوش معبد «بيت الوالي» كان «رعمسيس» فعلًا وقتئذ مشتركًا في الملك مع والده عندما حُفرت نقوش «العرابة»، وأنه كان لم يزل وقتئذ صغيرًا لدرجة أنه مثل في هذه المناظر في صورة صبي صغير.

والآن يحق لنا بعد كل ما ذكرناه أن نذهب إلى أن «رعمسيس» عندما بدأ حكمه المنفرد الذي ظل نحو ٦٧ عامًا كان في نحو العشرين من عمره، وكان قد تزوج في الرابعة عشرة أو قبل ذلك من الملكة «نفرتاري»، ولمَّا بلغ السادسة عشرة صار والدًا للأميرين «آمون حرونمف»، و«خعمواست»، وقد صحبه هذان الطفلان مع مربيتيهما في مغامراته الحربية على حسب ما جاء في حقائق مشابهة دونت في نقوش موقعة «قادش».[٨] والواقع أن الأولاد في الشرق ينضجون غالبًا قبل السن المعتادة، فلسنا مبالغين إذا قلنا: إن ولديه قد اشتركا في الاحتفال بنصر والدهما، كما شاهدناهما مصوَّرين على جدران معبد «بيت الوالي»، والظاهر أنهما قد لقيا حتفهما وهما في السادسة والثامنة من عمريهما على التوالي، ومع أنهما قد اختُطفا في سن الطفولة إلا أن حياتهما القصيرة قد خُلدت على نقوش جدران معبد «بيت الوالي» الذي نحته والدهما في صخور بلاد النوبة.

ولدينا مناظر ونقوش عديدة في معبد «القرنة» حُفرت في الطور الأول والثاني، وتمثل الموقف التاريخي الذي شاهدناه في معبد «بيت الوالي»، فقد رُسم — كما ذكرنا — على جدران هذا المعبد منظر تتويج «رعمسيس» مشتركًا مع والده في الملك، وقد نُقش الحفر البارز المميز للطور الأول من أطوار حكمه التي ذكرناها سابقًا. هذا ونشاهد في مناظر ثلاثة شعائر متتابعة من طراز الطور الثاني، اسم كل من «رعمسيس» و«سيتي» يُذكر بالتوالي

في أحوال يمكن فهمها على الوجه الأكمل إذا كانا مشتركين في حكم البلاد بمرتبة متساوية. هذا، ويوجد إفريز محلًّى بعلامات «خكر» أقيم فوق سلسلة المناظر السالفة الذكر، وقد كُرر عليه اسما الملكين بالتوالي؛ مما يدل كذلك على صحة مشاطرتهما ملك البلاد معًا. وفي «العرابة» نجد في كل من معبد «سيتي الأول»، ومعبد «رعمسيس الثاني» ما وجدناه من مادة في كل من معبد «بيت الوالي»، ومعبد «القرنة»؛ إذ الواقع أن جزءًا كبيرًا من معبد «رعمسيس الثاني» كان قد تم بناؤه، وزخرفته قبل موت والده، أما في معبد «سيتي» نفسه فقد صُور «رعمسيس» بوصفه ولي العهد في حضرة والده لابسًا رداء مزينًا بطغراء نُقش فيه لقبه القصير الخاص بعهد اشتراكه في الملك مع والده، وقد أتم «رعمسيس» معبد «سيتي الأول» بعد وفاة والده؛ حيث نشاهد أنه قد حول نقوش والده البارزة في الردهة الثانية إلى نقوش غائرة باسمه، وقد استعمل لقبه الطويل كما كان المنتظر في هذا الطور من تاريخ حياته.

والآن نلقي نظرة على قاعة العمد العظيمة «بالكرنك» التي كان الغرض الأساسي في طراز بنائها محاكاة قاعة عمد معبد «الأقصر»، وتدل شواهد الأحوال على أن العمل قد بُدئ فيها في عهد الفرعون «حور محب» كما أسلفنا، غير أن التصميم الأصلي قد غُير في عهد «رعمسيس الأول»، وقد تم تزيين الممر الشمالي في عهد «سيتي الأول»، وتم تزيين الممر الجنوبي في عهد «رعمسيس الثاني»، وكان إنجاز معظمه في عهد اشتراكه في الملك مع والده.

وإذا أنعمنا النظر وجدنا أن كل الأطوار الأربعة التي تقلب فيها عهد «رعمسيس الثاني» — كما أسلفنا — ممثلة في زخرفة هذه القاعة الشاسعة الأرجاء وفي زينتها، فنشاهد أن أكثر من نصف الصور التي على الواجهة الشرقية لبرج البوابة الجنوبي، وكذلك أغلبية الصور التي على الجدار الجنوبي كانت كلها محفورة حفرًا بارزًا من طراز الطور الأول، ويلاحظ أن هذه النقوش بعينها مضافًا إليها بعض مناظر «سيتي الأول» المحفورة حفرًا بارزًا، قد حُولت إلى نقش غائر في الطور الثالث، عندما أضاف «رعمسيس الثاني» إلى لقبه البسيط نعت «ستبن رع»، وأصبح يلقب «وسر ماعت رع ستبن رع»، ويلاحظ أن النقوش الغائرة من الطور الثاني التي كانت تحمل اللقب القصير «وسر ماعت رع» قد بقيت كما كانت دون إحداث أي تغيير.

(١-١) منظر سفينة آمون المقدسة «وعيد الوادي» وصلتهما بعهد اشتراك «رعمسيس» في الحكم

ومن المناظر التي لها علاقة هامة جدًّا بموضوع اشتراك «رعمسيس» مع «سيتي الأول» منظران رُسما على الجانب الجنوبي لقاعة العمد العظيمة «بالكرنك»، وهما يمثلان سفينة «آمون» المقدسة، وقد صُور على محرابها صورة رمزية لكل من «سيتي الأول»، و«رعمسيس الثاني»، أحدهما بالنقش البارز المميز للطور الأول الذي حول إلى نقش غائر،

والثانية بالنقش الغائر الخاص بالطور الثاني، وقد حافظ «رعمسيس الثاني» عندما غيَّر النقش في الصورة الأولى من بارز إلى غائر على لقب والده، وهذا يعُد برهانًا ساطعًا على رغبته في المحافظة على ذكرى اشتراكه في الملك معه، وتمثل إحدى هاتين الصورتين الاحتفال بعيد الوادي السنوي الذي تكلمنا عنه فيما سبق (راجع الجزء الثالث). وقد أخطأ الأستاذ «زيته» في تفسير منظر هذا العيد، وقال عنه: إنه الاحتفال بعيد «إبت»؛[٩] أي عيد معبد «الأقصر» الذي ذُكر في كثير من نقوش «رعمسيس الثاني» الخاصة بالسنة الأولى من حكمه، وهذا المنظر في الواقع يمثل «رعمسيس الثاني» وهو يؤدي وظيفته المزدوجة بوصفه فرعونًا وبوصفه كاهنًا، أكبر في حين أن والده «سيتي الأول» قد مثل في نفس المنظر يسير في موكب السفينة المقدسة، إمَّا بشخصه، أو بنيابة تمثاله عنه، ويحتمل أن هذا المنظر يمثل الاحتفال بعيد عام بعد تتويجه؛ أي في بداية عهد الاشتراك في الملك قبل موت «سيتي» ببضع سنين. ويلاحظ هنا أن اسم «سيتي» لم يُنعت بعبارة «صادق القول» — أي المتوفى — في كل الأحوال؛ مما يدل في هذا النقش وغيره من نقوش الطور الأول والثاني على وجود عبادة لهذا الملك في «الكرنك» في أثناء عهد الاشتراك في الملك؛ ولذلك كان يظهر «سيتي» بشخصه في خلال إقامة الشعائر الدينية عندما يكون موجودًا في طيبة، وكان ينوب عنه تمثاله إذا غاب، وعلى ذلك يمكن أن نعطي أهمية لاستعمال عبارة «صادق القول» بعد اسمه إذا كانت تستعمل باعتبار ما سيكون من إقامة الأحفال لعبادته عندما يكون حضوره بنفسه أمرًا مستحيلًا. والواقع أن «سيتي الأول» كان مؤلهًا في معبده «بالعرابة» كما ذكرنا آنفًا، وأخيرًا يتساءل الإنسان في هذا البحث: لماذا نبذ «رعمسيس الثاني» في أوائل عهد اشتراكه في النقش البارز المميز لحكم «سيتي الأول» حبًّا في النقش الغائر الذي يميز الطور الثاني من أطوار حكمه، وهو في ذوقنا أقل جمالًا من سابقه؟

والجواب على هذا السؤال لا يخرج عن دائرة التخمين والحدس، فمن الأشياء التي تلفت النظر هو أن هذه الظاهرة توجد في كل المعابد التي أقامها «رعمسيس الثاني» التي استعرضناها حتى الآن،[١٠] وكذلك من الأمور التي لها أهمية، ما نلاحظه في كل المعابد التي له فيها أثر، وهو أن هذا التحول قد ظهر في عهد اشتراك الملكين في الحكم عندما كان «سيتي» لا يزال حيًّا، ومن ذلك يتضح لنا أن تغيير الطراز لم يحدد لنا موت «سيتي»، وكذلك لما كان «رعمسيس الثاني» قد حفر عددًا عظيمًا من النقوش البارزة في أوائل عهد اشتراكه في الملك، فإنه من الواضح أن اتخاذ طراز الحفر الغائر لا ينطبق مع اشتراكه مع والده في الملك.

وإذا أردنا أن نبحث في المصادر المصرية لتفسير ذلك كان جديرًا بنا أن نولي وجهنا ثانية نحو ما ينطق به «رعمسيس» نفسه حين يقول: «لا يوجد أثر أُنجز لم يكن تحت سلطاني (حرفيًّا تحت سلطانك)»؛ وبذلك نجد «رعمسيس» يؤكد عن قصد تسلطه على عمليات البناء وقتئذ؛ مما يجعل الإنسان يميل إلى الاعتقاد بأنه كان صاحب اليد الطولى شخصيًّا في تصميم أمثال هذه المباني وإنجازها. ومن المحتمل أنه في عهد اشتراك الملكين كان

«سيتي» في غالب الأحيان غائبًا عن مصر في حروبه المختلفة، في حين كان «رعمسيس» مقيمًا في البلاد يدير شئون الملك على وجه عام.

ومن الجائز إذن أنه في مثل هذه الأحوال قد تأثر بمبادئ مدرسة جديدة للنحت كانت تعتقد أن طراز النحت البارز من بقايا عصر بائد، ولا بد من التجديد. وعلى أية حال، فإن «رعمسيس» الشاب لم يكن بعيدًا عن عصر «إخناتون» الذي كان قد بدأ يظهر فيه النقش الغائر بصفة واضحة، ومهما يكن تأثير العوامل الخارجية على فكره، فإنا نعلم أنه خضع لنفوذ هذا الطراز من النقش، ولا بد أنه قد اعتنق هذا التجديد عن عقيدة قوية كانت تزداد كل يوم؛ لأنه لم ينبذ النقش البارز حبًّا في النقش الغائر فحسب، بل إنه بعد مدة قصيرة ذهب في حبه لهذا الطراز إلى حد أنه — على الأقل في «العرابة»، و«الكرنك» — كشط كل نقوشه البارزة، ونقشها من جديد بالحفر الغائر، ومن الجائز أنه كان هناك دوافع أخرى قد شجعته على ذلك، منها أن النقش الغائر يمكن إنجازه بسرعة، وهو أبقى على الزمن من الحفر البارز. وعلى أية حال، فإنا نعجب بحماسه وغيرته في هذا الصدد أكثر مما نعجب بذوقه، ولن نحيد إذن عن الصواب إذا قلنا: إن «رعمسيس الثاني» قد وجد الطراز الجديد في عينه أكثر جمالًا من القديم، وأنه كان مقتنعًا بحكمة شبابه أكثر من أي ملك قديم محنك.

هذا ملخص عام للآراء التي أوردها «كيث سيلي» في كتابه عن عهد اشتراك «رعمسيس الثاني» مع والده في الحكم، وهي بلا شك تُعد مقدمة لا بد منها لمن أراد أن يدرس تاريخ «رعمسيس الثاني» من الآثار، وعلى الرغم مما فيها من فروض — قد تصيب وقد تخطئ — فإنها في مجموعها تُعد أساسًا صالحًا لدرس حياة هذا الملك العظيم الذي ملأ الإمبراطورية المصرية بآثاره التي — كما هي الآن — يخطئها العد.

والآن نبتدئ بعد درس الوثائق التي خلفها لنا هذا الفرعون عندما أخذ مقاليد الحكم في يده منفردًا بعد أن ألقينا نظرة عامة على ما قام به في عهد اشتراكه في الحكم مع والده، وأهم هذه الوثائق من الوجهة التاريخية والدينية والهندسية وثيقة الإهداء التي دونها على جدران الجزء الذي أضافه لمعبد والده «بالعرابة المدفونة»، وهي التي أرِّخت بالسنة الأولى من تربعه على عرش الملك بعد وفاة والده.

(أ) وثيقة الإهداء الكبرى في معبد العرابة المدفونة

(١) خطاب أوزير للملك: خطاب «أوزير» رب الأبدية لابنه ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع ستبن رع»: إن قلبي في راحة بفضل ما فعلت لي، وإني لمبتهج بما قد أمرت به لي، وإني لفرح بتقديمك العدالة لي قربانًا؛ لأني أعيش بأعمال الخير التي أهديتنيها مدة أمد السماء، وإن أعمالك الصالحة تشبه أعمال قرص الشمس، وستبقى

أنت ما بقي «آتوم»؛ لأنك تسطع على عرشه، وكذلك ما دام «رع» مزدهرًا عندما يخترق السموات العلا حيثما تكون أنت ملكًا على الوجه القبلي والوجه البحري بفضل أعمالك الصالحة داخل قصرك، وخططك محببة إلى قلبي، وما فعلته في الأفق كان مقبولًا، والمحراب يكون في حبور عندما يسمعك تلقي قصة أعمالك الصالحة، والإله «تاتنن» إله الآخرة قد منحك مئات ملايين السنين.

(٢) خطاب «إزيس»: خطاب «إزيس» العظيمة والدة الإله: يا بني العزيز محبوب «آمون رعمسيس»، إن طول أمد حياتك مثل[١١] طول أمد حياة ابني «حور»، فهكذا أنت، وهكذا سيكون من خرج من بطني، وإنك بار بنا مثله، وإن مدة أجل السماء، وممالك السيد المهيمن «أوزير» جميعها، وسني «حور» و«ست» ستُمنح لك بوصفك ملكًا على الأرض.

(٣) خطاب «سيتي الأول»: خطاب «أوزير» الملك «من ماعت رع» (صادق القول): فليفرح قلبك يا ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع ستبن رع»؛ لأن «رع» إله الشمس يهبك الخلود، و«آتوم» يبتهج باسمك «حور» الغني بالسنين، تأمل إني في حبور يوميًّا؛ لأني أعود إلى الحياة من جديد، وإني لفي سرور لما فعلته لي منذ أن دعيت صادق القول؛ أي توفيت، ولقد عظمني «وننفر» (أوزير) لما فعلته لي.

(٤) خطاب «رعمسيس الثاني»: خطاب ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع ستبن رع» لوالده «أوزير»: إني أتضرع لوجهك كما كان يفعل ابنك «حور»، وإني أفعل ما يفعله فأعمل لك آثارًا في المكان المقدس (الجبانة)، وأضاعف الأوقاف لروحك، وإني أنا المجيب عن والدي وهو في عالم الآخرة السفلي، وإني تحت تصرفك، وتحت سلطانك، ولما كنت أعرف أنك تحب العدالة فإني أقدمها لجمالك حاملًا إياها على راحتي أمام وجهك حتى تجعل الأرض ملكًا لي في سكينة، وحتى تهبني الخلود بوصفك ملكًا، والأبدية بوصفك راعيًا للأرضين، وإني على استعداد لتنفيذ ما يحبه قلبك كل يوم بلا انقطاع.

(٥) رحلة رعمسيس الثاني إلى «طيبة»، وسرد أعماله التي قام بها تكريمًا لوالده: لقد كان ولدًا بارًّا بأبيه مثل «حور» عندما انتقم لوالده «أوزير»، فهو الذي صور من سواه، ونحت تمثال من أنجبه، وأحيا اسم من وضع بذرته ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع ستبن رع» ابن الشمس الذي يحبه، ورب التيجان «آمون مري رعمسيس» معطي الحياة مثل «رع» مخلدًا «أوزير» سيد «العرابة»، فقد ظهر سيد الأرضين ملكًا ليحافظ بتقى على ذكرى والده في السنة الأولى في أثناء سياحته الأولى إلى «طيبة»، وقد نحت تمثالين لوالده الملك «من ماعت رع»، أحدهما في «طيبة»، والآخر في «منف» في المعبدين اللذين أقيما لهما هناك، وزاد في جمال ما كان موجودًا في «تاور» في ضاحية «العرابة»؛ لأنه كان يحب ما يميل إليه قبله (أي قلب والده) منذ أن وُجد على الأرض؛ أي على تربة «وننفر» (أوزير)، وقد جدد إصلاح آثار والده التي في الجبانة ليجعل اسمه باقيًا، وقد بدأ في نحت تماثيله، وتخصيص قربان ثابت لروحه المبجل، وإمداد معبده، وتموين قربانه، وإصلاح ما كان قد تخرَّب في المثوى الذي يعزه. وكذلك أقام العمد في معبده، وبنى جدران سوره، وأخذ في تدعيم أبوابه، وفي إقامة أنهار في مثوى والده في بقعة «أوزير» (؟) … والبوابة المزدوجة المقامة في الداخل (؟)، ويرجع الفضل في ذلك لأعمال الملك الشجاع ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع ستبن رع» ابن «رع مري آمون رعمسيس»، معطي الحياة لوالده «أوزير من ماعت رع» صادق القول، وقد أسس له أملاكًا وأمدها بالأرزاق لما له من سمعة بين الملوك، وكان قلبه رفيقًا بمن أنجبه، ولبه شفيقًا على من نشأه.

(٦) وصف حالة آثار العرابة التي وجدها عليها الملك عند عودته من «طيبة»: واتفق ذات يوم في السنة الأولى في الشهر الثالث من الفصل الأول في اليوم الثالث والعشرين أنه منذ العيد (؟) … بعد أن سار في ركاب «آمون» حتى «الكرنك» طلع الملك مغمورًا بالثناء من «آمون-آتوم» في «طيبة» لشجاعته وبطشه، وقد كافأه هذا الإله بملايين من السنين أكثر عددًا من سرمدية «رع» في السماء، وعندما سمع … هادئًا (؟) في خلود الزمن والأبدية، وقد رفع ذراعه حاملًا المبخرة نحو أفق الذي يستقر في الحياة (؟)، ولقد كانت

قرباته طيبة ومقبولة عند والده رب الحب، وعاد جلالته من البلدة الجنوبية (طيبة) … «رع»، وقد بدأ السير في طريقه بعد أن أعدت العدة، ومخرت السفينة الملكية عباب الماء متجهة صوب الشمال إلى مكان الشجاعة بيت «مري آمون رعمسيس»، العظيم الشجاعة.

وقد دخل جلالته ليرى والده مقلعًا في مياه قناة «تاور» ليقرِّب القرابين للإله «وننفر» في المكان الجميل الذي يحبه روحه، وليسلم على ٦ … أخاه «أنحور» ابن «رع حقا»، وهو مثله تمامًا.

وقد وجد مباني الجبانة التي من عهد الملوك الأقدمين، وكذلك مقابرهم التي في «العرابة» آيلة للخراب، ولا يزال البناء جاريًا في نصفها … ساقطًا على الأرض، وجدرانها منبوذة على الطريق، ولم تكن لبناتها متماسكة، وقد درس ما كان قائمًا منها، ولم يكن هناك إنسان ليبني … ما كان قد عمل تخطيطه أبدًا (؟) منذ أن طار إلى السماء أصحابها، ولم يكن هناك ابن يقوم بإصلاح ما تركه والده من آثار في الجبانة.

أما معبد الفرعون «من ماعت رع»، فكان البناء جاريًا في واجهته ومؤخرته عندما دخل الملك السماء، وكانت مبانيه لم تُنجز بعد، ولم تكن قواعد عمده قد أقيمت، وكان تمثال الفرعون ملقى على الأرض، ولم يكن قد نُحت بعد على حسب القواعد المتبعة في محاجر «حتنوب» (؟)، وكانت قد انقطعت قرباته وكهنته غير المحترفين أيضًا، وقد استولى على ما كان قد جُلب إليه؛ لأن حقوله وحدودها لم تكن قد ثبتت تمامًا على الأرض.

(٧) «رعمسيس الثاني» يعقد مجلسًا من رجال بلاطه وموظفيه: تحدث جلالته لحامل خاتم الوجه البحري الذي كان بجانبه: تكلم، ادعُ رجال البلاط والأشراف ورؤساء البلاط جميعًا، ومديري الأعمال بجملتهم، والمشرفين على بيت الكتب، وقد أحضروا لجلالته وأنوفهم تقبِّل الأرض راكعين مهللين فرحًا، رافعين أكف الضراعة لجلالته، ثم أخذوا في إطراء هذا الإله الطيب، وعظموا فضائله في حضرته، وتكلموا بخير عما أنجزه، وتأثروا أعمال شجاعته كما وقعت، وكل كلام خرج من أفواههم يطابق ما فعله سيد الأرضين

بحق، وبعد ذلك انبطحوا على بطونهم، وتمرَّغوا على الأديم أمام جلالته قائلين: لقد أتينا إليك يا سيد السماء، ويا رب الأرضين يا «رع»، يا حياة العالم كله، ويا سيد الأبدية، ويا قويًّا في دوراته، يا «آتوم» الإنسانية، ويا صاحب الحظ السعيد، ويا خالق الكثرة، ويا «خنوم» بارئ البشر، ويا واهبًا أنوف المخلوقات نفس الحياة، ويا من يجعل التاسوع الإلهي كله يعيش، ويا عماد السماء، وقوام الأرض، ومنظم شاطئ النيل، ومعدلهما، ورب الغذاء وصاحب الغلال الوفيرة، أنت يا من تحت قدميه الإلهة «رنوتت» إلهة الحصاد، ويا من يخلق العظماء، ويسوي الصغار، ويا من كلامه طعام، يأيها السيد السامي اليقظ عندما ينام الناس، ويا من تحمي شجاعته مصر، ويا شديد البأس على الأجانب، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا (؟)، ومن خنجره يحمي الدلتا، ويا محبوب الإلهة «ماعت»، والعائش بالقوانين التي سنتها، ويا مدافعًا عن شاطئ النيل، والغني في السنين، والعظيم الانتصارات، ويا من سحق البلاد الأجنبية خوفهم إياه، يا مليكًا، ويا شمسًا، ويا من كلامه حياة «آتوم»، تأمل إنا أمام جلالتك لتأمر بمنحنا الحياة التي تهبها، يأيها الفرعون الحي السليم القوي، يا نسيم أنوفنا، ويا حياة كل البشر عندما تسطع عليهم.

(٨) الملك يقص خبر توليته عرش الملك، ويستعرض مشاريعه: ثم تحدث إليهم جلالته قائلًا: «تأملوا؛ لقد أمرت بدعوتكم لما جال بخاطري عندما شاهدت مباني الجبانة ومقابر «العرابة» لم تنجز أعمالها بعد منذ زمن أصحابها حتى اليوم؛ ذلك أنه عندما يخلف ولد أباه على عرش الملك يجب عليه أن يتم ما شرع فيه، ووضع أسسه أبوه؛ من أجل ذلك قلت لنفسي: إذا أعاد المرء إقامة ما تهدم جلب لنفسه سعادة الحظ، وإنه لعمل صالح أن يفكر الإنسان في ذلك، وإنه لجميل أن يهتم لب الابن بوالده، وبمثل هذا يدفعني قلبي لعمل أشياء نافعة لـ «مرنبتاح» (سيتي الأول)، وإني سأعمل حتى يقول الناس إلى الأبد السرمدي، إنه ابنه الذي جعل اسمه يحيى؛ ومن أجل هذا سيخصني والدي «أوزير» بحياة ابنه «حور» الطويلة؛ جزاء ما سأقوم به من الأعمال الطيبة لوالدي؛ لأني كنت بارًّا به كما كان «حور» بارًّا بمن أنجبه، وإني خرجت من «رع» … قولوا أنتم (أي (؟)) إن «من ماعت رع» والرب العالمي نفسه «أوزير» قد نشأني وجعلني أنمو حينما كنت لا أزال

طفلًا حتى أصبحت ملكًا وأعطاني الملك (؟)، ومنذ أن كنت لا أزال في البيضة، وكان العظماء يقبِّلون الأرض أمامي، وأنا لم أزل أنشأ بوصفي البكر، والأمير الوراثي على عرش «جب»، وإني وضعت التقرير (؟) (٤٥) عن أحوال الأرضين بمثابة قائد المشاة والخيالة، وعندما كان يظهر والدي أمام الشعب كنت طفلًا صغيرًا بين ذراعيه، وكان يقول عني: «توِّجوه ملكًا حتى أرى جماله وأنا لا أزال حيًّا.» وعلى ذلك دعي المهندمون ليضعوا التيجان على جبيني، وقيل: ضعوا له التاج على رأسه حتى ينظم هذه البلاد، ويدير شئون مصر … وليولِّ وجهه شطر الناس (هكذا تكلم (؟)) (٤٧) … باكيًا بسبب الحب العظيم الذي كان يكنه لي في جوفه، وقد أمدني بإماء، ووصيفات فاتنات (؟) مع عذارى من القصر، وقد انتخب لي زوجات من بين اللائي يؤخذ منهن مغنيات «آمون» … وأراد أن يخصني من بين نساء القصر مربية (؟) تأمل، لقد كنت «رع» (الشمس) فوق الناس، فأهل الجنوب وأهل الشمال كانوا تحت نعلي … وإنه أنا الذي (٤٩) … قد صنعت تمثال والدي من الذهب، وثبَّت حقوله … وحبست القربان على روحه (٥٠) … من خمر وزيت خروع، وكل أنواع الفاكهة وكل باكورات المحاصيل، ونميت المزارع له. تأمل، لقد وضع معبده تحت ملاحظتي، وكل أشغاله كانت تحت مراقبتي منذ أن (؟) … حينما كنت طفلًا (٥١) … لأجل (؟) والدي، وسأكبرها بإعادة إقامة المباني، ولن أهمل مكانها كما فعل أولئك الأطفال الذين نسوا والدهم، وسأعمل حتى يقول الناس (٥٢) … ولد كان يعمل الطيبات، والأعمال الجبارة التي أنجزتها إكرامًا لوالدي عندما كنت لا أزال طفلًا أريد أن أتمها الآن وأنا سيد القطرين، وإني سأستعمل بإخلاص أحسن وسيلة (؟) … (٥٣) … وإني سأقيم جدرانًا في معبد من أنجبني، وسأكِل لرجل ممن أختار العناية بإدارة الأعمال، وسأسد الثغرات التي في الجدران، وإني … هذه البوابات، وسأغطي بيته بسقف، وأقيم واجهته، وسأضع قطعًا من الحجر في أماكن الأسس. وإنه لجميل أن يقيم الإنسان أثرًا فوق أثر، فهما شيئان مفيدان يعملان دفعة واحدة، ويحملان اسمي واسم والدي، فهكذا كان الأب، وهكذا من أنجبه أيضًا.»

(٩) جواب المستشارين: وعندئذ تكلم السمار الملكيون مجيبين الإله الطيب: «إنك «رع» (الشمس)، وجسمك جسمه، ولا يوجد قط ملك يشابهك، فأنت وحدك مثل ابن «أوزير»، وتعمل على حسب خططه (٥٦) … «حور» بن «إزيس»؛ ولم يفعل أي ملك هكذا (؟) منذ عهد «رع» إلا أنت وابنه، وإن ما فعلته أعظم مما فعله منذ أن تولى الملك بعد «أوزير»، وإن قانون البلاد يثبت ويستقر عندما يكون الابن مهتمًّا بشأن من أنجبه، والبذرة المقدسة … ذلك الذي سوَّاه، والبيضة (؟) تحيط بالعناية مربيها المبجل (أي والده)، ولم يفعل بعد إنسان ما فعله «حور» لوالده إلى هذا اليوم إلا جلالتك … فقد عملت ما لم يعمل من قبل، فأي مثال فضيلة يوجد (٥٨) في استطاعتنا أن نأتي به لنذكره أمامك؟ ومن ذا الذي يأتي لينصحك عندما يفكر في الذي أتيته بمحض عبقريتك؟ لقد صيرت الجاهل … حلوًا، وإن في قلبك لحلاوة لوالدك «من ماعت رع» الوالد الإلهي محبوب الآلهة «مرنبتاح» صادق القول، ومنذ عهد «رع»! ومنذ عهد أن تُوج الملوك لم يوجد آخر مثلك؛ إذ لم يرَ مثلك وجه، ولم يسمع لمثلك قول، كما لم يوجد ابن آخر قد جدد آثار والده، ولا أحد اعتلى العرش مثلك قد حافظ بصلاح على ذكرى والده إذ كان كل واحد يعمل لما فيه فائدة اسمه إلا أنت و«حور» هذا؛ ولذلك فإنك وابن «أوزير» سيان.

تأمل، إنك وارث ممتاز مثله؛ إذ تدير ملكه بنفس طريقته، وإذا فعل أي فرد ما فعله الإله كان له نفس طول عمره (أي عمر الإله) وإن قلب «رع» في السماء لفرح، والآلهة مبتهجون بمصر منذ تتويجك ملكًا على الأرضين جميل … وإن عدالتك لممتازة، وإنها تصل إلى السماء، وإن خططك مستقيمة لقلب «رع»، وإن «آتوم» لممتلئ حبورًا، والإله «وننفر» منتصر بفضل ما فعلته جلالتك لروحه، ويقول … إني أمنحك (؟) أمد هاتين السماءين وآلهة المكان سرى (؟) لصاحبه سيد العالم السفلي يقولون: (؟) إنك ستكون على الأرض مثل «آتون» ص شمس)، وإن قلب «مرنبتاح» لفرح؛ لأن اسمه قد أحيي من جديد، وإنك تصوغه من ذهب، وأحجار كريمة حقيقية … من السام … وإنك تصنعه من جديد باسمك، وكل الملوك الذين في السماء، والذين كانت مبانيهم لم تزل في دور التنفيذ، ليس لهم ولد قد عمل ما عملته منذ عهد «رع» حتى هذا اليوم … (٦٥) …

جلالتك، والذي فعله قد جددت ذكراه بعد أن كان قد نسي، ولقد جددت آثارًا في الجبانة، كما أن كل المشروعات التي كانت مهملة قد أنجزتها على الوجه الأكمل (؟) … (٦٦) … والأجيال تمرُّ، ويحل غيرها، وجلالتك ملك الوجه القبلي والوجه البحري؛ لأنك أنت الذي تعمل الخير، وقلبك مرتاح لإقامة العدل، وما عمل في زمن الآلهة سيسمع (؟) … (٦٧) … وعندما تُرفع إلى السماء ستصعد أعمالك الصالحة حتى الأفق؛ والأعين ترى أعمالك العظيمة التي أُنجزت أمام الآلهة والناس، وإنك أنت الذي تعمل، وإنك أنت الذي تكرر الأثر فوق الأثر للآلهة على حسب أوامر والدك «رع» (٦٨) … واسمك في كل بلد من أول بلاد النوبة جنوبًا وشمالًا من أول شواطئ البحر حتى بلاد «رتنو» حيث القبائل البدوية (؟)، وفي الأماكن الملكية الحصينة، وكذلك في المدن المشيدة، والتي يسكنها الناس (٦٩) … وكل الأماكن تعرف أنك إله لكل الموجودات، والناس يسهرون ليقوموا لك بتقديم البخور على حسب أمر والدك «آتون» الذي تعظمه مصر، وكذلك تفعل الأرض الحمراء (الصحراء).»

(١٠) تقديس معبد «سيتي» الذي أتمه «رعمسيس الثاني» (٦٩–٧٥): وبعد أن سمعت هذه العبارات التي فاه بها هؤلاء العظماء أمام سيدهم؛ أعطى جلالته الأمر بأن توكل الأعمال لمهندس البناء، فانتخب جنودًا وعمالًا بنائين، ونقاشين، ورسامين محترفين (؟) وعمالًا من كل طوائف الصناع لبناء قدس أقداس والده، ولأجل إصلاح ما كان قد تخرَّب في الجبانة، وفي مثوى والده الجنازي. تأمل، إنه قد بدأ في نحت تمثاله في السنة الأولى، وفي الوقت نفسه ضاعف القربان لأجل روحه، حتى أصبح معبده ممونًا كما يجب، وكذلك أمده بما يلزمه، وقد عمل قائمة أملاكه دفعة واحدة بما تحويه من حقول، وزراع، وقطعان ماشية، وعيَّن الكهنة، وحدد اختصاصاتهم تمامًا، فخادم للإله لتكون السجلات تحت إدارته، وهؤلاء الناس تحت … لأجل إدارة ممتلكاتهم (؟) … وهذه المخازن كانت غنية بالحبوب (٧٤) … وأملاكه الشاسعة في الجنوب والشمال قد وُضعت تحت مراقبة مديره، ويرجع الفضل في ذلك لما فعله مدير الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع» «ستبن رع» ابن رع محبوب آمون «رعمسيس» معطي الحياة سرمديًّا ومخلدًا؛

لأجل والده الملك «من ماعت رع» صادق القول (٧٥) … تحت إدارة «وننفر»، وقد أعاد ما كان قد فعله لروحه في «طيبة»، و«هليوبوليس»، و«منف»، وتماثيله جاثمة مكانها في طرق الصحراء كلها.

(١١) خطاب الفرعون لوالده «سيتي» (٧٥–٩٨): «وهاك كلام ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع» «ستبن رع» ابن الشمس سيد التيجان، محبوب «آمون» «رعمسيس» معطي الحياة، عندما أعلن ما فعله لوالده «أوزير» الملك «من ماعت رع»، صادق القول إذ يقول: تنبه وولِّ وجهك قِبل السماء لترى «رع» يا والدي «مرنبتاح» أنت يا من أصبحت إلهًا، انظر لقد جعلت اسمك يحيى، وإني أرعى صلاح ذكراك؛ إذ أعتني بمعبدك (٧٧)، وقربانك ثابت دائم، وإنك تُثوى في العالم السفلي مثل «أوزير» في حين أني أشرق مثل «رع» على الإنسانية، وأجلس على عرش «آتوم» مثل «حور» بن «إزيس»، الذي انتقم لوالده، ما أجمل ما فعلته لك (؟) فإنه مضاعف الحسن (؟)؛ لأنك عدت به إلى الحياة من جديد! فقد صنعت لك تمثالًا، وبنيت مثواك الذي كنت ترغب فيه، والذي فيه صورتك في جبانة العرابة (إقليم الأبدية)، وإني أضع قرابين لتماثيلك، كما تقدم لك هبات يومية، وما فعلته كان بطريقة محكمة حتى إذا نقصك شيء فعلته لك؛ لأن كل ما يرغب فيه قلبك مفيد لسمعتك (؟)، وإني أُعين لك خدمًا للمائدة (٨٠) ليحملوا الطعام لروحك، وليصبُّوا الماء له على الأرض من خبز وماء على التوالي، ولقد أتيت بنفسي مرتين (؟) لأزور معبدك الذي بجوار «وننفر» ملك الأبدية، ولقد عكفت على أعمال هذا المعبد؛ فبنيت رقعته (غطيتها بالبلاط) (٨١)، وإني … ما رغبت فيه، وأقمت كل مساكنك التي نبت فيها اسمك سرمديًّا؛ ولقد فعلت كذلك لأجل حالة معبدك الطبعية (أي لتكون هذه الحالة الطبعية باقية ثابتة) وإني أهبك أقوام الجنوب، الذين يحملون العطايا لمعبدك، وأقوام الشمال الذين يحملون جزيتهم لوجهك الجميل، وقد جمعت كل من يعمل لك هدايا في مكان واحد تحت ملاحظة (؟) كاهن معبدك حتى تبقى ملكيتك كتلة موحدة (لا تقسم) على حين أن الأشياء تحمل إلى معبدك مدى الخلود.

وقد جعلت خزانتك فاخرة؛ إذ ملأتها بالخيرات على حسب رغباتك (؟)، وإني أقدمها لك في الوقت نفسه مع الجزية التي تستحقها (؟)، وإني أهديك سفينة نقل بحمولتها على البحر الأبيض مشحونة بالذخائر العظيمة من بلاد الآلهة، والتجار يتجرون في سلعهم، وطرائفهم المشغولة (؟) من ذهب وفضة ونحاس، ودونت من أجلك قوائم حقول كانت من قبل معروفة شفويًّا فقط (؟) ... على الأراضي العالية المقدرة بالحقول، وإني أمدها بملاحظين ومزارعين لحصد الحبوب للقرابين المقدسة، وإني أقدم لك سفنًا بنواتيها، والنجارون يشتغلون حتى لا يكون هناك ما يعوق سير السياحة إلى المعبد.

وقد جمعت لك قطعانًا من كل نوع من الحيوان الصغير لإمداد قرابينك بطريقة منظمة، وخصصت لك أوزًا مجلوبًا من حظائر التسمين (؟)، وأخرى (٨٧) ... وكذلك أوزًا حيًّا لتتربى، وهي تلك التي كانت قد فقست (؟)، وعيَّنت صيادين على المياه في البحيرات ليحصلوا لك على دخل يقدر بحمولة سفن (؟)، وقد أمددت معبدك بكل الحِرف (٨٨)، وجلالتي يسهر على الإشراف على المعبد (؟)، وكهنة الساعة كاملون من جهة عدد الرءوس (؟) والفلاحون قد أجبروا على عمل النسيج اللازم للملابس، أما عبيد حقولك في كل مركز؛ فيحمل كل رجل جزيته لملء بيتك. تأمل، فإنك قد دخلت السماء في صحبة «رع» تختلط بالنجوم وبالقمر! وإنك ترتاح في العالم السفلي مثل الذين يسكنون بجانب «وننفر» سيد الأبدية، وذراعاك تجرَّان سفينة «آتوم» في السماء، وعلى الأرض مثل النجوم السيارة، ومثل النجوم الثابتة (القطبية) حينما تكون في مقدمة «سفينة ملايين السنين»، وعندما يشرق «رع» في السماء تصوب عينيك إلى جماله (٩١)، وعندما يخرج «آتوم» من العالم السفلي تكون بين أتباعه، وإنك قد دخلت القاعة السرية في حضرة سيدها، وخطواتك تذهب بعيدًا في أعماق العالم السفلي، وإنك تتآخى مع تاسوع الجبانة المقدس. تأمل، لقد طلبت الهواء لخيشوميك الفخمين؛ وإني أعلن اسمك كثيرًا يوميًّا (؟)، وإني ... والدي ... (٩٣)، وإني أعلن أعمالك العظيمة عندما أكون في الممالك الأجنبية، وإني أصنع هدايا لك وذراعاي محملتان بالقربان باسمك (لروحك) (؟) في أماكنك كلها، ليتك تقول لـ «رع» ... (٩٤) امنح الحياة ابن «وننفر» بقلب محب، وأعطِ

حياة طويلة فوق حياة طويلة موحدة في أعياد ثلاثينية للملك «وسر ماعت رع ستبن رع» معطي الحياة، وإنه لمن الخير لك أن أكون ملكًا مخلدًا (٩٥)؛ لأنك ستكون … بابن بار سيذكر والده، وإني أستشير في أمر معبدك كل يوم عما يخص شئون روحك في كل أنواع المواد، فإذا سمعت أن تلفًا على وشك أن يحدث أعطيت الأمر بتجنبه في الحال بكل أنواع المواد اللازمة، وإنك ستكون كأنك لم تزَل عائشًا ما دمت أحكم، وإني أسهر على معبدك كل يوم يطلع (؟)، وإن قلبي يحيطك بالعناية، وإني أرعى صلاح ذكرى اسمك، وأنت في العالم السفلي، وكل شيء سيصير على ما يرام لك ما دمت أحيا عمرًا طويلًا بوصفي محبوب «آمون رعمسيس» معطي الحياة مثل رع ابن رع.»

(١٢) شكر «سيتي الأول» لابنه (٩٨–١١٦): كان الملك «من ماعت رع» «صادق القول» (متوفى)، ذا روح سامية ﻛ «أوزير»، مبتهجًا بالسرور من أجل كل ما فعله ابنه، منفذًا الأشياء الممتازة ملك الوجه القبلي والوجه البحري، ورئيس الأقواس التسعة، سيد الأرضين، «وسر ماعت رع ستبن رع» ابن الشمس، رب التيجان، محبوب «آمون رعمسيس»، مخلدًا وسرمديًّا، وقد أعلن كل أعماله الصالحة أمام «رع حور اختي»، وأمام الآلهة الذين في العالم السفلي. تأمل! إنه تكلم بقوة كما يتكلم والد على الأرض لابنه قائلا: فليبتهج قلبك كثيرًا يا بني العزيز، «وسر ماعت رع ستبن رع»، معطي الحياة بسبب (؟) … إن «رع» يمنحك ملايين السنين، والأبدية على عرش حور (١٠١) الأحياء، وإن «أوزير» يرجو لك بقاء السماء التي تشرق فيها مثل «رع» كل صباح، وإن الحياة والصحة معك … والصدق والقوة، وابتهاج القلب هي من عمل مَن هو غني بالسنين (١٠٢)، وإن القوة والنصر ملكك أنت يا عظيم الانتصار، والصحة ملك أعضائك مثل ما هي ملك أعضاء «رع» في السماء، والفرح والسرور في كل الأماكن التي توجد فيها يأيها الملك، يا حامي مصر، وغال الأقوام الأجنبية، وإن الأبدية قد عملت لتكون عمرك، بوصفك ملك الوجه القبلي والوجه البحري، مثل «آمون» عندما يكون مزدهرًا حينما يشرق، وعندما يغيب. تأمل! ما قلته لرع بقلب محب، امنحه الخلود على الأرض مثل «خبر رع»، وقد كررت على «أوزير» عندما دخلت أمامه ضاعف له عمر ابنك «حور»، وعلى ذلك تأمل فقد أجاب

«رع» في أفق السماء، ليت الخلود والسرمدية، وملايين السنين تكون ملك ابن «رع» في صورة أعياد ثلاثينية، وهو الخارج من ظهره، والعزيز محبوب «آمون رعمسيس» معطي الحياة، ومنفذ الأشياء السامية! وقد وهبك «آتوم» مدى عمره بوصفك ملكًا، وقد تجمعت القوة والانتصارات (١٠٦) في ركابك، وقد دونها «تحوت» بجانب السيد العالمي، وقد صاح التاسوع المقدس: نعم، إن «رع» في سفينته، وهو سيد سفينة الليل، وقد جمعها له، وعيناه تريان ما فعلته من الأشياء الممتازة، عندما يخترق السماء في ريح رخاء كل يوم، وإن خلفه لفي بهجة عظيمة عندما يستذكر أعمالك الصالحات، وحبك في صدره كل يوم إلى أن يغيب «آتوم» في الأرض الغربية. تأمل! فإن «وننفر» أصبح منتصرًا بما فعلته جلالتك له بكل إخلاص (؟)، وقد أيقظه «حور» لذكرى أعمالك الصالحات، وإن قلبي لفي سرور مضاعف بالخلود الذي منحه إياك. تأمل! فإني أتسلم الأشياء التي أعطيتنيها — خبزي ومائي — بقلب حنون، وإن نسمات الريح تصل إلى أنفي من أجل ما آتاه ابن سليم القلب، وحام مبرًّأ من الإهمال، عارف كل جميل (؟)، وإنك تعيد أثرًا فوق أثر لـ «أوزير»، تحت ملاحظتي (؟)، في حضرتي … (١١١)، في داخل «تاور» (إقليم العرابة)، ولقد أصبحت عظيمًا من أجل ما فعلته لي، وقد وضعت على رأس دولة الأموات (؟)، وقد تحوَّلت (؟)، وتألهت أكثر مما تستحقه فضائلي منذ أن اهتم قلبك بي في أثناء وجودي في العالم السفلي، وإني والدك الحق الذي أصبح إلهًا، ولقد اختلطت بالآلهة المرافقة لـ «آتوم»، وكنت (١١٣) … الذي في السفينة … «رع» (؟) مثل واحد من الذين … منذ أن سمعت (١١٤) أنه يذكر طيبتك … تأمل، فإنه سيكون لك بقاء طويل في الحياة، وإن «رع» قد منحك … أبديًّا مثل … وإن صورة «آتوم» الحية، وكل كلامك يتحقق مثل كلام سيد العالمين، وإنك بيضة «خبر رع» الممتازة، والبذرة المقدسة الخارجة منه، ومن أنجبته هو ما خلقه «رع» نفسه، ويقول لك … مثل منفذ (؟) … المربي، وإنك تأتي بوصفك «رع» منبع الحياة للناس، فالجنوب والشمال تحت قدميك، ويرجو أن أعيادًا ثلاثينية لأجل «وسر ماعت رع ستبن رع»، وكذلك دوام رب العالمين عندما يشرق، وعندما يغيب في خلود سرمدي.

تعليق

لا نزاع في أن هذا المتن على ما به من عبارات تقليدية، ومراسيم دينية، وأساطير يقدم لنا ملخصًا رسميًا حقيقيًا عن المباني والأوقاف التي أخذ «رعمسيس الثاني» على عاتقه القيام بإنجازها في مدينة «العرابة المقدسة» لأجل الآلهة العظام، ولأجل عبادة والده «سيتي الأول» المتوفى، وكذلك يضع أمامنا بهذه المناسبة تاريخ شباب «رعمسيس»، وتتويجه ملكًا على البلاد منفردًا، وقد حاول مؤلف هذه النقوش التي دونت بطبيعة الحال على حسب تعليمات خاصة من «رعمسيس» نفسه أن يضعها أمامنا في صورة تمثيلية رائعة، جمع فيها بين الدين والأخلاق، والتاريخ، والآثار معًا، فيظهر أمامنا على المسرح أولًا الإله «أوزير» الذي يعد أعظم آلهة بلدة «العرابة المدفونة» التي أقام فيها «سيتي الأول» معبده العظيم تكريمًا لهذا الإله، وغيره من آلهة الدولة العظام، مما فصلنا فيه القول عند التحدث عن حياة «سيتي»، فيخاطب «أوزير» «رعمسيس الثاني» مظهرًا له اغتباطه بما قام له به من جليل الأعمال الخالدة في معبده، وبخاصة تقديمه له العدالة، وهي أعز شيء عند الآلهة؛ بمثابة قربان يعيشون عليه؛ ولذلك يقول له: «إني سأعيش على أعمال الخير التي قدمتها لي طوال أبدية السماء، وإنك ستبقى ما بقي الإله «آتوم»؛ لأنك تسطع على عرشه بأعمال الخير التي قمت بها.» وكذلك يقول له: «إن الإله «تاتنن»، وهو صورة من صور «أوزير» في العالم السفلي قد أعطاك ملايين السنين تحياها حياة طيبة.»

وبعد أن ينتهي «أوزير» من خطابه هذا الموَجه لابنه «رعمسيس» تظهر الإلهة «إزيس» على المسرح، وهي زوجه وأم الإله «حور»؛ فتخاطب «رعمسيس» قائلة له: «إن طول حياتك سيكون مثل طول حياة ابني «حور».» وقد كان «حور» هذا أول ملك حكم على الأرض بعد موت «أوزير» والده، هذا إلى أن جميع ما كان يتسلط عليه «أوزير»، وكذلك السنين التي حكمها الإله «حور»، والإله «ست» معًا، سيمنحها «رعمسيس» أيضًا، وبعد أن تفرغ «إزيس» من خطابها الموجه لابنها «رعمسيس» يأتي دور والده «سيتي» الذي أصبح مثل «أوزير» يحكم في عالم الأموات؛ فيظهر على المسرح مبشرًا «رعمسيس» بأن الإله «رع» سيمنحه الخلود، وأن الإله «آتوم» مسرور؛ لأنه قد أصبح «حور»؛ أي ملكًا بعد وفاته هو، ثم يخبره بأنه مبتهج بما قام له به من جليل الأعمال في «العرابة المدفونة» منذ أن أصبح «صادق القول»؛ أي منذ أن ذهب إلى عالم الآخرة، ولكن تأثير أعمال ابنه الصالحات قد جعلته يعود للحياة من جديد بما يقدمه له من قربان. هذا إلى أن الإله «وننفر» (الكائن الطيب)، وهو الذي يمثل الإله «أوزير» في عالم الآخرة قد رفعه إلى مكانة علية بسبب ما فعل الابن لأبيه، ولسنا في حاجة إلى التنويه بما في هذه العبارات من مبادئ قويمة عن معاملة الابن لأبيه؛ مما وصَّت به كل الأديان السماوية التي جاءت بعد العهد الذي نحن بصدده.

وبعد فراغ الوالد من التحدث لابنه جاء دور «رعمسيس الثاني»؛ فظهر على المسرح ووجه خطابه للإله الأعظم «أوزير» في أدب جم، واحترام بالغ، وافتتح كلامه بالصلاة والدعاء له، كما كان يفعل له «حور» ابنه، ثم طمأنه بأنه سيسير على نهج «حور» الذي كان يعد ملكًا

مثاليًّا، وأنه سيجدد ما أفسده الدهر من آثاره في جبانة «العرابة المدفونة» التي كانت تعد كعبة المصريين، وبيت تقديسهم، وأنه سيقرِّب له قربانًا مضاعفًا لروحه، وأنه سيكون رهن إشارته وتحت تصرفه في كل ما يطلب، ثم يقول له: إنه قد قدم له العدالة قربانًا؛ لأنه يعرف أنه يحبها؛ أي «ماعت»، وهي النظام الكوني الذي كان يسير عليه العالم منذ بدأت الخليقة على يد «رع» أول ملك حكم العالم.

والواقع أننا نرى «رعمسيس» ممثلًا في المنظر الذي يتبع هذا المتن، وهو يضع تمثال العدالة على راحته، ويقدمها إلى وجه «أوزير» حتى يجعل الأرض تسير في طريق السلام، وكذلك يمنحه الخلود؛ لأنه راعي الأرضين، وهكذا نرى أن العدالة «ماعت» كانت محببة للآلهة، وأنها كانت الهدى الذي يرشد الملوك؛ لأنهم من نسل «رع»، والشعب إلى الطريق السوي في كل زمان ومكان، وقد أراد المصري كما كانت سليقته أن يقرِّب الأشياء المعنوية إلى الأذهان، فصور لنا العدالة في صورة امرأة جالسة على رأسها ريشة، ثم أصبح يرمز لها بالريشة فقط، وما أشبه الليلة بالبارحة، فالريشة رمز العدالة في معظم بلدان العالم في أيامنا هذه.

وبعد أن تحدث «رعمسيس الثاني» عن مناقب والده «أوزير» أخذ يسرد علينا ما قام به لوالده «سيتي الأول» بعد وفاته. وتدل شواهد الأحوال على أنه لم يكن وقتئذ في عاصمة ملكه، بل كان في جهة ما من جهات دولة والده الشاسعة؛ فعاد إلى عاصمة الملك «طيبة» في السنة الأولى من انفراده بالحكم، وفي خلال عودته الأولى إلى عاصمة الملك نحت تمثالين لوالده «سيتي»، أحدهما في «طيبة» والآخر في «منف» في المعبدين اللذين أقيما له هناك؛ مما زاد في جمال آثاره، وبخاصة ما كان قد عمله في «العرابة». والسؤال الهام هنا هو: أين كان «رعمسيس» عندما صعدت روح والده إلى السماء؟ هل كان يحارب في السودان كما يقول «ماسبرو»، ورجع إلى العاصمة عندما سمع بموت والده؟[١٢]

يقص علينا «رعمسيس» أنه في أثناء عودته عرج على «منف»، وأقام لوالده هناك تمثالًا؛ مما يدل على أنه كان في شمالي إمبراطوريته عندما قضى والده، لا في جنوبيها كما يزعم «ماسبرو». ولكن في أي بلدة، أو أي مكان كان مقيمًا؟ هل كان في «منف»؛ لأنها العاصمة الثانية للبلاد وقتئذ، ولقربها من أملاكه في آسيا التي كانت شغله الشاغل مدة حياته، ولأن «سيتي» كان من أسرة تُنسب إلى الدلتا؟ إن الكشوف الحديثة في شمال الدلتا دلت على أن لـ «سيتي الأول» قصرًا في بلدة «قنتير» التي يكاد يكون من المحقق أنها كانت العاصمة الجديدة لملك «رعمسيس الثاني» كما أشرنا إلى ذلك من قبل، ولا يبعد إذن أن «سيتي الأول» كان أول من وضع أساس هذه العاصمة بإقامة قصره في هذه الجهة، ثم قام «رعمسيس الثاني» خلال اشتراكه معه في الملك بتخطيط هذه المدينة، واتخاذها عاصمة ثانية للملك في الشمال، وبخاصة أن «رعمسيس» كان مشتركًا مع والده في الملك، فكان «سيتي» يقطن في العاصمة القديمة في الجنوب، في حين كان «رعمسيس» يقطن في عاصمته الجديدة التي سماها «بررعمسيس» على الأرجح، وهي التي جاء ذكرها للمرة الأولى في نقش الإهداء الذي نحن بصدده الآن، وما ذكرناه هنا هو محض فرض تعززه

شواهد الأحوال فحسب؛ إذ لا يزال موضع «بررعمسيس»، وموقعها بالضبط موضوع نقاش طويل بين علماء الآثار، وإن كانت الكفة تميل الآن إلى الرأي القائل بأن «بررعمسيس» هي «قنتير»[١٣] لا «تانيس».

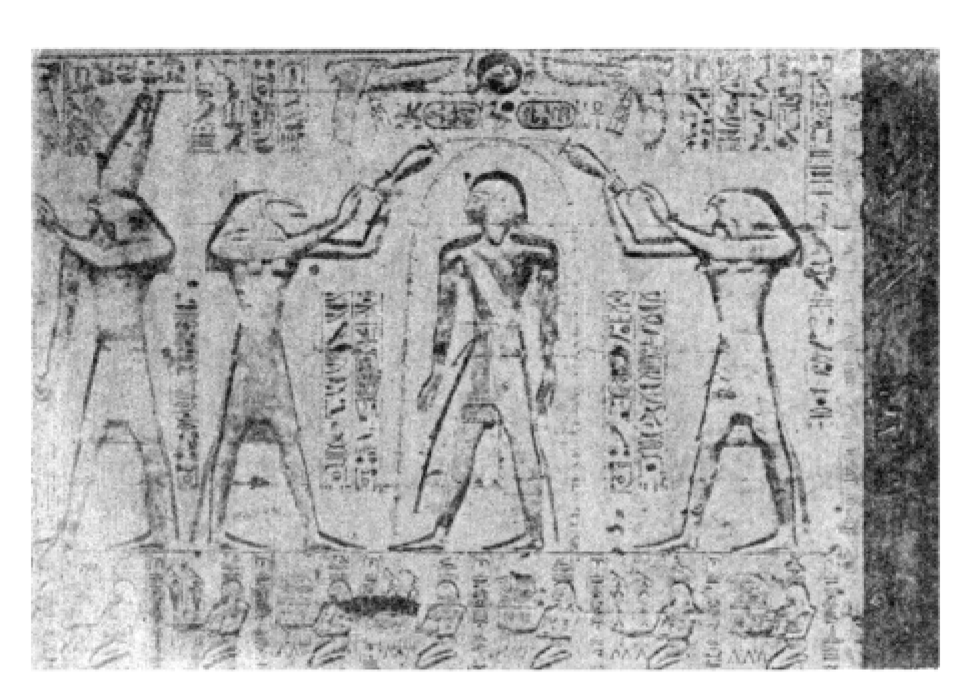
وبخاصة بعد ما جاء في بردية «أمنمؤبي» أنهما بلدان مختلفان، ذكر كل منهما على حدة،[١٤] هذا بالإضافة إلى ما كُتب من المقالات التي تحبذ هذا الرأي،[١٥] ولا يبعد إذن أن «رعمسيس» عاد من عاصمة الملك الثانية التي لم تكن قد تمت بعد،[١٦] ومرَّ «بمنف» في طريقه إلى عاصمة الملك «طيبة»؛ حيث احتفل بجنازة والده بما يتفق من مظاهر الفخامة والعظمة، وبعد أن احتفل بعيد «آمون» قفل راجعًا إلى الشمال؛ ليجعل سلطانه محسًّا في هذه البقاع من ملكه الشاسع، على أن أعظم ما كان يهتم به بعد دفن والده هو إظهار برِّه ومحبته له؛ ولذلك كان أول وقفة له — بعد تركه عاصمة الملك القديمة — في «العرابة المدفونة» التي أقام بها والده أعظم أثر له في كل أنحاء الإمبراطورية، ولكن لم ينجزه؛ إذ قد عاجلته المنية، والبناء في دور التنفيذ، وكان قد وقف في العرابة في أثناء عودته إلى «طيبة»، وعندئذ أمر بتجميل تلك البقعة المقدسة أكثر مما كانت عليه من قبل، وكذلك أمر بنحت تمثاله، وحبس الأوقاف لتكون قربانًا لروحه العظيم، وإصلاح ما كان قد تخرَّب. ولما عاد من عاصمة الملك إلى الشمال في السنة الأولى، الشهر الثالث، من الفصل الأول، في اليوم الثالث والعشرين سار في النيل حتى وصل إلى «العرابة»، فوجد معظم المباني التي أقامها أسلافه من عظماء ملوك مصر قد آلت إلى الخراب، وكذلك وجد أن بعضها لا يزال البناء جاريًا فيه، وقد تركها والده ولم تتم بعد، كما وجد تمثال والده ملقى على الأرض، ولم يتم نقشه بعد، هذا إلى أن القربات التي كانت تقرب إلى هذه المنشآت قد انقطعت، وتفرَّق شمل الكهنة الذين كانوا يقومون بأداء شعائرها؛ لأن الأراضي التي كانت محبوسة على هذه المبرات الدينية قد ضاعت معالمها، واختفت حدودها، واعتدي عليها.

من أجل ذلك دعا «رعمسيس» رجال بلاطه، وعظماء موظفيه من كل صنف، فجاءوا إليه وخروا ساجدين، وأخذوا في إطرائه وتمجيده حتى رفعوه إلى منزلة أعظم من منزلة الآلهة أنفسهم، وبعد أن أحاطوه بسياج من القوة والعظمة بعباراتهم المنمقة التقليدية المتواترة، قالوا: «وها نحن إذن أمام جلالتك لتمنحنا الحياة التي تتحكم فيها يأيها الفرعون الحي السليم القوي، ويا نسيم أنوفنا، ويا حياة كل البشر عندما تشرق في أعينهم.» وهكذا كان حكم الفرعون المنحدر من صلب الآلهة، فكان يعد نفسه إلهًا. وعندئذ أخذ «رعمسيس» يقصُّ على رجال دولته أعجوبة توليته العرش أولًا، ثم يستعرض أمامهم المشروعات التي يريد تنفيذها في تلك البلدة المقدسة التي اصطفاها والده، وأقام فيها معبده المنقطع الفذ.

وقد بدأ «رعمسيس» بإلقاء درس على رجال بلاطه وموظفيه في واجبات الابن نحو أبيه، وبخاصة إحياء ذكراه بإقامة الآثار له، وأنه لن يكون كأبناء الملوك الآخرين الذين أهملوا آثار آبائهم؛ فدرست، وعفت، وأصبحت كأن لم تغنِ بالأمس، بل صمم على أن يحيي ذكرى والده حتى يقول عنه الخلف: «إنه ابنه الذي جعل اسمه يبقى.» وبتلك الوسيلة فقط يَحبُوه الإله «أوزير» بالملك المثالي كما حبا به ابنه «حور» الذي خلفه على عرش الأحياء، وبعد

ذلك أخذ يحدثنا «رعمسيس» عن عناية والده به، وكيف أنه خصَّه بالملك، وتوَّجه على عرش البلاد، وهو لم يزل حيًّا؛ فكان شريكًا له في الملك حتى قضي، كما فصلنا القول فيه من قبل.

وبعد أن فرغ من قصة توليه العرش أمر بتنظيم معبد والده على الوجه الأكمل؛ على أن ينجز ما كان ناقصًا فيه، ويمد بالحقول، ويحبس عليه الأوقاف لقربانه من كل أنواع الخمر والزيوت والفاكهة، والماشية والطيور، وجعل إدارة أملاكه في يد رجل ممن اختصهم بثقته، وأظهر ما في هذا المعبد الجزء الذي أقامه «رعمسيس الثاني»؛ إذ إن طراز نقشه ظاهر للعيان؛ لأنه قد نُقش بالحفر الغائر في حين أن الجزء الذي أقامه والده كان بالحفر البارز كما أسلفنا؛ ولذلك يختم كلامه عن ذلك بقوله: «وإنه لجميل أن يقيم المرء أثرًا على أثر، وهما شيئان مفيدان في الوقت نفسه، ويحملان اسمي، واسم والدي.» وبهذه الكيفية يكون الابن، وكذلك من أنجبه باقيين على مر الدهور بآثارهما، وبعد أن فرغ الفرعون من سرد ما يريد عمله، أو ما كان قد قام به فعلًا — لأن هذه النقوش تشعر بأنها كانت على ما يظن قد دونت بعد إتمام ما أمر به هذا الفرعون، وإن كان تاريخها يرجع إلى السنة الأولى من حكمه — أجابه مستشاروه بما يجاب به ملك عزيز الجانب قوي البطش، وقد أسرفوا في إطرائه حتى فضلوا أعماله على أعمال «حور» الملك المثالي، كما فضلوه هو على كل من سبقه من الفراعنة.



شكل ٢: منظر تطهير «رعمسيس الثاني» في معبد «سيتي» بالعرابة يقوم به الإلهين «تحوت» و«حور» ويُرى أسفل آلهة النيل يحملون القِرب لرعمسيس من خيرات مقاطعات البلاد (بالحفر الغائر).

والظاهر أن هذا المتن كان قد نقش قبل قيام «رعمسيس» بحروبه الأخيرة التي ادعى فيها أنه وصل بفتوحه إلى نهر «دجلة والفرات»؛ إذ يقول له مستشاروه: «واسمك في كل بلد من أول بلاد النوبة جنوبًا وشمالًا لأول شواطئ البحر حتى بلاد «رتنو» حيث القبائل البدوية إلخ.»

وسنرى فيما بعد أنه بعد حروبه مع مملكة «خيتا» كان يقول: إنه مد سلطانه حتى بلاد نهرين «بابل»، أو «متني».

وعلى أثر تلك التحية التي قابل بها المستشارون دعوة الفرعون لهم، وعرض مشروعاته عليهم؛ أمر بالبدء في العمل، فوكل أمر البناء للمهندسين المهرة، وانتخب الجنود والعمال، والنحاتين والرسامين، والصناع ممن كان يحتاج إليهم لإنجاز هذا العمل العظيم، وقد أقام قدس الأقداس، وأصلح ما تخرَّب، ثم أمد المعبد بكل ما كان يلزمه من حقول، ومزارعين، وماشية، وكهنة، وحددت أملاك المعبد تحديدًا دقيقًا حتى لا يتعدى عليها أحد، ثم وكل أمر إدارتها إلى رجل من عظماء القوم، وبعد أن أتم «رعمسيس» كل ما أراد بناءه وإصلاحه في «العرابة المدفونة» لإحياء ذكرى والده، خاطبه وهو في مثواه الأبدي في عالم الآخرة ليعدد له ما قام به من الأعمال الباقية التي تخلد اسمه فيقول: «تنبه، وولِّ وجهك قِبل السماء؛ لترى الإله «رع» يا والدي «مرنبتاح»، أنت يا من أصبحت إلهًا.»

ثم يعدد له ما قام به من مبانٍ عظيمة، وما صنع له من تماثيل، وما وقفه لروحه من قربان يقدَّم له يوميًّا من كل ما تنتجه أرض مصر، وما كان يرد عليها من الأراضي الأجنبية، والواقع أن ما ورد في هذه الفقرة يذكرنا بما خصصه «سيتي» لهذا المعبد — كما جاء على لوحة نوري — مما يضع أمامنا صفحة ناصعة عن حالة البلاد المصرية في ذلك العهد من حيث فن المباني والصناعة والتجارة والحرف، التي كانت تزخر بها البلاد، ثم يعود «رعمسيس» فيصف لنا حالة والده في عالم الآخرة، فيقول لنا: «إن مثله هنا كمثل أهل النعيم المقرَّبين؛ إذ كان يسير في ركاب «رع» في سياحته في السماء في سفينته من الغرب إلى الشرق، ثم من الشرق إلى الغرب يوميًّا، فكان يحيا حياة إله الشمس نفسه، وهناك يختلط بالنجوم السيارة، والنجوم الثابتة وبالقمر؛ فيسبح مع «رع» في سفينة الليل، ثم ينتقل معه في سفينة النهار، وهكذا. وبذلك كان يسير في جنة السماء مع الشمس نهارًا، وفي عالم «أوزير» السفلي ليلًا حتى مطلع الفجر، ثم يطلب منه بعد ذلك أن يسأل الإله «رع» أن يمنح ابنه «رعمسيس» الخلود، والسرمدية، والأعياد الثلاثينية التي يخطئها العد، وهي التي كان يجدد بها شباب الملك بعد حكمه ثلاثين عامًا، وإنه في مقابل ذلك سيقوم بكل ما يتطلبه معبده، وكذلك يسهر على أداء كل ما يلزمه، وهو في العالم السفلي ما دام «رعمسيس» حيًّا.»

وعلى الرغم من أن «سيتي الأول» كان في عالم الأموات فإنه كان ذا روح عظيم مثل الإله «أوزير» الذي كان يحكم في العالم السفلي؛ ولذلك كان قد شمله السرور، وغمره الفرح بما عمله ابنه «رعمسيس»؛ فأعلن ذلك أمام الآلهة، وتكلم بقوة كما يتكلم ملك حي؛ فشكره على

ما أسداه إليه من أعمال جليلة، وسيمنحه الإله «رع» مكافأة له على ذلك ملايين السنين على عرشه، وأن «حور» يطلب له بقاء «رع» في السماء، وكذلك أصبحت الحياة، والصحة والقوة، والفرح والنصر ملك يديه، ثم غير ذلك من الصفات والنعوت، والهبات التي أغدقتها الآلهة المختلفة على «رعمسيس»، وكان كل ذلك من أجل ما فعله لوالده، إلى أن قال: «إنك تأتي بوصفك «رع» منبع حياة الخلق، والجنوب والشمال تحت قدميك يرجوان أعيادًا ثلاثينية لـ «رعمسيس»، وكذلك خلود الرب المهيمن عند شروقه، وعند غروبه طوال الزمن السرمدي.»[١٧]

هذا ما قام به «رعمسيس» لوالده، وللآلهة، وللملوك السابقين في «العرابة المدفونة»، ومعابدها، وما حباه به الإله الأعظم «أوزير»، وغيره من الآلهة العظام، وبخاصة والده مكافأة على حسن صنيعه، وبره بهم. وهكذا نرى ما جمعته هذه الوثيقة من حقائق تاريخية، وأساطير دينية، وفضائل خلقية، وأوصاف اجتماعية كان لا بد للمؤرخ من نخلها ليصل إلى استخلاص ما فيها من تاريخ صريح هام.

«لوحة كوبام» وباكي

وقد كان من الضروري لـ «رعمسيس» أن يحصل على الذهب اللازم لتزيين هذه المعابد ونقشها، وعمل التماثيل، وبخاصة إذا علمنا أنه قد صنع تمثالًا من الذهب لوالده «أوزير»، وقد مهد له والده «سيتي» طريقًا لاستخراج الذهب من مناجمه، هذا فضلًا عما كان يرد منه إلى خزائنه من جزية بلاد النوبة، وبخاصة إقليم «واوات»، وقد ذكرنا سابقًا أن أكبر هذه المناجم وأعظمها إنتاجًا هي مناجم «وادي مياه»، أو «وادي عباد» التي فصلنا القول فيها.[١٨]

وقد حاول «سيتي» أن يجعل الطريق الموصلة إليها معبدة مجهزة بالماء الوفير، وسبل الراحة، ولكنه لم يصب الفلاح كله في ذلك، ولكن ابنه «رعمسيس» قد حاول محاولة أخرى لتوفير المياه فيها، فحفر بئرًا عميقة تدفق منها ماء سائغ للشاربين؛ وبذلك أصبح في مقدوره أن يرسل حملاته لاستخراج الذهب بدون تكبد عناء كبير، أو خسارة جسيمة في الأنفس والحيوان؛ مما يدل على أنه كان حريصًا على حياة رجاله حرصه على منفعته الشخصية، ولما عزم على إصلاح الطريق الموصلة إلى هذه المناجم بحفر بئر عميقة، جمع مجلس شوراه لعرض الأمر عليهم، وقد دون هذا الحادث على لوحة عُثر عليها في «كوبان» عاصمة المقاطعة الثانية عشرة من مقاطعات بلاد النوبة، وتقع على الشاطئ الشرقي للنيل على مسافة ثمانية ومائة كيلومتر جنوبي «أسوان»، واللوحة من الجرانيت؛ وسنترك المتن المصري يقص علينا ما قاله الفرعون، وما أجاب به مجلسه، وما تم بعد ذلك من إجراءات على يد نائب بلاد «كوش» الذي وكلت إليه هذه المهمة الشاقة.

مقدمة: السنة الثالثة، الشهر الأول من الفصل الثالث، اليوم الرابع في عهد جلالة «حور» الثور القوي محبوب العدالة، ومحبوب الإلهتين، حامي مصر، وغال المتوحشين، حور الذهبي، الغني في السنين، والعظيم النصر، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع ستبن رع» ابن الشمس، محبوب آمون «رعمسيس»، معطي الحياة مخلدًا وسرمديًّا، محبوب «آمون رع»، رب تيجان الأرضين، والمشرف على الكرنك، والمضيء على عرش «حور» الأحياء مثل والده «رع» يوميًّا، والإله الطيب، رب الأرض الجنوبية، «وحور» إدفو، ذو الريش الزاهي، الصقر الجميل المصنوع من السام، الذي يحمي مصر بجناحيه، ومن يظل الناس، وحصن القوة والنصر، والذي خرج من الجسم — أي ولد — مرهوب الجانب في السلب، وكانت قوته تزيد في حدود بلاده، ومن كانت قوته في أعضائه مثل شدة بأس الإله «منتو»، وهو السيد المزدوج «حور» و«ست»، ومن في يوم ولادته كان السرور في السماء، والآلهة قالت: «إن بذرتنا فيه»، والإلهات قلن: «إنه خرج منا ليدبر ملك «رع»»، وقال آمون: «إني أرسو»؛ أي الذي خلقه، وقد وضعت العدالة مكانها، واستقرَّت الأرض، وارتاحت السماء، وسر التاسوع الإلهي بصفاته، الثور الشجاع أمام أهالي «كوش» الخاسئين، وضارب الخارجين حتى أرض الزنوج، ومن حوافره تدوس أهل «كوش»، ومن قرناه تنطحانهم، وشهرته عظيمة في بلاد «خنتنفر» (بلاد النوبة)، أما رهبته فقد وصلت حتى «كاراي»، واسمه ينتشر في البلاد كلها بسبب انتصاراته التي أحرزتها يداه، والذهب يخرج من جوف الجبل عند ذكر اسمه مثل: اسم والده «حور» سيد «باكا»، العظيم الحب في الأراضي الجنوبية، ومثل «حور» في أراضي «ميعمام» (الدر) سيد «بوهن»، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، «وسر ماعت رع ستب ان رع» ابن «رع» من صلبه، رب التيجان «مري آمون رعمسيس»، معطي الحياة مخلدًا وسرمديًّا مثل والده «رع» يوميًّا.

فحص أرض أكيتا: وعندما كان جلالته في «منف» يؤدي شعائر والده السارة، وشعائر آلهة الجنوب والشمال بمقدار ما أعطوه من قوة ونصر، وحياة طويلة تقدَّر بعشرات آلاف السنين، حدث أنه ذات يوم؛ تأمل! كان جلالته جالسًا على عرش عظيم من السام،

ومرتديًا تاجًا ذا ريشتين، ومعددًا الممالك التي يأتي منها الذهب، وواضعًا خُططًا لحفر آبار على الطرق التي ينقصها الماء، بعد أن سمع عن وجود ذهب وفير في إقليم «أكيتا»؛ لأن الطرق إليها كان ينقصها الماء جدًّا، فإذا ذهب عدد عظيم من رجال القوافل الذين ينظفون الذهب إلى هناك، كان لا يصل إلا نصفهم؛ لأنهم كانوا يموتون عطشًا على الطريق مع غيرهم التي كانوا يسوقونها أمامهم؛ إذ كان لا يوجد ماء كافٍ في القِرب في أثناء صعودهم ونزولهم في الصحراء، وعلى ذلك لم يؤتَ بذهب من هذا الإقليم لقلَّة الماء في الطريق.

- **الفرعون يعقد مجلس البلاط:** وقد قال جلالته لحامل الخاتم الملكي الذي كان بجانبه: «ادع أمراء البلاط»؛ لأن جلالته يريد مشاورتهم في أمر هذا الإقليم، وكيف يمكنني أن أتخذ الإجراءات الضرورية بشأنه. فأُحضروا في الحال أمام الإله الطيب، رافعين أيديهم لحضرته، مهللين ومقبِّلين الأرض أمام وجهه الجميل، فأخبرهم الملك عن طبيعة هذا الإقليم، وشاورهم في خطة حفر بئر على الطريق المؤدية إليه.

- **خطاب رجال البلاط إلى الفرعون:** قالوا أمام جلالته: «إنك مثل «رع» في كل ما تفعل، وكل ما يرغب فيه قلبك ينفذ، وإذا رغبت أمرًا في أثناء الليل وقع بسرعة في الصباح، لقد كنا نشاهد عددًا عظيمًا من أعاجيبك منذ أن ظهرت ملكًا على الأرضين بما لم نسمع به، ولم ترَه أعيننا، ومع ذلك وقعت، أما كل ما يخرج من فمك فإنه مثل كلمات «حور اختي»، ولسانك كفتا ميزان، وشفتاك أكثر من قسطاس «تحوت» المستقيم دقة، وأي شيء لا تعرفه؟ ومن ينجزه مثلك؟ وأين المكان الذي لم ترَه؟ على أنه لم يوجد إقليم لم تطأه قدمك، وكل الأمور تلقى في أذنيك منذ أن مارست سلطتك، ولم يحدث شأن دون علمك، وقد كنت رئيس الجيش، وأنت صبي في العاشرة، وكل عمل تم يرجع الفضل فيه إلى يدك التي وضعت أساسه، وإذا نطقت تفجر على الجبل الماء؛ لأن الفيضان ينبع بسرعة بعد كلمتك؛ لأنك «رع» في أعضائه، والإله «خبري» في صورته الحقة، وإنك صورة «آتوم هليوبوليس» الحية على الأرض، فالذوق في فمك، والعقل في لبِّك، ومكان لسانك هو محراب الصدق، والإله يجلس على شفتيك، وكلماتك تنفذ كل يوم، وقلبك

صنع في صورة قلب «بتاح» خالق الحرف، وإنك تبقى مخلدًا، وسنعمل على حسب خططك، وكل ما تقوله مسموع يأيها الملك، يا سيدنا.»

- **مقال نائب الملك في «كوش»:** أما إقليم «أكيتا»، فقد قال عنه ابن الملك صاحب «كوش» أمام جلالته: «إنه كان ينقصه الماء بهذه الكيفية، فقد ماتوا — أي روَّاده — عطشى فيه، وكل ملك قبلك رغب في فتح بئر هناك، ولكن لم يصِب نجاحًا، وقد حاول ذلك الملك «من ماعت رع» «سيتي الأول»، وأمر بحفر بئر عمقها عشرون ومائة ذراع في زمنه، ولكنها نبذت على الطريق؛ لأن الماء لم ينبع منها، ولكن إذا تكلمت بنفسك لوالدك «حعبي» (النيل) والد الآلهة وقلت له: «دع الماء يفِض على الجبل»؛ فإنه سيعمل على حسب كل ما قلته، شأن كل مطالبك التي حدثت أمامنا، وإن لم يكن قد سمع حديثها؛ وذلك لأن والدك وكل الآلهة يحبونك أكثر من أي ملك كان منذ «رع».»

- **«رعمسيس» يصمم على حفر بئر في «أكيتا»:** وقال جلالته لأولئك الأمراء: «ما أصدق ما نطقتم به من أنه لم تحفر ماء في هذا الإقليم منذ زمن الآلهة كما قلت، ولكني سأفتح بئرًا هناك تُمد بالماء يوميًّا، كما هي الحال في وادي النيل، وذلك بأمر والدي «آمون رع» رب «طيبة»، وكل آلهة بلاد النوبة بقدر ما يرتاح إليه قلبهم لما يرغبون فيه، وسأجعل الناس يقولون في هذه البلاد …» وبعد ذلك مدح أولئك الأمراء سيدهم، مقبِّلين الأرضين، ومنبطحين على بطونهم في حضرته، ومهللين حتى عنان السماء، وقال جلالته لكاتبه الأول: «… الخاص بطريق «أكيتا»، اجعل الشهر يصر يومًا عندما ترسل …» — وعندئذ أرسل كاتب الملك الأول إلى ابن الملك صاحب «كوش» على حسب ما أمر به: تأمل! اجمع الأهلين لحفر بئر … ولكنهم قالوا: ما الذي سيفعله ابن الملك؟ هل ستسمع المياه التي في العالم السفلي له؟ بعد ذلك حفروا البئر على الطريق المؤدية إلى إقليم «أكيتا»، ولم يفعل قط مثل ذلك منذ زمن الآلهة الذين سلفوا … ووضع سمكًا في برك إقليم من مستنقعات الدلتا، سارًّا قلبه بإيجاد … كسكان في الهواء.

- **خطاب من نائب الملك في «كوش» يعلن نجاح المشروع:** وقد حضر إنسان حاملًا رسالة من ابن الملك صاحب «كوش» الخاسئة قائلًا: «… إن البئر قد أُنجزت»، وما قاله جلالتك

قد حدث؛ إذ إن الماء قد نبع منها — أي من البئر — بعد اثنتي عشرة قدمًا، وعمقها؛ أي الماء، أربع أقدام … خارج كما يفعل الإله لإرضاء القلب بما يرغب فيه، ولم يفعل مثلها منذ زمن الآلهة، و«أكيتا» تبتهج بفرح عظيم، وأولئك البعيدون … الحاكم، والماء الذي في العالم السفلي يصغي إليه عندما يحفر ماء على الجبال …

- **خاتمة:** … إليه من ابن الملك معلنًا ما فعله، وكانوا فرحين بذلك … الممتاز الخطط، والجميل في … وقد أمر جلالته أن يطلق على هذه البئر اسم بئر محبوب «آمون» «رعمسيس» العظيم النصر، مثل …

فهذه اللوحة على الرغم من تهشيم الجزء الأكبر من الأربعة عشر سطرًا الأخيرة منها تقدم لنا صورة صادقة عن اهتمام هذا الفرعون البالغ — كما كان والده من قبل — في العمل على استغلال مناجم الذهب، كما تقدم لنا صورة أخرى عن قيمة المجالس الاستشارية التي كان يجمعها الفراعنة على حسب التقاليد المرعية منذ القدم، فكان القول فيها ما قال الفرعون لا تبديل ولا تغيير، بل فضلًا عن ذلك كان المجلس يقابل سيده بقرض آيات الثناء، وكل أنواع النعوت والصفات التي كان لا يُنعت بها إلا الآلهة، وكيف يجوز لهؤلاء المستشارين أن يأتوا برأي يخالف رأي سيدهم، وإلههم الأعلى الذي أنجبه الإله «رع» رأس كل آلهة مصر؟ والواقع أننا لم نسمع بمجلس عُقد بحضرة الفرعون، وعارض في الآراء التي أبداها سيدهم إلا في ظرف واحد، وهو حينما عقد «تحتمس الثالث» مجلسه الحربي عندما أراد اختراق ممر «عرونا» ليصل إلى ساحة القتال بسرعة في موقعة «مجدو» من أقصر طريق، وحتى في هذا فإنه عندما أبدى المجلس مخالفة «تحتمس الثالث» في رأيه إشفاقًا عليه، فإن شجاعته وإقدامه وسرعة خاطره أملت عليه خطته الحكيمة التي أدت إلى نصره المؤزر بعد أن ضرب بآراء مجلسه عرض الحائط، ولذلك خضعوا لخطته وهم صاغرون، مقدمين فروض الطاعة والإذعان، ومن ذلك نعلم أن المجالس الاستشارية في تلك الأزمان السحيقة — وفي كثير من الأحيان في أيامنا — على الرغم مما كان عليه عظماء القوم من تحضر ورقي أمام الفرعون مجرد بطانة لا حول لأعضائها ولا طول، وكل الحكمة وصواب القول في نطق سيدهم وأمره، فما أشبه البارحة باليوم في كثير من مجالسنا الاستشارية التي يذعن أعضاؤها للرئيس الأعلى، وإن كان رأيه خاطئًا وتفكيره سقيمًا، هذا مع الفارق أن المصري في العهد الفرعوني كان يعتقد أنه يسير على نظام إلهي (ماعت) موضوع منذ القدم وضعه الإله «رع» أول ملك حكم العالم، وسار على نهجه، وعدله الملوك الذين خلفوه من نسله؛ فكانوا لا يحيدون عن النظام الكوني العادل (ماعت) الذي وضعه والدهم «رع»، ولهذا كان الشعب ينقاد لرأي الفراعنة، وينفذ أوامرهم.

(٢) حروب رعمسيس الثاني

على الرغم من تضحية «رعمسيس الثاني» بجزء كبير من مجهوداته، وثروة بلاده في إتمام المعابد التي لم يكن قد أنجزها والده، فإنه مع ذلك لم يهمل المحافظة على الإرث الذي خلفه له والده — وإن كان ضئيلًا — في سوريا بعد حروب طاحنة لاستعادة مجد مصر الإمبراطوري في تلك الجهات، والواقع أنه كان إرثًا محفوفًا بالمخاطر؛ لأن «سيتي» — كما قلنا — لم يكن في مقدوره إجلاء الموقف بينه وبين مملكة «خيتا» على حسب مطامحه العظيمة. حقًّا لم يظهر ما يكدر صفو السلم في الإمبراطورية المصرية التي لم تكن وقتئذ عظيمة كما كانت في عهد «تحتمس الثالث» عند تولية «رعمسيس» الملك منفردًا. هذا، وتدل الأحوال كلها على أن «مواتالو» ملك «خيتا» قد استمر على مراعاة شروط معاهدة الصلح التي كانت على ما يقال قد عُقدت بينه وبين «سيتي» عندما سمع بانفراد «رعمسيس» بحكم مصر.[١٩]

ولدينا من جهة أخرى لوحة منقوشة في صخور «أسوان»، ومؤرخة بالسنة الثانية من حكمه، وفيها يفتخر الفرعون «رعمسيس الثاني» بأنه حارب الأسيويين، واستولى على مدنهم، وحطم أجانب الشمال، وهزم «التمحو»، وأهلك محاربي البحار، وجاءت إليه «بابل»، و«خيتا» منحنيتين؛ مما يدل على أنه كان في حروب بعد توليه الملك مباشرة، وهاك النص:

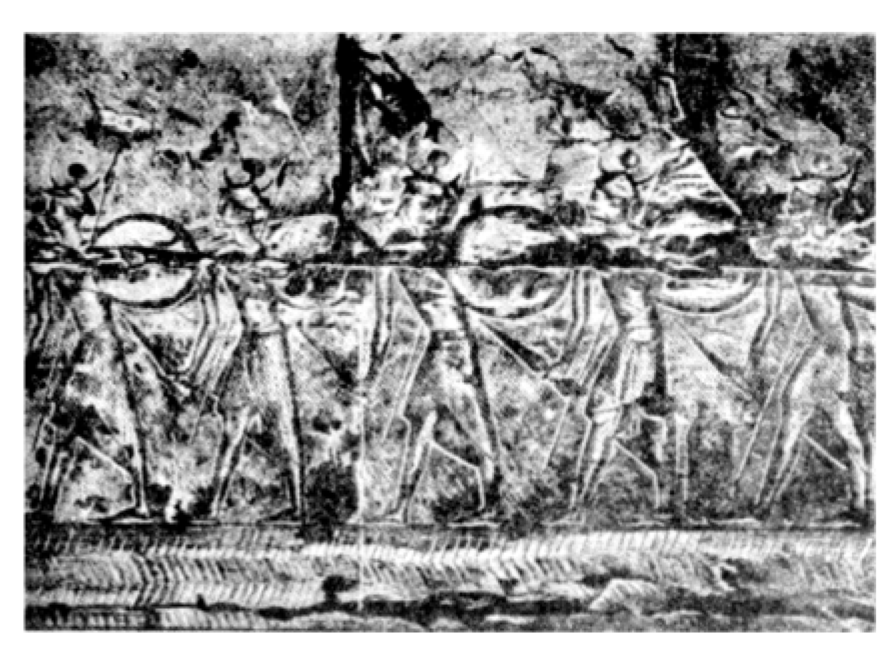
> السنة الثانية، الشهر الحادي عشر، اليوم السادس والعشرون في عهد جلالة «رعمسيس الثاني»، محبوب «آمون رع» ملك الآلهة، «وخنوم» رب إقليم الشمال، يعيش الإله الطيب «منتو» صاحب الملايين القوي البأس مثل ابن «نوت» المحارب من أجل الأسد القوي القلب، ومن هزم عشرات الألوف، والجدار العظيم لجيشه في يوم الواقعة، ومن نفذ خوفه في كل الأراضي، ومن تبتهج مصر عندما يكون الحاكم في وسطها — أي الأراضي الأجنبية، ولقد وسع حدودها إلى الأبد ناهبًا الأسيويين، ومستوليًا على مدنهم، ومن حطم أجانب الشمال، ومن سقطت «التمحو» (اللوبيون) خوفًا منه، والأسيويون يرجون نفس الحياة منه، ومن يرسل مصر للقيام بحملات، وقلوبهم ملأى بخططه عندما يجلسون في ظل سيفه، ولا يخافون أية بلاد، وقد أهلك محاربي البحر، ومضى الوجه البحري الليل نائمًا في سلام،[٢٠] وإنه ملك يقظ دقيق الخطة، لا يخيب ما يقوله، ويأتي الأجانب إليه حاملين أطفالهم ليسألوه نفس الحياة، وصوته عظيم في حرب بلاد النوبة، وقوته تصد الأقواس التسعة، و«بابل» و«خيتا»، و… تأتي إليه خاضعة لشهرته.

وإذا ألقينا نظرة فاحصة على محتويات هذا المتن — على الرغم مما يشيع فيه من عبارات المدح، وقرض الثناء للفرعون على شجاعته، وأمثال ذلك من الجمل التقليدية التي نجدها في كل متن خاص بالفراعنة، وجدنا أن هذا الفرعون قد شن حروبًا على قوم جدد، غير

النوبيين، واللوبيين، والأسيويين الذين يستفتح فرعون عهده بمحاربتهم، وهؤلاء القوم هم أهل البحار الذين يعرفون «بالشردانا»، ولا بد أنهم كانوا قد أغاروا على مصر في السنة الثانية من عهد هذا الفرعون فقضى عليهم الأسطول المصري، وأصبح أهل الوجه البحري ينامون في سلام، وهذا يفسر لنا وجود جنود «شردانا» في موقعة «قادش»، وهم الذين كانوا عماد الفرعون في هذه الموقعة؛ لأنهم كانوا حرسه الخاص كما سنرى بعد.

(١-٢) «شردانا» — أصلهم وحروبهم

و «شردانا» قوم من أقوام البحر الأبيض المتوسط، ومن المحتمل أن اسم جزيرة «سردينيا» مشتق من اسم هذا الشعب كما يدل على ذلك نقش فينيقي وصل إليها من عهد القرن التاسع قبل الميلاد، وأول ظهور لفظة «شردانا» كان في خطابات «تل العمارنة»؛[٢١] حيث نجدهم كانوا تابعين للحامية المصرية في «جبيل» (ببلوص)، وهذا يشعر بقيام حرب مع أقوام البحر الأبيض المتوسط في عهد «أمنحتب الثالث»، أو قبل ذلك عندما أخذ بعض هؤلاء الأقوام أسرى، وقد جاء ذكرهم صراحة بوصفهم أسرى على حسب ما ذُكر في «ورقة أنسطاسي» (رقم ٢)[٢٢] حيث أشيد إلى إعداد «شردانا» في «الأخضر العظيم» (البحر الأبيض المتوسط) بالسلاح، وهم من أسرى جلالته، وكذلك ذكروا في ورقة «أنسطاسي» مرة أخرى بوصفهم فرقة في الجيش المصري،[٢٣] وكذلك جاء ذكرهم في قصيدة «رعمسيس» العظيمة في حديثه عن حملته الكبرى على «خيتا»؛ حيث يصف كيف أنه أعد جيشه وفرسانه، وجنود «شردانا»، الذين أسرهم جلالته ولا شك في أن تخصيص هؤلاء القوم الأجانب بالذكر في الجيش المصري دليل على الدور الهام الذي لعبوه بين فرق هذا الجيش، وقد حافظوا على مكانتهم الهامة بين الجنود المصريين، وبين المصريين عامة حتى عهد «رعمسيس الثالث»، كما يدل على ذلك ما جاء في فقرات عدة في ورقة «هارس»،[٢٤] وكان أول ذكر «شردانا» بوصفهم أعداء مصر في اللوحة المهشمة التي وجدت في «تانيس»[٢٥] حيث نقرأ: «… شردانا الثائرة قلوبهم … سفن حربية في وسط البحر …» هذا بالإضافة إلى ما جاء في اللوحة التي نحن بصددها في مدح «رعمسيس الثاني»، وهو: «وقد أهلك محاربين من سكان «الأخضر العظيم»، وبذلك أمضى الوجه البحري الليل نائمًا في سلام.»



شكل ٣: جنود شردانا الذين كانوا في حرس «رعمسيس الثاني».

وهذان الاقتباسان معًا يدلان على أن الدلتا قد هوجمت منذ سنوات عدة من البحر قبل عهد «مرنبتاح»، وأن قوم «شردانا» كانوا من بين المهاجمين، ومن حقنا إذن أن نشك في أن «رعمسيس الثاني» كان أول من صد هذا الهجوم؛ إذ يجوز أنه قد حدث في عهد أحد الملوك الذين سبقوه مباشرة.

وقد عرفنا شخصية هؤلاء القوم الأجانب من منظر على جدار في مدينة «هابو»؛[٢٦] حيث نجد رسم سلسلة أمراء أجانب، ويتبع رسم كل أمير منهم عبارة مفسِّرة لشخصيته، وقد كُتب فوق الأمير الشرداني: «شرداني البحر»، وهو يميَّز عن كل الأمراء الآخرين بالخوذة التي يلبسها المثبتة فيها قرون، وشوكة بارزة تنتهي بقرص أو كرة، كما يمتاز وجهه بأنف أقنى، ولحية طويلة، ويتحلى بقرط كبير، ونلحظ أن تلك الخوذة الخاصة كان يلبسها جميع أفراد هؤلاء الأقوام الذين نشاهدهم في مناظر الجيش المصري، أو في مناظر مواقع القتال، غير أن معظمهم كان حليقًا. أما القرط فقد خُص به الأمراء، ويلحظ كذلك أن الخوذة كانت خالية من الشوكة أو القرص المثبت فيها، غير أنها تحتوي على شسع يمر تحت الذقن، أما أسلحتهم فكان من بينها السيف، ولكن سلاحهم الرئيسي الحربة، ولم يستعملوا قط القوس والنشاب، ووطنهم الأصلي الذين هاجروا منه هو كما ذكر لنا «رخاروف» بأدلة أثرية هامة، توحي بأنهم قد وفدوا إلى جزر البحر الأبيض، وآسيا الصغرى من بلاد القوقاز؛ إذ قد وجدت في هذه الجهات تماثيل صغيرة من البرنز من عصر البرنز بخوذات تشبه الخوذات التي على رءوسهم تمامًا، تلك التي كان يلبسها الشرداني، وهي التي قد وجد نظائرها في «سرديدنيا»، وأهم من ذلك في نظر الباحثين في هذا الموضوع،

أمثال الدكتور «هول»، والأثري «سمث» ما وجد لهم من سيوف طويلة عريضة تشبه التي وُجدت مصورة مع جنود «شردانا» على جدران معبد «بو سمبل»، ومدينة «هابو»، كما عثر كذلك على سيوف قصيرة، أو خناجر مثلثة الشكل مثل التي كان يستعملها «الشردانا»، و«الفلسطينيون» على السواء.[٢٧]

(٢-٢) حورب رعمسيس الثاني مع التمحو أي اللوبيين

جاء على لوحة «أسوان» المؤرخة بالسنة الثانية من عهد «رعمسيس الثاني» أن «التمحو» قد هُزموا خوفًا منه. وهذه العبارة لا تدل على شيء معين، فضلًا عن أن لدينا ثلاثة مناظر تصور لنا انتصاره على هؤلاء القوم، اثنان منها في معبد «بيت الوالي»، والأخير في معبد «بو سمبل»،[٢٨] ولكن النقوش المفسرة لها لا تحدثنا بشيء خاص اللهم إلا الجمل العادية، مثل: إخضاع أراضي «التمحو» الخارجة. والواقع أن النقوش التي تركها لنا «رعمسيس الثاني» مفسرة لمناظر حروبه مع بلاد «التمحو» وانتصاره عليهم؛ فيها شك كبير، ومن المدهش أنه لم يوجد بين صور المواقع العدة التي خاض غمارها «رعمسيس الثاني» واقعة معينة حدثت بينه وبين اللوبيين؛ ولذلك يتساءل الإنسان إذا كانت هذه النقوش تدل على حروب وانتصارات حقيقية، أو أنها صور انتصارات وهمية من التي يصورها الفراعنة إشادة بقوتهم، وتغلبهم على الأقوام والممالك المجاورة، وبخاصة إذا علمنا أن منظر انتصار «رعمسيس» على اللوبيين في معبد «بو سمبل» هو صورة طبق الأصل من المنظر الذي تركه لنا والده «سيتي الأول» على «معبد الكرنك»، وقد استنبط «برستد» من متن لوحة عُثر عليها في «تانيس» أنه قد عُقدت معاهدة بين «اللوبيين»، و«شردانا» بعد موقعة حربية، ويعزز ذلك بما جاء في أنشودة «رعمسيس الثاني» في ورقة أنسطاسي الثانية،[٢٩] غير أن المتن مهشم، ولا يساعد على استنباط هذا الرأي، وإذا كانت قد وقعت حروب بين «رعمسيس الثاني» واللوبيين، فلا بد أن تكون قد حدثت بعد السنة الخامسة، وعلى ذلك يمكن الإنسان أن يقبل — على حسب ما جاء في لوحة أسوان المؤرخة بالسنة الثانية — وقوع حرب بين «رعمسيس»، وبلاد النوبة، وأن الحرب التي قامت بين «رعمسيس» و«خيتا» في السنة الخامسة هي حملته الثانية المظفرة، وعلى ذلك لا يمكن أن تكون الحرب مع «لوبيا» قد حدثت في السنة الأولى كما يقول «بتري».[٣٠]

وعلى أية حال، فإن الحروب التي رسمت على معبد «بيت الوالي» يعزوها «سيلي» كما ذكرنا قبلًا إلى عهد اشتراك «رعمسيس الثاني» مع والده في الحكم.

(٢-٣) حروب رعمسيس الثاني في بلاد النوبة

ذكرنا فيما سبق على حسب ما استنبطه الأثري «كيث سيلي» أن الحروب التي صورت على معبد «بيت الوالي»، وهي التي قامت بين «رعمسيس الثاني» وبلاد النوبة، كان قد احتدم أوارها بين البلدين في عهد اشتراك «رعمسيس» مع والده في الحكم، غير أن هذه المناظر

التي تصور لنا تلك الحروب في بلاد النوبة على جدران معبد «بيت الوالي» وغيره من المعابد المصرية، لم تضع أمامنا حربًا معينة لها تواريخها، وحوادثها كما هي الحال في حروب «رعمسيس الثاني» مع بلاد آسيا، بل نجد مناظر حروب بلاد النوبة، والبلاد الأخرى يختلط بعضها ببعض حتى أصبح من المستحيل علينا أن نتكلم على كل منها على حدة، فلدينا فضلًا عن مناظر «بيت الوالي» مناظر على معبد «بو سمبل»، ومعبد الأقصر، و«معبد العرابة» هذا غير ما ذُكر على لوحتي «أسوان» و«تانيس» اللتين تحدثنا عنهما، ولا نعلم إن كانت مجرد مناظر فخرية لتبرز قوة الفرعون، وشدة بأسه، وانتشار نفوذه، أو كانت هناك وقائع حربية حدثت فعلًا، وغابت عنَّا تفاصيلها وتواريخها، والغالب أنها من النوع الأول كما شاهدنا في أحوال الملوك السابقين أمثال «توت عنخ آمون» وغيره، ومع كل ذلك سنضع أمام القارئ بعض مناظر هذه الحروب كما جاءت على هذه المعابد.

(أ) معبد «بو سمبل»

ففي معبد «بو سمبل» منظر يظهر فيه «رعمسيس الثاني»، وفي يده السيف والقوس ممتطيًا عربته على مهل، ومعه جيش يسير في ركابه، وبجانب جواداه وأسده الأليف يتبعه، ويسير أمام العربة أحد أتباع الفرعون يحمل قوسًا، وكنانة، وعصا، ونعلي الفرعون، وسيق أمامه صفان من الأسرى السود مكبلين في الأغلال، والمتن المفسِّر لهذا المنظر يقول:

> الإله الطيب الذي يضرب الجنوب، ويحطم الشمال، والملك المحارب بسيفه، والطارد إلى أبعد مدى أولئك الذين يتعدون أماكنه الحصينة، وعندما يحط جلالته رحاله في الممالك يهزم عشرات الألوف ويخربها، وقد … «رتنو» ذابحًا رؤساءهم، وجاعلًا السود يقولون: ابتعدوا إنه مثل اللهيب عندما يندلع، ولا يوجد ماء يطفئه، وإنه يجعل الخارجين يصمتون عن المتناقضات التي تخرج من أفواههم عندما استولى عليهم.[٣١]

وفي منظر آخر نشاهد «رعمسيس»، وبيده القوس يقود صفين من الأسرى السود يقدمهم إلى ثالوث «طيبة»، وهم: «آمون»، و«موت»، وابنهما «خنسو».

وقد كتب المتن التالي فوق صورة «رعمسيس» والسود:

> إحضار الجزية بوساطة الإله الطيب لوالده «آمون رع» رب «طيبة»، بعد وصوله من بلاد «كوش» هازمًا الأقاليم الخارجة، ومحطمًا الأسيويين في أماكنهم، وتشمل فضة

> وذهبًا، ولازورد وتوتية، وكل حجر فاخر غالٍ بمقدار ما كتبه له من قوة ونصر على البلاد كلها.
>
> ورؤساء «الكوش» الخاسئون الذين أحضرهم جلالته من انتصاراته في بلاد «كوش» ليملئوا مخازن والده الفاخر «آمون رع» رب «طيبة» هم بقدر ما أعطاه قوة على الجنوب، وانتصارًا على الشمال مخلدًا وسرمديًّا.[٣٢]

والمناظر التي على جدران معبد «بيت الوالي» قد تكلمنا عنها فيما سلف.[٣٣]

(٤-٢) حروب «رعمسيس» في آسيا

(أ) مقدمة

تكلمنا عن حروب «رعمسيس» مع بلاد «شردانا»، و«لوبيا»، و«النوبة» فيما سبق، وقد رأينا أنها كانت كلها حروبًا مبهمة لا يمكن تحديد مواقعها أو أسبابها؛ لأننا لا نعرف عنها إلا النزر اليسير، وتدل شواهد الأحوال على أن معظمها حدث في عهد اشتراك «رعمسيس» مع والده، وحتى حروبه الأولى في «سوريا» إذا كانت هناك حروب إلى السنة الخامسة لا نعلم عنها شيئًا معينًا لقلة ما لدينا من المصادر الواضحة، وقد كان أكبر مناهض له في آسيا مملكة «خيتا» التي تُعد أكبر دولة وقفت في وجه مصر في الأصقاع الأسيوية، وقد بقي النضال بينهما محتدمًا مدة تربى على عشرين عامًا، ويمكن تقسيمها ثلاثة أطوار مميزة: ففي الطور الأول: كانت حدود «رعمسيس الثاني» الفينيقية تمتد شمالًا حتى «بيروت»، ثم أوغل بعد ذلك حتى نهر «العاصي»، وهناك قابل «خيتا» في موقعة «قادش»، ولم تكن نتائجها مرضية للجانب المصري إلى حد كبير؛ إذ إن «قادش» قد بقيت في يد «خيتا» بعد الواقعة. والطور الثاني: نجد فيه «رعمسيس الثاني» يحارب أهالي «فلسطين» الذين حرضهم «ملك خيتا» على الخروج على مصر، وقد أطفأ «رعمسيس» نار الثورة هناك، وعادت «فلسطين» خاضعة للحكم المصري. أما الطور الأخير: فنجد فيه «رعمسيس» في بلاد «خيتا» يغزوها؛ فتابع فتوحه حتى وصل إلى بلدة «تونب»، وعندئذ خاف ملك «خيتا» على بلاده، وأرسل إلى «رعمسيس» يطلب عقد محالفة دائمة بين البلدين، وقد لوحظ في شروطها أنه لم تعيَّن حدود معلومة تفصل أملاك البلدين بعضها عن بعض.

وسنفحص كل طور من هذه الأطوار على حدة:

(ب) بداية الحروب مع «خيتا»

كانت الخطة الحكيمة التي اخترعها عقل «تحتمس الثالث» الجبار في حروبه مع آسيا الاستيلاء على «سوريا»، والإيغال في داخلها، هي أن يبدأ بتأمين طرق مواصلاته

بالاستيلاء أولًا على موانئ الساحل، ومن ثم يوغل في الداخل حيث يلتقي مع «خيتا» للمرة الأولى.

ولذلك كانت أول حملة أو زيارة قام بها «رعمسيس» موجهة إلى ساحل «فينيقيا»، وقد أوغلت في سيرها حتى «بيروت»، وهناك أقام لوحة على نهر «الكلب» في السنة الرابعة، وقد وجدت كذلك لوحتان في هذه الجهة، غير أن تاريخهما ليس معروفًا تمامًا لتآكل ما عليهما من نقوش، ولا نعرف على وجه التأكيد إذا كان «رعمسيس الثاني» قد حارب في هذه الجهة أم لم يحارب، والأمر الهام الذي نستخلصه من وجود هذه اللوحة في تلك البقعة أنها تعد على وجه التقريب آخر ما وصلت إليه فتوح «سيتي»، أو بعبارة أخرى حدود إمبراطوريته، وأن «رعمسيس» قد جاء بشخصه إلى «فينيقيا»، وأخيرًا تبين لنا التقدم الذي وصل إليه نحو الشمال (راجع Br. A. R. III, § 297).

الحملة الثانية: موقعة «قادش»

وتعد الموقعة التي تقابل فيها «رعمسيس الثاني» مع «الخيتا» وجهًا لوجه لأول مرة عند بلدة «قادش» نهاية الطور الثاني من حروبه مع هذه المملكة العظيمة.

والمصادر التي استقينا منها معلوماتنا عنها تنحصر في ثلاث وثائق، وهي:

- **الأولى:** ملحمة «قادش»، وهي التي تسمى — خطأ — قصيدة «بنتاور»؛ لأن «بنتاور» لم يكن الشاعر الذي ألَّف هذه الملحمة، بل هو الكاتب الذي نسخها بخطه.
- **الثانية:** الوثيقة الرسمية عن موقعة «قادش».
- **الثالثة:** المناظر والنقوش الخاصة بالموقعة، وهي التي رسمها «رعمسيس» على جدران معابده العظيمة في مختلف جهات القطر، وقبل أن نتحدث عن الواقعة، والخطط الحربية التي رسمها «رعمسيس» لنفسه يجدر بنا — كما هي عادتنا — أن نضع أمام القارئ ترجمة نصوص هذه الوثائق، حسب آخر الكشوف الحديثة التي قام بها المؤلف شخصيًّا في معبد «الأقصر» كما يجدها القارئ في كتابه عن ملحمة «قادش».[٣٤]

ملحمة «قادش»

لقد ظلت الروايات المختلفة التي رويت بها هذه الملحمة مبعثرة على جدران أهم معابد القطر، وبلاد السودان التي نقشت عليها دون أن يجمع شتاتها في كتاب واحد، وقرن بعضها

ببعض.

هذا فضلًا عن أن النسخة التي وصلت إلينا بالخط الهيراطيقي منقوصة غير كاملة؛ ولذلك لم يكن في مقدور أي أثري درس هذه الملحمة على الوجه الأكمل، وقد عني بجمع هذه النصوص المختلفة بقدر الطاقة، وترتيبها في مجلد واحد بحيث أصبح في الإمكان الحصول على متن كامل يمكن الاعتماد عليه من كل الوجوه، والمتون التي سنورد ترجمتها هنا تمتاز بأنها نسخة مطابقة للروايات المختلفة بعض الشيء التي دونت على جدران المعابد العدة مع قرنها ببردية «ريفا»، وبردية «ساليبه» التي تكمل إحداهما الأخرى، وهما تقدمان نسخة كاملة للملحمة لا ينقصها إلا بعض سطور، ولدينا — خلافًا للبردية — سبع نسخ أخرى نُقشت على جدران المعابد التالية، كما توجد نسخ أخرى تشمل بعض كلمات أضربنا عنها صفحًا، وهي:

- **الأولى:** نُقشت على بوابة معبد الأقصر الكبرى التي أقامها «رعمسيس الثاني».
- **الثانية:** على الجدارين الجنوبي والجنوبي الشرقي لردهة هذا المعبد نفسه.
- **الثالثة:** منقوشة على الجهة الخارجية من الجدار الغربي لردهة «أمنحتب الثالث» في نفس المعبد.
- **الرابعة:** دُونت على الجدار الخارجي لقاعة العمد العظيمة في معبد «الكرنك».
- **الخامسة:** حُفرت على الجدار الخارجي الواقع بين البوابتين التاسعة والعاشرة من هذا المعبد.
- **السادسة:** كُتبت على الجدار الشمالي الغربي الخارجي لمعبد «رعمسيس الثاني» الذي أقامه بالعرابة المدفونة.
- **السابعة:** صوِّرت على البوابة الثانية لمعبد «الرمسيوم الجنازي» الذي أقامه «رعمسيس الثاني» لنفسه.

ويمتاز هذا المتن الذي ننشر ترجمته هنا — على حسب كل الروايات المختلفة السالفة الذكر — بأنه لم يعتمد فيه على أية مطبوعات سابقة، بل على الأصول مباشرة، وعلى قدر ما وصلت إليه معلوماتنا، لم يُنشر من المتون التي ذكرناها هنا إلا متن بوابة «الأقصر»، ومتن معبد «الكرنك» الذي على الجدار الخارجي لقاعة العمد العظيمة.[٣٥]

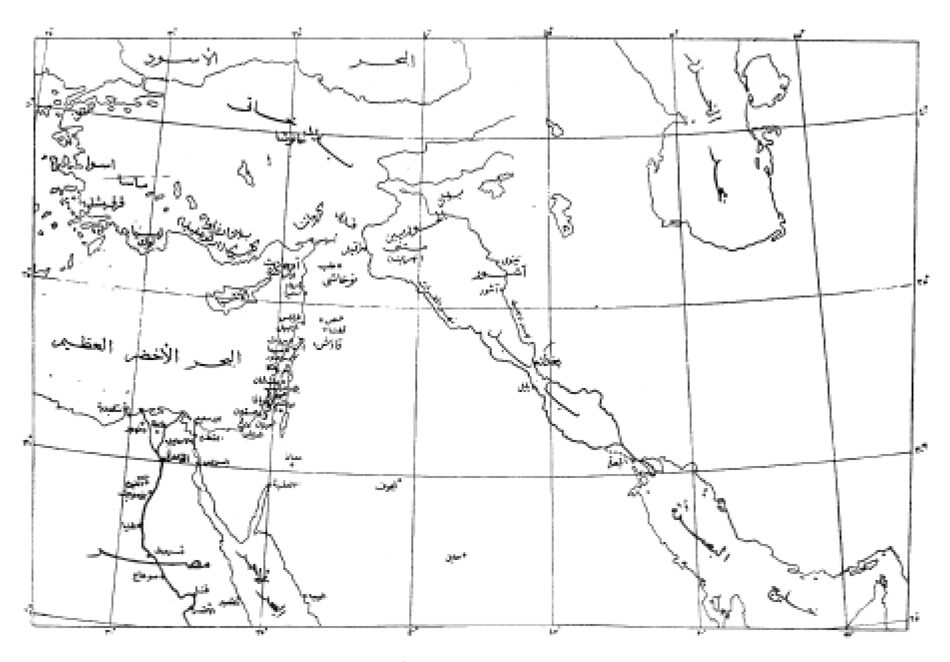
أما المتون الأخرى، وكذلك الجزء الأسفل من المتن الذي على بوابة معبد «الأقصر» — وهو الذي كشفنا عنه لأول مرة — فنضعها أمام القارئ الذي يريد أن يرجع إلى الأصول المصرية لدرس هذه الواقعة، وهاك ترجمة الملحمة على حسب نصوص الروايات المختلفة يكمل بعضها بعضًا:

نص ملحمة قادش

بداية انتصارات ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع ستبن رع» ابن الشمس، محبوب «آمون رعمسيس» معطي الحياة مخلدًا، وقد أحرزها على بلاد «خيتا»،[٣٦] وبلاد «نهرينا»،[٣٧] وبلاد «إرثو»،[٣٨] «وبدس».[٣٩]

وبلاد «دردني»،[٤٠] وأرض «ماسا»،[٤١] وأرض «قرقيشا»،[٤٢] وأرض «لك» أو «لوكي»،[٤٣] وبلاد «كركميش»،[٤٤] (أو جرجميش)، وأرض «قدي»،[٤٥] وأرض «إركاثا»،[٤٦] وبلاد «موشتات».[٤٧]

وعندما كان جلالته سيدًا غض الشباب شجاعًا لا مثيل له، قوي الساعدين، ثابت القلب كالجدار، يماثل الإله «مونتو» في قوته الجسمية في ساعته؛ أي ساعة غضبه، جميل الطلعة مثل الإله «آتوم»، والنظر إلى جماله يبعث السرور، عظيم الانتصارات على كل البلاد الأجنبية، ومن لا يعرف أحد كيف يأخذه لينازله، وإنه جدار قوي يحمي جنوده ودرعهم في يوم القتال، ولا مثيل له في الرماية، وقوته تفوق مئات الألوف مجتمعين، وهو الزاحف في المقدمة موغلًا في الجموع وقلبه مفعم بالشجاعة، قوي حين ينازل القرن كالنار عندما تلتهم؛ ثابت القلب كالثور المتأهب لساحة القتال لا يجهله أحد في الأرض قاطبة، ومن لا يقدر ألف رجل أن يثبت أمامه، ومن يتخاذل مئات الألوف عند رؤيته، وهو رب الخوف، وذو الزئير الهائل الذي يدوي في قلوب البلاد كلها، عظيم الرهبة التي يبعثها في قلوب الأجانب الخاسئين، وكالأسد الهصور في وادي البهم، ومن يغزو مظفرًا، ويعود منتصرًا أمام الناس من غير مفاخرة، تدابيره ممتازة، ونصيحته حسنة، سديد في جوابه، حامٍ مشاته يوم النزال … والفرسان والقائد لأتباعه، ومن يحمي مشاته، وقلبه كجبل من البرنز، السيد ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع ستبن رع» ابن الشمس «مري آمون رعمسيس» معطي الحياة، ولقد جهز جلالته مشاته وخيَّالته «شردانا»، وهم من سبي جلالته، وقد أحضرهم بانتصارات سيفه مدججين بكل أسلحتهم، وقد أعطاهم التعليمات للواقعة، ولما وصل جلالته إلى جهة الشمال، كان معه مشاته وفرسانه بعد أن سلك الصراط السوي في سيره. وفي السنة الخامسة، الشهر الثاني من فصل الصيف، اليوم التاسع، اجتاز جلالته قلعة «ثارو» (تل أبو صيفه الحالية)، وكان شديد القوى مثل الإله «منتو» في طلعته، في حين كان كل بلد أجنبي يرتعد أمامه، وقد حمل إليه كل الأمراء جزيتهم، وكان الثائرون منهم يأتون مطأطئي الرءوس خوفًا من بطش جلالته، وكان مشاته يسيرون في طرق ضيقة، وكأنهم يسيرون على طرق مصر المعبدة.



شكل ٤: خريطة الفتوح المصرية والأمم التي حاربتها مصر في آسيا الصغرى في عهد «سيتي» و«رعمسيس الثاني».

وبعد مضي أيام على ذلك كان جلالته — له الحياة والسعادة والصحة — في بلدة «مري آمون رعمسيس» — له الحياة والسعادة والصحة، وهي المدينة التي في وادي الأرز (مدينة في لبنان)، ثم تقدم جلالته نحو الشمال، وبعد أن وصل جلالته إلى هضبة «قادش»، تأمل! كان جلالته يتقدم جيشه مثل والده «منتو» رب «طيبة»، وعبر نهر الأرنت خوضًا بجيش «آمون الأول» المنتصر لسيده «وسر ماعت رع ستبن رع» — له الحياة والسعادة والصحة — ابن الشمس «مري آمون رعمسيس»، ثم اقترب جلالته من مدينة قادش، وكان أمير «خيتا» الخاسئ قد أتى وجمع حوله البلاد الأجنبية كلها من أقصى حدود البحر، وقد جاءت أرض «خيتا» قاطبة، وكذلك «نهرين»، وبلاد «إرثو»، وبلاد «دردني»، وبلاد «كشكش»،[٤٨] وبلاد «ماسا»، وبلاد «بداسا»، وبلاد «آرون»،[٤٩] وبلاد «قرقيشا»، وبلاد «لك»، وبلاد «قزودا»،[٥٠] و«كركميش»، و«إكريث»،[٥١] وبلاد «قدي»، وأرض «نجس»[٥٢] كلها، و«موشنات»، و«قادش»، ولم يترك أرضًا واحدة دون إحضارها معه، وكذلك كان معه رؤساؤهم، وكان كل واحد يقود مشاته، وكان خيالته كثيرين جدًّا يخطئهم العد، وقد غطوا بكثرتهم الجبال والوديان كأنهم جراد منتشر، ولم يترك في أرضه ذهبًا ولا فضة، وقد جرَّد نفسه من كل متاعه إذا أعطاه البلاد الأجنبية ليحضرها معه للقتال، ولكن كان أمير «خيتا» الخاسئ، والممالك الأجنبية العديدة معه، وقد وقفوا مختبئين على استعداد للقتال في الشمال الشرقي من «قادش»، وعندما كان جلالته — له الفلاح والصحة — وحيدًا مع حرسه كان جيش «آمون» يسير خلفه، وجيش «رع» يعبر مخاضة بالقرب من جنوب مدينة «شبتون» على مسافة فرسخ واحد من المكان الذي كان فيه جلالته، أما جيش «بتاح» فكان جنوب بلدة «إرنام»، وجيش «ستخ» كان لا يزال سائرًا على الطريق، وكان جلالته قد

نظم أول قوة للميدان من كل ضباط جنوده الخواص حينما كانوا لا يزالون بالقرب من شاطئ أرض «آمون»،[٥٣] وعندئذ أمر أمير «خيتا» الذي كان يقف بين جنوده الذين كانوا معه، ولم يخرجوا للقتال خوفًا من جلالته، بإحضار رجال وعربات كثيرة العدد كالرمال. وكان لكل عربة ثلاثة فرسان، وقد نظموا فرقًا، وكان كل محارب من «خيتا» الخاسئة مجهزًا بكل أسلحة القتال، وجعلهم يقفون كامنين خلف مدينة «قادش» في الشمال الغربي، ثم خرجوا من الجهة الجنوبية من «قادش»، واخترقوا قلب فيلق «رع» الذي كان يتابع السير، ولم يعرفوا المكان الذي كانوا فيه، ولم يكونوا على استعداد للحرب، عندئذ تخاذل مشاة جلالته، وفرسانه أمامهم، وكان جلالته عسكر شمالي «قادش» على الشاطئ الأيمن من نهر «الأرنت»، وفي هذه اللحظة جاء رجل، وأخبر جلالته بذلك، وظهر جلالته آنئذ مثل «منتو» (إله الحرب) بعد أن أخذ عدة الحرب ولبس درعه، فكان مثل «بعل» في ساعته، وكانت العربة العظيمة التي تقل جلالته المسماة «النصر في طيبة» من الإصطبل العظيم للسيد «وسر ماعت رع ستبن رع» محبوب «آمون»، وقد ركب جلالته مسرعًا، واندس في أعماق الأعداء من «خيتا»، وكان وحده — ولم يكن معه إنسان آخر — ولما تقدم جلالته، ونظر خلفه وجد أن طريق مخرجه قد أحيطت بألفين وخمسمائة عربة مع كل نوع من محاربي بلاد «خيتا» الخاسئة، وكذلك الممالك العديدة التي كانت معهم، وبخاصة بلاد «إرثو»، وبلاد «ماسا»، و«بداسا»، و«كشكش»، و«أرونا»، و«كزواتنا»، و«حلب»، و«أكارثي»، أو (جاريت)، و«قادش» و«لك»، وكان في كل عربة ثلاثة رجال، وقد نُظموا فصائل، ولم يكن معي رئيس ولا قائد عربة، ولا ضابط مشاة، ولا حامل درع، ومشاتي وخيَّالتي قد تركوني فريسة أمامهم، فلم يثبت واحد من بينهم لمحاربتهم، وعندئذ قال جلالته: «ماذا جرى يا والدي «آمون»؟ هل من عمل الوالد أن يهمل الابن؟ أم هل عملت شيئًا بغير علم منك؟ هل مشيت أو وقفت إلا على حسب قولك؟ هل تعديت الخطط التي أمرت بها (من فمك)؟» وإنه لأمر جلل إذ جعل الأجانب يقتربون من حافة طريق سيد مصر العظيم — أي بالقرب منها — فأين هم من قلبك أولئك الأسيويون التعساء الذين ينكرون الإله؟ يا «آمون»، ألم أقِم لك آثارًا عدة جدًّا لأملأ معبدك بأسلابي، وبنيت لك معبدي لملايين السنين، ووهبتك كل أملاكي بوصية؟ وأدرت (قدتُ) لك الأرض قاطبة لإمداد قربانك، وعملت على أن تعطي عشرات الآلاف من الثيران مع كل أنواع النباتات الزكية الرائحة! ولم أهمل شيئًا واحدًا طيبًا دون أن أجعله يعمل في ردهة معبدك، وأقمت لك بوابات ضخمة من الحجر، ونصبت لك عمد أعلام بنفسي، وجلبت لك مسلات من «إلفنتين»، وإني أنا الذي أمر بإحضار الحجر، وقد جعلت السفن تسير من أجلك في البحر لتنقل لك جزية البلاد الأجنبية، والناس يقولون ليحق الويل بمن يتصدى لخططك، والطيبات تعمل لمن يؤمن بك يا «آمون».

نعم إن الناس سيعملون لك بقلب محب، وقد ناديتك يا والدي «آمون» عندما كنت في وسط الأعداء، وأنا لا أعرف الممالك الأجنبية التي قد تجمعت عليَّ حين كنت وحيدًا دون أن يكون فرد آخر معي، وكان جنودي العديدون، قد نبذوني دون أن يلتفت نحوي واحد من فرساني، ولقد ناديتهم ولكن لم يصغِ إلي واحد من بينهم، وعندما دعوت وجدت «آمون» أكثر نفعًا من ملايين الجنود، وكثير من مئات آلاف العربات، وأكثر من عشرات آلاف الرجال،

ومن كل الإخوة والأطفال الذين يكونون على وئام فيما بينهم متحدين في قلب واحد، على أن مجهودات الرجال العديدين تتبدد؛ لأن «آمون» أكثر منهم نفعًا، وبعد أن وصلت إلى هنا على حسب نصيحة فمك يا «آمون» لم أتعدَّ خططك، وعندما وجهت نداءاتي من أقصى أعماق البلاد الأجنبية انطلق صوتي حتى «أرمنت»، وإذ ذاك وجدت «آمون» قد أتى على إثر ندائي له، ومد إلي يده، وحينما كنت في ابتهاج كان يصيح خلفي: إلى الأمام أمامك يا «مري آمون رعمسيس» إني معك، وإني والده، ويدي معك، إني أكثر نفعًا من مائة ألف رجل مجتمعين معًا في مكان واحد، وإني سيد الانتصار الذي يحب الشجاعة، ولقد وجدت لبي ثابتًا، وقلبي مبتهجًا، وكان الفلاح نصيب كل ما فعلته؛ لأني كنت مثل «منتو» عندما أشد قوسي بيميني، وعندما كنت أحارب بيدي اليسرى، لأني كنت مثل «بعل» في لحظته أمامهم — أي الأعداء — وقد وجدت الخمسمائة والألف العربة التي كنت في وسطها قد تحولت إلى كومة أمام خيلي، ولم يكن في مقدور واحد منهم أن يجد (يستعمل) يده ليحارب بها؛ لأن قلوبهم سقطت في جوفهم خوفًا مني، وأذرعتهم قد شُلت، فلم يكن في مقدورهم أن يفوِّقوا السهام، وكان من المستحيل عليهم أن يستردوا قلوبهم ليقبضوا على حرابهم، وقد جعلتهم يتساقطون في الماء كما يسقط التمساح، وقد خرُّوا على وجوههم الواحد فوق الآخر، وذبحت منهم من أردت، ولم يلتفت أحد منهم وراءه، وكذلك لم يعد واحد منهم، ومن سقط منهم لم يقُم ثانية، وعندما وقف رئيس «خيتا» الخاسئ في وسط مشاته وخيالته ليشاهد جلالته يقاتل وحيدًا بدون مشاته وخيالته معه، ظل واقفًا متلفتًا بوجهه، ومرتعدًا، وخائفًا يترقب، فأمر بإحضار رؤسائه العديدين، ومع كل منهم عرباته، وكانوا مدججين بأسلحتهم الحربية، وهم: أمير «إرثو»، وأمير «ماسا»، وأمير «أرون»، وأمير «لوكي» = «لسيا»، وأمير «بداسا»، وأمير «دردني»، وأمير «كركميش»، وأمير «قرقاشا»، وأمير «حلب»، وأخوه أمير «خيتا» كلهم مجتمعون في مكان واحد، ومعهم فيلق مؤلف من ألف عربة أتت أمامهم نحو النار، (الورقة = من ألفين وخمسمائة عربة).

وقد انقضضت عليهم مثل «منتو»، وجعلتهم يذوقون يدي في لحظة، وقد حاربتهم (الورقة = قتلتهم) في مكانهم حينما كان الواحد يصيح على صاحبه قائلًا: إن الذي بيننا ليس بشرًا، إنه «ستخ» صاحب القوة العظيمة، و«بعل» في أعضائه — أي بعل نفسه — إذ إن البشر لا يمكنهم أن يأتوا بما يأتيه من الأعمال، فعمله فرد وحيد يصد — أي يمكنه أن يصد مئات الآلاف دون أن تكون معه مشاة أو خيالة — هلموا نسرع، ونولِّ الأدبار أمامه، ونبحث لأنفسنا عن الحياة حتى نستطيع أن نستنشق الهواء! تأمل! إن مما لا شك فيه أن الخور منه سيصيب يد، وجميع أعضاء من يقترب منه، فالإنسان لا يمكنه أن يقبض على القوس، ولا على الحربة عندما يراه من بعيد آتيًا يعدو بسرعة؛ لأن جلالته كان خلفهم مثل المارد المجنح «جرفون»، وقد أعملت السيف فيهم دون هوادة، ورفعت السوط، وصحت على مشاتي وخيالتي قائلًا: قفوا وثبتوا قلوبكم يا مشاتي ويا خيالتي، شاهدوا انتصاراتي عندما كنت وحيدًا، و«آمون» كان حاميَّ، ويده معي، ما أشد ضعف قلوبكم يا فرساني، لهذا لا يحق أن يملأ الإنسان قلبه بكم (أي أن يهتم بأمركم)، حقًّا إنه ليس بينكم واحد سأعمل لخيره في بلادي، ألم أقم فيكم سيدًا في حين كنتم بين اليائسين؟ ومع ذلك رضيت عن

طيب خاطر أن تصبحوا عظماء بوساطة حضرتي كل الأيام، فقد ورَّثت الابن متاع الوالد، وأبعدت كل الظلم الذي كان في هذه الأرض، وتركت لكم جزية أرضكم، ومنحتكم أخرى إذا اغتصبت منكم، وأنصفت من استنصفني، وكنت أقول له كل يوم تأمل، وليس هناك سيد عمل لجنوده ما عمل جلالتي على حسب ما تهوى قلوبكم، وقد منحتكم أن تبقوا في مدنكم دون القيام بمهام الجندية، وكذلك جعلت لخيالتي طريقًا إلى مدنهم — أي سمحت لهم بالعودة إلى مدنهم — على شرط أن أستدعيهم لمثل هذا اليوم، وقت خوض المعارك؛ ولكن انظروا فقد أتيتم جميعكم أفرادًا؛ إذ لم يقف رجل واحد منكم ليمد يده لي وأنا أحارب، وإني أقسم بروح والدي «آمون-آتوم» ليتني كنت مثل والد آبائي الذين لم يرَهم السوريون، والذين لم يشنوا حربًا عليهم في مصر؛ أرقص — يقصد بذلك إخناتون الذي لم يرَ سوريا قط، ولم يشن حربًا هناك — على أن ليس بينكم واحد سيأتي مصر ليقص مفاخره (أحواله).

ما أجملها من فرصة لإنشاء آثار عدة في «طيبة» بلد «آمون»! لأن الجريمة التي ارتكبها مشاتي وخيالتي أعظم بكثير من أن أقصها، ولكن انظروا فإن «آمون» قد وهبني قوته دون أن يكون معي المشاة أو الخيالة، وقد جعل البلاد كلها ترى انتصاراتي وشجاعتي عندما كنت وحيدًا دون أن يكون عظيم خلفي، يشد أزري، لا سائق عربة، ولا جنديًّا من الجيش، أو أي ضابط، وقد نظرت إلى الممالك الأجنبية لدرجة أنهم تحدثوا باسمي حتى البلاد النائية التي لم تكن معروفة، أما أولئك الذين أفلتوا من يدي منهم، فإنهم إذا وقفوا متطلعين وراءهم رأوا ما كنت أعمله، فإني كنت أزحف على ملايين عدة من بينهم، وسيقانهم لا تستطيع الوقوف في مكانها، بل كانوا يولون الأدبار، وكل من كان يفوق سهمًا نحوي طاش، وسهامهم كانت تسقط إذا صُوبت إليَّ، ولكن عندما رأى «مننا» سائق عربتي أن عددًا عظيمًا من العربات قد أحاط بي تخاذل واستولى الخور على قلبه، ودخل الخوف قلبه، وعندئذ قال لجلالتي: يا سيدي الطيب، يأيها الحاكم الشجاع، يأيها الحامي العظيم لمصر في يوم الواقعة؛ عندما نقف وحيدين وسط الأعداء، انظر؛ لقد نبذنا المشاة والخيالة، فلماذا نقف لننجيهم؟ ليتنا نوهَب الخروج سالمين! نجنا يأيها السيد «وسر ماعت رع ستبن رع» له الحياة والسعادة والصحة (يا سيدي الطيب).

وعندئذ قال جلالته للسائق: قف وثبِّت قلبك يا سائق عربتي، إني أريد أن أدخل بينهم كما ينقض الصقر مذبحًا ومقتلًا ومجدلًا من على الأرض، من هؤلاء المخنثون الذين لا يمكن أن يصفر وجهي أمام مليون منهم؟

وعلى أثر ذلك كرَّ جلالته بخطًى واسعة في وسط الأعداء (من الخيتا الخاسئة) حتى الكرَّة السادسة، وهو يدخل وسطهم، وقد كنت خلفهم مثل «بعل» في ساعة شدة بأسه، وأعملت السيف فيهم دون أن أخطئ، وعندما رأى مشاتي وخيالتي أني مثل الإله «منتو» القوي الشديد البأس، وأن الإله «آمون» والدي في الوقت نفسه كان معي، وقد جعل البلاد الأجنبية كالهشيم أمامي، أخذوا يقتربون واحدًا فواحدًا متسللين نحو المعسكر في وقت الغروب، وقد وجدوا أن الأقوام الأجانب كلهم الذين شققت طريقي بينهم قد جدلوا أرضًا

مضرجين بدمائهم، وبخاصة خيرة محاربي «خيتا»، وكذلك أطفال أميرهم وإخوته، وقد جعلت ميدان قتال «قادش» أبيض اللون؛ أي بالجثث، وملابسها البيضاء — حتى لم يستطع أحد أن يجد مكانًا يمشي عليه لكثرة جموعهم من القتلى.

وعندئذ جاء جنودي يدعون الله باسمي، وشاهدوا ما فعلت، وقد أتى عظمائي ليمجدوا قوتي، وأتى خيالتي ليشيدوا باسمي قائلين: «يأيها المحارب الجميل الذي يثبت القلب؛ لقد نجيت مشاتك وخيالتك لأنك ابن «آمون» الذي يعمل (يحارب بساعديه)، لقد خربت أرض «خيتا» بسيفك البتار؛ لأنك محارب جميل منقطع النظير، وملك يحارب لمشاته يوم القتال؛ لأنك واحد عظيم القلب، والمقدام في المعمعة، ولا تستطيع الأرض قاطبة أن تحيطك بالنظر؛ لأنك واحد عظيم الظفر أمام الجيش، وأمام وجه الأرض قاطبة من غير إسراف في القول، وإنك حامٍ لمصر، وقاهر للبلاد الأجنبية، وإنك قصمت ظهر «خيتا» أبدًا.» وعلى ذلك قال جلالته لمشاته، وعظمائه، وكذلك لخيالته: «من هم إذن عظمائي ومشاتي وخيالتي الذين يعرفون كيف يقاتلون؟ أليس في استطاعة الرجل أن يجعل نفسه عظيمًا في بلدته إذا عاد أمام سيده آتيًا بعمل شجاع؟ وبذلك يكون صاحب سمعة طيبة؛ لأنه قد حارب بشدة بأس؛ لأن الرجل يمدح بشجاعته منذ القدم. ألم أعمل عملًا صالحًا لواحد من بينكم حتى تنبذوني وحيدًا بين الأعداء؟ هل استطبتم جمال الحياة، واستنشاق النسيم عندما كنت وحيدًا؟ ألا تعلمون في قرارة نفوسكم أني سياجكم الحديدي بخاصة؟

سيتحدث الناس بترككم إياي وحيدًا لا رفيق لي، ولا عظيم معي، ولا ضابط صف يمد يده إليَّ، وكنت أحارب الملايين من البلاد الأجنبية منفردًا، وكان معي «النصر في طيبة»، و«موت الراضية»، وهما جواداي العظيمان؛ لأنهما اللذان وجدتهما قد أتيا ليأخذا بيدي = (لمساعدتي) حينما كنت وحيدًا أحارب ممالك أجنبية عدة، والواقع أني كنت متمسكًا بإعطائهما علفهما من الشعير في حضرتي يوميًّا حين كنت في قصري؛ لأنهما هما اللذان وجدتهما عضدًا لي وسط الأعداء، وكذلك سائق عربتي «مننا»، والساقون في البلاط الذين كانوا إلى جانبي وشاهدوا القتال. تأملوا! لقد وجدتهم، وقد عاد جلالتي في قوة ونصر بعد أن كنت جدَّلت بسيفي البتار مئات الآلاف مجتمعين في مكان واحد، وعند الفجر نظمت الصفوف للقتال، وكنت مستعدًا للنزال كالثور المتأهب، وظهرت أمامهم مثل «منتو» عندما يكون مدججًا بآلات الشجاعة والنصر لهجمة كالصقر، وكان صلِّي الذي على جبيني يجدل العدو، ويرسل لهيبًا من النار في وجه أعدائي، وكنت مثل «رع» (الشمس) عند إشراقي في الصباح المبكر يحرق شعاعي أعضاء العدو، وكان الواحد من بينهم ينادي صاحبه قائلًا: «استعدوا، خذوا حذركم، ولا تقتربوا؛ لأنها «سخمت» العظيمة التي معه على فرسه، ويدها معه، ومن يقترب منه يقابل لهيبًا من النار يحرق أعضاءه.» من أجل ذلك وقف رجال «خيتا» بعيدًا مقبِّلين الأرض، وأيديهم متجهة نحوي، ولكن جلالتي هجم عليهم، وأعملت فيهم السيف دون أن يفلتوا مني، وقد صاروا كومة من الجثث أمام جيادي مجدلين مضرجين بدمائهم، فأرسل أمير «خيتا» الخاسئ متضرعًا لاسم جلالتي العظيم، كما يتضرع الإنسان لاسم «رع» قائلًا: «إنك «ستخ»، و«بعل» في أعضائه، والفزع منك كالنار في أرض

«خيتا»، فقصمت ظهر هؤلاء الخيتا إلى الأبد.» ثم أرسل بعد ذلك رسوله بخطاب سار للقلب في يده باسم جلالتي العظيم، واتجه به إلى جلالة قصر «حور» له الحياة والسعادة والصحة (الثور القوي محبوب العدالة)، الملك الذي يحمي جيشه، والقوي بساعده، والجدار لجيشه يوم القتال، والسيد، وملك الوجه القبلي والوجه البحري، سيد الأرضين، فرح القلب (الغني في قوته، والعظيم الفزع) «وسر ماعت ستبن رع» ابن الشمس، عظيم النصر، وسيد السيف «رعمسيس مري آمون» الذي يمنح الحياة أبدًا.» إن الخادم[٥٤] هنا يقول ويعلن، ويجعل الناس يعرفون: أنك ابن «رع»، وخارج من صلبه (أعضائه)، ومن أجل ذلك أعطاك كل الأراضي موحدة جميعًا، ولما كانت أرض مصر وأرض «خيتا» خدمك حقًّا، وتحت قدميك، وهبك «رع» والدك المفخم إياهما، فلا تعاملني بقسوة؛ إن قوتك عظيمة، وسلطانك عظيم في الأرض (خيتا)، فهل من الخير أن تقتل عبيدك، وأن يكون وجهك عابسًا لهم، ولا تأخذك الشفقة بهم؟ إنك قد قمت بمذبحتك أمس، وأعملت السيف في رقاب مئات، وقد جئت اليوم دون أن تترك لنا وارثين، لا تتباطأ في قرارك أيها الملك القوي، إن السلام أكثر خيرًا من الحرب، امنحنا النفس، وبعد ذلك عاد جلالتي في حياة ورضى، وعملت مثل «منتو» في ساعته، وهو المظفر في هجومه، وعندئذ أمر جلالتي أن يؤتى بكل قواد المشاة والفرسان، وجمعت عظمائي لأجعلهم يسمعون السبب الذي من أجله بعث «ملك خيتا» رسالة، وبعد ذلك أسمعتهم الكلام الذي أرسله إليَّ رئيس «خيتا» الخاسئ، فنطقوا بصوت واحد: إن السلام شيء ممتاز جدًّا أيها الملك يا سيدنا، فلا ضرر في الصلح الذي ستبرمه، فما من أحد يستطيع أن يرجوك في اليوم الذي تكون غاضبًا فيه، وعند ذلك أمر جلالته أن يسمع كلامهم؛ أي يصلح مع ملك خيتا، ثم توجه في سلام نحو الجنوب، وعاد جلالته في أمان نحو أرض الكنانة، ومعه مشاته وخيالته، ويرافقه كل الحياة، وكل الثبات وكل الرضى، كما كان الآلهة والإلهات يحفظون جسمه بعد أن صد الأراضي كلها بالفزع الذي كان يبعثه عليهم، وبعد أن حمت شجاعته جيشه، في حين كانت كل البلاد الأجنبية تتعبد إلى وجهه الوضاء، واقترب في سلام نحو أرض مصر إلى بيت «رعمسيس» محبوب «آمون» عظيم النصر، ونزل في قصره «طيبة» مثل «رع» في أفقه، في حين كان آلهة هذه الأرض كانوا يحيونه قائلين: «تعال، تعال يابننا الذي نعزه يا سيد الأرضين، يا ملك الوجه القبلي والوجه البحري، يا «وسر ماعت رع ستبن رع»، وابن الشمس «رعمسيس» محبوب «آمون».» وقد وهبوه ملايين أعياد ثلاثينية مخلدًا على عرش والده «رع»، والأراضي المختلفة، والممالك الأجنبية كلها قد خرَّت تحت نعليه طول الحياة، وإلى الأبد.

التقرير الرسمي لموقعة «قادش»

أما المصدر الثاني الذي يُعتمد عليه في فهم ما دار في موقعة «قادش» فهو «التقرير الرسمي»، وهو أبسط وأقصر مما جاء في الملحمة، والمصادر التي استقينا منها الترجمة التالية هي سبع نسخ كُتبت كلها على جدران المعابد الهامة:

- **أولًا:** على الجدار الغربي الخارجي من ردهة «أمنحتب الثالث» في معبد «الأقصر».

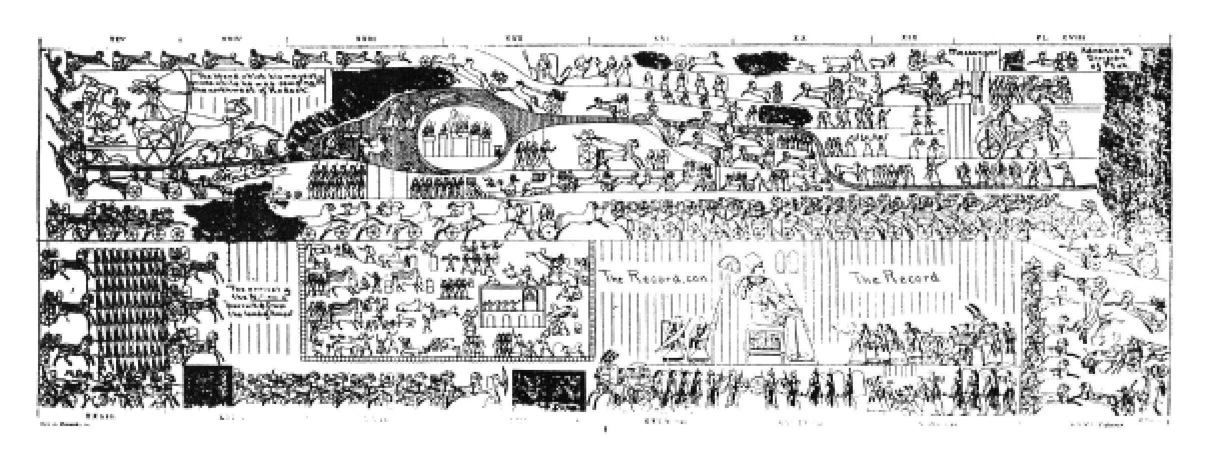
- **ثانيًا:** على الجدار الجنوبي الشرقي لردهة «رعمسيس الثاني».
- **ثالثًا:** على بوابة معبد «الأقصر» الذي أقامه «رعمسيس الثاني».
- **رابعًا:** على الجدار الجنوبي الغربي لمعبد «العرابة المدفونة».
- **خامسًا:** على البوابة الأولى لمعبد «الرمسيوم».
- **سادسًا:** على الجدار الشمالي للردهة الثانية من معبد «الرمسيوم».
- **سابعًا:** على الجدار الشمالي لمعبد «بو سمبل».

ويلاحظ أن الجزء الأسفل من متن الأقصر كان تحت الأرض، ولم يكن قد كُشف عنه بعد، وقد كشف المؤلف عنه، واستفاد مما جاء فيه في هذه الترجمة.

الترجمة: السنة الخامسة، الشهر الثالث من فصل الصيف، اليوم التاسع في عهد جلالة «حور» الثور القوي، محبوب العدالة، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع ستبن رع» ابن الشمس محبوب «آمون»، «رعمسيس» معطي الحياة مخلدًا، كان جلالته في أرض «زاهي»، أو جبال زاهي في حملته الثانية المظفرة، وكان استيقاظًا مبكرًا (راجع Onomastica I, p. 141) في حياة وعافية وصحة في سرادق جلالته على الهضبة الجنوبية من «قادش»، وعندما طلع الفجر أشرق جلالته كما يشرق «رع» (الشمس)، ودجج بأسلحة والده «منتو»، ثم سار شمالًا حتى وصل جلالته جنوبي بلدة «شبتونا»، وهناك أتى إليه اثنان من «الشاسو» (البدو)، وقالا لجلالته: إن زملاءنا من أكابر أسر «شاسو» مع «خيتا» جعلونا نسعى إلى جلالته قائلين: إننا سنكون خدمًا للفرعون — له الحياة والفلاح والصحة، وقد فررنا من أمير «خيتا» الخاسر، وعندئذ قال لهم جلالته: «من أين أتيتم لتقصوا على جلالتي هذه الخطة؟» فقالوا: «من المكان الذي فيه رئيس «خيتا»»؛ لأن «خيتا» الخاسئ يقيم في أرض «حلب» في الشمال، وهو يخاف أن يأتي الفرعون — له الحياة والفلاح والصحة — جنوبًا في حين أن الفرعون — له الحياة والفلاح والصحة — يسير شمالًا. ثم تكلم هذان البدويان هذا الحديث الذي تحدثا به لجلالته، لأن آثم «خيتا» الخاسئ قد جعلهم يأتون ليروا المكان الذي فيه جلالتي حتى لا يكون جيش جلالته مستعدًّا للقتال مع «الخيتا» الخاسئين، وهكذا فإن «خيتا» الخاسئة أرسلت هذين البدويين ليقولا هذا الكلام لجلالته، وقد أتى بمشاته وخيالته، وعظماء كل أرض من أقطار أرض «خيتا» بمشاتهم وخيالتهم التي أحضرها معه بالقوة، ووقف مسلحًا للحرب خلف «قادش» المخادعة، في حين كان جلالته لا يعرف بالتحديد أين كانوا؛ لأنه صدَّق ما قاله البدويان؛ ولذلك سار جلالته شمالًا حتى وصل إلى الشمال الغربي من «قادش» الخاسئة دون أن يعرف جلالته أين هم. وضرب هناك جلالته سرادقه، ثم جلس جلالته على عرش من

«السام» في شمالي «قادش» على الشاطئ الغربي من نهر «الأرنت»، وأتى كشاف من أتباع جلالته، وأحضر جاسوسين من «خيتا» الخاسئة، وجيء بهم إلى الحضرة، فقال لهم جلالته: من أنتما؟ فقالا: أما نحن فإن «خيتا» الخاسئ جعلنا نأتي لنرى المكان الذي فيه جلالتك، وعندئذ قال لهما جلالته: وأين «خيتا» الخاسئ الآن؟ انظر، لقد سمعت حقًّا أنه في إقليم شمالي «حلب» في الجهة الشمالية من مدينة «تونب»، فقالا لجلالته: تأمل! إن رئيس «خيتا» الخاسئ قد عسكر مع ممالك عديدة أحضرها معه بالقوة من كل البلاد الأجنبية التي في إقليم بلاد «خيتا»، وبلاد «دردني»، وأرض «نهرين»، وبلاد «كشكش»، وبلاد «ماسا»، وأرض «قرقشا»، وأرض «لك»، وأرض «كركميش»، وأرض «إرثوا»، وأرض «إكريث»، وبلاد «أرونا»، وبلاد «إنسا»، وبلاد «موشنات»، و«قادش»،[٥٥] و«حلب»، وأرض «قدي» كلها، وهي مجهزة بالمشاة والخيالة والسلاح، وكانوا أكثر عددًا من رمال الشاطئ. وانظر، لقد وقفوا على أهبة الاستعداد للواقعة خلف «قادش» المخادعة، وعندئذ أمر جلالته أن يُدعى في حضرته العظماء ليسمعوا كل كلمة قالها جاسوسا «خيتا» المخادعة اللذان كانا في الحضرة، فقال جلالته: تأملوا خطط أولئك الرؤساء الذين على الأراضي الأجنبية، وكذلك كبار الموظفين الذين يديرون أرض الفرعون — له الحياة والفلاح والصحة، فإنهم قد ظلوا يقولون للفرعون — له الحياة والفلاح والصحة — يوميًّا: إن «خيتا» الخاسئ موجود في أرض «حلب» في الجهة الشمالية من «تونب»، وأنه فرَّ أمام جلالته منذ أن سمع. تأمل، إن الفرعون — له الحياة والفلاح والصحة — قد أتى. وهكذا تحدثوا إلى جلالته يوميًّا، ولكن انظروا لقد عُقدت جلسة في هذه الساعة نفسها مع جاسوسي أرض «خيتا» الخاسئة؛ فاعترفا أن ملعون «خيتا» قد أتى مع ممالك عديدة برجال وخيل كعدد الرمال. تأملوا، لقد عسكروا مختبئين خلف «قادش» المخادعة دون أن يعلم حكام بلادنا الأجنبية وكذلك عظماؤنا، المكان الذي هم فيه من أرض الفرعون — له الحياة والفلاح والصحة — وبعد ذلك قال الأمراء الذين كانوا في حضرة جلالته: إن ما ارتكبه أمراء البلاد الأجنبية وعظماء الفرعون — له الحياة والفلاح والصحة — بعدم الإخبار عما سمعوه عن خاسئ «خيتا»، وعن كل مكان كانوا فيه؛ خطأ عظيم، وكان عليهم أن يقدموا تقريرًا لجلالته — له الحياة والفلاح والصحة — يوميًّا. وعندئذ أمر الوزير أن يسرع بجنود جلالته الذين كانوا يسيرون جنوبي «شبتونا» ليحضرهم إلى المكان الذي فيه جلالته، ولكن بينما كان جلالته جالسًا يتحدث إلى الأمراء؛ إذ أقبل خاسئ «خيتا» مع مشاته وخيالته، وكذلك كانت معه البلاد الأجنبية العديدة، وعبروا المخاض الواقع جنوبي «قادش»، ومن ثم اقتحموا قلب جيش جلالته الذين كانوا يسيرون دون علم منهم بذلك، فتخاذل مشاة جلالته وخيالته أمامهم، متجهين شمالًا نحو المكان الذي كان فيه جلالته، وعندئذ أحاط الأعداء — الخيتا الخاسئون — بحرس جلالته الذين كانوا بجانبه؛ وعندما حقق جلالته النظر فيهم انقض عليهم غاضبًا مثل والده «منتو» رب «طيبة» بعد أن دجج بعدة الحرب ولبس درعه، وكان مثل «ستخ» (بعل) في ساعة شجاعته، وعندئذ أسرع بجواده العظيم المسمى «النصر في طيبة»، ثم انقض بسرعة منفردًا بنفسه، وكان جلالته وقتئذ شجاع القلب، وسقط أمامه كل إقليم، ووجهه جذوة نار تحرق كل بلد أجنبي باللهيب، وقد صار كالأسد الهصور عندما رآهم وقوته ترسل عليهم شواظًا من نار، فلم يكفِه مليون من

الأجانب؛ لأنه عندما رأى أعداءه «الخيتا» الخاسئين ومعهم عدة ممالك أجنبية، كان جلالته مثل الإله «ستخ» عظيم القوة، ومثل الإلهة «سخمت» في وقت غضبها؛ فأخذ في تذبيحهم وتقتيلهم … وكذلك … عظماؤه وإخوته كلهم، هذا إلى كل أهل البلاد الأجنبية الذين أتوا معه، ومشاتهم، وعرباتهم، فقد سقطوا على وجوههم الواحد فوق الآخر، وقتلهم جلالته في مكانهم مجدلين تحت سنابك خيله، ولم يكن معه آخر، وبعد ذلك أطاح جلالته بأعدائه «الخيتا» الخاسئين على وجوههم الواحد فوق الآخر كما يطاح بالتماسيح في ماء نهر «الأرنت»، وكذلك كل البلاد الأجنبية، وكنت وراءهم كالمارد الطائر، (حيوان خرافي ذو جناحين) … وحيدًا، وقد نبذني مشاتي وخيالتي، ولم يقف واحد منهم ليلتفت وراءه إليَّ، وإني أقسم بحب «رع»، وبحظوة «آتوم» لي بأن كل شيء قاله جلالتي فعلته حقًّا أمام مشاتي وخيَّالتي.



شكل ٥: منظر موقعة قادش والتقرير الرسمي كما صوِّر على جدران معبد «بو سمبل».

هاتان هما الوثيقتان اللتان سنعتمد عليهما في فحص موقعة «قادش»، وهما كما يرى القارئ من جانب واحد، وهو الجانب المصري، أما المصادر الخيتية فلم يصلنا عنها إشارة عن هذه الواقعة.

أما المصدر الثالث المصري فهو الصور التي رسمها «رعمسيس الثاني» على جدران المعابد العظيمة مع هذه الوثائق، وهي:

- **أولًا:** معبد العرابة: بقي لنا من رسومه المعسكر، والموقعة، وحصر الغنائم.

- **ثانيًا:** معبد الكرنك: نشاهد على جدار قاعة العمد فوق نص الملحمة رسم الغنائم التي قُدمت لثالوث «طيبة».

- **ثالثًا:** وكذلك نشاهد شمالي نص الوثيقة في الكرنك المعسكر، وكذلك الموقعة.
- **رابعًا:** وعلى جدار الردهة التي بين البوابة التاسعة والعاشرة لمعبد الكرنك نشاهد المعسكر والموقعة، وإحصاء الغنائم.
- **خامسًا:** وفي معبد الأقصر نرى على جدران البوابة المعسكر، والموقعة في الجهة الشرقية، وفي معبد الأقصر كذلك على الجدار الغربي من ردهة «أمنحتب الثالث» نشاهد صورة المعسكر، والموقعة، وإحصاء الغنائم، ورجوع الفرعون منتصرًا (؟).
- **سادسًا:** وفي «الرمسيوم» نشاهد على البوابة الأولى من الشمال المعسكر، ومن الجنوب الموقعة.
- **سابعًا:** وفي «الرمسيوم» على البوابة الثانية نشاهد صورة الموقعة في الجهة الشمالية.
- **ثامنًا:** وفي «الرمسيوم» على الجدار الشمالي للردهة الثانية نشاهد منظر المعسكر.
- **تاسعًا:** وفي «بو سمبل» على الجدار الشمالي نشاهد منظر المعسكر، والموقعة، وإحصاء الغنائم.

وقد ذكر الأثري «فيدمن»، واقتبسه آخرون أن في معبد «الدر» في بلاد النوبة رسومًا توضح «موقعة قادش»، غير أن الكتاب الذي نُشر حديثًا عن هذا المعبد ورسومه لا يحتوي شيئًا من ذلك (راجع .Wiedemann Aegyptische Gesch II, (1884) p. 434 .(Note. 5

وهذه هي كل المصادر التي ستكون عمادنا في مناقشة حوادث هذه الموقعة.

موقعة قادش

والآن بعد أن سردنا ما جاء في قصيدة «رعمسيس»، أو ملحمة «رعمسيس»، والتقرير الرسمي، ونوهنا بالمناظر التي على جدران المعابد، بالإضافة إلى ما سنستخلصه من المناظر الملحقة بالنقوش قد أصبح لدينا مادة يعتمد عليها في تصوير سير موقعة «قادش» التي كادت نتائجها تكلف «رعمسيس الثاني» حياته، وتضيع على مصر الجزء الذي أعاده لها «سيتي الأول» من إمبراطوريتها بعد حروب طويلة طوال مدة حكمه لولا شجاعة

«رعمسيس»، وقد رأينا فيما سبق أن «سيتي الأول» قد اشتبك مع مملكة «خيتا» في حروب كان يبغي من ورائها أن يستعيد أملاك مصر في آسيا برمتها، غير أنه لما فطن إلى أن الوقت لم يحِن بعد للقيام بحملة يكون فيها القضاء المبرم على دولة «خيتا» القوية الفتية فضل إبرام معاهدة مع عاهلها، وبذلك ساد السلام، وخيم الأمن على ربوع الدولتين.

ولكن على الرغم من ذلك وجدنا ابنه «رعمسيس الثاني» قد سار على رأس جيشه في السنة الخامسة من حكمه لمنازلة مملكة «خيتا» في حملة قد مهد لها، ووضع خططها في السنين التي سبقت قيامه بها؛ إذ قد استولى على ساحل «فينيقيا» حتى «بيروت»، وأقام لوحة حدود إمبراطورية في هذه الجهة عند شواطئ «نهر الكلب» كما ذكرنا آنفًا. والواقع أنه لا يمكن الجزم بمن كان المعتدي الأول من البلدين، وخرق المعاهدة التي أبرمها «سيتي»، والصورة التي نكوِّنها من خطابات «تل العمارنة» عن هذا العصر تصوِّر لنا غربي آسيا في حالة اضطراب ودسائس، تظهر فيها بلاد «خيتا» تعمل جهد الطاقة للاستيلاء على الأصقاع الأسيوية كلما سنحت الفرصة لتوسيع رقعة بلادها، ومد سلطانها. وفي استطاعتنا من جهة أخرى أن نتصور «رعمسيس الثاني» منذ نعومة أظفاره مشبعًا بروح والده الحربي، جاهدًا في أن يعيد لمصر إمبراطوريتها بالغزو والفتح. والواقع أن «رعمسيس الثاني» عند توليه عرش الملك كان حدث السنِّ، كما قدمنا، وكان نشطًا في الوقت نفسه، وطموحًا إلى أقصى غاية بفضل دم الشباب، ساعيًا في توسيع رقعة بلاده. ورجل هذه أطماعه ومقاصده يرى في كل معاهدة تحول دون تنفيذ أغراضه قصاصة ورق وحسب، ومع ذلك لا يمكننا الجزم هنا برأي والده «سيتي الأول» في تشجيع مواصلة الحرب مع «خيتا» عند سنوح الفرصة ليستولي على شمالي «سوريا» أم لا، ولكنا نعلم أن ملك خيتا «مواتالو» بقي مسالمًا، ومن المحتمل أن البعث الذي أرسله، وهو الذي سنتكلم عنه فيما بعد، كان الغرض منه الوصول إلى محادثات تؤدي إلى إيجاد علاقات سلمية، ولكن لم يكن في استطاعة مملكة «خيتا» أن تصر على إيغال «مصر» في «سوريا»، وهذا ما كان قد شرع فيه «رعمسيس»، ثم تبقى مكتوفة اليدين.

وفوق ذلك كله كان لا بد للنظر في أمر سقوط بلاد الآمورين التي كانت منذ جيلين داخل دائرة نفوذهم، ويجب ألا تبقى مكشوفة غير محصنة، وعلى ذلك وطَّد الملك «مواتالو» العزم على القيام بهجمة مضادة؛ فقام بتجنيد شامل كما ذكرت لنا النصوص المصرية، فجمع كل ما في البلاد من ذهب وفضة حتى نزف دماء أهلها، وأعد بتلك الثروة العظيمة جيشًا عظيمًا، وجمع حوله كل البلاد المحالفة له؛ أي التي كانت تحت سلطانه، وهي التي جاء ذكرها في نقوش الملحمة، وفي نقوش التقرير الرسمي عن الموقعة، وهذا الجيش كان يتألف من مشاة مسلحين بالحراب والسهام، ومن عربات حرب، وبذلك أصبح كل سهل آسيا الصغرى، وشمالي سوريا (بلاد نهرين) حتى ما وراء «قادش» مشتركًا معه في شن الحرب على مصر، وقد كان غرضه الأول استرجاع بلاد «آمور».

وكان على رأس فرق هذا الجيش أمراء الحلف الذين كانوا مع ملك «خيتا» (مواتالو)، وكذلك كان معه «خاتوسيل» الوصي على «البلاد المرتفعة»، وقد صوَّر لنا «رعمسيس

الثاني» صورة ناطقة لهؤلاء الجموع في النقوش والصور التي تركها لنا على جدران معابده المختلفة التي على الرغم من اختلاف الروايات في جزئياتها تعد من أهم المصادر التي يعتمد عليها، وبخاصة ما تركه لنا من المناظر على معبد الأقصر، وفي معبد «بو سمبل»، وعلى جدران «الرمسيوم»، (انظر المصوران الخاصان بذلك)، وكذلك على الجزء الأسفل من جدران معبد «العرابة المدفونة»؛ فنشاهد فيها مع طرازي «خيتا» الممثلين على هذه الجدران ساميين لهما لحيتان، وخصلة شعر، كما نجد آخرين معظم شعورهم حليقة، أو قُصت قصًّا قصيرًا جدًّا، وأهل البدو الذين ميزوا تمييزًا تامًّا بتقاسيم وجوههم وملابسهم، وقد مثلوا هناك كثيرًا، وهم الذين يُعرفون في المتون المصرية باسم «شاسو»؛ وتدل الظواهر على أنهم كانوا يتدفقون على الجيوش حتى من دائرة النفوذ المصري، ومن ثم تظهر العلاقات القديمة ثانية بين «الخيتا»، وأولئك الأقوام من الساميين البدو — أي «الخبيري» — الذين كانوا ينزحون إلى البلاد صاحبة الثقافة للنهب والسلب من شمالي «سوريا»، وبلاد «مسو بوتاميا» كما ذكرنا ذلك من قبل (راجع ج٥)، وهذه المناظر تشمل الجزء الأعظم من مشاة الخيتيين الذين اشتركوا في موقعة «قادش»، وهم الذين وقفوا بجوار مليكهم أمام «قادش»، وكانوا يتألفون من فرقتين: واحدة منهما نحو ثمانية آلاف، والثانية نحو تسعة آلاف مقاتل، يضاف إلى ذلك بعض جنود من «خيتا»، وبخاصة مشاة حلفائها.

أما عدد عربات القتال التي كان يستعملها ملك «خيتا» وحلفاؤه، فهي على حسب الصور المصرية نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة، فإذا كان هذا العدد صحيحًا، وأن كل عربة كانت تحمل ثلاثة مقاتلين كما تقول النصوص، فإن قوام خيَّالتهم كان نحو خمسمائة وعشرة آلاف مقاتل، والواقع أن عدد مشاة جيش «خيتا» لم يبالَغ فيه كما بالغ اليونان في عدد مشاة الفرس، وتدل الظواهر على أن كل قوتهم كانت نحو خمسة وعشرين وثلاثين ألف مقاتل، غير العربات والرجال الذين يقومون بخدمة الجيش، وحراسة عتاده.

ولا شك في أن هذه القوة كانت عظيمة إذا راعينا بُعد الشقة، وما كان يتطلبه الجيش من تموين لا بد أن يصل إليه في ساحة القتال لمدة قد يطول أمدها في بلاد نائية عن موطنهم الأصلي. والآن بعد أن ألقينا نظرة خاطفة على تكوين جيش «خيتا» يجب أن نفحص عدد الجيش المصري عندما قام «رعمسيس» بهذه الحملة على عدوه العنيد، ومما يؤسف له أنه لا توجد لدينا أسس حقيقية نعتمد عليها لمعرفة قوة الجيش المصري وقتئذ كما كان لدينا عن جيش «الخيتا»، ومن المدهش أن المصري كان يقدم لنا الأعداد الحقيقية عن الرجال الذين كانوا يستخدمون في حملات أقل أهمية، وكان عدد الجيش المحارب عندهم سرًّا من الأسرار، ولا أدل على ذلك من إعطاء المصري عدد رجال البعوث التي ترسل للعمل في المناجم، أو إلى بلاد النوبة، ولكن من جهة أخرى لم نعثر في أية وثيقة بقيت لنا على عدد الجنود في أية معركة حربية كبيرة، ولدينا وثيقة واحدة من عهد «رعمسيس الثالث» ذكر لنا فيها عدد الرجال، وكلهم من الأجانب المرتزقة الذين أرسلوا إلى «وادي حمامات»، وهؤلاء من جنود «شردانا»، وعددهم ألف وتسعمائة جندي، ومن جنود «كهك» ستمائة

وعشرون، ومن جنود «مشاواشا» ستمائة وألف، ومن العبيد ثمانون وثمانمائة، ومجموعهم خمسة آلاف جندي.[٥٦]

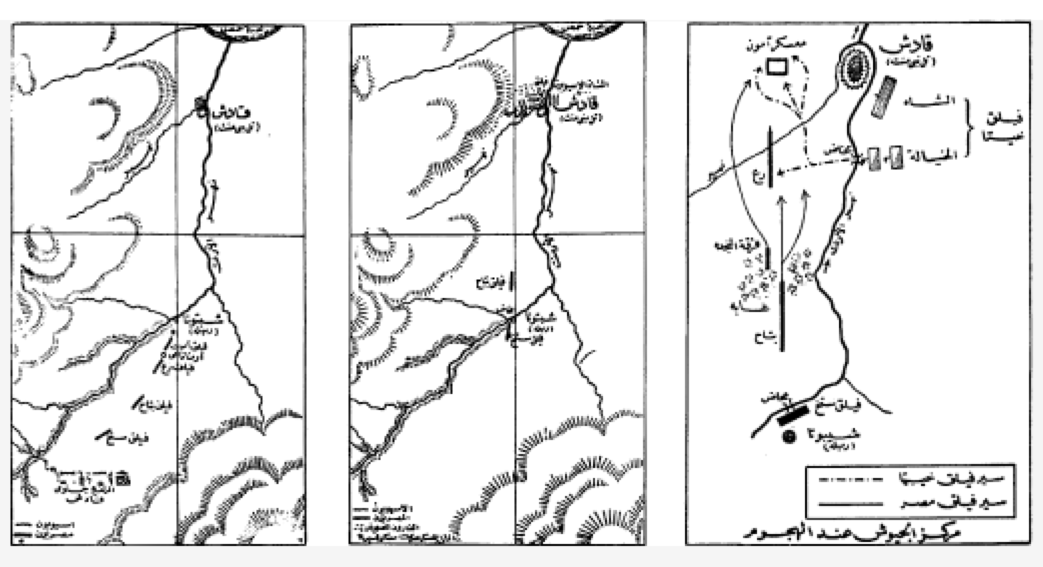
وإذا رجعنا إلى عهد الأسرة الحادية عشرة وجدنا أن الملك «نب تاوي رع» «منتوحتب» جمع جيشًا قوامه عشرة آلاف رجل من المقاطعات الجنوبية،[٥٧] وثلاثة آلاف بحَّار من الدلتا؛ فيكون مجموعهم ثلاثة عشر ألف رجل أرسلهم جميعًا إلى «وادي حمامات» لاستخراج الأحجار، وفي زمن الأسرة نفسها أرسل الملك «سعنخ كارع» ثلاثة آلاف رجل فقط لنفس المحاجر،[٥٨] وفي عهد الأسرة الثانية عشرة أرسل حاكم المقاطعة «أميني» أربعمائة رجل في حروب بلاد النوبة لمساعدة الفرعون، وستمائة رجل إلى «قفط» لحراسة قافلة لاستخراج الذهب،[٥٩] وأرسل «أمنمحات الثالث» جيشًا مؤلفًا من ألفين وخمسمائة رجل إلى «وادي حمامات»، ومعهم ثلاثون رجلًا من قاطعي الأحجار، وثلاثون بحارًا، وعشرون شرطيًّا من حراس الجبانة،[٦٠] وكذلك أرسل قوة مقدارها ثلاثون وسبعمائة جندي إلى مناجم وادي مغارة،[٦١] ويدَّعي «مرنبتاح» بن «رعمسيس الثاني» أنه أرسل ستة وسبعين وثلثمائة وتسعة آلاف جندي في حملة على بلاد «لوبيا»،[٦٢] ويحتمل أنه قد أسر عددًا أكبر من هذا في هذه الحملة، ويقال: «إن رعمسيس الثالث» ذبح في حملة واحدة ستة وثلاثين وخمسمائة واثني عشر ألف رجل من العدو،[٦٣] ولكن في حملته الثانية لم يذبح سوى خمسة وسبعين ومائة وألفي رجل، وأسَر اثنين وخمسين وألف رجل،[٦٤] فمن كل ما سبق يظهر أن الجيش المصري لم يكن ضخمًا، ولا بد أنه كان لا يزيد على خمسة وعشرين ألفًا، أو ثلاثين ألف مقاتل في أية حملة قام بها الفراعنة، وكان جيش «رعمسيس الثاني» في موقعة «قادش» يتألف من أربعة فيالق بعضهم من جنود «شردانا»، وهم الذين يتألف المشاة الثقال منهم، غير أنه ليس من المستطاع معرفة عددهم بالنسبة للجيش كله، كما لا يمكننا أن نعطي نسبة المشاة للفرسان، وقد ذكر لنا «مسبرو» أن جنود «خيتا» وحلفاءهم كانوا يقدرون بنحو عشرين ألف مقاتل،[٦٥] ولم يكن في استطاعة «رعمسيس» أن يغزو بلاد عدوه بأقل من مثل هذا العدد، وعلى ذلك يحتمل أن قوام كل فيلق من فيالق جيشه كان نحو خمسة آلاف محارب، ويقدر «مسبرو» قوة جيش «رعمسيس الثاني» بنحو خمسة عشر ألفًا، أو ثمانية عشر ألف مقاتل، ولكن هذه التقديرات كلها لا تخرج عن الحدس والتخمين. ويمكن أن نتصور حملة «رعمسيس الثاني» على «خيتا» كما يأتي:

> سار «رعمسيس الثاني» في السنة الخامسة من حكمه، الشهر التاسع، اليوم العاشر (حوالي ١٧ أبريل سنة ١٢٩٦ق.م) مجتازًا حدود مصر عند قلعة «ثارو» القريبة من القنطرة الحالية على رأس جيشه الذي كان يتألف من أربعة فيالق، فكان فيلق «آمون» الذي تحت قيادته مباشرة يتقدم الفيالق الأخرى، أما الفيالق الأخرى وهي: فيلق «رع»، وفيلق «بتاح»، وفيلق «ستخ» فكانت تتبعه على حسب الترتيب، ولا نعلم على وجه التأكيد الطريق التي اتخذتها هذه الجيوش في «فلسطين»، ولكن نعلم أنها وهي في جنوبي «لبنان» كانت تسير على امتداد الطريق الساحلي، وتشير

القصيدة في أولها إلى أن الملك كان قد نظم أول قوة للميدان من كل ضباط جنوده الخاصين حينما كانوا لا يزالون بالقرب من شاطئ أرض «آمور» (راجع p1. 28)، وهذه الفرقة هي التي كُتب عليها في المناظر: «وصول جنود الفرعون الشباب (نعرن) من أرض آمور.» وسنتكلم عن عمل هذه الفرقة فيما بعد. أما بلاد «آمور» فهي الجزء الساحلي من شواطئ بلاد البحر الأبيض المتوسط الذي استولى عليه في السنين السالفة لهذه الحملة، كما ذكرنا من قبل، وبالقرب منه تقع بلدة «وسر ماعت رع» (مري آمون رعمسيس ماعت) الواقعة في وادي الأرز، ولا نزاع في أن هذه البلدة كانت قاعدة «رعمسيس» البحرية، ولا بد أنها كانت عند مصب نهر الكلب أو بالقرب منه، بجوار اللوحة التي كان قد أقامها في هذا المكان من قبل، وأطلق عليها لوحة «نهر الكلب». ومن ثم أوغل «رعمسيس الثاني» وجيشه في داخل البلاد موليًا وجهه شطر «قادش»، وهذه المدينة — كما ذكرنا آنفًا — موجدة بالمكان المسمى «تل نبي مند» الحالي، وتحدِّثنا نقوش الوثائق المصرية على أن آخر مكان ضرب فيه الجيش المصري خيامه قبل نشوب الواقعة كان على الهضبة التي جنوب «قادش» (انظر المصور). ويقول الميجر «برن»[٦٦] الذي ناقش تصوير الأستاذ «برستد» لهذه الواقعة من الوجهة الحربية (١): «إن الجيش المصري حتى هذه النقطة كان يسير بلا انقطاع مدة ثلاثين يومًا، بمعدل ثلاثة عشر ميلًا في اليوم»، ولا نزاع في أن هذه كانت سرعة عظيمة كلفت الجنود المشاة جهدًا أكثر من المعتاد، ونعلم من جانبنا من تواريخ «تحتمس الثالث» أن أول حملة قام بها على «مجدو» تحدثنا أنه ترك قلعة «ثارو»، وسار بجيشه إلى «غزا»؛ فقطع المسافة بينهما، وهي مائة وخمسة وعشرون ميلًا في عشرة أيام — أي بمعدل اثني عشر ميلًا ونصف ميل في اليوم — (مصر القديمة ج٤)، وبذلك نرى على حسب رأي الميجر «برن» أن سرعة سير جيش «رعمسيس الثاني» كانت تفوق سرعة جيش «تحتمس الثالث»، أو تعادلها. ولما وصل «رعمسيس» إلى الهضبة الواقعة جنوبي «قادش» ضرب خيام جيشه فيها، وهذه الهضبة توجد الآن عند قلعة «الهرمل»، وهي ضمن هضاب البقاع، وهو الوادي المرتفع الواقع بين جبال لبنان،[٦٧] وكان على «رعمسيس» أن يسير مسافة يوم كامل ليصل إلى «قادش»، من ثم سار الفرعون بجيوشه شطر الشمال؛ فوصل جلالته جنوب مدينة «شبتونا» (ربلة)، وكان «رعمسيس» الذي بقيادته فيلق «آمون» يسير شمالًا على الشاطئ الشرقي من نهر «الأرنت»، أما الفيالق الأخرى فكانت خلفه تتبعه في سيره على مسافات مختلفة، والظاهر — كما تدل النقوش — أن رجال الكشافة لم يكن في مقدورهم أن يستطلعوا مواقع العدو بالضبط، وكانت الفكرة السائدة بينهم هي أن جيش العدو كان لا يزال بعيدًا جهة الشمال، وعندما اقترب «رعمسيس» من مخاضة «الأرنت» الواقعة فوق بلدة «شبتونا» حضر إليه جاسوسان من العدو (شاسو) ليخبراه بأنهما ومواطنيهما كذلك يرغبون في التخلص من جيش «خيتا»، والانضمام إلى المصريين، وأن ملك «خيتا» قد تقهقر إلى حلب في شمالي «تونب»، وأن العدو يتوجس خيفة من أن يأتي جنوبًا لمحاربة المصريين؛ وهذا

البلاغ كان — بطبيعة الحال — مختلقًا من أساسه؛ إذ الواقع أن ملك «خيتا» الخاسئ كان مختبئًا بعيدًا عن الخطر هو وجيشه خلف مدينة «قادش»، وتقول النقوش المصرية صراحة: إن العدو كان يكمن للجيش المصري خلف مدينة «قادش»، أو في الشمال الغربي من مدينة «قادش» كما جاء في نص البردية، وهذا هو الموقع الذي بنى عليه الأستاذ «برستد» مصوَّره الجغرافي التخطيطي (انظر المصور) لمركز الجيوش[٦٨] المصرية، غير أن الميجر «برن» قال: إن الشمال الغربي لا بد أن يكون غلطة من جانب كاتب البردية، وهذا ليس ببعيد؛ لأن المتون الأخرى التي على جدران المعابد لم يأتِ فيها تحديد الجهة، بل ذكرت كلها على أنه كان خلف «قادش» وحسب.

وحقيقة الأمر أن هذا المكان بعينه هو الذي عسكر فيه «رعمسيس» بعد بضع ساعات فيما بعد في أثناء النهار بعدما تحرك بجيشه إلى الشمال. والآن يتساءل الإنسان: كيف يتسنى للمصريين أن يضربوا خيامهم دون أي حذر في مكان قد أخلي في الوقت نفسه من عدد عظيم من الرجال، والخيل، والعربات دون أن يلحظ المعسكرون الجدد أي أثر يدل على أنه كان محتلًا بالعدو من قبل؟ وكذلك يتساءل الميجر «برن» كيف يتسنى لكاتب القصيدة أو التقرير أن يعرف موقع الجيش المعادي قبل أن يشتبك في القتال؟ ولذلك يعتقد أن الشمال الشرقي هو الوضع الصحيح لا الشمال[٦٩] الغربي؛ إذ الواقع أن «رعمسيس» قد عبر النهر عند «شبتونا» (ربله) متجهًا نحو «قادش» على الشاطئ الغربي، وعلى ذلك يحتمل أن الكاتب عندما كان يتكلم عن «خيتا» واختبائهم خلف «قادش» كان يفكر في أنهم لا بد كانوا في الشمال الشرقي من «قادش» مختفين عن أعين المصريين وراء منازل المدينة، والتل المرتفع في وسطها، يضاف إلى ذلك أن «رعمسيس» كان في هذا الوقت معسكرًا في الشمال الغربي من «قادش»، وكان جيش خيتا وقتئذ بلا نزاع معسكرًا شرقي المدينة، وإذا كانوا كما يقول «برستد» في الأصل في الشمال الغربي، وكما جاء في متن البردية، فإن هذا الانتقال كان يحتم نقل جيش قوامه حوالي عشرين ألف مقاتل عبر النهر في رائعة النهار، ويظن «برن» أنه كان لا يمكن ذلك في تلك المدة الوجيزة التي ذكرت.



شكل ٦: موقعة قادش في عهد «رعمسيس الثاني».

والواقع أن «رعمسيس» قد خانه الحظ بعدم استطاعة كشافته معرفة موقع العدو، هذا بالإضافة إلى أنه — على ما يظهر — قد صدَّق ما قصه عليه الجاسوسان، وعلى ذلك سار بحرسه في سرعة خاطفة على بلدة «قادش»، وقد كان سيره سريعًا إليها لدرجة أن جيش «آمون» لم يكن في استطاعته أن يجاريه في السير؛ إذ لم يكن بصحبته إلا حرسه الخاص، وقد كانت المسافة بين جيش «آمون» وجيش «بتاح» نحو ميل ونصف، في حين كان جيش «ستخ» يتعثر في سيره في المؤخرة بعيدًا، حتى أن مؤلف القصيدة قد ذكر بإبهام أنه كان سائرًا على الطريق، والواقع أنه لم يشترك في الموقعة قط. ولا نزاع في أن مثل هذا التوزيع للجيوش المصرية يعد طريقة فاشلة في القيادة الحربية، هذا على زعم أن «رعمسيس» كان يعرف أن جيش العدو قريب منه، ولكن الحقيقة أنه ظن أن أمير «خيتا» الخاسئ كان على مسافة لا تقل عن مائة ميل بعيدًا عنه عند «حلب»؛ ولذلك كان لسير جيوشه على هذا النظام الذي يفصل بعض الفرق عن بعض مسافات ما يبرره، هذا فضلًا عن أن سيرها متباعدة بعضها عن بعض يريح الجنود؛ إذ يجعلهم يصلون إلى ساحة القتال دون أن يصيبهم إعياء كبير قد يؤثر على سير الواقعة.

بعد ذلك تحدثنا القصيدة والتقرير الرسمي على السواء أن «رعمسيس» قد وصل إلى شمالي مدينة «قادش» على الشاطئ الغربي من نهر «الأرنت» يتبعه فيلق «آمون»، وعسكر هناك وقت الظهيرة، أما فيلقا «رع»، و«بتاح»، فكانا وقتئذ لا يزالان يسيران على الطريق مخترقين غابة «أرنانامي»، أما فيلق «ستخ» فلم يأتِ له ذكر في المتن (انظر المصور).

وكان «رعمسيس» في موقفه هذا في غفلة عما ينتظرها من أحداث جسام، بل ظن أنه يُحسد على ما قام به من خطط مرضية ينتظر من ورائها النصر العاجل، ولكن آماله كلها قد

تبددت؛ إذ إنه في أثناء جلوسه على أريكته الذهبية في معسكره أحضر إليه كشافان من الأعداء، وبعد أن ضُربا ضربًا مبرحًا ليُطلقا عقال لسانيهما كي ينطقا بالحقيقة أذعنا وصدعا، فأسمعا الفرعون الأخبار المفجعة التي أنبأته أن العدو واقف له بالمرصاد خلف «قادش» المخادعة، وعندئذ أخذ «رعمسيس» يكيل لجنوده اللوم والتقريع، وفي ساعة توبيخهم انقض العدو بعد أن عبر النهر على فيلق «رع» في أثناء سير جنوده نحو مكان الفرعون، وقد أمر الفرعون وزيره — غير عالم بالكارثة الأخرى — أن يحث فيلقه — أي فيلق «رع» — على الإسراع، وأطاع الوزير الأمر، وعندئذ وصل إلى «رعمسيس» رسول يخبره بالكارثة التي حلت بفيلق «رع»، وفي هذه اللحظة بدأ الملك الفتي يدرك الخطر المحدق به الذي جلبه عليه طيشه وتسرعه.

وعلى أثر ذلك مباشرة أخذ الفارُّون من فيلق «رع» يهرعون إلى معسكر «رعمسيس»، والعدو يطاردهم بعنف وشدة، وقد ساد الهلع، وانتشر الفزع والرعب، والتفرقة بين رجال فيلق «آمون»؛ فأطلقوا لسيقانهم العنان مولين مدبرين مع الفارِّين، وبذلك استولى جيش «الخيتا» على معسكرهم، وأخذوا ينهبون ما فيه، وفي هذه اللحظة أظهر «رعمسيس» للملأ عظمته الحقيقية؛ إذ انتهز فرصة جشع جنود العدو في السلب والنهب، وقبض على ناصية الموقف، وهجم على العدو — ولم يكن معه إلا حرسه — في أضعف نقطة بشدة بأس وعنف بالغين حتى إنه قذف بهم في النهر.



شكل ٧: ضرب الجاسوسين ليقرَّا بمكان موقع العدو.

وقد كان في مقدور «رعمسيس» أن يثبت في ميدان القتال بشجاعته الشخصية؛ حتى وصلت إليه نجدة أشار إليها المتن المصري «بالمدد»؛ مما جعل كفة ميزان الموقعة تميل إلى جانبه، ولم تأتِ الظهيرة حتى سيطر المصريون على الموقف، على أنه — لا متن

القصيدة، ولا تقرير الموقعة — قد فسر لنا كُنه أولئك الجنود الذين أخذوا بناصر «رعمسيس»، وهم — بلا شك — لم يكونوا من أحد الفيالق السالفة الذكر.

وقد فحص الميجر «برن» هذا الموضوع بعناية، واستنبط أنهم لا بد كانوا يؤلفون جزءًا من الحامية التي كان «رعمسيس» قد تركها في قاعدته البحرية في السنة السالفة، وقد ساقهم معه في سيره إلى «قادش»، وقد ضمهم إما لمؤخرة فيلق «رع»، أو جعلهم يسيرون في مقدمة فيلق «بتاح»، وقد حدد «برن» مكان هؤلاء الجنود بين الفيلقين السالفي الذكر على المصور الذي رسمه «برستد»، ويظن أن الوزير — حين حاقت به الكارثة — قفل راجعًا على جناح السرعة ليحث فيلق «بتاح» فمر بهم — أي جنود المدد — في طريقه، وحضهم على الإسراع قُدُما بكل ما لديهم من جهد للحاق بـ «رعمسيس» ونجدته.

وفي الحق وصل هؤلاء الجنود في اللحظة الأخيرة؛ إذ من البدهي أن «رعمسيس» لم يكن في مقدوره أن يقاوم أكثر مما قاوم أمام تلك الجنود الجبارة التي حشدها ملك «خيتا» عليه، غير أن هذا الرأي الذي قدمه لنا الميجر «برن» قد عارضه الأستاذ «إدوردمير»، وتناوله كذلك «جاردنر»، وجاء بتفسير آخر، ويتلخص فيما يأتي: جاء في متن القصيدة بعد وصف مواقع الفرعون، وفيالقه الأربعة قبل نشوب المعركة مباشرة، وكذلك قبل ذكر حضور أمير «خيتا» في وسط جيشه، جملة مبهمة حُشرت في سياق الكلام، وقد ترجمها «برستد» (راجع Br. A. R. III § 310) كالآتي: «إن جلالته قد ألَّف الصف الأول من كل قواد جيشه حينما كانوا على الشاطئ في بلاد آمور.» وهو يشير بذلك إلى التوزيع الأول الذي قام به «رعمسيس» بين جنوده في نقطة ما في جنوب بلاد «لبنان»، ومن ثم اتجه «رعمسيس» بجيشه في الداخل. ويخيل لي على أية حال أن هذه العبارة لا بد أنها تشير إلى القوة التي صوِّرت في مناظر الموقعة على جدران المعابد كلها، وهم الذين قد حضروا على حين غفلة إلى الميدان، وعندما وجدوا معسكر الفرعون قد أُحيط من كل جهة هاجموا «الخيتا» في المؤخرة. والنقش الذي كُتب عنهم هو: وصول الجنود الشبان (نعرن) — وهم صنف من الجنود في الجيش المصري (راجع Onomastica I, p. 171) — من بلاد «آمور». والتفسير الوحيد لذلك هو ما قاله «إدوردمير» عندما صحح ترجمة «برستد» للجملة المبهمة السالفة الذكر بقوله: «إنهم كانوا أول قوة ميدان خاصين» لا «الصف الأول من كل قواد جيشه.» وكانوا قد اندفعوا على الساحل بعد «طرابلس»، ومن ثم أوغلوا في الطريق الهام التي تعبر «النهر الكبير»، وتؤدي إلى «حمص»، أو جاءوا عن طريق آخر على مسافة قصيرة جنوبًا، ومن الطبعي أن نلحظ هنا أن «رعمسيس» كان يريد أن يبسط أمامنا معظم أعماله العظيمة التي تبرهن على شجاعته، ولذلك لم يضع أمامنا إلا تفاصيل ضئيلة مختصرة بقدر المستطاع عن هذه القوة التي كانت سببًا في نجاته من هزيمة ساحقة، وهذا في الواقع هو التفسير المعقول لنجدة «رعمسيس»، بالإضافة إلى انصراف جنود «الخيتا» عن متابعة هزيمتهم لجنود الفرعون إلى نهب معسكره، وأخذ ما فيه من نفائس.

ولدينا أمر غريب لم يفسر بعد، وهو: ما السبب في أن ملك «خيتا» — بعد ما أحرزه من تقدم حتى الآن، وبعد أن كان النصر يكون في قبضة يمينه — لم يفكر في إرسال فيلق مشاته، الذي كان يبلغ ثمانية آلاف مقاتل إلى ساحة القتال، وبذلك يضمن عقد لواء النصر النهائي لنفسه؟ وقد ناقش الميجر «برن» هذه المسألة فقال: من المحتمل أن المخاضة كانت أعمق مما يجب على المشاة مما لم يشجعه على العبور،[٧٠] ولكني أظن أن السبب الأرجح لذلك هو انعدام تلك الهبة العالية في القائد العظيم عند ملك «خيتا»، وأعني بذلك قوة الأعصاب، والعزيمة الجبارة عند ساعة الخطر، والواقع أن هجوم نجدة الأموريين من الخلف هي التي أوقعت الرعب في جنود «خيتا»، وشتت شملهم (راجع مواقع الجيش المصري في المصور المقابل لهذه الصحيفة).

وعندما خيم الظلام ولى الأحياء من جنود «خيتا» الأدبار نحو المدينة، وكان «رعمسيس» ومدده الظافرين في هذا النزال، والواقع أنه حاق بـ «الخيتا» خسائر فادحة، وكان من بين القتلى كثير من أسرة الملك وموظفيه، ولكنه لم يكن النصر الفاصل لـ «رعمسيس» وجيشه، ولا بد أن الجيش المصري قد حاقت به خسائر فادحة، غير أن النقوش لا تعترف بذلك، وقد لخص الأستاذ «برستد» الموقف في العبارة التالية: «على أن ما جعل النتيجة نصرًا لـ «رعمسيس» هو إنقاذه لنفسه من الدمار الساحق، أما إنه استولى في النهاية على ساحة القتال فلم يضف هذا إلى النصر إلا فائدة قليلة فعلية.»

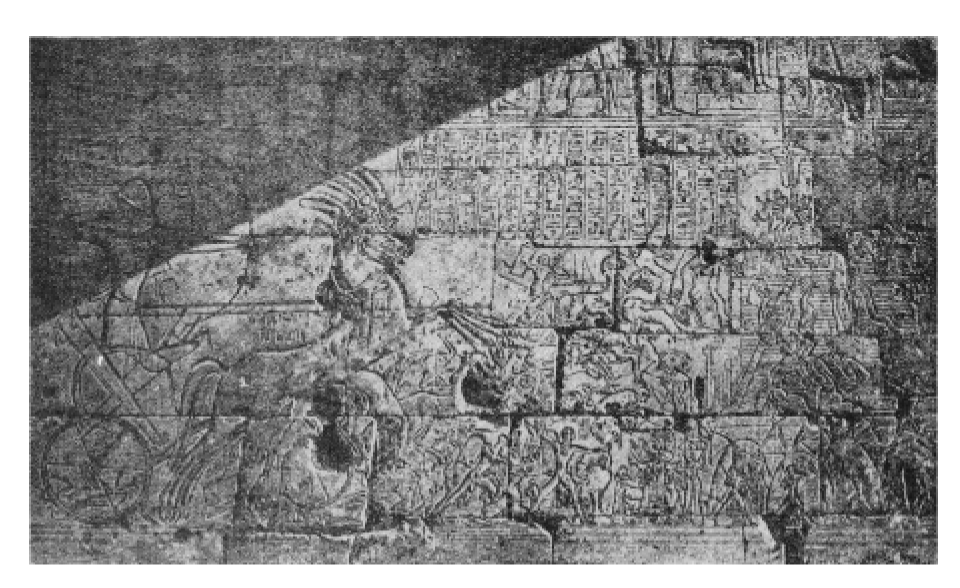
ومما هو جدير بالذكر هنا أن كشف سجل «بوغازكوي» عاصمة خيتا القديمة، ودرس ما جاء فيها قد أثبت بصورة قاطعة ما جاء في النقوش المصرية عن العلاقات التي كانت بين الدولتين، ومن هذه السجلات قطعة صغيرة من النقوش عن موقعة «قادش» نفسها مكتوبة بوجهة نظر «خيتا»،[٧١] وكذلك وجد بين هذه السجلات لوحتان عليهما جزء من مسودة المعاهدة التي عقدت بين الدولتين،[٧٢] وسنفحصهما فيما يلي. وعلى الرغم من أن نتائج موقعة «قادش» كانت منبع سرور شخصي، وابتهاج لـ «رعمسيس الثاني» لما كشفت عنه من الشجاعة العالية والعبقرية الكامنة، التي ظهرت عند اشتداد الخطوب، وحرج الموقف، فإنها لم تكن من جهة أخرى كل ما تتوق إليه نفسه، وتطمح إليه آماله الكبار؛ إذ لم يستولِ «رعمسيس» على «قادش»، بل اضطر إلى العودة إلى مصر دون أن يصل إلى مأربه الأصلي، وفضلًا عن ذلك فإنه فقد معظم رجال فيلق من جيشه الذي زحف به من «ثارو»، ولا نزاع في أن هذه الحوادث كان لها أثر سيئ العاقبة بالنسبة لسمعة مصر وسيادتها في آسيا، ولم يترك «الخيتا» هذه الفرصة تفلت من أيديهم إذ أثاروا الفتن والقلاقل في الأملاك المصرية للقضاء على سلطانها، فقامت الثورات في الإقليم الشمالي من فلسطين التي كان قد أعادها «سيتي» لمصر، ثم انتشرت الفتن جنوبًا حتى أبواب المعاقل المصرية الواقعة في الشمال الشرقي من الدلتا، وبذلك تبخرت تلك الإمبراطورية التي اكتسبها «سيتي» لمصر في آسيا في بضع سنين قليلة، غير أن روح «رعمسيس» الحربي، وحبه للغزو اضطرَّه أن يبدأ فتح إمبراطوريته من جديد، والمصادر التي لدينا عن الحروب التي تلت موقعة «قادش» ضئيلة، هذا إلى أن ترتيب وقوعها غير مؤكد.

وكل ما نعرفه حتى الآن أنه بين السنة الخامسة، والثامنة هبَّ كل أمراء «فلسطين» بالثورات على «رعمسيس» بتحريض من «خيتا»؛ ولذلك اضطر إلى إعادة فتح كل أملاكه الأسيوية من جديد مبتدئًا «بعسقلان»، ولدينا على جدران معبد «الكرنك» منظر يمثل الهجوم على مدينة «عسقلان»، والنقوش المفسرة للمنظر تشير إلى قيام عصيان فيها، والواقع أن «عسقلان» لم تكن المدينة الوحيدة التي شقت عصا الطاعة، بل لا بد أنها كانت في حلف مع مدن «فلسطين» الأخرى. وفي هذا المنظر نشاهد الملك في عربته يهاجم الأسيويين ذوي اللحى، وهم مصطفون فوق شرفات المدينة الواقعة على مرتفع من الأرض، ويلاحظ أن سلالم الهجوم قد نُصبت، وأن ضابطًا مصريًّا يهدم بوابة المدينة ببلطته، في حين نشاهد السكان على الجدران يطلبون الرحمة، وقد نُقش مع منظر المدينة المتن التالي: «مدينة «عسقلان» الخاسئة التي استولى عليها جلالته عندما ثارت، وتقول — أي المدينة — إنه لسرور أن نكون رعاياك، وإنها لبهجة أن نعبر حدودك، خذ إرثك حتى نتحدث عن شجاعته في كل البلاد المجهولة.» ولم تحل السنة الثامنة من حكم «رعمسيس» حتى كان قد وصل إلى شمال «فلسطين» ثانية، واستولى على مدينة «الجليلي الغربي»، والوثيقة الوحيدة التي لدينا عن هذه الفتوح[٧٣] هي قائمة تظهر فيها صفوف مدن ذوات شرفات يسوق فيها ضباط مصريون الأسرى، وكل مدينة نقش عليها المتن التالي: «مدينة نهبها جلالته في السنة الثامنة»، وبعد ذلك يذكر اسم المدينة، غير أنه لم يبقَ من هذه الأسماء إلا قليل قد فحصه «مولر».[٧٤]

حصار «دابور»: والمكان الوحيد من بين هذه المدن الذي لا يقع غربي إقليم «الجليل» هو مدينة في أرض «آمور» تُدعى «دبور»، وتقع — على ما يظهر — في إقليم حلب على حسب أحدث الآراء.[٧٥]

وقد مثل المفتن المصري الاستيلاء على هذه المدينة في صورة رائعة حية بتفاصيل شيقة على جدران معبد «الرمسيوم»،[٧٦] وفيها يظهر أولاد «رعمسيس» يقومون بدور هام في الموقعة.

والنقوش المفسرة لهذا المنظر على الرغم من أنها تكاد تكون كلها عقود مدح للفرعون فإنها مع ذلك تظهر لنا حقيقة هامة هي أن «خيتا» كانوا منذ واقعة «قادش» قد أوغلوا في هذه الأصقاع جنوبًا، واحتلوا مؤقتًا بلدة «دبور» التي يقصيهم عنها «رعمسيس»، وتعد هذه البلدة أقصى بلدة في الجنوب وصل إليها «الخيتا» في إيغاله، وهذا الإيغال كان بطبيعة الحال وقتيًّا؛ إذ لم نجد لهم آثارًا جنوبي «حماة»، والواقع أن هذا التقدم العظيم كان له علاقة بالثورة في فلسطين.



شكل ٨: حصار حصن دابور.

ومن المحتمل في هذه الفترة أن إقليم شرق الأردن — أي حوران — كان قد عاد ثانية في قبضة الفرعون «رعمسيس الثاني»؛ إذ قد دون هناك موظف نقشًا تذكاريًّا لنفسه مثل عليه، وهو يقدم القربان لأحد الآلهة المحلية، ويحمل على ما يظهر اسمًا ساميًّا.[٧٧]

أما المنظر الذي يمثل الاستيلاء على بلدة «دبور» — وهو أكبر وثيقة لدينا عن تاريخ هذه الفترة في حروب سيتي مع «خيتا» — فيحتوي النقش التالي:

> قال خاسئ «خيتا» في مدح الإله الطيب: أعطنا النفس الذي تهب، يأيها الحاكم الطيب، تأمل إننا تحت نعليك، وإن الفزع منك قد نفذ إلى أرض «خيتا»، وإن أميرها قد سقط بسبب شهرتك، وإنَّا مثل قطيع من الخيل عندما ينقض عليه الأسد ذو العين المفترسة، وإنه الإله الطيب العظيم الشجاعة في الممالك، والقوي القلب في ساحة القتال، الثابت على الجواد، والجميل في العربة عندما يقبض على القوس ليرمي به أو يحارب يدًا ليد، الثابت الذي لا يفلت منه أحد … والذي يرتدي الزرد الجميل في ساحة القتال، والذي يعود بعد انتصاره على أمير «خيتا» الخاسئ، وعندما تغلب عليه ذرَّاه مثل التبن في الهواء حتى إنه تخلى عن مدينته خوفًا منه، وقد وضع «رعمسيس» شهرته هناك لكل يوم، وقد كانت قوته في أعضائه مثل النار، وإنه ثور يناضل عن حدوده، ويستولي على الأشياء التي وقعت في قبضته، ولم تترك يده إنسانًا حيًّا، وإنه عاصفة في الممالك، عظيم في المعمعة، مرسل الصاعقة على الرؤساء لتخريب مدنهم، ومصير كل أماكنهم أصقاعًا صحراوية، وسهامه خلفه مثل «سخمت» عندما تنقض كالريح … أرض «خيتا» الخاسئة عدوته، ملك الوجه

القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع ستبن رع» ابن الشمس «رعمسيس» محبوب «آمون».

وفي هذا المنظر ذكر لنا أسماء ستة من أولاده وهم: «خعموا ست»، و«منتو»، و«مري آمون»، و«آمون مويا»، و«سيتي»، ثم «ستبن رع». ولدينا نقش آخر على قطعة من الحجر في «الرمسيوم» تدل على أن «دبور» تقع في إقليم «تونب» في أرض النهرين، إذ قد جاء فيه: «بلد خاسئ و«خيتا» الواقعة في إقليم بلدة «تونب» في أرض نهرين.» وقد ظهر في الصورة أن المدافعين عن البلد كانوا من «خيتا».

ومن ثم نعلم أن «رعمسيس» أوغل في بلاد «نهرين» التي كانت تحت سيطرة «خيتا»، وفي نهاية هذه الحروب التي دامت ثلاث سنوات أصبح «رعمسيس» يمد سلطانه على البلاد التي كانت تحت قبضته بعد موقعة «قادش»، بل زاد عليها، غير أن هذه البلاد التي استولى عليها من «خيتا» لم تكن تحت الحكم المصري تمامًا، بل كان يحكمها حكام من «خيتا» بإشراف «رعمسيس».

وعلى حسب قائمة فتوح «رعمسيس» نجد أنه قد استولى على بلاد «نهرين»، و«رتنو» السفلى (شمالي سوريا)، و«إرواد»، وبلاد «كفتيو»، و«قطنة» على نهر «الأرنت»، وخلاصة القول أن «رعمسيس الثاني» بعد أن ارتكب غلطته الطائشة في بادئ حروبه مع «خيتا» عندما سار بجيشه، وألقى بنفسه ببراءة وسذاجة في الفخ الذي نُصب له عند «قادش» أصبح — بعد أن حنكته التجارب وصهرته ميادين القتال وحيل الأعداء وثوراتهم العديدة — جنديًّا ثابت الجنان، واسع الحيلة؛ مما جعله في نظر جيرانه «الخيتا» خطرًا حقيقيًّا على دولتهم في سوريا.

وبعد حروب دامت أكثر من خمسة عشر عامًا مات «مواتالو» ملك «خيتا»، أو قُتل على حسب بعض الآراء، وخلفه على العرش أخوه «خاتوسيل»، وكان سياسيًّا قديرًا، ففطن في الحال إلى أن سقوط دولة «متني» قد عرضت حدود بلاده الشرقية لهجوم «آشور» القوية، فعمل على أن تكون علاقاته مع «بابل» علاقة سلم ومهادنة، ثم شرع في اتخاذ التدابير لإنهاء الحرب بينه وبين مصر، ولذلك نجده قد طلب إبرام معاهدة مع مصر قوامها السلم الدائم، والود الأكيد كما سنرى.

والواقع أننا نعلم أنه على الرغم من هذه الانتصارات لم يكن في مقدور «رعمسيس» أن يضم إلى أملاك مصر — لا شمالي سوريا، ولا وادي نهر «الأرنت»، ولا معظم أراضي «آمور»، ولم يستطع أن يبقي تحت سلطانه الفعلي إلا بلاد «فلسطين»، وإقليم «لبنان».[٧٨]

وقد وصلتنا بردية[٧٩] نتحدث عن جنوبي «سوريا»، وفلسطين من الوجهة التجارية، ومنها نعلم أن «سميرا» كانت تُدعى باسم «رعمسيس الثاني» «سميرا سسو»، و«سسو» تصغير

اسم «رعمسيس الثاني»؛ وذلك يبرهن على أن هذا الحصن كان ضمن أملاك مصر، وبذلك بقي نهر «الكلب» الحد الفاصل لأملاك مصر في آسيا.[٨٠]

(ج) معاهدة التحالف التي أُبرمت بين «خاتوسيل» ملك خيتا، وبين الفرعون «رعمسيس» الثاني

مقدمة: لقد كان لنشر سجلات مملكة «خيتا» التي كُشف عنها في «بوغازكوي» الأثري «هوجو فنكلر» في أثناء الحرب العالمية الأولى أهمية عظمى للتاريخ العالمي؛ إذ جعلت من السهل قرن الرواية المسمارية بالرواية المصرية بالتفصيل للمعاهدة الشهيرة التي أُبرمت بين الملك «خاتوسيل» ملك «خيتا»، و«رعمسيس الثاني» فرعون مصر، والواقع أن علم الآثار — وما احتواه من حوادث عجيبة — ليس لديه ما يسديه للعالم من مصادفات عجيبة مفيدة خارقة للمألوف أكثر من الكشف في قلب آسيا الصغرى التي تبعد نحو ألف ميل عبر البحر الأبيض المتوسط عن هذه اللوحات المصنوعة من الآجر التي نُقش عليها باللغة والكتابة البابلية نفس المعاهدة التي خلد ذكرها «رعمسيس الثاني» على لوحتين باللغة المصرية القديمة في معبدي «الكرنك»، و«الرمسيوم» بـ «طيبة».

ولما كانت قصة هذا الكشف غير معروفة لمعظم المصريين، فإني سأعرضها هنا ببعض الاختصار قبل أن أتناول الكلام عن المعاهدة نفسها من الوجهة التاريخية والسياسية، والواقع أن «شامبليون» عندما أخذ في حل رموز النقوش التي على المعابد المصرية وجه عناية خاصة للمتون والنقوش الخاصة بحروب «رعمسيس الثاني» مع قوم سماهم «شيتو»، وكانت نتائج هذه الحروب معاهدة نُقشت شروطها التامة باللغة المصرية على لوحتين عظيمتين في معبدي «الكرنك»، و«الرمسيوم» على التوالي.

وقد نقل كلتيهما «شامبليون»،[٨١] غير أنه لم يفهم مضمون ما جاء في النقوش، وكان أول من فهمها تلميذه «روزلليني»؛ إذ كان أول من حاول ترجمتها كلها،[٨٢] ومنذ ذلك العهد لم يقُم أحد من علماء الآثار بنقل هاتين اللوحتين نقلًا علميًّا واضحًا، وأحسن طبعة لدينا لهما هي التي قام بوضعها «مولر» عام ١٩٠٢،[٨٣] وقد وضع لهذه المعاهدة الأستاذ «برستد» ترجمة لا بأس بها،[٨٤] وقد كان «شامبليون» يميل إلى توحيد ما نسميه أهل «شيتو» «بالسيثين». وفي عام ١٨٥٨ ذهب «بروكش» إلى أن هؤلاء القوم هم «الخيتيون» الذين ذُكروا في التوراة.[٨٥]

على أن ما كان ظنًّا من جانب «بروكش» قد تحول تدريجًا حقيقة؛ إذ أخذت تظهر آثار «خيتا» شيئًا فشيئًا في شمالي سوريا وآسيا الصغرى، فقد كشفت لنا خطابات «تل العمارنة» عن وجود مملكة خيتية عظيمة كان حكامها المحاربون يوغلون جنوبًا نحو «فينيقيا»، و«فلسطين» في عهد «أمنحتب الثالث»، وخلفه «إخناتون»، وأخيرًا كشف «هوجو فنكلر» عام ١٩٠٦ عن عاصمة أهل «خيتا» أنفسهم، وهي مدينة «خاتوشا» الشاسعة التي قامت على أنقاضها مدينة «بوغازكوي» في محيط نهر «هاليس»، فقد عثر في مخازن

أكبر قصور هذه المدينة، وفي مكان آخر على عدة لوحات من الآجر، دل البحث على أنها سجلات وزارة الخارجية لدولة «خيتا»،[٨٦] وكل هذه اللوحات مكتوبة بالخط المسماري، ولكن في كثير منها كانت لغتها هي التي يتكلم بها أهل «خيتا»، وكانت المراسلات في تلك الأيام تكتب باللغة «البابلية»، فكان مثلها كمثل اللغة الفرنسية في أيامنا تستعمل في المخابرات السياسية، وإبرام المعاهدات مع الممالك المجاورة، وقد كان «فنكلر» أول من فطن إلى وجود نص معاهدة «رعمسيس الثاني» مع «خيتا» بين لوحات «بوغازكوي»، غير أن المتن لم يفسر كاملًا إلا عام ١٩١٦؛ أي بعد عشر سنين من الكشف عنه. والواقع أنه وجدت بين هذه اللوحات قطعتان عليهما جزءان من نصوص المعاهدة، وقد كُتبتا بلهجة كنعان البابلية، وعلى الرغم من وجود بعض اختلافات عن النص المصري، فإن الفحص دل على أن نقوش «بوغازكوي» هي الأصل الذي تُرجم عنه إلى المصرية، وقد قام بعض العلماء بترجمة هذه النصوص وموازنة بعضها ببعض، وآخر ترجمة يعتمد عليها حتى الآن هي ما وضعه الأستاذ «لنجدن Langdon» للأصل الخيتي، وترجمة الأستاذ «جاردنر» للنص المصري (راجع J. E. A. Vol. 6. p. 179 ff.).

نص المعاهدة في اللغتين

مقدمة إيضاحية (بالمصرية فقط):

(١) السنة الحادية والعشرون، الشهر الأول من فصل الشتاء، اليوم الواحد والعشرون في حكم عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع ستبن رع» ابن «رع» «رعمسيس مري آمون»، معطي الحياة أبدًا ومخلدًا، محبوب ««آمون رع»، و«حور اختي»، و«بتاح جنوبي جداره»، سيد «عنخ تاوي»، والإلهة «موت» سيدة «إشرو»، و«خنسو نفر حتب» الذي اعتلى عرش «حور» الأحياء مثل والده «حور اختي» مخلدًا وسرمديًّا.»

(٢) في هذا اليوم عندما كان جلالته في بلدة «بررعمسيس مري آمون» يعمل ما يسر والده «آمون رع»، و«حور اختي»، و«آتوم» رب أرض «هليوبوليس»، و«آمون»، و«رعمسيس مري آمون»، و«بتاح رعمسيس مري آمون»، و«ستخ» عظيم الشجاعة ابن «نوت» بقدر ما يعطونه أعيادًا ثلاثينية لا عداد لها، وأبدية سنين سلم، وكل البلاد، وكل الممالك الجبلية تحت نعليه سرمديًّا، (في هذا اليوم) أتى رسول الملك، والقائد نائب الفرعون … ورسول الملك … «وسر ماعت رع ستبن رع» … «تشب»، ورسول «خاني»

… حاملًا اللوحة الفضية التي أمرنا بإحضارها رئيس «خيتا» العظيم «خاتوسيل» إلى الفرعون ليرجو الصلح من جلالة «وسر ماعت رع ستبن رع» ابن «رع» «رعمسيس مري آمون»، معطي الحياة مخلدًا وسرمديًّا مثل والده «رع» يوميًّا.

- **التعليق:** هذه المقدمة تكاد تعد صورة تقليدية في النقوش المصرية التاريخية، إذ تبدأ بالتاريخ والألقاب، ثم يأتي بعد ذلك المقر الذي يسكنه الفرعون، وما يقوم بعمله عندما ينظر في الأمر الذي يُعرض عليه. وتاريخ اللوحة وهو العام الواحد والعشرون مهم بطبيعة الحال، وكان «رعمسيس» كما جرت العادة يقطن في عاصمته الشمالية «بررعمسيس» (قنتير الحالية). ومما يؤسف له هنا أن الفقرة التي ذُكر فيها أسماء رسل ملك «خيتا» وجدت مهشمة، ولا يمكن استنباط شيء منها، والظاهر أن اسمي الضابطين الحربيين اللذين يحتمل أنهما كانا القائدين على الحدود المصرية، هما اللذان صحبا رسول ملك «خيتا» إلى حضرة الفرعون. هذا، وتدل ألفاظ المقدمة على أن بلاد «خيتا» كانت تطلب صلحًا، ولكن الواقع أن الرسل قد حضروا لعقد معاهدة ومحالفة مع ملك مصر كما سنرى بعد.

- **عنوان للترجمة المصرية:** صورة من اللوحة الفضية التي أمر بإحضارها رئيس «خيتا» العظيم «خاتوسيل» إلى الفرعون على يد رسوله «ترتشوب Tartesub»، ورسوله «رع موسى» رجاء الصلح من جلالته «وسر ماعت رع ستبن رع» (ابن رع) «رعمسيس مري آمون» ثور الحكام، ومن يقيم حدوده حيث يريد في كل أرض. وتدل عبارة «رجاء الصلح» على أن النص هنا في أصله مصري؛ لأنه تعبير مصري صريح.

ديباجة المعاهدة الحقيقية

- **المتن المصري:** المعاهدة التي عقدها أمير «خيتا» العظيم «خاتوسيل» القوي ابن «مورسيلي Mursili»، رئيس «خيتا» العظيم القوي ابن ابن «شوبيليوليوما»، رئيس «خيتا» العظيم على لوحة من الفضة لأجل «وسر ماعت رع ستبن رع»، حاكم مصر العظيم القوي ابن «من ماعت رع»، حاكم مصر العظيم القوي ابن ابن «من حبتي رع»

(رعمسيس الأول) حاكم مصر العظيم القوي: المعاهدة الطيبة للسلام والإخاء والتي تهب السلام والإخاء (؟) … بيننا بوساطة معاهدة (؟) «خيتا» مع مصر أبديًّا.

- **المتن الخيتي البابلي:** وهكذا يكون، فإن «رياماساسا ماي أمانا» الملك العظيم ملك مصر القوي قد أبرم معاهدة مع «خاتوسيل» الملك العظيم ملك أرض «خيتا» أخيه؛ لأجل أن يمنح صلحًا وحسن إخاء، وليحصل على مملكة (؟) عظيمة بينهما[٨٧] ما دمنا أحياء إلى الأبد.

«ريا ماساسا ماي أمانا» ملك مصر العظيم القوي في كل الأراضي ابن «منمواريا» الملك العظيم ملك مصر القوي ابن ابن «منباخير يتاريا»، الملك العظيم ملك مصر القوي إلى «خاتوسيل»، الملك العظيم ملك أرض «خيتا» القوي ابن «مورسيل»، الملك العظيم ملك أرض «خيتا» القوي ابن ابن «شوبيليوليوما»، الملك العظيم ملك أرض «خيتا» القوي، انظر الآن فإني أقدم إخاء حسنًا وسلامًا حسنًا بيننا إلى الأبد؛ لأجل أن تعطي سلامًا طيبًا وإخاء حسنًا بتحالف مصر مع «خيتا» إلى الأبد، وهكذا يكون.

- **التعليق:** يلاحظ هنا أن المتنين كليهما متفقان في محتوياتهما كما أنه يوجد تشابه في التعبير، والفرق الرئيسي في المتنين أن المتن الخيتي يذكر نسب الملك إلى الجد الثاني.

المعاهدة تدل على استئناف العلاقات الودية القديمة بين البلدين

- **المتن المصري:** والآن في الزمن السالف منذ الأبدية فيما يخص سياسة حاكم مصر العظيم، ورئيس «خيتا» العظيم، فإن الإله لم يسمح بخصومة تحدث بينهما، وذلك بوساطة معاهدة، ولكن في عهد «مواتالو» رئيس «خيتا» العظيم أخي تحارب مع «رعمسيس مري آمون» ملك مصر العظيم، ولكن بعد ذلك من ابتداء هذا اليوم تأمل، فإن «خاتوسيل» رئيس «خيتا» العظيم أصبح في معاهدة لأجل أن تكون السياسة التي عملها «رع»، والتي عملها «ستخ» دائمة لأرض مصر مع أرض «خيتا»؛ حتى لا يسمح بقيام مناوشات بينهما أبدًا.

- **المتن الخيتي البابلي:** تأمل سياسة الملك العظيم ملك مصر، والملك العظيم ملك «خيتا» منذ الأبدية، فإن الإله لم يسمح بقيام خصومة بينهما، وذلك بوساطة معاهدة سرمدية …

تأمل! «رياماساسا ماي أمانا» الملك العظيم ملك مصر، فإنه لأجل أن يجعل السياسية التي عملها «شاماش»، و«تشب» لمصر مع أرض «خيتا» بسبب سياسته التي كانت منذ الأبد آثمة؟ (فإنه لن يكون خصام أو عداء بينهما إلى الأبد، وإلى الزمن السرمدي).

إعلان المعاهدة الجديدة

- **المتن المصري:** تأمل، إن «خاتوسيل» رئيس «خيتا» العظيم قد جعل نفسه في معاهدة مع «وسر ماعت رع» «ستبن رع» ملك مصر العظيم، وقد ابتدأ بهذا اليوم، فأمر بإبرام صلح طيب، وإخاء حسن بيننا أبدًا، وأنه في إخاء معي، وفي صلح معي، وإني في رضى معه، وفي صلح معه أبدًا.

ومنذ أن أسرع «مواتالو» رئيس «خيتا» العظيم أخي إلى قدره (توفي)، وأخذ مكانه «خاتوسيل» رئيسًا عظيمًا لـ «خيتا» على عرش والده. تأمل، لقد أصبحت مع «رعمسيس مري آمون» حاكم مصر العظيم، نحن معًا في صلحنا وإخائنا، وإنه لأفضل من الصلح والإخاء السابقين الذين كانا في الأرض (بين البلدين). تأمل، إني بوصفي رئيس «خيتا» العظيم مع «رعمسيس مري آمون» حاكم مصر العظيم في صلح طيب، وفي إخاء حسن، وإن أولاد أولاد رئيس «خيتا» العظيم سيكونون في صلح وإخاء مع أولاد أولاد «رعمسيس مري آمون» ملك مصر العظيم، وأنهم سيكونون في سياستنا الأخوية، وسياستنا السلمية، وأرض مصر ستكون مع أرض «خيتا» في سلام، وفي إخاء مثلنا أبدًا، وإن التخاصم لن يقوم بينهما سرمديًّا.

- **المتن الخيتي البابلي:** إن «رياماساسا ماي-أمانا» الملك العظيم ملك مصر قد جعل نفسه في معاهدة على لوحة من الفضة، مع «خاتوسيل» الملك العظيم ملك أرض «خيتا» أخيه

منذ هذا اليوم ليقدم صلحًا طيبًا، وإخاء حسنًا بيننا أبدًا، وإنه أخ لي، وفي مهادنة معي، وإني أخ له، وفي مهادنة معه أبدًا.

وقد عقدنا إخاء وسلامًا وحسن نية أفضل من الإخاء والسلام الذي كان في الأزمان السالفة بين «مصر» و«خيتا».

تأمل، إن «رياماساسا ماي-أمانا» الملك العظيم ملك مصر في سلام طيب، وإخاء حسن مع «خاتوسيل» الملك العظيم ملك أرض «خيتا».

تأمل! إن أولاد «رياماساسا ماي-أمانا» ملك مصر سيكونون في صلح، وإنهم إخوة مع أولاد «خاتوسيل» الملك العظيم ملك أرض «خيتا» أبدًا، وإنهم سيكونون على حسب سياستنا في إخائنا ومهادنتنا، وإن مصر مع الأرض «خيتا» في وئام، وإنهما أخوان مثلنا أبدًا.

تبادل الثقة بالنسبة للغزو

- **المتن المصري:** ولن يعتدي رئيس «خيتا» العظيم على أرض مصر أبدًا بأخذ أي شيء منها، ولن يعتدي «وسر ماعت رع ستبن رع» حاكم مصر العظيم على أرض «خيتا» لأخذ أي شيء منها أبدًا.
- **المتن الخيتي البابلي:** ولن يعتدي «رياماساسا ماي-أمانا» الملك العظيم ملك مصر على أرض «خيتا» لأخذ أي شيء منها أبدًا، ولن يعتدي «خاتوسيل» الملك العظيم ملك أرض «خيتا» على مصر بأخذ أي شيء منها أبدًا.

التجديد الرسمي للمعاهدة السابقة

- **المتن المصري:** أما عن المعاهدة الرسمية التي كانت في عهد «شوبيليو ليوما» رئيس «خيتا» العظيم، وكذلك المعاهدة الرسمية التي كانت في عهد «مواتالو»[٨٨] رئيس «خيتا» العظيم والدي فإني أحافظ عليها — تأمل! فإن «رعمسيس مري آمون» حاكم مصر

العظيم يحافظ على السلم الذي تعلمه (؟) معنا، كذلك منذ هذا اليوم، وسنعمل على حسب هذه السياسة المحكمة.

- **المتن الخيتي البابلي:** تأمل! المرسوم الأبدي الذي أصدره «شماش» و«تشوب» لمصر وأرض «خيتا» للمهادنة والمؤاخاة، حتى لا تقوم مخاصمة بينهما.

وتأمل! «رياماساسا ماي-أمانا» الملك العظيم ملك مصر يتسلمه لأجل أن يبرم صلحًا منذ هذا اليوم، وتأمل! إن «مصر» و«خيتا» في سلام وهما إخوة أبدًا.

الشروع في معاهدة دفاعية

- **المتن المصري:** فإذا أتى عدو آخر لأراضي «وسر ماعت رع ستبن رع» حاكم مصر العظيم، وأرسل إلى رئيس «خيتا» العظيم قائلا: «تعالَ معي مساعدًا عليه»، فإن على رئيس «خيتا» العظيم أن يأتي إلي، وينبغي على رئيس «خيتا» العظيم أن يذبح عدوه، ولكن إذا لم يكن لرئيس «خيتا» العظيم رغبة في المجيء، فعليه أن يرسل خيالته ويذبح عدوه.

- **المتن الخيتي البابلي:** وإذا أتى عدو آخر على أرض «خيتا» وأرسل إلي «خاتوسيل» ملك بلاد «خيتا» العظيم قائلا: تعال إلي لمساعدتي عليه فعلى «رياماساسا ماي-أمانا» الملك العظيم ملك مصر أن يرسل جنوده وعرباته، ويجب أن يقتل عدوه ويعيد الثقة (؟) إلى أرض «خيتا».

العمل المتبادل الذي يُتخذ ضد الرعايا الثائرين

- **المتن المصري:** أو إذا غضب «رعمسيس مري آمون» ملك مصر العظيم على خدم له، وارتكبوا جريمة أخرى ضده ثم ذهب لقتل عدوه، فإن رئيس «خيتا» العظيم يجب أن يعمل معه للقضاء على كل فرد سيغضبان عليه.

- **المتن الخيتي البابلي:** وإذا غضب «خاتوسيل» الملك العظيم ملك أرض «خيتا» على خدم له، وارتكبوا ذنبًا ضده، وأرسل إلى «رياماساسا» الملك العظيم ملك مصر بهذا الخصوص، فإن جنود وعربات «رياماساسا ماي-أمانا» يجب أن ترسَل في الحال وتقضي على كل من أصبحت غاضبًا عليه.

مادة متبادلة تقابل المادة ٦

- **المتن المصري:** ولكن إذا أتى عدو آخر ضد ملك «خيتا» العظيم، فإن حاكم مصر العظيم «وسر ماعت رع ستبن رع» يجب أن يأتي إليه مساعدًا لقتل عدوه (ولكن) إذا لم تكن رغبة «رعمسيس مري آمون» حاكم مصر العظيم في أن يأتي فإنه … «خيتا» (ويجب أن يرسل جنوده وخيالته)، هذا عدا إرسال رد لأرض «خيتا».

- **المتن الخيتي البابلي:** (وإذا) أتى عدو آخر ضد مصر، وأرسل «رياماساسا ماي-أمانا» ملك مصر إلى أخيه «خاتوسيل» ملك أرض «خيتا» قائلًا: تعالَ تعالَ لمساعدتي عليه، فإنه على «خاتوسيل» ملك أرض «خيتا» أن يرسل في الحال جنوده وعرباته، وعليه أن يذبح عدوي.

مادة متبادلة تقابل المادة ٦

- **المتن المصري:** ولكن إذا تعدى خدم رئيس «خيتا» العظيم عليه، و«رعمسيس مري آمون» حاكم مصر العظيم …

- **المتن الخيتي البابلي:** وإذا أصبح «رياماساسا» الملك العظيم ملك مصر غاضبًا على خدام له ثم ارتكبوا إثما ضده، وأرسل إلى «خاتوسيل» ملك «خيتا» أخي بخصوص ذلك فعندئذ يجب على «خاتوسيل» الملك العظيم أن يرسل لملك مصر جنوده وعرباته، وأن يقضي عليهم كلهم، وإني «سا … (؟)».

مادة خاصة بالوراثة

- **المتن الخيتي البابلي:** (٤٠) وتأمل! إن ابن «خاتوسيل» ملك أرض «خيتا» (المعاهدة التي أبرمناها (؟) …) (٤١) في قصر «خاتوسيل» والده بعد سنين … (٤٢)… أرض قد ارتكبوا جريمة … (٤٣) … عربات حيث كنت سأعود … (٤٤) … في أرض «خيتا» (؟) …
- **المتن المصري:** … أرض «خيتا»، وأرض مصر … (٢٠) … الحياة على فرض إني سأذهب إلى مصيري، وبعد ذلك فإن «رعمسيس مري آمون» حاكم مصر العظيم عائشًا أبديًّا سيعمل؟ … آتيًا إلى أرض «خيتا» … ليجعله يعمل (؟) … (٢١) … هم (؟) ليعملوه لأنفسهم ليسيطروا حتى يجعل «وسر ماعت رع ستبن رع» ملك مصر العظيم يصمت بفمه أبدًا، وبعد … أرض «خيتا»، ويرجع (؟) لينصب رئيس «خيتا» العظيم وكذلك …
- **تعليق:** يلاحظ أنه عند هذه النقطة أصبح كل من المتنين مهشمًا حتى إن ما يفهم منهما لا يخرج عن الحدس والتخمين فحسب، ويظن الأثري «ميسنر Meissner» أن المتن البابلي يشترط أن يعترف «رعمسيس» بأن وارث «خاتوسيل» هو الابن الذي اختاره الأخير مدة حياته، وبرهن على ذلك باقتباس ما جاء في معاهدة عُقدت بين ملك «خيتا»، و«شوناشورا» ملك «كزواتنا». أما المتن المصري فإن الكلمات الحساسة فيه التي قد سيئ فهمها حتى الآن تميل للأخذ بهذا الرأي، وإن كان واضحًا أن كلًّا من الروايتين يختلف عن الأخرى في التفسير اللفظي، وما تبقى من المتن المصري يمكِّن الإنسان من الظن بأن «خاتوسيل» كان يفكر في حالة موته أن «خيتا» بلاده قد تنتخب حاكمًا لها لم يكن على حسب اختياره.

تسليم الفارين من المذنبين العظماء

- **المتن المصري:** إذا فرَّ رجل عظيم من أرض مصر، وجاء إلى أراضي رئيس «خيتا» العظيم، أو إلى بلد، أو مركز … تابع لأراضي «رعمسيس مري آمون» حاكم مصر العظيم، وأتى إلى رئيس «خيتا» العظيم، فعلى رئيس «خيتا» العظيم ألا يستقبله، بل يجعله يعاد إلى «وسر ماعت رع ستبن رع» حاكم مصر العظيم سيده بسبب ذلك — أي فراره.

ومن هذه النقطة في المعاهدة ليس لدينا إلا المتن المصري، غير أن التشابه بين ما جاء فيه، وما سبقه من المتون الخيتية ظاهر.

تسليم الفارين من صغار المذنبين

إذا فرَّ رجل أو رجلان غير معروفين (٢٣)، وأتوا إلى أرض «خيتا» ليكونوا عبيدًا لفرد آخر؛ فيجب ألا يقيموا في أرض «خيتا»، بل يجب أن يرسلوا إلى «رعمسيس مري آمون» حاكم مصر العظيم.

مادة متبادلة تقابل المادة الحادية عشرة

أو إذا هرب رجل من أرض «خيتا» وأتى إلى أراضي «وسر ماعت رع ستبن رع» حاكم مصر العظيم، أو إلى بلدة، أو مركز، أو (٢٤ …) تابع لأرض خيتا، وأتوا إلى «رعمسيس» محبوب «آمون» حاكم مصر العظيم، فعلى «وسر ماعت رع ستبن رع» — أي رعمسيس — حاكم مصر العظيم ألا يستقبلهم، بل عليه أن يجعلهم يرسلون إلى رئيس … ويجب ألا يبقوا.

مادة متبادلة تقابل المادة الثانية عشرة

وكذلك إذا ذهب رجل أو رجلان ليسا بمعروفين إلى أرض مصر ليكونوا رعايا لآخرين، فعلى «وسر ماعت رع ستبن رع» حاكم مصر ألا يتركهم، بل يجب عليه أن يأمر بإحضارهم إلى رئيس «خيتا» العظيم.

آلهة خيتا ومصر شهود في المعاهدة

وألفاظ المعاهدة التي أبرمها رئيس «خيتا» العظيم مع «رعمسيس» محبوب «آمون» حاكم مصر العظيم كتابة على هذه اللوحة الفضية، قد شهد كلماتها معي عليها ألف إله من الذكور، وإلهات من الإناث من آلهة أرض مصر السامعين لهذه الكلمات — أي كلمات المعاهدة — وهم: «برع» رب السماء، و«برع» بلدة «أرينَّا»، و«ستخ» رب السماء، و«ستخ» رب «خيتا»، و«ستخ» رب «أرينَّا»، و«ستخ» إله بلدة «زبالاندا»، و«ستخ» إله بلدة «بتيارك»، و«ستخ» إله بلدة «جيشا شابا»، و«ستخ» إله بلدة «سارشا»، و«ستخ» إله بلدة «حلب»، و«ستخ» إله بلدة «لخزن»، و«ستخ» إله بلدة … و«ستخ»إله بلدة … و«ستخ» إله بلدة «سمس»؟ و«ستخ» إله بلدة «سبخن»، و«عشتارت» صاحبة أرض «خاتي»، وإله «زيتخارياش»، وإله «كارزيش»؟ وإله «خابنتارياش»، وإلهة «كارخنا»، وإلهة بلدة «صور»، وإلهة … وإلهة «زن» (؟)، وإله «بنت» (؟)، وإله … وإله «خبت» (؟)، وملكة السماء، والآلهة أرباب القسم، وهذه الإلهة سيدة الأرض، وسيدة القسم «إسخارا»، وسيدة … وجبال وأنهار أرض «خاتي»،

وآلهة أرض «كزواتنا»، و«آمون»، و«برع»، و«ستخ»، والآلهة الذكور، والإلهات الإناث، وجبال مصر وأنهارها، والسماء والأرض، والبحر العظيم، والرياح والسحاب.

ومما تجدر ملاحظته في هذه المادة من المعاهدة، أن تفصيلها في مجموعه مصبوغ بالصبغة البابلية الخيتية، غير أن الكلمات الافتتاحية هنا نجد لها صورة معروفة في المعاهدات الخيتية، أما عن الآلهة الذين جاء ذكرهم هنا، فيلاحظ أن معظم المدن التي كانوا يعبدون فيها مهشمة أو مبهمة، وبخاصة الإلهة «ستخ» الذي يقابل عند الخيتيين الإله «تشب» رب السماء.

أما الإله «برع» رب السماء المصري، فيقابل «برع» ربة بلدة «إرنن»، وهي الإلهة الحامية لأرض «خيتا»، وبلدة «إرنن» موحدة ببلدة «أرينَّا» على نهر «ساروس» في «كبادوشيا» بآسيا الصغرى.

اللعنات على الذين ينقضون هذا العهد والرحمات على الذين يحافظون عليه

أما الكلمات التي على هذه اللوحة الفضية الخاصة بأرض «خيتا»، وأرض «مصر»، فإن من لا يرعاها ينقض ألف إله من آلهة أرض «خيتا»، وألف إله من آلهة أرض مصر سيخرب بيته وخدمه، أما من يرعى هذه الكلمات التي على هذه اللوحة الفضية خيتيين أو مصريين، وكذلك من لا يهملها، فإن ألف إله من آلهة أرض «خيتا»، وألف من آلهة مصر سيجعلونه معافى، ويعيش مع بيوته، وأرضه، وخدمه.

العفو عن الأشخاص المذنبين الهاربين

إذا فرَّ رجل من أرض مصر، أو رجلان، أو ثلاثة رجال، وأتوا إلى رئيس «خيتا» العظيم، فإن رئيس «خيتا» العظيم ينبغي عليه أن يقبض عليهم، ويأمر بإعادتهم إلى «وسر ماعت رع ستبن رع» حاكم مصر العظيم، أما الرجل الذي سيحضر إلى «رعمسيس» محبوب «آمون» حاكم مصر العظيم؛ فيجب ألا تُوجه إليه جريمة، ولن يضارَّ في بيته، وزوجته، أو يقضى على أطفاله، ويجب ألا يُقتل، وألا يُضار في عينيه، أو أذنيه، أو فمه، أو ساقيه، ويجب ألا توجه أية جريمة إليه.

مادة متبادلة مع المادة السابعة عشرة

وكذلك إذا فرَّ رجل من أرض «خيتا»، أو اثنان، أو ثلاثة، وأتوا إلى «وسر ماعت رع ستبن رع» حاكم مصر العظيم، فعلى «رعمسيس» محبوب «آمون» أن يأمر بإرسالهم لرئيس «خيتا» العظيم، وعلى رئيس «خيتا» العظيم ألا يوجه إليهم تهمة جريمتهم، كما ينبغي ألا

يقضي على بيته، وأزواجه، أو أطفاله، ويجب ألا يقتل ولا يضار في أذنيه، أو عينيه، أو في فمه، أو ساقيه، ويجب ألا توجه أية جريمة نحوه.

وصف اللوحة الفضية

ما يوجد في وسط اللوحة الفضية على واجهتها الأمامية: منظر (؟) يحتوي صورة الإله «ستخ» يضم صورة أمير «خيتا» العظيم محاطًا بمتن (؟) جاء فيه: خاتم «ستخ» حاكم السماء، وخاتم المعاهدة التي أبرمت بين «خاتوسيل» رئيس «خيتا» العظيم القوي ابن «مورسيلي» رئيس «خيتا» العظيم القوي. أما ما يوجد داخل الإطار المحيط بهذا المنظر فهو: «خاتم ستخ حاكم السماء»، وعلى الجانب الآخر: منظر يحتوي على صورة إلهة «ختي» تضم صورة رئيسة «خيتا» يحيط بها متن ينص: «خاتم «برع» ربة بلدة «أرينا» ربة الأرض، وخاتم «بودوخبا» رئيسة أرض «خيتا»، بنت أرض «كزواتنا» كاهنة بلدة (؟) «أرينَّا» سيدة البلاد، خادمة الإلهة»، أما ما يوجد داخل الإطار المحيط بالمنظر فهو «خاتم «برع» صاحب «أرينَّا» رب كل أرض.»

التعليق: لا نزاع في أنه من الصعب على الإنسان أن يتصور منظر هذه اللوحة الفضية أمام عينيه، كما وصفها المترجم المصري. حقًّا إن مخصص كلمة لوحة هو: شكل مستطيل به حلقة مستديرة يعلَّق منها، غير أنه ليس من المؤكد لدينا أن هذا الرسم يمثل الصورة الحقيقية للوحة التي أرسلها «خاتوسيل» للفرعون «رعمسيس الثاني»، هذا على الرغم من أن اللوحات المسمارية كانت دائمًا مستطيلة الشكل، ولكن لا تمثل اللوحات المصنوعة من الآجر، ومع ذلك نستطيع أن نتصور أن المتن المسماري الذي كان يغطي وجهي اللوحة إلا وسطها كان يحتوي صورة خاتم يشهد بصحة الوثيقة.

والظاهر أن الكاتب المصري قد تورَّط عندما صادفته كلمة «شمس»، وكذلك كلمة إله الشمس «رع»، وهو في المصرية مذكر في حين أن إلهة الشمس (أرينا) مؤنث في الديانة الخيتية؛ ولذلك نجده في هذا المتن يكتب «سيد كل أرض» بدلًا من «سيدة كل أرض»، ويلحظ أن ملكة «خيتا» قد اشتركت في توقيع هذه المعاهدة.

العلاقات التي بين الروايتين

يدل الفحص الدقيق على أن هذه المعاهدة في صورتها الأولى قد اتفق على موادها في بلدة «بوغازكوي» (خاتوشا) بالتشاور مع سفراء مصر هناك — على ما يظهر، وعندما تم الاتفاق على صورتها النهائية كُتبت على لوحة من الفضة، وأحضرت إلى مصر حيث وقَّع «رعمسيس» بالموافقة عليها، وأعطى التعليمات للكتَّاب البابليين بكتابة صورة منها باسمه هو، وهذه الصورة كانت تحوي بطبيعة الحال معظم الجمل التي في الأصل الخيتي، مع حذف الإشارات إلى «مواتالي» ملك «خيتا»، هذا بالإضافة إلى تغييرات بسيطة كان لا بد منها، وأخيرًا نُقشت الصورة التي ألفت لـ «رعمسيس» بدورها على لوحة من الفضة،

وخُتمت بخاتم الفرعون وأرسلت إلى بلاد «خيتا»، وقد وُضع الأصل عند قدمي الإله «تشوب» إله بلاد «خيتا» في حين أن نسخًا أخرى لا بد أنها كُتبت على الآجر لتحفظ في السجلات الملكية، وهي التي عثر عليها الأثري «فنكلر».

وهذه النظرية التي ذكرناها هنا قد تُعد أحسن تفسير ممكن لتوضيح الرواية التي كُتبت بالخط المسماري، غير أنها مع ذلك لا تخرج عن مجرد نظرية وحسب.

على أنه من جهة أخرى ليس لدينا أي ظل من الشك في أن اللوحتين اللتين عثر عليهما في معبد «الكرنك» و«الرمسيوم» يحوي كل منهما النص النهائي للمعاهدة التي قبلها «خاتوسيل».

والظاهر أن المادتين السابعة عشرة والثامنة عشرة، وهما الخاصتان بالعفو عن المجرمين السياسيين قد أضيفتا بعد وضع صيغة المعاهدة النهائية، ومن الجائز أن يكونا قد وُضعا في اللوحة الفضية أولًا، ولكن ليس من الواضح لدينا أن الواضع لهما هو «خاتوسيل»، أو «رعمسيس الثاني».

ومما تجب الإشارة إليه هنا أن علماء الآثار والتاريخ لم يستنبطوا النتيجة الصحيحة عن الفقرات التي تشير إلى «مواتالي»، وهي فقرات كُتبت في المتن الخيتي كما برهنا على ذلك، وتدل شواهد الأحوال على أنها تحتوي على نوع من الخضوع من ناحية ملك «خيتا»، والواقع أنه كانت توجد فكرة قبل ذلك تميل إلى القول بأن المصريين هم الذين خسروا الحروب مع «خاتوسيل»، ولكن البحوث التي وصلنا إليها تظهر أن «خاتوسيل» هو الذي سعى إلى الصلح، وأنه هو الذي نادى بإبرامه بين البلدين.

الموقف التاريخي لهذه المعاهدة

لقد انتهت الحروب التي نشبت بين «مصر»، وبلاد «خيتا» في عهد الملك «خاتوسيل»، وقد شن «رعمسيس الثاني» أول حرب سورية قام بها في السنة الرابعة، وفي السنة الخامسة حارب في موقعة «قادش» التي فاخر بها كثيرًا على جدران معابده، وإن لم تكن في الوقت نفسه من المواقع الحاسمة، وكان قرنه فيها على ما يظهر ملك «خيتا» المسمى «مواتالي» ابن «مورسيلي»، والظاهر أن «مواتالي» بعد حروب أخرى مع «رعمسيس» قد مات حتف أنفه، يدل على ذلك أن التعبير الخيتي (أسرع إلى مصيره)، وهو الدال على الموت، قد أطلق على موت ملك «خيتا» هذا في المتن المصري كما جاء في المادة العاشرة من المعاهدة، وكذلك في المعاهدة التي أبرمها أخوه، وخلفه مع ملك الآموريين، وقد كان «خاتوسيل» في مناوشات في بادئ حكمه مع ملك مصر، يدل على ذلك إشارة جاءت في خطاب طويل كتبه «كادشمان أنليل» ملك «بابل» الكاسي،[٨٩] وفي هذا الخطاب يدعي «خاتوسيل» أنه عقد معاهدة مع «كادشمان تورجو» (١٣٠٠–١٢٨٤ق.م) والد «كادشمان أنليل»، وقد جاء فيه: «إن والدك وأنا قد أبرمنا معاهدة، وبها رجعنا إلى الإخاء، ولم نتحول

عنها يومًا واحدًا. ألم أبرم الإخاء والمحالفة إلى الأبد؟» وبعد ذلك يذكر الملك الكاسي كيف أنه على أثر موت والده كتب إلى أشراف البلاط مصرًّا على الاعتراف بأن يكون «كادشمان أنليل» هو الملك. ولا شك في أن ذلك قد عمل وفاء لما جاء في معاهدة أخذ فيها كل من «كادشمان تورجو»، و«خاتوسيل» على نفسه أن يعترف بوارث العرش الشرعي الذي تم الاتفاق عليه بينهما. والمعاهدة التي أُبرمت بين مملكتي «متني»، و«كزواتنا» فيها مادة مثل هذه أيضًا، وكذلك يظهر أن في المعاهدة المصرية بقايا كلمات تدل على مادة مشابهة لهذه المادة، ثم نجد أن ملك «خيتا» بعد ذلك يشكو من أن الآشوريين وقبيلة «أخلامو» الآرامية كانوا يتدخلون في العلاقات السياسية بين «بابل»، و«خيتا»، وأنه يوبخ الملك «كادشمان إنليل» لحجز الرسل، وفتور الصداقة بينهما، ثم تأتي بعد ذلك إشارة هامة عن مصر:

> … ورسول مصر الذي كتب بخصوصه أخي — أي كادشمان إنليل — (… الملك)، وقد أبرمت معاهدة وبها عدنا إلى الإخاء. «وكادشمان تورجو والدك»، وإنا أبرمنا معاهدة سويًّا، وبها عدنا إلى الإخاء … وتحادثنا قائلين: إنا أخوان قائلين: سنكونان مخاصمين لعدو يكون خصمًا مشتركًا لنا، ومع صديقنا المشترك سنكون حقًّا في سلام، وبعد أن كنت أنا وملك مصر متخاصمين سويًّا كتبت إلى والدك «كادشمان تورجو» قائلًا: إن ملك مصر في حرب معي، وعلى ذلك كتب والدك قائلًا: إذا أتت جنود ملك مصر فعندئذ سأذهب معك، وسآتي في وسط الجنود والعربات، ولما كان والدك مستعدًا للذهاب معي، فهكذا الآن يا أخي، فإنك إذا طلبت إلى جنودك، فإنهم سيقولون لك دعنا نذهب بالجنود والعربات، وحقًّا قد تكلموا هكذا رغبة في الذهاب معي … ولماذا أخذ (؟) عدوي لأرض أخرى … ذهب بخصوص مصر. وعندما كتب … فإن عدوي لم يجعلها تحضر، وأنا وملك مصر كنا غاضبين سويًّا، وأنا ووالدك قد ذهبنا سويًّا لنهب عدوي (والآن … فإن (؟) رسول) مصر قد قطع، وبعد أن كنت أنت يا أخي قد كتبت بخصوص موضوع رسول ملك مصر، ومسألة الرسول[٩٠] …

وهذه الفقرة الممزقة لها أهمية عظمى لما جاء فيها من توافق زمني في تاريخ مصر و«بابل» و«خيتا»، وقد ترجمت بطريقة جعلتها تشير إلى المعاهدة التي أبرمها «خاتوسيل» مع مصر،[٩١] غير أن القطعة التي كانت بالقرب من بداية آخر الاقتباس يُحب أن تصحح لتشير لا إلى هذه المعاهدة، بل إلى المعاهدة التي أبرمت بين «خاتوسيل»، و«كادشمان تورجو»، والواقع أن هذه الفقرة مثلها كمثل القطعة الأخرى التي نجدها في خطاب من «خاتوسيل» إلى «كادشمان إنليل» تشير إلى حروب بين «خاتوسيل» و«رعمسيس الثاني» في عهد «كادشمان تورجو» الذي ساعد ملك «خيتا» على حسب شروط المعاهدة التي كانت مبرمة بينهما. وعندما كتب الخطاب الذي نحن بصدده الآن كان السلم سائدًا بين «خيتا» و«مصر»؛ لأن «خاتوسيل»، و«كادشمان إنليل» كانا ثائرين على قوم قطعوا المواصلات بين مصر وبابل، وهذا هو السبب الذي جعل ملك «خيتا» يلتجئ لملك «بابل»

لاحترام المعاهدة بشن حرب مشتركة على المشاغبين؛ أي على «الآشوريين»، أو على «الآراميين»، وهذا الموقف التاريخي يؤدي بنا إلى استنباطين هامين:

- (١) كان «خاتوسيل» في حرب مع «رعمسيس الثاني» قبل موت «كادشمان تورجو».
- (٢) أنه أعلن الصلح مع «رعمسيس» قبل موت «كادشمان تورجو».

وإذا أخذنا أقل التقديرات التاريخية الكاسية، وقرنَّاها بالتواريخ المصرية المعتمدة لملوك مصر وجدنا اختلافًا مقداره بضع سنين، فأقل تقدير لحكم الملك «كادشمان تورجو» هو ١٣٠٠–١٢٨٤ق.م أما «كادشمان إنليل» فهو حوالي ١٢٨٣–١٢٧٨ق.م.[٩٢] ويؤرخ «برستد» هذه المعاهدة المصرية الخيتية (السنة الواحدة والعشرين من حكم «رعمسيس») بـ (١٢٧١ق.م) في حين أن «إدورد مير» قد أرخها بسنة ١٢٧٩ق.م وأرخ «برستد» موقعة «قادش» بعام ١٢٨٧ق.م ويؤرخها «إدورد مير» ١٢٩٥ق.م.

والتواريخ «الكاسية» لا يمكن أن تكون أقل من ذلك، وإذن يكون الحل الوحيد هو رفع نسبة التاريخ المصري قليلًا، فإذا جعلنا تاريخ المعاهدة عام ١٢٨٠ق.م؛ أي تسع سنوات قبل التاريخ الذي وضعه «برستد»، فإن موقعة «قادش» تكون قد حصلت في عام ١٢٩٦ق.م وتولية «رعمسيس الثاني» في عام ١٣٠١ق.م وهذه التواريخ التي تقرب مما اتبعه «إدورد مير» تحل لنا معظم الصعوبات التاريخية. ونعلم من خطاب كتبه الملك «شوبيليوليوما» إلى «أمنحتب الرابع» (إخناتون) من بين خطابات «تل العمارنة» أن هذا الملك قد أبرم معاهدة مع «أمنحتب الثالث»، وهذا يسمح لنا أن نضع اقتراحًا لتواريخ هذا العصر بشيء من التأكد، وعلى حسب هذا الاقتراح يمكننا أن نفهم أن الفرعون الذي أبرم معه «مورسيلي» معاهدة لا يمكن أن يكون إلا الفرعون «حور محب»، وقد دلت البحوث الدقيقة في متون «بوغازكوي» على أنه لا توجد إشارة إلى معاهدة مصرية مع الملك «خاتوسيل»، وقد نشر حديثًا الأستاذ «ألبرخت جوتس» قطعة من خطاب جديد أرسله الفرعون «رعمسيس الثاني» إلى «خاتوسيل الثاني»، وقد بحث على ضوئه قطعة من خطاب آخر معروف منذ زمن بعيد، وهذا الخطاب الأخير قد أرسله «رعمسيس الثاني» إلى «خاتوسيل الثاني»، وقد أرِّخ قبل تولي الأخير الملك بزمن قليل، والخطاب الأول فُقد منه الجزء الذي يحتوي على المراسيم الدبلوماسية، غير أن ذِكر اسم مصر وأسماء الأعلام الكثيرة التي نجدها في خطابات أخرى من مكاتبات «رعمسيس الثاني» تشعر بأنه متصل بهذه الرسالة، والظاهر أن مضمون هذا الخطاب هو أن «خاتوسيل» كان يشكو من أن «رعمسيس الثاني» لم يعامله معاملة الملوك، وقد أجابه «رعمسيس» بألقاب الملك. ويرى الأستاذ «جوتس» أن في ذلك إشارة إلى العقبات التي أدَّت إلى خلع الملك المسمى حتى الآن «أورخي تشوب»؛ وقد كان معروفًا فعلًا أن ملك «آشور» قد تردد في الاعتراف بهذا المغتصب، وبعد ذلك يتكلم عن رسل — وبخاصة عن طبيب مصري — إلى البلاط الخيتي.[٩٣] ولدينا من جهة أخرى خطابات من «رعمسيس الثاني» لملك «ميرا»، وهي أرض مجهولة لنا قد تكون بلاد

«ماير» القديمة Maer، ومضمون الخطاب أن ملك «ماير» قد وصله خبر عن سوء تفاهم حدث بين ملك مصر وملك «خيتا»، ولكن «رعمسيس الثاني» يعلن في صراحة أن هذا الخبر لا أساس له من الصحة، ويؤكد احترامه للمعاهدة التي بين البلدين، وكذلك نعلم من هذه الوثيقة أن نص المعاهدة التي أرسلها «رعمسيس الثاني» إلى الملك «خاتوسيل» قد وُضعت تحت قدم الإله «تشوب»، في حين أن النص الذي أرسله «خاتوسيل» إلى «رعمسيس» قد وُضع تحت قدمي «شاماش»؛ أي «رع»، ومن المحتمل إذن أنه كانت قد جرت العادة أن توضع المعاهدات في معابد الآلهة الذين كانت تطلب إليهم الموافقة عليها. وكذلك لدينا إشارة أخرى لمعاهدة بين «خيتي» و«مصر» في خطاب أرسلته «نبترا»؛ أي «نفرتاري» محبوبة الإلهة «موت»، زوج «رعمسيس الثاني» إلى ملكة «خيتا» (بودي خبا) تقول فيه:

> إني في سلام وأرضي في سلام، وإني أتمنى لكِ يا أختي السلام، ولأرضكِ السلام، تأملي! إني أسمع أنك يا أختي قد كتبتِ إليَّ تسألينني عن سلامتي، وأنكِ قد كتبتِ إليَّ عن علاقة الود الطيب، وعن علاقة الإخاء الطيب الذي بين الملك العظيم ملك مصر وبين الملك العظيم ملك أرض «خيتا» أخيه، وإني أرجو أن يرفع رأسك «شاماش»، و«تشوب»، وأن يمنح «شاماش» السلام لتحل الطيبة، وأن يمنح إخاء طيبًا بين الملك العظيم ملك مصر، وبين الملك العظيم ملك أرض «خيتا» أخيه إلى الأبد.[٩٤]

ومن هذا الخطاب نعلم جليًّا أن المعاهدة التي أُبرمت بين «رعمسيس الثاني»، والملك «خاتوسيل» في السنة الواحدة والعشرين كانت نهاية عهد مخاصمة، سواء أكانت ممثلة في حروب فعلية، أم في منازعات سياسية، وهذه الخصومات قد ظلت حتى بعد موقعة «قادش»، ولكن منذ السنة الواحدة والعشرين نجد أن السلام قد خيم على ربوع كل من «خيتا» ومصر، وقد أدت العلاقات الطيبة بينهما إلى زواج «رعمسيس الثاني» من بنت ملك «خيتا»، كما هو مدون على لوحة «بو سمبل»، ونسختها المؤرخة بالسنة الرابعة والثلاثين من حكم هذا الفرعون كما سنرى بعد.

(د) العلاقات بين مصر و«خيتا» بعد المعاهدة

عاش «رعمسيس الثاني» بعد عقد هذه المعاهدة مع ملك «خيتا» ما يربي على ست وأربعين سنة، كان السلام في أثنائها بين البلدين تامًّا لم يعكر صفوه أي حادث أليم.

هذا إلى أنه لم تجسر دولة أسيوية على منازلة «رعمسيس» بعد إبرام معاهدته مع «خيتا» القوية السلطان، العزيزة الجانب، والواقع أن «رعمسيس الثاني» كان يعد إبرام هذه المعاهدة من جانبه بمثابة نصر لمصر، ولذلك كان دائمًا يشير بعد إبرامها في نقوشه إلى أنه

قاهر بلاد «خيتا»، كما نشاهد ذلك حتى في القصيدة التي نقشها على جدران معبده كما ذكرنا ذلك من قبل، وعلى جدران معبد «بو سمبل» نقرأ بوجه خاص ما يأتي: «الذي صير أرض «خيتا» كأن لم تغن بالأمس، والذي جعل أرض «خيتا» تحجم عن المعارضة بفمها … ضارب أرض «خيتا» … ضارب أرض خيتا التي أصبحت أكداسًا من الموتى إلخ.»[٩٥] ونجد نفس هذه النغمة في النقوش التي تركها لنا «رعمسيس الثاني» على مسلَّاته التي أقامها في «تانيس»؛ إذ جاء في إحداها: «أنه ساق رؤساء «رتنو» أسرى أحياء، وحطم أرض «خيتا».» وعلى مسلة أخرى يقول: «إنه اقتحم أرض «خيتا» هذه واستولى عليها بشجاعة، وعمل مذبحة عظمى بين أبطالها.»[٩٦] وعلى الرغم من هذه النغمة التي كانت عادة متبعة عند ملوك مصر في أثناء تحدثهم عن أي قوم حاربوهم، فإن أواصر السلام لم تنفك عراها بين البلدين. وتحدثنا النقوش التي وصلتنا حتى الآن عن العلاقات الودية التي بقيت مرعية بين البلدين نحو ست وأربعين سنة، وهي المدة الباقية من عهد «رعمسيس الثاني»، بل لقد ظلت تلك العلاقات السلمية حتى في عهد خلفه وابنه «مرنبتاح»؛ ولدينا وثائق عدة تحدثنا عن هذه العلاقات، أو تشير إليها في أثناء سرد ما تحتويه من حوادث وأخبار لها في ذاتها أهمية في كشف النقاب عن أحوال هذا العصر من الوجهة الدينية، والاجتماعية، والهندسية؛ ولذلك نجد لزامًا علينا أن نسرد هنا بعض تلك الوثائق التاريخية عن هذا العصر الذي كانت ترفرف عليه أجنحة السلام، وتنعم فيه البلاد بالرخاء والثروة الوفيرة، ومن أهم هذه الوثائق اللوحة المعروفة باسم «بركات بتاح»، فاستمع لما جاء فيها من وصف رائع لحالة مصر وقتئذ.

قصيدة «بركات بتاح»[٩٧]

السنة الخامسة والثلاثون، الشهر الأول من الفصل الثاني، اليوم الثالث عشر في عهد جلالة «رعمسيس الثاني» معطي الحياة.

- **مقدمة:** خطاب «بتاح تاتنن» صاحب الريشتين العاليتين، والمتأهب بقرنيه، ومنجب الآلهة لابنه ومحبوبه وبِكره من صلبه، الإله المقدس، ملك الآلهة، العظيم الأعياد الثلاثينية الملكية مثل «تاتنن» الملك «رعمسيس الثاني» معطي الحياة.
- **خطاب «بتاح» وولادة «رعمسيس»:** إني والدك الذي أنجبك مثل الآلهة، فكل أعضائك أعضاء آلهة، ولقد تشكلت في صورة الكبش سيد «منديس» (تل الربع الحالي)، ووضعتك في فرج أمك الفاخرة منذ أن عرفت أنك ستكون حاميًا لي، وإنك ستقوم حقًّا بعمل أشياء مفيدة لحضرتي، ولقد سويتك لتشرق مثل «رع» (الشمس)، ورفعتك أمام الآلهة يأيها الملك، يا «رعمسيس الثاني» معطي الحياة، ورفيقات «بتاح» هن منشآتك، والإلهات

اللائي ساعدت في وضعك (مسخنت) يمرحن في السرور منذ أن رأوك صورة من جسمي الفاخر القوي؛ أي إنه عندما يرون «رعمسيس» كأنهم يرون «بتاح»، وكاهنات بيت «بتاح»، والإلهات «حتحور» في بيت «آتوم» في عيد وقلوبهن في حبور، وأكفهن مرفوعة بالتصفيق منذ أن رأين صورتك الجميلة، ولطفك مثل لطف جلالتي، والآلهة والإلهات يهللون لجمالك مادحين ومقدمين لي الثناء قائلين: إنك والدنا الفاخر الذي سويت لنا إلهًا مثلك وهو «رعمسيس الثاني» معطي الحياة.

- **الإله «بتاح» يعد الفرعون منحة السعادة:** وعندما أشاهدك يفرح قلبي، وأستقبلك بضمة ذهبية، وإني أحيطك بالبقاء والثبات والرضى، وإني أمنحك الصحة وفرح القلب، وإني أغمسك في الابتهاج والفرح، وسرور القلب، والحبور أبدًا.

- **«بتاح» يعد «رعمسيس» الحكمة:** إني أجعل قلبك قدسيًّا مثلي؛ وإني أنتخبك، وإني أزنك، وإني أعدك ليستطيع قلبك التبصر، وليكون نطقك مفيدًا، ولا يوجد شيء مهما كان لا تعرفه؛ لأني قد أتممتك هذا اليوم، ومن قبل حتى تستطيع أن تجعل كل الناس تعيش من معرفتك يأيها الملك، يا «رعمسيس الثاني» معطي الحياة.

- **«بتاح» يعد «رعمسيس» القوة:** لقد مكنتك ملكًا مخلدًا وحاكمًا مثبتًا أبدًا، وصنعت أطرافك من السام، وعظمك من النحاس، وأعضاءك من الحديد، وإني منحتك الوظيفة المقدسة لتستطيع أن تحكم الأرضين بمثابة ملك الوجه القبلي والوجه البحري (بمثابة مملكتك).

- **الإله «بتاح» يعد «رعمسيس» ثروة زراعية:** إني أمنحك نيلًا عظيمًا، وأجري على الأرضين من أجلك ثروة ومحصولًا، وطعامًا، وطرائف، وأبذل الرخاء في أي مكان تطؤه، وإني أمنحك حصادًا دائمًا لتغذي الأرضين، وحزم قمح (في رواية أخرى الحبوب)، ومخازن غلالها تناهض السماء (في علوها)، وعرم حبوبها مثل الجبال، والفرح والحبور يعمَّان عند رؤيتك؛ لأن وفرة السمك والدواجن تحت قدميك، والجنوب والشمال راضون بحضرتك، والسماء وما فيها قد أعطيتها، والأرض قد سيقت إليك بما فيها، والبرك تأتي

إليك حاملة دواجنها، والإلهة «سخات حر» (مرضعة أولاد حور) تحمل مئونتها وهي أحسن طعام «رع»، وقد وضعها «تحوت» على كل جانب من جانبيك حتى تستطيع أن تفتح فمك لتغني من تحب بقدر ما أنت «ختوم» الحي، وأملاكك في ظفر، وقوتك مثل قوة «رع» عندما كان يحكم الأرضين، يأيها الملك «رعمسيس الثاني» معطي الحياة.

- **«بتاح» يعد ثروة معدنية وصناعية:** إني أجعل الجبال تصور لك آثارًا عظيمة ضخمة تامة، وأجعل الممالك تسوِّي لك كل حجر فاخر ثمين لتستعمله في الآثار باسمك، وأجعل كل الأعمال مثمرة لك، وأجعل كل الصناع في خدمتك: من كل من يمشي على ساقين، أو على أربع، ومن كل ما يطير، ومن كل ما يحلق في الجو، وأضع في قلب كل بلاد أن يتقرب أهلها إليك، وأن يعملوا لك بأنفسهم، والرؤساء والعظماء والصغار يعملون متحدين أشياء مفيدة لحضرتك يا «رعمسيس الثاني» معطي الحياة.

- **المدينة التي اتخذها رعمسيس مقرًّا له ومبانيها:** لقد أقمت مقرًّا فخمًا لتجعل حدود الأرضين متينة، وسميتها بيت «رعمسيس محبوب آمون» معطي الحياة حتى تنمو على الأرض مثل عمد السماء الأربعة … ملكًا فيها حتى تقيم الأعياد الثلاثينية الملكية التي احتفلت بها فيها، وإني أتوِّجك بيدي عندما تظهر على السلم العظيم المزدوج، والناس والآلهة يهللون باسمك مثلما يهللون باسمي عندما تحتفل بالأعياد الثلاثينية الملكية، وإنك تنحت التماثيل، وتقيم أماكنها المقدسة مثل ما فعلت في الأزل.

- **«بتاح» يعد الفرعون حياة طويلة وفلاحًا:** إني أمنحك سنين أعيادًا ثلاثينية، وكذلك أمنحك حكمي، ومكانتي، وعرشي، وإني أجزل الحياة لأعضائك، والرضى والحماية خلفك، وكذلك الفلاح والصحة، وإني أحمي مصر تحت سلطانك، والأرضين تملؤهما الحياة الرضية التي يتمتع بها «رعمسيس» معطي الحياة.

- **«بتاح» يعد «رعمسيس» القوة:** لقد مكنت لك القوة والنصر، وبطش سيفك في كل أرض، وغللت لك قلوب كل الأراضي (أراضي الأسيويين)، ووضعتهم تحت قدميك، وعندما تشرق كل يوم يحضر إليك أسرى الأقواس التسعة، والرؤساء العظام في كل البلاد

يقدمون لك أطفالهم، وإني أهب سيفك البتار إياهم لتتصرف فيهم كيف تشاء، يأيها الملك، يا «رعمسيس» معطي الحياة، ولقد وضعت الرعب منك في كل قلب، وحبك في كل جسم، ومكنت سلطانك في كل مملكة، والخوف منك يحيط بالجبال، والرؤساء يرتعدون عند ذكرك، وإن جلالتك تفلح على الدوام بوصفك رئيسهم، وإنهم يأتون إليك صائحين معًا يرجون السلام منك، وإنك تترك من تريد ليحيى، وتذبح من تشاء … تأمل! إن عرش كل أرض تحت سلطانك.

- **«بتاح» رب نعمة «رعمسيس»:** وإني أجعل معجزاتك العظيمة تحدث، وكذلك كل شيء طيب يصيبك، والأرضان اللتان تحت إدارتك في ابتهاج، ومصر تسعد فرحة يا «رعمسيس» معطي الحياة، وإني نقلت عزتي إليك، وسموك العظيم المدهش يصل إلى عنان السماء، والأرضان في حبور، ومن فيهما يبتهجون بما حدث لك، أما الجبال والمياه والمباني التي على الأرض تتحرك ثانية عند اسمك الطيب (المظفر) عندما يشاهدون هذا الأمر.

- **زيارة الخيتيين لأرض مصر:** قد جعلت أرض «خيتا» رعايا قصرك، وقد وضعت في قلوبهم أن يقدموا أنفسهم لحضرتك بخطوات خائفة، حاملين جزيتهم التي استولى عليها رؤساؤهم، وكل متاعهم جزية لشهرة جلالته — له الحياة والفلاح والصحة، وبكر بناته قد سارت في المقدمة لتسر قلب رب الأرضين الملك «رعمسيس الثاني» معطي الحياة، وإنها لأعجوبة غامضة؛ فهي لا تعرف الأمر الممتاز الذي عملته على حسب رغبتك، حتى يكون اسمك العظيم ساميًا أبدًا، وإن نجاح البطل المظفر سر عظيم يصلَّى من أجله، ولم يسمع به منذ زمن الآلهة، والوثائق السرية كانت في بيت الصحف منذ زمن «رع» حتى عهد جلالته — له الحياة والفلاح والصحة — ولكن علاقة «خيتا» بمصر متحدتين لم تكن معلومة من قبل. تأمل! لقد صدر الأمر الكريم بقتلهم تحت قدميك ليجعل اسمك باقيًا أبدًا، يأيها الملك «رعمسيس الثاني».

- **جواب «رعمسيس» للإله تاتنن:** نطق الملك المقدس رب الأرضين السيد من صورته مثل «خيري»، ومن في أعضائه «رع»، والذي خرج من «رع»، ومن أنجبه «بتاح تاتنن»، الملك

«رعمسيس الثاني» معطي الحياة لوالده، والذي خرج من صلبه، «تاتنن» والد الآلهة: «إني ابنك الذي أجلسته على العرش، لقد منحتني مملكتك وخلقتني في صورتك وهيبتك التي أعطيتنيها وسويتها، وإني سأعمل ثانية كل شيء جميل ترغب فيه حينما أكون السيد الفرد كما كنت لأجل أن أضع أمور البلاد في نصابها، ولقد خلقت لك مصر من جديد، وقد جعلتها كما كانت في البداية، وصنعت أشكال الآلهة من أعضائك حتى لونهم وأجسامهم، وجهزت مصر على حسب رغبتهم، وقد شيدتها بالمعابد.»

- **إقامة معبد «منف»:** لقد وسعت بيت «منف»، وجعلته محميًّا بالأعمال المخلدة، والصناعة الممتازة بالحجر المغشَّى بالذهب، والأحجار الكريمة الأصلية، وبنيت الردهة الأمامية الواقعة في الشمال بواجهة فخمة مزدوجة أمامك، وباباها مثل أفق السماء؛ مما جعل جميع الناس حتى الأجانب يمدحونك، وقد أقمت لك معبدًا فاخرًا في وسط السياج، وأنت يأيها الإله الذي شكلته، إنك في مقصورته السرية — أي المعبد — جالسًا على عرشها العظيم في قدس الأقداس.

- **أوقاف معبد «منف»:** وإنه مجهز بالكهنة المطهرين، وبالكهنة خدام الإله، وبالعبيد الفلاحين، وبالأرض وبالماشية، وأصبح في عيد القربان الإلهية التي يخطئها العد، والتي تشمل كل الأشياء الطيبة، وإني حفلت بأعيادك الثلاثينية الملكية العظيمة كما أمرتني به، وكل الأشياء الموجودة قد أتى بها إليك قربات عظيمة كما ترغب من ثيران وماشية لا تُحصى، وقد أحضرت كل عددهم بالملايين، أما الشحم المستخرج منها فقد وصل إلى عنان السماء، وتسلمه أهل السماء.

- **الفتوح الخارجية:** لقد جعلت كل أرض ترى جمالك في الآثار التي أقمتها لك، وإني وسمت أهل الأقواس وكل البلاد باسمك، فهم ملك حضرتك أبدًا؛ لأنك أنت خالقهم بأمر ابنك هذا الذي على عرشك يا سيد الآلهة والناس، الملك المحتفل بالأعياد الثلاثينية مثلك عندما تحمل الصاجتين، ابن التاج الأبيض، ووارث التاج الأحمر، ومالك الأرضين في سلام «رعمسيس الثاني» معطي الحياة مخلدًا وسرمديًّا.

مغزى هذه الوثيقة

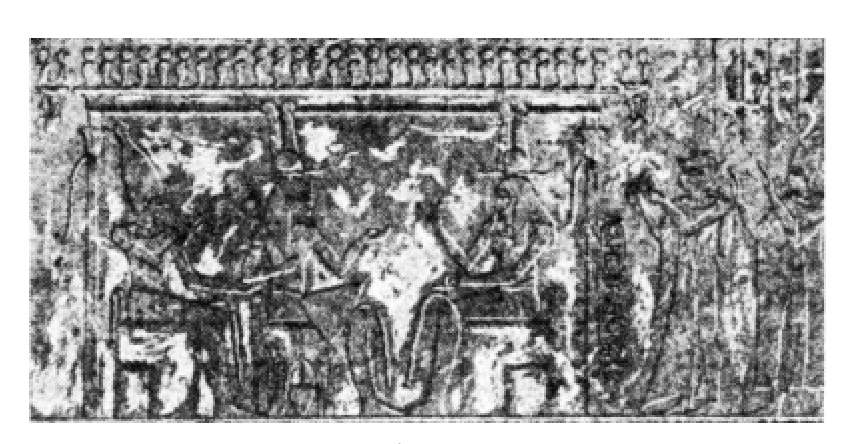
هذه اللوحة نُقشت على جدران القاعة الأولى من جدران معبد «بو سمبل»، ويشاهد في أعلاها صورة تمثل «رعمسيس الثاني» يضرب ثلاثة من الأسيويين الأعداء أمام الإله «بتاح تاتنن» الذي كان يقود أمامه ستة من الأسرى، واحد منهم أسود، والآخرون ذوو لحى، ومن أسمائهم نعلم أنهم لا بد كانوا من السود أيضًا.

وعلى الرغم من الطابع الديني الذي ظهرت به هذه الوثيقة فإنها تمدنا بمعلومات تاريخية واجتماعية عظيمة، تكشف النقاب عن نقط هامة في تاريخ هذا الفرعون، بل في استطاعتنا أن نعدها ملخصًا لكل أعماله التي قام بها بعد تولية الملك، وهي تلك الأعمال التي أوضحها لنا في نقشه العظيم الذي تركه على جدران معبد «العرابة المدفونة»، وقد سبق تفصيل القول فيه.

وأول ما يلفت النظر هنا أن هذه اللوحة لم تكن مقدمة لأحد الآلهة الذين يسكنون في الجهة التي أقيم المعبد فيها الذي نقشت اللوحة على جدرانه، بل أهديت للإله «بتاح تاتنن» رب «منف» وأعظم آلهتها، ولا غرابة في ذلك فإن «رعمسيس» وأسرته كانوا من أهل الدلتا التي كانت عاصمتها «منف» منذ القدم، وبقيت صاحبة نفوذ وسلطان في كل عصور التاريخ المصرية. ولقد أهدى «رعمسيس» لهذا الإله تلك اللوحة لأنه ناصره، وعززه على أقوام الشمال في آسيا المجاورين لهذا الإله العظيم؛ لأنه ابنه، إذ قد تمثل «الإله بتاح» لأمه في صورة كبش «منديس»، ووضع فيها بذرته، ومثله في ذلك مثل بعض ملوك الأسرة الثامنة عشرة، وبخاصة «حتشبسوت»، و«أمنحتب الثالث» اللذين تمثل لأميهما الإله «آمون» في صورة الملك، ووضع بذرته فيهما؛ من أجل ذلك نجد أن الإله «بتاح» قد ناصر «رعمسيس الثاني»، وعني بتربيته وثقافته عناية بالغة، فوهبه السعادة والصحة في الحياة الدنيا، كما نفخ فيه من روحه، وجعل قلبه قدسيًّا مثل قلبه، ثم أعطاه القوة، ومكَّن له في الأرض، وجعله ملكًا على العباد، وأسعد البلاد التي كان يحكمها، فجعل النيل يفيض على مصر الخصب والنماء حتى أصبحت غلات البلاد وفيرة كرمال الشاطئ، وصارت مخازن الغلال تناطح السماء في علوها، وأكوام القمح كالجبال الشامخات، كما جعل له من الماء لحمًا طريًّا، ومن طيور السماء لحمًا شهيًّا تفيض بهما البلاد من بين أيديهم، ومن تحت أرجلهم، وكذلك منحه السماء وما فيها، وأتت إليه الأرض طائعة بما تخرج من بطنها، فبِرَك الماء تجود بطيورها، والإلهة «سخات حور» رمز الغذاء تحمل له كل مؤنها، وهو الذي جعل الجبال الراسيات تخرج له الأحجار التي يشيد بها آثاره العظيمة، كما جعل كل البلاد تصنع له الأحجار الغالية اللازمة لآثاره، وكذلك أوحى لكل ما يمشي على اثنين وعلى أربع، وكل ما يطير، وكل ما يحلِّق ليكون في خدمته، كما أوحى في نفوس كل البلاد أن يعمل أهلها، ويقدموا له القربان؛ وفضلًا عن ذلك شيد له مقرًّا للحكم ليحمي حدود الأرضين وسماه «بررعمسيس» معطي الحياة، وهي العاصمة الجديدة التي أقامها في الجزء الشمالي من ممتلكاته ليكون بعيدًا عن نفوذ رجال الدين في «طيبة»، وقريبًا من البلاد التي استردها

لمصر في آسيا، وتدل كل المعلومات التي وصلت إلينا حتى الآن على أنها في أغلب الظن «قنتير» الحالية كما سنتحدث عن ذلك فيما بعد، هذا إلى أن «بتاح» قد وعد ابنه حياة طويلة وفلاحًا عظيمًا على الأرض، وقوة جبارة، وسيفًا بتارًا يهزم به الأعداء، حتى أصبحت كل الممالك التي فتحها طوع بنانه، ورهن إشارته، يضاف إلى ذلك أنه قد سلمه كل عزته وكرامته وسلطانه، حتى إن الجبال والمياه، وما على الأرض من مبانٍ كانت تسير إليه عندما يصدر أمره بذلك.

وأعظم من ذلك أن جعل هذا الإله ملك «خيتا»، وبلاده من رعايا قصره يأتون إليه بالهدايا، وهم يتوجسون خيفة، كما حمل إليه ملك هذه البلاد كبرى بناته معه لتكون زوجه لهذا الفرعون العظيم، وبعد أن سرد الإله «بتاح» كل هذه النعم التي أنعم بها على ابنه الذي أنجبه من صلبه أجابه هذا الفرعون معترفًا بأنه ابنه، وأنه هو الذي وضعه على عرش الملك، وأنه قد خلقه صورة ناطقة منه، وأنه في مقابل ذلك سيفعل كل ما يرغب فيه هذا الإله. وهنا يشير «رعمسيس» إلى أنه خلق له مصر من جديد، وجعلها كما كانت من قبل، وربما يشير بذلك إلى العهد الذي كانت عليه قبل الفوضى الذي أحدثها «إخناتون» وشيعته، فأعاد بذلك تماثيل الآلهة كما كانت عليه من قبل حتى ألوانها وأجسامها، وأمد البلاد بما يلزمها، وأقام فيها المعابد. ومن أهم ما لفت نظره في هذه الناحية توسيع معبد «بتاح» بـ «منف»، وتزيينه بكل النفائس، كما أقام له معبدًا في وسط سور المعبد الكبير، ونحت له تمثالًا وضعه في قدس الأقداس على عرشه العظيم، ثم أجزل لمعبده العطاء، فحبس عليه الأوقاف، وأمده بالكهنة من كل صنف، واحتفل بأعياد ثلاثينية كما أمر هذا الإله، أما القرابين التي كانت تقرب إلى «بتاح» فكانت من البقر والماشية التي تُحصى بالملايين. وفي نهاية المطاف نجد «رعمسيس الثاني» يظهر اعترافه بالجميل للإله لما حباه به من نصر على البلاد الأجنبية؛ إذ جعلهم يشاهدون ما أقامه لهم من آثار عظيمة، هذا إلى أنه قد وسم قوم الأقواس التسعة وكل الأرض باسمه؛ لأنهم ملكه، وهو خالقهم، وذلك بأمر منه. ومن هذه النظرة العجلى التي تكشف لنا القناع عن سلطان «رعمسيس» في السنة الخامسة والثلاثين من حكمه، نعلم أن البلاد كانت في رخاء، وأنها تتمتع بأحسن نعمة، وهي نعمة السلام الذي كان ناشرًا ألويته على ربوع البلاد كلها، وبخاصة مع بلاد «خيتا» التي كان «رعمسيس» على ما يظهر صاحب مكانة عند عاهلها الذي سعى إليه، ومعه كبرى بناته لتكون من بين زوجاته، وقد خص الفرعون هذا الحادث الذي كان يعد في نظره أمرًا جللًا بنقوش تحدِّثنا عن هذا الزواج، وعلاقاته بملك «خيتا» الذي أصبحت بلاده حاجزًا بين مصر والبلاد المتمدينة الأخرى التي قد تهدد مصر من جهة حدودها الشمالية؛ لأن «خيتا» كانت مسلحة تسليحًا قويًّا يمكنها من الوقوف في طريق المغيرين، ومن ثم كانت سدًّا منيعًا تقف أمامه قوى العدو إذا أراد أن ينفَذ منها إلى أرض الكنانة.



شكل ٩: ملك خيتا وابنته أمام رعمسيس الثاني.

وفي الحق كان العاهلان المصري والخيتي يحافظان كل المحافظة على المعاهدة التي أبرمت بينهما، وقد كان من أكبر علامات الود والمصافاة بينهما وحسن النية زيارة ملك «خيتا» لفرعون مصر «رعمسيس الثاني» عند تولية عرش الملك، وحمله الهدايا إليه على ما يظهر مما سنتكلم عنه بعد، ثم زواج «رعمسيس الثاني» من ابنة عاهل «خيتا» «خاتوسيل»؛ مما زاد في رابطة الود بين البلدين، بعد أن قامت بينهما حروب طاحنة فصلنا فيها القول، وقد كان الفرعون بوجه خاص فخورًا بهذا الزواج؛ ولذلك ترك لنا وثيقة ساذجة في وصفها، وقد نقشها على الجدار الجنوبي من ردهة معبد «بو سمبل»، وغيره كما سيأتي. وقد بدأها «رعمسيس» بعبارات التفاخر، وما طبع عليه من شجاعة، وما قام به من أعمال البطولة، والخوف الذي بعثته انتصاراته في أرجاء العالم، وتسابق ولايات سوريا لقضاء مآربه، وما ذكره من أن أمير «خيتا» كان يرسل إليه هدايا فاخرة في كل فرصة ممكنة.

ولما لم يكن لديه وسيلة أخرى للتقرُّب منه، والتحبب إليه، خاطب عظماء رجال بلاطه مذكرًا إياهم بأن بلادهم كانت قد اجتيحت بالحروب، وأن إلههم «ستخ» قد حاربهم، وأنهم قد تخلصوا من شرورهم ومصائبهم بلين جانب شمس مصر ورحمته، وبعد ذلك قال لهم ملك «خيتا»: «فلنأخذ متاعنا، ونضع كبرى بناتي على رأسه، ثم نذهب إلى بلاد ذلك الإله العظيم حتى يعترف بوجودنا.» والواقع أنه فعل ما اقترحه، وذهب رسوله بالهدايا من الذهب والفضة والخيل المسوَّمة، وحاشية من الجنود، وكذلك ساق معه الماشية، وحمل المؤن لطعامهم على الطريق، وعندما وصل «خارو» (بلاد سوريا) كتب الحاكم هناك في الحال للفرعون قائلًا: «إن أمير «خيتا» ومعه وفد قد حضروا ومعهم كبرى بناته، وعدد من الهدايا من كل نوع، وأن هذه الأميرة قد وصلت ومعها رئيس كل بلاد «خيتا» إلى تخوم جلالتك بعد أن قطعا الجبال العديدة، وقاسيا رحلة شاقة من بلاد نائية، ونحن في انتظار التعاليم التي ستتبع معهما.» وقد كان الفرعون عندما وصلته هذه الأخبار في عاصمة ملكه «بررعمسيس». فلما ألقيت على مسامعه أعلن سروره رسميًّا؛ لأنه لم يسمع من قبل في تاريخ البلاد أن أميرًا عظيم الشأن قوي السلطان مثل ملك «خيتا» يحمِّل نفسه هذه المتاعب الجسيمة، ويأتي مصر ليزوج ابنته من حليف له.

وعلى أثر ذلك أرسل الفرعون أمراء قومه، ومعهم جيش لاستقباله، غير أنه كان حريصًا طوال هذه المدة على إخفاء قلقه، وكما جرت العادة استشار ربه «ستخ» على مألوف العادة، فسأله عن القوم الذين أتوا برسالة في هذا الوقت لأرض «زاهي»؟ وقد طمأنه الوحي الإلهي على مقاصدهم، فأسرع في الاستعداد لمقابلتهم كما يجب، ودخل الوفد بفخامة وعظمة مقر ملك «رعمسيس»، وعلى رأسه الأميرة، وفي ركابها الجنود المصريون الذين أرسلوا لهذا الغرض، ومعهم مشاة «خيتا» وفرسانهم الذين كانوا يؤلفون نخبة جيش هذه البلاد، وقد أقام الفرعون حفلًا مهيبًا تكريمًا لهم؛ مقدمًا فيه الطعام والشراب بسخاء مصري، وفي نهايته عقدت مراسيم الزواج على الأميرة من «رعمسيس الثاني» في حضرة عظماء القوم، وأمراء كل الأرض.

ولما كان «رعمسيس الثاني» لا يريد أن يضع أميرة من أصل رفيع مع حظياته العاديات، فإنه خلع عليها لقب ملكة كأنها من دم شمسي؛ أي بنت الإله رع، ووضع اسمها في طغراء، وأطلق عليها اسم «مات نفرو رع»؛ أي التي ترى جمال «رع»، وقد احتلت منذ تلك اللحظة في الأحفال وعلى الآثار المكانة التي كانت تحتلها نسوة الفرعون اللائي من دم ملكي طاهر، ومن الجائز أن هذا الشرف العظيم الذي انفردت به على غير المألوف قد جعل هذه الأميرة الغضة الإهاب تتجاوز عن ارتفاع سن «رعمسيس» عندما تأهل بها؛ إذ كان في هذا الوقت يربى على الستين من عمره. هذا هو ملخص هذه الوثيقة التي وصلتنا ممزقة بعض الشيء.

لوحة زواج «رعمسيس الثاني» (A. S. XXV, p. 181–228)

وقد عُثر على عدة نسخ من لوحة زواج «رعمسيس الثاني» من ابنة ملك «خيتا»، وهي:

- (١) لوحة «بو سمبل»، وقد نُقشت على الجدار الخارجي للمعبد.[٩٨]
- (٢) لوحة «إلفنتين».[٩٩]
- (٣) لوحة «الكرنك».[١٠٠]

وقد جمع الأثري «كونز» كل هذه النسخ التي يكمل بعضها بعضًا إلى حد ما، وكتب عنها، وهاك ما جاء في هذه الوثيقة:

> في أعلى اللوحة يشاهد ملك «خيتا»، وكبرى بناته في حضرة الفرعون، وأمام ابنة ملك «خيتا» الكلمات التالية:

- **لقب أميرة «خيتا»:** الزوجة الملكية العظيمة «مات نفرو رع» بنت رئيس «خيتا» العظيم.

- **خطاب رئيس «خيتا» العظيم:** لقد أتيت إليك، وإني أعبد جمالك … وإنك حقًّا محبوب «ستخ»، وإنه قد جعل أرض «خيتا» من نصيبك، ولقد جُردت من كل أملاكي، وكبرى بناتي على رأسها لأقدمها لوجهك البهي، فهل تتعطف أن تظل عند موقف قدمك أبد الآبدين، وكذلك بلاد «خيتا» قاطبة؟ ومع ذلك فإنك تظهر على عرش «رع»، وكل الممالك تحت قدميك أبدًا.

- **تاريخ اللوحة ومديح الفرعون:** السنة الرابعة والثلاثون في عهد جلالة الصقر، الثور القوي محبوب «ماعت»، سيد الأعياد الثلاثينية مثل والده «بتاح تاتنن»؛ المنسوب للإلهتين، حامي مصر، وقاهر البلاد الأجنبية، محبوب «رع»، والد الآلهة، ومؤسس القطرين، الصقر، قاهر «ست»، الغني بالسنين، العظيم الانتصارات، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، وسيد القطرين، المسمى «قوية عدالة رع»، والمنتخب من «رع» ابن الشمس، سيد الإشراق، محبوب «آمون»، وإن «رع» هو الذي خلقه (رعمسيس) معطي الحياة، وهو الذي فتح كل البلاد بشجاعته وقوته، ومن تذكر الأقطار القصوى انتصاراته، ومن خوفه في كل القلوب أبدًا، «رعمسيس» رب مصر وسيد الصحراء، عاهل الأرضين مثل «آتوم»، وسور من الظران حول مصر، وبطل مشاته، وحامي خيالته، وحمى البلاد، و«بعل مصر»، ومانحها النصر على كل البلاد الأخرى، جميل الوجه عندما يرتدي التاج الأزرق، فائق الوجه عندما يلبس تاجي الوجه القبلي والوجه البحري؛ لأنه جمع المملكتين في سلام مثل والده «حورتنن»، وقد أجلسه «رع» على عرشه ليحمي هذه المملكة على حسب رغبته، ومن اسمه عظيم، ومن ألقابه فاخرة، ولا يوجد إله مثله، ومن كلامه مختار، ومن أفكاره مستحبة، ومن قلبه يقظ، ومن يحكم الأرض بقراراته: «رعمسيس».

المديح الثاني: وهنا يبتدئ هذا الأثر الذي لا يفنى، والذي مآله هو تعظيم قوة رب الساعد، وتفخيم شجاعته، والافتخار بشدة بأسه، وهو الأثر الذي يذكر بالمعجزات العظيمة الخفية التي وقعت لرب الأرضين، وأنه «رع» في شخصه أكثر من كل الآلهة، وهو الذي على أثر وضعه في عالم الوجود كان من نصيبه الشجاعة: «رعمسيس».

وهو ملك يقظ، وفرعون شجاع، ابن «ست»، ومحبوب «منتو»، ونجم الأرض، وقمر مصر، وشمس الدنيا، معطيهم النور، وقرص الشمس، المضيء للناس، ومن النظر إليه يجعلهم يحيون، ومن عدد سنيه مرتفعة، ومن حكمه عظيم، ومن أعياده الثلاثينية فخمة، وأعاجيبه عديدة، ومن خيره يفيض على الأرضين، وثروته تفيض على الصعيد والدلتا، فالمئونة في يديه، والخير العميم تحت قدميه، والمأكولات موضوعة تحت نعليه، ومن اسمه عزيز في قلوب الآلهة، ومن يحبه الناس حبًّا عميقًا، وإنهم يفرحون عندما يرونه كما يرون «رع» عندما يشرق في الأفق: «رعمسيس».

ومن عرشه ثابت، ومن … مبجل، ومن حكمه … بسرور، ومن اسمه بارز، وإنه يصل إلى السماء مثل «رع» في أعماله الأولى، ومن قراراته كاملة، وتعليماته ثابتة … شجاع …: «رعمسيس»؛ وجلالته — له الحياة والفلاح والصحة — ملك الأقواس التسعة، السيد العظيم لكل الممالك، وإن السماء أغلقت، والأرض زلزلت عندما استولى على مملكة «رع»، وإنه استولى على تيجان «آتوم» مع صل سيد الكون على رأسه، واجتمع على شخصه رمز السيدين «حور»، و«وست»، وسلطانهما وملكهما في متناوله، وقد فتح الجنوب والشمال، والغرب والشرق يحنيان رأسيهما، وإنه البذرة المقدسة لكل إله، وأنه وُضع من كل إلهة، وقد نشأه الكبش سيد «منديس» في المأوى العظيم في «هليوبوليس»: (رعمسيس) … وثامن آلهة «الأشمونيين» عندما خلقوا (؟)، وأنه مثل «خبري» عندما يرتفع، ومثل «شو»، و«تفنوت» أمام «حورتنن» لأجل أن ينظم مصر كما يجب عليه، وعندما

يمد الأرض بالمعابد: «رعمسيس». وإنه صورة «رع» الحية، ورمز من يسكن «هليوبوليس»، ومن لحمه من ذهب، وعظامه من فضة، وأعضاؤه من حديد، ابن «ست»، ومربي «عنتا»، والثور القوي مثل «ست» صاحب «أمبوس» «حور» المقدس (؟) محب الناس، والإله العظيم بين الآلهة، حامي مصر، والمدافع عن القطرين، ومن يجعل حدوده على حسب ما يريد، وكل البلاد في سكينة، وليس بجانبه خارجون، والماهر في غزواته، إذ يسير إليها، ويحرز النصر: (رعمسيس) … لمصر، والثمين للناس من الجنسين … ويأتون إليه … وكل فيضاناته تأتي بالخير …: «رعمسيس»، والمفيد في الصعيد، والمحبوب في الدلتا، ومن برؤيته تبتهج كل الأنام، ومن جماله لهم بمثابة الماء والهواء، وحبه كالطعام واللباس، وقرص الشمس لمصر قاطبة، والإله شو، للقطرين، والقطران متحدان معًا كرجل واحد، قائلين ﻟ «رع» عند شروقه: امنحه الأبدية في الملك حتى يسطع لنا كل يوم مثلك، واجعله يجدد لنا دائمًا مثل القمر، وأن ينعم كنجوم (؟) السماء، امنحه الأبدية كما منحتها ابنك «ست» الذي في قارب ملايين السنين: «رعمسيس». وإنه «رع» الحي والجميل من الذهب، وسام الآلهة، ومن يملأ الأرضين بانتصارات يمينه، والفخار في الأعمال التي يأتيها ساعده، وهو بكر «بتاح تنن» الذي أنجبه … «رعمسيس» … وهذا الإله الكامل هو «آتوم»، ووارث «رع»، والصورة المعظمة لمن في «عين شمس»، ومن يكون معه جسمًا واحدًا، ومن يشرق كل يوم في الأفق ليسمع التضرعات التي يوجهها إليه عندما يخاطبه كل شروق في الصباح: ماذا تريد؟ لأجل أن أفعله لك، وهو يتكلم على الأرض، ويسمع في السماء … على طريقة الإله نفسه بقلب منبسط مثل «رسي انيف»؛ أي الذي جنوبي جداره يقصد الإله بتاح، فإنه … مثل جلالة «تحوت»: «رعمسيس»، والذكي مثل … جاسًّا الأجسام مثل «رع» رب السماء، وإن خوفه هو الذي … الناس هذه البلاد في عيد لشجاعته عندما … كل البلاد بقوته: «رعمسيس».

الموضوع: تأمل! لقد كان رؤساء البلاد العظام يتعلمون تلك الأخلاق الهائلة التي فُطر عليها جلالته، فقد تقهقروا مذعورين؛ إذ كان الفزع من جلالته في قلوبهم، وكانوا يعبدون شهرته، مقدمين الخضوع لوجهه الكامل … وأطفالهم ورؤساء «رتنو» العظام، والبلاد التي لا يصل الإنسان إليها والمجهولة؛ لأجل أن يهدئوا قلب الثور القوي، ويطلبوا إليه السلام: «رعمسيس»، وإنه استولى على أملاكهم جزية تقدم كل سنة، وكان أولادهم على رأس هداياهم متعبدين منبطحين على الأرض … «رعمسيس»، وكل البلاد الأجنبية قد أحنت رءوسها حتى الأقدام لهذا الإله الكامل، وقد عمل حدوده معهم … (٢٤) … إلا … بلاد «خيتا» التي لم تكن منضمة إلى هؤلاء الرؤساء، وكما أنه حقًّا قال جلالته: إن والدي «رع» قد خصني أبدًا ملكًا على القطرين، وجعلني أشرق مثل قرص الشمس، وأرتفع مثل «رع»، وكما أن السماء ترتكز حقًّا على عمدها الأربع، فإني سأصل إلى نهاية حدود «خيتا» القصوى، وأجدلها تحت قدمي أبدًا، وإني أنا «رعمسيس» سأجعلهم يفرُّون، وهم يحاربون في ساحة القتال حتى يسكتوا عن وقاحتهم في بلادهم؛ وذلك لأني أعلم أن والدي «ستخ» قد جعل من نصيبي النصر على كل البلاد، وقد قوَّى يميني حتى جعله يصل إلى عنان السماء، وجعل سلطاني شاسعًا مثل الدنيا.

وعلى ذلك جهز جلالته مشاته وخيالته، وانقض بهم على بلاد «خيتا» ففتحها منفردًا بنفسه … جميعًا، وقد اكتسب شهرة أبدية: «رعمسيس»، حتى إنهم حفظوا ذكرى انتصار ساعدي، أما الذين تركتهم يده فقد لعنهم، وكانت أرواحهم فيهم كأنها شعلة متقدة، ولم يترك الرؤساء على عروشهم …: «رعمسيس»، وقد أمضوا سنين في البؤس، و… من سنة لسنة تحت سلطان أرواح الإله العظيم الحي ملك الأرضين وسيد الأقواس التسعة: «رعمسيس»؛ ولكن ملك «خيتا» العظيم أرسل رسالة إلى جلالته معظمًا أرواحه ومفخمًا … قائلًا … غضبك … نفس الحياة … بلاد «خيتا» الضرائب، وسنحملها إلى قصرك الفاخر، وها نحن عند موطئ قدميك يأيها الملك القوي، فافعل بنا ما قد عزمت عليه يا «رعمسيس»، ولقد أرسل رئيس

«خيتا» رسلًا لإرضاء جلالته السنة بعد السنة، و«رعمسيس» لم يعِرهم أذنًا صاغية مرة واحدة، ولكن لما رأوا بلادهم في هذا الموقف البائس تحت سلطان الأرواح العظيمة لسيد الأرضين «رعمسيس» عندئذ قال الرئيس «خيتا» العظيم لجيشه ولرؤسائه: ثم ماذا؟ إن بلادنا قد خربت، وسيدنا «ستخ» غاضب علينا، والسماء لا تمنحنا ماء أمامنا … فلنجرِّد أنفسنا من ملك متاعنا، وعلى رأسه كبرى بناتي، ولنحمل هدايا خضوعًا للإله الكامل ليمنحنا السلام، ولنعيش: «رعمسيس». وعلى ذلك أمر باستصحاب كبرى بناته مع الجزية الثمينة أمامها من ذهب وفضة وطرائف عدة وهامة، وخيول يخطئها العد، وثيران وغنم بعشرات الألوف، وكل محاصيل بلادهم قاطبة «رعمسيس»، وقد جاءت الأخبار لجلالته تقول: «تأمل! إن رئيس «خيتا» العظيم حقيقة قد جاء بكبرى بناته، وهدايا عديدة، وطرائف من كل صنف … بنت ملك «خيتا»، وابنته ملك «خيتا» والموكب، قد اجتازوا جبالًا وعرة، ومسالك شاقة يا «رعمسيس»، وسيصلون إلى تخوم جلالتك، فأرسل جنودًا ووجهاء ليستقبلوهم يا «رعمسيس».» وقد أخذ جلالته … والقصر كان في فرح عندما سمع بهذا الخبر الخطير، وهو ما لم يسمع بذكر مثله في مصر منذ الأبد، فأرسل الجيش مسرعًا، والعظماء ليتقدموا الوافدين: «رعمسيس»، وقد تناقش وفكَّر جلالته مع لبه فيما يخص هذا الجيش قائلًا: «ما حالتهم إذن، هؤلاء القوم الذين أرسلتهم، وهم الذين سيذهبون في بعثة نحو بلاد «سوريا» في أثناء تلك الأيام المطيرة، والمتساقطة الثلوج التي تنزل في الشتاء؟» وعندئذ قدم قربانًا عظيمًا لوالده «ستخ» ودعاء … بهذه العبارات: «إن السماء على يديك، والأرض تحت قدميك، وكل تخرجه بإرادتك، ليتك تجعل المطر وريح الشمال والثلوج تسكن إلى أن تحدث على يدي المعجزات التي وهبتنيها: «رعمسيس».» وقد حقق والده «ستخ» كل تضرعاته؛ فهدأت السماء، وهلت أيام الصيف … وجنوده، وكانوا سعداء كلهم، وارتاحت أجسامهم، وفرح قلبهم: «رعمسيس»، وبنت رئيس «خيتا» العظيم … سارت نحو مصر، وقد سار المشاة والعظماء والخيالة في ركابها، وكان مختلطًا بالجنود والخيَّالة وعظماء «خيتا»، والجنود المحاربين الأسيويين، وكذلك

المشاة: «رعمسيس»، وكذلك خيالته، وكل أهل «خيتا»، وقد امتزجوا بأهل مصر، وأكلوا وشربوا سويًّا، وأصبحوا قلبًا واحدًا كالإخوان الذين لا … الواحد من الآخر، وقد ساد السلام بينهم مثل الإله نفسه، و«رعمسيس».

وقد مر الرؤساء العظام من كل بلد … متقهقرين، وملتفتين برءوسهم مشدوهين عند رؤية أهل «خيتا»، ممتزجين بجنود الملك «رعمسيس»، وهؤلاء الرؤساء كانوا يتحدثون فيما بينهم، فيقول الواحد للآخر: هل صحيح ما قاله جلالته … مثل ما أنهم عظماء، وهذه … الذين نراهم بأعيننا؛ وكل بلاد معه بمثابة خادم … فأصبحوا قلبًا واحدًا مع مصر … «رعمسيس».

… وبلاد «خيتا» له مثل مصر، وحتى السماء تحت خاتمه، ويعمل كل شيء كما يريد «رعمسيس». وحقًّا بعد … وصل في مقر «رعمسيس» … المظفر بالمدهشات العظام، وبالقوة والشجاعة في السنة الرابعة والثلاثين الشهر الثالث من الشتاء: «رعمسيس».

وقد جيء ببنت رئيس «خيتا» العظيم، تتهادى نحو مصر أمام جلالته، وسارت خلفها هدايا هامة جدًّا، يخطئها العد … وحقًّا وجد جلالته أنها صبيحة الوجه … آلهة، وقد كان حادثًا عظيمًا غامضًا، بل أعجوبة ممتازة محيرة، ولم يدُر مثلها في أفواه الناس، ولم يُذكر مثلها في سجلات الأجداد، البنت … «رعمسيس»، وكانت محببة لقلب جلالته الذي أحبها أكثر من كل شيء، وذلك بالسعادة التي منحها إياه والده «بتاح تنن»: «رعمسيس»؛ وقد جعل اسمها الزوجة الملكية «مات نفرو رع» — لنعيش — بنت ملك «خيتا» … العظماء والمواطنون (؟) … وعندما يذهب رجل أو امرأة إلى بلاد «آسيا» في بعثة كانوا يصلون بلاد «خيتا» دون أي خوف في قلبهم بسبب انتصارات جلالته …

وقد فهم الأستاذ «برستد» المعنى العام لهذا المتن؛ فهو — كما قال — يبحث في تحالف بين «رعمسيس الثاني» مع الأسرة الحاكمة في بلاد «خيتا»، وذلك بوساطة الأميرة «مات

نفرو رع» (التي ترى جمال رع)، وقد قرن «برستد» بين اسم هذه الأميرة، وبين اسم آخر ساعة من ساعات الليل «مات نفرو رع»، وفي رواية أخرى «مات نفرو نبس»، أو «بترت نفرو نبس»؛ أي إن اسمها يمثل بنور الفجر.

والواقع أن هذه القصة على ما يظهر يرجع تاريخها إلى عهد سحيق في القدم في تاريخ العلاقات بين مصر وبلاد «خيتا»؛ ولذلك يجب أن نحاول هنا أن نوفق بين ما يمكن استخلاصه من هذا المتن، وبين ما يُعرف من مصادر أخرى، غير ما ذكرناه من شرح مجمل سابقًا.

ففي المتن الذي بين أيدينا نستخلص إشارات للحوادث التالية:

- (١) امتنعت بلاد «خيتا» أن تنضم إلى الرؤساء الأسيويين الذين كانوا يحملون جزيتهم إلى «رعمسيس الثاني» (٢٤).
- (٢) وقد قام ملك مصر بدوره وأعلن الحرب عليهم، وخرب البلاد الخارجة (٢٤–٢٧).
- (٣) كانت بلاد «خيتا» مستعدة كل سنة لتحمِل للفرعون جزيتها، ولكن عرضها هذا كان يُرفض دائمًا (٢٨–٣٠).
- (٤) ولكن في إحدى السنوات انتقل ملك «خيتا» إلى دور العمل، ولأجل أن يجبر «رعمسيس» على العفو عنه أحضر إليه — فضلًا عن الهدايا الفاخرة التي جلبها — كبرى بناته (٣١–٣٣).
- (٥) وعندما سمع «رعمسيس» هذا الخبر أمر بإرسال ركب على جناح السرعة لمقابلة الوفد (٣٤-٣٥).
- (٦) ولما كان ذلك في فصل الشتاء، وكانت أحوال الجو في آسيا رديئة، فقد أتى «رعمسيس» بمعجزة على يد الإله «ست»، فانقبلت الأحوال الجوية (٣٦–٣٨) الرديئة إلى جو معتدل لطيف.
- (٧) وقد وصل الركب الخيتي إلى مصر في رفقة مصريين، فوصل إلى أرض الكنانة في السنة الرابعة والثلاثين، الشهر الثالث من الشتاء في وسط أفراح عظيمة (٣٨). وعند هذه

النقطة أصبح المتن ممزقًا وناقصًا، ولكن يمكننا أن نخمن أن الأميرة أعجبت الفرعون، وصارت ملكة. ومن ثم أصبح ذلك الحادث بداية عهد علاقات ودية بين البلدين.

ونقط الاتصال المعروفة عن تاريخ العلاقات بين مصر وبلاد خيتا هي — كما ذكرنا من قبل — تتلخص في النقط الآتية:

- (١) الحملة التي قام بها «رعمسيس الثاني» على «خيتا»، وانتهت بموقعة «قادش»، على الرغم من أنه كان على ود ومصافاة مع ملك خيتا في أول حكمه، كما سنشرح ذلك بعد.

- (٢) إعادة فتح «فلسطين»، و«سوريا» من السنة الخامسة حتى السنة الثامنة من حكمه، ثم المعاهدة مع ملك «خيتا» في السنة الواحدة والعشرين، ولكن كيف يمكن ربط هذه الحوادث بقصة اللوحة التي نحن بصددها؟ ففي استطاعتنا أن نقدر أن الحملة المظفرة التي جاء ذكرها في لوحتنا من (٢٤–٢٧) تتفق مع حملة موقعة «قادش» في السنة الخامسة، ولكن يتساءل المرء: لماذا مر متن اللوحة على معاهدة السنة الواحدة والعشرين دون الإشارة إليها من قريب أو بعيد؟ من أجل ذلك يجوز لنا أن ننظر إلى هذا العصيان، وإلى قمعه بأنهما وقعا بعد المعاهدة، وأن هذه اللوحة تحدثنا حينئذ عن الحوادث التي وقعت بين العام الحادي والعشرين والرابع والثلاثين. والتاريخ الأخير يعلم لنا المهادنة التي قامت بين «خيتا» و«مصر»، والزواج الذي عُقد بين «رعمسيس» والأميرة الخيتية، وعيده الثلاثيني الثاني.

وتدل شواهد الأحوال على صحة هذه المحالفة الجديدة، وتاريخها بين البيتين الخيتي والمصري، فقد أكدتها النقوش، كما أظهر ذلك بحق «برستد» بالآثار التي نجد فيها ذكرها.

ماعت نفرو رع

قد دعيت بلقب ملكة، وهي التي كانت في الأصل تسمى بنت ملك «خيتا»، وكما جاء على لوحة «بو سمبل» المؤرخة بالسنة الخامسة والثلاثين، وهي التي تشير إلى وصول الخيتيين بهداياهم، وفي مقدمتهم الأميرة، وهذه اللوحة تبرز بنوع خاص الصيغة المدهشة التي صيغ بها هذا التحالف، ويلاحظ في الفقرة الثانية التي جاءت في الوصف الشعري لمدينة «رعمسيس» أن ملك «خيتا» قد كتب إلى أمير «قدي» يدعوه للرحيل إلى مصر؛ ليكسب عطف الفرعون؛ لأن إلههما «ستخ» أبى قبول قربانهم؛ فحرمهم ما هو ضروري لهم؛

وهو الغيث، «والإله لم يتقبل قربان «خيتا»، وهذه بدورها لم ترَ بعد الماء.» وهذه الظاهرة نجدها ثانية الآن في فقرة من فقرات لوحة الزواج ذُكرت بصفة قاطعة في متن الكرنك (A. 31 = K. 24)، «والإله «ستخ» غاضب علينا، والسماء لم تعد تهب ماء أمامنا.» وهذه الصيغة الخاصة بالإله سيد العناصر، وبنوع خاص عنصر الغيث لا تقتصر على الإله «ستخ» المصري وحسب، بل هي كذلك من خواص الإله «بعل»، وآلهة أخرى أسيوية كثيرة، ويرجع الفضل إلى «ستخ» في أن «رعمسيس» كان قادرًا على أمر الغيث والثلج بالوقوف. أما موضوع المعجزة الجوية التي نُسبت إلى «رعمسيس» و«ستخ»، فإنها تفسر بدون شك بظاهرة رجوع الحرارة المؤقتة في وسط فصل الشتاء، وهذه الظاهرة يطلق عليها عند الأوروبيين «صيف القديس مارتن»، غير أن متن هذه القصيدة يشير إلى حادث آخر سنشرحه فيما يلي:

زيارة ملك خيتا لمصر عند تولي رعمسيس الملك

والظاهر أنه حدثت زيارة قام بها ملك «خيتا» إلى أرض الكنانة، وكانت هذه الزيارة مفخرة لـ «رعمسيس» يتحدث بها على آثاره، كما كانت الحال في عهد «تحتمس الثالث» وأخلافه، غير أننا لم نعثر حتى الآن على المتن الدال على ذلك في النقوش المصرية التي على جدران المعابد، بل وجدنا إشارة إليها على بردية،[١٠١] ولا بد أن مثل هذه الزيارة كان قد سبقها محادثات ورسائل، كما نجد أمثال ذلك في خطابات «تل العمارنة»، والمتن الذي لدينا وُضع في صورة شعرية جاء فيه: «إن ملك «خيتا» قد طلب إلى أمير «قدي» الذهاب لزيارة فرعون مصر «رعمسيس الثاني»»، فاستمع إلى ما جاء في هذه القصيدة:

أعد نفسك للرحيل إلى مصر

لنستطيع أن نقول: إن أمر الإله ينفذ

ودعنا نفاتح «رعمسيس الثاني» له الحياة والفلاح والصحة

لأنه يمنح النفس من يريد

وكل بلاد توضع تحت تصرفه

فالخيتا تحت سلطانه وحده

وإذا لم يقبل الإله قربانه

فإنها لن ترى الغيث

لأنه في سلطة «رعمسيس الثاني» (له الحياة والفلاح والصحة)

الثور المحب الشجاعة.

وقد ظل سبب هذه الزيارة والغرض منها مجهولًا، وظن بعض الباحثين أن مثل هذا الشعر لا يخرج عن نسج الخيال الذي حاكه أحد شعراء البلاط، كما نشاهد ذلك في شعراء الشرق عامة، ولكن البحوث الحديثة قد أظهرت أن ملك «خيتا» قد تقابل مع ملك «مصر» قبل موقعة «قادش»، وقد بحث الأثري «كافنياك» هذا الموضوع على ضوء وثيقة من الوثائق التي حللها الأستاذ «سومرُّ»[١٠٢] في كتابه الأخير، وقبل أن نبحث هذا الموضوع نعيد إلى ذاكرة القارئ شيئًا مما مضى لربط الحوادث بعضها ببعض، فقد كانت مصر حتى بداية حكم «أمنحتب الثالث»؛ أي قبل عام ١٤٠٠ق.م لم يكن لديها ما يشغل بالها كثيرًا من جهة بلاد «خيتا» على وجه عام، غير أن العلاقات بين البلدين بدأت تأخذ شكلًا جديًّا عندما أخذت بلاد «خيتا» تنتعش ثانية على مسرح التاريخ، وتهدد كيان دولة «متني»، ومع ذلك بقيت العلاقات بين «مصر» و«خيتا» سليمة محترمة حتى تولى «أمنحتب الثالث» الملك؛ أي حوالي عام ١٣٨٢ق.م.

وقد بدأت تلك العلاقات تسوء عندما أخذ «شوبيليوليوما» يزحف بجيوشه في «سوريا» الشمالية، وقد بدأ أول تصادم حربي بين البلدين في نهاية حكم هذا العاهل؛ أي حوالي نحو ١٣٥٥ق.م كما سبق (راجع ج٥). وفي عهد «مورسيل» ملك «خيتا» (حوالي ١٣٥٠–١٣٢٠ق.م) نعلم أن المناوشات التي كانت بين البلدين لم تزَل في بدايتها، وفي السنتين السادسة والسابعة من حكم هذا العاهل تدخلت مصر بقوتها المسلحة بسبب الاضطرابات التي كانت قائمة في «سوريا» الشمالية، وتحدثنا النقوش أن جنود الفرعون قد انسحبوا أمام قواد «خيتا» المظفرين. وفي السنة التاسعة من حكم هذا العاهل كذلك نقرأ عن اضطرابات قامت في «نوخاشي» و«قادش» (كنزا)، ومع أن اسم مصر لم يُذكر صراحة في هذه الاضطرابات، فإنه يستغرب ألا تكون مصر هي المحرِّضة للثوار من وراء ستار.[١٠٣] والواقع أنه عثر على أشكال جنود من أهل الشمال في مناظر مقبرة «حور محب»،[١٠٤] وعلى وجه عام يظهر أن مصر لم تكن قد فقدت سيادتها في «فلسطين» إلا عند نهاية حكم «حور محب».

أما باقي مدة حكم «مورسيل» فليس فيه ما يخص موضوعنا، ومن الجائز أنه قد عُقدت معاهدة بين الفرعون «حور محب» و«مورسيل».

ولكن في بداية عهد الفرعون «سيتي الأول» (حوالي ١٣٢١–١٣٠٢ق.م) حدث تصادم بين الدولتين، وقد افتخر «سيتي» في نقوشه أنه قهر «خيتا»، كما فصلنا القول في ذلك من قبل؛ ولذلك ظن بعض المؤرخين أن المعاهدة لم توقع بين «حور محب» و«مورسيل»، بل بين «سيتي» وملك «خيتا»، ونحن نعلم السبب الذي دعا إلى هذا الزعم، فقد جاء في المعاهدة التي عُقدت بين «رعمسيس الثاني» و«خاتوسيل» (حوالي عام ١٢٨٠) إشارة إلى معاهدتين سابقتين، كما ذكرنا آنفًا، واحدة منهما قديمة جدًّا من عهد الملك «شوبيليوليوما»، والثانية من عهد والدي «مواتالو» كما يقول «خاتوسيل»، ونعلم أن والد «خاتوسيل» هو «مورسيل»، أمَّا «مواتالو» فكان أخاه، وعلى أية حال فلا بد أنه توجد هنا غلطة كما ذكرنا آنفًا، فإما أن يكون «خاتوسيل» قد استعمل التعبير «والدي» بالمعنى الذي يستعمله غالبًا ملوك الشرق «سلفي»، أو أن الكاتب المصري قد كتب «مواتالو» بدلًا من

«مورسيل»، وعلى أية حال توجد فترة سلام بعد حكم «شوبيليوليوما» بين «مصر» و«خيتا»، ولكن هل نضع تلك الفترة بعد معاهدة أبرمت بين «مورسيل» و«حور محب» أم قبل حملة «سيتي الأول» على بلاد «خيتا»، أو بعد انتهاء هذه الحملة بمعاهدة أبرمت بين «مورسيل» أو «مواتالو»، وبين «سيتي الأول»،[١٠٥] وقد تناول الأستاذ «زيته» هذا الموضوع بالبحث، وفضل النظرية الثانية.[١٠٦]

فقد أثبت أن القصيدة التي ذكرناها فيما سلف، وهي التي جاء فيها: مشروع زيارة ملك «خيتا» لمصر لا علاقة لها بزواج «رعمسيس الثاني»، بل يعزوها إلى بداية حكم هذا الفرعون (حوالي عام ١٣٠٢ق.م) وسواء أكانت هذه الزيارة قد تمت أم بقيت مجرد مشروع يراد تنفيذه، أو أن هذا المشروع نفسه لم يفكر فيه إلا في مخيلة الشاعر المصري، فإن القصيدة تدل على العلاقات الودية بين المصريين وأهل «خيتا» عندما اعتلى «رعمسيس الثاني» عرش الملك، وفي اعتقادي أنه يجب أن يكون ذلك هو موضوع الوثيقة التي حللها الأستاذ «سومر»، فقد جاء ذكر رحلة قام بها ملك «خيتا» إلى «مصر» مرات عدة، ويقول «سومر»: إنه لم يتردد أحد قبل ما كتبه الأستاذ «زيته» من ملاحظات في أن يربط هذا المتن بالرحلة الشهيرة التي قام بها ملك «خيتا» إلى مصر من أجل زواج ابنته «مات نفرو رع» من «رعمسيس الثاني»، وفي مقدورنا الآن أن نحدد لهذا الحادث تاريخًا أقدم من تاريخ رحلة الزواج، وذلك أننا نجد في هذه الوثيقة التي فحصها «سومر» إشارات تشير بوضوح إلى عهد «مواتالو»؛ إذ نعلم أن ملك «خيتا» المجهول اسمه الذي كتب الوثيقة بعد أن قال إنه لا يسكن العاصمة «خاتوشا»، قال إنه ولَّى وجهه شطر مصر، ثم قال: «وفي السنة المقبلة نقلت أشياء ثمينة من «خاتوشا».» وبعد عدة أسطر تتحدث الوثيقة عن بلدة «داتاشاش» في فقرة ممزقة.[١٠٧]

ونعلم من ترجمة «خاتوسيل» لنفسه أن «مواتالو» هجر «خاتوشا» التي كان مهددة بغزو «جاسجاس» (حوالي ١٣٢٠–١٣١٠ق.م) وحمل معه آلهته إلى البلاد المنخفضة في مدينة «داتاشاش»، وقد بقيت عاصمة الملك مدة نهاية حكم «مواتالو»، ثم في عهد ابنه «أوهي تشوب»، وحتى بداية عهد «خاتوسيل».

والمعلومات التي جاءت في الخطاب (أو الوثيقة) الذي نحن بصدده تشير إلى هذه الفترة؛ ولذلك فإن الهدايا الخاصة التي حملت إلى الفرعون — وهي التي ورد ذكرها في هذا الخطاب بجانب هدايا ملوك «أهيفا» — لا بد كانت أرسلت لـ «رعمسيس» بمناسبة توليه العرش،[١٠٨] ويوجد في المجلد الأخير من (K. U. B.) قطعة صغيرة خاصة جاء فيها ذكر «بيامارادو» و«أهيفا» مما يدل على السنين الأولى من حكم الملك «مواتالو»،[١٠٩] وقد جاء ذكر مصر في هذه القطعة أيضًا.

ومهما يكن من أمر فإن «مواتالو» قد قام برحلة إلى «مصر» (حوالي عام ١٣٠٢)، ولا نعلم إذا كانت هذه الرحلة قاصرة على محادثة بينه وبين «رعمسيس الثاني» جرت على شواطئ النيل، أم كانت في «فلسطين» وحسب، ونحن من جانبنا نعلم السبب الذي من أجله لم تبقَ

العلاقات طيبة بين البلدين؛ إذ قام سكان «آمور» بثورة نقضوا بها ولاءهم لبلاد «خيتا»، وولوا وجوههم شطر مصر، وقد كان من جراء ذلك حملة «رعمسيس الثاني» في السنة الخامسة، والقتال الذي وقع في «قادش» (حوالي عام ١٢٩٧ق.م) كما فصلنا القول في ذلك.

لوحة «بنترش» أو لوحة «بختان»

والظاهر أن موضوع زواج «رعمسيس الثاني» من ابنة ملك «خيتا» كان له أثر عظيم في نفوس الشعب المصري الذي لم يتعود أمثال تلك المناظر منذ عهد «أمنحتب الرابع»؛ مما جعل هذا الحادث ينتشر بينهم، وتتناقله الأجيال، وخلطوه بقصة زواج أخرى حدثت في عهد أسلافه خلال الأسرة الثامنة عشرة من أجنبية أيضًا؛ إذ الواقع أنه — كما ذكرنا من قبل — قد أرسل «دوشرتا» ملك «متني» إلى مصر الإلهة «عشتارت» إلهة «نينوي» في العام الخامس والثلاثين، أو السادس والثلاثين من زمن العاهل العظيم «أمنحتب الثالث» لتشفيه من سقامه (راجع ج٥)، وكانت هذه الإلهة قد ذهبت إلى مصر في عهد جدِّ والد العاهل «دوشرتا»، وكذلك أرسل ملك «خيتا» يطلب إلى فرعونها الإله «خنسو» أن يشفي ابنته، وهي الأخت الصغرى للملكة «مات نفرو رع» زوج «رعمسيس الثاني»، وقد أجاب «رعمسيس» رغبة ملك «خيتا»، ولكن على الرغم من أن هذا الحادث لم يدوَّن في وثائق هذا العهد فإنه قد بقي تتناوله الألسن حتى صبح ضمن أساطير القوم وقتئذ. وبعد مضي ما يقرب من تسعة قرون على هذا الحادث؛ أي في العهد الفارسي. أراد كهنة الإله «خنسو» أن يعظموا من شأن إلههم، ويرفعوا مكانته الطيبة في أعين الشعب المصري الذي كانت الخرافات قد طغت عليه بدرجة عظيمة، وبخاصة في عهود الانحلال، كما يقول الأستاذ «إرمان»: فوضعوا لذلك قصة بلغة عتيقة بقدر ما سمحت لهم معلوماتهم؛ ليوهموا الشعب أنها وصلت إليهم باللغة القديمة نقشوها على لوحة من الحجر، وهي مصدرنا الوحيد.[١١٠]

وقد درس الأثري «بوزنر» هذه اللوحة، وبعد بحث طويل يقترح أن هذه اللوحة قد كتبها الكهنة قاصدين إظهار ما كان لمصر من عظمة وقوة سلطان في الأزمان السالفة، وأنها كانت سيدة بلاد الفرس (بكتريان = «بختان») التي كانت تحكم مصر في ذلك العهد؛ وبذلك أيقظوا العزة القومية في نفوس الشعب المصري، وذكروهم بماضيهم المجيد (راجع B. I. F. A. O. Vol. 34 p. 75 ff.) على الرغم من حكم الفرس لهم، وفي اعتقادي أن هذا هو الرأي الصواب؛ لأن المصري يعتز دائمًا بقوميته، وماضيه المجيد في كل أطوار حياته، وفي كل مناسبة.

وقد عثر عليها في معبد صغير من العهد الإغريقي الروماني كان قائمًا بجوار معبد «خنسو» في الكرنك، وكان أول من عرف حقيقة هذه اللوحة هو الأستاذ «إرمان»؛ إذ وجد أن الملك الذي يتحدث عنه في اللوحة هو «رعمسيس الثاني» محبوب «آمون»، غير أن الكهنة، لجهلهم على ما يظهر، لما أرادوا أن يضعوا ألقاب «رعمسيس» الرسمية قبل اسمه كما جرت العادة، وضعوا ألقاب «تحتمس الرابع»، وهو أول من تزوج بأجنبية بدلًا منها، هذا بالإضافة

إلى أنهم لم يكونوا على علم بالتاريخ يؤهلهم لحذف المتناقضات في القصة، فقد قالوا: إن المدة اللازمة لقطع المسافة ما بين «مصر» و«بختان»، وهي بلاد غير معروفة لنا تستغرق نحو سبعة عشر شهرًا، ويحتمل أنها ضمن بلاد فارس القديمة؛ ولذلك كتبوا اسم الأميرة «نفرو رع» بدلًا من «مات نفرو رع»، وهو الاسم الذي أطلقه «رعمسيس» على ابنة ملك «خيتا»، وكذلك جعلوا زواج «رعمسيس» من هذه الأميرة قبل العام الثالث والعشرين، والواقع أن الزواج حدث في السنة الرابعة والثلاثين، وهذه الأغلاط وغيرها تجعلنا على حذر من قبول ما جاء على لسان أولئك الكهنة في العصر المتأخر، وبخاصة «منيتون» الذي كان يعيش في هذا العهد عندما كُتبت هذه الأقصوصة وأمثالها.

أما اللوحة نفسها كما حاكها خيال الكهنة فتتألف نقوشها من جزأين: الجزء الأعلى، ويشغل ربع مساحة اللوحة، عليه منظر يتألف من قاربين مقدسين للإله «خنسو»، ثم رسم على كلا جانبي اللوحة، ويحمل كلًّا منهما عدد من الكهنة، فالقارب الذي على اليمين يُسمى خنسو في طيبة «نفر حتب»، ويحرق له «رعمسيس الثاني» البخور، أما القارب الذي على اليسار فيسمى «خنسو» واضع الخطة في «طيبة» الإله العظيم، ضارب الأرواح الشريرة، وأمامه كاهنه يطلق البخور، والنقش المفسر التالي: اسم خادم الإله كاهن «خنسو واضع الخطة في طيبة»، هو «خنسو حات نترنب» (ومعنى الاسم خنسو: سيد كل الآلهة).

أما الجزء الثاني من اللوحة فيشمل المتن التالي: وهو القصة كما رواها كهنة العهد الفارسي.

- **مقدمة:** «حور» الثور القوي شبيه التيجان، الباقي في الملك مثل «آتوم»، حور الذهبي، عظيم القوة، طارد الأقواس التسعة، ملك الوجه القبلي، والوجه البحري رب الأرضين «وسر ماعت رع ستبن» ابن الشمس، من جسده «رعمسيس مري آمون»، محبوب «آمون رع رب طيبة»، وكل آلهة «طيبة» الإله الطيب ابن «آمون»، ونسل «رع حور اختي»، ومن تنبئ له بالانتصارات على أثر خروجه من البيضة.

- **جزية بلاد «نهرين»:** تأمل! لقد كان جلالته في بلاد «نهرين» على حسب عادته السنوية عندما أتى الرؤساء من كل مملكة منحنين أمامه في أمان؛ لما لجلالته من شهرة، وكانت جزيتهم من المستنقعات — عند نهاية حدود الأرض، فالفضة والذهب واللازورد، وكل خشب حلو من أرض الإله كانت على ظهورهم، وكان كل واحد منهم يقود جاره.

- **زواج «رعمسيس» وبنت رئيس «بختان»:** وعندئذ أمر رئيس «بختان» بإحضار جزيته، ووضع كبرى بناته أمامها مادحًا جلالته ملتمسًا عنده الحياة، وكانت آية في الجمال لقلب

الفرعون الذي أحبها أكثر من أي شيء، وبعد ذلك دوَّنوا لقبها بوصفها زوجة الملك العظيمة «نفرو رع»، وعندما وصلت إلى جلالته في مصر أدت كل وظائف الزوجة الملكية.

- **وصول الرسول من «بختان»:** ولما حلت السنة الثالثة والعشرون، الشهر العاشر، اليوم الثاني والعشرون، عندما كان جلالته في «طيبة» المظفرة سيدة المدن، يؤدي شعائر والده «آمون رع» سيد «طيبة» في عيده الجميل الخاص بالأقصر مقره الجميل المحبب منذ الأزل لجلالته؛ جاء جلالته: أن رسولًا من رئيس «بختان» قد حضر يحمل هدايا عدة لزوج الملك، وبعد ذلك مثل أمام جلالته، ومعه الهدايا، فقال مادحًا جلالته: «الحمد لله يا شمس الأقواس التسعة»، امنحنا الحياة منك، وهكذا تكلم مقبِّلًا الأرض أمام جلالته، ثم تكلم ثانية أمام جلالته: «إني آتٍ إليك يأيها الملك، يا سيدي بسبب «بنترش» = (بنت السرور) الأخت الصغرى[١١١] لزوج الملك «نفرو رع»، لقد نفذ المرض في أعضائها ليت جلالتك ترسل طبيبًا ليفحصها.»

- **إرسال الطبيب إلى «بختان»:** وعندئذ قال جلالته: أحضروا إليَّ الكتَّاب الإلهيين، وموظفي البلاط، فأحضروا إليه في الحال، فقال جلالته: فليقرأ لكم واحد حتى تسمعوا هذا الأمر، ثم أحضروا إليَّ واحدًا ذا تجربة في قلبه في استطاعته أن يكتب بأصبعه من بينكم، فمثل أمام جلالته كاتب الملك «تحوت محب»، فأمره جلالته بالذهاب إلى «بختان» مع هذا الرسول.

- **وصول الطبيب إلى «بختان»:** ووصل الطبيب إلى «بختان»، ووجد «بنترش» في حالة إنسان تحت سلطان عفريت، ووجد فضلًا عن ذلك أنه كان عدوًّا يمكن محاربته، وقد كرر «رئيس بختان في حضرة جلالته قائلًا يأيها الملك، يا سيدي، ليأمر جلالته بإحضار هذا الإله»، وبعد ذلك رجع الطبيب الذي أرسله جلالته في السنة السادسة والعشرين، الشهر التاسع في وقت عيد «آمون» عندما كان جلالته في «طيبة».

- **«رعمسيس» يتحدث مع الإله «خنسو»:** وبعد ذلك أعاد جلالته هذا القول أمام الإله «خنسو» في «طيبة» «نفرحتب» قائلًا: «يا سيدي الطيب، إني أعيد أمامك حالة بنت رئيس «بختان».» وبعد ذلك قادوا «خنسو واضع الخطة»، الإله العظيم ضارب الأرواح الشريرة، ثم قال جلالته أمام «خنسو في طيبة نفرحتب»:[١١٢] أنت أيها الرب الطيب، إذا أحنيت وجهك إلى «خنسو واضع الخطة»، الإله العظيم، ضارب الأرواح الشريرة، فإنه سيحمل إلى «بختان»، وقد حدث انحناء عنيف، وعندئذ قال جلالته: «أرسل حمايتك معه حتى أجعل جلالته يذهب إلى «بختان» لينجي بنت رئيس بختان.» فهز بعنف «خنسو في طيبة نفرحتب» رأسه، وعندئذ عمل حماية «خنسو واضع الخطة» أربع مرات؛ بتحريك رأسه طبعًا.

- **سفر «خنسو واضع الخطة»:** وقد أمر جلالته بأن يُحمل «خنسو واضع الخطة» إلى سفينة، ومعها خمس سفن نقل وعربات عديدة، وخيل من الغرب والشرق.

- **وصول الإله إلى «بختان»:** وقد وصل هذا الإله في مدى سنة وخمسة أشهر، وعندئذ جاء رئيس «بختان» بجنده وأشرافه أمام «خنسو واضع الخطة»، وانبطح أمامه على بطنه قائلًا: «لقد أتيت إلينا فمرحبًا بك عندنا بأمر الملك «وسر ماعت رع ستبن» «رعمسيس الثاني».»

- **شفاء «بنترش»:** وبعد ذلك ذهب هذا الإله إلى المكان الذي فيه «بنترش»، وعندئذ عمل على حماية بنت رئيس «بختان»؛ فشُفيت في الحال.

- **مصالحة العفريت:** وعندئذ قال هذا العفريت الذي كان يتقمصها أمام «خنسو واضع الخطة في طيبة»: إنك تأتي في سلام أنت أيها الإله العظيم ضاربًا الأجانب، وإن «بختان» مدينتك، وأهلها خدَّامك، وإني خادمك، فسأذهب من حيث أتيت لأرضي قلبك فيما يخص الأمر الذي أتيت من أجله، ولكن مرْ بأن يقام يوم عيد لي مع رئيس «بختان»، وعندئذ هزَّ هذا الإله رأسه لكاهنه قائلًا: دع رئيس «بختان» يقدم قربانًا عظيمًا أمام هذا العفريت، وحينما كانت تحدث هذه الأشياء التي عملها «خنسو واضع الخطة في طيبة»

مع العفريت كان رئيس «بختان» واقفًا مع جنوده يتوجس خيفة، وبعد ذلك قدم قربانًا عظيمًا أمام «خنسو واضع الخطة في طيبة» والعفريت، واحتفل رئيس «بختان» بيوم عيد معهما، ومن ثم برح العفريت في سلام إلى المكان الذي يرغب فيه بأمر من «خنسو واضع الخطة في طيبة»، وفرح بذلك رئيس «بختان» غاية الفرح مع كل رجل كان في «بختان».

- **حجز الإله في «بختان»:** ولكنه بعد ذلك تشاور مع قلبه، قائلًا: «سأجعل هذا الإله يبقى معي في «بختان»، ولن أسمح له بالعودة إلى مصر، وعلى ذلك لبث هذا الإله في «بختان» ثلاث سنين وتسعة أشهر.»

- **رؤيا رئيس «بختان»:** ثم نام رئيس «بختان» على سريره، فرأى هذا الإله مقبلًا عليه ليهجر محرابه، فكان في هيئة صقر من الذهب، وطار عاليًا نحو مصر، وعندئذ استيقظ رئيس «بختان» منزعجًا.

- **سفر الإله إلى مصر:** وعلى أثر ذلك قال لكاهن «خنسو واضع الخطة في طيبة»: «إن هذا الإله لا يزال معنا، ولكن دعه يرحل إلى مصر، دع عربته تنزح إلى مصر.» وبعد ذلك جعل رئيس «بختان» هذا الإله يسير إلى مصر، وأعطاه هدايا عديدة جدًّا من كل الأشياء الطريفة، وعددًا عظيمًا من الجنود والخيل.

- **وصول الإله إلى مصر:** فوصلوا إلى «طيبة» في سلام، ثم ذهبوا نحو مدينة «طيبة»، و«خنسو واضع الخطة في «طيبة» إلى بيت «خنسو» في طيبة» «نفرحتب»، فوضع الإله الهدايا من الأشياء الطريفة التي أعطاها إياه رئيس بختان أمام «خنسو في طيبة نفرحتب»، غير أنه لم يقدم كل شيء أخذه هذا البيت، وقد وصل «خنسو واضع الخطة في طيبة» إلى مكانه في أمان في العام الثالث والثلاثين، الشهر الثاني، اليوم التاسع من حكم «وسر ماعت رع ستبن رع» ليته يعطي الحياة مثل «رع» أبدًا (راجع Br. A. R. III § 429 ff.).

وهكذا يرى الباحث المدقق كيف تشوَّه الحقائق التاريخية عندما ينقلها من لا يعرف كنهها عن أفواه العامة، والروايات المشوَّهة إلى أن يقيض لها علماء ينخلونها، وينقونها من كل شائبة، ويبنون استنباطهم للحقائق على قواعد علمية لا يتسرب إليها الشك، كما يعتمدون في كتاباتهم على أسس متينة ترتكز على الحقائق التاريخية الثابتة، ولولا ذلك لظلت هذه الحادثة التاريخية وغيرها من الحوادث التي لها شأن في تاريخ القوم أساطير تعد من نسج الخيال، وقصة يتحدث بها للأطفال؛ والواقع أنها كانت قد كُتبت — كما قلنا — لإظهار فضل مصر، وعظمتها على «الفرس» الذين كانوا يحكمونها في تلك الفترة التي كُتبت فيها القصة، وأن مصر قد حكمت الفرس وسيطرت عليها في الأزمان الغابرة.

(٣) آثار رعمسيس الخالدة

(٣-١) النقوش الأثرية التي تركها «رعمسيس الثاني» في بلاد النوبة والسودان على مبانيه العظيمة

كان «رعمسيس الثاني» أعظم ملك أقام مبانٍ من حيث الضخامة والروعة في طول البلاد وعرضها، ولن نكون مبالغين ولا مسرفين في القول إذا قرَّرنا هنا أنه لا يكاد يوجد مبنى أثري في البلاد من الشلال الثاني شمالًا حتى مصب النيل إلا عليه اسم «رعمسيس الثاني»، يضاف إلى ذلك المباني والآثار التي خلفها في «فلسطين»، وغيرها من البلاد التي فتحها في آسيا ثانية مما تكلمنا عنه في حينه؛ ولذلك فإن من العبث أن يحاول الإنسان وصل آثاره كلها هنا بالتفصيل، وسنكتفي بالتحدث عن أهمها، وبخاصة التي كان له اليد الطولى في إقامتها؛ إذ الواقع أن «رعمسيس الثاني» قد جار على أسلافه كثيرًا باغتصاب كثير من آثارهم، ونسبتها لنفسه مدة حكمه الطويل الذي قارب السبعة والستين عامًا، على أنه لو فحصنا كل الآثار التي تُنسب إليه حقًّا لوجدناه على الرغم من ذلك أعظم الفراعنة المشيدين للآثار في مصر، وغيرها من أملاك الإمبراطورية في آسيا وبلاد النوبة.

(٣-٢) مبانيه في بلاد النوبة

ففي بلاد النوبة حيث تكنف الصحراء النيل تراه قد انتهج نهجًا جديدًا في إقامة الآثار؛ إذ إنه بدلًا من قطع الأحجار، وبناء المعابد للآلهة المحلية أخذ في نحت تلك المعابد في الصخر نفسه، وبخاصة لأنه لم يكن لديه الفضاء الكافي لإقامة هذه المعابد بين النيل والتلال الصخرية التي تكنفه من الجانبين. على أن فكرة قطع المعابد الكهفية لم تكن فكرة مبتكرة لـ «رعمسيس الثاني»، بل ترجع في الواقع إلى عهد الدولة القديمة منذ الأسرة الرابعة، بل منذ الأسرة الأولى عندما كان أولاد الأسرة المالكة، وعظماء القوم ينحتون مزاراتهم في الصخور التي بُنيت بجوارها الأهرام العظيمة لإقامة شعائرهم فيها، وربما لم

يفكر مصريو الدولة القديمة في نحت معابد الآلهة، أو الملوك في الصخر؛ لأنه لم يكن الطراز الشائع في ذلك الوقت بالنسبة للآلهة، ولكن لم يحل عهد الدولة الوسطى حتى رأينا هذا الطراز من المعابد والمزارات يظهر، فنجده في «بني حسن»، وفي «أسيوط» في عهد الأسرة الثانية عشرة، كما نجده في «الدير البحري»، و«الكاب»، و«جبل سلسلة» كما ذكرنا من قبل، ومما هو جدير بالملاحظة في هذه المعابد الكهفية أنه قد روعي فيها أن تكون على غرار المعابد المقامة بالحجر من حيث التخطيط، اللهم إلا بعض تغييرات تحتمها طبيعة الصخر الذي نُحت فيه المعبد، ويشاهد أنه من الأمكنة التي فيها متسع على ضفة النيل كان ينحت جزء من المعبد في الصخر فقط، أما الجزء الأمامي منه فكان يبنى في الهواء الطلق بقطع أحجاره من المحاجر المجاورة، وبهذه الكيفية كان المعبد يتألف من جزأين: أحدهما مبني، والآخر مقطوع في أصل الصخر. وأهم هذه المباني وأعظمها من الوجهة التاريخية والفنية ما يأتي:

معبد «بيت الوالي»

وعلى هذا النسق نظم مهندسو «رعمسيس الثاني» ردهة معبد «بيت الوالي» وبوابته، وقد نُحتت حجراته في الصخر عند فوهة وادٍ جانبي، ويتألف من دهليز وقاعة عمد منحوتة في الصخر، ومحراب صغير ودهليزه الذي لم يبقَ منه إلا جدرانه المنحوتة من الصخر، وقد استعمل في العهد المسيحي كنيسة، وأهم ما يلفت النظر في هذا المعبد النقوش التاريخية التي نُقشت على جدران الدهليز، وقد عملت منها — لجمالها وأهميتها — نماذج محفوظة الآن بالمتحف البريطاني، والواقع أن هذه المناظر لها أهمية تاريخية عظمى في حياة «رعمسيس الثاني» قبل انفراده بالحكم كما سبق الكلام عن ذلك.

فعلى الجدار الذي على يسار الداخل يشاهد منظران يمثلان انتصار الفرعون على النوبيين، ويُرى الملك في المنظر الأول جالسًا على عرشه تحت قبة، وفي الصف الأسفل فيه نشاهد عظماء القوم يقدمون له الجزية من مختلف الأنواع، وأهم ما يلفت النظر من بينها لوحة محلاة بالنباتات يتدلى منها حلقات وجلود، وخلف ذلك يُرى نوبيان مكبَّلان، ثم يأتي خلفهما نوبيون يحملون القرَب، وتتألف من قردة وكلاب صيد وفهود وزرافة ونعامة وماشية، وكذلك نساء معهن أطفالهن، إحداهن تحمل طفلها على ظهرها في سلة بوساطة سير مربوط على رأسها، ويلاحظ أن أحد الثيران المهداة له قرنان ممثلان كالذراعين بينهما رأس عبد أسود يطلب الرحمة.

وفي الصف الأعلى نشاهد اللوحة السالفة الذكر موضوعة أمام الفرعون في حين كان نائب السودان (ابن الملك) يحلِّي صدره سلاسل شرف من الذهب؛ مما أنعم به الفرعون عليه، ويشاهد بعد ذلك حلقات من الذهب، وكراس، وأسنان فيلة، وأقواس، ودروع، وجلود فهود، وأبنوس، ومراوح، ومواد أخرى قُدمت جزية، وكذلك نرى عبيدًا يتقدمون بهداياهم التي تتألف من ماشية وغزلان، وأسود، وغير ذلك. وفي المنظر الثاني نشاهد الملك وولديه

يظهرون في عرباتهم يهاجمون الأعداء من السود، فيهرب العبيد إلى قريتهم التي تقع بين خمائل الدوم، ويلاحظ أن نوبيًّا مجروحًا قد قاده صديقان له إلى زوجه وأولاده، في حين نرى امرأة أخرى تقعد بجانب نار تطهو طعامًا.

أما المنظر الذي على الجدار الأيمن فيمثل حروب الفرعون مع السوريين واللوبيين، ففي الصورة الأولى من جهة اليمين نشاهد الفرعون يقف فوق عدوين مطروحين أرضًا، ويقبض على ثلاثة آخرين من السوريين من نواصيهم، على حين نشاهد أميرًا يسوق أسرى موثقين أمامه.

وفي المنظر الثاني نشاهد الفرعون أمام حصن سوري على شرفاته رجال ونساء يطلبون الرحمة، ومن بينهم امرأة تحمل طفلًا بين ذراعيها، ويُرى الملك قابضًا على أحد الأعداء — الذي كان ممسكًا بقوس مهشم — من شعره ليقتله، وفي أسفل نشاهد أحد الأمراء يهشم بابًا ببلطته.

وفي المنظر الثالث يشاهَد الفرعون في عربته يهاجم السوريين الفارِّين، ويقتل اثنين من الأعداء، على حين يُرى اثنان آخران مربوطين في عربته.

وفي المنظر الذي يلي ذلك نرى الفرعون يضرب لوبيًّا في حين كان كلبه يقبض على العدو، وفي آخر المطاف نشاهد الفرعون جالسًا تحت قبته على عرشه، وبجانبه أسده الأليف، وابنه المسمى «آمون حرونمف» يقدم له أسيرًا سوريًّا.

ولا نزاع في أن هذه المناظر تقدم لنا صفحة ناصعة عن حالة البلاد التي حاربها «رعمسيس الثاني»، وما كان عليه أهلها من رخاء ومدنية؛ فأهل بلاد النوبة كانوا — على ما يظهر — في سعة من العيش إذا كان ما يقدمونه للفرعون من جزية واقعيًّا، كما يضع أمامنا صورة ناصعة عن محاصيل هذه الأصقاع في تلك الأزمنة، وبخاصة الذهب وأنواع الحيوان، والمصنوعات التي كانوا يحذقونها، كما تعطينا صورة عن قُراهم وحياتهم المنزلية. وتدل كل ظواهر الأحوال على أن حالة بلاد «السودان» كانت في ذلك العهد في رخاء مثلها في ذلك مثل الوادي نفسه، أما في «سوريا» فنرى أن القوم كانوا متحصنين في قلاعهم التي كان يهاجمها «رعمسيس» وابنه في المقدمة، ومما يلفت النظر كذلك أن الفرعون كان يستعين في حروبه بالكلاب كما كانت الحال في عهد الدولة الوسطى (راجع ج٣)، وكذلك كان يصحب أسده الأليف في كل مكان.[١١٣]

معبد «جرف حسين»

يقع هذا المعبد على الضفة اليمنى، وقد سماه مؤسسة «رعمسيس الثاني» «بربتاح» (بيت بتاح)، وقد أقامه «ستاو» (راجع ج٥) حاكم بلاد النوبة في تلك الفترة باسم «رعمسيس»، وأهدى للإله «بتاح» رب «منف» وزوجه «سخمت» وابنهما «نفرتم»، ويلاحظ أن بوابة هذا المعبد قد هدِّمت ولم يبقَ منها إلا بعض آثار مبعثرة، ولكن جزء المدخل الذي كان يحيط

بالردهة لا يزال قائمًا، وكذلك جزء من العمد والتماثيل التي ترتكز بظهورها على هذه العمد لا تزال في مكانها، وبعد هذا المدخل نجد قاعة عظيمة مقطوعة من الصخر، يرتكز سقفها على ستة أعمدة مقطوعة في الصخر، كذلك يستند على كل واحد منها صورة الفرعون، وكذلك توجد أربع كوات في كل جانب من جوانب هذه القاعة، مثل على جدرانها الفرعون بين «آمون رع» و«موت»، وبين «حور» سيد «باكي» (كوبان)، و«حور» رب «بوهن»، وبين «بتاح تنن»، والبقرة «حتحور»، وبين «بتاح» و«سخمت»، وكذلك نشاهده بين «خنوم» و«عنقت» وبين «نفرتم» و«ساتت»، وبين «حور» رب «معم» (عنيبة)، وبعد ذلك نصل إلى قاعة أخرى مثل فيها الفرعون أمام آلهة أخرى، كما نجده هو مؤلهًا، ومن هذه الحجرة يصل الإنسان إلى قدس الأقداس في نهاية المعبد، حيث نجد في وسطها طوارًا مقطوعًا من الصخر كان يوضع عليه القارب المقدس.[١١٤]

معبد «السبوعة»

يقع معبد «السبوعة» — كما يسمى الآن — على الضفة الغربية من النيل، ويسمى بالمصرية «برآمن» — أي بيت آمون — وقد أهداه «رعمسيس الثاني» لكل من الإله «آمون»، وإله الشمس «رع حور اختي»، وقد بني بنفس التصميم الذي وُضع لمعبد «جرف حسين»، وكان «رعمسيس» ضمن الآلهة الذين كانوا يُعبدون فيه، وهذا المعبد كان محاطًا بجدران من اللبن حُطمت الآن، وبوابته من الحجر، يكنفها تمثال «رعمسيس الثاني»، وتمثال «بولهول» يمثل الفرعون أيضًا، وهذه البوابة تؤدي إلى الردهة الأمامية من المعبد، وقد حلِّي ممرها الأوسط بستة تماثيل «بولهول» في صورة أسد يرتدي كل منها التاج المزدوج، ومن ثم أُطلق على المعبد الاسم الحديث «السبوعة»، وبعد ذلك ينفذ الإنسان من بوابة ثانية من اللبن إلى الردهة الثانية المحلاة من جانبيها بتمثالين في صورة «بولهول»، ورأسه رأس صقر، وهو رمز للإله «رع حور اختي»، ومن ثم يصل الإنسان إلى المعبد الأصلي بوساطة سلم يؤدي إلى بوابة من الحجر، أُقيم أمامها أربعة تماثيل للفرعون، ومن هذه البوابة يدخل الإنسان إلى القاعة العظمى المزينة بالأعمدة والتماثيل الضخمة للفرعون، ومنها إلى قاعة العمد العظمى، التي تؤدي بالزائر إلى قدس الأقداس، وقاعة أخرى جانبية مثل على جدرانها الفرعون مع آلهة مختلفين، ولكن مما يلفت النظر في هذه النقوش صورة «رعمسيس الثاني» يقدم قربانًا لصورته هو؛ أي إن «رعمسيس الثاني» كان يتعبد لتمثاله هو.[١١٥]

ونقش الإهداء الذي تركه لنا «رعمسيس» هو: «رعمسيس الثاني» قد عمله بمثابة أثر لوالده «آمون رع» ملك الآلهة» (L. D. III, 180).

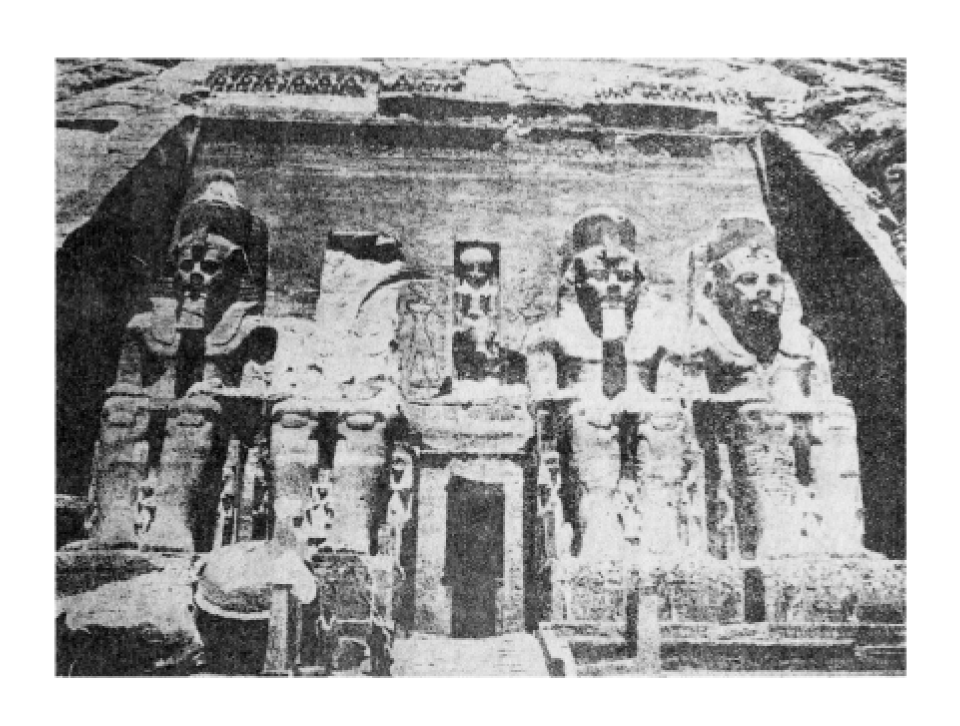
وكذلك نقش على عمود في الردهة الأمامية الإهداء التالي: ««رعمسيس مري آمون» في «بيت آمون» قد أقامه بمثابة أثر لوالده «آمون رع» صانعًا له عمودًا عظيمًا وفاخرًا، محلًّى بكل حجر ثمين غالٍ، ليعطي الحياة والثبات والرضى مثل «رع» يوميًّا.»

معبد «الدر»

يقع عند سفح التلال، وهو مقطوع في الصخر أيضًا، ويسمى معبد «رعمسيس» في بيت «رع»، وقد أقامه «رعمسيس الثاني»، وأهداه إلى إله الشمس «حور اختي»، وهاك نص الإهداء: «لقد أقامه «رعمسيس الثاني» بمثابة أثر لوالده «حور أختي»، فعمل له بيت «وسر ماعت رع مري آمون في بيت رع».»

كذلك نجد نقش إهداء آخر وهو: ««رعمسيس الثاني» أقامه بمثابة أثر لوالده «آمون رع» رب «طيبة»، وملك الأرضين فأقام له معبدًا في بيت «رع».»

وبوابة هذا المعبد وردهته قد مُحيتا، والزائر يدخل الآن أولًا قاعة مخرَّبة، لم يبقَ منها إلا بعض أعمدة في نهايتها، ترتكز عليها تماثيل ضخمة للفرعون، أما جدران هذه القاعة فلم يبقَ منها إلا الجزء الأسفل، وقد نُقش على تلك الجدران مناظر لها أهمية تاريخية؛ إذ نشاهد مناظر من حملة على بلاد النوبة على الجدار الأيمن، يظهر فيها الفرعون وهو يقود بعض الأسرى أمام الإله، وفي الصف الأسفل من هذا المنظر يشاهَد الفرعون وهو في عربته يفوِّق سهامه على العدو الهارب، كما نشاهد الهاربين يحملون جرحاهم إلى الجبال؛ حيث نشاهد أسرة راعٍ محاطة بمواشيها تنظر في حزن وأسى إلى الجرحى. ومما يلفت النظر في أحد هذه المناظر أن الأسد الذي يتبع الفرعون كان يقبض على أحد الأسرى من ساقه، وهذه القاعة تؤدي إلى قاعة عمد تكاد تكون مربعة الشكل، ومنحوتة كلها في الصخر، ويشاهَد على جدارها الخلفي صور الآلهة الذين كانوا يُعبدون في هذا المعبد، وهم: «بتاح»، و«آمون رع»، والملك، و«حور اختي»، وهكذا كان يؤلَّه «رعمسيس» في هذا المعبد أيضًا.[١١٦]



شكل ١٠: معبد «بو سمبل» الذي أقامه «رعمسيس الثاني».

معبد «بو سمبل»

قد لا نكون مبالغين إذا قرَّرنا هنا أن معبد «بو سمبل» يعد أعظم بناء ضخم صنعه الإنسان على وجه البسيطة في زمانه، والواقع أن بانيه كان يقصد أن ينحت لنفسه مبنى منقطع النظير، يفوق به كل من سبقه؛ ولذلك نجد أنه حوَّل صخرة «بو سمبل» إلى أثر يدل على عظمته وضخامة ملكه بين الفراعنة. حقًّا إن صخور الشاطئ هنا تبرز تجاه النيل، وتؤلف نتوءًا مخروطي الشكل، وقد حلى وجهها «رعمسيس الثاني» بنقش لوحات مجد وظفر يُقرأ في سطورها الملاحون أو الجنود الذين ينحدرون في النهر، أو يصعدون فيه مدائح هذا الفرعون، وأعماله العظيمة التي كتبها لنفسه في سجل التاريخ.[١١٧]

وإذا وازنا هذا المعبد بالمباني الفرعونية الأخرى في مصر نفسها نجده يفوقها من كل الوجوه، وهو منحوت كله في الصخر الصلب، وقد أهداه بانيه أولًا للإلهين «آمون رع» رب طيبة، و«حور اختي» إله «هليوبوليس» وهما الإلهان الرئيسيان في مصر، ولكن نجد أن الإله «بتاح» رب «منف» و«رعمسيس الثاني» نفسه كانا يقدَّسان كذلك فيه، والقول المشهور عن تأسيس هذا المعبد أنه يُنسب إلى «رعمسيس الثاني»، غير أن الأستاذ «برستد» يقول: إنه كان قد بُني منه جزء كبير عند تولية «رعمسيس» الملك، وقد عزز رأيه هذا بقوله: إنه يوجد نقش باسم «سيتي الأول» على المدخل في نهاية القاعة الأولى، وهذا المدخل هو الذي يصل منه الإنسان للقاعة الثانية.

والواقع أن الأستاذ «برستد» قد بنى رأيه هذا على اعتقاده أن «رعمسيس الثاني» لم يشترك مع والده في المُلك عدة سنين قبل انفراده بالملك كما بينا ذلك من قبل، وعلى ذلك قد يجوز أن يكون البناء كله وتصميمه من عمل «رعمسيس الثاني» في أثناء اشتراكه مع والده في الحكم. أما نقش الإهداء فيصحبه منظر يُرى فيه «رعمسيس الثاني» على عرشه، ومعه موظف يُدعى «رعمسيس عشاحب» منحنيًا أمامه، والمتن يدل على أن «رعمسيس» يعطيه التعليمات ليقيم معبدًا باسم الإله «حورحا»، ومن المحتمل أنه معبد «سرة» المسمى «إكشه» لا معبد «بو سمبل». ويقول «برستد» كذلك: إن الإشارة الهامة إلى استعمال الأسرى الأجانب في بناء المعبد تدل على أن المعبد قد أقيم بعد بداية حروب هذا الفرعون، ولا بد أنه يعنى هنا عندما انفرد بالملك، ونحن لا نعرف حروبًا شنها في السنة الأولى من حكمه، بل الواقع أن هؤلاء الأسرى كانوا من الذين استولى عليهم في حروبه قبل انفراده بالحكم، هذا إذا صدقنا كل ما حدثنا به الأثري «كيث سيلي» في كتابه عن اشتراك «رعمسيس» مع والده في الحكم، ونجد أمام الموظف «رعمسيس عشاحب» المتن التالي: «الساقي الملكي لجلالته — له الحياة والفلاح والصحة — «رعمسيس عشاحب». المظفر يقول: أما وصف كل ما يخرج من فيك فهو مثل كلمات الإله «حور اختي».[١١٨]

ونجد كذلك فوق هذا الموظف وخلفه نقشًا يبتدئ بألقاب هذا الفرعون كاملة، ويتلوها بعض نعوت شعرية مثل: «من ينشر جناحيه على جيشه»، ثم تنتهي هذه النعوت بقوله: «صانع الآثار في بيت «حور» والده الفاخر.» وبعد ذلك يقول المتن:

> تأملَ أما جلالته — له الحياة والفلاح والصحة — فإنه يقظ في البحث عن كل فرصة مفيدة، بعمل أشياء ممتازة لوالده «حور» رب «حا» (وهو الإقليم الذي يقع فيه معبد «بو سمبل»)، مقيمًا له بيت عشرات آلاف السنين بحفره في جبل «حا» هذا، وهو ما لم يأتِه أحد من قبله إلا ابن «آمون» فقوَّته في كل الأراضي، وقد أحضر له جمًّا غفيرًا من العمال ممن استولى عليهم بسيفه في كل مملكة، ولقد ملأ بيوت الآلهة بأولاد «رتنو»، وبعد ذلك أعطى ساقي فرعون «رعمسيس عشاحب» الأوامر لإعداد بلاد «كوش» من جديد باسم جلالته العظيم — له الحياة والفلاح والصحة — فقال: «الحمد لك يأيها الملك الشجاع، يا شمس الأقواس التسعة، إنه لا يوجد ثائر في زمنك، بل الأرض كلها في سلام.[١١٩] وقد قرر والدك «آمون» من أجلك أن تصير كل أرض تحت قدميك، وإنه يمنحك الجنوب والشمال والغرب والشرق، والجزر التي في وسط البحر.»

ويوجد إهداء للإله «حور اختي» وهو:

«إن «رعمسيس الثاني» قد عمله بمثابة أثر لوالده «حور اختي» الإله العظيم رب النوبة» وسنفصل القول بعض الشيء في وصف نقوش هذا المعبد لما لها من الأهمية العظمى من الوجهة الحربية والدينية والسياسية في تاريخ البلاد في ذلك العهد.

يتألف هذا المعبد من ردهة أمامية قُطعت في الصخر أمام المعبد الأصلي، وكانت محاطة في الأصل بسور من اللبن، ويتصل بهذه الردهة طوار يصل إليه الإنسان بسلم، وعلى اليمين واليسار منه كوتان ربما كانتا تحتويان على أحواض للطهور لزائري المعبد، وعلى جدرانه نقوش لـ «رعمسيس الثاني»، وهو يقدم القربان، ويحرق البخور للآلهة «آمون»، و«رع»، و«حور اختي»، و«بتاح»، وعلى جدران هذا الطوار صفوف من الأسرى تنتهي بشرفة نقش عليها متن الإهداء الذي نقشه «رعمسيس»، وخلف هذه الشرفة أربعة تماثيل هائلة الحجم للفرعون مقطوعة في الصخر، كل منها يربى على خمس وستين قدمًا في الارتفاع؛ أي أعظم حجمًا من تمثالي «ممنون» اللذين أقامهما «أمنحتب الثالث» أمام معبده الجنازي بطيبة الغربية (راجع ج٥). وقد نُحت على يمين وشمال كل من هذه التماثيل الجالسة صورتان لبعض أفراد الأسرة، نذكر منها الأميرة «نب تاوي»، والأميرة «بنت عنتا»، ثم الملكة «تويا» والدة «رعمسيس الثاني»، وزوجه «نفرتاري»، وبين ساقي تمثال منها الأمير «آمون حرخبشف».

أما واجهة المعبد التي تمثل هنا البوابة في المعبد المبني بناء عاديًا فموَّجة بكرنيش على هيئة جريد النخل، ويعلوها صف من القردة يتعبدون للشمس المشرقة، وهنا نجد نقش الإهداء لـ «آمون رع»، و«حور اختي»، وبعد المرور من هذه البوابة تدخل المعبد المقطوع في الصخر، ويبلغ عمقه حوالي ثمانين ومائة قدم من الأسكفة حتى آخر حجرة داخلية؛ أي حتى قدي الأقداي، والحجرة الأولى من هذا المعبد، وهي قاعة العمد العظيمة، تقابل في المعبد العادي الردهة المفتوحة ذات العمد المسقوفة، ويبلغ عرضها أربعًا وخمسين قدمًا، وعمقها ثمانٍ وخمسون قدمًا، ويرتكز سقفها على ثمانية أعمدة مربعة الشكل، يستند على كل منها صورة الملك في هيئة «أوزير»، وسقف الطريق الوسطى في هذه الحجرة محلًّى بعقبان طائرة، أما الطريقان فيحلى سقفيهما نجوم.

ويشاهد على النصف الأيمن من جدار المدخل الملك وهو يضرب زمرة من الأعداء في حضرة «رع حور اختي» الذي يقدم له السيف المعقوف، وعلى النصف الأيسر من الجدار منظر آخر يماثل الأول، غير أن الملك في هذه المرة يقف أمام الإله «آمون رع»، وعلى الجدار الجنوبي نشاهد الملك في عربته يهاجم قلعة سورية، على حين نرى المحاصرين يطلبون الرحمة، وهم فوق الشرفات والسهام نافذة في أجسامهم، ويتبع الملك ثلاثة من أولاده، وفي أسفل هذا المنظر نشاهد راعيًا يفر بقطيعه إلى المدينة، كما نشاهد الفرعون يضرب بحربته لوبيًّا، وفي النهاية يعود الملك مظفرًا من الواقعة، ومعه الأسرى من السود.

أما الجدار الشمالي فقد مثل عليه منظر من مناظر حملة الملك على «الخيتا»، وهي التي مثلت على معابد «الرمسيوم»، و«الأقصر»، و«العرابة»، وغيرها كما ذكرنا. (انظر صورة ٥ موقعة قادش بمعبد بو سمبل).

ففي النصف الأسفل من الجدار نشاهد أولًا سير الجيش المصري الذي يحتوي على مشاة وخيالة، والمعسكر المصري ودروع الجنود مصفوفة حوله كأنها أقيمت حاجزًا، وجلبة الجيش ممثلة هنا بصورة حية، ونشاهد الخيل غير المسرجة يوضع أمامها علفها، كما نشاهد الجنود يأخذون نصيبهم من الراحة، وكذلك أتباع الجيش الذين يحملون الأمتعة، وعلى اليمين نشاهد السرادق الملكي، والصورة الثالثة على هذا الجدار يظهر فيها الفرعون على عرشه عاقدًا مجلسًا حربيًّا استشاريًّا مع ضباطه، وأسفل هذا نرى جاسوسين تُنتزع منهما الاعترافات بالضرب، وفي المنظر الأخير على اليمين ترى عربات المصريين و«الخيتا» مشتبكة فعلًا في معركة، أما المنظر الذي على النصف الأعلى من الجدار فنشاهد فيه الواقعة على أشدها، فيُرى الفرعون على اليسار وهو ينقضُّ بعربته على العدو الذي أحاط بعرباته، وفي الوسط نشاهد قلعة «قادش» محاطة بنهر «الأرنت»، والمدافعون عنها يرقبون سير القتال من الشرفات، وفي أقصى اليمين نشاهد الملك في عربته يفحص ضباطه الذين يعدُّون أيدي العدو المقطوعة، كما يحضرون أسرى مكبلين بالأغلال، وعلى الجدار الخلفي على يمين الباب الأوسط نرى «رعمسيس الثاني» يقود صفين من أسرى «خيتا» أمام الإله «حور اختي»، وأمام تمثاله المؤلَّه (تمثال «رعمسيس الثاني»)، والإلهة «ورت حكو» برأس

أسد، وعلى اليسار يقدم صفين من العبيد للإله «آمون»، ولصورة «رعمسيس» المؤلّه، وللإلهة «موت».

ويوجد بين آخر عمودين في هذه القاعة من جهة اليسار لوحة مؤرخة بالسنة الخامسة من حكم «رعمسيس»، نُقش عليها متن يُذكر فيه «رعمسيس» أنه قد أقام معبدًا للإله «بتاح» في «منف» وأوقف عليه منحًا عظيمة كما ذكرنا، ويتصل بهذه القاعة العظيمة ثماني حجرات صغيرة ربما كانت خاصة بأدوات العبادة، وبعد ذلك يدخل الزائر قاعة عرضها ست وثلاثون قدمًا، وعمقها خمس وعشرون قدمًا ترتكز على أربعة أعمدة، وعلى جدرانها مناظر يظهر في أحدها الملك وزوجه «نفرتاري» يقدمان البخور أمام القارب المقدس للإله «آمون» محمولًا على أعناق كهنة، ومن هذه القاعة نصل إلى حجرة أخرى من ثلاثة أبواب، ومن ثم إلى قدس الأقداس الذي يحتوي على قاعدة منحوتة في الصخر ليوضع عليها القارب المقدس، وخلفها نشاهد صور الآلهة الأربعة الذين يقدَّسون في هذا المعبد وهم: «بتاح»، و«آمون»، و«رعمسيس» المؤلَّه، ثم «حور اختي» (راجع Baedeker ibid. p. 431)، ويوجد خارج هذا المعبد بعض آثار صغيرة تابعة له من عمل «رعمسيس الثاني»، منها لوحة نقشت على الجدار الجنوبي للردهة الأمامية، وهي المعروفة بلوحة الزواج، وقد نقشت في السنة الخامسة والثلاثين من حكم هذا الفرعون تذكارًا لزواجه من بنت ملك «خيتا» التي أحضرها والدها إلى مصر، ففي أعلى هذه اللوحة يرى الفرعون جالسًا بين إلهين تحت قبة، في حين أن ملك «خيتا» وابنته يتعبدان له.

معبد «حتحور»

وعلى مقربة من هذا المعبد العظيم معبد آخر أقامه «رعمسيس» للإلهة «حتحور» و«نفرتاري» زوجه التي أُلهت مثله، وواجهة هذا المعبد التي تقوم مقام البوابة عرضها اثنتان وتسعون قدمًا، والظاهر أنه لم يكن أمامها ردهة، وعلى كلا جانبي الباب نحت «رعمسيس الثاني» تمثالين ضخمين له يتوسطهما تمثال لزوجه «نفرتاري»، وبجانب هذه التماثيل نُحتت تماثيل بعض أولاد الفرعون، فبجانب تمثال «نفرتاري» نُحتت صورة الأميرة «مريت آمون» على اليمين، وصورة الأميرة «حنت تاوي» على اليسار، وبجانب تمثالي الملك نُحتت صور الأمراء أولاد الملك، وهم: «مري آتوم»، و«مري رع»، و«آمون مرخبشف» و«بارع حرونمف».

وقاعة العمد العظمى في هذا المعبد منحوتة في الصخر، ومحمولة على عمد مزينة من الأمام بصاجات «حتحور» ورأسها. أما أوجه العمد الأخرى فمحلاة بصورتي الفرعون وزوجه «نفرتاري»، وبآلهة أخرى، والمناظر التي على جدران هذه القاعة ليست لها أهمية تاريخية، بل تمثل تعبد الفرعون وزوجه للإلهة «حتحور»، والإلهة «ست»، و«حور»، و«عنقت»، و«آمون»، و«بتاح»، و«حرشفي»، و«حور اختي»، و«موت». وفي الجهة الشمالية

نجد لوحة المهندس «رعمسيس عشاحب»، وكذلك يوجد جنوبي المعبد الكبير معبد صغير مهدى للإله «تحوت»، وهو مقطوع في الصخر أيضًا.[١٢٠]

محراب «فرس»

وعلى الضفة اليمنى للنيل نحت «رعمسيس» محرابًا للإلهة «حتحور» لا تزال بقاياه محفوظة حتى الآن، وبه مقصورة صغيرة لحاكم السودان «ستاو» الذي كلف تولي العمل فيه (راجع مصر القديمة ج٥).

معبد «سره»

وقد أقام «رعمسيس الثاني» في جنوب بلدة «سره» على الضفة اليمنى للنيل على مسافة عشرة أميال شمالي حلفا معبدًا لا تزال بقاياه محفوظة حتى الآن، وقد باد نقش الإهداء الذي كان على الواجهة، غير أنه لحسن الحظ قد حفظ لنا حتى الآن على أحد الأبواب النقش التالي مكررًا: الباب العظيم للفرعون «وسر ماعت رع ستبن رع» قد عمله بمثابة أثره لصورته الحية في بلاد النوبة، واسمه الجميل الذي وضعه جلالته هو «وسر ماعت رع سام في قوته»، ومن ذلك نعلم أن «رعمسيس» كان نفسه رب هذا المعبد كما كان «أمنحتب الثالث» رب معبد «صولب» في بلاد النوبة.[١٢١]

وفي «نباتا»

بنى «رعمسيس الثاني» معبدًا للإله «آمون» في المعبد الكبير الذي أسس في عهد الأسرة الثامنة عشرة في حكم «توت عنخ آمون».[١٢٢]

(٣-٣) المعابد الضخمة التي أقامها «رعمسيس» في القطر المصري ونقوشها التاريخية

والمعابد التي أقامها «رعمسيس» داخل القطر لا تقل في روعتها وبهائها وكثرتها عن التي شيدها في بلاد النوبة والسودان، بل أكثر منها عددًا، وتنتشر في البلاد من أقصاها إلى أقصاها، وسنذكر ما تبقى منها حتى الآن مبتدئين من الجنوب.

(أ) معبد «الكاب»

ففي مدينة «الكاب» أقام «رعمسيس» معبدًا صغيرًا داخل أسوار المدينة القديمة للإلهة «نخبت»، وقد وجد فيه الإهداء التالي: لقد أقامه «رعمسيس الثاني» بمثابة أثره لأمه

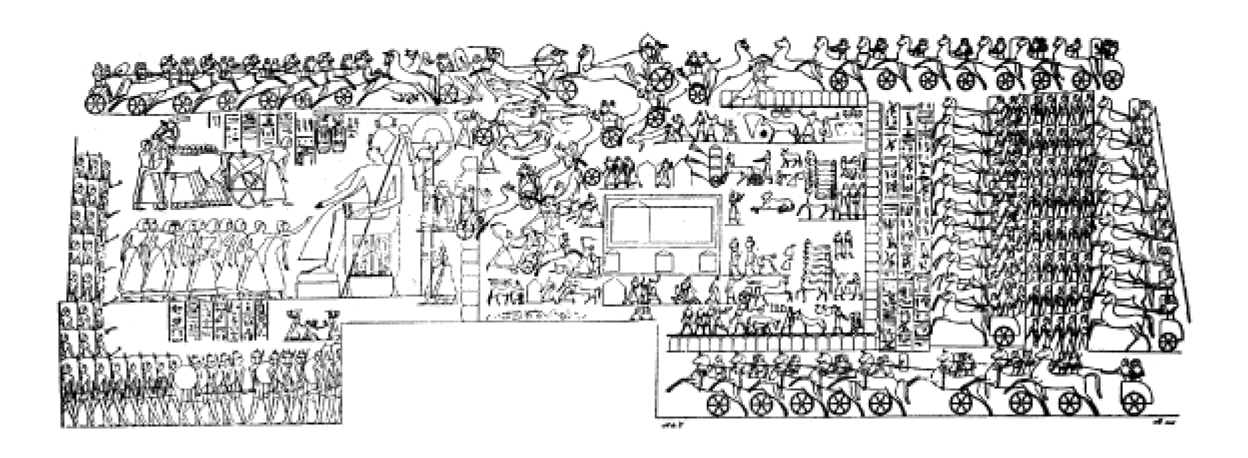
«نخبت»، فشيد لها بوابة عظيمة … من الحجر الرملي الجميل، وطوله خمس عشرة ذراعًا، وبابه من خشب الأرز، ومغشى بالنحاس اسم جلالته العظيم[١٢٣] …

(ب) معبد «الأقصر»

كان المؤسس لهذا المعبد — كما ذكرنا في (الجزء الخامس) — «أمنحتب الثالث»، وكان «تحتمس الثالث» قد أقام مقصورة من الجرانيت قبالة هذا المعبد، غير أنه في عهد الثورة الدينية مُحيت صور الإله «آمون»، وبُني هناك محاريب للإله «آتون» بجوار المعبد الكبير، وقد أزيل معبد «آتون» في عهد «سيتي الأول»، وأعيدت صور «آمون» كما كانت. ولما تولى الحكم «رعمسيس الثاني» الذي يُعد بحقٍّ أكبر مقيم للمباني الدينية وغيرها لم يسَعه إلا أن يضيف شيئًا لمعبد الأقصر، فأقام ردهة عظيمة ذات عمد أمام المعبد الذي كان يُعد كاملًا، ولكن قضت الأحوال — لأجل إتمامه — أن يغتصب مقصورة «تحتمس الثالث» السالفة الذكر، فمحا نقوشها القديمة، ونقش غيرها جديدة باسمه، وكذلك أقام البوابة الضخمة التي لا تزال قائمة حتى الآن.

وقد أقام «رعمسيس الثاني» أمام البوابة الرئيسية ستة تماثيل ضخمة لنفسه، وأمام هذه التماثيل نَصَب هذا الفرعون مسلتين من الجرانيت الوردي بمناسبة ذكرى أحد أعياده الثلاثينية، وتوجد إحداهما الآن في ميدان «الكونكورد بباريس» منذ عام ١٨٣٦م، ونقوش هذه المسلات تحتوي نعوتًا وألقابًا ضخمة، يدعي فيها أنه هو الذي أسس المبنى الفاخر في الأقصر الجنوبية «إبت»، أما الثانية فلا تزال في مكانها.

وتزين جدران هذه البوابة العظيمة نقوش غائرة تشير إلى حملة «رعمسيس» على «خيتا» في السنة الخامسة من حكمه (انظر صورة المعسكر ١١ لموقعة قادش على بوابة معبد الأقصر)، فعلى جدران البرج الأيمن من جهة الشمال نشاهد الفرعون على عرشه عاقدًا مجلسًا حربيًّا مع أمرائه، وفي وسط المعسكر المحصن بدروع الجنود يهاجمه جيش «خيتا»، وعلى اليمين يشاهَد الفرعون في عربته يندفع وسط المعركة.



شكل ١١: منظر معسكر موقعة قادش كما صوِّر على جدار بوابة معبد الأقصر.

أما المناظر التي على البرج الأيسر فتضعنا في وسط معمعة القتال، فالفرعون ينقضُّ على الأعداء الذين أحاطوا به، ويفوِّق سهامه عليهم. ولذلك نجد ساحة القتال مغطاة بالقتلى والجرحى في حين أن جنود «خيتا» يولون الأدبار في ارتباك متجهين نحو قلعة «قادش» التي كان يبرز منها جنود جدد. وعلى مسافة من ذلك شمالًا نشاهد بلدة «قادش» محاطة بالماء، وعلى شرفاتها يقف المدافعون عنها كما يُرى بعيدًا عن ساحة القتال أمير بلاد «خيتا» واقفًا في عربته محاطًا بحرسه، وهو يرتعد خوفًا أمام جلالته، وتحت هذه المناظر نقرأ على جدران البرج الغربي القصيدة التي تصف هذه الحروب، وضروب الشجاعة التي أظهرها الفرعون.

وتؤدي هذه البوابة الرئيسية إلى الردهة العظيمة التي أقامها «رعمسيس الثاني»، وكانت محاطة بالعمد التي يبلغ عددها أربعة وسبعين عمودًا بردية الشكل، وجدرانها مغطاة بالمناظر والنقوش الدينية والحربية.

والمهندس الذي أشرف على بناء هذا الجزء من معبد «الأقصر» هو «باكنحنسو» الكاهن الأكبر للإله «آمون»، وقد ترك على تمثاله ملخصًا عن بناء هذا المعبد (راجع حياة «باكنحنسو»).

أما الوثائق الثلاث الوحيدة التي نُشرت عن هذا البناء فهي الإهداءات التالية:

> الأول: الثور القوي مفخِّم «طيبة»، محبوب الإلهتين، ممكن الآثار في الأقصر لوالده «آمون» الذي وضعه على عرشه، «حور» الذهبي الذي يبحث وراء الأشياء الممتازة لمن صوَّره، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع ستبن رع»، لقد أقامه بمثابة أثره لوالده «آمون رع» ملك الآلهة مقيمًا له معبد «رعمسيس مرى آمون» في بيت «آمون» من الحجر الرملي الدقيق الذي عمله له «ابن رع» (رعمسيس) معطي الحياة مثل رع أبدًا.

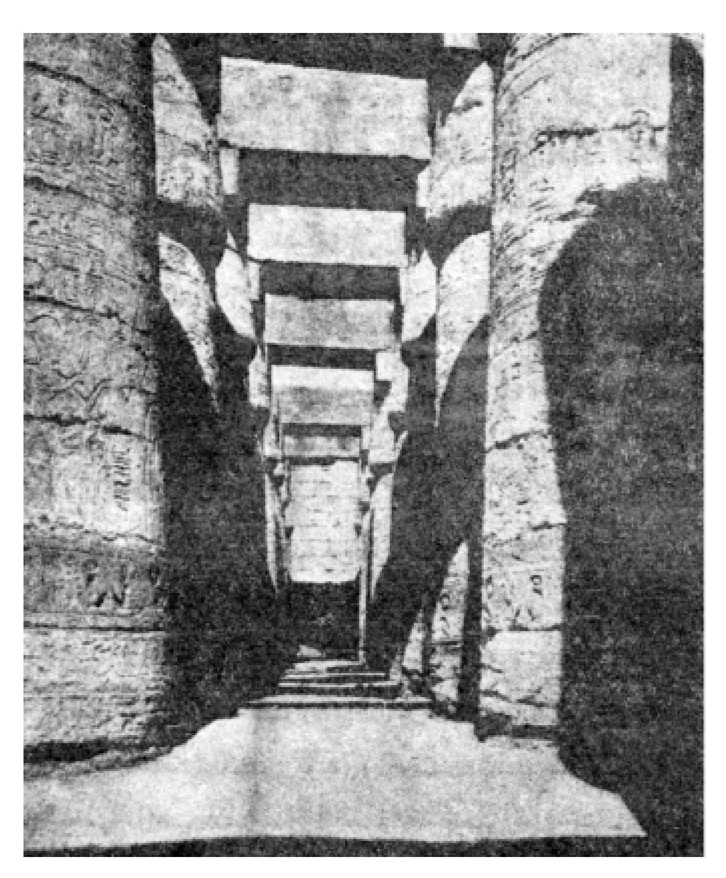
أما النقشان الآخران فهما كالأول حتى جملة بيت «آمون»، ثم يستمر واحد منهما بالكلمات: «أمام الأقصر مقيمًا له بوابة جديدة تقترب عمد أعلامها من الأفق، وهي التي أقامها ابن «رع».» والمتن الثالث يستمر «وجماله يصل إلى عنان السماء، وهو مكان الأزهار لرب الآلهة في عيده بالأقصر.»[١٢٤]

(ج) أعمال «رعمسيس» في معبد «الكرنك»

لقد كان الرأي السائد عند علماء الآثار أن ينسبوا — دون برهان مقنع — تصميم قاعة العمد العظمى بالكرنك، والبوابة الثانية للفرعون «حور محب»، وكذلك ينسبون إتمام هذين البناءين إلى أخلافه «رعمسيس الأول»، و«سيتي الأول»، ثم «رعمسيس الثاني»،[١٢٥] ويستندون على وضع تاريخ هذه المباني قبل «رعمسيس الأول» الذي نجد طغراءاته على خمسة مناظر على الوجهة الشرقية من البرج الشمالي للبوابة الثانية، وعلى السمك الشرقي للخارجة الشمالية للجزء الجنوبي من الدهليز الواقع أمام البوابة، إلا أن هذا الفرعون الذي لم يدُم حكمه أكثر من سنتين لا يستطيع في هذه المدة القصيرة أن يتمم مثل هذه الأبنية الضخمة التي تحتويها قاعة الأعمدة العظمى، وقد أجاب الأثري «كيث سيلي» عن هذا الاعتراض بما يلي:[١٢٦]

لما كان «رعمسيس الأول» هو أول ملك زين جدران البوابة الثانية على حسب التخطيط الجديد لقاعة العمد، ولما كانت النقوش التي قام بها تدل على وجود نقش ثانوي مضاف إلى أحجار السقف، فقد أصبح من الضروري بداهة أن تفحص فيما إذا كانت فكرة قاعة العمد كما نعرفها من ابتداعه، أو قد ورثها عن أسلافه،[١٢٧] والجواب على هذا السؤال على ما يظهر يتوقف — على ما يمكن استنباطه — من أمرين رئيسيين، وإن كانت معلوماتنا عنهما محدودة للغاية.

فالأمر الأول هو طول مدة حكم «رعمسيس الأول» التي نعلم أنها كانت على ما يظن قصير جدًّا، والتاريخ الوحيد المحقق لدينا هو السنة الثانية، اليوم العشرون من الشهر الثاني من فصل الزرع، وهذا التاريخ يعد أقل مدة لحكمه، وقد يجوز أنه حكم خمسة أعوام على أكبر تقدير، غير أن معظم علماء الآثار يعتقدون أنه لم يحكم أكثر من سنتين، وقد كان من الطبعي أن يوجه الفرعون جل همه لبناء معبد جنازي له لا إلى إقامة المباني في «الكرنك»، اللهم إلا إذا كان قد أجبر على ذلك إجبارًا من كهنة «آمون»، أو بعوامل أخرى ساعدته على ادعائه بأحقيته في تولي عرش البلاد، ومع ذلك لم نجد أن هذا الفرعون قد أتم بناء واحدًا باقيًا للآن؛ إذ الواقع أن ابنه «سيتي الأول» هو الذي أقام له معبده الجنازي الصغير في «العرابة»، وقد حُفظ جزء منه في متحف «متروبوليتان»، وكذلك شاركه ابنه في معبده الخاص، ولم يتممه «سيتي» بدوره في عهد حكمه الذي بلغ اثنتي عشرة سنة أو أكثر، وهذه الحقيقة تجعلنا نعتقد أن ما قام به «رعمسيس الأول» من المباني كان محدودًا، اللهم إلا إذا كانت هناك ظروف خارجة عن حد المألوف جعلته يشحذ من عزيمته، ويضاعف من همته.



شكل ١٢: قاعة العمد بالكرنك.

أما الأمر الثاني فينحصر في فهمنا طرق البناية عند المصريين للمعابد الضخمة، وقد اتفق علماء الآثار المهرة والمهندسون منهم بخاصة على أن قاعة العمد قد أُقيمت باستعمال الطوارات الخارجية لبناء الجدران الجانبية، وباستعمال طريقة الملء والتفريغ في إقامة قاعة العمد، وتفسير ذلك: أنه بعد وضع أسس الأعمدة، وإقامة قواعده كانت تُملأ القاعة بالتراب حتى قمة قواعد العمد التي وُضعت، وبعد ذلك كانت تجلب قطع الأحجار الأخرى اللازمة لبناء العمد مع تعلية الأتربة بعد بناء كل قطعة، فإذا ما انتهى تركيب قطع كل أحجار الأعمدة تكون القاعة قد مُلئت بالأتربة. ومن الأمور الثابتة التي لها أهمية قصوى أن النقوش الوحيدة التي تُنسب لـ «رعمسيس الأول» في قاعة العمد العظمى توجد في الصف الأعلى تحت الإطار الذي يلي أحجار السقف، وأقصى منظر نقشه في الجهة الجنوبية من القاعة يبتدئ مباشرة على مسافة اثنتي عشرة أو عشرين بوصة من قطعة عارضة السقف التي تمتد من البوابة حتى العمود الحادي والثمانين، وفوق هذا المنظر نشاهد منظرًا نقشه «حور محب»، وقد [… ه][١٢٨] «رعمسيس الأول» بعض الشيء، هذا بالإضافة إلى أننا نجد الكوَّة التي نُقرت في بناء البوابة لتوضع عليها العارضة الثانية من جهة الجنوب ظاهرة للعيان فيها الإطار الثعباني الشكل الذي يُنسب إلى عهد ما قبل الرعامسة، وهو منقوش نقشًا غائرًا، وربما يعزى عدم محوه إلى أن هذا الجزء من الجدار لم يكن معرَّضًا لنظر

الجمهور، ولأن محو النقوش الأولى قد حدث بعد التغييرات الهندسية، وبعد الانتهاء من الإضافات التي عملت.

وفي اعتقادي أن إعادة نقش البوابة، وبناء قاعة العمد كان كالآتي: على أثر وضع تصميم لقاعة العمد كان من البدهي أن النقوش الغائرة الأصلية التي عملها «حور محب» لم تعد صالحة لأسباب مختلفة؛ ولذلك أزيلت، وعلى ذلك بدأت أعمال محو المناظر — وكانت هذه العملية تجرى في أثناء إقامة الأعمدة — عندما كانت القاعة تُملأ تدريجيًّا بالأتربة لرفع الأحجار اللازمة، وقد استمرت عملية المحو حتى وصلت إلى كتل الأحجار التي كانت مخبأة وراء «مداميك» السقف هذه، وهذه العملية ربما تمت في عهد «حور محب» إذا كان هو الذي أمر بتغيير تصميم المبنى في أواخر حكمه، وبذلك يكون قد محا نقوشه التي عملها، أو أن الذي قام بهذه العملية هو «رعمسيس الأول»، ويحتمل أنه أشرك ابنه «سيتي الأول» معه في ذلك، والرأي الأخير هو المرجح.

وعند الانتهاء من بناء قاعة العمد كان كل البناء قد ملئ بالأتربة، وكانت الأعمدة الخالية من الزينة المقامة حديثًا بطبيعة الحال مدفونة تحت هذه الأتربة، ولم يكن ظاهرًا للعيان غير أحجار السقف، وعند هذه المرحلة من البناء كان الصناع على استعداد لبدء تهذيب وجوه الأعمدة كلما أزيلت عنها الأتربة التي كانت تغمرها، وهي التي كانت تستعمل بمثابة «سقالات» في أثناء بناء القاعة، وقد نقش «رعمسيس الأول» نقوشه الجميلة عندما بُدئ في إزالة هذه الأتربة في الصف الأعلى من البرج الشمالي للبوابة، وقد كان مضطرًّا أن يعمل نقوشه على الصف الأعلى؛ لأن باقي القاعة كان مغطى طبعًا بالأتربة.

ويدل انتهاؤه من نقش خمسة مناظر فقط — وهو عمل لا يتطلب أكثر من بعض أسابيع — على أن إقامة هذا الجزء من قاعة العمد يمكن أن ينسب إليه بدون أي شك، ويقدر كل من المهندس «كلارك»، و«انجلباخ» لردم قاعة العمد بالتراب ستة أسابيع،[١٢٩] وهذا التقدير يجعل من المرجح إمكان إقامة كل الأعمدة مدة حكم «رعمسيس» القصيرة، وبخاصة إذا كانت عملية قطع لأحجار منظمة لمد البنائين بالأحجار اللازمة، ونحن من جانبنا نعلم أن كثيرًا من نشاط «حور محب» الذي خلفه «رعمسيس الأول» — وهو الذي بنى الدهليز، والبوابة الثانية، والبوابتين التاسعة والعاشرة في الكرنك — كان متجهًا طوال مدة حكمه إلى إعادة تنظيم الحكومة بعد سقوطها في عهد العمارنة، وعلى ذلك لا يبعد أنه قد سار في إصلاح كل فروع الأشغال العامة بدرجة عظيمة من القوة والنظام مما كانت تتمتع به البلاد من قبل عدة أجيال على الأقل، ولا أدل على هذا النظام وحسن سيره مما تم في عهد «أمنحتب الثالث» الذي أنجز حفر بحيرة النزهة المشهورة للملكة «تي» في مدة خمسة عشر يومًا، ويبلغ طولها سبعمائة وثلاثة آلاف ذراع، وعرضها سبعمائة ذراع (راجع ج٥).

وسواء عزونا إلى «رعمسيس الأول» إقامة طريق واحد من قاعة العمد هذه أم لم نعزُ، فمن المؤكد أنه توفي قبل أن يتقدم كثيرًا في إعادة نقش البوابة، وقد أخذ «سيتي الأول» في إتمام هذا العمل الذي قام به والده من النقطة التي انتهى إليها، ومن ثم استمر «سيتي» في

تزيين هذا الصف، وتابع العمل بالتوالي في الصفوف الباقية كلما أزيل التراب، وكانت الطريق الشمالية كلها من القاعة من عمل «سيتي الأول» ولم يحمل واحد من عمدها اسم «رعمسيس الأول»، والسبب في ذلك ظاهر إذ إنه عند موت «رعمسيس» كانت كل الأعمدة مغطاة بالتراب الذي كان قد ملأ القاعة لرفع الأحجار عليه لوضعها في أماكنها من البناء، ومما سبق نفهم أن الذي رفع بنيان عمد هذه القاعة هو «رعمسيس الأول» على الأرجح، وأن ابنه «سيتي» قد نقش عمدها، ولما اشترك «رعمسيس الثاني» مع والده في الملك شاركه في هذا العمل كما يدل النقش الغائر الذي اتخذه «رعمسيس الثاني» طرازًا له، بل نجد أنه — فضلًا عن ذلك — نسب معظم هذه القاعة لنفسه، كما اغتصب الاسم الذي وضعه لها والده، ولكن ذلك لم يحدث إلا بعد موت «سيتي الأول»، فقد كان اسم القاعة أولًا «معبد روح سيتي محبوب آمون في بيت آمون»، وبعد موت «سيتي» محا «رعمسيس» هذا الاسم، وجعله «معبد روح رعمسيس محبوب آمون في بيت آمون»، فإذا قبلنا ما استعرضه «كيث سيلي» في نظريته الخلابة هذه أصبح إدعاء «رعمسيس الثاني» فيما نسبه لنفسه من إقامة قاعة العمد تشبه تمامًا ما ادعاه لنفسه من إقامة آثار عدة في طول البلاد وعرضها، وهاك نص الإهداء الذي ينسب فيه «رعمسيس» قاعة العمد لنفسه:

> «رعمسيس الثاني» الملك القوي، المقيم الآثار في بيت والده «آمون»، والباني بيته بناء مخلدًا ثابتًا أبدًا. تأمل! إن الإله الطيب قد مال قلبه ليقيم آثارًا، وسواء أكان قائمًا أم يقظًا فإنه لم يفتر عن البحث في عمل أشياء ممتازة، وقد كان جلالته الذي وضع الأنظمة، وقاد العمل في آثاره، وكانت كل خططه تنفذ في الحال مثل خطط والده «بتاح جنوبي جداره»، وهو صورة في الواقع مما عمله ذلك الصانع الممتاز الذي يضع الأشياء الممتازة التي عملها جلالته … من عمل ممتاز مخلد. وكل مملكة تحت قدميك يأيها الملك، يا حاكم الأقواس التسعة، يا رب الأرضين «رعمسيس الثاني». لقد عمله بمثابة أثره لوالده «آمون رع» رب «طيبة»، فأقام معبد «روح رعمسيس محبوب آمون في بيت آمون» بالكرنك من الحجر الرملي الأبيض بمثابة مثوى لرب الآلهة، ومأوى للتاسوع المقدس، وقد أحيط بِ … عمد، وجدرانه مثل جبلي أفرديتبوليس (كرم أشقاو) ثابتة، وقد عمل … وجماله يصل إلى عنان السماء.

الإله «آمون» يخاطب الآلهة

> تأملوا أنتم هذا الأثر الطاهر الباقي الذي أقامه لي ابني من صلبي محبوب الملك «رعمسيس الثاني»، وهو الذي نشأته، وهو في الرحم ليعمل أشياء ممتازة لبيتي، وهو الذي أنجبته في صورة أعضائي نفسها ليحتفل بخروج قربان قريني (روحي)، وإنكم ستمنحونه حياة راضية، وستصيرون أتباعه الحامين له، وستكونون إخوانه

عندما يكون منكم، وسيكون روحًا كما أنتم أرواح، وسيفلح اسمه مثل ما تفلح أسماؤكم، حتى نهاية جيلين (ستين سنة)، ومخلدًا، وذلك من أجل ما بني لمعبد الكرنك للمرة الأولى من الحجر الرملي الجميل، وإنه قد منح مقامي السرور أكثر مما عمله أسلافه[١٣٠] … لقد أقامه «رعمسيس الثاني» بمثابة أثره لوالده «آمون» رب «طيبة»، فعمل له معبد «روح رعمسيس» «محبوب آمون في بيت آمون» من الحجر الرملي الجميل، وجماله يصل إلى عنان السماء في الكرنك، وأعمدته الفخمة من السام عملت مثل كل مكان في السماء، وإنها سيدة الفضة، وملكة الذهب، وتحتوي كل حجر فاخر ثمين، وقد أقمته لك بقلب محب كما يعمل الابن البار لوالده، وذلك بتوسيع آثار من أنجبه، وتمكين بيت من جعله يستولي على كل الأرض.

يعيش الإله الطيب الذي يقيم آثارًا لوالده «آمون رع».[١٣١]

أما الإهداءات التي على واجهات القاعة فوق النوافذ فهي لـ «رعمسيس الثاني» أيضًا، والمهندس الذي أقام هذه الأعمدة من قاعة العمد يُدعى «حاتي»، وهو يشير إلى أعماله العظيمة في ألقابه كما يأتي:[١٣٢]

الرئيس الأعلى للأعمال في كل آثار جلالته، الذي يقيم أعمدة عظيمة في بيت «آمون».

وإذا كان ما يقوله هذا المهندس حقًّا فإن ذلك حدث — ولا بد — في أثناء اشتراك «رعمسيس» مع والده في الحكم كما يقرر ذلك «سيلي».

مقبرة «رعمسيس الثاني»



شكل ١٣: مومية «رعمسيس الثاني».

وقد حفر «رعمسيس الثاني» لنفسه مقبرة في «وادي الملوك»، وتُعرف برقم ٧، وليس للمقبرة شهرة واسعة مثل قبر والده «سيتي الأول»، ويرجع ذلك إلى أنها مملوءة بالرمال والطين، وقد نُهبت في الأزمان القديمة، ولكن القبر يعد من الأعمال العظيمة التي عملها «رعمسيس الثاني»، فقد حفره إلى عمق أربعمائة قدم في الصخر، وممره الذي يبلغ نحو مائة وخمسين قدمًا يؤدي إلى قاعة عظيمة تبلغ مساحتها أربعة وأربعين قدمًا مربعًا، كما يحتوي على أربع حجرات أخرى، وهو في الواقع مثل قبر والده في الطول إلا أنه أعظم منه مساحة، أما من جهة النقش والرسوم التي على جدرانها فإنها تتضاءل أمام مقبرة والده. ومما يلفت النظر أننا نجد على كلا جانبي المدخل متنًا من قصيدة في مديح إله الشمس نُقشت بالحروف البارزة، وعلى اليسار نشاهد صورة الفرعون أمام إله الشمس «رع حور اختي»، وصورة تمثل إله الشمس برأس كبش، وجعران ونقوش هذه المقبرة عادية.

أما مومية «رعمسيس» فلم توجد في قبره، بل وجدت في خبيئة الدير البحري، والسبب في ذلك: أنه كان سبق ذكره في غير هذا المكان عند نهاية الدولة الحديثة، لم يكن في استطاعة الحكومة المصرية أن تحمي مقابر ملوكها العظام، إذ لم يكن التعدي مقصورًا على

«جبانة ذراع أبو النجا»، بل كذلك على مقابر الملوك المنعزلة في وادي الملوك؛ ولذلك اكتفى رجال الإدارة بالمحافظة على موميات الفراعنة فحسب، فنشاهد أن موميات ثمانية من الملوك قد وضعت في حجرة جانبية من مقبرة الملك «أمنحتب الثاني»، ولنفس هذا السبب نُقلت مومية «رعمسيس الثاني» من مثواها الأصلي بأبواب الملوك إلى مقبرة «سيتي الأول»، وفيما بعد إلى مقبرة «أمنحتب الأول»، وأخيرًا في نهاية الأسرة الثانية والعشرين صممت السلطة الإدارية على صيانة الموميات الملكية من العبث بها مرة أخرى، فدفنوها معًا حيثما اتفق مع ملوك الكهنة المنتسبين للأسرة الحادية والعشرين في مقبرة قديمة يرجع تاريخها إلى الأسرة الحادية عشرة بالقرب من الدير البحري، وهكذا بقيت مومية «رعمسيس الثاني» مع الملوك الآخرين الذين دفنوا معها في مقبرة والده «سيتي» في أمان حتى سنة ١٨٧٥م؛ عندما كشف فلاحو هذه الجهة المكان الذي دفن فيه الفراعنة، ثم بدأت المقابر الملكية تُنهب ثانية، وفي عام ١٨٨١م تعقب رجال الأمن أثر السرقة، واستولوا على ما وجدوه، وسلم للمتحف المصري وبقي فيه.

ومما يؤسف له جد الأسف أن التنقلات الأخيرة التي حدثت للموميات الملكة قد سببت بعض العطب لها، وبخاصة مومية «رعمسيس الثاني»،[١٣٣] فقد نُقلت إلى ضريح «سعد» وبعد فترة نُقلت ثانية إلى بيت مدير مصلحة الآثار وأخيرًا نُقلت إلى المتحف المصري في الطابق العلوي.

(د) معبد «الرمسيوم»

يقع معبد «الرمسيوم» الذي بناه «رعمسيس الثاني» ليكون معبده الجنازي على الضفة اليمنى من النيل، وتدل الآثار الباقية على أن هذا الفرعون قد بنى معه في نفس المكان قصرًا منيفًا لسكناه، وقد أطلق «رعمسيس» على هذا المعبد اسم «بيت وسر ماعت رع ستبن رع» (رعمسيس الثاني) — له الحياة والفلاح والصحة — في بيت «آمون».

ومن المحتمل أن هذا المعبد هو الذي قال عنه «ديدور الصقلي» الذي عاش في القرن الأول بأنه قبر «أوسيمانديا Osymandyas»، وهو تحريف للقب «رعمسيس الثاني» «وسر ماعت رع»، والمعبد الآن في حالة خربة، وما بقي منه يدل على أن نقوشه كانت تعد سجلًا تاريخيًّا ودينيًّا لأعمال «رعمسيس الثاني».

ويعتقد الأستاذ «بتري» أن «معبد الرمسيوم» كان تصميمه في الأصل ليكون معبدًا للفرعون «سيتي الأول»، وأن «رعمسيس الثاني» قد اغتصبه لنفسه كما اغتصب لوالده معبد «القرنة» الذي كان مخصصًا لجده «رعمسيس الأول» فيقول ما معناه:

إن جل النشاط الذي أظهره «رعمسيس الثاني» في بداية حكمه — على ما يظهر — كان موجهًا لإقامة معبد «الرمسيوم»، فالتواريخ التي وجدناها على أواني الخمر التي عثر على بقاياها في أكوام الفخار هناك كلها من السنة الأولى حتى الثامنة دون ذكر اسم الفرعون،

وقد نسبها بعض الباحثين إلى أحد أخلاف «رعمسيس»، وفي ذلك شك كبير؛ لأنه ليس لدينا مجموعة عظيمة أخرى من التواريخ يمكن نسبتها لتلك الأكوام الضخمة من الأواني المتخلفة في هذا المكان، وهي التي لا يمكن إلا أن تكون قد تخلفت من بناء معبد ضخم مثل «الرمسيوم» (راجع مقبرة سنموت الجزء الرابع ٣٧٣). أما المؤرَّخة بالاسم الفرعونى فعلًا الأواني فهي: أربعة للفرعون «سيتي»، وستة وأربعون للفرعون «رعمسيس الثاني»، في حين أنه لم يوجد إناء باسم ملك آخر،[١٣٤] ومن ثم نعلم أن «الرمسيوم» كان قد بُني من السنة الأولى حتى الثامنة من حكم «رعمسيس الثاني» هذا فضلًا عن أنه قد ظهرت صيغة اسم لهذا الفرعون لم تكن معروفة فيما بعد، وهي: «وسر ماعت رع ستبن رع حرحر ماعت»، ويمكن تخمين السبب في أن هذا المعبد الجنازي كان باكورة أعمال شبابه عندما نفحص مباني معبد «القرنة»، وذلك أن هذا المعبد — كما قلنا آنفًا — يظهر في بنائه قصد غريب مختلط، فالنقوش التي عليه تدل على أنه أقيم لكل من «رعمسيس الأول» و«سيتي الأول» على أن هذا الاشتراك في معبد واحد لا يعرف له مثيل قط، ومن البدهي على ما يظهر أن «سيتي» قد أقام معبد «القرنة» لوالده، في حين كان قد بدأ في الوقت نفسه بناء «الرمسيوم» ليكون معبده الخاص، غير أنه لاقى حتفه عقب ذلك مباشرة، وقد غير ابنه «رعمسيس الثاني» — العاق — الغرض الذي كان يرمي إليه والده، إذ أتم النقوش في معبد «القرنة» باسم «سيتي»، وجعله معبدًا جنازيًّا لكل من والده وجده، في حين أنه استولى لنفسه على معبد «الرمسيوم» الضخم الذي كان قد بدأ العمل فيه والده «سيتي» لنفسه، وأتمه ونقشه ليكون مفخرة له. ومما يؤسف له جد الأسف أنه لم يحفظ لنا إناء من أواني الخمر التي عثر عليها باسم «سيتي»؛ لأن التواريخ التي على قطع الفخار المستخرجة من هذه البقعة يمكن في الواقع أن تحدد لنا مدة حكم «سيتي الأول» لو وجد شيء منها باسمه (راجع Petrie Hist. III, p. 42 ff.).



شكل ١٤: بقايا معبد الرمسيوم «رعمسيس الثاني».

والواقع أن ما ذكره الأستاذ «بتري» مقبول ومعقول في ظاهره؛ ولكن عندما نطبق عليه النظرية التي جاء بها الأستاذ «كيث سيلي» في موضوع اشتراك «رعمسيس الثاني» مع والده في الحكم تنهار نظرية الأستاذ «بتري» من أساسها بالنسبة لاغتصاب «رعمسيس الثاني» معبد «الرمسيوم» لنفسه؛ إذ لا يدل على حسب هذه النظرية وجود اسم «سيتي» في هذا المعبد على شيء قط؛ لأنه من المحتمل جدًّا أن «رعمسيس الثاني» قد بدأ بناء معبده الجنازي أيام والده، واستمر في بنائه مدة انفراده بالحكم، وأن «رعمسيس» لم يبدأ في بنائه بعد أن جلس وحده على عرش البلاد.

وقد حفظت لنا بعض قطع «الاستراكا» المتخلفة من نحت الأحجار وقطعها، وهي التي كان يستعملها الكتَّاب الذين كان يوكل إليهم عمل الحسابات والمذكرات في أثناء بناء هذا المعبد بعض تفاصيل هامة عن سير البناء فيه، كما لاحظنا ذلك عند الكلام على بناء مقبرة «سنموت» بالقرب من الدير البحري (راجع ج٤)؛ فمن هذه الاستراكا نعلم أن الأحجار التي أقيم بها «الرمسيوم» كانت تنقل في سفن صغيرة الحجم بحجم السفن النيلية التي تستعمل في عصرنا الحاضر، وهي التي تحمل نحو خمسة عشر طنًّا، أو عشرين طنًّا، أو سبعين إلى مائة أردب من الغلال، وكانت كل سفينة تحمل خمس أو ست قطع من الحجر، وأكبرها كان يبلغ طوله نحو خمس أقدام، أما حمولة السفينة فكانت ما بين أربعين وخمسة وخمسين ذراعًا مكعبًا، وكانت السفن تسير في النيل من محاجر السلسلة في طوائف كل منها خمس، وتدل نقوش اللوحات الخاصة بالحسابات التي وصلتنا على أنه قد دوِّن عليها أبعاد نحو مائة وعشرين حجرًا، وهي أكثر من عدد الأحجار التي بُني بها الجدار الذي نُقش عليه منظر حرب «خيتا»، وحصار قلعة «دابور» السالفة الذكر، ومما يلفت النظر أن هذه السفن كانت تميز بأسماء ملاكها، أو رؤسائها، وهي من الطراز الذي كان شائعًا في هذا العهد،[١٣٥] وقد وضعت أحجار الأساس خلف المعبد في النهاية الغربية، كما يدل على ذلك وجود اسمه على الجانب الأسفل من قطعة حجر، وكذلك على ودائع الأساس نفسها.

أما نقش الإهداء فقد دوِّن على أحجار الواجهة وهو:[١٣٦]

> لقد أقامه «رعمسيس الثاني» بمثابة أثر لوالده «آمون رع» فعمل له قاعة شاسعة عظيمة فخمة من الحجر الرملي الأبيض الجميل، ووسطها مزين بالعمد الزهرية الشكل، محاط بعمد على هيئة براعيم ليكون مقامًا يأوي إليه رب الآلهة في «عيد الوادي الجميل»، وليمنح أبدية الحياة، وقد وضع سفينته المقدسة مثل أفق الإله، وحابسًا له قربات يومية، ومنفذ الأشياء التي تسر والده، وجاعلًا بيته له مثل «طيبة» مموَّنًا بكل شيء طريف من مخازن غلال تصل إلى عنان السماء، وبيت مال فاخر يحتوي فضة وذهبًا، وكتانًا ملكيًّا، وكل حجر ثمين، أحضرها له الملك «رعمسيس الثاني».

وتخطيط هذا المعبد العام مثله كمثل تصميم المعابد الكبرى التي أقيمت في هذا العهد، فكان يحتوي على بوابة عظيمة أقيمت أمام المعبد، وكانت الردهة الأولى مكشوفة، أما الثانية فكانت مزينة بصفين من الأعمدة حولها، والقاعة الثالثة كانت قاعة العمد العظيمة المسقوفة، وخلفها أربع حجرات يتلو بعضها بعضًا، يكتنفها من كل جانب حجرات صغيرة جانبية، وكان يحوط كل البناء جدران طويلة تخفي كل معالم المعبد للناظر إليه من الخارج، ولم يبقَ من هذا البناء الضخم إلا البوابة الأمامية والأعمدة، وكذلك الأعمدة التي لم يمكن نقلها، واستعمالها مادة للبناء، ونحو واحد من عشرة من الجدران المسطحة التي كانت مغرية للمصريين القدماء، والأحداث لاستعمالها في مبانيها؛ ولذلك لم يبقَ من المناظر التي كانت تزين جدران هذا المعبد، والتي كانت سجلًا تاريخيًّا عظيمًا إلا نحو سُبْع ما كان منقوشًا في الأصل، وهذه البقية الباقية لا تعطينا إلا فكرة ناقصة عن المعبد ومحتوياته.

أما المباني التي أقيمت حول هذا المعبد فتعد أعظم مثال باقٍ لنا عن المباني المقامة باللبن، وبعضها يُنسب إلى عهد «رعمسيس الثاني»، كما نعلم ذلك من الأختام التي على اللبنات. ومن بين هذه المباني بعض قباب مُحكمة البناء كانت في الأصل مغطاة بطوار مسطح، وبدرس قطع أواني النبيذ التي بقيت والسدادات المختومة، أمكننا أن نستخلص بحق أن هذه المباني كان بعضها يستعمل مخازن للمعبد. ومما يلفت النظر في هذه المباني أيضًا طريقة الإضاءة فيها بوساطة نوافذ ضيقة طول الواحدة منها نحو قدم، وتبعد الواحدة عن الأخرى نحو اثنتي عشرة قدمًا، ويمكن رؤية حوالي سبعين قاعة طويلة كل منها نحو ثلاثين قدمًا، أو ما يقرب من ذلك، وأكثر من أربعين قاعة أقصر من السابقة، إذ يبلغ طول الواحدة نحو خمس عشرة قدمًا، وقد كشف عنها وعمل تخطيطها،[١٣٧] وقد كشف عما يبلغ مساحته أكثر من نصف ميل من الأروقة التي يبلغ عرضها اثنتي عشرة قدمًا. ومن طرق الإضاءة يمكن أن تكون قد استعملت ثكنات للجنود فضلًا عن المخازن.[١٣٨]

أما النقوش التي على الجدران الباقية في هذا المعبد فتنحصر أهميتها بوجه خاص في المناظر الحربية، فعلى البوابة العظيمة التي كان عرضها نحو عشرين ومائتي قدم نشاهد على الجزء الداخلي من جدرانها المحفوظة مناظر توضح لنا حملة «رعمسيس الثاني» على بلاد «خيتا»، وبخاصة في السنة الخامسة من حكمه (موقعة قادش).

على البرج الشمالي: نشاهد في أقصى الشمال الحصون التي استولى عليها «رعمسيس» في السنة الثامنة من حكمه، ويمكن التعرف على ثلاثة عشر من الثمانية عشر المعروف كل منها بالاسم الدال عليه، ويلاحظ الأسرى وهم يساقون، وفي الوسط نشاهد مناظر من الحرب مع «خيتا»، وتستمر هذه المناظر على البرج الجنوبي، ففي أسفله نشاهد الجيش المصري يتابع السير، وفوق ذلك يظهر المعسكر المصري في صورة سور من الدروع، وجنوده في حركة عظيمة، فالعربات تُصفُّ في أماكنها، وبجانبها جيادها غير مسرجة، وعلى مقربة منها نشاهد عربات الأمتعة الثقيلة بحيواناتها التي لا تهاب أسر الفرعون الأليف الرابض أمامه، وترى الحمير التي كانت تستعمل لحمل الأثقال وراء الجيش بصورة بارزة في المعسكر، إذ نشاهدها بعد أن وُضعت عنها أثقالها تُظهر الرضى، بوساطة حركات

وأوضاع كان لا يمل المفتن من إظهارها. وكذلك نشاهد الجنود يتجاذبون أطراف الحديث معًا، ويرى واحد منهم وهو يشرب من قربة ماء، هذا ولا نعدم رؤية قيام المشاحنات والمخاصمات فيما بينهم، وفوق هذا المنظر من جهة اليمين نرى أن صفو هذه السكينة قد عُكر بقوة انقضاض جيش «خيتا» على المعسكر المصري، وعلى اليمين نشاهد الفرعون يعقد مجلسًا حربيًّا مع الأمراء، وتحت هذا المنظر نرى جاسوسين يُعذبان ليعترفا بمكان موقع العدو، أما النصف الأيسر من جدار البرج الجنوبي للبوابة فقد صور عليه موقعة «قادش» وقد شاهدناها على بوابة معبد الأقصر (راجع صورة المعسكر)، فيمتطي هنا «رعمسيس الثاني» عربته، وينقض بها على الأعداء فيرديهم بسهامه، ويهربون في ارتباك مفزع، ويسقطون في نهر الأرنت «العاصي»، ويتبع الفرعون عربات الحرب.

وكذلك نشاهد على اليمين من ساحة القتال أمير «خيتا» واقفًا على بُعد، وفوق هذا نشاهد منظرًا «للخيتا»، وهم يهربون إلى حصنهم، أما النقوش التي على اليمين فتمثل الفرعون يقبض على الأعداء من نواصيهم منها لا بالضرب عليهم، وعلى مسافة من ذلك من جهة اليمين يُرى الفرعون قابضًا على صولجان طويل يتبعه حاملو المراوح، وعلى الجدران الداخلية لمدخل هذه البوابة نرى مناظر عادية يقرِّب فيها «رعمسيس الثاني» القربان للآلهة المختلفين.

- **الردهة الأولى:** هذه القاعة قد هُدمت تمامًا، ولم يبقَ منها إلا بقايا تمثال ضخم جدًّا ل «رعمسيس الثاني»، ويعد من أكبر التماثيل التي عثر عليها، وقد وجد عليه اسم هذا الفرعون على ذراعه، وعلى القاعدة، وما بقي منه يدل على دقة صنع هذا الأثر الضخم، ويبلغ ارتفاعه على ما يظهر ـ قدمًا، ووزنه نحو ألف طن.

- **الردهة الثانية:** وجدت كذلك مهشمة إلا أنها أحسن حالًا من الأولى، وفيها بعض تماثيل للفرعون على هيئة «أوزير»، وعلى جدارها الأمامي مناظر تمثل موقعة «قادش» [١٥]، وتمجد ضروب الشجاعة التي أظهرها «رعمسيس» في أثنائها، (راجع منظر موقعة «قادش» الذي على جدار البوابة الثانية لمعبد الرمسيوم)، ففي الصف الأسفل نشاهد «رعمسيس» في صورة أضخم بكثير من الجنود الذين حوله منقضًّا بعربته، فتخترق سهامه «الخيتا» وتدوسهم عربته، ويجدلون على الأرض مكدسين بعضهم فوق بعض، كما يرمي بأحشاد منهم في نهر العاصي، وعلى مسافة من ذلك من جهة اليمين تظهر قلعة «قادش» ذات الشرفات، وينساب حولها نهر العاصي، وبجانبها من الجهة الأخرى من

النهر يرى جنود من «الخيتا» لم يشتركوا في الموقعة، ولكن بعضهم كانوا يمدون يد المساعدة لزملائهم الغارقين في النهر.

أما الصف الأعلى فيمثل مناظر من عيد «مين» إله الحصاد، وقد كان يُحتفل به عندما يعتلي ملك عرشه ملكه كما هو ممثل في معبد مدينة «هابو»،[١٣٩] فعلى اليمين يقف الفرعون ينتظر الموكب الذي يرأسه كهنة يحملون صور الملوك القدامى، وقد نصب أمام الفرعون قضيبان طويلان يحملان تاج الفرعون، وبجانب هذا كهنة يطلقون أربعة طيور لتحمل الأخبار إلى جهات العالم الأربع بأن الملك قد اعتلى العرش، وعلى اليمين يظهر الفرعون يحصد حزمة من القمح ليقدمها للإله، وتشمل الردهة الثانية تماثيل ضخمة للفرعون، ومنها يصل الإنسان إلى دهليز مقام على طوار يصعد إليه في درج، ولم يبقَ من جدرانه إلا جزء من الجدار الخلفي الجنوبي، وعليه ثلاثة صفوف من النقوش عليها أحد عشر ولدًا للفرعون.

وخلف الدهليز قاعة العمد العظمى التي لها ثلاثة مداخل، ومثلها كمثل قاعة عمد الكرنك تشمل صحنًا يحتوي على ثلاثة ممرات من العمد أعلى من الممرات الستة الجانبية،[١٤٠] وعلى سيقان عمد هذه القاعة «رعمسيس الثاني» يقدم القربان للآلهة. وعلى النصف الجنوبي من الجدار الشرقي يرى الهجوم على حصن «دابور» الخيتية في الصف الأسفل، وعلى اليسار هجوم الفرعون على العدو بعربته، فيقتل بعضهم، ويولي الباقي من خيالة ومشاة وعربات الأدبار، وعلى اليمين القلعة التي يحميها «الخيتا»، والمصريون يهاجمونها متسلقين سلالم، أو يقتحمون الجدران تحت حماية المظلات والدروع، وهنا نرى أولاد الملك بأسمائهم يظهرون شجاعتهم في حومة الوغى.

أما قاعة العمد الصغرى، فقد زين نقشها بصورة ملكية، وبصور للفرعون والآلهة، وأهم منظر يلفت النظر على جدران هذه القاعة على الجدار الغربي، تمثيل الفرعون جالسًا تحت شجرة «هليوبوليس» المقدسة، والإله «آتوم» يكتب اسم الفرعون على أوراقها: والإلهة «سشات» ربة الكتابة، والإله «تحوت» إله العلم على يساره، وقاعة العمد الصغيرة الثانية لم يبقَ من جدرانها إلا جزء بسيط.[١٤١]

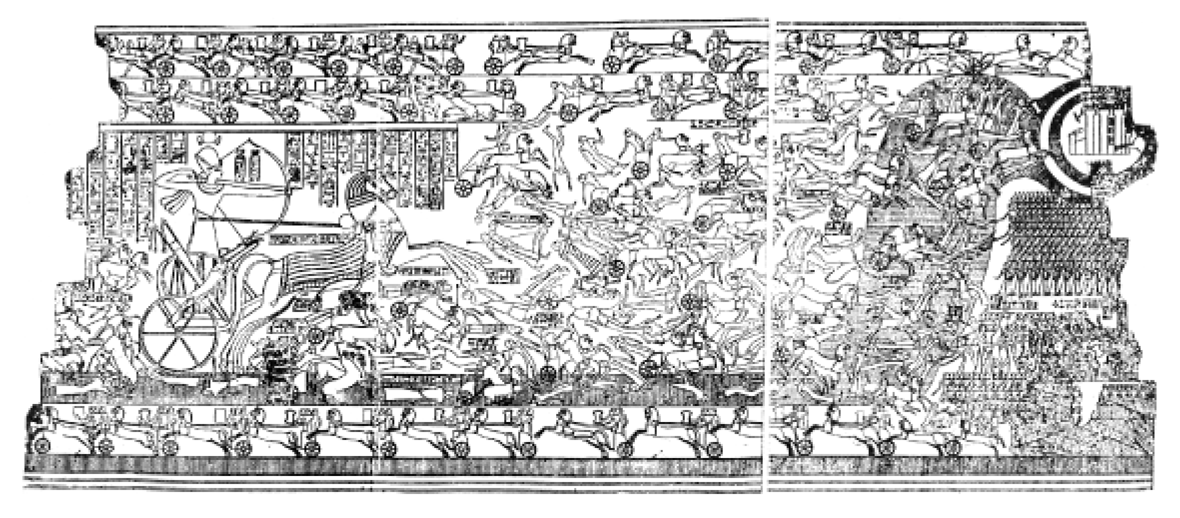
(هـ) معبد القرنة

تكلمنا فيما سبق عن تاريخ هذا المعبد الذي تركه «سيتي» قبل أن يتمه، وقد حدثنا «رعمسيس الثاني» نفسه عن إتمامه له، غير أنه عندما قص علينا ذلك في نقش الإهداء قد غطى على ما قام به والده فيه، فاستمع لما يقوله في هذا الصدد:

> لقد أقامه بمثابة أثره لوالده «آمون رع» ملك الآلهة، وسيد السماء، وحاكم «طيبة»، فقد أصلح بيت والده الملك «سيتي الأول» المرحوم. تأمل! لقد ذهب إلى مثواه، ورُفع إلى السماء، في حين كان البناء لا يزال جاريًا في بيته هذا، وكانت أبوابه مخرَّبة في محاطها، وكل جدرانه من الحجر واللبن، ولم ينجز فيه عمل كتابة ولا صور. وعندئذ أمر ابنه رب الأرضين «رعمسيس الثاني» بإقامة الأعمال في بيته لملايين السنين قبالة «الكرنك»، وبنحت صورته التي تبقى في بيته مغشاة بالسام؛ عندما يقلع الإله بشخصه في «عيد الوادي» ليأوي إلى بيته بوصفه أول الملوك.

نطق الآلهة والإلهات الذين في الأرض الشمالية، لابنهم الملك «رعمسيس الثاني» معطي الحياة:

> لقد أتينا إليك وأذرعتنا تحمل القربان مموَّنة بالزاد والطعام، وقد جمعنا لك كل شيء مستطاب مما تخرجه الأرض لأجل أن تجعل بيت والدك في عيد، وبما أنك ابنه المحبوب فإنك إذن مثل «حور» حامي والده تأخذ وراثة الأرضين، فما أبرَّ الابن الذي يصلح ما خرب! لقد أقمت بيت والدك وأنجزت عمله، ولقد سويت صورته لأجل … من الذهب، وعندك … قربات مقدسة … وعندي … ما فعلته ثانية لبيت والدك، ومنحته حياة رضية، وبقدر ما يكون الابن بارًّا كنت كذلك.[١٤٢]



شكل ١٥: منظر موقعة قادش كما صوِّر على جدار البوابة الثانية لمعبد الرمسيوم.

وكذلك نجد الإهداء التالي:

> لقد أقامه «رعمسيس» الثاني بمثابة أثره لوالده «آمون رع» رب طيبة، والمشرف على «الكرنك» مصلحًا بيت والده الملك «سيتي الأول» … فأقاموا كل جدرانه من … حجر، ولم يكن قد تم فيه عمل ولا نقش، ولا نحت.[١٤٣]

(وباقي النقش كالكلام السابق.)

ولدينا إهداء آخر وهو:

> لقد أقامه «رعمسيس الثاني» بمثابة أثره لوالده «آمون رع» مصلحًا له بيت والده الملك «سيتي الأول». تأمل إنه في السماء … وأبوابه من خشب الأرز الحقيقية، محوَّط بجدران من اللبن، وممكن للأبد، وهو الذي عمله له ابن «رع» «رعمسيس محبوب آمون».[١٤٤]

وقد ذكرنا من قبل أن «رعمسيس الثاني» قد أعد هذا المعبد ليكون مكان تقديس لجده «رعمسيس الأول»، وهاك النقوش الدالة على ذلك:

> لقد أقامه بمثابة أثره لجده الطيب «رعمسيس الأول» صادق القول (المرحوم).[١٤٥]

وجاء في نقش آخر:

> تجديد الآثار التي أقامها «رعمسيس الثاني» لوالد والده الإله الطيب «رعمسيس الأول» في معبد والده رب الأرضين «سيتي الأول».

وجاء في نقش ثالث:

> لقد أقامه «رعمسيس الثاني» بمثابة أثره لوالده الإله الطيب «من بحتي رع» (رعمسيس الأول)، فأقام له بيتًا لملايين السنين على الشاطئ الغربي من طيبة من الحجر الرملي الأبيض؛ حيث يثوي «آمون» مثل «رع» في أفق السماء.[١٤٦]

على أننا من جهة أخرى نجد أن «رعمسيس الثاني» قد أضاف سلسلة إهداءات باسمه هو، فأصبح بذلك هذا المعبد مكانًا لإقامة شعائر الملوك الثلاثة «رعمسيس الأول»، «سيتي الأول»، «رعمسيس الثاني»، وهاك نص الإهداء الذي نقشه «رعمسيس» لنفسه: «لقد أقامه «رعمسيس» بمثابة أثره لوالده لأجل والده «آمون» رب طيبة مقيمًا له بيتًا لملايين السنين في غربي «طيبة» من الحجر الرملي الأبيض، وأبوابه من الأرز الحقيقي، وهو الذي أقامه له ابن «رع» «رعمسيس» محبوب «آمون» معطي الحياة مثل «رع»، وقد عمل له قاعة فسيحة للظهور أمام بيته العظيم، وهي مكان للظهور لأجل رب الآلهة في «عيد الوادي» …»[١٤٧]

(و) معبد «سيتي الأول» بالعرابة المدفونة، ومباني «رعمسيس الثاني» فيه

وقد تحدثنا عنه في تاريخ «سيتي الأول».

معبد «رعمسيس الثاني» بالعرابة

يدل على ما بقي لنا من نقوش وآثار في معبد «رعمسيس الثاني» الذي أقامه بالعرابة على أنه كان على جانب عظيم من الروعة والفخار، وأنه أقامه ليناهض به معبد والده «سيتي الأول» الذي رفع بنيانه في هذه البقعة المقدسة لوالده «أوزير»، ولعبادته هو بوصفه إلهًا، وعلى الرغم من صغر حجم معبد «رعمسيس» بالنسبة لمعبد والده، فإنه مبنى عظيم تبلغ مساحته حوالي ثلاث وعشرين ومائتي قدم، وعرضه خمس وعشرون ومائة قدم، والواقع أن المعبد الآن في حالة سيئة من التخريب والتدمير، والبقايا الضئيلة التي بقيت لنا حتى

الآن تدلنا على أنه كان يحتوي على دهليز محلّى بالأعمدة الأوزيرية الشكل، وعلى قاعتين ومحراب، وخلف هذه حجرات أخرى مختلفة، وما بقي قائمًا من جدران هذا المبنى لا يزيد ارتفاعه على خمس أو ست أقدام، وإذا حكمنا — من بقايا النقوش والمباني التي نشاهدها على الجدران — على مكانة هذا المعبد، فلا يسعنا إلا الاعتراف بأنه كان على جانب عظيم من الفخامة، ودقة الصنع والجمال مما لا يضارعه فيه مبنى آخر من المباني التي تركها لنا «رعمسيس الثاني»، إذ لم يستعمل في إقامته الحجر الجيري الأبيض فحسب، بل كذلك الجرانيت الأحمر، والجرانيت الأسود، فقد استُعملت لصنع الأبواب كما استعمل للعمد الحجر الرملي، والمرمر لقدس الأقداس، هذا إلى أن ألوان الجدران التي لا تزال ساطعة في الحجرات الخلفية بما فيها من نقش دقيق بارز يذكرنا بالنقوش التي زين بها «سيتي الأول» معبده في هذه الجهة أيضًا؛ مما يدل على أن هذا المعبد قد بدأ «رعمسيس» في إقامته في عهد اشتراكه مع والده في الحكم.

والنقوش التي على الجدار الأمامي تمثل سلسلة من الأقوام الأسرى، أما التي على الجنوب فتمثل مناظر من الحروب التي شنها هذا الفرعون على بلاد «خيتا»، ولما كانت الجدران قد هُدمت، ولم يبقَ قائمًا منها إلا أجزاء ضئيلة فلم يبقَ عليها إلا نتف صغيرة من المتون، منها جزء من الملحمة المشهورة التي دوَّنها «رعمسيس» عن حروبه مع «خيتا»، وعلى الجدران في الداخل نشاهد موكبًا طويلًا، وقائمة بأسماء المدن التي تقدم القرابين، وكذلك نشاهد قاعدة قائمة الملوك التي دوَّنها «رعمسيس» كما فعل والده على معبده في العرابة أيضًا، والأحجار التي في المتحف البريطاني من هذه القائمة مثل عليها منظر «رعمسيس الثاني» يقدم قربانًا لعدة آلهة حكموا مصر قبله، وقد حذا حذو والده «سيتي» في إغفال ذكر أسماء الملوك التالية: «حتشبسوت» و«إخناتون» و«توت عنخ آمون» و«آي» من بين الملوك الشرعيين،[١٤٨] وقد اشتراها المتحف البريطاني من القنصل الفرنسي في مصر. هذا إلى جزء من قصيدة تمجيد إله الشمس، ويشاهد كذلك عدة حجرات وكوَّات مهداة لآلهة مختلفين، ولكن على الرغم من ضياع معظم معالم هذا المعبد الفخم، فإن القدر قد حفظ لنا متن الإهداء الذي دونه «رعمسيس الثاني»، وهو يقدم لنا صورة رائعة عن وصف هذا المعبد، وهي تتفق في كثير مع ما بقي من آثاره، وهذا النقش قد دوِّن على الجدار الجنوبي الخارجي.[١٤٩] وهاك النص فاستمع لما جاء فيه:

> تأمل إن جلالته — له الحياة والفلاح والصحة — كان «الابن الذي يحبه» حامي والده، «وننفز»، بإقامة معبد جميل فاخر له ثابت إلى الأبد من حجر «عيان» الجيري الأبيض له بوابة مزدوجة ممتازة الصنع، ومداخله من الجرانيت، وأبوابها من النحاس المغشى بالصور المصنوعة من السام الحقيقي، وعرشه من المرمر، مقام على جرانيت، وهو عرشه الأزلي، وقاعة مسخنت (الولادة) لتاسوعه المقدس، ووالده المبجل هو الذي يسكن فيه، و«رع» عندما رُفع إلى السماء، وصورته الحامية مستقرة بجانب من سواه مثل «حور» على عرش والده.

> وقد رصد له قربات يومية في بداية الفصول مقدَّمة لروحه كل الأعياد في مواقيتها، وقد ملأها بكل شيء حتى أصبحت مفعمة بالطعام والرزق من فحول، وعجول، وثيران، وأوز، وخبز، ونبيذ، وفاكهة. وكانت مكتظة بالعبيد الفلاحين، وضوعفت حقولها، وجعلت قطعانها عديدة، ومخازن الغلال قد ملئت حتى فاضت، وأكوام الحبوب ناهضت السماء في ارتفاعها ... لمخزن القربان المقدس من أسرى سيفه المظفر.
>
> وكانت خزانته مليئة بكل حجر غالٍ، وفضة وذهب في هيئة ركائز، والمخازن كانت مليئة بكل شيء من جزية الممالك كلها، وقد غرس عدة حدائق زرعت فيها كل أنواع الشجر، وكل الأخشاب الحلوة والعطرة، وهي من نباتات «بنت»، وقد أقامه له ابن «رع» رب التيجان «رعمسيس مري آمون» محبوب «أوزير» أول أهل الغرب، والإله العظيم رب «العرابة».

وكذلك وجدنا الإهداءات التالية على أبواب المعبد:[١٥٠]

> لقد أقامه بمثابة أثره لوالده «أوزير» في بيت «رعمسيس مري آمون» صاحب «العرابة»، فصنع له مدخلًا من الجرانيت الأسود، ومصراعين مغشيين بالنحاس، ومطليين بالسام، وهو الذي قد عمله له ابنه «رعمسيس الثاني»، وهذان المصراعان قيل عنهما في نقش على قاعدة نفس هذا الباب إنهما صُنعا من السام، واسم الباب هنا «مدخل وسر ماعت رع ستبن رع» ملك الأبدية، يعيش الإله رب الأرضين «رعمسيس الثاني»، لقد أقامه بمثابة أثره لوالده «آمون أوزير» رب العرابة، فصنع له مدخلًا عظيمًا من الجرانيت الوردي، ومصراعاه من البرنز المطروق، وسمي مدخل «رعمسيس وسر ماعت رع ستبن رع» رافع الآثار في العرابة.
>
> وهذه الأوصاف إذا وازناها بما تبقى من آثار هذا المعبد وجدنا أن «رعمسيس الثاني» كان غير مسرف في أوصافه التي قدمها لنا عن هذا المعبد على الأقل في أنواع الأحجار التي أقيم منها، وبخاصة عندما نقرأ الإهداء الذي تركه لنا على حجرة المحراب المصنوعة من المرمر، والتي لا تزال لدينا منها خمس قطع من هذا الحجر الثمين، فاستمع لما يقوله:
>
> > لقد أقامه بمثابة أثره لوالده «أوزير»، فصنع له مقعدًا عظيمًا من المرمر الخالص[١٥١] ...

(ز) معابد «منف»

تدل الحفائر التي قام بها «بتري» في «منف» على أن معبد «بتاح» الذي كشف عنه يرجع إلى عهود بعيدة في القدم، وأن «رعمسيس» قد جدد بناءه كما تدل على ذلك الآثار الباقية من هذا المعبد، وكما جاء في لوحة بركات بتاح التي سنتحدث عنها فيما بعد، وأهمها ما يأتي:

- (١) مجموعة مؤلفة من «رعمسيس الثاني»، والإله «بتاح» عثر عليها في داخل حدود المعبد أمام المدخل العظيم، وهذه المجموعة موجودة الآن في متحف «كوبنهاجن».[١٥٢]
- (٢) «بولهول» يمثل «رعمسيس الثاني»، وهو الآن في متحف «فلادليفيا»[١٥٣] في المدخل الغربي للقاعة الغربية.
- (٣) وجد له تماثيل ضخمة، وبقايا متن على قاعدة تمثال ضخم من البازلت.[١٥٤]
- (٤) تمثال من الحجر الجيري جالس بالقرب من المدخل الشمالي.[١٥٥]
- (٥) كما وجدت أمام المدخل العظيم قطع من لوحات، وقطع أبواب أخرى، وعمد.[١٥٦]
- (٦) وأمام المدخل العظيم للمعبد وجد تمثال ضخم لا يزال محفوظًا في بناء خاص به، وقد عثر عليه سنة ١٨٢٠م.[١٥٧]
- (٧) وبجوار التمثال السالف وجد تمثال آخر ضخم من الجرانيت الأحمر، وعليه صورتان للأمير «مرنبتاح»، والأميرة «بنت عنتا»، وقد عثر عليه في عام سنة ١٨٥٣ على مسافة مائتي ياردة من الشمال الشرقي من التمثال الجيري، وقد تُرك في مكانه.
- (٨) وفي هذه البقعة وجد لهذا الفرعون كذلك تمثال راكع بدون رأس، وفي يده رأس الإلهة «حتحور»، وتمثال آخر يقبض على علم برأس[١٥٨] إله.
- (٩) وفي متحف «كوبنهاجن» توجد له قطعة من عمود صوِّر عليها وهو يقدم للإله «بتاح» القرابين.[١٥٩]
- (١٠) وقد عُثر على مبنى من المرمر في هذه الجهة نُقش عليه اسم «رعمسيس الثاني».

- (١١) وقد وجدت ودائع أساس في مبنى أقامه «رعمسيس»، غير أن المبنى قد تهدَّم، ولا تزال الودائع محفوظة في متحف «مانشستر».[١٦٠]
- (١٢) وفي غرب البحيرة المقدسة لمعبد «بتاح» وجدت قطع من تمثال من الجرانيت الأسود لهذا الفرعون.[١٦١]
- (١٣) هذا وقد وجد له بعض آثار في هذه الجهة لا يعرف موقعها بالضبط منها مجموعة تمثل الإله «بتاح تنن»، والفرعون «رعمسيس»، وهي الآن بالمتحف المصري.[١٦٢]
- (١٤) وكذلك عثر له على قاعدتي تمثالين.[١٦٣]

والواقع أن التمثالين الضخمين اللذين نحتهما «رعمسيس الثاني» لنفسه — وهما الموجودان الآن في خرائب منف — يدلان على أن «رعمسيس الثاني» أقام معبدًا في هذه الجهة، ولا نزاع في أن المكان الذي وجدا فيه يحدد بقعة مدخل المعبد على ما يظهر، وكان هذا المعبد للإله «بتاح» أو «آمون»، وقد عثر للأول على تمثال في هذه الجهة، وهو الآن بالمتحف المصري، وكذلك يوجد في المتحف البريطاني قبضة يد من الجرانيت لتمثال ضخم؛ مما يقوي وجود معبد هناك، ويحتمل أن هذا المعبد كان في جنوب البحيرة المقدسة.

والواقع أن المباني الدينية التي أقامها «رعمسيس الثاني» في «منف» قد زالت بزوال المدينة نفسها، وكان يطلق على أحد المعابد التي أقامها هناك اسم «ملايين السنين للملك «وسر ماعت رع ستبن رع» في بيت آمون بمنف.»

ومعظم ما نعرفه عن مباني هذا الفرعون في «منف» هو ما نجده في الوثائق المعاصرة، وبخاصة في نقوش إهداء معبد «العرابة» التي فصلنا القول فيها، وفيها يشير إلى أنه أتم ضريح «منف»، وأهدى التمثال الذي كان قد قطعه «سيتي الأول»، ولم يتمه، وبعد ذلك أخذ في العمل على ملء المدينة بالمباني التي من ابتداعه هو، فأقام حجرات من الجرانيت والحجر الرملي شرقي البحيرة المقدسة، وهي التي حُفر جزءًا منها «ماريت»، ومن المحتمل أن هذا هو المعبد الذي ورد اسمه في لوحة بركات بتاح المنقوشة في معبد «بو سمبل» كما ذكرنا، وكذلك أقام بوابة عظيمة في الجنوب، ونصب أمام واحدة منها التمثال الضخم المصنوع من الجرانيت، وقد كشف عنه في عام ١٨٨٨ ويبلغ طوله حوالي اثنين وثلاثين قدمًا،[١٦٤] وقد أشير كذلك لمبانيه في «لوحة بركات بتاح».[١٦٥]

والواقع أن المصادر التي لدينا عن معبد للإله «بتاح» في هذه الجهة قليلة، إلا أنه عثر على قطعة من لوحة كبيرة في خرائب معبد للإله «بتاح» في منف، والمرجح أنها تُنسب

للفرعون «رعمسيس الثاني»؛ لأنها وجدت في المعبد الذي يُنسب إليه.[١٦٦]

وقد جاء في نقوش هذه اللوحة «محط الفرعون»، أو المكان الذي يحتله الفرعون عندما كان يحتفل بتتويجه في المعبد كما ذكرنا من قبل، وهذه اللوحة كغيرها من اللوحات التي أقيمت في معابد «طيبة» لـ «أمنحتب الثالث»، و«إلفنتين»، و«أمدا»، وقد نقش عليها قصة إقامة المبنى الذي نصبت فيه؛ ولذلك بدئت كمثيلاتها ببيان عن تتويج الفرعون، وقد بقي من هذا المتن المهشم ما يدل على أن الإله «آمون» قد ظهر علنًا كما حدث في تتويج «تحتمس الثالث» (راجع ج٤)، وفي تتويج «حور محب» (راجع ج٥). ونزل وحيه معلنًا «رعمسيس» ملكًا، وسار حتى المكان الذي هو فيه؛ ولذلك فإن من المرجح جدًّا أن يكون الوحي والتتويج على يد «آمون» عادة مرعية عند اعتلاء كل فرعون العرش في عهد الإمبراطورية، ومن ثم نعلم أن الإشارات التقليدية بأن «آمون» هو الذي ثبَّت التاج على رأس الفرعون تدل على وجود احتفال فعلي كان يقام لذلك، ومن البدهي أن هذا الامتياز الذي خص به «آمون» لم يكن وقفًا عليه في الأصل، بل اغتصبه من إله الشمس «رع» إله الدولة الأصلي، ولا نزاع في أن مثل هذا الاحتفال كان يُعقد في الأصل في «هليوبوليس» عند تولية كل فرعون منذ الأسرة الخامسة فصاعدًا إلى أن ظهرت «طيبة» على «هليوبوليس»، وأصبح إلهها «آمون» إله الدولة، وأطلق عليه اسم «آمون رع»، وبذلك أصبح يشارك «رع» في هذا الاحتفال، غير أننا لا نعرف على وجه التأكد في أي تاريخ حدث ذلك.

وهاك ما تبقى من النص:

آمون وآلهته يخرجون: … بيته في الأقصر وتاسوعه خلفه، وعندما أضاءت الأرض ثانية وطلع النهار … الوحي يسمى الملك … إنك ابني والوارث الذي خرج من أعضائي: وكما أكون أنا ستكون أنت مع غيرك … وقرباتهم ستضاعف وسيعترفون بك بوصفك ابني الذي خرج من صلبي. ولقد جمعت …

التتويج في القصر: «… أشياء له إلى القصر، وقد أجلس نفسه أمامه في محراب ابنه الفاخر … «آمون» [ ]، تأمل لقد أتى «آمون» وابنه أمامه إلى القصر ليضع التاج على رأسه، وليرفع الريشتين …»

حالة حكمه: «… لأجل أن يفعل ما يرضيك. ولقد تجنب الخداع وأقصى الكذب من الأرض، وكانت قوانينه متينة في إدارة أنظمة الأجداد … التاج […]، وكان عنده […] ما تحيط به الشمس، وكل الأراضي تقوم بخدمة هذا الإله العظيم [ ] مثل …»

محط الملك ومتن المباني: «لقد أقامه بمثابة أثر لوالده «بتاح القاطن جنوبي جدارة» فأقام له محط الحاكم من حجر الجرانيت في [ ] … عليها أبوابها من خشب الأرز الحقيقي لأجل أن يجعل فحمًا بيت … ليظهر الطريق التي يسلكها والده بتاح.

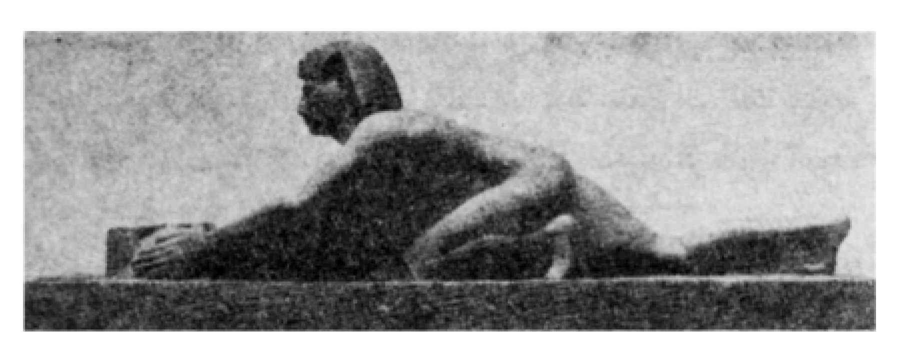
> وقدم له بيتًا جديدًا … ذراعًا من كل حجر فاخر غالٍ، وأعمدة أعلامه من خشب الأرز الحقيقي مغشاة بنحاس أسيوي وأطرافها من السام، وقد عملت قاعة واسعة …»

وعلى الرغم من أن نقش الإهداء قد سبقه حفلة تتويج الفرعون على يد الإله «آمون رع» في «طيبة»، فإن ما لدينا من النقوش يثبت أن الفرعون «رعمسيس الثاني» قد احتفل بتتويجه في «هليوبوليس»، مما يدل على أن الفراعنة كانوا يتوَّجون في «طيبة»، وكذلك في «هليوبوليس»، ولأن «رعمسيس» كان من الدلتا فلم يغفل عن أن يتوج كذلك في عاصمتها الدينية الأصلية، ولدينا قطعة حجر باسم «رعمسيس الثاني» محفوظة الآن في معهد «باث» من الحجر الرملي عليها نقوش تمثل جزءًا من الاحتفال بتتويج «رعمسيس الثاني»، فقد اعترف به الإله «آتوم» رب «هليوبوليس» ملكًا على البلاد. ويظن الأستاذ «جريفث» أن هذا الحجر أتى به من «هليوبوليس»، وهو المكان الذي أقيم فيه الاحتفال.

وصف المناظر: فنرى من اليسار الملك الصغير يقوده «حور» إلى حضرة الإله «آتوم»، وإله آخر قد هشم، ولكن بالموازنة نحكم أنه الإله «ست» أو «تحوت»، ويتبع هذا المتن الثاني: ««حور» الذهبي الغني في السنين ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب القربان «وسر ماعت رع ستبن» رعمسيس محبوب «آمون»، و«حور» يُدعى «حور في المعابد».» ويوصف المنظر أنه يقود الملك إلى البيت العظيم في محراب «برنو»، وبعد ذلك نشاهد «رعمسيس» يصحبه الإله «آتوم» الجالس على عرشه، ويوجد فوق الفرعون طغراؤه، وخلفه تقف روحه «كا» في صورة إنسان أصغر حجمًا من صاحبه، ويحمل فوق رأسه اسم الفرعون «الحوري» الثور المظفر محبوب «ماعت»، ويده اليمنى تقبض على عمود علم يعلوه رمز في صورة رأس الفرعون، والمتن الذي تبع هذا المنظر هو: «روح الملك فرعون الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع ستبن رع» الذي في القصر.»

والنقش الذي خلف «آتوم» هو: «كلام الإله العظيم رب البيت العظيم، لقد منحت كل الحياة والحياة الرضية، والصحة لابني المحبوب، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع ستبن رع» ابن الشمس من جسمه «رعمسيس محبوب آمون» …» ثم نشاهد «آتوم» رب البيت العظيم جالسًا على عرشه داخل محراب ممسكًا بيد «رعمسيس» الواقف أمامه في حين نجد الكاهن «عمود أمه» مزينًا بضفيرة شعر جانبيه، ورداء من جلد الفهد، وينطق بالكلمات التالية: «قربان يقدمه «جب»، وقربان يقدمه «حور»، وقربان يقدمه التاسوع ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع ستبن رع» رب الأرضين، يظهر على عرش «حور» ممنوحًا الحياة والثبات والرضى (؟)، وقلبه فرح مثل «رع» أبدًا.» ويشاهد خلف الكاهن «عمود أمه» في صفين أرواح «بي»، و«نخن» كل منها برأس صقر، أو رأس ابن آوى على التوالي راكعين تعظيمًا للملك الذي توِّج حديثًا، والأولى تقدم له كل الحياة والعيشة الرضية (؟)، والأخرى تقدم له الثبات والعيشة الرضية، وأسفل هذه المناظر تمتد علامة السماء.

وفي ركن هذا الحجر منظرًا مهشمًا فيه «حور بحدت» الغني بالسنين، والثري بالسحر، القاطن في محراب الوجه القبلي يقوم ببعض احتفال يحتمل أنه احتفال صب الماء على الملك، وقد ظهر «رعمسيس» بطبيعة الحال لابسًا العباءة التي يلبسها ملوك مصر في احتفال التتويج في العيد الثلاثيني.[١٦٧] والواقع أنه على الرغم مما لدينا من نقوش ومناظر لا حصر لها عن الفرعون «رعمسيس الثاني»، فإن المناظر التي تمثل الاحتفال بتتويجه قليلة جدًّا، غير أنه لدينا تمثال جميل الصنع لهذا الفرعون يمثله في وضع، وهو يقوم بشعيرة من شعائر احتفال تتويجه، وأعني بذلك التمثال الموجود الآن بالمتحف المصري،[١٦٨] ويمثله وهو يزحف ويدفع أمامه قاعدة مربعة الشكل، يجلس عليها ثلاث صور تمثل «رع» و«آمون»، وطفلًا، وتحتهم علامة = وكل هذه الإشارات معًا هي هجاء اسم الملك «مري آمون رعمسيس»، ومعنى هذا التمثال يفسره لنا تمثالان آخران.[١٦٩]



شكل ١٦: «رعمسيس الثاني» يقدم اسمه للإله.

ففي التمثال رقم ٤٢١٤٣ الذي لم يبقَ منه إلا قطعة نشاهد الفرعون كذلك يزحف على الأرض، ويدفع أمامه اسمه المنحوت، وقاعدة هذا التمثال محلاة بفروع شجرة اللبخ التي كتب على ورقها اسم فرعون، وهذا هو نفس ما نشاهده على التمثال رقم ٤٢١٤٢، غير أن الشيء الذي يقبض عليه الفرعون قد فُقد، ولكنه بلا شك هو اسمه كما على التمثالين السابقين، وتدل كل شواهد الأحوال على أن هذه التماثيل قد عملت لأجل الاحتفال بالتتويج، إذ من المعروف أنه عند حفل التتويج كان اسم الفرعون، أو بعبارة أخرى: كل ألقابه تعلن رسميًّا، ثم يكتبها الآلهة على شجرة «هليوبوليس» المقدسة (شجرة اللبخ = پرسا)، وهذه الشعيرة مثلها كمثل شعيرة وضع التاج على رأس الملك، كانت من أهم الشعائر التي تُقام في هذا الاحتفال، ومن المحتمل أن هذه الشعيرة كان لها صلة بتقديم اسم الملك للإله، فكان الملك يزحف نحو الإله على مهل، دافعًا أمامه اسمه المنحوت، أو طغراءه، وهذه الحقيقة يمكن استنباطها من مناظر أخرى، فمثلًا: نشاهد «أمنحتب الثالث» في منظر يزحف نحو الإله «آمون» (؟).[١٧٠]

وأهمية تقديم الفرعون اسمه للإله عظيمة جدًّا، فما علينا إلا أن نذكر أهمية الاسم في السحر لنقف على معنى هذه الشعِيرة، فمعرفة اسم الإله أو اسم الشخص كانت تعطي

الساحر قوة مطلقة على صاحب الاسم، كما أوضحنا ذلك في قصة «إزيس»، وإله الشمس «رع» (راجع كتاب الأدب المصري القديم ج١ ص١١٢)، هذا بالإضافة إلى أن الأهمية العظمى للأسماء المنقوشة للحصول على حياة مخلدة معروفة تمامًا، كما أن المصريين كانوا يعتقدون أن الأسماء جزء أصلي من الشخص نفسه مثل: جسمه، وروحه، وقرينه، وظله، فإذا قدرنا كل هذه الحقائق حق قدرها استطعنا أن نقول: إن الفرعون عندما كان يقوم بشعيرة تقديم اسمه للإله، فمعنى ذلك أن الملك كان يضع نفسه تحت سلطان هذا الإله، وفي نفس الوقت يكون قد اكتسب لنفسه حياة مخلدة؛ لأن اسمه الذي أخذه الإله كان المعتقد فيه أنه سيحفظ على شجرة «البرسا» المقدسة في «هليوبوليس» (عين شمس)، وكما أن «باتا» في قصة الأخوين (راجع كتاب الأدب المصري القديم ج١ ص٨٧ إلخ) عائش ما دام لا يمكن الوصول إلى قلبه على قمة الشجرة التي وُضع عليها، فكذلك فرعون مصر كان يأمل أن يعيش مخلدًا؛ لأنه وضع اسمه على شجرة «هليوبوليس» المقدسة؛ حيث كانت أسماء الآلهة أنفسهم تُنعم هناك.[١٧١]

(ح) معبد الإله «تحوت» بمنف

تدل الوثائق التي في متناولنا، على أنه كان للإله «تحوت» معبد في مدينة «منف» يُدعى: «مرتاح القلب بماعت»؛ أي العدالة، وقد جاء ذكره في خطاب موظف أرسله لأحد مرءوسيه بتعليمات خاصة؛ إذ يقول فيه: لقد سمعت أنك قد أخذت ثمانية العمال الذين كانوا يعملون في معبد «بيت تحوت رعمسيس محبوب آمون» — له الحياة والفلاح والصحة — المسمى «مرتاح القلب بماعت» في «منف»، فيجب عليك أن ترسلهم لجرِّ الأحجار لـ «بولهول» في «منف» (راجع Br. A. R. III, § 530). وكذلك ذكر اسم هذا المعبد في بردية محفوظة بمتحف «تورين» (راجع F. Rossi et Plyte Papyrus de Turin pl. XIX, 3,6)، وقد كشف حديثًا الأثري مصطفى الأمير في منطقة «منف»، في حوض الوسادا، الواقع على الطريق الرئيسي المؤدي من «منف» إلى «سقارة»، عن تمثال من الجرانيت الأحمر للفرعون «رعمسيس الثاني»، يبلغ ارتفاعه مترين وأربعين سنتيمترًا، وهو يمثل هذا الفرعون واقفًا وباسطًا ذراعيه على فخذيه، وممسكًا بعصا في يده اليمنى، وأخرى في يده اليسرى، وتنتهي كل منهما برأس إله، وقد دلت النقوش التي عليهما أنهما للإلهين: «بتاح»، و«تحوت»، وقد نعت كل من الإلهين بالنعت الغريب: «الذي تحت زيتونته»، والنقش الذي على العصا التي في يده اليمنى خاص بالإله الطيب، الذي يعمل الطيبات لوالده «بتاح» الذي تحت زيتونته، أما المتن الذي على العصا الأخرى فللإله الطيب صانع تمثال والده «تحوت» الذي تحت زيتونته، ملك الوجهين القبلي والوجه البحري، سيد الأرضين «رعمسيس الثاني»، ونقش على سنادة التمثال فوق الكتف الأيمن: رب الأرضين «وسر ماعت رع ستبن رع» المحبوب مثل «تحوت» الذي تحت زيتونته، والظاهر أن هذه العبارة تدل على اسم التمثال، كما جرت العادة في إعطاء أسماء للتماثيل الضخمة، التي كانت تُنصب أمام المعابد؛ ليتعرف عليه الشعب، ويتعبدون له.[١٧٢]

أما النعت الذي تحت زيتونته فكان على ما يظهر ينعت به بعض الآلهة، وبخاصة «بتاح» و«حور» و«ست»، وقد قال عنه «بدج» إنه يدل على أحد الملائكة السبعة الذين يحرسون «أوزير» (راجع A. S. LXII p. 361 ff.). وتحدثنا الآثار أن هذا اللقب كان يُذكر كثيرًا مع الإله «تحوت» حتى عهد الأسرة العشرين. والآن يتساءل الإنسان: هل لهذا اللقب علاقة بزيت الإضاءة الذي كان يستخرج من شجرة الزيتون، وبوظيفة الإله تحوت الذي كان يمثل إله القمر الذي كان يضيء ليلًا (يوقد من شجرة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار)، وبخاصة إذا علمنا أن الإله «تحوت» قد مثل بهيئة قرد جالس تحت شجرة (راجع Bib. Egyptologique Vol 27).

والخلاصة هي أنه إذا كان هذا التمثال قد وجد في مكانه الأصلي فإنه يحدد لنا المكان الذي أقام فيه «رعمسيس الثاني» معبد هذا الإله.

ولا نزاع في أن هذا التمثال هو أحد الوثائق التي تقدم لنا فكرة عن عدد المعابد التي أقامها ملوك «الرعامسة» في عاصمة الملك الثانية التي كان لها شأن عظيم في تلك الفترة من تاريخ البلاد، وبخاصة إذا علمنا أن ملوك هذه الأسرة كانوا من أهل الدلتا، كما فصلنا القول في ذلك. وفي الحق قد دلت الكشوف الأثرية على وجود تسعة عشر معبدًا أقيمت في هذه المنطقة فعلًا، غير أن تحديد مواقع كثير منها لا يعرف حتى الآن كما نوهنا عن ذلك، وقد كشف حديثًا الأستاذ الدكتور أحمد بدوي مقرًّا لعجول «أبيس» في كوم الفخري (راجع A. S. XLII, p. 363).

(٤) مدينة «بررعمسيس»

تحدثنا في الجزء الرابع عن توحيد مدينة «تانيس»، أو «قنتير» بمدينة «بررعمسيس» على حسب ما أدلى به كل من الأستاذين «جاردنر»، و«حمزة بك» من براهين تعزز نظريته، غير أنه على ما يظهر قد أصبحت كفة توحيد «بررعمسيس» «بقنتير» الحالية أرجح، وإن كان الموضوع لا يزال معلقًا كما قلنا، وقد تناول الأستاذ «جاردنر» هذا الموضوع حديثًا،[١٧٣] وسنورد ملخص ما قاله عن هذه المدينة، وكذلك ملخص ما قاله الأستاذ «حمزة بك»؛ ليقف القارئ على ما وصل إليه هذا الموضوع من البحث، وإن كانت الكفة الراجحة — كما قلنا — أصبحت في جانب الأستاذ «حمزة بك».

فيقول الأستاذ «جاردنر»: إن مدينة «بررعمسيس مري آمون» التي تذكر كثيرًا في النقوش بوصفها مقر الحكم في الدلتا في عهد «رعمسيس الثاني»، وأخلافه قد وحدها بعض المؤرخين بمدينة «تانيس»، ووحدها آخرون ببلدة «قنتير» التي تبعد عن «تانيس» نحو تسعة عشر كيلومترًا، ومن «فاقوس» نحو تسعة كيلومترات، والفقرات الخاصة بهذه المدينة قد جمعها «جاردنر»[١٧٤] أولًا، وقال عنها في بادئ الأمر: إنها تقع عند «الفرما»، ولكنه

في مقال آخر[١٧٥] حدد موضعها في «تانيس» على حسب ما وصلت إليه نتائج أعمال الحفر الأخيرة، وبخاصة ما ذكره الأستاذ «مونتيه»[١٧٦] أخيرًا، وهو ما جاء على قطعة حجر من معبد «تانيس» الكبير، فيقول: «آمون» صاحب «بررعمسيس مري آمون» ذو الانتصارات العظيمة، وهذا النعت يذكر كثيرًا مع اسم «بررعمسيس» على الآثار المعاصرة لمؤسس المدينة، وبالاختصار ذكر في مقاله النهائي في هذا الصدد أن بلدة «أواريس» (حت وعرت) عاصمة الهكسوس، و«بررعمسيس» و«زعنتي» (تانيس) هي أسماء لمدينة واحدة سميت بها على التوالي في التاريخ، وقد وافقه على ذلك الأستاذ «يونكر»، وخالفه الأستاذ «فيل» في توحيدها مع «أواريس»، ويجد الأستاذ «جاردنر» عقبة في سبيل استنباطه توحيد «تانيس» مع «بررعمسيس»؛ إذ يقول: إن كلًّا من البلدين قد ذُكر منفردًا في قائمة أسماء «أمنمؤبي» التي هي موضوع كتابه الجديد، فيقول: لا يمكن أن ننكر — على أية حال — أن ذكر البلدين «بررعمسيس» و«تانيس» كل على حدة في البردية يُعد عقبة كأداء في توحيدهما، ولكن — مع ذلك — لا يجب علينا أن نعتقد في دقة ما جاء في هذه الورقة من كل الوجوه، ولهذا السبب وحده كان من المرغوب فيه أن نفحص بدقة أي رأي آخر، ولدينا الرأي الذي أبداه الأستاذ «حمزة» في مقاله عن الحفائر التي قام بها في بلدة «قنتير»، وهي التي يقترح فيها أن موقع «بررعمسيس» نفسها.[١٧٧]

والآن نذكر ملخص ما جاء في مقال الأستاذ «حمزة» أولًا، ثم نورد اعتراض الأستاذ «جاردنر» عليه، على الرغم من أنه اعترض على نفسه بوجود الاسمين كل منهما على حدة في قائمة جغرافية مصرية قديمة، وهاك ملخص كلام الأستاذ «حمزة»:

إن الأدلة الأثرية تعضد الرأي القائل بأن «قنتير» كانت على ما يظن مقر المُلك الشمالي للفراعنة منذ عهد «رعمسيس الثاني» حتى نهاية عصر «الرعامسة»، وكانت مقر الحكومة في الدلتا، والظاهر أن «سيتي الأول» كان أول من أقام فيها قصرًا ليجعله مكانًا لراحته بعد عودته من حروبه في «آسيا»، ولما جاء عهد «رعمسيس الثاني» رأى أنه تسهيلًا للقبض بيد من حديد على ممتلكاته في «آسيا»، وتخليص البلاد من غارات الساميين المتتالية أن يترك مقره في «طيبة»، ويجعله في الدلتا على مقربة من «فلسطين» ليقمع أي ثورة في مهدها؛ ولذلك يعد من الأمور الهامة في حكم «رعمسيس الثاني» انتخاب موقع «قنتير» ليكون مقره الملكي في الدلتا.

والواقع أننا وجدنا في الحقول والبيوت عوارض أبواب، وعتب نقش عليها اسمه، هذا بالإضافة إلى مئات القراميد، والزهريات المصنوعة من الخزف، والأشكال التي كانت تؤلف جزءًا هامًّا في تزيين القصر وزخرفته، على أن وجود مئات القوالب من الفخار المطلي باسم «سيتي الأول»، و«رعمسيس الثاني»، و«مرنبتاح الأول»، و«سيتي الثاني»، و«رعمسيس الثالث»، و«رعمسيس السابع»، و«رعمسيس العاشر» لبرهان على أن هؤلاء الفراعنة كانوا يقطنون في هذا القصر الذي كان يحلى بمنتجات مصنع خاص؛ وذلك ليكونوا على اتصال بأملاكهم الأسيوية. وكما قلت من قبل: كان «سيتي الأول» هو مبتكر هذه السياسة الحكيمة المثمرة في أول عهده؛ لأنه وجد أن حدود بلاده الشرقية كانت مهددة بالساميين

المغيرين الذين كان يطلق عليهم اسم «شاسو»، وكذلك كان في «قنتير» معابد للإله «آمون»، و«بتاح»، و«ست»؛ وهذا فضلًا عن محاريب لآلهة آخرين أقل أهمية، كما يشاهَد من قطع الجرانيت الضخمة التي لا تزال موجودة على سطح الأرض حتى الآن، وقد كان «آمون رع» هو الإله الرئيسي للمدينة بطبيعة الحال، وقد وجد اسمه وألقابه على كثير من الأشياء التي عُثر عليها في هذه البقعة، وكانت الضرائب تُجلب إلى «قنتير» حيث كانت الإدارات العامة للحكومة. وكان الموظفون طبعًا يبنون مساكنهم حول قصر الفرعون، إذ وجدنا آثارًا تحمل أسماء بعضهم مثل «ست حرخبشف» رئيس جيش «رعمسيس»، و«بتاح معي» رئيس كتبة المعبد المسمى «بيت ملايين السنين لرعمسيس الثاني في بيت رع»، والوزير «خعي» الذي كان مكلفًا بتنظيم الأعياد الثلاثينية في جنوبي البلاد وشماليها، وبعض القوالب كان عليها اسم حامل المروحة على يمين الملك، والكاتب الملكي، والمشرف على بيت رب الأرضين، كما نجد على غيرها الألقاب: حاجب الفرعون للعيد الثلاثيني الثالث للفرعون «رعمسيس الثاني» والحاجب الملكي للعيد الثلاثيني السادس للفرعون «رعمسيس الثاني». ومن المحتمل أن القصور والمساكن قد خربت في عهد الاضطرابات التي وقعت بين سقوط أسرة «الرعامسة»، وقيام أسرة «تل بسطة»، أما البقية الباقية فقد قضى عليها الأهلون الحاليون.

ومن المحتمل جدًّا إذن أن «قنتير»، و«بررعمسيس مري آمون» مقر الرعامسة المعروف في الدلتا موحدتان — وبعد ذلك يفند الأستاذ حمزة رأي الأستاذ «جاردنر» في أن بلدة «بلوزيوم» هي موقع العاصمة «بررعمسيس»، وهو نقد صائب وافق عليه جاردنر — ثم يستمر الأستاذ حمزة قائلًا: وعلى ذلك تكون «قنتير» — على أغلب الظن — هي «بررعمسيس»؛ إذ فيها على ما يظهر اتخذ «رعمسيس» مقره الشمالي، ولم يكن ذلك لأجل أن يكون آمنًا من محاصرة الأسيويين له إذا قاموا بغزو البلاد المصرية فحسب، بل لأجل أن يكون كذلك على اتصال بشئون البلاد، والإشراف على كل أملاكه الشمالية (وقد ذكرنا أسبابًا أخرى لاتخاذ «رعمسيس» العاصمة في الشمال راجع ج٤).

وهكذا نعود إلى الفكرة الأولى التي ذكرها «نافيل»، وهي التي يقول فيها: إن «رعمسيس» أقام عاصمته الجديدة في مقاطعة العرب التي كانت عاصمتها «فكوسا» الإغريقية، وهي «فاقوس» الحالية، لا «صفط الحنا» كما زعم «نافيل».

وتدل أعمال الحفر على أن آلهة «قنتير»، وآلهة «بررعمسيس» موحدة وهم: «آمون»، و«ست»، و«بتاح»، و«رع»، ويحمل كثيرًا من القوالب المصنوعة من الفخار المطلي التي عثر عليها في «قنتير» اسم «رعمسيس الثاني» مصحوبًا باللقب «بانتر»؛ أي الإله، وأخرى تحمل طغراء نفس الملك مصحوبًا بالنعتين «شمس الأمراء»، و«حاكم الحكام».

ومثل هذه النقوش لا تبرهن على أن «رعمسيس» كان ملكًا فقط في «قنتير» بل كان يلقب كذلك بلقب «شمس الأمراء»، و«حاكم الحكام»، وفي ورقة «أنسطاس» الخامسة نجد فقرات هامة عن «بررعمسيس» ذكر فيها «رعمسيس الثاني» أنه إله في المدينة ووزير،

ويلقب «شمس الأمراء»: «لقد بنى جلالته لنفسه قلعة اسمها عظيمة الانتصارات … «رعمسيس مري آمون» فيها بمثابة إله … والوزير شمس الأمراء.» وهذه الحقائق تحمل على الظن بتوحيد «قنتير» مع «بررعمسيس».

وكذلك «الاستراكا» الهيراطيقية التي عثر عليها في «قنتير»، وعليها اسم «بررعمسيس» تشير إلى إمكان وجود دنٍّ للنبيذ فيه أوانٍ مخزونة، لا لاستعمال المقر الملكي فحسب، بل كذلك لتموين الوجه القبلي بما يلزمه من النبيذ للمعابد؛ وهذا النبيذ على ما يظهر كان في حيازة موظف بالجيش يُدعى «وسر ماعت نخت»، كما تدل على ذلك النقوش الهيراطيقية. وأخيرًا لدينا نقطة أخرى لا بد من ذكرها مع التحفظ الشديد حتى يُفصل فيها بنتائج حفائر جديدة. فقد فسر لنا الأستاذ «جاردنر» بوضوح أن «ست»، أو «ستخ»، وهو أحد أعلام آلهة «بررعمسيس» كان كذلك الإله الرئيسي لبلدة «أواريس» عاصمة الهكسوس الحصينة، ولما كان اسم الإله «ست» يركب تركيبًا مزجيًا مع بعض ملوك الأسرة التاسعة عشرة مثل «سيتي»، و«ستنخت»، وأنه كذلك من المحتمل كان يُعبد في عهد «رعمسيس الثاني»، وأخلافه في عهدي الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين، فإن ذلك يجعل «بررعمسيس»، و«أواريس» مدينة موحدة، ولكن إذا كانت «قنتير» هي «بررعمسيس»، فإنه لا بد من البحث عن «أواريس» في مكان آخر بالقرب من «قنتير» إلخ. وقد وافق الأستاذ «حمزة» في رأيه الأستاذ الأثري «هايس»،[١٧٨] ووحد «قنتير» بمدينة «بررعمسيس»، وكذلك عضد «هايس» في رأيه الأستاذ «نيوبري»،[١٧٩] ويحتج «جاردنر» بأنه لم يعثر إلى الآن على معابد في «قنتير»، كما لم يكشف للآن عن قصر في هذه البقعة، وإن كان قد ذكر اسم قصر على جعران، وهو: «قصر رعمسيس محبوب آمون المحبوب مثل آتوم» في غربي ماء — «إتي»،[١٨٠] غير أن ذلك فيه شك؛ إذ يحتمل أن كلمة «إتي» هي اسم فرع للنيل، ثم يقول: وعلى أية حال لا بد أن يبقى حكمي النهائي معلقًا في هذا الموضوع. وأخيرًا نجد برهانًا آخر يعضد رأي الأستاذ حمزة بك، ويقضي نهائيًا على نظرية «جاردنر» القائلة: إن «تانيس» كانت في عهد «رعمسيس الثاني» تُدعى «بررعمسيس»، وذلك أنه عثر على خنجر ملك الأستاذ «جردزلوف» جاء عليه: «ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع ستبن رع»، محبوب «حور» رب «زعنت» (تانيس).»

ولذلك يقول «جاردنر»: إذا كان هذا الخنجر من عهد «رعمسيس الثاني» فإن كل نظريته عن أن «بررعمسيس» هي «تانيس» تنهار من أساسها، ولكنه يشك في أن هذا الخنجر من عصر هذا الفرعون.[١٨١] وهكذا يظهر من كل ما سبق أن رأي الأستاذ «حمزة» — على الرغم من عدم اتساع الحفائر التي قام بها في منطقة «قنتير» — أكثر احتمالًا من رأي الأستاذ «جاردنر» على الأقل لأمرين هامين، وهما؛ أولًا: أن المصري نفسه عندما كتب عن جغرافية مصر في قائمة أسماء «أمنمؤبي» قد فرَّق بين البلدين، وثانيًا: ما جاء على الخنجر من نقوش تثبت وجود اسم «تانيس» في عهد «رعمسيس» الثاني. ويغلب على الظن أن «تانيس» كانت العاصمة الدينية للوجه البحري، وبخاصة لأنها كانت مركز عبادة الإله «ست» الذي تنسب إليه الأسرة الحاكمة كما كانت «بررعمسيس» هي العاصمة السياسية،

على أن ذلك لا يمنع من أن «طيبة» كانت لا تزال حافظة لمركزها الديني؛ لأنها مقر «آمون». وكما قلنا في الجزء الرابع من هذا الكتاب كان فراعنة الأسرة التاسعة عشرة يريدون الابتعاد عن نفوذ كهنتها الذين كانوا قد تسلطوا تسلطًا عظيمًا على كثير من مرافق البلاد (راجع الجزء الرابع). وقد وصل إلينا خطاب نموذجي من الخطابات التي كانت تُعلَّم في المدارس في تلك الفترة، كتبه معلم يُدعى «أمنمؤبي» لتلميذه «بيبيس». وهذه الرسالة تصف لنا عظمة هذه المدينة، ورغد العيش الذي كان يتمتع به أهلها، وسنوردها فيما بعد، هذا وقد ذُكرت هذه المدينة في لوحة بركات الإله «بتاح».

وتدل شواهد الأحوال على أن هذه المدينة كان قد بُدئ العمل فيها في العهد الذي اشترك فيه «رعمسيس» مع والده في الحكم، بل يحتمل أن «رعمسيس» قد اتخذها مركزًا له، ولما توفي والده وانفرد بالحكم نقل الحكومة إليها.

(٥) أعياد «رعمسيس الثاني» الثلاثينية ومسلاته

لقد ظلت الآراء متضاربة عند علماء الآثار عن العيد «سد» الذي كان يحتفل به المصريون القدماء إلى أن كشف الدكتور «أحمد فخري» عن مقبرة «خيروف» كشفًا شاملًا بعد أن كان لا يُعرف عن نقوشها إلا الشيء القليل، ومن ثم بدأنا نعلم حقائق هامة عن هذا العيد (راجع ج٥)، غير أن تحديد المدة التي كان يُعقد فيها لا يزال غامضًا بعض الشيء. ومن نقوش حجر رشيد نفهم أنه كان يعقد كل ثلاثين سنة، ويؤكد هذا الزعم أن الاحتفال به يؤرَّخ بالسنة الثلاثين أو الحادية والثلاثين من حكم الفرعون الحاكم في أثناء الاحتفال به، وهذا العيد يمكن تكراره بعد فترات قصيرة من الاحتفال به للمرَّة الأولى في نفس حكم الملك. ولدينا أمثلة على ذلك، فقد احتفل به قبل السنة الثلاثين؛ إذ حدث أن أقيم في السنة الخامسة عشرة والثالثة والعشرين، وغير ذلك. وقد اقترح الأستاذ «زيته» أن مدة الثلاثين عامًا كانت تُحسب من يوم إعلان ملك المستقبل ولي عهد للبلاد.[١٨٢]

وظن الأستاذ «شبيجلبرج» أن معنى كلمة عيد «سد» هو الاحتفال بالاستيلاء على ذيل ابن آوى، وهو رمز للملكية في هذه المناسبة.[١٨٣]

وردًّا على الأستاذ «زيته» قال «إدوردمير»: إن «تحتمس الرابع» قد احتفل بعيد «سد» مرتين مع أنه لم يعِش أكثر من خمسة وعشرين عامًا،[١٨٤] ولكن رأي «إدوردمير» عن عمر «تحتمس الرابع» فيه شك كبير (راجع ج٥)، وعلى أية حال نجد «رعمسيس الثاني» يحتفل بعيده «سد»، أو العيد الثلاثيني ثلاث عشرة مرة على أقل تقدير.

والواقع أن هذا العيد على ما يظهر قد فقد الكثير من مراسيمه الأصلية كما فقد معناه، إذ كان على حسب ما جاء في مقبرة «خيروف» شمسي الصبغة في الأصل، ثم صُبغ بالصبغة الأوزيرية، ثم جمع بينهما معًا، وقد كان من بين مظاهره الشمسية إقامة المسلات احتفالًا

به؛ لأن المسلة كانت تُعد أبرز رمز للإله «رع» (راجع ج٥)، ومما يلفت النظر في أعياد «سد» التي احتفل بها الفرعون «رعمسيس الثاني» أنه لم يدوِّن على مسلاته الاحتفال بهذا العيد إلا نادرًا، ففي «تانيس» أقام هذا الفرعون حوالي اثنتين وعشرين مسلة لم يزَل باقيًا منها ثماني عشرة في حالة لا بأس بها، ومع ذلك لم نجده يذكر هذا العيد إلا على واحدة[١٨٥] منها.

والواقع أن هذه المسلات لم يُنقش عليها حتى الإهداء التقليدي الذي نراه على المسلات الأخرى التي أقامها الفراعنة أمثال «تحتمس الثالث»، والمسلتان الوحيدتان اللتان نقش عليهما إهداء من بين المسلات التي أقامها كلها على ما نعلم هما اللتان أقيمتا في معبد الأقصر،[١٨٦] وهاك النص فاستمع لما جاء فيه:

> لقد أقامها بمثابة أثر له لوالده «آمون رع» فنصب له مسلتين عظيمتين من الجرانيت»، والثانية قائمة الآن في «باريس»، وجاء عليها: «لقد أقامها «رعمسيس الثاني» بمثابة أثر له لوالده «آمون رع» فنصب له مسلة عظيمة تسمى «رعمسيس مري آمون»، ومحبوب «آتون».»

ولم نجد النقش المعتاد الذي كنا نجده على مسلات ملوك الأسرة الثامنة عشرة إلا على المسلة التي تركها «سيتي الأول» في «هليوبوليس» بلا نقش، وقد قام بكتابة متنها «رعمسيس الثاني»، غير أنه كان في هذه المرة كريمًا على غير عادته؛ إذ خصص ثلاثة من أوجه المسلة لنقوش والده، واكتفى هو بنقش واحد خلَّد عليه ذكراه. ويوجد خارج القطر من مسلات «رعمسيس» غير التي في «باريس» أربع، واحدة منها الآن في «رومة»، وواحدة في «فلورنس»، وقد أقام «رعمسيس» مسلتين في الكرنك.[١٨٧]

وفي «برلين» يوجد جعران نقش عليه متن يدل على الاحتفال بإقامة مسلات، وكذلك قطع من محاجر «إلفنتين»:[١٨٨] مسلتان يحتمل أن الذي أمر بهما «رعمسيس الثاني»، وقد احتفل الموظف المختص بذلك بذكرى إقامتهما في نقش على صخور جزيرة «سهيل»[١٨٩] جاء فيه: «سمير الملك الحقيقي، ومحبوبه الذي أدار العمل في المسلتين العظيمتين الكاهن الأعظم للإله «خنوم»، والإلهتين «عنقت»، و«ساتت» «أمنحتب».»[١٩٠]

والظاهر — كما قلنا — أن المسلة بعد أن كانت رمزًا شمسيًّا محضًا قد أصبحت بالتدريج مجرد أثر عادي الصبغة يقام لتخليد ذكرى الفرعون ومفاخره، ولا أدل على ذلك مما نقرؤه على نقوش مسلات «رعمسيس الثاني» التي أقامها في «تانيس»، إذ كل ما عليها من نقوش تمجد شجاعة الفرعون، وقهره للأعداء، ونسبته للآلهة، أما أهميتها في أنها تذكار للعيد الثلاثيني، فقد تلاشت تقريبًا، ولا أدل على ذلك من أن النقوش التذكارية التي تشيد بذكرى الاحتفال بالأعياد الثلاثينية الملكية توجد في الوجه القبلي من «الكاب» حتى «فيلة» منقوشة على الصخور، كأن الأمر وقتئذ كان يحتاج إلى تسجيل هذه الأعياد على آثار أخرى

غير المسلات، وهذا ما نشاهده في موضوع أعياد «رعمسيس الثاني» الثلاثينية التي احتفل بها مدة حياته، وهي أكثر من أعياد أي ملك آخر حكم مصر، ولا غرابة في ذلك فقد كان حكمه أطول حكم في الدولة الحديثة، كما أنه كان أعظم ملك أغرم بحب إقامة الآثار التذكارية في طول البلاد وعرضها؛ إذ الواقع أنه احتفل بهذا العيد، على حسب ما وصل إلينا حتى الآن، أكثر من ثلاث عشرة مرة، وها هي ذي:

(٥-١) التاريخ

(١) في «جبل سلسلة»: «السنة الثلاثون، أول عيد ثلاثيني ملكي لرب الأرضين «وسر ماعت رع» معطي الحياة مخلدًا، وقد أمر جلالته بالاحتفال بالعيد الثلاثيني في كل البلاد.» ويشاهد في أعلى هذا النقش صورة ابن الملك «خعمواست»، مرتديًا ملابس الكاهن الأعظم، ونقش معه «ابن الملك الكاهن «سم خعمواست» المنتصر».

(٢) وعلى صخور جزيرة «بجة»[١٩١] نجد النقش التالي:

> السنة الثلاثون، العيد الأول الملكي الثلاثيني، السنة الرابعة والثلاثون، إعادة العيد الملكي الثلاثيني، السنة السابعة والثلاثون، العيد الملكي الثالث الثلاثيني لرب الأرضين «وسر ماعت رع ستبن رع»، رب التيجان «رعمسيس مري آمون»، معطي الحياة مخلدًا.
>
> وقد كلف جلالته الكاهن «سم» — أي الكاهن الأكبر لمنف — ابن الملك «خعمواست» ليقيم الأعياد الملكية في كل البلاد.

وعلى صخور جزيرة «سهيل» نجد نقشًا جاء فيه:

> السنة الثالثة والثلاثون، إعادة العيد الملكي الثلاثيني لرب الأرضين «رعمسيس الثاني».[١٩٢]

(٣) النقش الثاني الذي على صخور «السلسلة»: يوجد على يمين المدخل لمعبد «حور محب» العظيم الذي نحته في صخور «السلسلة» نقش من عهد «رعمسيس الثاني» يشاهد في أعلى النقش «رعمسيس الثاني»، وابنه «خعمواست» يتعبدان للإله «بتاح»، والإله «سبك» رب جبل «سلسلة»، وهاك نص المتن:

> - السنة الثلاثون: أول عيد ثلاثيني ملكي.
> - السنة الرابعة والثلاثون: إعادة العيد الملكي الثلاثيني.
> - السنة السابعة والثلاثون: العيد الثالث الملكي الثلاثيني.
> - السنة الأربعون: العيد الرابع الملكي الثلاثيني.
>
> في عهد رب الأرضين «وسر ماعت رع»، رب التيجان «رعمسيس مري آمون» معطي الحياة مخلدًا، وقد أمر جلالته بتكليف الكاهن «سم» (كاهن منف الأعظم)، ابن الملك «خعمواست» ليحتفل بالعيد الملكي الثلاثيني في كل الأرض في الشمال وفي الجنوب.[١٩٣]

(٤) نقش «جبل السلسلة» الثالث: يوجد كذلك على شمال مدخل معبد «حور محب» في جبل السلسلة نقش من عهد «رعمسيس الثاني».[١٩٤]

ويشاهد فوق المتن منظر ممثل فيه «رعمسيس»، وابنه «خعمواست» يتعبدان أمام الإلهين «بتاح تاتنن»، و«آمون رع» ملك الآلهة. وهذا المتن صورة من المتن السالف، غير أنه يحتوي على غلطة؛ إذ يسمى عيد السنة السابعة والثلاثين العيد الرابع.

(٥) نقش «جبل السلسلة» الرابع: هذا النقش مدون على لوحة كبيرة تقع على يمين باب معبد «حور محب» المنحوت في الصخر في «جبل السلسلة»،[١٩٥] ويشاهد فوق المتن قبل

التواريخ الوزير «خعي» راكعًا، وفوقه نشاهد «رعمسيس الثاني» أمام الآلهة «آمون رع»، و«حور اختي»، و«ماعت»، و«رع سبك» إله السلسلة، وهاك المتن:

> السنة الثلاثون: أول عيد ملكي ثلاثيني.
>
> السنة الرابعة والثلاثون: تجديد العيد الملكي الثلاثيني.
>
> السنة السابعة والثلاثون: وهو العيد الملكي الثالث الثلاثيني.

ولكن يقول الأستاذ حمزة: إن العيد الثالث والسادس قد احتفل بهما في «قنتير» عاصمة «رعمسيس» على حسب رأيه هو (راجع A. S. XXX, p. 50)، ويعاضده في ذلك الأستاذ هايس.[١٩٦]

> السنة الأربعون، العيد الرابع الملكي الثلاثيني في عهد جلالة رب الأرضين «وسر ماعت رع»، رب التيجان: «رعمسيس مري آمون»، معطي الحياة مثل رع مخلدًا.
>
> قد أمر جلالته بتكليف الأمير الوراثي، والكاهن محبوب الإله، ونائب «نخن»، وكاهن «ماعت» وقاضي القضاة، والقاضي وعمدة العاصمة، والوزير «خعي» المظفر أن يحتفل بالأعياد الملكية الثلاثينية في كل الأرض جنوبيها وشماليها.

(٦) نقش جزيرة «سهيل»: وكذلك أمر «رعمسيس الثاني» بحفر نقش على صخور جزيرة «سهيل» عند الشلال الأول،[١٩٧] وهو:

> السنة الأربعون، لقد أتى ابن الملك الكاهن الأول للإله «بتاح» مرضيًا قلب رب الأرض «خعمواست» لإحياء العيد الملكي الثلاثيني (الرابع) في كل الأرضين

جنوبيها وشماليها.

(٧) نقش مدينة «الكاب»: هذا النقش — على حسب ما جاء في «لبسيوس» — نحت في معبد «أمنحتب الثالث»،[١٩٨] وقد مثل في أعلى اللوحة «خعمواست» بن «رعمسيس الثاني» في صورة «أوزير» وهاك النص:

> السنة الأربعون، لقد حضر ابن الملك الكاهن الأول للإله «بتاح» إرضاء لقلب رب الأرضين «خعمواست» لإحياء العيد الملكي الخامس الثلاثيني في كل الأرض.

(٨) نقش جبل «السلسلة» الخامس: «السنة الثانية والأربعون، الشهر الأول من الفصل الثاني، اليوم الأول من عهد الملك «رعمسيس الثاني» معطي الحياة مخلدًا وسرمديًّا، لقد أمر جلالته بأن يكلف الوزير «خعي» بالاحتفال بالعيد الملكي الخامس للملك «رعمسيس الثاني» في كل الأرض.»

(٩) نقش جبل «السلسلة» السادس: هذا النقش نُحت على لوحة على يمين مدخل المعبد الذي نحته «حور محب» في جبل «السلسلة»، وفوق المتن نشاهد «رعمسيس الثاني» تصحبه الإلهة «ماعت» أمام الآلهة «آمون»، و«موت»، و«خنسو»، و«حور اختي»، و«سبك» إله السلسلة، ونشاهد تحت المتن الوزير «خعي» راكعًا وأمامه متن للعبادة، ونص المتن الخاص بالعيد هو:

> السنة الرابعة والأربعون (وفي متن شامبليون السنة الخامسة والأربعون) الشهر الأول من الفصل الثاني، اليوم الأول من الشهر في عهد جلالة الملك رب الأرضين «وسر ماعت رع ستبن رع» معطي الحياة مخلدًا … ابن «رع» رب التيجان «رعمسيس مري آمون» معطي الحياة مثل «رع» مخلدًا، لقد أمر جلالته بتكليف الأمير الوراثي، والكاهن محبوب الإله رئيس العدالة والقاضي وعمدة المدينة

الوزير «خعي» المظفر ليحتفل بالعيد السادس الملكي الثلاثيني في كل البلاد جنوبيها وشماليها.

(١٠) وفي معبد «أرمنت» كُشف حديثًا عن بعض نقوش على بوابة المعبد عند المدخل من الجهة الشرقية للباب تحدثنا عن أعياد ثلاثينية احتفل بها هذا الفرعون في هذا المعبد، وهي:[١٩٩]

السنة الرابعة والخمسون، الشهر الأول من فصل الشتاء في عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع» ابن الشمس «رعمسيس الثاني»، محبوب «آمون» معطي الحياة، أمر جلالته بتكليف الكاتب الملكي والمدير العظيم لمعبد «الرمسيوم» في ضِياع «آمون» المسمى «إيوبا» لإعلان العيد التاسع الثلاثيني للملك «وسر ماعت رع» … كما كلف الوزير «نفررنبت» بالاحتفال بهذا العيد في السنة السابعة والخمسين، وكذلك السنة الستين، كما سيأتي بعد.

وقد وجدت على جدران هذه البوابة سنين أخرى تنبئ بالاحتفال بهذا العيد في نفس الشهر واليوم في السنين الحادية والخمسين، والثالثة والستين، والخامسة والستين، أو السادسة والستين، والتاريخ الأول يدعو إلى الغرابة والحيرة في تسلسل هذه الأعياد، غير أنه من الجائز أن يكون تاريخ عيد سابق، وعلى ذلك يكون إما العيد السابع أو الثامن، أما التاريخ الثاني والثالث فيكونان للعيدين الثاني عشر والثالث عشر. وعلى أية حال فإن هذه النقوش من الأهمية بمكان؛ لأننا كنا لا نعرف — حتى كشفها على حسب ما جمعه «برستد» — إلا سبعة أعياد ثلاثينية لـ «رعمسيس الثاني»، أما الآن فتحدثنا النقوش عن نحو ثلاثة عشر أو أربعة عشر عيدًا كان يحتفل بها بعد مضي بضع سنين في نهاية حكم «رعمسيس» الطويل الذي أربى على سبع وستين سنة.[٢٠٠]

ويلاحظ أن المكلف بإعلان هذا العيد في هذه النقوش كان في الحالة الأولى أحد الأشراف العظام في البلاط، وقد كان يحمل لقب كاهن من أصحاب المكانة، وفي الحالة الأخرى كلف بإقامته دفعتين وزيره العظيم «نفررنبت»، ويلحظ أن نفس الكلمات التي استُعملت في هذه المتون هي نفس الكلمات التي استُعملت في العيد الخامس في نقوش «جبل السلسلة». وقد استعمل الأستاذ «برستد» كلمة «سر» بمعنى يحفل، ولكنها تعني إعلان العيد القادم بواسطة حاجب، ونرى في نقوش «جبل السلسلة» أن الذي كان مكلفًا بإقامة

هذا العيد هو ابنه «خعمواست»، ومن بعده الوزير «خعي»، وقد كان الموظفون أصحاب الرُّتب العالية يشتركون في إقامة هذا العيد كما نعلم في نقوش «بوصير»، و«تل بسطة»، وكما شاهدنا في العيد الثلاثيني الذي أقيم في عهد «أمنحتب الثالث» (راجع ج٥).[٢٠١]

ومن كل هذه النقوش نفهم أن هذه الأعياد لم يتبع في تدوين متونها تلك الأبهة والفخامة التي كانت تسير على نهجها ملوك الأسرة الثامنة عشرة عندما كانوا يقيمون لها المسلات الضخمة تكريمًا لهذا العيد، بل على ما يظهر نجد أن «رعمسيس الثاني» قد اكتفى بحفر نقوشها على صخور بلاد النوبة وبعض المعابد، ويحتمل أنه قد فعل ذلك وبالغ في تكرارها؛ لأن العاصمة كانت في الوجه البحري، وأنه كان يريد أن يذكِّر سكان مملكته النائين بعظمته وفخاره، وإن كان الاحتفال نفسه يقام في العواصم السياسية والدينية. ومما يلفت النظر في كل هذه النقوش أن الفرعون لم يكلف بها ابن الملك حاكم بلاد النوبة، بل كان يكلف بنقشها إما بكر أولاده الذي كان سيخلفه على العرش، أو وزيره الأكبر بوجه عام؛ ولذلك فإنه من المهم جدًّا، إذا أتيحت لنا الفرصة، أن نعلم لماذا كان هؤلاء الأشخاص بالذات يكلفون القيام بهذه المهمة، وكذلك نعلم العلاقة الخاصة لبلدة «أرمنت» بهذا الحفل.

(٦) الآثار والمباني الصغيرة الأخرى التي خلفها «رعمسيس» في أنحاء القطر

كانت آثار «رعمسيس الثاني» منتشرة في أنحاء القطر لدرجة تفوق حد المألوف، حتى إنه لا تكاد توجد بقعة أثرية إلا له فيها أثر. وقد ذكرنا أهمها من الوجهة التاريخية أولًا، وسنذكر هنا بعض آثاره الهامة المبعثرة في أنحاء القطر متوخين في ذلك الاقتصاد بقدر المستطاع؛ إذ إن تعدادها كلها يخطئه الحصر.

(٦-١) «سرابة الخادم» (في سينا)

كان من الطبعي أن نجد لهذا الفرعون الذي اشتهر بعظم مبانيه آثارًا في تلك الجهات التي اشتهرت بما فيها من أحجار ومعادن، والنقوش التي وجدت هناك كلها تذكارية، نقشها رؤساء البعوث تخليدًا لوفودهم على هذه البلاد النائية لاستخراج الأحجار منها، والواقع أنه قد وجد لهذا الفرعون لوحات مؤرخة بالسنة الثانية من حكمه؛ أي عندما كان نشاطه عظيمًا في إقامة المعابد في طول البلاد وعرضها. وفي أعلى إحدى هذه يشاهَد «رعمسيس» يقدم إناءين من الخمر لإله برأس صقر (حور)، وفي أسفل المنظر النقش التالي: «السنة الثانية، يعيش «حور» الثور القوي، محبوب الإلهين، حامي مصر، وهازم البلاد الأجنبية «حور الذهبي»، الكثير السنين، عظيم الانتصارات، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، حاكم الأقواس التسعة، مختار «رع» في سفينته، رب الأرضين … الحاكم القوي، رئيس كل البلاد

الأجنبية مثل والده «آمون رع» ملك الآلهة، ورب السماء «وسر ماعت رع ستبن رع» ابن الشمس، رب التيجان «رعمسيس»، محبوب «آمون»، محبوب «حتحور» سيدة الفيروزج، وسيدة السماء، وربة الأرضين.» ونشاهد أسفل هذا موظفين من رؤساء رماة جلالته، وهما يتعبدان لطغراء «رعمسيس الثاني»،[٢٠٢] وكذلك وجدت لوحة أخرى في نفس المكان رُسم عليها «رعمسيس الثاني»، وملكة يتعبدان للإله «حتحور».[٢٠٣]

- (١) وفي «سرابة الخادم» كذلك وجد له قطعة من الحجر منقوشة، وقد ظهر عليها موظف يُدعى «عشو حب سد» يحمل مروحة وشرائط، يتعبد للملك «رعمسيس الثاني».[٢٠٤]
- (٢) قطعة أخرى من الحجر صور عليها «رعمسيس الثاني»، وملكة تقدم قربانًا لإله، وقد جاء في هذا النقش اسم الوزير «باسر».[٢٠٥]
- (٣) ونجد كذلك نقوشًا للملك «رعمسيس الثاني» على عمد معبد «سرابة الخادم»، وعلى جزء من عتب «باب»،[٢٠٦] وكذلك على عارضة «باب».[٢٠٧]
- (٤) ووجدت له لوحة مهشمة رُسم عليها الفرعون يتبعه ابنه «مري آمون»، وكذلك نجد عليها اسم رئيسي الرماة «امنمأبت»، و«عشو حب سد».[٢٠٨]
- (٥) لوحة مهشمة أهداها رئيس الرماة «عشو حب سد»، وقد نقش عليها طغراءا «سيتي الأول»، و«رعمسيس الثاني»، ويحمل «رعمسيس الثاني» في هذه اللوحة لقب «وسر ماعت رع»، ولكنه يُدعى ابن الملك،[٢٠٩] وهذا دليل آخر يعزز الرأي القائل بأن «رعمسيس الثاني» كان مشتركًا مع والده في الملك كما سلف.
- (٦) قطعة من تمثال نقش على جانبها الأيسر صورة بنت «عنتا» ابنة الفرعون «رعمسيس الثاني»، وتلقب هنا «بنت الملك، والزوجة الملكية العظيمة».[٢١٠]
- (٧) قطع من تمثال للملك «رعمسيس الثاني»، والإله «حتحور»، وكذلك قاعدة تمثال آخر.[٢١١]

- (٨) وقد أقام «ست حتب» لوحة هناك في السنة الخامسة من عهد هذا الفرعون، كما أقام «ست نخت» لوحة أخرى مؤرخة بالسنة السادسة في «سرابة الخادم»، ولا بد أنهما كانا قد أرسلا من قبل هذا الفرعون لقطع الأحجار (راجع في Petrie Hist. III, p. 102).

- (٩) وتوجد له كذلك لوحة مؤرخة بالسنة الخامسة، وأخرى بالسنة الثامنة.[٢١٢]

ومن هذه النقوش نعلم أن «رعمسيس الثاني» كان صاحب نشاط لاستخراج الأحجار الثمينة، وغيرها من الأحجار الضخمة لمبانيه العظيمة في أول حكمه.

(٦-٢) أبو قير

يوجد في «متحف الإسكندرية» بعض آثار للفرعون «رعمسيس الثاني» جيء بها من «أبو قير»، وهي:

- (١) تمثال ضخم من الجرانيت الأحمر، عثر عليه «دانيوس باشا» في «أبو قير»،[٢١٣] نحت على جانبه الأيسر صورة ابنته، وزوجته المسماة «حنت مري رع».[٢١٤]

- (٢) وعثر له على تمثال «بولهول» من الحجر الرملي مغتصب، كما تظهر ذلك النقوش.

- (٣) وعلى قطعة حجر من جدار يظهر «رعمسيس الثاني» بوصفه الإله[٢١٥] «تاتنن» (؟).

- (٤) وكذلك عثر له على تمثال أهداه للإله «آمون رع» ملك الآلهة.[٢١٦]

- (٥) وفي نفس المتحف نجد قمة هرم من الحجر الرملي نقش عليها اسمه.[٢١٧]

(٦-٣) الإسكندرية

- (١) ووجد له في «الإسكندرية» تمثال من الجرانيت على الميناء شمالي الجمرك.[٢١٨]

- (٢) تمثال من الجرانيت الأسود وجد للإلهة «سخمت» كتب عليه اسم «رعمسيس الثاني»، ويحتمل أنه من معبد «آمون» «بالكرنك».[٢١٩]

- (٣) تمثال من الجرانيت الأحمر بدون رأس باسم «رعمسيس الثاني»[٢٢٠] في متحف «الإسكندرية».
- (٤) وقد كتب «رعمسيس الثاني» اسمه على مسلتي «تحتمس الثالث» التي نقلت إلى «الإسكندرية»، وهما المعروفتان بمسلتي «كليوباترا» (راجع ج٤).
- (٥) وفي «سيزاريوم» عثر على قطعة من محراب عليها اسم «رعمسيس الثاني».[٢٢١]

(٦-٤) القنطرة

وفي «تل أبو صيفة» وجدت قطعة حجر من قاعدة مهداة من «رعمسيس الثاني» للإله «حور-مين».[٢٢٢]

(٦-٥) تل الفراعين

عثر على جزء من تمثال من الجرانيت للإلهة «بوتو» (وازيت) أهداه لها الفرعون «رعمسيس الثاني»، ويحتمل أنه كان في محراب.[٢٢٣]

(٦-٦) «شديا» (؟)

وفي «شديا» عثر على قطعة حجر عليها اسمه.[٢٢٤]

(٦-٧) كوم الأبقعين

وفي بلدة «الأبقعين» الواقعة في مديرية البحيرة مركز «أبو المطامير» عثر على قطعة الحجر الجيري من باب لمبنى مخرب مكتوب عليها اسم «رعمسيس»،[٢٢٥] ويظهر أنها كانت جزءًا من باب.

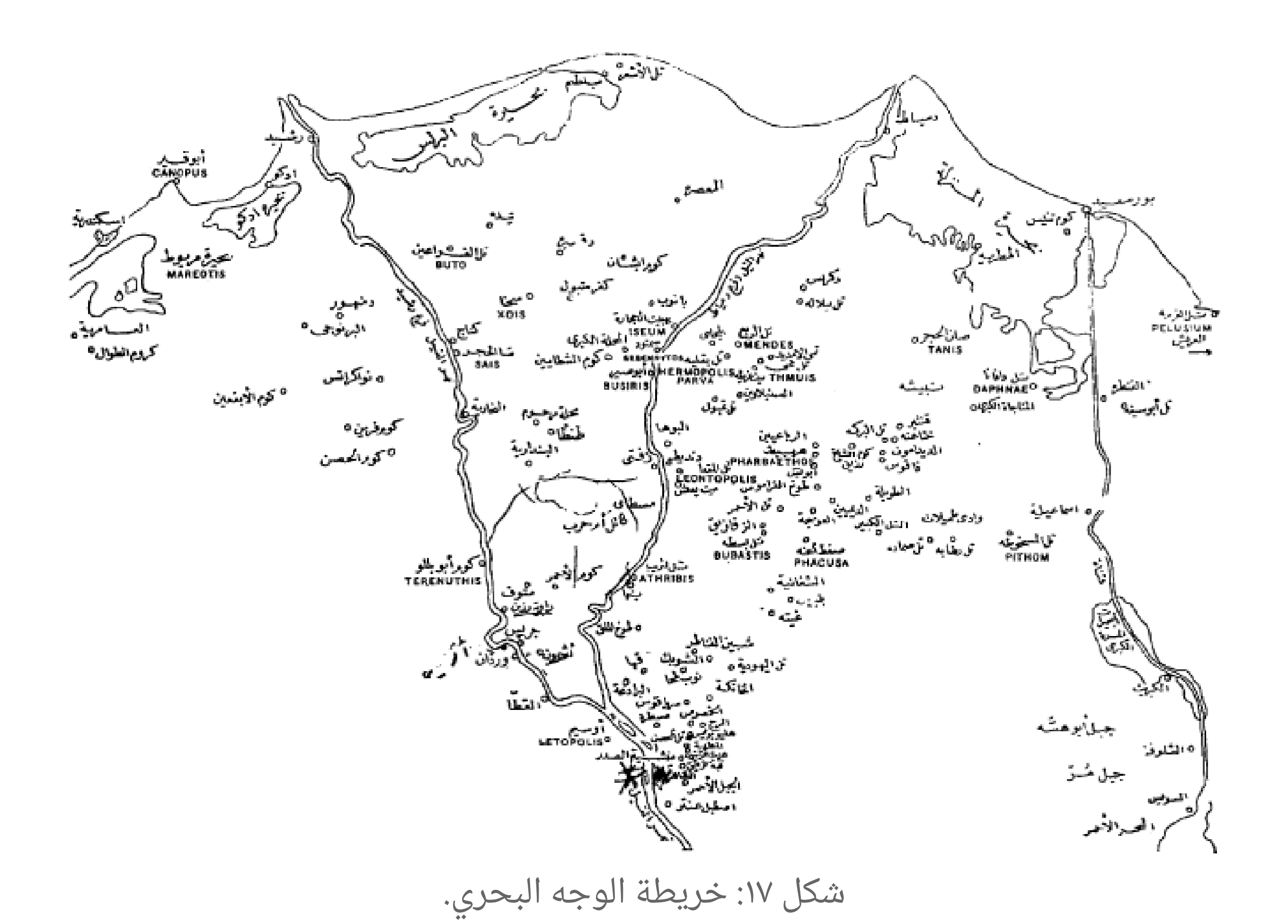
(٦-٨) كوم الحصن

وفي «كوم الحصن» وجد لهذا الفرعون تمثالان من الجرانيت الأحمر، ويحتمل أنهما في الأصل لملك من الدولة الوسطى، واغتصبهما لنفسه «رعمسيس الثاني» كما وجدت مجاميع تماثيل، وتماثيل منفردة في هذا المكان.[٢٢٦]

وقد وجد له هذا العام في الحفائر التي يقوم بها الأستاذ «حمادة» الجزء الأسفل من تمثال مزدوج هو والإلهة «حتحور» واقفين (تقرير مصلحة الآثار).

(٦-٩) قنتير

عثر فيها على آثار عدة لـ «رعمسيس الثاني» (راجع ما كتب عن «بررعمسيس»). ويتحدث الأستاذ «مونتيه» عن «قنتير» فيقول:[٢٢٧] على مسافة قريبة من «الختاعنة» تقع قرية «قنتير» الجميلة، تلفَّها خمائل النخيل الباسقة، وتشمل عوارض أبواب، وقطعًا من لوحات، وقد عملت فيها حفائر منذ عشرة أعوام كان لها ثمرة مجدية، فمنها قطع خزف من عهد «سيتي الأول»، و«رعمسيس الثاني»، وكذلك وجد فيها عدد عظيم من «الاستراكا» المنقوشة بالخط الهيراطيقي من نفس العصر، وخلافًا لذلك لوحظ على بعض الأواني التي كانت مملوءة بالنبيذ (نبيذ «بررعمسيس»)، وقد استنبط البعض — يقصد بذلك الأستاذ حمزة بك — من ذلك أن مقر «رعمسيس» الشهير في «الدلتا» الذي كان يسمى «بررعمسيس» هو «قنتير» نفسها، وهذا الاستنباط مبالغ فيه بعض الشيء؛ وذلك لأن المتون العدة القديمة الخاصة بالمقر الملكي تجيز أن نقرر وجود بعض حقائق نعلم منها أن هناك مكانًا آخر قديمًا تتوافر فيه هذه الشروط، ويستحق أن نجعله هو المقر لهذه العاصمة، وأعني بذلك «تانيس». ولا يفوتنا أن نتجاهل أن الضِّياع الملكية كانت شاسعة جدًّا، وتحتوي على قصور رحبة، كان الملك والأمراء يتخذون مساكنهم فيها، كما كان الموظفون الآخرون يقطنونها، وكانت تُتخذ مكانًا للمؤن، وتُزرع فيه الحدائق والخمائل والحبوب، وتُقام فيها برك للصيد. فإذا كان في «قنتير» كروم لعمل النبيذ ومساكن ملحقة بالعاصمة، فإن هذا يعد من الأمور الممكنة جدًّا (راجع Montet Tanis p. 19).



شكل ١٧: خريطة الوجه البحري.

ومن هذا نرى أن «مونتيه» لا يزال يميل إلى توحيد «بررعمسيس» بـ«تانيس»، وقد فاته أن صاحب هذه الفكرة قد أخذ يتراجع بعض الشيء في التمسك برأيه، وأخذ ينظر بعين الجد إلى ما قرره الأستاذ «حمزة» على ضوء الكشوف الحديثة، هذا فضلًا عن أن الحفائر التي يقوم بها الأستاذ «لبيب حبشي» في هذه المنطقة تدل نتائجها على أن ما قرره «حمزة بك» هو الرأي الصواب.

(٦-١٠) «نبيشة» (تل فرعون)

وجد فيها تمثال «رعمسيس الثاني» أهداه لإلهة هذه الجهة المسماة «وازيت»، وهي في المقاطعة التاسعة عشرة (أميت) التي كانت تُعبد فيها الإلهة «وازيت».[٢٢٨]

(٦-١١) «صفت الحنا» (عاصمة المقاطعة العشرين من مقاطعات الوجه البحري)

وجدت باسم هذا الفرعون قطعتان من الجرانيت الأسود من تمثال ضخم، وكذلك قطعتان أخريان من تمثال من البازلت[٢٢٩] باسم «رعمسيس الثاني» أيضًا، والظاهر أنه أقام معبدًا في هذه الجهة.

(٦-١٢) «صان الحجر» (تانيس)

لا نزاع في أن «تانيس» كانت تُعد من أهم المدن المحببة إلى ملوك الأسرة التاسعة عشرة، وبخاصة لما ذكرناه عنها آنفًا من أنها كانت محل عبادة الإله «ست» الذي ينسب إليه ملوك هذه الأسرة، وقد فصلنا القول في ذلك في (الجزء الرابع) عند التحدث عن لوحة «أربعمائة السنة»، وقد أقام فيها «رعمسيس الثاني» مباني ضخمة هامَّة، وبخاصة مسلاته التي يبلغ عددها نحو اثنتين وعشرين مسلة، ويلحظ هنا أنه اغتصب آثارًا عدة من الملوك السالفين، ونقلها إلى هذه المدينة، ونسبها لنفسه، ومع ذلك نجد أنه أعاد بناء معبدها على طراز جديد، وآثاره الأصلية هنا تشمل التمثال الضخم الذي يبلغ ارتفاعه اثنتين وتسعين قدمًا، وكذلك أربعة تماثيل ضخمة من حجر «الكوارتسيت»، وثماني لوحات من الجرانيت يتراوح ارتفاعها بين تسع أقدام وتسع عشرة قدمًا، وعمودين ارتفاع كل منهما نحو عشرين قدمًا، وأجزاء كثيرة من الجرانيت، أما التمثال الهائل السالف الذكر الذي وُجدت منه قدمه، وبعض أجزاء أخرى فقط، فيعد أعظم تمثال نصبه هناك، ولا بد أنه كان يشرف على مباني المعبد، ويمكن رؤيته على مسافة عدة أميال من السهل، عندما كان يقترب الإنسان من زيارة هذه البلدة.

أما الآثار التي اغتصبها «رعمسيس» من عصر الدولة الوسطى، وعصر الهكسوس، مما كان قد أقيم في هذه البلدة، فتفوق بكثير ما عمله لنفسه في هذا المعبد.[٢٣٠]

(٦-١٣) هربيط

وجد لهذا الفرعون آثار كثيرة، نُقلت إلى «متحف هلد سهايم» في أواسط ألمانيا، أهمها ثلاث لوحات مثل عليها «رعمسيس الثاني» وهو يقدم القربان لتمثاله،[٢٣١] وكذلك يوجد في المتحف نفسه لوحة لضابط يُدعى «موسى»، ومعه رجال الجيش يتقبلون الإنعامات من «رعمسيس الثاني»، وهي حلقات من الذهب.[٢٣٢]

(٦-١٤) تل بسطة

وجد في المعبد الكبير لهذه البلدة جزء من مجموعة تماثيل من الجرانيت الأسود، عليها اسم هذا الفرعون.[٢٣٣] وفي القاعة الأولى من المعبد وُجد له أربعة تماثيل ضخمة من الجرانيت الأحمر، مقامة أمام قاعة الأعياد الثلاثينية،[٢٣٤] ولا تزال قواعدها في أماكنها الأصلية. أما التماثيل فنُقلت إلى «المتحف البريطاني»، ومتحف «برلين»، ومتحف

«كوبنهاجن»، ووجدت له لوحة صغيرة كذلك عند مدخل قاعة الأعياد الثلاثينية،[٢٣٥] ونجد على آثار هذا المعبد اسم الأمير «مرنبتاح» بن «رعمسيس الثاني» الذي خلفه على عرش الملك، وكذلك اسم الأمير «خعمواست».[٢٣٦]

وكان أمام مدخل المعبد تمثالان ضخمان منصوبان؛ أحدهما: الآن في «المتحف المصري» والثاني: في «لندن». ومما يلفت النظر في هذا المعبد أن «رعمسيس الثاني» قد استعمل أحجارًا في مبانيه هنا من عهد الدولة القديمة، عليها اسم «خوفو» و«خفرع».

أما المعبد الصغير الذي أقامه «رعمسيس» في هذه الجهة — ويبعد نحو نصف كيلومتر عن المعبد الكبير — فقد ترك فيه آثارًا قليلة.[٢٣٧]

(٦-١٥) «تل الربع» (منديس)

كان يوجد في هذه المدينة، وهي عاصمة المقاطعة السادسة عشرة من مقاطعات الوجه البحري، معبد غير أنه أزيل عن آخره جملة، ومن بين أنقاضه إناء من الجرانيت، عثر عليه عند مدخل طريق «بولهول»، كما وجدت قطع من ودائع الأساس باسم كل من «رعمسيس الثاني»، و«مرنبتاح»، وقد ذكر على واحدة منها متن باسم «رعمسيس الثاني».[٢٣٨]

(٦-١٦) «بهبيت الحجارة» (الواقعة جنوبي المنصورة)

وبها معبد عثر فيه على قطع من الحجر، نقش عليها اسم «رعمسيس الثاني».[٢٣٩]

(٦-١٧) «تل طنبول» (بمركز السنبلاوين)

عثر المسمدون على قطع حجر باسم «رعمسيس الثاني» من «العصر الساوي».

(٦-١٨) «تل المقدام» (مركز ميت غمر)

وجد لـ «رعمسيس الثاني» قاعدة تمثال واقف من الجرانيت الأحمر في هذا المكان،[٢٤٠] كتب عليها «رعمسيس الثاني» المحبوب مثل «بتاح».

(٦-١٩) «دنديت» (مركز ميت غمر)

وجدت فيها قطع من تماثيل ضخمة من الجرانيت لـ «رعمسيس الثاني»، ويحتمل أنها منقولة من بلدة «تل المقدام» القريبة منها.[٢٤١]

(٦-٢٠) بلجاي

عثر فيها على لوحة عليها اسم ضيعة «رعمسيس الثاني»، وهي الآن «بالمتحف المصري»، [٢٤٢] غير أن اللوحة تشير إلى الملكة «توازرت».

(٦-٢١) «تل أم حرب»، أو «تل مسطاي» (مركز زفتى)

وجدت فيه قطع حجر نقش عليها اسم «رعمسيس الثاني»، [٢٤٣] وكذلك رسم عليه صور له، وهو يقدم القربان لبعض الآلهة كما كان يقدم «ماعت» (العدالة).

(٦-٢٢) «البرنوجي» (بدمنهور)

عثر فيها على بعض أحجار، نقش عليها اسم «رعمسيس الثاني»، [٢٤٤] منها قطعة من الجرانيت كتب عليها اسمه، ولقبه، وبعض نعوته مثل: «ومن الخوف منه في كل الأراضي إلخ.»

(٦-٢٣) «كوم فرين» القريبة من «الدلنجات» مديرية البحيرة

عثر في هذا الكوم على قاعدتي عمودين من الحجر الجيري عليهما اسم «رعمسيس الثاني». [٢٤٥]

(٦-٢٤) «كوم القلزم» بالقرب من السويس

عثر في هذا المكان على قطعتين من الحجر عليهما اسم «رعمسيس الثاني». [٢٤٦]

(٦-٢٥) «تل المسخوطة» (بيتوم)

عاصمة المقاطعة الثامنة من مقاطعات الوجه البحري.

- (١) بها معبد مخرب، وقد وجد فيه ثالوث من الجرانيت الوردي، يتألف من «رعمسيس الثاني» جالسًا بين الإلهين «آتوم»، و«خبري»، والإله الأخير يلبس على رأسه قرص الشمس منقوشًا عليه جعران مجنح. [٢٤٧]
- (٢) ثالوث من الجرانيت الأحمر مثل فيه «رعمسيس» جالسًا بين الإلهين «حور اختي»، و«خبري».

(٣) لوحة من الجرانيت الأحمر الوردي محلاة من جهاتها الأربع، وعلى أحد أوجهها الرئيسية نشاهد «رعمسيس» يقدم تمثال العدالة للإله «حور اختي» الذي يقدم له بدوره الحياة، وملايين السنين.

(٤) ولوحة أخرى لـ «رعمسيس» أقل حفظًا من السابقة، ومحراب من الجرانيت المحبب يشاهَد فيه «رعمسيس» يحتفل بالأعياد الثلاثينية.

(٥) وتمثال «بولهول» من الدولة الوسطى، اغتصبه أحد ملوك الهكسوس، ثم اغتصبه ثانية «رعمسيس الثاني»، وهو من الجرانيت الأسود.[٢٤٨]

(٦) وصقر يحمي طغراء «رعمسيس الثاني» من الجرانيت الأسود، وهو الآن «بالمتحف البريطاني» (راجع Tanis p. 16).

(٧) وكذلك وجدت على القناة بالقرب من «الكبريت» لوحتان لـ «رعمسيس الثاني»، وهما الآن «بمتحف الإسماعيلية» (راجع Tanis p. 15-16)، وقد نصبت إحداهما على هضبة تشرف على منخفض القناة ومنقوشة من وجوهها الأربعة، ويشاهَد على أحد وجهيها الرئيسيين صورة الإله «ست» برأس إنسان كالتي نشاهدها على لوحة «أربعمائة السنة»، ونقرأ على وجهيها الثانويين اسم الإله «ست»، وزوجه الإلهة «عنتا»، ونرجح أن صورتهما كانت على الوجهين الممحوين. أما اللوحة الأخرى فعلى مسافة ثمانية كيلومترات من الأولى، وقد لحق بها عطب كبير، ونشاهد على الوجه المحفوظ منها بعض الشيء «رعمسيس الثاني» يقدم البخور للإله «سبد» رب الشرق، وصاحب مقاطعة العرب. ومما يلفت النظر أننا نجد على الوجه المقابل للسابق اسم الإله «بعل»، وهو الذي أصبح له — منذ عهد «رعمسيس الثاني» — محراب من «منف» يطلق عليه اسم «بعل سابونا»، وقد حاول البعض أن يوحد مكان هذه اللوحة بالمحط الذي قبل الأخير من المحاط التي وقف عندها اليهود عند خروجهم من مصر، وهي التي يطلق عليها اسم «بلسفون»، ولكن مثل هذه الاستنباطات يجب أن يقرأها الإنسان بحذر.

وقد كشف الأثري «كليدا» على مسافة قريبة من هذه اللوحة عن معبد صغير أقامه «رعمسيس الثاني» مهدى للإلهين «ست» و«حتحور» سيدة الفيروزج (Tanis. P. 17).
[٢٤٩]

(٦-٢٦) تل رطابة

عثر في هذا التل على بقايا معبد للإله «آتوم» (؟) على ما يظن، أقامه «رعمسيس الثاني»، وقد وجد فيه جزء من واجهة المعبد الشمالية، وقد مثل عليها الفرعون وهو يضرب السوريين أمام الإله «آتوم»، كما وجد جزء آخر مثل فيه هذا الفرعون وهو يضرب هؤلاء الأعداء أمام الإله «ست»، وكذلك عثر فيه على تمثال مزدوج يمثل الفرعون، والإله «آتوم» في ردهة المعبد.[٢٥٠]

(٦-٢٧) تل اليهودية

أقام «رعمسيس الثاني» معبدًا في هذه الجهة في الجزء الشمالي الشرقي من «سور المعسكر»، وقد عثر فيه على تمثال ضخم مزدوج يمثل هذا الفرعون والإله «رع» معًا.[٢٥١]

وكذلك وجد له تمثال ضخم بالقرب من بوابة هذا المعبد (Petrie Ibid, II, p. 9).

(٦-٢٨) «مسطرد» (ضواحي القاهرة)

وجد فيها أثران من حجر الكوارتسيت عليهما اسم «رعمسيس الثاني».[٢٥٢]

(٦-٢٩) بهتيم

ووجد في «بهتيم» قاعدة تمثال للملكة «نفرتاري» زوج «رعمسيس الثاني» (راجع Porter & Moss IV, p. 58).

(٦-٣٠) منطقة «هليوبوليس»

جبانة «هليوبوليس»

كشف في «هليوبوليس» عن مقابر العجل «منفيس» (مرور) من عصر «الرعامسة»، على مسافة كيلومتر من «عرب الأطاولة»، وكان قبر العجل هنا من عهد «رعمسيس» يحتوي على رقعة مستطيلة الشكل، مساحتها خمسة أمتار وخمسة وعشرون سنتيمترًا في ثلاثة

أمتار، وارتفاعها ثلاثة أمتار وعشرة سنتيمترات، محفورًا في الرمل تحت الأرض، وكان سمك الجدار نحو متر، وعندما كانت توضع مومية العجل في قبرها كان يسقف القبر بكتلة من الحجر، ثم يسد المدخل، ويحوط القبر بسياج من رمل، وكان داخل المقبرة محلًّى بالنقوش البارزة، غير أنها عند الكشف عنها وُجدت متآكلة. وأهم مقبرة كُشف عنها شوهد فيها الثور نائمًا على سرير، له رأس أسد، وكان يحلي جيده قلادة ضخمة، وفوقه صقر منتشر الجناحين لحمايته، وكان الأثاث الجنازي الذي معه يتألف من أواني الأحشاء وبعض تماثيل صغيرة، وعدد قليل من قطع البرنز، وقد اختفت مومية الثور ومعها كل حليها، وكذلك اختفى المزار أو المقصورة التي فوق القبر. وقد عثر على بقايا جدران حائط من اللبن كانت تحيط بالمقصورة، كما عثر على بعض قطع من لوحتين، نعرف من النقوش التي عليها أن الذي أقام هذا القبر هو «رعمسيس الثاني».[٢٥٣]

(٦-٣١) منشية الصدر

يوجد في المتحف المصري لوحة للفرعون «رعمسيس الثاني» مؤرخة بالسنة الثامنة من حكمه، كتب عنها «أحمد باشا كمال»، وسنتكلم عن محتوياتها فيما بعد (راجع Rec. Trav. XXX, pp. 214).

(٦-٣٢) تل الحصن

أقام «سيتي الأول» معبدًا في هذه الجهة، وقد عثر فيها على عوارض أبواب من الحجر الجيري الأبيض باسم «رعمسيس الثاني»،[٢٥٤] كما عثر على قطع من الحجر عليها طغراؤه.[٢٥٥]

وكذلك وجد له في هذه الجهة قطعة من محراب من الجرانيت الأسود،[٢٥٦] ظهر فيها «رعمسيس» يقدم العدالة للإله، وقطع من مناظر على جدران،[٢٥٧] وفي متحف «جلاسجو» توجد لوحة لـ «رعمسيس الثاني» مثل عليها يقدم مسلة للإله «حور اختي».[٢٥٨]

(٦-٣٣) الجيزة

وتدل النقوش على أن «رعمسيس الثاني» قد أتى لزيارة «بولهول»، وقد ترك هناك على أقل تقدير أربعة آثار تدل على تلك الزيارة، منها لوحة لم يبقَ إلا جزؤها الأعلى، ويظهر فيه «رعمسيس الثاني» يحرق البخور، ويقدم قربانًا لـ «بولهول» الذي يشاهَد رابضًا على قاعدة مرتفعة على جانبها صورة باب، ونقوشها مدائح تقليدية يقدمها الملك لـ «حور ام اخت».[٢٥٩]

وله لوحة أخرى محفوظة الآن «بالمتحف البريطاني»، وهاك ما جاء عليها:

السنة الأولى من عهد جلالة «حور» الثور القوي محبوب ماعت، والمنتسب للإلهتين، حامي مصر والمسيطر على الممالك الأجنبية «حور» الذهبي، الكثير السنين، العظيم الانتصار، الملك … الإله الطيب المجدد بوصفه ملكًا، رب القوة الشجاع والمقدام على الأرض مثل «منتو» عندما يجري، والذي يسير حول … على الـ … الأقواس التسعة، ومقتحمًا الطريق قافلًا، والمشرف على القتال … مثل لهيب النار عندما يأتي ويصعد … المخترق ممالك نهاية الأرض، وإنه لمسرع أكثر من السهم إلى الغرض، وإنه يطير مثل الصقر الذهبي خلف … مخترقًا الممالك الأجنبية مثل … شبوب النار وهو الأسد المفترس للأسيويين ذو أسنان حادة، ومخالب فتاكة، والفاتح بلا هزيمة، والمقتحم في حومة الوغى.

ويدل ما لدينا من آثار على أن «رعمسيس الثاني» قد عمل بعض إصلاحات في تمثال «بولهول»؛[٢٦٠] إذ من المحتمل أنه هو الذي أضاف أول كسوة من الحجر على مخالب «بولهول»، فقد جاء في خطاب أرسله لأحد موظفيه خاص بإصلاحات في التمثال ما يأتي:

لقد سمعت أنك قد استوليت على ثمانية عمال كانوا يعملون في بيت «تحوت رعمسيس» محبوب «آمون» — له الحياة والصحة والفلاح — المسمى: «الراضي بالصدق في منف»، فعليك أن ترحلهم لأجل جر الأحجار لـ «بولهول» في «منف».

ويقول الأستاذ «شبيجلبرج»:[٢٦١] إن الإشارة هنا هي لتمثال «بولهول» الكبير. وعلى أية حال فالعبارة مبهمة، فلم يُعرف إذا كانت تشير إلى قطع الأحجار لـ «بولهول» نفسه أو لمبنى آخر.

(٦-٣٤) بنها

وجد لـ «رعمسيس الثاني» عدة آثار في «تل أتريب»، غير أن موضعها الأصلي لا يُعرف بالضبط:

- (١) منها مجموعة من الجرانيت لـ «رعمسيس»، ومعه إلهان (راجع A. S. XXI pp. 212–13).
- (٢) تمثال سبع من الجرانيت الأحمر محفوظ الآن «بالمتحف البريطاني».[٢٦٢]

- (٣) قطع عليها مناظر سحرية، ونقوش باسم «رعمسيس الثاني» (راجع A. S. XVII, p. 186–93 fig. 1–4).

(٦-٣٥) زاوية رازين

وجدت قطعة من واجهة بناء في هذا المكان عليها طغراء «رعمسيس الثاني» (راجع A. S. XII, p. 193).

(٦-٣٦) كوم «أبوبللو»

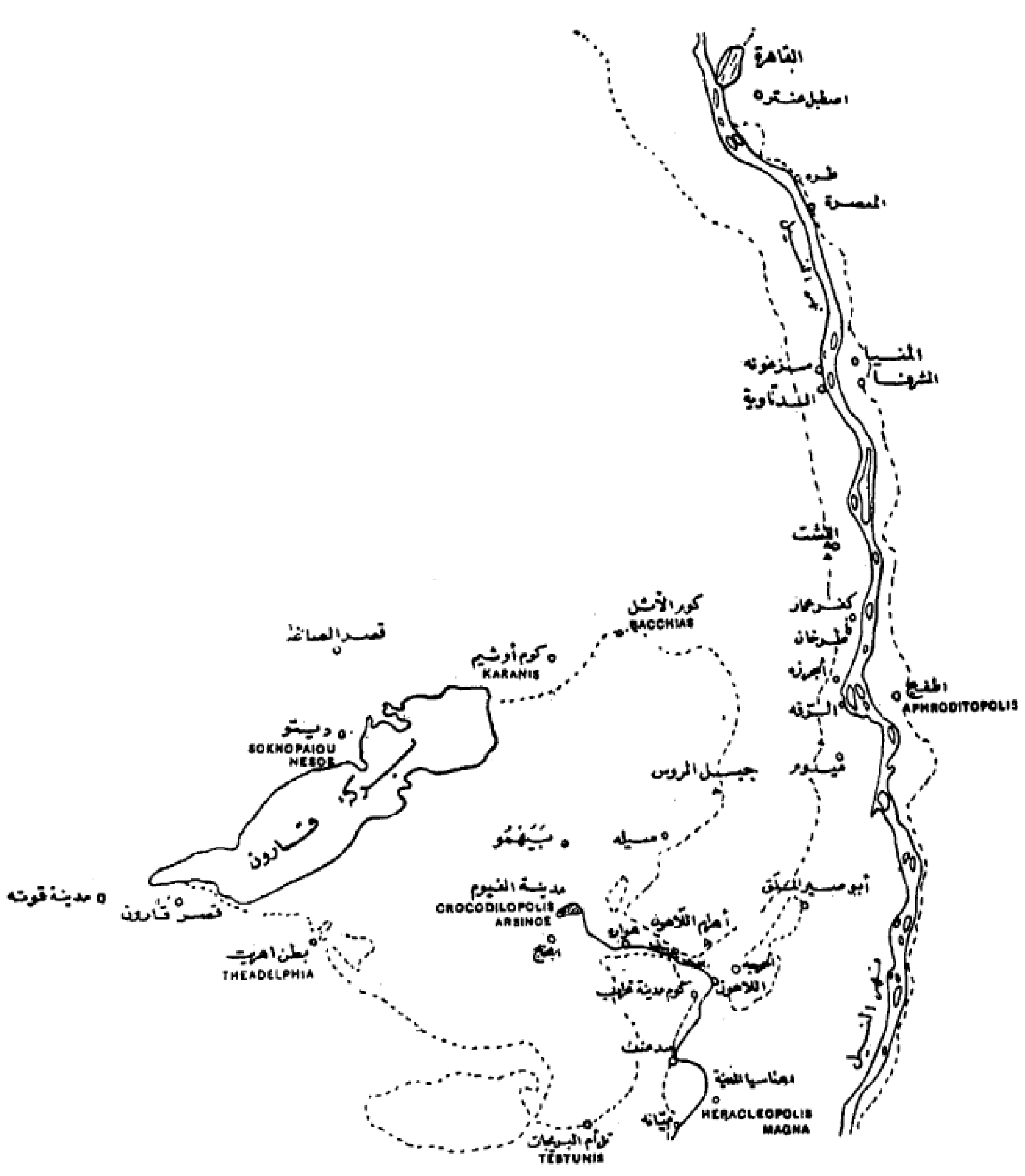
عثر فيه على قطعة من الحجر عليها طغراء «رعمسيس الثاني».[٢٦٣]

(٦-٣٧) القاهرة

نقل الأهلون عدة قطع من آثار هذا الفرعون القريبة من القاهرة، واستعملوها في المباني الخاصة بهم، وقد استولي عليها بعد، ونقلت إلى «المتحف المصري»، وغيره من متاحف العالم، وأهمها ما يأتي:

- (١) جزء من تمثال في متحف «فلورنس» بإيطاليا (راجع Rec Trav. XX. P. 99).
- (٢) قطعة حجر من باب عليها بقايا متن، وقد استعملت بمثابة هاون وُجدت بجوار باب زويلة (راجع Descrip. De L'Agypte. VIII. P. 249 n. 6).
- (٣) مسلة من الجرانيت الأسود باسم «رعمسيس الثاني»، وقد كتب عليها ابنه «مرنبتاح» اسمه، ومن المحتمل أنها مغتصبة من آثار الدولة الوسطى من «تل أتريب» (بنها)، وقد استُعملت أسكفة في بيت من بيوت «القاهرة»، ثم نُقلت إلى متحف «برلين».[٢٦٤]
- (٤) قطعة من مسلة من الجرانيت اغتصبها «رعمسيس الثاني»، ويحتمل أنها من «تل أتريب» أيضًا، وقد عثر عليها في مصر العتيقة، وهي الآن بالمتحف المصري (راجع A. S. XVIII, p. 276).

(٥) قطعة من تمثال الملكة «نفرتاري» زوج «رعمسيس الثاني»، وهي الآن بمتحف «بروكسل» (بلجيكا).[٢٦٥]



شكل ١٨: من القاهرة إلى أهناسيا المدينة.

(٦-٣٨) أهناسيا المدينة

يوجد في هذه المدينة معبد للإله «حرشف» (حرسفيس)، ويرجع عهده للأسرة الثانية عشرة، ولكن أعيد بناؤه في عهد الأسرة الثامنة عشرة، ثم في عهد «رعمسيس الثاني»، وقد عثر فيه لهذا الفرعون على مجموعة تمثله بين الإلهين «بتاح» و«حرسفيس»، وقد وُجد ملقى أمام ردهة المعبد، والمجموعة في متحف «القاهرة» الآن.[٢٦٦]

وقد أعاد كذلك «رعمسيس» بناء مدخل معبد الأسرة الثامنة عشرة، ويوجد منه عمود نخلي الشكل في «المتحف البريطاني»، وكذلك تمثال مغتصب يحتمل أنه كان في الأصل للملك «سنوسرت الثاني» أو الثالث، وهو الآن بمتحف جامعة «بنسلفانيا» بالولايات المتحدة.[٢٦٧]

هذا بالإضافة إلى أنه قد وجدت له في هذا المعبد كذلك قطعة من تمثال راكع، ومائدة صغيرة، وهي موجودة بالمتحف المصري.[٢٦٨]

(٦-٣٩) «كوم العقارب» القريب من «أهناسيا المدينة»

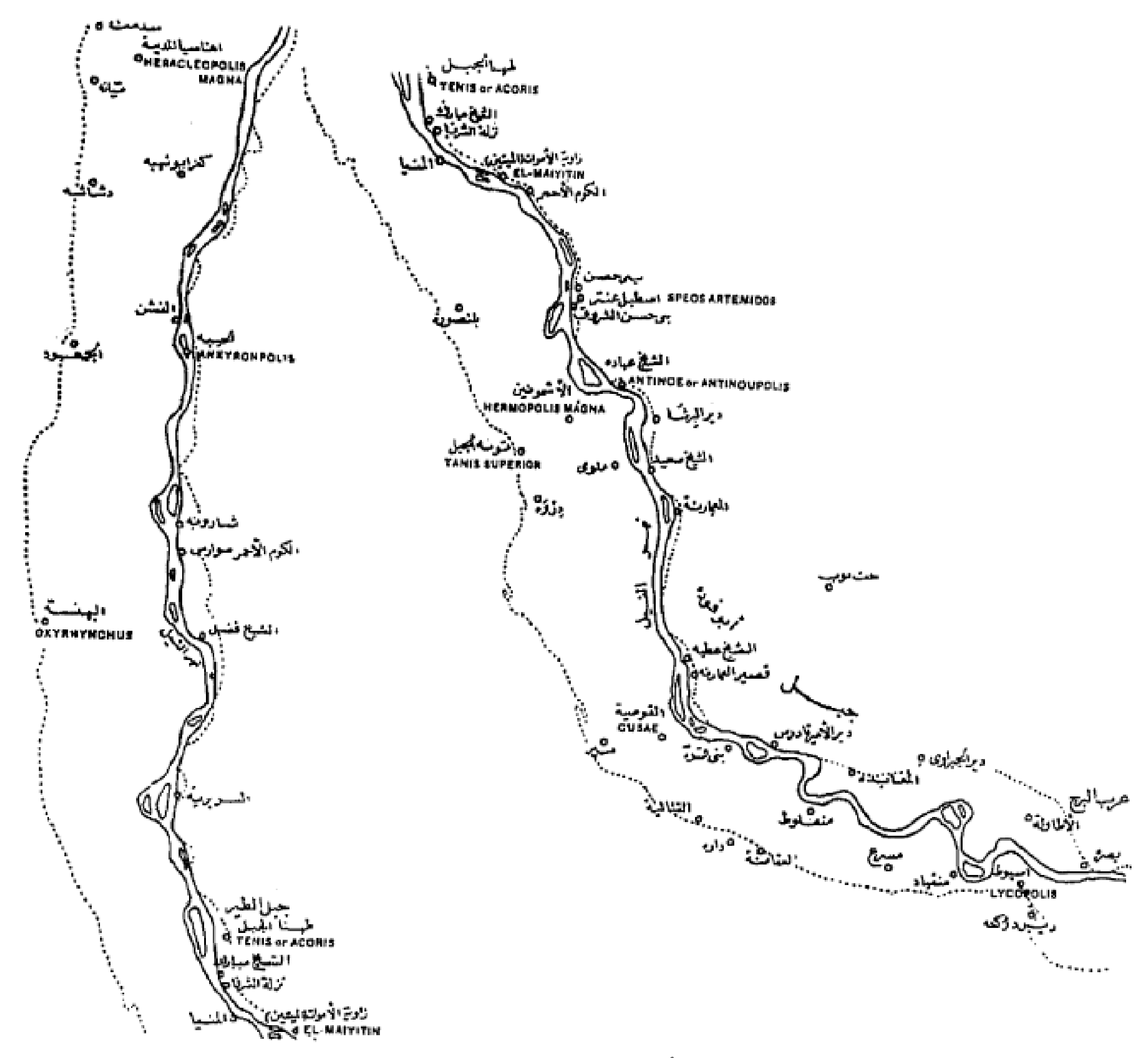
أقام «رعمسيس الثاني» في هذه البقعة معبدًا ولكنه مخرَّب تمامًا الآن، وقد عثر فيه على تمثالين جالسين لـ «رعمسيس الثاني»، وقد استعملهما ثانية ابنه «مرنبتاح»، فنسبهما لنفسه بدوره. ومن المحتمل أن المجموعة الأصلية مغتصبة من «سنوسرت الثالث»، وبجانب هذين التمثالين تماثيل صغيرة للأميرتين هما: «بنت عنتا»، و«مريت آمون»، وكذلك لأميرتين لم تسميا، والتمثالان بالمتحف المصري الآن.[٢٦٩]

(٦-٤٠) «طهنا الجبل» (مركز المنيا)

أقام الإمبراطور «نيرو» معبدًا في هذه البقعة، وقد عثر في قاعة عمده على بعض قطع مستعملة في بنائها عليها طغراء «رعمسيس الثاني»؛[٢٧٠] مما يدل على أنه قد أقام هنا مباني، أو أن هذه القطع قد نُقلت من مباني مجاورة لهذا الفرعون.

(٦-٤١) الأشمونين

أقيم في هذه البقعة معبد للإله «بتاح»، ويرجع عهده للفرعون «رعمسيس الثاني»، وقد استعملت في بنائه أحجار من مباني معبد لـ «أخناتون»، وقد وُجد لـ «رعمسيس الثاني» تمثال ضخم من الجرانيت الأحمر قاعدته من الحجر الجيري الأبيض، وقد اغتصبه ابنه الفرعون «مرنبتاح»، وهو الآن بالمتحف المصري،[٢٧١] وكذلك وجدت له تماثيل ضخمة على كلا جانبي مدخل هذا المعبد.[٢٧٢]



شكل ١٩: من أهناسيا المدينة إلى «درنكه».

(٦-٤٢) الشيخ عبادة

(مركز ملوي) أقام «رعمسيس الثاني» معبدًا في هذه الجهة في غربي سور المدينة، وقد كشف عن بقاياه «جييه».[٢٧٣]

ولا يزال كثير من عمد القاعة قائمًا مكانه، وقد مثل عليها مناظر عدة تمثل الفرعون يقدم أزهار البشنين للإله «تحوت»، والبخور والقربان، كما يشاهد هذا الفرعون على أعمدة أخرى أمام الإله «خنوم»، والإلهة «حتحور»، والإلهة «سوكر»، و«تحوت»، و«ماعت»، و«حور اختي»، و«آتوم»، «وبتاح»، و«سخمت»، و«خبري»، و«نفتيس»، و«نحمت عواي» (زوج

تحوت)، و«آمون رع»، و«موث»، وغيرهم من الآلهة يقدم لهم القربان والأزهار والخبز، كما يتقبل الحياة من الإله «خبر» رب الوجود، ولا تزال أعمدة الردهة، وقاعة العمد قائمة في مكانها.

(٦-٤٣) الشيخ سعيد

وفي جنوب «الشيخ سعيد» وجد في جبانة «شيخ زبيدا» الجزء الأعلى من لوحة ظهر فيها «رعمسيس الثاني» أمام الإله «تحوت»، وكذلك قطعة حجر فيها نقوش عن قطع الأحجار، يحتمل أنها من اللوحة.[٢٧٤]

(٦-٤٤) أسيوط

وفي «أسيوط» أقام «إخناتون» معبدًا، وقد اغتصبه «رعمسيس الثاني»؛ إذ عثر فيه على قطع من الأحجار عليها طغراؤه.[٢٧٥]

(٦-٤٥) المطمر

أقام «رعمسيس الثاني» معبدًا للإله «ست» في «المطمر» التابعة لمركز «البدارى»، واستعمل في بنائها أحجارًا مغتصبة من معبد «إخناتون»، وقد عثر هنا «برنتون» على بقايا مدينة من الأسرة التاسعة عشرة؛ حيث أقام فيها «رعمسيس» معبده للإله «ست»، وقد وجد من بقاياها عتب باب نقش عليه طغراء هذا الفرعون، كما وجدت ودائع أساس في مكانها الأصلي، غير أن معظم أحجار هذا المعبد المكتوبة، وودائع الأساس الأخرى التي بقيت حتى عصرنا قد استولى عليها منذ بضع سنين، ومع ذلك لدينا قطعة أو قطعتان تدلان على أن «رعمسيس» نفسه قد استعمل أحجار معبد «إخناتون» في بناء معبده هذا، وعلى أية حال تدل القطع الباقية من التماثيل المصنوعة من الجرانيت، وكذلك القطع الأخرى من المرمر على أن المعبدين كانا مبنيين بناء حسنًا.[٢٧٦]

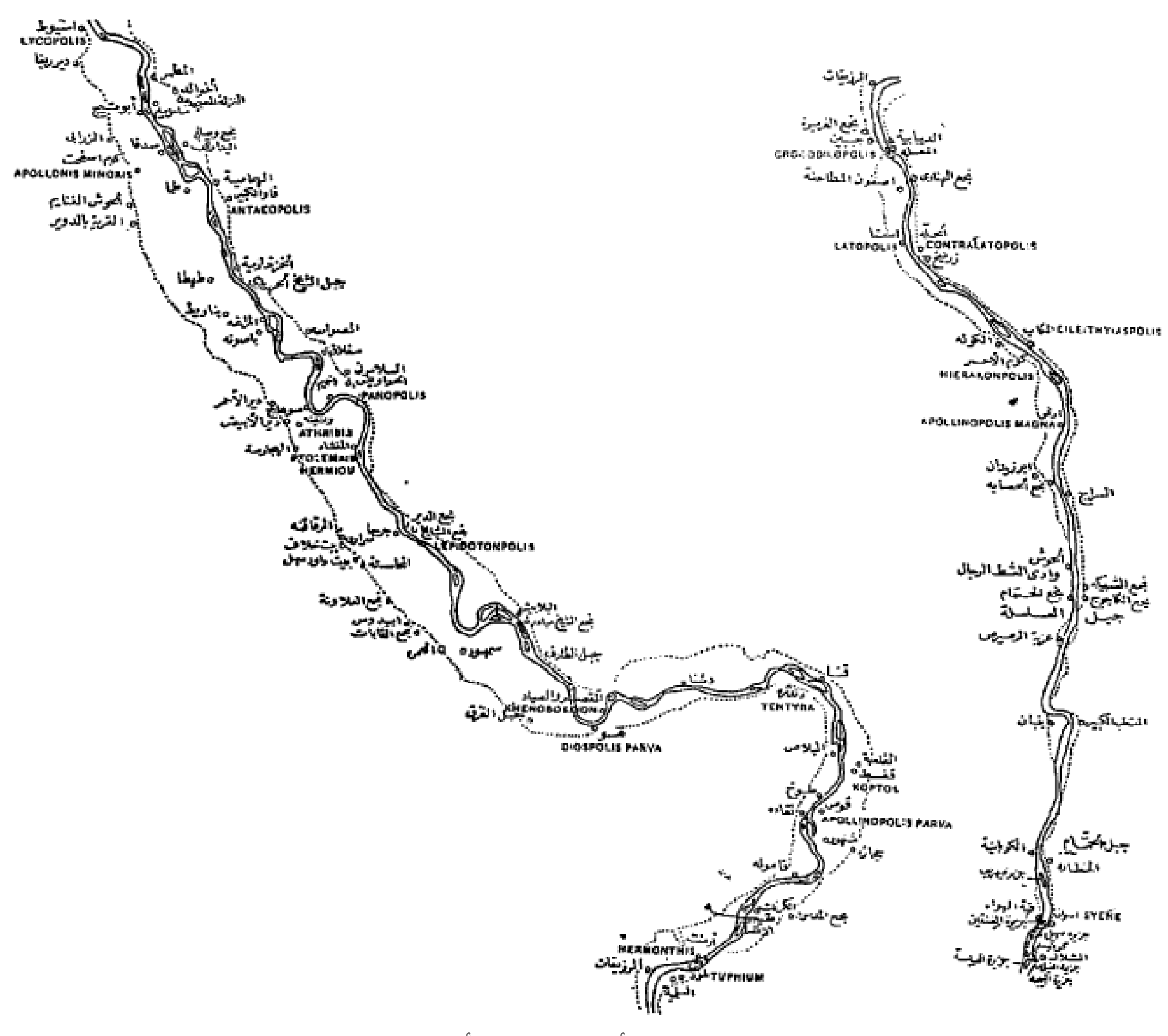
(٦-٤٦) طوخ (نبت)

يوجد في هذه البقعة بقايا معبد للإله «ست» من عهد الأسرة الثامنة عشرة، وقد أعاد بناءه «رعمسيس الثاني».[٢٧٧]

(٦-٤٧) قفط

(١) عثر على قطعة من لوحة لشخص يُدعى «بكور» الحارس الأول للشونة مؤرخة بالسنة السادسة والستين من حكم «رعمسيس الثاني».[٢٧٨] (٢) قطعة من عمود باسم «رعمسيس

الثاني».[٢٧٩] (٣) مجموعة ثالوث مؤلفة من «رعمسيس الثاني» بين الإلهتين «حتحور» و«إزيس»، وهي مصنوعة من الجرانيت الأحمر، وقد وجدت عند مدخل معبد «قفط»، وهي محفوظة الآن بالمتحف المصري،[٢٨٠] وبجوار هذه المجموعة وُجد جزء من لوحة من الكوارتسيت الأسود لهذا الفرعون، دوِّن عليها زيارة أمراء أسيويين لمصر.[٢٨١]



شكل ٢٠: من أسيوط إلى أسوان.

ويدل الجزء الباقي من هذه اللوحة على أن «رعمسيس الثاني» قد كتب نقوشه مكان نقوش أخرى ترجع إلى عهد الدولة الوسطى محاها «رعمسيس» أولًا، ثم وضع بدلها نقوشه هو، وهاك ما جاء عليها:

(١) رعمسيس محبوب «آمون» مثل الشمس. (٢) … أشراف كل أرض حاملين جزيتهم من. (٣) … كثير من الذهب وكثير من الفضة من كل نوع من المعدن. (٤) … وكثير جدًّا من أسرى بلاد «كشكش»، وكثير جدًّا من أسرى. (٥) … كتابات الفرعون «رعمسيس» محبوب «آمون» … (٦) وكثير جدًّا من قطعان الماعز، كثير من العنزات، أمام بنته الثانية. (٧) … محضرين الجزية لـ «رعمسيس» الذي يمنح مصر الحياة للمرة الثانية، على أنه لم يكن الجيش الذي جعلهم يحضرونها، ولم يكن … (٨) … بل كان آلهة أرض مصر، وآلهة كل البلاد الذين جعلوا أمراء كل البلاد يحضرون بأنفسهم للملك «وسر ماعت رع ستبن رع» ابن الشمس «رعمسيس محبوب آمون» معطي الحياة. (١٠) … ليحملوا ذهبهم، وليحملوا فضتهم، وليحملوا أوانيهم من الفيروزج؟ (١١) … لابن الشمس «رعمسيس» محبوب «آمون» معطي الحياة، وليحضروا قطعانهم من الخيل، وليحضروا قطعانهم من. (١٢) البقر، وليحضروا قطعانهم من الماعز، وليحضروا قطعانهم من الغنم، وقد كان أبناء عظماء أمراء بلاد «خيتا». (١٣) … هم الذين حملوها أنفسهم حتى حدود بلاد الملك «وسر ماعت رع ستبن رع» ابن الشمس (رعمسيس محبوب آمون معطي الحياة) … (١٤) ولم يكن من ذهب ليحضرها أميرًا، ولم يكن جيش من الرجال قد ذهبوا لإحضارها، ولم يكونوا خيالة قد ذهبوا لإحضارها، ولم يكن … قد ذهب لإحضارها، بل كان الإله «بتاح» والد الآلهة هو الذي وضع كل البلاد، وكل الممالك تحت قدمي هذا الإله الطيب إلى الأبد السرمدي.

والظاهر أن هذه النقوش كانت قصيدة مدح قيلت تمجيدًا للإله «بتاح»، كما يدل منطقها على أنها قد كتبت بعد انتصار «رعمسيس» على بلاد «خيتا» وحلفائها. ومن المحتمل جدًّا أن عبارة: «الذي أعطى الحياة لمصر مرة ثانية» تشير إلى مد سلطان مصر على البلاد الأسيوية التي كانت قد ضاعت منها في نهاية الأسرة الثامنة عشرة.

(٦-٤٨) نجع المدمود

أقيم في هذه البقعة معبد يرجع تاريخه إلى الدولة الوسطى والدولة الحديثة، وقد بني فوقه معبد في عهدي البطالمة والرومان، وتدل الكشوف الحديثة على أنه قد استعملت فيه أحجار يرجع تاريخها إلى حكم «سيتي الأول»، و«رعمسيس الثاني».[٢٨٢]

وكذلك عثر على عارضة باب من الجرانيت الأحمر باسم «رعمسيس»،[٢٨٣] كما بنيت بوابة الإمبراطور «تيبريوس» من أحجار عليها اسم «سيتي الأول»، و«رعمسيس الثاني».[٢٨٤]

(٦-٤٩) أرمنت

أقيم في هذا البلد العتيق معبد للإله «منتو»، والإلهة «رع توي» في عهد البطالمة والرومان، وقد وجد في أسس تلك المعابد أحجار، وبقايا تماثيل من عهود مختلفة منذ الدولة الوسطى وما بعدها، كما وجدت مبانٍ من عهود مختلفة، كما ذكرنا آنفًا. وقد وجدت فيها للفرعون «رعمسيس الثاني» متون جاء فيها ذكر الأعياد الثلاثينية، واسم الوزير «نفررنبت» الذي ينسب إلى عهد «رعمسيس الثاني»، كما ذكرنا آنفًا عند الكلام على هذا الوزير.

وكذلك عثر على تمثال ضخم من الجرانيت الأحمر لهذا الفرعون، وهو بالمتحف المصري الآن.[٢٨٥]

كما وجد تمثال راكع يحمل[٢٨٦] في يديه محرابًا يعلوه رأس كبش لمدير بيت «آمون» الأعظم المسمى «أمنمأبت»، وقد نقش طغراء الفرعون «رعمسيس الثاني» على جوانبه. أما النقوش التي أسفل فهي صيغة القربان يتلوها المدير الأعظم لبيت آمون «أمنمأبت».

(٦-٥٠) الكاب

أقام «أمنحتب الثاني» في هذه البلدة معبدًا، وقد زاد فيه «رعمسيس الثاني»، ونقش عليه اسمه في كل مكان، كما شوه بعض الأعمدة التي أقامها «أمنحتب» بكتابة اسمه عليها،[٢٨٧] كما نشاهد بعض المناظر التي يظهر فيها الفرعون، وهو يجري ويتبعه ثور أمام قرد في محراب.[٢٨٨]

وفي صخور «الكاب» في شرقي ردهة معبد البطالمة المنقور في الصخر نجد الجزء الأعلى من لوحة للفرعون «رعمسيس الثاني»، يشاهد فيها أمام الإله «رع حور اختي»، والإلهة «نخبت» إلهة تلك المنطقة،[٢٨٩] وكذلك أقيم في هذه الجهة:

> محراب للإله «تحوت» (ويسمى الحمام): نحته «ستاو» نائب الملك في «كوش» في عهد «رعمسيس الثاني»، وعليه مناظر تمثل «ستاو»، و«رعمسيس الثاني» يتعبدان لآلهة مختلفة.[٢٩٠]

(٦-٥١) جبل السلسلة

وفي مقصورة «حور محب» التي نحتها في صخر «جبل السلسلة» نجد بعض مناظر من عهد «رعمسيس الثاني»، فعند الباب الشمالي نشاهد مقصورة «لباسر» وزير هذا الفرعون، ونشاهد على شمال الباب لوحة على الجزء الأعلى منه لـ «رعمسيس الثاني»، ومعه كاهن، وتتبعه الملكة «إست نفرت»، والأميرة «بنت عنتا» يقدمون صورة العدالة للإله «بتاح»، والإله «نفرتم»، وفي الجزء الأسفل يشاهد الأميران «رعمسيس»، و«مرنبتاح»، وبقايا متن مؤلف من خمسة أسطر.[٢٩١]

وفي ردهة هذه المقصورة صور «رعمسيس الثاني» على الجدران يتعبد إليه الكاتب الملكي، ومعه نقش بالهيراطيقية مؤرَّخ بالسنة الخامسة.[٢٩٢]

وفي غرب السلسلة نجد له محرابًا مقطوعًا في الصخر،[٢٩٣] وفي هذا المحراب يشاهَد «رعمسيس» أمام الإله «آمون رع»، والإله «تحوت» يكتب اسم الفرعون، وهو راكع أمام شجرة مواجهة للإله «بتاح»، والإله «رع»، والملك يقدم البخور للآلهة «أوزير»، و«إزيس»، و«مين كاموتف»؛ أي «مين» ثور أمه. وكذلك يقدم الملك البخور للإله «سبك»، والإلهة «تننت»، والإلهة «رعت توي»، والإلهة «حتحور».[٢٩٤]

(٦-٥٢) جزيرة إلفنتين

وجد اسم «رعمسيس» على قاعدة تمثال أسد في بناء المرسى،[٢٩٥] وكذلك عثر على قطعة من لوحة زواج «رعمسيس الثاني» من بنت ملك «خيتا» في نفس بناء المرسى، كما ذكرنا آنفًا.

(٦-٥٣) أسوان

وفي أسوان عثر على الجزء الأعلى من تمثال موجود الآن «بالمتحف البريطاني»،[٢٩٦] كما وجد له متن على قطعة حجر؛[٢٩٧] وعلى الطريق القديم الذي بين «الفيلة» «وأسوان» وجدت لهذا الفرعون لوحة منحوتة، يشاهد في الجزء الأعلى منها «رعمسيس»، والملكة «إست نفرت»، والأمير «خعمواست» أمام الإله «خنوم»، وفي الجزء الأسفل يشاهد الأمير «رعمسيس»، والأميرة «بنت عنتا»، والأمير «مرنبتاح» يتعبدون.[٢٩٨]

(٦-٥٤) المتون المنقوشة في صخور جزيرة «سهيل»

يوجد في صخور هذه الجزيرة نقوش كثيرة لموظفين من عهد «رعمسيس الثاني»، يشاهد في أحدها «رعمسيس» يقدم خمرًا للإله «خنوم»، والإلهتين «ساتت»، و«عنقت»، وفي أسفل يرى الموظف «حوي» يتعبد إليهم، وكذلك نشاهده يتعبد لطغراء «رعمسيس الثاني».[٢٩٩]

(٧) تماثيل «رعمسيس الثاني»

ذكرنا فيما سبق تماثيل عدة للفرعون «رعمسيس الثاني» في أماكنها، أو التي نُقلت إلى بعض المتاحف في جميع أنحاء العالم، والواقع أن ما ذكرناه هو قليل من كثير من تماثيل هذا الفرعون العظيم مما يضيق به بحثنا، وبخاصة إذا علمنا أن «رعمسيس» لم يتورَّع قط

عن محو أسماء الملوك السابقين له من تماثيلهم، وكتابة اسمه عليها ونسبتها إليه، ومع ذلك نرى بعض التماثيل وإن كان عددها قليلًا يُعد من التحف الفنية ذات القيمة العظيمة، ونخص بالذكر من بينها تمثاله الجميل المصنوع من الجرانيت الأسود الذي يمثله جالسًا، وبجانب ساقيه تمثالا زوجه «نفرتاري»، وابنه آمون «حرخبشف»، وهذا التمثال يعد من التحف الفريدة بين الآثار الموجودة الآن بمتحف «تورين»،[٣٠٠] وكذلك له تمثالان واقفان يحمل كل منهما رمزًا، وآخران قاعدان، وكلها من الجرانيت، وهي محفوظة بالمتحف المصري، وكلها من عمل «رعمسيس» نفسه.

ومما يلفت النظر بين صوره؛ تمثاله «المجيب» المصنوع من البرنز، والمحفوظ الآن بمتحف «باريس»، وسنتكلم عن فن نحت التماثيل في عهد «رعمسيس» في مكان آخر، ونذكر الكثير منها.

(٨) أسرة «رعمسيس الثاني»

لا غرابة إذا كان «رعمسيس الثاني» قد ضرب الرقم القياسي في إنجاب الذكور، ومن خلف وراءه من الإناث، والواقع أنه قد وُفق أكثر من كل من سبقه من الملوك في كل نواحي الحياة؛ فقد بزهم في المباني، كما وُهب مدة حكم تربى على مدة أي فرعون آخر إذا استثنينا «بيبي الثاني» أحد ملوك الأسرة السادسة، وكذلك كان له القدح العلي فيمن تركه خلفه من ذرِّية تَعد بالمئات.

وعلى الرغم مما لدينا من آثار عدة ومعلومات وفيرة عن أسرة هذا الفرعون الضخمة العدد، فإنه مع ذلك يحيطها شيء كثير من الإبهام والغموض، فنعرف من زوجاته على وجه التأكيد ثلاثًا، وهن: «نفرتاري»، و«إست نفرت»، و«مات نفرورع»، كما نعرف أنه تزوج بثلاث من بناته، وهن: «بنت عنتا»، و«مريت آمون»، و«نبت تاوي»، أما باقي نسائه فلا نعرفهن على وجه التأكيد، ولا بد أنهن كنَّ كثيرات لأن قائمة العرابة قد عددت لنا ثلاثة وثلاثين ابنًا واثنتين وثلاثين ابنة.[٣٠١] كما ذكرت لنا قائمة معبد «وادي السبوع» أحد عشر ومائة ذكر، وإحدى وخمسين ابنة،[٣٠٢] ولكن مما يؤسف له أن القائمتين كلتيهما ممزقتان، ولا نزاع في أن معظم هؤلاء الأولاد كانوا من حظيات أو زوجات ثانويات، ولكن زواجه من بناته الثلاث قد أنجب له ما يربى على اثني عشر ذكرًا أو أنثى، ممن كان لهم الحق في ادعاء عرش الملك. ويدل ما لدينا من نقوش على أن كل أولاد هذا الفرعون الذين وصلت إلينا أسماؤهم كانوا يشغلون وظائف هامة في الشئون الحكومية والدينية، وسنجد فضلًا عن ذلك أن عددًا لا يستهان به من بينهم كان يقوم بأهم الوظائف في الدولة، وسنحاول هنا أن نذكر ما وصل إلينا — حتى الآن — من معلومات عن هذه الأسرة العجيبة في تاريخ الفراعنة.

(٨-١) زوجاته

(أ) الملكة «نفرتاري مرنموت»

كان «رعمسيس» قد تزوج من الملكة «نفرتاري» في السنة الأولى من حكمه المنفرد، كما يظهر هذا في قبر «نب وننف»[٣٠٣] الكاهن الأول للإله «آمون» في عهد «رعمسيس الثاني».

غير أننا لا نعرف إلى أي سنة من سني حكمه عاشت هذه الملكة؛ لأننا لم نرَها تظهر على تماثيل «رعمسيس» المؤرخة بأواخر سنيه، وإن كانت تظهر في نقوش معبد «بو سمبل» بصورة بارزة كما أشرنا إلى ذلك من قبل. ومن أولادها — خلافًا لما ذكرنا من قبل — «سيتي» الابن التاسع بين أولاد «رعمسيس»، وآخر يُدعى «انبو إررخو»، وتُلقَّب على آثار معبد «أبو سمبل» بكاهنة الإلهة «حتحور»، والإلهة «موت»، والإلهة «عنقت»، كما كانت تحمل لقب الأميرة وارثة الجنوب والشمال؛ أي إنها كانت وارثة عرش الملك، وقد مثلت على تماثيل «رعمسيس» الضخمة في معبد «بو سمبل»، وفي معبد «الأقصر» كذلك على تمثاله الفذ الموجود في «تورين»، وهو المنحوت في الجرانيت الأسود، ويوجد لها كذلك تمثال جميل من الجرانيت في متحف «الفاتيكان»، غير أنه مما يؤسف له قد أعيد صنعه.



شكل ٢١: الملكة «نفرتاري» على تمثال لـ «رعمسيس الثاني».

ونقرأ لهذه الملكة خطابًا أرسلته في السنة الحادية والعشرين لملكة «خيتا» (ذكرناه فيما سبق) وقبرها يوجد بالقرب من دير المدينة في الجهة الغربية من «طيبة» في المكان المعروف الآن باسم «بيبان الحريم» عند العامة، وقد كُشف عنه وعن غيره من مقابر الملكات والأمراء الأثري «شاباريللي» الإيطالي حوالي ١٩٠٣–١٩٠٥م، ومعظم هذه المقابر يرجع عهدها إلى الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين، ويمتاز قبر «نفرتاري» زوجة «رعمسيس الثاني» عن باقي قبور الملكات في ترتيبه وتنسيقه، ويلاحظ أن معظم القبور في هذه الجهة قد زينت جدرانها بالتصوير على طبقة من الطين ثبتت على الجدران، والصور التي نُقشت على جدران قبرها تعد من أجمل ما أخرجته يد المفتن المصري في هذا النوع من التصوير، وإن كان بعضه قد طغت عليه الرطوبة، والزمن، وتساقط.[٣٠٤] وصور الملكة تلفت النظر بوجه خاص لرشاقتها، كما أن سقف المقبرة يمثل القبة الزرقاء، وما فيها من نجوم لامعة. ويصل الإنسان إلى حجرة الدفن بوساطة سلم، فيقابله أولًا قاعة فيها منضدة ليوضع عليها القربان، وعلى جدران القاعة نقوش دينية من الفصل السابع عشر من كتاب الموتى، ويصحبه صورة الملكة ممثلة جالسة تحت قبة تلعب النرد، كما يشاهد روحها ممثلًا في صورة طائر له رأس إنسان يرفرف بجانبها، ثم نشاهد الملكة راكعة تتعبد للشمس التي يحملها أسدان، كما يشاهد الإله «تحوت» في صورة الطائر مالك الحزين، والمومية محمولة على سرير جنازي، وكذلك توجد آلهة مصورة على الجدران.

وعلى الجدار الذي على يمين القاعة نشاهد الملكة أمام الإله «أوزير» إله الآخرة، كما نشاهدها متعبدة لإله الشمس «حور اختي»، وإلهة الغرب. وفي منظر آخر نشاهد الإلهة «إزيس» تقودها أمام الإله «خبر» (إله الشمس) الممثل برأس جُعل، وفي الحجرة الجانبية نشاهد الإله «خنوم» تصحبه كل من الإلهتين «إزيس»، و«نفتيس»، كما ترى الملكة تتعبد للعجل المقدس، وللبقرات السبع الإلهية، وفي منظر آخر تقدم الملكة أدوات الكتابة للإله «تحوت»، وتقدم الأضاحي للإله «بتاح»، وعلى الجدران الجانبية للسلم المؤدي للحجرة الثانية نشاهد الملكة في حضرة آلهة مختلفة، كما نشاهد «إزيس»، و«نفتيس» راكعتين في حزن، كما نشاهد على عتب الباب إلهة العدل في صورة طائر ناشر جناحيه، ثم نصل بعد ذلك إلى حجرة الدفن، وهي مقامة على أربعة عمد، ومعظم صورها قد هُشمت، وفي وسطها تابوت الملكة «خاو».

وهذه المقبرة تُعد من أعجب وأفخم المقابر التي عُثر عليها حتى الآن من هذا العصر الذي نحن بصدده، ومن أجل ذلك قد فصلنا فيها القول بعض الشيء لنعطي صورة عن المناظر الجنازية الشائعة وقتئذ.

أما باقي الآثار التي ذُكرت عليها هذه الملكة فقد ذكرناها في مناسباتها في أثناء الكلام عن تاريخ «رعمسيس الثاني» وآثاره.

وفي متحف «بروكسل» توجد قطعة من تمثال لهذه الملكة نُقش عليها بعض ألقاب نادرة الوجود تشبه ألقاب الملكة «سات رع» أم الفرعون «سيتي الأول»، وهي: «الأميرة

الممدوحة كثيرًا، سيدة الرشاقة، وراحة الحب، ووارثة الوجه القبلي والوجه البحري، وماهرة اليدين في الضرب بالصاجات، والحلوة الحديث والغناء، زوجة الملك العظيمة ومحبوبته، وزوجة الثور القوي «نفرتاري مرنموت» العائشة مثل الشمس أبديًّا.» ولا نزاع في أن بعض هذه الألقاب تشير إلى الدور الذي كانت تلعبه هذه الملكة بوصفها زوج الإله في الأحفال الدينية،[٣٠٥] وقد رُسم على هذه القطعة معها ابنها «مري آمون» ابن «رعمسيس الثاني» ولقِّب ببكر أولاد الفرعون.[٣٠٦]

(ب) الملكة «است نفرت»

قد يلاحظ كثيرًا فيما يكتبه المؤرخون أن الملكة «نفرتاري» كانت هي الزوجة الأولى الرئيسية للفرعون «رعمسيس الثاني»، وبخاصة أنها هي التي راسلت ملكة «خيتا» عندما كتبت إليها كتابًا تسألها فيه عن أحوالها، وترجو لها السلامة. غير أن بعض المؤرخين الذين فحصوا الموضوع عن كثب قد وضعوا أمامنا حقيقة هامة تستدعي الفحص من جديد؛ وهي أن «إست نفرت» كانت أم الأمراء الذين كان لهم حق وراثة العرش، ونجد في «كتاب الملوك» الذي كتبه «جوتييه» الآثار الخاصة بهذه الملكة، وكذلك عدَّد المستر «بتلر» في كتابه «ملكات مصر»[٣٠٧] أولاد هذه الملكة، وهم: «رعمسيس» الابن الثاني للفرعون، و«خعمواست» الابن الرابع والوارث للعرش حتى مماته في السنة الخامسة والخمسين من حكم والده، ثم «مرنبتاح» الابن الثالث عشر، وخليفة والده على العرش، وأخيرًا «بنت عنتا» كبرى بنات الفرعون وزوجه في آن واحد، وكذلك نجد أن «الأثرية» «مس مري» عند بحثها وراثة العرش في عهد الأسرة التاسعة عشرة[٣٠٨] لم تتردد في جعل «إست نفرت» الزوجة الرئيسية لـ «رعمسيس الثاني». ولكن «كيث سيلي» يرى في بحثه الأخير عن وراثة العرش أن «نفرتاري» كانت هي الزوجة الأولى، كما ذكرنا من قبل، ويوجد في متحف «بروكسل» كذلك جزء من تمثال صغير لهذه الملكة مع ابنها «خعمواست»، وقد بقي على هذا الأثر بعض نعوت لهذه الملكة تكاد تكون فريدة في بابها، وهي على الجهة اليمنى: «وعندما تدخل في المقر المزدوج فإن قاعة الاستقبال في القصر تضوَّع بشذا عبيرها، وإنها لحلوة الرائحة بجانب والدها الذي يبتهج عند رؤيتها، والزوجة الملكية …» وعلى الجهة اليسرى: ««حور» سيد القصر.» ثم يأتي بعد ذلك: «التي تملأ قاعة الجلسة بعبيرها، وهي المنقطعة النظير بعطورها؛ إذ تعادل بلاد «بونت» بشذا أعضائها، الزوجة الملكية.» والواقع أن هذه النعوت النسوية الدالة على طيب العبير، وما يضوع منها من شذا العطور لم توصف به ملكة من قبل (Chronique Ibid. p. 76).



شكل ٢٢: الملكة «نفرتاري» أمام الإله «تحوت».

(ج) الملكة «مات نفرو رع»

كانت الملكة «مات نفرو رع» كبرى بنات ملك «خيتا»، وقد أطلق عليها «رعمسيس الثاني» هذا الاسم عندما بنى بها (كما سبق شرحه)، وقد مثلها «رعمسيس» بصحبة والدها على اللوحة التذكارية التي نحتها تخليدًا لهذا الزواج في معبد «بو سمبل»، كما مثلها معه على أحد التماثيل الضخمة في «تانيس»، ومعها بكر أولادها وهو «آمون حرخبشف» الذي نجده مذكورًا في القوائم الثلاث الهامة التي جاء عليها ذكر أولاد «رعمسيس الثاني»، وهي: قائمة «الرمسيوم»، وقائمة «الكرنك»، ثم قائمة «الدز»، كما جاء ذكرها على لوحة صغيرة عثر عليها في «تل اليهودية».[٣٠٩]

(د) الملكة «توي»

وجد هذا الاسم على قطعة من تمثال ضخم من الرمسيوم في طغراء، ويقول عنه «كارتر»: إنه اسم إحدى نساء «رعمسيس الثاني».[٣١٠]

(٨-٢) أولاد «رعمسيس الثاني» الذكور

يعترض المؤرخ صعوبات جمة عندما يريد فحص أولاد «رعمسيس» الذكور، ويرتبهم ترتيبًا تاريخيًّا، فعلى حسب نظرية الأستاذ «سيلي» يكون «رعمسيس» قد أنجب في أول حياته ولدين، وهما: الأمير «آمون حر ونمف»، ثم الأمير «خعمواست»، وأنهما ماتا في طفولتهما كما تثبته النقوش التي على معبد «بيت الوالي»، ويقول: إنه قد أنجبهما من الملكة

«نفرتاري»، أما الابن المسمى «خعمواست الثاني» الذي نجده مذكورًا في كثير من آثار والده فهو ابن الملكة «إست نفرت».[٣١١]

وقد كان ابن «رعمسيس» المسمى «آمون حرو نمف» يعد الوارث للعرش، وقد أراد «بتري» أن يوحده بالأمير «آمون حرخبشف»،[٣١٢] وأن يجعله ابن الملكة «إست نفرت»، ولكن الواقع أنه ابن آخر لهذا الفرعون. أما ما يعترض به «بتري» من استحالة وجود ولدين بكرين للفرعون فأمر جائز في النقوش المصرية، وبخاصة عندما يكون للملك أكثر من زوجة واحدة، وأنجب من كل منهن ولدًا بكرًا.

ولدينا لأولاد هذا الفرعون ثلاث قوائم هامة، كما ذكرنا، هذا بالإضافة إلى ما جاء من الأسماء على التماثيل المختلفة، والمناظر التي على جدران المعابد، وسنحاول هنا أن نعدِّد أولاد الفرعون الذكور بقدر ما تسمح به الآثار التي في متناولنا.

فخلافًا للأميرين «آمون حرو نمف»، و«خعمواست» اللذين توفيا في طفولتيهما نذكر ما يأتي:

- (١) «آمون حرخبشف»: تدل النقوش التي لدينا عن هذا الأمير أنه قد اشترك مع والده في موقعة «قادش»، وكان يلقب كاتب الفرعون، وقائد الجيش الأعلى، إذ نشاهده في مناظر مصورًا على الجدار الجنوبي لقاعة العمد الكبرى «بالكرنك» مع والده مقدمًا أسرى من الخيتيين لثالوث «طيبة»، وهم من الذين أُسروا في موقعة «قادش»؛ إذ نرى أربعة من أولاد الفرعون يسوق كل منهم صفًّا من الأسرى خلف والده، وقد كان «آمون حرخبشف» المقدم عليهم، ويحمل لقب القائد الأعلى للجيش، أما الثلاثة الآخرون وهم: «خعمواست»، و«مري آمون»، و«سيتي»، فكان كل منهم يحمل لقب ابن الملك فحسب، وهذا دليل — على ما يظهر — على أنه كان أكبر أولاد الفرعون وقتئذ.

  وكذلك نشاهد هذا الأمير وهو يهاجم العدو مع والده في عربته في مناظر معبد «أبو سمبل».[٣١٣] كما نجده كذلك مصورًا على تماثيل والده الضخمة في معبدي «أبو سمبل»، والكرنك، وعلى التمثال الجميل الموجود في «تورين» كما ذكرنا من قبل.

- (٢) الأمير «رعمسسو»: هذا الأمير هو ابن الملكة «إست نفرت»، ونشاهده مصورًا مع والدته وأخيه «خعمواست» في مجموعة صغيرة «بمتحف اللوفر»،[٣١٤] كما نشاهده مصورًا

مع والده «رعمسيس»، وأسرته في نقش على الصخور الواقعة على الطريق القديمة بالقرب من «أسوان»، وقد لقب هنا بقائد الجيش.[٣١٥]

وفي متحف «فلورنس» توجد واجهة من مقبرة نُقش عليها: «ابن الملك الأمير الوراثي، والقائد الأعلى للجيش، ومدير جلالته «رعمسسو».»[٣١٦]

وقد وجد اسمه في القوائم الثلاث السالفة الذكر، كما نشاهده في نقوش «أبو سمبل» يحارب بجانب والده، وقد أهدي له تمثال بعد موته في حياة أخيه «خعمواست»، أهداه له ابن الأخير.[٣١٧]

وعثر له على تمثال «مجيب» في معبد «السرابيوم» (مدافن العجل أبيس) مؤرخ بالسنة السادسة والعشرين من حكم والده، وهو لا يزال على قيد الحياة.[٣١٨]

- (٣) الأمير «بارع حرامنف»: كان هذا الأمير يحمل لقب رئيس الرماة في جيش والده، كما نقرأ ذلك على لوحة صغيرة نُقش عليها: «ابن الملك الذي وضعته الزوجة الملكية العظمى، ورئيس الرماة.»[٣١٩] ولذلك نشاهده في مناظر «أبو سمبل» الحربية يحارب إلى جانب والده في عربته، كما وُجد مصورًا معه على تمثال في نفس المعبد.[٣٢٠]

- (٤) الأمير «خعمواست»: تدل الآثار التي وجدت لهذا الأمير على أنه كان أهم أولاد «رعمسيس الثاني»، وبخاصة أن والده قد فكر في السنة الثلاثين من حكمه بعد أن تخطى الخمسين في أن يُشركه معه في إدارة الملك، وهو على حسب قول «كيث سيلي» ثاني اثنين من أولاد هذا الفرعون بهذا الاسم، والأول قد توفي في طفولته كما ذكرنا، وقد اختاره الفرعون ليكون وارثه على عرش البلاد، وهو ابن الملكة «إست نفرت» كما قلنا؛ كما تدل على ذلك النقوش التي في «السلسلة». وقد شاهدنا من قبل أنه كان يكلَّف في غالب الأحيان بنحت النقوش التذكارية للأعياد الثلاثينية، والاحتفال بها، والظاهر أنه كان قد عُين الكاهن الأعظم للإله «بتاح»، وبذلك ضمن لنفسه دخل هذا الإله الذي كان يُعد أغنى الآلهة بعد الإله «آمون» إله الإمبراطورية الأعظم، ونجده يحمل هذا اللقب في عدة آثار أهمها:

تمثال عثر عليه في «سقارة» مهدى للعجل «أبيس»، ويشاهد في نقوشه واقفًا وممسكًا بمحراب صغير مثل فيه العجل «أبيس» برأس إنسان، وجسم عجل، ويحمل الألقاب التالية: الكاهن الأكبر «سم» للإله «بتاح»، ومطهِّر البيت العظيم، والكاهن «إيونموتف» — أي عمود أمه — ومدير الأرضين، ورئيس كل الفراء؛ لأن الكاهن «سم» كان يلبس جلد فهد.[٣٢١]



شكل ٢٣: الأمير «خعمواست» بن «رعمسيس الثاني».

وكذلك نجد هذا اللقب وغيره على جزء من تمثال وجد في قرية «الشيخ مبارك» قبالة مدينة «المنيا».[٣٢٢]

والظاهر أنه قد تقلد مهام هذه الوظيفة في السنة السادسة عشرة من حكم والده كما هو مدون على تمثال مجيب في مقبرة العجل رقم ٢، وهذه التماثيل كانت تقوم بدلًا منه في أداء الأعمال الصعبة بمثابة خدام للعجل «أبيس»، وقد وجدت مثل هذه التماثيل باسمه كذلك في مقبرة العجل رقم ٣ المؤرخة بالسنة السادسة والعشرين.

وفي السنة الثلاثين لم نجد له في مقبرة العجل الرابع تماثيل من هذا النوع، ولكن في مقبرة العجل التاسع لقب بالكاهن الأعظم. ومن السنة الثلاثين حتى السنة الأربعين كان هو المشرف على الأعياد الثلاثينية كما أسلفنا، وقد خلفه في وظائفه هذه أخوه «مرنبتاح» — الذي أصبح فيما بعد الفرعون «مرنبتاح» — في السنة الخامسة والخمسين من حكم «رعمسيس»، وهو الذي نشاهده يقوم بدور الكاهن الأعظم على لوحة العجل العاشر،[٣٢٣] وهي السنة التي توفي فيها «خعمواست».

وقد دفن الأمير «خعمواست» في جبانة «الجيزة»؛ حيث وُجد قبره في «كفر البطران»،[٣٢٤] وقد عثر في هذا القبر على تماثيله المجيبة، كما عثر على بعضها في معبد «السرابيوم»،[٣٢٥] ومن الأشياء التي عثر عليها في قبره كذلك آنية أحشاء،[٣٢٦] كما عثر على آنية أخرى لأحشاء العجل رقم ٣ قام بصنعها «خعمواست». هذا إلى أنه دفن تعاويذ أخرى مع العجل السادس، والعجل التاسع نقش عليها اسمه وألقابه. وقد وجدت حجرة دفن العجلين الثاني والثالث سليمة لم تمس بسوء؛ مما أدهش كاشفها العظيم «مريت باشا»؛ إذ عندما فتح التابوت الذي كان فيه العجل الثاني لم يجد فيه مومية العجل، بل وجد غطاء مجوفًا موضوعًا على الأرض على مادة قطرانية تحتوي على كمية عظيمة من شظيات العظام، كما وجد صدرية فخمة مصنوعة من الذهب المرصع بالأحجار الثمينة، وكذلك ستة تماثيل مجيبة كل منها برأس ثور.

أما العجل الثالث فلم يوجد معه كذلك صندوق، بل وجدت حفرة تحت الغطاء الذي كان يغطي كتلة من القطران مختلطة بشظايا عظام عديدة جدًّا، ووجد معه كذلك خمسة عشر تمثالًا مجيبًا، كما وجدت تماثيل أخرى مجيبة باسم الأمراء «خعمواست»، و«رعمسسو»، و«حوي» أمير «منف»، و«سوي»، و«حات عا»، و«بتاح نفر حر» كاتب

«خعمواست»، وكذلك لامرأتين تدعيان «قدت»، و«حوي» هذا إلى تعاويذ باسم «خعمواست»، وخمس صدريات للوزير «باسر»، وكذلك صدرية أخرى، ونسر برأس ثور من الذهب المرصع، وأوراق كثيرة من الذهب، ومن البدهي إذن أن العجل لم يكن يُحنط، بل كان يؤكل لحمه تبركًا كما كان يؤكل لحم كبش «طيبة» الذي يمثل الإله «آمون».

وقد عثر له على تمثال محفوظ الآن «بالمتحف البريطاني» رقم ٩٤٧،[٣٢٧] ولما كانت النقوش التي على هذا التمثال تثبت لنا بعض الشيء الشهرة الواسعة التي نالها «خعمواست» في عالم السحر، فإنا سنوردها هنا على الرغم مما بها من صعوبات لغوية جعلت فهم المتن من الصعوبة بمكان، وكأن كاتبها أراد أن يجعلها طلسمًا سحريًّا ليتفق مع شهرة هذا الأمير في هذا المضمار.

ويقال إن هذا التمثال الجميل عثر عليه في «أسيوط»، ولكنه في الأصل كان منصوبًا في «العرابة» كما سنبين ذلك فيما بعد، ومادته من الظران (الصوَّان) المختلف الألوان، والتمثال قد نقشت قاعدته من الجهات الأربع، وكذلك نقش العمود المستطيل الذي يرتكز عليه من جانبيه، كما نُقشت العصوان اللتان كانا يمسك بهما في يديه كالعلمين، وهاك الترجمة:

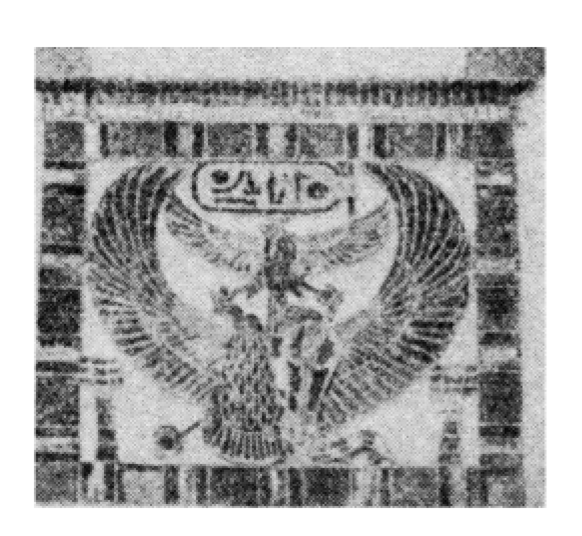
- **العلم الذي في اليد اليمنى على:** الإله الطيب؛ رب الأرضين «وسر ماعت رع ستبن رع» محبوب التاسوعين اللذين في العرابة.
- **على العلم الذي في اليد اليسرى:** ابن الشمس، رب التيجان «رعمسيس»، محبوب «آمون»، محبوب «أوزير»، رئيس الغرب؛ أي الأموات.
- **النقوش التي على القاعدة:** يا آمون، ليتك تعطي النفس لابن الملك الكاهن سم «خعمواست»، وهو ذلك النفس الحلو الذي في أنفك! وإن ابن الملك «خعمواست» صادق القول يتخذ مقعده على العرش العظيم الذي في «هرموبوليس» (أرمنت الحالية)، ابن الملك «خعمواست» يحرس بيضة الصائح

العظيم (الإله «آمون» في صورة الأوزة)، وكما أنها ثابتة فإن ابن الملك «خعمواست» ثابت، والعكس بالعكس، وكما تعيش فإنه يعيش، وكما أنها تستنشق الهواء فإنه كذلك يستنشق الهواء.

- **النقوش التي على سطح القاعدة:** لقد عمله ابن الملك «خعمواست» بمثابة أثره، وتمثاله لملايين السنين لأجل أن يبقى في العرابة أبديًّا (؟) على دائرة (؟) رب الأبدية بمثابة مكان فاخر للقربان، والمحل العظيم لأرض الصدق، الإقليم المقدس لتقديم الشكر للكائنات الممتازة (أو التماثيل)؛ لأجل أن يفتح طريقه لهذا الروح الممتاز الذي يأوي إلى المكان الذي فيه تمثال أكبر أولاد الملك، ومحبوبه الكاهن سم «خعمواست».

- **النقوش التي على العمود الخلفي:** يا «أوزير»، يا أكبر الآلهة، ويا أفخر ممن سواه، ليتك تشاهد ما يفعل ابن الملك الكاهن سم «خعمواست»، لقد عمل على أن يجعلك عظيم الشكل، وإنه يعيش بوساطتك يأيها الإله، وإنك تعيش بوساطته، ليتك تنصبه حاجبك الوحيد! وإنه حام يحوم حول الجبانة، وواحد (أي قائد) يعرف طريق المرور (؟)، وإنه قد رفع «حدز»، وحمى «نكن» (أي أوزير)، وإنه قد قوى من ينام على فخذه (أي الميت)، وقد ثبت «إي»، و«سنح»، وحمى «أشستانسا» (؟)، وإنه يفتح فم «سكر» نفسه، وإنه قد خلق السحر في فرج «نوت»، وإنه يفتح المشيمة الملكية، وإنه قد جعل حنجرتك تتنفس، وإنه هو الذي يقبض على سواعد أعدائه كل يوم، ليتك تظهر بفخار بوساطته بمثابة رب «العرابة» بقدر ما تعطيه ثباتًا وفلاحًا وبقاء في معبدك لأنه ابنك وحاميك.

قربان يمنحه «أوزير» رئيس الغرب … من سوَّاه رحم أمه في أمان ونصر، فاخرًا في السماء، وقويًّا على الأرض، والنجار الأول في حماية سيده، ومن على رأس الأزميل ومن يفتح الطريق العظيم لإقليم «العرابة» حتى يثوى في مكانها (؟) في كل عيد … قاعة الصدقين في يوم حصر فضائل ابن الملك الكاهن «سم» الذي يقوم بدور «عمود أمه» «خعمواست».» (عمود أمه = لقب كهانة).



شكل ٢٤: صدرية باسم «رعمسيس الثاني».

ولا نزاع في أن لغة هذا المتن المعقدة تُظهر أن كاتبها قد قصد بها الغموض إذا ما قرنت بالمتون الأخرى، ومن ثم نفهم أن صاحبها كان من كبار رجال اللغة، والأمور الخفية؛ مما جعلنا في حيرة للوصول إلى كنه المتن، ومع ذلك يمكننا أن نفهم منه ما يأتي على وجه التقريب، فنعلم من مضمون المتن ومن العلمين اللذين كان يحملهما «خعمواست» أن الأمير قد نصب تمثاله في العرابة، ويحتمل أن ذلك كان في المعبد نفسه؛ حيث كان يمكنه أن يتسلم نصيبه من القربان المقدس، وعلى ذلك يكون المتن الأصلي خطابًا موجهًا للإله «أوزير» الذي كان يعده «خعمواست» حاميًا له، غير أننا نلحظ في صلاته له أنها لم تكن صادرة من شخص متواضع متضرع لإله، بل كانت طلبًا من ساحر عظيم يعد نفسه مساويًا لإلهه، بل في الواقع كان يعد نفسه أنه هو الذي عمل على فخاره، ومما يلفت النظر في هذه المتون تعدد قوى «خعمواست» العظيمة. حقًّا إن قائمة المخلوقات العجيبة التي ذكرها الساحر هنا لا نفهم منها شيئًا كثيرًا، ولا يمكن تعريفها، غير أن العبارة التي جاءت في المتن القائلة بأن «خعمواست» يقوم بالاحتفال بفتح المشيمة الملكية لها أهمية عظيمة، فقد كتبت عنها «مس مري» مقالًا.[٣٢٨]

ومهما يكن المعنى الأصلي لهذا الحفل الخفي، فإن «خعمواست» يعد من الأشخاص الذين كانوا يحملون هذا اللقب — الذي لا نعرف عنه شيئًا إلا في عهد الدولة القديمة — في عهد الأسرة التاسعة عشرة، هذا وكان أحب أولاد الفرعون إليه، والكاهن الأكبر للإله «بتاح». يضاف إلى ذلك أنه كان على اتصال وثيق بوالده؛ إذ كان هو الذي يقوم له بأحفال الأعياد الثلاثينية، وغيرها من مهام الأمور كما ذكرنا. وقد عثر له على تمثال آخر في متحف «فينا» من الجرانيت (راجع A. Z. XVIII, p. 49).

وهذا الأمير كان له شهرة عظيمة في المسائل اللاهوتية الخفية، وفي علم السحر، وقد عزت إليه التقاليد في العصور المتأخرة تأليف عدة كتب عن السحر تحوي إرشادات لاستدعاء الأرواح والعفاريت الخاصة بهذا العالم وبعالم الآخرة، وقد أصبح بطل قصة خرافية؛ ذكر فيها عنه كيف أنه لما سرق من مومية إحدى السحرة كتب الإله «تحوت» أصبح فريسة غول تقمصه.[٣٢٩]

وتدل شواهد الأحوال على أن «رعمسيس الثاني» قد خلص نفسه من أعباء الحكم عندما سلم مقاليد الأمور لابنه «خعمواست».

وقد كان أهم ما وجه «خعمواست» إليه عنايته، هو أن يحافظ بكل دقة وأمانة على القوانين الدينية، فاحتفل بأعياد الفيضان في جبل سلسلة في السنة الثلاثين، والرابعة والثلاثين، والسابعة والثلاثين، وكذلك في السنة الأربعين،[٣٣٠] كما أشرف على الاحتفالات بتأليه والده وهو العيد الثلاثيني كما ذكرنا.

وقد كان قبل عهد «رعمسيس الثاني» يعبد العجل المقدس الذي ينتسب للإله «بتاح» في معبد خاص في «منف»، وكان لا يزال موجودًا حتى العصور المتأخرة، وكان هذا العجل يُدعى «أبيس»، وبعد موته أو ذبحه على رأي البعض كان يُحنط مثل الآدميين، ويدفن باحتفال عظيم في الجبانة، ومنذ عهد «أمنحتب الثالث» — كما ذكرنا آنفًا — كانت مدافن العجول «أبيس» تشمل حجرة نُحتت في الصخر تحت الأرض يصل الإنسان إليها بطريق منحدرة، وفوق هذا المدفن كانت تقام مقصورة أو محراب أطلق عليه اليونان

اسم «السرابيوم»، وكان لا يُدفن فيها إلا عجل واحد، فلما جاء عهد «رعمسيس الثاني» وأصبحت مقاليد الأمور في يد الأمير «خعمواست» نحت جبانة شاسعة الأرجاء تتألف من حجرة تحت الأرض، يبلغ طولها نحو مائة ياردة في عمق الصخر، وعلى كلا جانبي هذه الحجرة أعد لكل عجل حجرة دفن، وبعد الدفن كان البناءون يبنون الجدار ثانية. وقد تكلمنا فيما سبق عن العجول التي دُفنت في عهد هذا الأمير، وقد ظلت إدارة حكم البلاد في يده ما يقرب من ربع قرن من الزمان إلى أن توفي في العام الخامس والخمسين من حكم والده، وقد ترك لنا آثارًا عدة في طول البلاد وعرضها،[٣٣١] وقد وصلنا تقرير وُجه إليه بوصفه حاكم «منف» عن ستة من العبيد الهاربين.[٣٣٢] وإلى هذا الأمير تنسب كل المجوهرات التي عثر عليها في مدافن العجل «أبيس» بسقارة، وهي التي نقلها مريت باشا إلى بلاده مع كل آثار هذه العجول التي تُعد بحق من أنفس ما تركه لنا قدماء المصريين، وتعد بآلاف القطع.

- (٥) الأمير «منتو حرشف»: ذُكر اسم هذا الأمير في القوائم الثلاثة الهامَّة التي ذُكر عليها أولاد «رعمسيس»، والظاهر أنه كان على رأس الفرسان والعربات مع والده في حصار «دابور»، ومعه خمسة من إخوته،[٣٣٣] ويوجد جعل القلب الذي كان يوضع على صدر المومية باسمه بمتحف «برلين»، وكذلك عثرنا على صورة له في «تل بسطة» مغتصبة.[٣٣٤]

- (٦) الأمير «نب انخاروا»: ذُكر اسمه في القوائم الثلاثة، وفي حصار «دابور».[٣٣٥]

- (٧) الأمير «مري آمون»: اشترك مع والده في حصار «دابور» كما ذُكر في قائمة «الرمسيوم»، وكذلك في الكرنك.[٣٣٦]

- (٨) الأمير «آمون مويا»: ذُكر في القائمتين السالفتين، كما اشترك مع والده في حصار «دابور» (راجع L. D. III, p. 166).

- (٩) الأمير «سيتي»: اشترك مع والده في حصار «دابور» كما ذُكر في الكرنك، وهو ابن الملكة «نفرتاري»، وقد ظل على قيد الحياة حتى العام الثالث والخمسين من حكم والده، غير أنه جاء ترتيبه العاشر في قائمة الأقصر.[٣٣٧]

- (١٠) الأمير «ستبن رع»: اشترك مع والده في حصار «دابور» كما جاء ذكره في قائمة «الرمسيوم»، وترتيبه التاسع في قائمة الأقصر.[٣٣٨]

- (١١) الأمير «رع مري»: ذكر في قائمة «الرمسيوم»، وفي معبد «العرابة المدفونة».[٣٣٩]

- (١٢) الأمير «حرحرونمف»: ذكر هذا الأمير في قائمتي «الرمسيوم»، و«العرابة» (راجع L. D. III, p. 168).

- (١٣) الأمير «مرنبتاح»: ابن الملكة «إست نفرت»، وقد اختاره والده بعد وفاة «خعمواست» في العام الخامس والخمسين من حكمه ليكون وارثه على العرش، ولذلك حمل كل الألقاب التي كان يحملها «خعمواست»، فكان يلقب الكاهن الأول للإله «بتاح»، ورئيس الأرضين، وكاتب الفرعون، والقائد الأعلى للجيش؛ مما سنفصل فيه القول فيما بعد.[٣٤٠] (راجع أيضًا Petrie Hist. III, p. 36-7).

ومما يلحظ أن معظم الآثار التي ذُكر عليها كانت في الدلتا، ولم يذكر إلا مرة واحدة مع أسرته في لوحة منحوتة في صخور «أسوان»،[٣٤١] وكذلك على لوحة أخرى في السلسلة؛ حيث كان يحمل الألقاب السالفة الذكر، بالإضافة إلى ابن الملك الكاهن «سم» من ظهره ومحبوبه.[٣٤٢]

- (١٤) الأمير «أمنحتب»: وقد جاء ذكره في قائمة «الرمسيوم» (راجع L. D., III, 168).

- (١٥) الأمير «اتف آمون»: كذلك ذُكر في قائمة «الرمسيوم»، وفي ورقة العبيد الموجودة في «ليدن» السالفة الذكر (راجع Lyden, Aegypt Mon. 179).

- (١٦) الأمير «مري آتوم»: هذا الأمير يحمل لقب حامل المروحة على يمين الفرعون، وكذلك لقب أكبر أولاد جلالته، وقد نُحت على جانب تمثال لوالدته الملكة «نفرتاري» عثر عليه في «الأقصر»، وهو موجود الآن «بمتحف بركسل»،[٣٤٣] وقد جاء اسمه في قائمة «الرمسيوم»،[٣٤٤] وكذلك في «الأقصر».[٣٤٥]

- (١٧) الأمير «حبن تانب»: جاء ذكره في قائمتي «الرمسيوم»، و«الأقصر».
- (١٨) الأمير «مري رع»: كذلك ذُكر في القائمتين السالفتين، وقد ذكر هذان الأميران الأخيران على تمثال في معبد «أبو سمبل» (راجع Petrie Hist. III, p. 37).

(١٩) الأمير «امنمأبت»: (٢٠) والأمير «سنختن آمون». (٢١) والأمير «رعمسيس مرن رع». (٢٢) والأمير «تحتمس»؛ ذُكروا جميعًا في قائمة «الرمسيوم» وفي قائمة العرابة.[٣٤٦] (L. D. III, 168).

(٢٣) الأمير «سمنتو»: وهو آخر قائمة «الرمسيوم»، وقد تزوج من امرأة تسمى «عريت» بنت ربَّان سفينة سوري يُدعى «بنو عنتا» في السنة الثانية والأربعين من حكم والده «رعمسيس». وكذلك جاء ذكره على استراكون بمتحف «اللوفر» رقم ٢٢٦٢،[٣٤٧] ويحتمل أنه قبل السنة الثانية والعشرين من حكم هذا الفرعون.

(٢٤) الأمير «ست حرخبشف»: جاء ذكره في السنة الواحدة والخمسين من حكم والده، غير أن مكانه غير معروف بالنسبة لإخوته.[٣٤٨]

(٢٥) الأمير «رعمسسو وسر بحتي»: جاء ذكره على لوحة صغيرة في مجموعة جعارين فريزر،[٣٤٩] وترتيبه غير معروف كذلك بالنسبة لأسماء إخوته، وكذلك ذُكر على لوحة صغيرة أخرى في مجموعة جعارين نيو بري،[٣٥٠] وقد كُتب على هذه اللوحة ابن الملك من صلبه ومحبوبه «رعمسسو وسر بحتي».

(٢٦) الأمير «أنوب أررخو»: هذا الأمير من أولاد الملكة «نفرتاري»، وتمثاله بمتحف برلين رقم ٧٣٤٧، وترتيبه غير معروف.

(٢٧) الأمير «رعمسسو مرت ماعت رع»: وجد اسمه في قائمة «معبد السبوعة»،[٣٥١] وكذلك في قائمة العرابة، وتنتهي قائمة السبوعة برقم ٧٩.

ولدينا بعض أسماء من أبناء هذا الفرعون وجدت متفرقة نخص بالذكر منها؛ الأمير «وسر ماعت رع»، وجد رسمه على جانب تمثال صغير للفرعون «رعمسيس الثاني» في خبيئة الكرنك،[٣٥٢] ويحمل الألقاب التالية: حامل المروحة على يمين الفرعون، وكاتب الفرعون الحقيقي ومحبوبه، والبذرة المقدسة الخارجة من الثور القوي، ابن الملك من صلبه ومحبوبه، والقائد الأعلى للجيش. وعلى الجانب الآخر من تمثال «رعمسيس» نشاهد صورة ملكة قد هُشم طغراؤها، ويظهر أنها للملكة «نفرتاري مرنموت»، والظاهر أنها أم هذا الأمير.

ومن بين الأسماء التي لا يُعرف ترتيبها في قائمة العرابة لتهشيمها ما يأتي: «رعمسسوسي آتوم»، «ومنتوحقو»، و«منتومواس»، و«سيأمون»، و«سبتاح»، و«رعمسسومري» …

و«رعمسسوسي خبري»، وغير ذلك من الأسماء المهشمة (راجع Mar. Abydos, 1, 4).

الأمير «رعمسس مري-ست»: نقش اسم هذا الأمير على عارضة موجودة الآن «بالمتحف المصري».[٣٥٣]

الأمير «بارع حر أمنف»: وجد اسم هذا الأمير على لوحة صغيرة، وقد كتب عليها: «ابن الملك الذي وضعته الزوجة العظيمة، رئيس الرماة «بارع حر أمنف».»[٣٥٤]

(٨-٣) بنات «رعمسيس الثاني»

وصلت إلينا بعض قوائم بأسماء بنات «رعمسيس الثاني» يظهر أنها رُتبت على حسب سنهنَّ، هذا إلى بعض الأسماء الأخرى التي نقشت على جدران المعابد، وقد رسم معظمها مع الفرعون نفسه على تماثيله التي أقيمت في المعابد، أو على اللوحات التي أقامها في مختلف جهات القطر، وسنحاول هنا أن نذكر أهمهن على حسب ما وصلت إليه معلوماتنا.

- (١) الأميرة «بنت عنتا»: وتعد كبرى بنات الملك «رعمسيس الثاني»، وأمها الملكة «إست نفرت»، وقد ظهرت معها في منظر على صخور السلسلة،[٣٥٥] وكذلك في نقش في أسوان، كما أنها كُتبت على رأس قائمة الأقصر.أما أهم الآثار التي وجدناها مصورة عليها فهي:

عثر لها على تابوت من الجرانيت الوردي في هيئة جسم محنط، وهذا التابوت كان في الأصل لرجل، غير أنه على ما يظهر اغتصبه «رعمسيس» لابنته «بنت عنتا».[٣٥٦] وكانت «بنت عنتا» أول ابنة من بناته تزوج بها على الطريقة الفارسية القديمة، وسُميت الزوجة الملكية والابنة الملكية، وقد ظهر اسمها — كما قلنا — في قائمة الأقصر بين أسماء بنات «رعمسيس»، وفي «بو سمبل»،[٣٥٧] وعلى بردية أيضًا.[٣٥٨] هذا وقد ظهر اسمها مع زوجها، أو مع أسرتها في أماكن عدة.[٣٥٩]

وقبر هذه الأميرة والملكة يوجد في وادي مقابر الملكات «بطيبة الغربية»،[٣٦٠] والمناظر التي في قاعة هذه المقبرة نشاهد على جدرانها الملكة أمام الإله بتاح «سكر»، والإلهة «حتحور»، كما نشاهدها تقدم للإله «شو» بوساطة الإلهة «حتحور»، وكذلك تقدم للإله «أوزير» والإلهة «حتحور»، كما ترى في منظر آخر تقدم القربان للإله «بتاح»، وكذلك للإله «خبري» رب الوجود الذي يمثل الشمس في صورة جُعل، وفي كل هذه المناظر كُتب معها

ألقابها، وفي الحجرة الأولى من هذا القبر نشاهد الملكة جالسة وأمامها الخبز وفي القاعة الداخلية نشاهدها تتعبد للإله «نو» — الذي يمثل الماء الأزلي — كما ترى مع أميرة تتعبد للإله «أوزير» في حين أن الأميرة كانت تتعبد للإلهة «نفتيس»، وفي منظر آخر كانت تتعبد لكليهما.



شكل ٢٥: صورة الأميرة «بنت عنتا» ابنة «رعمسيس الثاني» وزوجه.

على أن ما يلفت النظر في قبر هذه الأميرة والملكة العظيمة ما نشاهده من اغتصاب «رعمسيس» تابوت رجل عادي لزوجة ملكية كريمة عزيزة عليه، هذا على الرغم من أنها كبرى بناته؛ ولذلك يخيل لي أن هذا الاغتصاب من جانب الملوك كان شيئًا عاديًّا، بل ربما كان شيئًا محببًا، ولعل السبب الذي دعا «رعمسيس» إلى ذلك هو أن موارد ثروته في أواخر حكمه قد قلت، وهذا شيء ملحوظ في مبانيه التي كانت كثيرة في بادئ حكمه، ثم أخذت تتضاءل في آخر أيامه كما سنتحدث عن ذلك بعد.

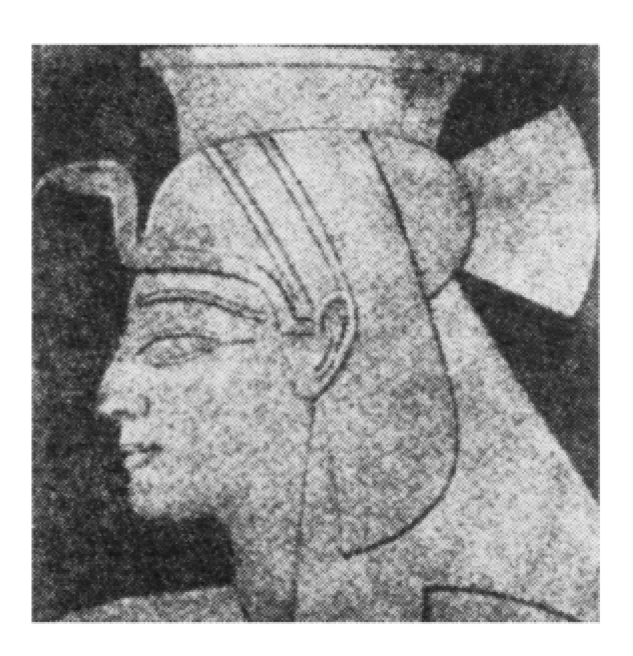
ومما يلحظ في قوائم أسماء بنات «رعمسيس الثاني» أنهن لم يكن يلقَّبن بنات ملك فحسب، بل كانت كل واحدة منهن لها وظيفة تقوم بها في المعابد المصرية، ولم تستثنَ واحدة منهن على حسب ما جاء في قائمة الأقصر، وعلى رأس هذه القائمة كانت الأميرة «بنت عنتا» تحمل لقب كبيرة نساء الإله «آمون»، وهذا أسمى لقب كهانة كانت تحمله امرأة في المعبد على ما يظهر.

- (٢) الأميرة الثانية: اسم هذه الأميرة على حسب قائمة «بو سمبل» وجد مهشمًا.[٣٦١]

- (٣) الأميرة «باكموت»: ذكر اسمها في قائمة «الدر».[٣٦٢]

- (٤) الأميرة «مريت آمون»: وتعد في قائمة «الأقصر» رابعة بنات «رعمسيس الثاني»،[٣٦٣] وقد بنى بها والدها، فكانت تلقب الزوجة الملكية العظمى، وسيدة الأرضين. وقبر هذه الملكة في «وادي الملكات»، وقد نقش عليه كل ألقابها بوصفها زوج الفرعون العظمى، ونشاهدها في قاعة هذا القبر تتعبد للإله «أوزير»،[٣٦٤] والإلهة «حتحور»، كما ترى مقدمة القربان للإله «بتاح سكر أوزير»، وكذلك للإلهين «خنوم»، و«حتحور»، وتابوتها محفوظ الآن «بمتحف تورين»، وقد نقش عليه اسمها وألقابها.[٣٦٥]

وقد ظهرت في منظر على جدران معبد «بو سمبل»، وعلى أحد التماثيل كما صورت على تمثال في «تانيس»، ووجد لها جعارين باسمها.[٣٦٦]



شكل ٢٦: الأميرة «مريت آمون» بنت «رعمسيس» وزوجه.

- (٥) الأميرة «بيكاي»: وقد وجد اسمها مع أخرى مهشمة في قائمة «الأقصر».[٣٦٧]
- (٦) الأميرة «نفرتاري»: ذكر اسمها في قائمة «بو سمبل».[٣٦٨]
- (٧) الأميرة «نبت تاوي»: ظهرت مع الفرعون على أحد تماثيله الضخمة في معبد «بو سمبل»، كما ذكرنا من قبل كما جاء اسمها في قائمة معبد «الدر».[٣٦٩]

وقد كانت تُدعى الزوجة الملكية العظمى، لذلك يحتمل أنها تزوجت من والدها «رعمسيس الثاني»، كما يظن كذلك أنها تزوجت بعد ذلك أو قبل ذلك من أحد أفراد الشعب؛ لأن ابنتها «استماخ» لم تدعَ ابنة ملك.[٣٧٠]

ولا بد أنها كانت قد تجاوزت الأربعين من عمرها عند موت «رعمسيس الثاني»، ولا يظن أنها قد تزوجت وقتئذ، ويقول الأستاذ «بتري»: إنها إما أن تكون قد تزوجت من أحد الرعايا بعد موت الملك، أو أن الخرزة المنسوبة إلى «استماخ» تشير إلى الأميرة «نبتا» بنت «أمنحتب الثالث» (راجع Petrie History III, p. 89).

وقبر هذه الأميرة في «وادي الملكات»،[٣٧١] ونشاهدها على جدران قاعة هذا القبر، وهي تقدم القربان لصورة «ماعت»، كما نشاهدها في القاعة الداخلية، وهي تتعبد للإله «جب»، وكذلك للإله «حور اختي».

- (٨) الأميرة «إست نفرت»: هذه الأميرة تزوجت من أخيها «مرنبتاح» الذي أصبح فيما بعد ملكًا على مصر بعد والده «رعمسيس الثاني»، وقد وجد اسمها في قوائم «الدر»، و«بو سمبل»، و«الأقصر».[٣٧٢]

- (٩) الأميرة «حنت تاوي»: وجدت صورتها على تمثال «رعمسيس الثاني» في معبد «بو سمبل»،[٣٧٣] كما جاء ذكرها في قائمة «الدر»،[٣٧٤] وكتب اسمها على خرزة من الكرنلين (أو حجر الدم) وجدت في معبد «السرابيوم».[٣٧٥]

(١٠، ١١) الأميرتان «ورنرو» و«ونزموت»: ذُكرتا في قائمتي «الدر»، و«بو سمبل».[٣٧٦]

وذكر «بتري» أسماء أخرى كثيرة من بنات هذا الفرعون.[٣٧٧]

والواقع أنه لا يمكن حصر أسماء أولاد «رعمسيس الثاني» الذكور أو الإناث على وجه التأكيد؛ لأن هذه القوائم التي وصلت إلينا كُتبت في تواريخ مختلفة من حياته، وليس لدينا قائمة كاملة من أواخر حكمه يمكننا أن نعرف منها حقيقة عدد أفراد أسرته.

(٩) الموظفون والحياة الاجتماعية والدينية في عهد «رعمسيس الثاني»

كان عهد «رعمسيس الثاني» الطويل حافلًا بجلائل الأعمال التي تمت في أثناء حكمه، ولا غرابة إذن أن نجده قد استخدم في إنجاز أعماله والقيام بمهام الحكم في مختلف نواحي البلاد عددًا عظيمًا من كبار رجال الدولة الذين امتازوا بمهارتهم، وطول باعهم في مختلف الأعمال، ولسنا مبالغين إذا قررنا هنا أنه استخدم مدة انفراده بالحكم عددًا من الرجال في وظائف الحكومة وفي المعابد أكثر من أي فرعون آخر في التاريخ المصري، وسيرى القارئ أن حياة هؤلاء الموظفين ستكشف لنا عن حياة القوم الاجتماعية والدينية والسياسية والصناعية في كثير من الأمور التي لم يدونها لنا «رعمسيس» على جدران معابده الخاصة ولوحاته التي تركها لنا، إذ سنرى من بين هؤلاء الرجال من سيوضح لنا تاريخ حياته بصور

من الحياة المصرية لم نكن نعرف عنها شيئًا مما تركه لنا هذا الفرعون العظيم عن نفسه، أو من اتصل به في نقوشه الخاصة التي ملأ بها بلاد الوادي، وممتلكاته في آسيا.

ومما يؤسف له جد الأسف أن حياة بعض هؤلاء العظماء قد جاءت مبتورة، فإن ما وصل إلينا منها قليل جدًّا، ولكن الأمل في ملء الفجوات في تاريخ حياتهم عظيم؛ لأن الكشوف الأثرية التي تظهر في مصر الآن تجيء متلاحقة يجري بعضها وراء بعض كل يوم، وتمدنا بالحقائق الجديدة عن تاريخ أولئك الرجال، كما تكشف لنا عن حياة غيرهم، مما لم نكن نعرف عنهم شيئًا، أو نعرف أسماءهم فحسب.

والذي يلفت النظر في هؤلاء الموظفين أنهم كانوا من أسر معروفة في مصر، وقد انحصرت الوظائف فيهم، وبخاصة أسرة الكاهن الأكبر «وننفر» الذي كان يشغل وظيفة الكاهن الأول للإله «أوزير» «بالعرابة المدفونة»، وأسرة هذا الكاهن قد ابتلع أفرادها، ومن ينتمون إليهم كل وظائف الحكومة تقريبًا في عهد هذا الفرعون، كما سنوضح ذلك بعد، وتدل شواهد الأحوال على أن كثيرًا من هذه الوظائف كان في معظم الأحيان وراثيًّا في أفراد الأسرة الواحدة؛ مما يعضد رأي «هردوت» بعض الشيء عندما قال: «إن الوظائف والحِرف كانت وراثية في مصر.» يضاف إلى ذلك أنه قد صورت أمامنا على مقابر هؤلاء الموظفين بعض الظواهر الجديدة، التي لم تألفها في عهد الأسرة الثامنة عشرة، كما اختفت مناظر أخرى مما كنا نشاهدها مصورة قبل عهد الرعامسة؛ ولذلك لم نتردد في شرح مناظر كل مقبرة يبدو فيها شيء جديد كلما سنحت الفرصة، على الرغم مما فيها من تطويل للقارئ المعتاد.

(٩-١) وزراء «رعمسيس الثاني»

(أ) الوزير «باسر»

كان «باسر» من كبار رجال الأسرة التاسعة عشرة الذين عاصروا كلًّا من الملك «سيتي الأول»، وابنه «رعمسيس الثاني»، وقد ترك لنا آثارًا عدة في طول البلاد وعرضها، وأهمها قبره الذي نحته في صخور «شيخ عبد القرنة» (رقم ١٠٦).[٣٧٨]

ومن النقوش التي تركها لنا هذا الوزير نعلم أن جده كان يُدعى «تابايا»، وجدته تُدعى «تاتويا»، ووالده يسمى «نبننترو» (تري).

وقد بلغ «باسر» أعلى مكانة في وظائف الحكومة، إذ كان رئيسًا للوزراء في عهد كل من «سيتي الأول»، و«رعمسيس الثاني»، وتدل الألقاب التي كان يحملها والده على أنه من أسرة عريقة في خدمة الفراعنة، فقد كان يحمل الألقاب التالية: القاضي، والكاهن الأكبر للإله آمون، والكاهن الأكبر للإله «بتاح»، والمشرف على كهنة الوجهين القبلي والبحري، والأمير الوراثي، وحامل خاتم الوجه البحري، والسمير الوحيد، ورئيس أسرار المحاكم الست، والكاهن الأول لـ «آمون» في «عين شمس الجنوبية» (أرمنت)، وكذلك كانت أمه

«مري رع» تحمل لقب رئيسة نساء «آمون» بالكرنك، ورئيسة نساء «آمون بمنف»، ومغنية «حتحور» سيدة «حتب» (مكان بالقرب من هليوبوليس).

ألقاب «باسر» ونعوته

وعلى حسب ما جاء على آثار هذا الوزير كان يحمل الألقاب التالية: الأمير الوراثي، ورئيس القضاة، ونائب «نخن» (الكاب)، وكاهن الإلهة «ماعت»، والكاهن والد الإله ومحبوبه، وعمدة المدينة والوزير، والفم الذي يهدئ كل الأرض، والمعظم لدى الفرعون، وحامل المروحة على يمين الفرعون، والكاهن الأول للإله «آمون» في «عين شمس الجنوبية» (أرمنت)، والكاهن الأول للإلهة «وازيت»، والكاهن الأول للإلهة «ورت حقاو»؛ أي العظيمة في فن السحر، وهو لقب يطلق على الإلهة «إزيس» أو الإلهة «بوتو»؛ أي «وازيت»، ورئيس أسرار بيت الإلهة «نيت»، وحاجب الفرعون لصورته المقدسة (؟)، ومهدئ قلب الأرضين لمليكه، وأذنا ملك الوجه القبلي في قصره، ورئيس التشريفاتية العظيم لرب الأرضين، والمشرف على الأعمال في بيت الأبدية (الجبانة)، والأمير الوراثي في بيت «جب»، وعينا الملك في الأرض قاطبة، ومن يدخل في حضرة ملك الوجه البحري، ومن يسر قلب رب الأرضين، والعظيم في بيت الفرعون، ومن يتقدم الأمراء في القصر، ومن يقال له ما في القلب (أي قلب الفرعون)، ومن لا يخفى عليه شيء، ومن يسر أذني «حور» بالعدالة، والذي يخرج من فمه ما يهدئ، ورئيس تشريفاتية رب الأرضين، وقائد أعياد «آمون»، وأول سُمار القصر، ووزير العدل، وكاتب الفرعون الحقيقي ومحبوبه، ومدير أعمال الآثار العظيمة، ومدير المديرين لكل بيوت صناعات الفرعون، وعظيم الحكام العشرة للوجه القبلي، وحاكم «بات» (العدالة) في معبد الإلهة «سخمت» (القاضي)، والمشرف على كل الخزانات المالية الملكية، ومن يثبت الحدود، وقائد الشعب، والقاضي الراجح العقل، والمشرف على البيت العظيم، ورئيس الأرض قاطبة، والصادق مثل «تحوت»، والمشرف على المحاكم الست العظيمة.[٣٧٩]

ومما يلفت النظر في هذه الألقاب لقب «الكاهن الأول للإله آمون» في «عين شمس الجنوبية» (أي أرمنت)، فقد وجد على قطعة من لوحة محفوظة الآن «بمتحف الفاتيكان»، وعليها النقش التالي: «الأمير الوراثي، والكاهن والد الإله، وعمدة المدينة «باسر» الكاهن الأول لـ «آمون» في «إيون».»

والظاهر من ذلك أن الوزير «باسر» كانت له علاقة بعبادة «آمون»، ولكن المقصود هنا كما هو الظاهر هو «آمون» إله «إيون الجنوبية» (أي أرمنت) لا «آمون» إله «الكرنك». ويتساءل الأستاذ «ليفبر» عما إذا كان لقب الكاهن الأكبر لـ «آمون أرمنت» الذي وضع على غير العادة خلف الاسم يخص الوزير «باسر» حقيقة أم لا، ثم يقول: من الجائز أنه كان يوجد بين الاسم «باسر»، واللقب (الكاهن الأول) لفظة «ابن»، وعلى ذلك تكون العبارة: ««باسر بن الكاهن الأول لـ «آمون أرمنت».» والواقع أن «نبننترو» والد «باسر» كان الكاهن الأول لـ «آمون» في «أرمنت»، وهذا الرأي مقبول جدًّا، وبخاصة لأنه لا يوجد هذا اللقب على أي أثر

من الآثار التي تركها لنا هذا الوزير،[٣٨٠] ويجب هنا أن لا نخلط بين «باسر» هذا و«باسر» الكاهن الأول للإله «آمون»، الذي سنتكلم عنه في مكانه.

وقبر هذا الوزير في جبانة «شيخ عبد القرنة»، ويحتوي على ردهة عظيمة عارية من النقوش، وفوق مدخل الباب اسم الفرعون «سيتي الأول» ولقبه، ومتن يحتوي على أنشودة للإله «رع» عند شروقه ينشدها المتوفى ووالدته،[٣٨١] وفي قاعة هذا القبر نرى على الجدار الأيسر من المدخل منظرًا فخمًا يمثل الملك «سيتي الأول» في محراب، وأمام هذا المحراب «باسر» يقف مظهرًا السرور، إذ كان يقلده اثنان عقدا أنعم به عليه الفرعون، كما نجد في هذا القبر منظرًا يمثل النحاتين والصُّياغ، غير أنه مهشم. ولدينا منظر آخر يمثل نجارين يعملون، وصناع معادن وهم منهمكون في أعمالهم، ولكن يلفت النظر هنا صورة مثَّالين معروفين في نقوش هذا العصر، وهما؛ الكاتب الأول «آمون وحسو»، فيُرى وهو يلون وجه تمثال، في حين نشاهد المثَّال الآخر المسمى «حوي» يحضر التاج المزدوج، ويضعه على رأس «بولهول» الذي يمثل هنا الملك «سيتي الأول»، وهذا المنظر نصادفه كثيرًا في هذا العهد عندما تُصنع عدة تماثيل عادية وتماثيل «بولهول»؛ إذ تعمل التيجان على حدة، ثم تثبت بالدسر والجص، وهذان المثَّالان «آمون وحسو»، و«حوي» معروفان لنا من آثار أخرى.[٣٨٢]

ومن المناظر الطريفة في هذه القاعة صورة إلهة تتقمص شجرة — وتكون عادة الإلهة «حتحور» أو الإلهة «نوت» — وتبرز من قلب الشجرة لتقدم الشراب للمتوفى وزوجه، (والشجرة شجرة الجميز).

كما يوجد منظر يمثل الإله «آتوم» في سفينة الشمس، ومعه «سيتي الأول» يقدم قربانًا، وأمام هذه السفينة نشاهد أرواح بلدة «پ»، (أو «بوتو») وبلدة «نخن» (الملوك الغابرين)، وتستند القاعة على سبعة عمد نُقش على جوانبها صلوات للإله، وألقاب «باسر»، وألقاب «أوزير».

ونشاهد المتوفى كذلك يتعبد للإله «منتو»، ويقدم المديح للإله «سيتي». ومن أهم ما يلفت النظر في هذا القبر الصورة التي تمثل المتوفى يتعبد للملك «أمنحتب الأول»، وأمه الملكة «أحمس نفرتاري»، مقدمًا البخور لهما، وقد رُسما باللون الأسود علامة على أنهما قد تُوفيا، وأصبحا مثل «أوزير». وعلى نقوش العمود السابع نشاهد المتوفى يتعبد للملك «سيتي الأول»، وقد كان مؤلهًا مدة حياته أيضًا — كما ذكرنا آنفًا. وعلى العمود الأول نقرأ أنشودة للملك «رعمسيس الثاني»، أما القاعة الداخلية في هذا القبر فنرى على جدرانها رسم نقل تمثال في محراب، غير أن المنظر هُشم تمامًا.[٣٨٣]

ويوجد للوزير «باسر» آثار عدة في مختلف جهات القطر أهمها ما يأتي:

(١) المقصورة التي نحتها في الباب الشمالي لمقصورة «حور محب» العظيمة المنحوتة في صخور السلسلة، ويشاهَد على عتب هذه المقصورة منظر مزدوج مثل فيه أولًا «باسر»

يتعبد للآلهة: «بتاح»، و«تحوت»، و«ماعت»، وثانيًا أمام «آمون رع»، و«منتو»، و«رع»، والإلهة «نيت»، وقد نقش على عارضتي الباب متون قربان في أسفلها صورة «باسر»، وعلى جدران المقصورة نفسها نُقشت أناشيد ثلاثة للإله «رع»، وفي أسفلها صورة «باسر».[٣٨٤]

وفي صخور السلسلة نقش «باسر» لوحة يشاهَد فيها يتعبد لطغراءين محيت نقوشهما، وكذلك نجد ثلاثة أسطر خلف «باسر»، ولكن دون أن يمس اسمه ولقبه بسوء، والظاهر أن المقصود بالأذى في هذه الحالة كان الفرعون، غير أننا لا نعرف من هو الملك هنا، هل هو «سيتي الأول» أو «رعمسيس الثاني»؛ لأن هذا الوزير قد عاصر كلًّا منهما، هذا إلى أننا لا نعرف السبب في كلتا الحالتين سواء أكان «سيتي» أم «رعمسيس» ابنه هو المقصود.[٣٨٥]

وفي «متحف بوستون» «بنيويورك» جزء من لوحة من الحجر الجيري الأبيض، وقد مثل عليه منظر يظهر فيه «باسر» يتبعه شخص آخر واقف خلف الفرعون «رعمسيس الثاني» الذي نشاهد الإلهة «حتحور» واقفة خلفه تحميه، ويحمل «باسر» في هذه اللوحة الألقاب التالية: «حامل المروحة على يمين الفرعون، وعمدة المدينة، والوزير «باسر» المرحوم، ورئيس العمال في …» ولا شك في أن «باسر» هذا هو «باسر» الذي نحن بصدد الكلام عنه، وعليه يمكن أن نضيف هذا الأثر الذي نحن بصدده إلى آثاره الأخرى.

وبهذه المناسبة يجدر بنا أن نشير إلى وجود اسم «باسر» بين الوزراء وحكام بلاد النوبة في الدولة الحديثة، والواقع أن «فيل» قد دوَّن في كتابه عن وزراء مصر وزيرين بهذا الاسم؛ الأول: في عهد الملك «آي»، والثاني: في عهد «رعمسيس الثاني» الذي نحن بصدده الآن، وقد دون كذلك «ريزنر» عند كلامه على حكام بلاد النوبة نائبين لبلاد «كوش» بهذا الاسم؛ الأول: كان في عهد الملك «آي»، أو «حور محب»، والثاني: في عهد «رعمسيس الثاني».

ومن الواضح أن الوزير «باسر الأول»، ونائب الملك «باسر الأول» موحدان، وقد استقى كل من «ريزنر» و«فيل» حجته من مصدر واحد، وهو نقوش جبل الشمس؛[٣٨٦] إذ إن كل الألقاب التي دونها كل منهما توجد هناك، غير أن «فيل» قد حذف لقب المشرف على كل الأراضي الأجنبية (أو الجبلية للإله «آمون»)، كما حذف «ريزنر» لقب «وزير العدل»، ولكن من جهة أخرى يجب أن نفهم هنا أن الوزير «باسر الثاني» ليس هو بعينه «باسر الثاني» نائب الملك في «كوش»؛ وذلك لأن الأول هو ابن «نبنترو» على حين أن والد الآخر هو «منموسي».[٣٨٧]

وقد دل البحث الذي قام به الأستاذ «أنتس»[٣٨٨] على أن الوزير «باسر» كان يحمل لقب «الكاهن الأكبر للإله آمون» في «أرمنت»، كما كان يحمل لقب الكاهن «سم»، وأعظم الرائين في «طيبة»، والكاهن الأول للإله «آمون رع» ملك الآلهة، وأنه ورث هذه الوظائف عن والده «نبنترو»، وأن هذه الألقاب قد وجد بعضها في نقوش قبره، وعلى آثاره الأخرى، هذا فضلًا عن أن بعض الوزراء السابقين كان يحمل هذه الألقاب مع بعض اختلافات بسيطة.

ومن الألقاب الهامة التي لم تذكر بعد في ألقاب هذا الوزير لقب «المشرف على كهنة كل الآلهة» في الوجهين القبلي والبحري، وهذا اللقب نعرفه في صورته المختصرة: المشرف

على كهنة الوجهين القبلي والبحري، وكان يحمله والد «باسر»؛ وقد ظن البعض أن هذه الوظيفة كان يشغلها الكهنة وغير الكهنة، وأنها وظيفة خاصة بإدارة الأطيان، وأن حاملها يعد بمثابة وزير الأوقاف الدينية، غير أن البحوث دلت على أن هذه الوظيفة في أصلها كانت ذات علاقة وثيقة بوظيفة الكاهن الأكبر للإله «آمون» في الكرنك، وقد بقيت في أيديهم ولم تخرج منها إلا في حالة خاصة حتى عهد «أمنحتب الثالث»؛ إذ نجد مثلًا أن «رع موسى» وزير هذا الفرعون كان لا يحمل غير لقب وزير وحسب، ولم تعد وظيفة «الكاهن الأكبر» لكهنة «آمون» (أي وزير الأوقاف) بعد إلى «طيبة» في «الكرنك»، بل نجدها حتى عهد «سيتي الأول»، كان يحملها الكاهن الأكبر لـ «آمون» في «أرمنت» مدة جيلين، ولما تولى «باسر» الوزارة كان يحمل هذا اللقب، وقد خلعه على خلفه الوزير «نفر رنبت»، وفي نهاية حكم «رعمسيس الثاني» عادت هذه الوظيفة إلى «الكرنك»، وكان أول من حملها «رومع روي» الذي ظل يشغلها حتى عهد «سيتي الثاني»، وقد بقيت هناك حتى النصف الثاني من الأسرة العشرين،[٣٨٩] وقد حدثتنا الآثار عن ارتباط رئيس كهنة آمون بإدارة الأراضي الخاصة بالمعابد منذ الارتباك الذي حدث من جراء تولي الملك بعد عهد «تحتمس الأول»، وقد بقي كذلك حتى شعر «أمنحتب الثالث» بخطر الكهنة على أملاك الدولة، فقام لمحاربة رؤساء كهنة «آمون»، واستمر النضال منذ عهد «تحتمس الرابع»، وبلغ أشده في عهد «إخناتون» الذي قضى على الطائفة كلها، وقد بقيت الحال على ذلك حتى أوائل الأسرة التاسعة عشرة عندما بدأ رد الفعل يظهر، وأصبح رئيس الكهنة يحمل لقب وزير الأوقاف ثانية، وقد استمرت هذه الوظيفة في أيديهم حتى أواخر العهد الفرعوني، اللهم إلا فترة قصيرة جاءت في عهد «رعمسيس الثالث».

(ب) الوزير «نفر رنبت»

لم يُعثر على قبر هذا الوزير حتى الآن، غير أنه ترك لنا بعض آثار قليلة نقش عليها اسمه، وأسماء أفراد أسرته، والظاهر أن والده كان من الطبقة الوسطى، فكان يحمل لقب القاضي أو الوجيه (ساب)، وكان يسمى كذلك «نفر رنبت». أما والدته فكانت تحمل اللقب العادي الذي كانت تلقب به كل سيدات الطبقة الوسطى، وهو «ربة البيت»، واسمها «كافيراياتي»، وكانت زوجه تُدعى «بييو»، وقد رُزقت منه غلامين وأربع بنات. أما هو فكان يحمل الألقاب العادية التي كان يحملها الوزير في هذا العهد، وغيرها من الألقاب العالية، والنعوت السامية، وهي:

الأمير الوراثي، رئيس الأرضين، والكاهن الأكبر للإله «بتاح»، والكاهن «سم»، والكاهن والد الإله ومحبوبه، ورئيس القضاة، ورئيس أسرار السماء والأرض والعالم السفلي، ونائب «نخن»، وكاهن الإلهة «ماعت» (العدالة)، ومدير كل الفراء (ملابس الكهانة)، والمشرف على كل كهنة الآلهة في الوجهين القبلي والبحري، والمدير العظيم لكل عمال الإله «بتاح» — أي الكاهن الأعظم للإله «بتاح»، والحاكم — وحامل المروحة على يمين الفرعون، ورئيس أسرار بيت «جب»، وكاهن أول أهل الغرب (أوزير)، وعمدة المدينة، والوزير «نفر رنبت».[٣٩٠]

ومن الآثار التي خلفها لنا هذا الوزير النقش الذي دونه على بوابة معبد «أرمنت» في الجهة الشرقية من الباب، وهذا النقش من الأهمية بمكان؛ لأنه يحدد لنا الفترة التي كان يتولى فيها رئاسة الوزارة في عهد هذا الفرعون، كما يحدثنا عن بعض الأحفال بالأعياد الثلاثينية في هذا البلد المقدس، وقد تكلمنا عن هذه الأعياد الثلاثينية عند التحدث عن أعياد «رعمسيس الثاني». وفي المقصورة العظيمة التي حفرها «حور محب» في صخور السلسلة نجد منظرًا على الجدران الخارجية نقشه «رعمسيس الثاني»، ونرى فيه الوزير «نفر رنبت» يتبع سيده الذي كان يقدم صورة العدالة للإله «بتاح» في محراب صغير، وكذلك للإله «سبك».[٣٩١]

وفي «الكاب» وُجد له قطعة من الحجر مبنية في أساس المعبد داخل السور العظيم، وقد جاء عليها النص التالي:

> «وسر ماعت رع ستبن رع»، ابن الشمس محبوب «آمون» «رعمسيس الثاني»، معطي الحياة أمر جلالته عمدة المدينة الوزير «نفر رنبت» …

والظاهر من هذا النقش أن الفرعون قد كلف هذا الوزير إما بإقامة مبنى في هذه الجهة، أو الاحتفال بأحد الأعياد الثلاثينية.[٣٩٢]

ومما جاء في نقوش الأعياد الثلاثينية التي وجدت في «أرمنت» نعرف أن هذا الوزير كان من الوزراء الذين عاصروا «رعمسيس» في آخر حياته.

(ج) الوزير «رع حتب»

كان الوزير «رع حتب» من وزراء الفرعون «رعمسيس الثاني» الذين لهم شهرة واسعة، ويدل ما لدينا من الآثار، وبخاصة لوحته المحفوظة في متحف «ميونخ»،[٣٩٣] ولوحة أخرى عثر عليها في «العرابة»[٣٩٤] على أن مقر وظيفته كان في شرقي الدلتا في عاصمة «رعمسيس» الجديدة المسماة «بررعمسيس»، ولكن من جهة أخرى وجدت له لوحة أخرى قيل إنها من «منف»، ومنها نستنبط أن مقر وظيفته كان في الأصل في هذه العاصمة القديمة، ثم انتقل فيما بعد إلى العاصمة الجديدة.

ولقد ظل قبر هذا الوزير مجهولًا إلى أن كشف عنه الأثريان «بتري»، و«برانتن» في بلدة «سدمنت» الواقعة عند مدخل مدينة «الفيوم»،[٣٩٥] وقد بقي من هذا القبر حتى الآن بئران، وعدد عظيم من الحجرات شكلها غير منتظم،[٣٩٦] أما البناء الذي كان مقامًا فوق حجر الدفن هذه فلم يبقَ منه شيء قط، وقد حفرت حجر الدفن إلى عمق يبلغ نحو خمسة أمتار ونصف متر تحت الأرض. وفي حجرة دفن هذا الوزير تابوتان متجاوران، أحدهما للوزير

«رع حتب» نفسه، والثاني للوزير «بارع حتب»، والظاهر كما يقول الأستاذ «شارف» أن مقرَّ وظيفته كانت بلدة تسمى «بررعمسيس» غير العاصمة؛ وذلك لأن اسم «رعمسيس» في تركيب اسم هذه البلدة لم يكن محاطًا بطغراء، بل كان محاطًا برسم يعبر دائمًا عن الحصن، وإن كان ذلك ليس ببرهان مقنع. وما وجدناه من نقوش يمكننا من إثبات الصلة التي بين الوزيرين بوضوح، فقد وجدنا على لوحة العرابة رقم ١١٣٨ أن أحد إخوة «رع حتب» كان يُدعى «بارع حتب»، غير أنه كان لا يحمل لقب وزير، ومن جهة أخرى نجد أن «بارع حتب» قد أقام لنفسه لوحة في العرابة (رقم ١١٦٠)، وقد ظهر فيها أمام «رع حتب» بوصفه متوفى، هذا إلى أننا نجد كلا الرجلين قد ذُكر اسمه على تمثال صغير عثر عليه «بتري» في «العرابة».[٣٩٧] وهنا نجد أن «بارع حتب» كان قد أصبح إلهًا؛ أي توفي، أما «رع حتب» فلم يكن يحمل — على الأقل في النقوش الباقية على التمثال بعد — لقب وزير، وكان لا يزال يعمل في «منف» كما يدل على ذلك وجود اسم «بتاح» إله هذه البلدة في كثير من النقوش الخاصة به، ويجب أن ننوِّه هنا بأن الأثري «لجران» لم يميز بين الرجلين، بل وحدهما في بحثه في نقوش هذه الأسرة، وتسلسل النسب فيها.[٣٩٨]

ومن أهم الآثار التي عُثر عليها باسم هذا الوزير لوحة محفوظة الآن في متحف «ميونخ»؛ إذ تكشف لنا عن صفحة شيقة في التقاليد الدينية، وبخاصة عبادة «رعمسيس الثاني» لنفسه، وعبادة الشعب له وهو لا يزال على قيد الحياة.

وجزء هذه اللوحة الأعلى مستدير، وينقسم سطحها قسمين متساويين تقريبًا، ففي القسم الأعلى نشاهد فرعونًا يتقدم وهو يطلق البخور، ويصب الماء نحو تمثال ملك أمامه مائدة قربان حافلة بألوان الطعام، ويشاهد خلف هذا التمثال أربع آذان ضخمة، وفي القسم الأسفل من اللوحة نشاهد مهدي اللوحة مرتديًا لباس الوزارة الرسمي، ورأسه عارٍ كما جرت العادة في عهد الدولة الحديثة، ويحمل هذا الوزير في يده اليسرى مروحة ومنديلًا، وينشد تضرعًا مؤلفًا من خمسة أسطر، وهو متجه نحو التمثال الموجود في القسم الأعلى من اللوحة، ومما يؤسف له أن أواخر الأسطر من هذا التضرع قد هُشمت تهشيمًا تامًّا، ومع ذلك يمكننا أن نصل إلى فهم كنه محتويات هذا التضرع بوجه عام، وهاك ما تبقى: «الصلاة لروحك (أي تمثال الملك «رعمسيس») الإله الأكبر الذي يسمع … (أو الذي يرفع التضرع) الرجال، ليته يعطي الحياة والفلاح والصحة والفطنة والمديح و… إلى الأمير الوراثي، وحامل المروحة على يمين الفرعون، وعمدة المدينة، الوزير «رع حتب» … في «بررعمسيس» محبوب «آمون».»

ونجد منقوشًا على التمثال الذي في القسم الأعلى ما يأتي: ««رعمسيس» حاكم الحكام، والإله الأكبر، وسيد السماء مخلدًا». وقد ظهر في الصورة في الجزء الأعلى ملك يخطو إلى الأمام، وفي الجهة الأخرى مائدة القربان، ونشاهد الفرعون «رعمسيس الثاني» لابسًا قبعة الحرب وهو يقدم البخور، ويصب الماء لتمثاله، وقد نقش فوق صورته اسمه ولقبه، وعلى يمينه قرص الشمس يتدلى منه صلَّان، وكذلك النقش التالي: «بحدتى الإله الأكبر.»

والواقع أن ما جاء على هذه اللوحة برهان على عبادة «رعمسيس الثاني» لنفسه بوصفه إلهًا في مدة حياته، والحث على هذه العبادة في صورة تمثاله كالتماثيل التي كانت تُنحت للآلهة.

وبهذه المناسبة نضع أمام القارئ بعض الأمثلة عن صور التضرع للملك المؤله دون أن ندخل في تفاصيل موضوع عبادة الملك «رعمسيس» بوصفه إلهًا، وهو في الواقع موضوع لا يزال يحتاج إلى إيضاحات كبيرة، ومن المدهش أن الأستاذ «موريه» في كتابه عن الملوك والآلهة لم يشِر إلى هذا الموضوع إشارة صريحة.

(١) ففي معابد بلاد النوبة يظهر أمامنا «رعمسيس الثاني» نفسه مؤلهًا، وهو في كل حالة منها تكون صورته ممثلة كأي إله آخر، غير أنه لم يظهر قط وهو مؤله في صورة تمثال، بل في صورة إله. فمثلًا: في معبد «بو سمبل» نراه في هيئة إله برأس صقر، أي إنه في هذه الحالة يمثل إله الشمس، ويُسمى «رعمسيس الإله الأكبر»،[٣٩٩] وكذلك يظهر في صورة إنسان، ولكن على رأسه قرص الشمس، ويسمى «رعمسيس الإله الأكبر رب السماء»، وفي معبد «أكشه» ببلاد النوبة مثل في صورة إنسان، ولكن النقوش التي تتبعه تقول عنه: «وسر ماعت رع ستبن رع الإله الأعظم رب النوبة.»[٤٠٠] أي إنه في كل هذه الحالات كان يعد إلهًا خاصًّا لبلاد النوبة، وعلى ذلك نفهم من كل الأمثلة التي ضربناها أنها تتناول العلاقة التي كانت بين «رعمسيس الثاني» الملك، وبين صوره الخاصة بوصفه إلهًا.

(٢) والواقع أن الصور التي على لوحة «رع حتب» تقرب من الصور التي ذكرناها؛ لأننا نشاهد هذا الوزير في هذه اللوحة يتعبد لـ «رعمسيس» كما يتعبد أي موظف لأي إله، وكما يتعبد كذلك لروح الملك «كا»؛ غير أن الروح كان لا يرسم قط، بل يستدل عليه من النقوش التي كانت تدون خلف الآلهة، مثال ذلك ما نجده في نقوش «السلسلة» في تعبيرات صيغ القربان فيقال مثلًا: «قربان يقدمه الملك والإله «حور اختي» إلخ، والنيل والد الآلهة، وروح الملك «مرنبتاح» حتى يمكنهم أن يعطوا إلخ لفلان.»[٤٠١] وكذلك نجد بالعكس أن الآلهة كان يتضرع إليهم ليهبوا إلى روح الملك الحياة.[٤٠٢] وفي مثل هذه الحالة قد يخالج الإنسان الشك فيما إذا كان روح الملك هنا يمثل بكل بساطة الملك العائش، أو أن الآلهة قد وهبوا الملك المؤله — في صورة روح ملكي — الحياة الأبدية، ولكن لدينا نقش في «السلسلة» يقرب من النقش الذي على لوحة «رع حتب»، وهو على الجدار

الخارجي لمقصورة «حور محب»؛ إذ نرى في هذا المنظر وزيرًا يصلي لروح الإله «بتاح»، ولروح الملك «رعمسيس الثاني»، ويُرى هنا الملك «رعمسيس الثاني» واقفًا بين الوزير المتضرع والإله «بتاح»، ولكن هذا الإله الذي يصلي له الوزير قد ولَّاه ظهره، وقد عُرف الملك هنا بأنه: «الإله الطيب ابن الإله «بتاح» «رعمسيس الثاني».» وبذلك لم يكن يقوم بدور إله أو بدور الروح الملكي. والتفسير المعقول لهذا المنظر هو أن الوزير كان يوجه تضرعه بوساطة الروح الملكية إلى الإله «بتاح»، وبهذه الكيفية يصبح هذا التضرع له قيمته عندما ينقل الملك الحي للإله تضرع وزيره.

وعلى ذلك نعلم من هذه المجموعة أن تمثال الملك المؤله كان يلعب دورًا بجوار الملك الحي. ولدينا تمثال آخر يمكن الإدلاء به غير لوحة الوزير «رع حتب»، وهو لوحة عثر عليها في «هربيط»، وهي في نقوشها وتوزيع أشكالها تشبه لوحتنا، وصاحبها يُدعى «موسى».[٤٠٣]

ومن ثم يمكننا أن نقرر هنا أن الصلاة التي على لوحة «رع حتب» كانت موجهة للروح «كا»، وللتمثال الملكي معًا؛ أي إن الروح يتقمص أو يسكن الملك المؤله. ولما كانت الصلاة التي على نقوش مقصورة «السلسلة» يوجهها الوزير للفرعون لأجل أن يوصلها «بتاح» بدوره؛ صار من المسلَّم به إذن أن الملك يقوم بالصلاة التي على اللوحة التي نحن بصددها للإله «بتاح» بوصفه المحامي عن الوزير المتضرع، مطلقًا البخور لتمثال روحه هو «الملك»، ومن الجائز أن الآذان الأربع التي نشاهدها خلف التمثال؛ اثنتان منها للملك، واثنتان لتمثال الروح. وعلى أية حال فإن الأذن كان لها هنا نصيب في رفع هذا التضرع للإله، على أنه يمكن تفسير وقوف الملك أمام تمثال روحه بصورة أخرى؛ إذ قد يكون ما يتطلبه الوزير بتضرعاته فائدة مادية، أو حظوة خاصة، كما نشاهد ذلك فعلًا على لوحة «موسى» الآنفة الذكر. وعلى ذلك يمكن للإنسان أن يفهم أن رفع التضرع كان ينفذ بوساطة تمثال الروح المؤله، وأن الملك كان يشترك في إجابة تضرع الوزير، ولذلك نجد أن تمثال الروح، وصورة الملك قد رُسما في القسم الأعلى من اللوحة كما شرحنا، وإذا نظرنا بعين فاحصة وجدنا أن تقسيم اللوحة بهذه الكيفية قسمين له مدلوله المنطقي المتناسق، ففي القسم الأسفل من اللوحة من جهة اليمين نجد الوزير راكعًا يقرأ التضرع لأذني تمثال الروح، وفي أعلى اللوحة نشاهد صورة الملك الحي يحقق رجاء الوزير، كما نشاهد مثل هذا على لوحة «موسى».

ولدينا لهذا الوزير آثار أخرى وقفنا منها على ألقابه كلها، وأسماء أسرته.[٤٠٤]

وفي المتحف المصري نجد له لوحة عدَّد في نقوشها كل الألقاب والنعوت التي كان يتحلى بها،[٤٠٥] وقد ظهر في الجزء الأعلى من هذه اللوحة بملابس الوزير، وفي إحدى يديه مروحة،

أما الأخرى فقد رفعها تضرعًا للإله «بتاح» الذي كان يقف أمامه، وخلف «بتاح» نشاهد الإله «ست» واقفًا، وهاك ألقابه كما جاءت على هذه اللوحة:

> الحاكم الوراثي، قائد العظماء، والوزير «رع حتب» المرحوم يقول: «إني وزير القطرين، وباب قصر الفرعون، والكاهن الأول، والمشرف على الكهنة، ومدير كل فراء (لقب كهنوتي)، وأعظم الرائين، والرئيس الأعظم للصناع، والكاهن «سم» للإله «بتاح»، ومدير عيد من يسكن جنوبي جداره «بتاح»، والكاهن الأكبر للإلهة «وازيت»، ورئيس التشريفات الأعظم لرب الأرضين، ومدير الأعمال، ومدير الحرف، والمشرف على قوانين الإله الطيب (الملك) في ساحة العدالة، وفم الملك وحاجب ملك الوجه القبلي والوجه البحري، ومن يسر جلالته في قصره الفاخر، ومن يرفع سبيل العدالة لجلالته، والمقدم أمام كل الرجال، وحاسب كل جزية في الأرض قاطبة (أي المشرف على خزائن مصر) وعمدة المدينة، والوزير «رع حتب».»

ونجد كذلك على هذا التمثال وغيره من الآثار التي تركها لنا الألقاب التالية:

> رئيس الأرضين، وصندوق العدالة، وأعظم رجال المجلس الثلاثيني العظيم، ورئيس أسرار بيت الفرعون، ورئيس الأرض كلها، ووزير الشعب (أهل الوجه البحري)، ووزير أهل الشمس (الإنسانية)، ورئيس النحت لبيت «بتاح»، ومن يسر قلب «حور» في الأفق أبديًّا، والكاهن الأول للإله «رع»، ورئيس الفرعون لبلاد «خيتا»،[٤٠٦] وكاهن «آمون» ملك الآلهة، ورئيس أسرار بيت «رع»، وعينا ملك الوجه القبلي، وأذنا ملك الوجه البحري، ومن يحمل ميزان الأرضين، وفم الفرعون في كل أرض أجنبية، ومدير أعمال الفرعون للوجهين القبلي والبحري، والمدير لكفتي الأرضين، وباب نوت (السماء)، ومدير الأقاليم والمدن إلخ.

وتدل شواهد الأحوال على أن «رع حتب» هذا هو نفس الرجل الذي يوجد تمثاله في «نورود سري» بإنجلترا، وقد مثل جالسًا على كرسيه، ويحمل طغراء «رعمسيس الثاني»، وهو من أسرة عريقة في المجد، وهاك أفراد أسرته وألقابهم:[٤٠٧]

- (١) والده يُدعى «باحم نتر»، ويلقب الكاهن الأكبر للإله «بتاح».
- (٢) والدته تسمى «خعي نسوت»، وتلقب رئيسة نساء الإله «أنحور».
- (٣) وأخته تسمى «حنورا»، وتلقب رئيسة نساء الإله «حرشفي».

(٤) وأخوه يسمى «منمسو»، ويحمل لقب الكاهن الأول للإله «آمون».

ويدل لقب رسول الفرعون لبلاد «خيتا» على أنه كان وزير الفرعون في السنة الحادية والعشرين من حكم «رعمسيس الثاني».

(د) الوزير «با-رع حتب»

كان «با رع حتب» من أسرة عريقة في النسب، فقد كان والده «حورا» يلقب الوجيه، والكاهن الأول للإله «أنحور»، وكاهن الإلهة «ماعت»، كما كانت والدته «معياني» تحمل لقب مغنية الإله «أوزير»، ونعلم من الآثار التي خلفها لنا هذا الوزير أنه كان يدير زمام الأمور في البلاد بوصفه وزير القطرين في منتصف حكم «رعمسيس الثاني»، ولدينا لوحة مؤرخة بالسنة الثانية والأربعين من حكم هذا الفرعون، وقد ذكر عليها سلسلة نسب هذا الوزير، وألقابه هي:

> عمدة المدينة، والوزير، والأمير الوراثي، وحامل خاتم الوجه البحري، والسمير الأكبر، والوجيه، والرئيس عند الفرعون، ووزير الوجه القبلي والوجه البحري.[٤٠٨]

وقد عثر على قبر هذا الوزير، وهو القبر الذي دُفن فيه أخوه «رع حتب» في «سد منت»، غير أن صلة النسب بينهما ليست معروفة تمامًا، إذ إن كلًّا منهما من أب مختلف على حسب ما نعلم حتى الآن.[٤٠٩]

ولم يعثر في قبره إلا على بضع قطع من تابوته، وبضع قطع من أواني الأحشاء، كما وجدت له لوحة من البازلت، وقاعدتا تمثالين، وبعض نقوش. راجع كذلك ما كتبه لجران عن هذا الوزير،[٤١٠] حيث تجد تضاربًا في المصادر والآراء.

(هـ) الوزير «خعي»

يدل ما لدينا من نقوش على أن الوزير «خعي» كان يقوم بأعباء الوزارة في عهد «رعمسيس الثاني» منذ السنة الثلاثين حتى حوالي السنة الثانية والأربعين من حكم هذا الملك تقريبًا كما يقول الأثري «لجران».[٤١١]

وقد عثر على قبره في معبد صغير للفرعون «رعمسيس الثالث» الواقع في الجنوب الغربي من معبد الوادي للملكة «حتشبسوت»، غير أنه لم يبقَ منه سوى نتف صغيرة تدل على اسم صاحبه.[٤١٢]

هذا ولدينا لوحة له ذكر عليها الأعياد الثلاثينية الأربعة الأولى للفرعون «رعمسيس الثاني»، وقد تكلمنا عنها عند الكلام على أعياد هذا الفرعون، وقد ظهر على هذه اللوحة الملك يقدم الإلهة «ماعت» للآلهة «آمون رع»، و«حور اختي»، و«ماعت»، و«بتاح تنن»، و«سبك»، وأسفل هذا المنظر نشاهد «خعي» راكعًا، وقد نقشت معه الألقاب التالية: «الأمير الوراثي، والحاكم، ووالد الإله ومحبوبه، ونائب «نخن»، وكاهن العدالة، ورئيس القضاة، وعمدة المدينة، والوزير.[٤١٣]

وكذلك لدينا لوحة مؤرَّخة بالسنة الثانية والأربعين من حكم هذا الفرعون دوِّن عليها العيد الثلاثيني لهذه السنة، وقد جاء فيها ذكر «خعي»، وقد نقشت كذلك على مقصورة «حور محب» العظيمة «بالسلسلة».[٤١٤]

وتوجد لوحة أخرى نقشت في نفس المقصورة صور عليها «رعمسيس الثاني» تتبعه الإلهة «ماعت»، ويقدم صورة العدالة للإله «آمون رع»، والإلهة «موت»، والإله «خنسو»، والإله «حور اختي»، والإله «سبك رع»، وقد أرِّخت بالسنة الرابعة والأربعين، ويحتمل السنة الخامسة والأربعين أو السادسة والأربعين، وهذا التاريخ — إذا صح — يناقض قول الأثري «لجران»، وقد ذكر عليها العيد الثلاثيني السادس، وبذلك يكون «خعي» قد بقي في الوزارة حتى هذا التاريخ الأخير.[٤١٥]

ومن بين التماثيل التي عثر عليها «لجران» في خبيئة «الكرنك» تمثال من الجرانيت الأسود لهذا الوزير، وقد نقش عليه غير الألقاب التي ذكرناها الألقاب التالية: الكاهن الأول لابن «رع»، ومدير البيت، وحاجب الفرعون، ووزير الوجه القبلي والوجه البحري، والحاذق في كل عمل.[٤١٦]

وكذلك عثر له على تمثال صغير من المرمر، ذكر عليه غير الألقاب السالفة لقب «رئيس أسرار بيت الفرعون».[٤١٧]

ووجدت قطعة من تمثال هذا الوزير عليها ألقاب جديدة غير ما ذكرنا، وهي:

> «مدير عيد آمون»، وكاتب الفرعون، والمدير العظيم للبيت. هذا وله ألقاب أخرى عادية مثل: حامل المروحة على يمين الفرعون.[٤١٨]

وفي «قنتير» عثر على عتب باب ظهر عليه «خعي» يتعبد لطغراء «رعمسيس الثاني».[٤١٩]

(٩-٢) الكهنة في عهد «رعمسيس الثاني»

(أ) كهنة آمون

يدل ما لدينا من وثائق على أن كهنة «آمون» أخذ نفوذهم يزداد قوة، وسلطانهم رفعة أكثر مما كانوا عليه قبل عهد الإصلاح الديني الذي قام به «إخناتون»، ويرجع الفضل في ذلك إلى ما أظهره الفرعون «حور محب» من غيرة وحماس لإعادة مجد الإله «آمون»، وما كان لكهنته من نفوذ ومقام كريم بين أفراد الشعب المصري، والإمبراطورية المصرية جمعاء، وبخاصة الكاهن الأول للإله «آمون» الذي كان يعد المدير لشئون هذا الإله الدينية والدنيوية معًا. وإذا علمنا أن تنصيب هذا الكاهن العظيم كان لا يتأتى حينئذ إلا بوحي الإله نفسه، وأن الفرعون كان المنفذ لما يوحي به الإله «آمون» الذي كان يعده الفرعون — الآخذ بيده، والمناصر له في مواطنه كلها، وبخاصة في ساحة القتال — عرفنا مقدار ما كان لهذا الكاهن، وطائفته من سلطان، وجاه في أنحاء البلاد، وبخاصة في «طيبة»، مقر الملك الديني، يضاف إلى ذلك أن أملاك «آمون» كانت شاسعة، وتكاد تكون مستقلة عن أملاك الدولة لدرجة أنها كانت تعد شبه مملكة صغيرة داخل مملكة كبيرة، غير أن شواهد الأحوال تشعر بأن الفرعون كان — في الواقع — يشرف على تعيين الكهنة، كما كان يشترك في إدارة أملاك «آمون» بصفة غير مباشرة إلى حد ما.

نب وننف الكاهن الأكبر للإله آمون

شاءت الصدف المحضة أن تضع بين أيدينا وثيقة عن تنصيب أول كاهن أعظم للإله «آمون» في عهد الفرعون «رعمسيس الثاني»، وتعد فريدة في بابها، بل نسيج وحدها في ذلك العهد، إذ تكشف لنا النقاب عن الخطوات التي كانت تتخذ لملء هذه الوظيفة الخطيرة الشأن، وما كان لها من هيبة وجلال، وقد عثر عليها في قبر هذا الكاهن.

ويقع قبر الكاهن «وننف» في جبانة «ذراع أبو النجا» (رقم ١٥٧)،[٤٢٠] ونقوش هذا القبر لا تختلف كثيرًا عن مقابر عظماء الأسرة التاسعة عشرة، فهي تحتوي على مناظر جنازية، وليس فيها ما يلفت النظر، ويدعو إلى الاهتمام التام، إلا منظر واحد على جدار المدخل على يمين الزائر، إذ هو من نوع جديد لم يؤلف من قبل في مناظر قبور هذه الأسرة؛ إذ نشاهد فيه الملك «رعمسيس الثاني» يطل من شرفة قصره على صاحب المقبرة «نب وننف» الذي كان يسير وخلفه صف من حاملي الريش.

ويلاحظ أنه قد كتب على عمد القصر الملكي اسم الفرعون، واسم زوجه الملكة «نفرتاري مرنموت»، ويتبع هذه الصورة متن مؤرخ بالسنة الأولى من حكم هذا الفرعون،[٤٢١] وهذا المتن خاص بتنصيب «نب وننف» في وظيفة الكاهن الأعظم للإله «آمون» بالكرنك.

فقد حدث في السنة الأولى من حكم «رعمسيس الثاني» أن أصبح كرسي الكاهن الأكبر للإله «آمون» خاليًا، وعندما احتفل جلالته بعيد الأقصر (إبت) العظيم في الشهر الثاني من هذه السنة كان هذا الفرعون بنفسه يدير شعائر هذا الحفل، فسار مع سفينة «آمون» التي كان يحملها ثلاثون كاهنًا على أعناقهم بهذه المناسبة، وكانوا يرتدون وجوه أرواح «بوتو»،

ووجوه أرواح «هيراكنبوليس» (الكاب الحالية)، وكان الكاهن يرتدي وجه صقر، أو وجه ابن آوى.

والواقع أنه كثيرًا ما كان يشترك الملك في الأعياد الدينية، فنعلم مثلًا أن «تحتمس الأول» اشترك في الحفل الذي أقيم لتنصيب ابنه ملكًا على البلاد، كما نشاهد كذلك في نقش بارز في «الكرنك» عندما كان «سيتي الأول» يشترك في موكب قارب «آمون»،[٤٢٢] غير أننا نلحظ هنا أن «رعمسيس الثاني» كان يقوم فعلًا بدور الكاهن الأول في عيد الأقصر فلم يكتفِ بلبس رداء الكهانة، وفيه الفراء الذي كان يُلبس فوق الملابس الملكية وحسب، بل أتى بعمل فذ في التاريخ المصري؛ وذلك بأن نقش على هذا المنظر العبارة التالية: «الكاهن الأول للإله «آمون» ملك الجنوب والشمال، «رعمسيس الثاني» معطي الحياة.»[٤٢٣]

ومع ذلك فإن الفرعون بعد أن أتم الحفل بهذا العيد أخذ يفكر جديًّا في تنصيب كاهن أعظم جديد «بالكرنك»؛ ولذلك استشار الإله «آمون» رب هذا المعبد، فأوحى إليه هذا الإله بتفضيل الكاهن «نب وننف» على كل من سواه.[٤٢٤]

ولما كان «نب وننف» هذا ليس من طائفة كهنة «آمون» في «طيبة» فيحتمل أن هذا الاختيار كان من جانب الملك الذي كان يترجم بمهارة عن إرادة الإله «آمون»، وكان الداعي له إما أسباب سياسية أو شخصية، فقد كان «نب وننف» قبل اختياره يشغل وظيفة كاهن أول للإله «أنوريس» (أنحور) بالعرابة، وكذلك الكاهن الأول للإلهة «حتحور» صاحبة «دندرة»، وكانت سلطته نافذة وقتئذ على كهنة ومعابد جزء من مصر الوسطى يبدأ من «طيبة»؛ حيث كان مقره حتى مدينة «حري حر آمون» الواقعة عند بوابات «طيبة» نفسها، وهذا الاختيار الجديد للكاهن «نب وننف» جعل «رعمسيس الثاني» يغادر عاصمة ملكه في الجنوب، ويقلع منحدرًا في النيل ليصل إلى عاصمته «بررعمسيس» في الشمال، بيد أنه رسا بسفينته في مقاطعة «طينة» ليزف الخبر للكاهن «نب وننف». وتقص علينا النقوش تعيين هذا الكاهن، وتعد الوثيقة التي تروي هذا الحادث، وهي التي كتبها «نب وننف» على جدران قبره، وكذلك الوثيقتان اللتان وصلتا إلينا عن تنصيب الكاهن «أمنمأبت»، والكاهن «باكنخنسو» من الوثائق الأصلية التي يعتمد عليها عند كتابة تاريخ الكهنة العظام للإله «آمون» «بالكرنك».

وهاك ترجمة متن هذه الوثيقة كما نقله الأستاذ «زيته»:[٤٢٥]

> السنة الأولى، الشهر الثالث من فصل الفيضان، اليوم الأول عندما انحدر جلالته في النيل من عاصمة الجنوب حيث قرَّب القربان لوالده «آمون»، صاحب تيجان الأرضين، والثور القوي، وسيد تاسوع الآلهة، وكذلك الإلهة «موت» سيدة «أشرو» (معبد بجوار الكرنك)، والإله «خنسو» في طيبة «نفر حتب»، وتاسوع «طيبة» في عيده الجميل «بالأقصر». وقد ذهب من هناك في حظوة بعد أن تقبل ما قُدم لحياة

وصحة وعافية ملك الوجه القبلي والوجه البحري «رعمسيس الثاني» ليته يعيش مخلدًا، وقد رسا في مقاطعة «طينة»، وأتى بالكاهن الأعظم للإله «آمون نب وننف» المنتصر أمام جلالته، وكان لم يزل وقتئذ كاهنًا أولًا للإله «أنوريس»، والكاهن الأول للإلهة «حتحور» سيدة «دندرة»، ورئيس كل كهنة الآلهة في الجنوب حتى «حري حر آمون»، وفي الشمال حتى مدينة «طينة»، وعندئذ قال جلالته له: لقد أصبحت منذ الآن الكاهن الأعظم لـ «آمون»، وكذلك أصبحت خزائنه ومخازن غلاله تحت خاتمك، وصرت رئيس معبده، وكل خدامه تحت سلطانك، أما معبد «حتحور» سيدة «دندرة»، فإنه سيكون تحت إدارة ابنك، وكذلك موظفو آبائك، والمكان الذي كنت تحتله، وبقدر ما يحبني «رع» حقًّا، وبقدر ما يمجدني والدي «آمون» جمعت له — أي لآمون — موظفي البلاط، ورؤساء الجيش، وكذلك جمعت له كهنة الآلهة، وعظماء بيته ليمثلوا أمام وجهه، فلم يظهر رضاه بأي واحد منهم إلا عندما ذكرت اسمك، فليكن العمل الصالح له لأنه حباك (باختياره)؛ أما عني فإني أعرف فضلك، فزد في ذلك حتى تثني عليك روحه، وكذلك تمدحك حضرتي، ليته يجعلك تمكث في بيته، وليته يمنحك حراسة بيته، ويجعلك ترسو على أديم مدينته (الجبانة)، ولقد سلمك أمراس مقدمة السفينة ومؤخرتها، وإنه يرغب فيك نفسه، وإنه لم يقُل له شخص آخر هذا — أي إن اختيارك جاء من وحي الإله نفسه — وإنه منحك الغرب؛ لأن والدي «آمون» إله قوي، وليس له مثيل إذ يمتحن القلوب، ويجوس خلال الأرواح، وإنه الذكاء الذي يعرف دخيلة النفس، وليس في مقدور إله أن يأتي بما يفعله، ولا يعارض إنسان مشروعاته، ويرتكز الإنسان على ما يخرج من فيه، وهو سيد التاسوع، وقد اختارك لكمالك، وأخذك لسموك.

وتأمل: لقد تمدح رجال البلاط، ومجلس الثلاثين معًا بطيبة جلالته، وسجدوا مرات عدة أمام هذا الإله الطيب مصلين له، ومرضين صلَّه الذي على جبينه، ومتعبدين أمام وجهه، وقد مجدوا أرواحه حتى عنان السماء قائلين: أنت يا حاكم «آمون»، ويا من سيبقى حتى السرمدية، ومن أوجده بين الأجيال والأجيال! ليتك تحفل بأعياد ثلاثينية بالملايين، وليت سنيك تكون عديدة مثل رمال شاطئ البحر، وإنك تولد كل صباح، وتجدد لنا مثل الشمس، وتصير صبيًّا كالقمر … وإنك تحكم بوصفك ملكًا على الأرضين، والأقواس التسعة تحت أوامرك، ونهاية حدودك تمتد حتى حدود السماء، ودائرتها تحت سلطانك، وما تحيط به الشمس تحت نظرك، وما يغمره المحيط خاضع لك، وإنك على الأرض فوق عرش «حور»؛ حيث تظهر بوصفك رئيس الأحياء، وإنك تجند شباب مصر، وإنك تقهر أعداءك بوصفك سيدًا ملكه ثابت مثل والدك «آمون رع»، وإنك تحكم كما حكم، وإنك على الأرض كقرص الشمس في السماء، ووجودك مثل وجوده، وإنه يمنحك الخلود بلا نهاية مجهزًا وممنوحًا الحياة والسعادة، أنت يأيها الرئيس الطيب محبوب «آمون» الذي سيبقى حتى نهاية الزمن. تأمل! فقد منحه جلالته خاتميه اللذين صيغا من ذهب، وعصاه التي من السام، ثم

نصب كاهنًا أعظم لـ «آمون»، ومديرًا لبيتي الفضة والذهب، ومديرًا لمخزن الغلال، ومديرًا للأعمال، ورئيسًا لكل طوائف العمال أصحاب الحرف في «طيبة».

ثم أمر بإرسال بريد ملكي ليجعل كل مصر تعلم أن بيت «آمون» قد وكل أمره إليه، وكذلك كل ممتلكاته، وكل قومه … بفضلك يا رئيس «آمون» الذي سيبقى إلى الأبد.

وهذه الوثيقة العظيمة تضع أمامنا كيفية تنصيب الكاهن الأكبر لـ «آمون»، والحالة التي كان الملك يعزز بها اختياره لهذا الكاهن بوحي إلهي على الرغم من أنه لم يكن من طائفة كهنة «آمون» في «طيبة»، إذ — كما نعلم — أن الكاهن الذي دعي لتولي هذا المنصب كان من أكبر رجال كهانة مقاطعة «طينة» التي كانت تعد أكبر موطن إلهي في البلاد بعد «طيبة» نفسها. وقد وصفت في هذه الوثيقة الأعياد التي أقيمت تكريمًا لهذا الحادث بكل تفصيل. ولما انتهى الحفل أرسل البريد في كل جهات القطر لإعلان اسم «نب وننف» كاهنًا أعظم لـ «آمون»، وهذا يذكرنا بالاحتفال الذي أقيم عند تنصيب الملك «تحتمس الأول»، وإعلان اسمه في كل أنحاء القطر بمراسيم ملكية (راجع مصر القديمة ج٤)، وقد كان مَثَل «نب وننف» كمَثل كثير من أسلافه وأخلافه يقوم بعبء الأعمال الإدارية الخاصة بمعبد «آمون» كما فصلنا القول في ذلك، فقد عين مديرًا للخزانة ومخازن الغلال للإله «آمون»، كما كان هو المشرف على ملاحظة طوائف الصناع، وأصحاب الحرف في «طيبة»، ومن الجائز أنه — لهذا السبب — قد أقام على مقربة من معبد «سيتي الأول» «بالقرنة» مقصورة عثر «بتري» على قطع الودائع التي وُضعت في أساسها،[٤٢٦] ويقول «بتري» في هذا الصدد إنه يحتمل أن «نب وننف» قد أقام هذه المقصورة لحسابه هو عندما كان يقوم بالملاحظة على بناء معبد «سيتي الأول». وهذه النظرية في حد ذاتها مقبولة، وبخاصة إذا علمنا أن «رعمسيس الثاني» هو الذي قام بإتمام هذا المعبد، وأن قطع ودائع الأساس قد نقش عليها اسم «نب وننف» بلقبه الكاهن الأكبر لـ «آمون»، وبذلك تكون هذه المقصورة قد أقيمت في عهد «رعمسيس الثاني»، وهذا يتفق مع ما ذكرناه عن بناء معبد «سيتي» «بالقرنة».

ولما تسلم «نب وننف» عمله الجديد خلع على ابنه «سماتوي» وظائفه القديمة، فأصبح الكاهن الأول للإلهة «حتحور» صاحبة «دندرة». ومن الغريب أننا نجد في ودائع أساس مقصورة «القرنة» لقبه القديم، وكذلك حافظ على ذكره في نقوش قبره، يضاف إلى ذلك أننا نعرف من نقوش هذا القبر كذلك أن زوجه «تاخعت» كانت تُلقب رئيسة نساء حريم الإله «آمون».

وأهم ما يلفت النظر في مناظر قبره — غير ما ذكرنا — هو صورة رجل جالس يصطاد سمكًا، غير أن المنظر يدل على أن الصياد كان هاويًا لا محترفًا، ويلبس شعرًا مستعارًا، وله لحية قصيرة، ويرتدي جلبابًا طويلًا ذا تجاعيد، ويجلس على كرسي مدَّ تحته حصيرًا، وفي يده قضيب ذو خمسة خيوط، والبِركة التي يصطاد فيها مزينة؛ يرفرف فوقها فراش. ويحتمل أن صيد السمك كان الهواية المحببة إلى نفس هذا الكاهن.[٤٢٧]

«وننفر» الكاهن الأكبر لـ «آمون»

على الرغم مما وصلنا من نقوش عن عظماء رجال عهد «رعمسيس الثاني»، فإنه لم يزَل لدينا فجوات كبيرة ننتظر ملأها بما تجود به الكشوف، والحفائر التي يقوم بها العلماء في أنحاء وادي النيل، وهذه الفجوات تقف في وجه المؤرخ حجر عثرة لا تجعله يعرف تتبع سير الحوادث بصفة متصلة، فها نحن أولاء نعرف أول كاهن أكبر تربع على كرسي كهنة «آمون»، ولكن بعد ذلك لا نعرف من الذي خلفه، إذ تعوزنا الوثائق كلية إلا بعض إشارات لا تشفي غلة، ثم تستمر بنا الحال كذلك في عهد «رعمسيس الثاني» حتى العام السادس والأربعين من حكمه؛ حيث تطالعنا الوثائق بأن الذي كان يشغل هذه الوظيفة حتى نهاية حكم هذا الفرعون هو الكاهن الأكبر «باكنخنسو»، على أن ذلك لا يعني أننا لا نعرف أسماء أشخاص آخرين قد شغلوا هذه الوظيفة في عهد هذا الفرعون، بل على العكس نعرف منهم حتى الآن أسماء ثلاثة؛ وهم: «وننفر»، و«باسر»، ويحتمل كذلك «أمنحتب»، ولكنا لا نعرف ترتيب توليهم مهام هذه الوظيفة الخطيرة، وعلى ذلك فإنا إذا ذكرناهم هنا في أي ترتيب فإن ذلك مجرد تخمين قد تدحضه كشوف جديدة.

وعلى أية حال فإن الظواهر تدل على أن كاهن «آمون» الأكبر الذي خلف «نب وننف» هو «وننفر».

وليس لدينا معلومات مباشرة عن حياة «وننفر» بوصفه كاهنًا أكبر لـ «آمون» إلا ما نعرفه عنه وعن أسرته من الأثر الغريب المحفوظ الآن «بمتحف نابولي»، وهو يحتوي على سلسلة نسب هذا الكاهن، وقد أقيم تذكار لأحد أبنائه «أمنمأبت» رئيس الشرطة ومدير أعمال الآثار الملكية في عهد «رعمسيس الثاني»،[٤٢٨] وكان لـ «وننفر» ولدان آخران، أحدهما يُدعى «حورا»، ولقبه مدير أعمال الكاهن الأعظم للإله «أنحور» (أونوريس)، أما بناته فكنَّ أربعة، وكان أحد أولاد أخيه «منموسي» يدعى «باسر»، وهو الذي كان نائبًا للفرعون في بلاد «كوش»، وكانت «إزيس» زوج «وننفر» على حسب العرف تحمل لقب «رئيسة الحريم في معبد الإله آمون». وسنتناول الحديث في موضوع هذه الأسرة فيما بعد.

«منموسي» الكاهن الأكبر لآمون

وكان «منموسي» كسلفه لا يحمل إلا لقب الكاهن الأكبر للإله «آمون»، ويرجع الفضل في معرفة لقبه هذا إلى أخيه «رع حتب» الذي كان يشغل كرسي رياسة الوزارة، والذي كان قد أوفده «رعمسيس الثاني» في بعث رسمي لبلاد «خيتا» حوالي العام الحادي والعشرين من حكمه لتوقيع المعاهدة التي أبرمت بين البلدين كما تحدثنا عن ذلك من قبل، ومن المحتمل أن «منموسي» كان قد بلغ نهاية رقيه في سلك الكهانة في هذا الوقت؛ أي في النصف الثاني من عهد «رعمسيس». والواقع أن «منموسي» الكاهن الأكبر لـ «آمون»، و«رع حتب» الوزير الأول كانا ابني «باحننتر» رئيس كهنة الإله «بتاح» على حسب أحد الأقوال، وكانت

أمهما رئيسة حريم الإله «أنحور» (أونريس)، وكانت زوج «رع حتب» تحمل لقب «رئيسة حريم الإله «حرشفي»»، وهو لقب نادر جدًّا، وهذا الإله هو معبود بلدة «أهناسيا المدينة».[٤٢٩]

«باسر» الكاهن الأكبر للإله آمون

يجب ألا نخلط هنا بين هذا الكاهن وسميه الذي كان يحمل لقب الوزير في عهدي «سيتي الأول»، و«رعمسيس الثاني»، وقد تكلمنا عنه فيما سلف. وكل معلوماتنا عن هذا الكاهن مستقاة من تمثاله الذي عثر عليه في خبيئة «الكرنك»،[٤٣٠] وهذا التمثال منحوت في الجرانيت الرمادي، وقد مثل «باسر» راكعًا أمام رأس الإله «آمون» التي على هيئة كبش، ويرتدي ملابس الكهانة الخاصة بهذا العهد، وتتألف من الشعر المستعار ذي الخصل الكبيرة، وثوب فضفاض ذي ثنيات، وفوقه جلد فهد، وعلى فخذه الأيمن شارة الكاهن الأكبر للإله «آمون»، وهذه تشمل خمسة أغصان من زهرة البشنين تحمل قطعة مربعة نقش عليها طغراءا «رعمسيس الثاني»، وينتعل حذاء ضخمًا. وقد نقش على ظهر التمثال المتن التالي: «قربان يقدمه الملك لـ «آمون رع-حور أختي-آتوم»، سيد الكرنك الإله الأكبر الذي ولد نفسه، والذي لا نعرف جسمه، خالق كل كائن، وموجد كل موجود، محيي الآلهة والناس، ليته يجعل تمثالي يأوي ويبقى رائيًا «آمون» كل يوم؛ لأجل روح الكاهن الأول للإله «آمون» «باسر».»

وكذلك نقش حول قاعدة هذا التمثال متن جاء فيه: «لأجل روح الأمير الوراثي، والكاهن الأول لـ «آمون» «باسر» يقول: إني رجل يبجل إلهه، وينفذ قوانينه، ولقد حباني على الأرض بمشاطرة واجباته، ليته يمنحني أن أتمم في سعادة حياتي على حسب ما أمر لأجل روح «كا» الحاكم الوراثي، «رئيس كهنة كل الآلهة»، والكاهن الأول لـ «آمون» «باسر».»

وهذا المتن — كما يرى القارئ — لا يمدنا بشيء عن أسرته، كما لا يحدثنا عن مكانته ونفوذه في هذا العصر، هذا إذا نظرنا إلى أن لقب رئيس كهنة كل الآلهة في هذه الفترة لم يكن إلا لقب شرف وحسب — لا كما كان في عهد «تحتمس الرابع»، و«أمنحتب الثالث» — يدل على أن صاحبه ذو نفوذ وسلطان.

«أمنحتب» الكاهن الأول للإله آمون

لا نعلم عن هذا الكاهن أي شيء مباشر، كما أننا لسنا على ثقة من أنه كان في عهد «رعمسيس الثاني» على وجه التأكيد، فكل ما لدينا من معلومات عنه قد وصلت إلينا عن نقش لابنه «أمنمأبت» رئيس الإصطبل الأعظم للفرعون «رعمسيس الثاني»، وهذا المتن نُقش على صخرة في جزيرة «سهيل»،[٤٣١] ولا نعرف من أسرته إلا ابنه «أمنمأبت» الذي كان يُلقب رئيس الإصطبل، في الإصطبل العظيم لـ «رعمسيس الثاني» في البلاط.

«باكنخنسو» الكاهن الأول للإله آمون

يعتقد الأستاذ «ليفبر» في كتابه الذي وضعه عن كهنة «آمون» العظام في خلال الدولة الحديثة[٤٣٢] أنه كان يوجد ثلاثة كهنة عظام باسم «باكنخنسو»، ويقول: إن «باكنخنسو الأول» عاش في عهد «تحتمس الرابع»، و«أمنحتب الثالث»، أما «باكنخنسو الثاني» فقد عاصر «رعمسيس الثاني» ثم «مرنبتاح» ابنه، وبعد ذلك تولى هذه الوظيفة «باكنخنسو الثالث» الذي عاش في عهد الفرعونين «ستناخت»، و«رعمسيس الثالث». غير أن كلًّا من الأثريين «انجلباخ»، و«فاري» قد تناول هذا الموضوع، ووصل إلى نتيجة تغاير رأي «ليفبر»،[٤٣٣] ونعلم منها أنه لا وجود قط لكاهن أعظم يُدعى «باكنخنسو» في عهد «أمنحتب الثالث»، وقد تطرَّق «انجلباخ» في استنباطه إلى حد أنه لا يوجد كاهن أعظم يُدعى «باكنخنسو الثالث»، بل الواقع أن «باكنخنسو» الكاهن الأكبر لـ «آمون» كان في كل ذلك واحدًا، ويستنبط أنه عاش حتى بلغ السابعة بعد المائة، غير أنه لا يجزم بهذا الزعم الأخير، أما الأثري «فاري» فقد حصر بحثه في عدم وجود كاهن أعظم لـ«آمون» في عهد «أمنحتب الثالث» يدعى «باكنخنسو».

وسنورد هنا حياة «باكنخنسو» الذي عاش في عهد «رعمسيس الثاني» كما جاء على الآثار التي أرِّخت بعهد هذا الفرعون. والمصادر الأصلية الهامة التي سنعتمد عليها هنا في بحثنا مصدران؛ أولهما: تمثاله المحفوظ الآن «بمتحف مونيخ»، والآخر: تمثاله الموجود «بمتحف القاهرة» الذي عثر عليه «لجران» في الكرنك عام ١٩٠٤ بالقرب من الباب الجرانيتي للبوابة السابعة، وهذان التمثالان من طراز واحد، ويمثلان «باكنخنسو» لابسًا الشعر المستعار الخاص بعصر الرعامسة، ويرتدي قميصًا ضيقًا، وقد مثل جالسًا القرفصاء على قاعدة منخفضة بذراعيه مطويتين على صدره.

نقوش تمثال «مونيخ»

النقوش التي على مقدمة التمثال:[٤٣٤]

> قربان يقدمه الملك لـ «آمون-آتوم حور اختي» الروح السماوي العائش في الصدق، والتمثال القاطن في وسط سفينته،[٤٣٥] وللإلهة «موت» العظيمة كبيرة القطرين، وللإله «خنسو نفر حتب»؛ لأجل أن يعملوا على أن يخلِّد اسمي في «طيبة»، ويعيش مدة الأبدية؛ لأجل روح الأمير الوراثي رئيس كهنة كل الآلهة، والكاهن الأول لـ «آمون» في «الكرنك» المسمى «باكنخنسو»، يقول: يأيها الكهنة، ويآباء الآلهة، ويأيها الكهنة المطهرون في بيت «آمون»، قرِّبوا أزهارًا لتمثالي، وماء لجسمي، وإني خادم نافع لسيده رزين، وعادل ومحق ومبتهج بالصدق، وماقت العسف، ومقيم قوانين إلهه الكاهن الأول لـ «آمون» (باكنخنسو).

النقوش التي على ظهر التمثال:

الأمير الوراثي والكاهن الأول لـ «آمون» (باكنخنسو) يقول: إني رجل عادل، ومحق ومفيد لسيده، ومحترم خطط إلهه، وسائر على الطريق، ومنجز أشياء نافعة في معبده؛ لأني المشرف الأعظم على الأعمال في بيت آمون، ومرضي سيدي إرضاء تامًّا، فأنتم يأيها الناس جميعًا أصحاب الروح اليقظ، وأنتم يا من يعيشون (فعلًا) على الأرض، وأنتم يا من سيأتون بعدي في ملايين ملايين السنين، بعد الشيخوخة والعمر الطويل، وأنتم جميعًا يا أصحاب العقل الفطن، الذي يفهم الفضل — إني سأحدثكم عما كنت عليه من خلق، عندما كنت — على الأرض — في كل الوظائف التي شغلتها منذ ولادتي: لقد أمضيت أربع سنوات طفلًا كاملًا، ومضيت اثنتي عشرة سنة صبيًّا، كنت في أثنائها رئيس إصطبل التعليم في عهد الملك «من ماعت رع» (سيتي الأول)، وكنت كاهنًا مطهرًا للإله «آمون» مدة أربع سنوات، وكنت كاهن والد الإله مدة اثنتي عشرة سنة، ثم كنت كاهنًا ثالثًا للإله «آمون» مدة خمس عشرة سنة، ثم كاهنًا ثانيًا للإله «آمون» مدة اثنتي عشرة سنة، وقد كافأني الإله فميزني لفضلي، وعينني في وظيفة الكاهن الأول للإله «آمون»، وقد مارستها سبعًا وعشرين سنة.

وقد كنت والدًا رحيمًا بمرءوسي، فعلمت أناسيهم الصغار، ومددت يدي لمن كان تعسًا، وطمأنت أولئك المحتاجين على حياتهم، وقمت بعمل أشياء نافعة في معبده، بوصفي المشرف الأعظم على الأعمال في «طيبة»، لحساب ابنه الذي أنجبه من ظهره، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «رعمسيس الثاني» معطي الحياة، ومؤسس الأوقاف الخيرية لوالده «آمون» الذي وضعه على عرشه.

ما عمل تحت إشراف الكاهن الأول «باكنخنسو»:

لقد عملت أشياء نافعة في بيت «آمون»؛ لأني كنت المشرف على أعمال سيدي (الملك)، ولقد أقمت له معبدًا يُدعى «رعمسيس محبوب آمون» الذي يسمع التضرعات، عند الباب العلوي لبيت «آمون»، وقد أقمت فيه مسلات من حجر الجرانيت، وهي التي قد وصل جمالها إلى عنان السماء، وقد أقمت بوابة أمام المعبد من الحجر، مواجهة «لطيبة»، وكانت مغمورة بالمياه (أي إن أسفل البوابة كان مغمورًا بالماء الذي كان يُستعمل لرى الحدائق الممتدة أمام المعبد)، وكانت الحدائق مغروسة بالأشجار، وقد صنعت أبوابًا غاية في العظم من السام، بهاؤها يصل إلى السماء، وقد نحت كتلًا غاية في الضخامة، وأقمتها على الساحة الفخمة المواجهة

لمعبده، وبنيت سفنًا عظيمة تسبح على النهر لـ «آمون»، و«موت» و«خنسو» بوساطة الأمير الوراثي الكاهن الأول لـ «آمون» (باكنخنسو).

النقش الذي حول القاعدة:

الأمير الوراثي والكاهن الأول لـ «آمون» «باكنخنسو» يقول: إني رجل حازم عادل ومحق، ينفذ قوانين إلهه، ومستسلم لإرادته … ورجل يداه تقبضان على عمود السكان، وشغل مدة حياته في وظائف نوتي «آمون»، وقد كنت سعيدًا في هذا اليوم أكثر من أمس، وليت الإله يزيد في الغد كذلك في سعادتي! ولقد كنت منذ طفولتي المبكرة حتى شيخوختي، في بيت «آمون» خادمًا له في صدق، وعيناي تريان صليه، ليته يتمم لي حياة سعيدة مداها عشر ومائة سنة.

تمثال المتحف المصري (راجع Legrain, Catal. Gen. No. 24155).

المتن الذي على مقدمة التمثال:

قربان يقدمه الملك للإله «آمون رع»، الذي كان في الأصل للأرضين — السيد المسيطر بالسلطان والقوة، والعظيم بالخوف الذي يبعثه، وللإلهة «موت» العظيمة «عين رع»، وللإله «خنسو-نفر حتب»؛ لأجل أن يعملوا على أن يكون اسمي ثابتًا بقوة في «طيبة»، وأن يعيش في الكرنك، وعلى أن كل ما يأتي من موائد قربهم يوضع أمام تمثالي — لروح والد الإله صاحب اليدين الطاهرتين — والكاهن الثالث لـ «آمون»، والكاهن الثاني لـ «آمون»، والمشرف على كل كهنة الآلهة، والكاهن الأول لـ «آمون»، «باكنخنسو» يقول: إني المدير في «طيبة» لكل الأشغال الممتازة، وإني رجل حاز ثقة سيده تمامًا في إدارة كل طوائف الحرف في كل الآثار التي عملها لوالده «آمون».

النقوش التي على ظهر التمثال:

الكاهن والد الإله، والكاهن الأول لـ «آمون» «باكنخنسو» يقول: إني رجل طيبي المنبت أبًا وأمًّا، وابن كاهن ثانٍ للإله «آمون» (بالكرنك)، وقد تخرَّجتِ من مدرسة

> الكتابة الكائنة في «معبد سيدة السماء»، وكنت لا أزال صبيًّا كاملًا، وقد لقنت وظائف الكهانة في معبد «آمون»، كالابن تحت سيطرة والده، وقد أثنى عليَّ «آمون»، وميزني لفضلي؛ وكنت متصلًا به بثقة، وعندما رُقيت كاهنًا والد إله، رأيت كل مظاهره، وأنجزت أعمالًا نافعة في معبده، فقمت بكل أنواع الأعمال الممتازة. وإني لم أرتكب خطيئة في معبده، ولم أهمل أوامري فيما يخصه، وسرت على أديمه، منحنيًا ومظهرًا خوفي من بطشه، وإني لم أرهب خدمه، بل كنت لهم أبًا، وقد قضيت للفقير مثل قضائي للغني، وللقوي مثل الضعيف، وأعطيت كل واحد ما يخصه؛ لأني كنت لا أمقت إلا الشره، وقد ضمنت لمن لا خلف لهم جنازهم، وتابوتًا لمن لا يملك شيئًا، وحميت اليتيم الذي رجاني، وتعهدت بيدي مصالح الأرملة، وإني لم أطرد الابن من مكان والده، ولم أنتزع الطفل الصغير من والدته، وبسطت ذراعي، وحصلت على مؤن لمن لا يملك قوتًا، وغذاء لمن كان في فقر … ذاهبًا نحو المتضرع (؟)، وفتحت أذني لمن يقول الصدق، وأبعدت عني من كانوا يحملون أوزارًا؛ لأجل روح الأمير الوراثي الكاهن الأول لـ «آمون» (باكنخنسو).

النقوش التي حول القاعدة:

> الأمير الوراثي، ووالد الإله، ومحبوب الإله، رئيس الأسرار في السماء وفي الأرض، وفي العالم السفلي، والكاهن أعظم الرائين للإله «رع» في «طيبة»، والكاهن «سم»، والرئيس الأعظم لمصنع «بتاح»، والمشرف على كهنة كل الآلهة، والكاهن الأعظم للإله «آمون» (باكنخنسو) يقول: إني رجل حازم عادل محق، فاعل الخير بين الناس، أخاف الله، منفذًا قوانينه، مستسلمًا لإرادته، وإني مختلط هنا بطائفة الممدوحين من صاحب الاسم الخفي، ومطعمًا نفسي من وجباته، وإني ذو شيخوخة غمرتها الحظوات التي يمنحها أصفياءه في أعماق معبده.

وإذا فحصنا نقوش هذين التمثالين معًا، أصبح من السهل علينا أن نستخلص منها حياة هذا الكاهن الأعظم، والواقع أن ما جاء عليهما يعطينا صورة صادقة عن حياته وأعماله، كما دونها هو، وتتلخص فيما يأتي: كان «باكنخنسو» طيبي المنبت، وكان والده يعمل من قبله في معبد «آمون» بـ «الكرنك» كاهنًا ثانيًا لهذا الإله، غير أنه مما يؤسف له لم يذكر لنا اسم والده، وقد تعلم في صباه المبكر في مدرسة الكتبة التي كان يتخرج منها كل العظماء الذين يحذقون الكتابة، وكانت أمثال هذه المدارس في داخل المعبد نفسه، وقد أرسله والده في معبد الإلهة «موت» الذي كان ملاصقًا لمعبد «آمون» بـ «الكرنك»، وقد نبغ فيها لأنه كان طفلًا كاملًا، وقد دخلها بعد السنة الرابعة من عمره، وتركها في السنة التاسعة تقريبًا، ثم يقص علينا بعد ذلك أنه قد أمضى اثنتي عشرة سنة رئيسًا لإصطبل التعليم للملك «سيتي الأول»؛ أي إنه قد بقي في هذه الوظيفة حتى الحادية والعشرين من عمره،

ومن ثم بدأت حياته الدينية في المعبد؛ حيث كان والده يرشده في خطواته الأولى في هذا السبيل، فسار فيها حتى وصل إلى نهاية المطاف، وبلغ أعلى رتبة يتوق إليها أي كاهن طموح.

- (١) فكان كاهنًا مطهرًا مدة أربع سنوات؛ أي من السنة الحادية والعشرين إلى السنة الخامسة والعشرين.
- (٢) ثم رُقي إلى وظيفة كاهن بلقب «والد الإله»، وبقي فيها اثنتي عشرة سنة؛ أي من السنة الخامسة والعشرين حتى السنة السابعة والثلاثين، وانتقل بعدها إلى مرتبة كاهن ثالث، ومكث فيها خمس عشرة سنة؛ أي من السنة السابعة والثلاثين حتى السنة الثانية والخمسين، ثم قفز بعدها إلى وظيفة الكاهن الثاني، وشغلها اثنتي عشرة سنة؛ أي من السنة الثانية والخمسين، حتى السنة الرابعة والستين.

وعلى ذلك لم يعين كاهنًا أولًا للإله «آمون» إلا في السنة الرابعة والستين من عمره، وقد تربع على كرسي هذه الوظيفة العظيمة سبعًا وعشرين سنة؛ ولذلك يكون قد بلغ وقتئذ من العمر الحادية والتسعين، وهي السنة التي نصب فيها تمثاله في معبد «الكرنك»، حيث أصبح مختلطًا بطائفة الممدوحين، كما يقول هو في نقوشه، ولما كان كل من تماثيله منقوشًا عليه لقب الملك «رعمسيس الثاني» دل ذلك على أن هذا الفرعون كان لم يزل حيًّا وقتئذ، ومن المحتمل أنه قد عاش حتى بلغ السابعة بعد المائة، كما يستنبط ذلك «انجلباخ»، عندما خمن أنه لم يوجد إلا «باكنخنسو» واحد في تاريخ هذه الفترة.

وقد أمضى «باكنخنسو» نحو سبعين سنة في سلك الكهانة، وقد عاش على أقل تقدير نحو إحدى وتسعين سنة، كما يحتمل أنه ولد في عهد «حور محب»، وبدأ حياته في عهد «سيتي الأول»، ثم رُقي كاهنًا أول لـ «آمون»، قبل السنة الأربعين من حكم «رعمسيس الثاني» (حوالي ١٢٦٠ق.م) والظاهر أنه على حسب رأي «ليفبر»، قبل السنة السابعة والستين بقليل، وهي السنة الأخيرة من حكم هذا الملك المسنِّ.

وقد طلب إحالته إلى المعاش بسبب تقدم سنه، ومن الجائز جدًّا أنه قد عاش حتى عهد «مرنبتاح»، ويذهب «انجلباخ» إلى أنه عاش حتى عهد «رعمسيس الثالث»، ومن أجل هذا لا يعترف إلا بوجود «باكنخنسو» واحد (راجع A. S. XL, p. 507 ff.).

وقد تمدح «باكنخنسو»، بما له من صفات وهبها إياه إلهه، ومما لا شك فيه أن «رعمسيس الثاني» قد رقاه إلى وظيفة كاهن أول؛ لما لحظ فيه من فضائل أخرى، ولا يبعد أن مهارته في فن العمارة، هي التي لفتت نظر هذا الفرعون صاحب المباني العظيمة، وجعلته يرفعه إلى مرتبة الكاهن الأول، فقد رأينا أنه كان يشتغل بإنجاز معبد الأقصر في عهد «رعمسيس

الثاني» الذي زاد فيه — كما ذكرنا من قبل — ردهة وبوابة ضخمة. وتنسب إلى «باكنخنسو» بوجه خاص، إقامة المسلتين اللتين لا تزالان باقيتين حتى الآن، واحدة منهما في ميدان «الكونكرد» بباريس، والثانية في مكانها الأصلي بالأقصر.

ولا يبعد أنه قد مات بعد أن جاوز المائة، وقد دفن في قبره الذي نحته لنفسه في جوف «تل ذراع أبي النجا» رقم ٣٥، ويشمل هذا القبر قاعة في صور مدخل عظيم الحجم وممرًّا، وقد زينتهما ستة تماثيل موزعة مثنى في أطراف الحجرة كلها، وعند ملتقى القاعة بالممر نقرأ الصلوات العديدة التي ذُكرت معها ألقاب المتوفى، وكذلك نشاهد مناظر لعبادة «أوزير»، و«بتاح سوكر»، و«نوبيس»، وفي إحدى هذه المناظر نشاهد «باكنخنسو» ممثلًا ومعه زوجه راكعين أمام الإله يقرآن هذا الدعاء، ليت «أنوبيس» المحنط يجعلني أجلس على عرشه الأبدية لأجل روح «أوزير» الكاهن الأول ﻟ «آمون» «باكنخنسو» وزوجه، ومحبوبته رئيسة حريم «آمون» «مريت سجر»، وهذه هي الوثيقة الوحيدة التي جاء فيها ذكر زوج «باكنخنسو»، وتابوت هذا الكاهن الأعظم المصنوع من الجرانيت محفوظ الآن بمتحف «ليفربول»، ويحتمل كذلك أن التمثال الموجود الآن في «مونيخ» قد وجد في هذا القبر (راجع Porter & Moss I, p. 67-8).

«رومع-روي» الكاهن الأول ﻟ «آمون»

تدل كل الوثائق التي في متناولنا حتى الآن على أن خلف «باكنخنسو» المباشر على كرسي الكاهن الأول للإله «آمون» هو «رومع-روي»، ولا بد أنه تسلم مهام وظيفته في نهاية حكم «رعمسيس الثاني»، وبقي يشغلها حتى عهد «سيتي الثاني». والآثار التي نستقي منها معلوماتنا عن الكاهن الأعظم «رومع-روي» أصبحت الآن عديدة (راجع Hist. Des Grands Pretres p. 256 ff.)، وتقدم لنا وثائق غاية في الأهمية. وقبل أن نتحدث عن تاريخ حياته وأعماله؛ يجب أن نحل اللغز الذي حيك حول اسمه؛ إذ كان من المعترف به حتى زمن قريب جدًّا أنه توجد شخصيتان متميزتان، وهما: الكاهن الأول «رومع»، والكاهن الأول «روي»؛ وقد حاول أصحاب هذا الرأي أن يوجدوا بينهما علاقة الابن بالأب. ولكن السؤال المهم هنا هو: من كان الأب، ومن كان الابن منهما؟

ومن المدهش أن المتون في ظاهرها لم تضع حدًّا فاصلًا لهذه المسألة؛ مما خلق مادة لمناقشة علماء الآثار في هذا الصدد، كالتي يخلقها علماء الكلام والفقهاء لأمر تافه، فقد ظن «مسبرو» أن «روي» — وهو الأب على حسب رأيه — عاش في عهد «مرنبتاح»، وأن ابنه «رومع»، كان في عهد «سيتي الثاني» (راجع Momies Royales p. 666)، وكذلك يعتقد «لجران» أن «روي» كان والد «رومع» (راجع Rec. Trav. (1905), XXVII, p. 72)، وعلى العكس من ذلك نجد أن «فرشنسكي» قد وضع قائمته بأسماء الكهنة العظام للإله «آمون»، وقرر فيها أن «رومع» هو الابن، وأن «روي» هو الأب، وقد اتبع هذا الرأي «برستد» (Br. A. R. III, § 618)؛ ولذلك يعتقد أن «رومِع» عاش في عهد «رعمسيس

الثاني»، وأن «روي» ابنه كان في عهد «مرنبتاح»، والواقع أنه بعد فحص متني التمثالين اللذين عثر عليهما «لجران» في الكرنك في عام ١٩٠٤ اتضح جليًّا أن الاسم «رومع»، و«روي» هما اسم واحد لشخص واحد بعينه، وكل من هذين التمثالين يصور لنا رجلًا قاعدًا القرفصاء على وسادة، وجسمه مزمل في قميص ضيق مثل تمثال «باكنخنسو» بالضبط كما سبق. ومن العبث أن نفرض أن تمثالًا بعينه يمكن أن يكون صورة لشخصين مميزين، وقد وضع لإحياء ذكراهما، فإذا كان «رومع» شخصًا مميزًا عن «روي» فلا بد أن التمثالين يجب أن يكونا إما لاسم «رومع»، وإما لاسم «روي»؛ أي إنهما يكونان إما لـ «رومع» خاصة، أو لـ «روي» خاصة. والواقع أننا نجد على التمثال رقم ٤٢١٨٦[٤٣٦] القرابين التي ذكرت في أحد نقوشه قد عملت لإله الكرنك؛ لأجل روح الكاهن الأول لآمون «رومع»، ومن جهة أخرى نجد أن خطاب المدح الذي نقرؤه في نقش آخر على نفس التمثال قد وضع في فم الكاهن الأول لـ «آمون» المسمى «روي». وكذلك نجد على التمثال رقم ٤٢١٨٥ نقشين آخرين على هذا التمثال يلفت تأليفهما النظر بوجه عام، وهاك المتن الأول منهما:

> قربان يقدمه الملك لـ «آمون رع» ملك الآلهة، وللإلهة «أمونيت» المبجلة في الكرنك، وللإلهة «موت» سيدة السماء، وملكة الآلهة، وإلى «خنسو في طيبة نفر حتب»؛ لأجل أن يجعلوا تمثالي يثوى ويبقى، ويتخذ مكانًا في الكرنك، مخلدًا لروح الكاهن الأول لآمون «روي»، يقول: إني آتي إليك يا سيد الآلهة، يا «آمون» رئيس تاسوع الآلهة، إني أعبد جمالك كل يوم، وإني أشبع رغباتك، ارْنُ إليَّ بوجهك الجميل؛ لأني عبدك المخلص الذي باركته، وحفظته على الأرض، وإني خدمتك باستقامة، وقد شخصت في بيتك مغمورًا بنعمائك، وعيناي تريان صليك؛ لأجل روح رئيس كهنة كل الآلهة، والكاهن الأول لآمون «رومع».

ففي هذا المتن نرى أنه يبتدئ بصلاة «روي»، ثم يستمر متضرعًا من أجل «رومع»، وكذلك المتن الثاني، وهو المنقوش حول قاعدة هذا التمثال، فإنه يخلط الاسمين، ويحتوي أولًا على صلاة لروح الكاهن الأول «روي»، ثم صلاة أخرى لأجل الكاهن الأول «رومع»، على أن هذه الظاهرة نجدها كذلك في المتون التي على جدران معبدي «الكرنك»، و«السلسلة»، ففي «الكرنك» نجد أن المتن التذكاري المنقوش على الجدار الشرقي[٤٣٧] للبوابة الثامنة يبتدئ بصلاة موجهة لـ «آمون رع» من الكاهن الأعظم «رومع»، وتنتهي بصلاة من أجل الكاهن الأعظم «روي»، وكذلك الحال في نقوش «السلسلة»، فإنا نجد القرابين قُدمت على التوالي إلى «روي»، و«رومع».

وهكذا يرى الإنسان — على نفس التمثال، وفي نفس النقش، بل وفي جمل وضعت جنبًا لجنب — الاسمين «رومع»، و«روي» مستعملين الواحد بدلًا من الآخر بلا تمييز، ومن ثم نستنبط على وجه التأكيد أن الاسمين لشخص واحد يسمى «رومع»، ومصغره «روي».

أما موضوع تبادل هذين الاسمين بهذه السهولة، وحلول الواحد منهما مكان الآخر، فليس بالأمر المدهش، أو الغريب؛ إذ لدينا أمثلة تشبه ذلك كثيرًا في الآثار المصرية، فنجد مثلًا اسم «أمنحتب» قد حل محله الاسم المصغر «حوي»، كما ذكرنا ذلك آنفًا. وإذا كان هذا التبادل المفاجئ الذي نراه في النقوش المصرية لم يميزه المصري القديم قط، فإنه كان في الواقع موضع دهشة وحيرة عند علماء الآثار الأحداث، حتى إن بعضهم قد حاد عن الصواب وأخطأ الفهم، وجعل من الاسم والتصغير اسمين مختلفين، فنجد مثلًا أن نائب الفرعون في بلاد «كوش» المسمى «أمنحتب» كان ينادى باسمه المصغر «حوي»، وقد عجز الأثريون عن فهم كنه هذا الاسم المزدوج؛ ولذلك اخترعوا طريقة لحل هذا اللغز، فقالوا: إن «أمنحتب» اسم على حدة، و«حوي» اسم آخر، وأنهما زميلان أو أخوان (راجع Sethe A. Z. (1907) p. 89)، وعلى هذا النمط أرادوا تفسير اسم «رومع-روي»؛ وذلك لعجزهم عن التمييز بين الاسم الكامل، والاسم المصغر لنفس الشخص عند المصريين، إلى أن حل هذه المعضلة الأستاذ «زيته»، وبهذه النتيجة التي وصلنا إليها في تحقيق شخصية هذا الكاهن الأعظم سقطت نظرية الأستاذ «برستد»، وهي التي على حسبها كانت وظيفة الكاهن الآعظم لـ «آمون» في هذا العهد وراثية؛ وذلك لأن «رومع» كما يسميه «برستد» لا يمكن أن يورث وظائفه لـ «روي» للأسباب التي ذكرناها، ومن جهة أخرى لم يخلف الكاهن الأكبر «رومع روي» بوصفه الرئيس الأعلى لكهنة «آمون» بالكرنك، ابنه «باكنخنسو» الذي لم يتجاوز ترقيه وظيفة الكاهن الثاني لـ «آمون». والواقع أن المتن الذي حدا بالأستاذ «برستد» للأخذ بهذه النظرية هو قول «باكنخنسو» الكاهن الأكبر للإله «آمون» في أحد نقوشه ما يأتي: «ليت ابني يكون في مكاني، وأن يكون شرف مقامي في يديه — وأن ينتقل هذا — من الأب للابن حتى الأبدية.» والواقع أن هذا التمني لم يكن حقيقة واقعة، بل كان مجرَّد رجاء ودعاء نقرأ أمثاله كثيرًا في كل عصور التاريخ المصري، وبخاصة في عهد الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة، وقد دعا به «رومع روي» لنفسه في مكان آخر طالبًا أن يعمر عشر ومائة سنة. أما القول بأن «روي» يمكن أن يكون حفيد «باكنخنسو» الكاهن الأول لآمون السالف الذكر؛ وذلك لأن ابن «روي» هذا كان يُسمى «باكنخنسو» — ومن ثم يستنبط أن رياسة الكهنة كانت وراثية منذ عهد «باكنخنسو» في حكم «رعمسيس الثاني» — فإنه قول لا يعتمد عليه للأسباب التاريخية التي ذكرناها.

وحقيقة الأمر، أننا لا نعرف شيئًا البتة عن أصل والدي «رومع روي»، ولكننا نعرف الكثير عن مجال حياته من النقوش التي تركها لنا، فقد عني بترجمته لنفسه عناية عظيمة،[٤٣٨] فاستمع لما يقصه عن نفسه على أحد تماثيله: «لقد وصلت إلى سن الحُلم في بيت «آمون»، وقد كنت وقتئذ كاهنًا مطهرًا كاملًا، وكان عقلي متيقظًا، وفضيلتي ممتازة، وخططي تسير إلى هدفها، ولما كنت قد انتُخبت لأعمالي الطيبة في معبده، وكذلك وعدت بأن أكون «والد إله» لأجل أن أجيب نداء روحه المفخم «كا»، وأشبع رغباته، فإنه — أي آمون — قد كشف عن صفاتي، وكافأني لفضيلتي، وجعل الملك يعرفني، ويذكر اسمي أمام رجال البلاط، وقد عمل مرسومي لكل وظيفة عالية شغلتها عند نفس الفرعون «رعمسيس الثاني» بن «آمون» من صلبه، وقد كافأني «آمون» من جديد بسبب امتيازي، ونصَّبني كاهنًا ثانيًا، ولما كانت

خزينته ومخزن غلاله دخلهما مفيد لفلاح معبده، فإنه أضافهما إلى أعمالي، فضلًا عما أغدقه عليَّ من خير، ونصَّبني رئيسًا أعلى في معبده بوصفي الكاهن الأول لـ «آمون».»

وعلى الرغم مما في هذا المتن من الغموض في بعض نواحيه، فإنه يكشف لنا عن معلومات غاية في الأهمية؛ فالفرعون الوحيد الذي ذكر فيه هو «رعمسيس الثاني»، ولم يلمح هنا بأي تغيير في عرش الملك قط؛ ولذلك يمكننا أن نستنبط بحق أن «رومع-روي» قد وصل إلى قمة رقيه في عهد هذا الفرعون المسن؛ أي قبل موته بزمن قليل، وأنه قد خلف «باكنخنسو» مباشرة على كرسي رياسة الكهانة لآمون في «الكرنك»، أما تدرج «رومع-روي» في وظائف الكهانة فقد وصفه لنا هو بدقة أيضًا بعد تلاوة صلاة نُقشت على تمثال آخر له (راجع Legrain Catal. Gen. No. 42 185; Lefebvre Insc. No. 4)، فيعدد لنا ألقابه فيقول: إنه كان كاهنًا مطهرًا أمام «آمون»، ووالد إله لـ «آمون»، ثم كاهنًا ثالثًا لـ «آمون»، وكاهنا ثانيًا لـ «آمون»، ومدير خزانة «آمون»، ومدير مخازن غلال «آمون»، ورئيسًا لكهنة كل الآلهة في «طيبة»، وكاهنًا أول لـ «آمون-رومع».

وقد امتدت خدمة هذا الكاهن الأكبر إلى عهد الفرعون «مرنبتاح» (حوالي ١٢٣٣–١٢٢٣ق.م) إذ وجدنا اسمه منقوشًا بوضوح على أحد تماثيل هذا الكاهن الأكبر المحفوظة «بالمتحف المصري» (راجع Journal D’Entrée No. 37874; & A. S. XXIV (1924) p. 134)، وكذلك على لوحة جبل السلسلة (راجع L. D. III, p. 200 a). وقد كتب على هذه الآثار ألقابًا جديدة لهذا الكاهن من بينها: «المشرف على كهنة كل الآلهة في الوجهين القبلي والبحري. وهذا اللقب لم يكن يُمنح إلا نادرًا لرئيس كهنة «آمون» في خلال الأسرة التاسعة عشرة، وهذا اللقب يقابل لقب «المشرف على كهنة الوجهين القبلي والبحري» الذي كان يحمله الكاهن الأول، وغيره في خلال الأسرة الثامنة عشرة، ولم نجد من كان يحمله من بين الكهنة الأوَل في عهد الأسرة التاسعة عشرة إلا الكاهن الأول لـ «آمون» «نبنترو» في عهد «سيتي الأول».

وقد عرف «رومع-روي» كيف يستغل ضعف «مرنبتاح» ليقوي مركزه الشخصي، ويمكنه من التمتع بالسيادة التي كان يتمتع بها الكاهن الأول لـ «آمون» قبل قيام «إخناتون» بحركته الدينية المعروفة. والواقع أنه قد أفلح في ذلك فلاحًا عظيمًا لدرجة أنه تمكَّن من نقش اسمه وصورته على أحد جدران معبد «الكرنك»، وقد كان هذا امتيازًا مقصورًا حتى الآن على الفرعون وحسب، ولم يكن في استطاعته اتخاذ هذه الخطوة التي كانت تعد في نظر الكهنة الأول في عهد الأسرة الثامنة عشرة انتهاكًا لحرمة القداسة الملكية، إلا عندما شعر بضعف سلطة الملك الدنيوية وقتئذ؛ أي عندما أخذ يشعر بضعف الفرعون في حكم البلاد، وقلة نفوذه فيها؛ فقد وجدت على الجدار الشرقي للبوابة الثامنة بالكرنك ثلاثة متون مدونة على عارضتي وعتب باب صغير يؤدي إلى السلم في داخل هذا الجدار؛ ثم نجد على اليمين مباشرة من الجهة الشمالية لهذا الباب لوحة عظيمة تحتوي على النقش العظيم الذي أطلق عليه الأثري «ليفبر» «النقش التذكاري»، وهذه المتون كلها كانت مؤرَّخة، غير أنه مما

يؤسف له كثيرًا وجود التاريخ مهشمًا، ولم يبقَ منه أي شيء يرشدنا عن عصره إلا طغراء يحتوي لقب «سيتي الثاني»، يضاف إلى ذلك أننا نرى فوق عتب الباب المذكور لوحة تمثل «سيتي الثاني» يتعبد أمام الإله «آمون»، ويقدم له قرابين ملكية، وهنا نلحظ أن طغراءي الملك كانتا سليمتين.

وهكذا نرى أن «رومع-روي» الذي بدأ يشغل وظيفة رئيس كهنة «آمون» بالكرنك في نهاية عهد «رعمسيس الثاني» ظل في حظوة خلفه «مرنبتاح» عشرة أعوام، ثم مر بسلام مدة الاضطرابات التي وقعت في عهد كل من «أمنموسس»، و«سبتاح»، ليشهد كذلك تربع «سيتي الثاني» (حوالي ١٢١٤ق.م) على عرش الكنانة مدة عشرين سنة، وكان في كل هذه الأوقات يشغل وظيفة الكاهن الأكبر بالكرنك، وقد ارتفع إلى سن الشيخوخة مغمورًا بأفضال «آمون»، وإنعاماته، يحيط به أولاده وأحفاده، متقلدين كلهم وظائف كهانة في معبد الكرنك؛ ولدينا أنشودة على أحد تماثيله المحفوظة «بالمتحف المصري» (التمثال رقم ٤٢١٨٥) يتمدح فيها بفضل الآلهة عليه، فاستمع لما جاء فيها:

> إني رجل باسل يقظ نافع لسيده، أقمت له الآثار في بيته بقلب محب، ولبي يشتغل في كل الأعمال، ويبحث عن كل نافع لإلهي السامي، وقد كافأني على كل ما عملته؛ لأني كنت مفيدًا له، ولقد مكَّنني بوصفي الرئيس الأعظم على رأس بيته، وهكذا قد وصلت إلى الشيخوخة وأنا في خدمته مغمورًا بإنعاماته، وأعضائي لم تزَل مملوءة صحة، وعيناي تريان، والأطعمة المفيدة لم تزَل باقية في فمي، في حين أن نعم الفرعون تصيبني بفضل «آمون».
>
> وقد منحني «آمون» أجيالًا من أولادي مجتمعين أمامي يؤدون وظائف الكهنة المكلفين بحمل تمثاله، وبينما كنت الكاهن الأول بفضل «آمون» إذ كان ابني يسكن بجانبي كاهنًا ثانيًا لـ «آمون»، وابني الثاني كاهنًا مطهرًا في المعبد الملكي في غربي طيبة، وابن ابني الكبير؟ كاهنًا رابعًا يحمل «آمون» رب الآلهة، وابن ابني الآخر والدًا له، وكاهنًا مرتلًا ذا يدين طاهرتين لصاحب الاسم الخفي «آمون».
>
> ليته يجعل اسمي يبقى على تمثالي بجانب هذه الأوقاف الخيرية التي عملتها في هذا البيت، وأن يخلد ذكرى اسمي عليها في المستقبل سرمديًا، وليت الأجيال المقبلة تمدحني لأعمالي الصالحة لأني كنت رجلًا مقدامًا.

وتدل شواهد الأحوال على أن التمثالين اللذين عثر عليهما «لجران» في خبيئة الكرنك، وهما اللذان يحملان رقمي (٤٢١٨٥، ٤٢١٨٦) لم يكونا منصوبين في مكانهما الأصلي، ومن المحتمل جدًّا أنهما كانا معروضين في الأصل بجانب أحد الآثار التي أقامها «رومع روي» في معبد «آمون»، كما يدل على ذلك المتن السابق. والواقع أن «رومع روي» هذا كان

مهندس عمائر مثل معظم الكهنة العظام لمعبد «آمون»، ولا بد أنه لهذا السبب قد ذهب إلى محاجر «السلسلة»، وعلى الرغم من أنه لم يقِم هناك ضريحًا على غرار ما فعله معظم أسلافه هناك، فإنه ترك لنا عوضًا عن ذلك تذكارًا لزيارته، وهو لوحة تمثله واقفًا بجانب الفرعون «مرنبتاح» يتعبد أمام الإله «آمون» (راجع L. D. III, 200 a)، وقد نقش عليها صيغة القربان المزدوجة التي يُدعى فيها تارة «رومع»، وتارة أخرى «روي»، ويتبعها صلاة لأجل روح «كا» الأمير الوراثي، ووالد الإله، وصاحب اليدين الطاهرتين، ورئيس الأسرار في السماء، وفي الأرض، وفي العالم السفلي، ومضحي ثور أمه، ورئيس جند «آمون»، والمشرف على الذهب والفضة في بيت «آمون»، ومدير الأعمال الخاصة لكل آثار جلالته، والكاهن الأول لآمون «روي».

ويحدد لنا أحد النقوش التي على تمثاله المحفوظ «بمتحف القاهرة» (رقم ٤٢١٨٥) أنه كان مدير الأعمال في الكرنك، وأنه هو الذي كان يعطي كل التعليمات للصنَّاع وأصحاب الحرف؛ كما نجده يفتخر في النقوش التي على التمثال رقم ٤٢١٨٦ بأنه بجده ومهارته قد أقام آثارًا مختلفة في بيت «آمون» باسم سيد الأرضين، وتشمل تماثيل من فضة وذهب مشغول ومطروق، ثم محرابًا مجهزًا ببابين عظيمين من الذهب المرصع بكل أنواع الأحجار الغالية (الحقيقية)، وكذلك يتحدث عن مبنى كان قد وسع أبوابه، ونقش عليه اسم سيد التيجان، وأخيرًا يذكر لنا سفنًا جارية في النهر ﻟ «آمون»، و«موت»، «وخنسو» (ثالوث طيبة).

والواقع أن البناء الذي وجه إليه معظم عنايته لم يكن معبدًا ولا مقصورة، بل كان مسكن الكهنة العظام، وهذا المسكن كان يقع في الجزء الجنوبي الشرقي من ضيعة «آمون» على ربوة خارج الردهة التي تمتد بين البوابتين السابعة والثامنة على حافة البحيرة المقدسة العظيمة. والواقع أن المعبد المقام من حجر المرمر — وهو الذي وجد عليه «مريت باشا» نقشًا للكاهن الأعظم «أمنحتب»، وكذلك الجدار الذي يوصله بالمباني المصنوعة من اللبن التي هدمت الآن، والذي نُقش عليه «رومع-روي»، ومن بعده «أمنحتب» متنًا — يدل على ما قاما به من إصلاح، كان يتألف منها جميعًا مسكن الكهنة العظام ومقصوراتهم الخاصة (راجع Maspero Momies Royales p. 670). وهذه المؤسسة الدينية يرجع تاريخها إلى عهد الأسرة الثانية عشرة؛ وقد كان الكهنة العظام من حين إلى حين يصلحون من شأنها كلها، أو جزء صغير من أجزائها على حسب الأحوال (راجع L. D. III, p. 237 & Lefebvre Inscrip. § XI). وكان الجزء الذي شرع «رومع-روي» في إصلاحه في هذا البناء هو المكان المخصص للخبازين، وصانعي الجعة. وبهذه المناسبة نقش على البوابة الثامنة على يمين الباب الصغير الذي يؤدي إلى السلم؛ النقش التذكاري المشهور الذي أشرنا إليه. ونلحظ أن «رومع-روي»، قد تجاسر هنا، وأمر برسم صورته واقفًا مرتديًا ثوبه الشفيف الفضفاض، مكشوف الرأس حليقًا، ويحلي جيده عقد، وخلفه ابنه «باكنخنسو»، وهو الذي خلفه في منصب الكاهن الثاني للإله «آمون» عندما رُقي هو لمنصب الكاهن الأول.

ويلاحظ أن الكاهن الأعظم في هذا المنظر كان رافعًا يده تضرعًا وخشية. والواقع أن المتن يبتدئ بأنشودة تضرع للإله «آمون رع»، وبعد أن طلب «رومع-روي» إلى ربه أن يمنحه حياة مديدة سعيدة، وأن يحفظ عليه صحته حتى الممات، وأن يضمن له أبديًّا توريث أولاده، وأحفاده من بعده في وظائفه، عدَّد لنا مناقبه حيث يقول:

> أنتم يأيها الكهنة المطهرون، ويا كتبة بيت «آمون»، ويأيها الخدم الممتازون للقربان المقدسة، ويأيها الخبازون، وصانعو الجعة، وصانعو الحلوى، وخبازو الرغفان (المسماة) «سنت»، و«بيت»، و«بسن» الذين يقومون بأداء واجباتهم نحو سيدهم، والذين سيدخلون في هذا المصنع الذي في بيت «آمون»، عليكم أن تنطقوا باسمي كل يوم، مانحين إياي ذكرى حسنة، وعليكم أن تفخموني لأعمالي الصالحة؛ لأني كنت رجلًا مقدامًا.
>
> لقد وجدت هذا المكان آثاره دارسة تمامًا، وجدرانه ساقطة، وخشبه متآكل، وإطاراته التي كانت من الخشب قد اختفت، وكذلك الألوان التي كانت تغطي النقوش البارزة قد أعددتها ووسعت … بأحسن ما يكون، وقد صنعت الإطارات من حجر الجرانيت، وركبت له أبوابًا من خشب الأرز الحقيقي، وأقمت فيه مصنعًا مريحًا للخبازين، وصنَّاعي الجعة الذين يسكنونه، وقد عملت هذا بصناعة أحسن من ذي قبل؛ محافظة على موظفي إلهي «آمون» سيد الآلهة.

وتدل النقوش على أن برجي البوابة الثامنة كانا بمثابة ملحق لسكن الكهنة العظام على الأقل في عهد «رومع-روي»، إذ قد عثر الأثري «ليفبر» على نقشين في أحد الجدران في الجزء الأعلى من السلم المؤدي للبرج، والنقش الأول الذي على اليمين هو منظر محاط بسطرين من النقوش الهيروغليفية السريعة، وقد مثل في المنظر شخص صغير يقف ورافعًا يديه تعبدًا، أما الكتابة فتقول: «عمله رئيس تشريفات بيت «آمون»، ورئيس إدارة الكاهن الأول لـ «آمون رومع»، والمسمى «أمنمأبت».» ثم يأتي بعد ذلك عمود خالٍ من النقش «ونقاش معبد «آمون» «باكنورل» بن «حاو نفر»، والنقش الثاني نُحت على مخرج السلم على الجدار الذي يحمل العتب، وهو: كاوي ملابس بيت «آمون»، وحارس حجرة الكاهن الأعظم لآمون «روي» المسمى «سمنتاوي».»

ونفهم في الحال أهمية هذين النقشين، إذ يدلان على وجود إدارتين في داخل البوابة الثامنة في عهد الكاهن «رومع-روي» بالقرب من المباني الخاصة بمسكن الكهنة العظام، وكذلك نعلم أن تشريفي «رومع-روي»، وهما «أمنمأبت»، وتابعه «سمنتاوي» كانا يترددان على هذه الأماكن للقيام بخدمات لسيدهم.

وتدل النقوش على أن «رومع-روي» لم يصل إلى رتبة كاهن أول للإله «آمون» إلا في سن مرتفعة جدًّا، وقد مكث يشغلها مدة طويلة ومات معمرًا، وقد كان منتهى أمله، وما تتوق إليه نفسه أن تمتد به السنون إلى العاشرة بعد المائة، إذ نجده في نقوشه قد تضرع إلى ربه راجيًا أن يُمنح هذا العمر المديد الذي كان يطمح إلى بلوغه كل مصري. وقد دُفن «رومع-روي» في قبره بجبانة «ذراع أبو النجا»، ولكن مما يؤسف له جد الأسف أن هذا القبر لم يبقَ منه إلى يومنا هذا إلا دمنه التي تحدِّث عن موقعه، ووجد له في بقاياه تمثال صغير من الجرانيت، وقطع مختلفة من الحجر كُتب عليها اسمه المزدوج «رومع-روي» (راجع The Museum Journal, Philadelphia March 1924, p. 41).

«ونتاوات» الكاهن الأول لـ «آمون خنوم واست»

ذكرنا فيما سبق الكهنة الأول للإله «آمون» في الكرنك في عهد «رعمسيس الثاني»، غير أن بعض علماء الآثار قد ظن أن الكاهن «ونتاوات» كان ضمن هؤلاء الكهنة، فمن ذلك أن «لجران» الذي عثر على تمثال فريد لهذا الكاهن قال: إنه للكاهن الأول لـ «آمون» (راجع Legrain, Cat. Gen. No. 42158)، معتمدًا في استنباطه على ملابسه؛ إذ يرى في شعره المستعار المجعد، وجلبابه الطويل ذي الثنايا والكُمين الملتويين أنه من عصر «رعمسيس الثاني»، وقد استند — فضلًا عن ذلك — على رأي العالم «مسبرو» الذي قال عن هذا التمثال: إن صاحبه عاش في أواخر عهد «رعمسيس الثاني»، (راجع Maspero Momies Royales p. 747)، وقد قفا الأثري «فرشنسكي» رأي «مسبرو»، غير أنه لم يفهمه تمامًا؛ إذ قال: إن هذا الكاهن عاش في العصر الأثيوبي (راجع Wreszinski, Die Hohenpriester No. 70). ولكن من جهة أخرى تدل البحوث على أن اللوحة التي اعتمد عليها «مسبرو» في تقرير رأيه ليست قديمة إلى الحد الذي يعتقده، بل إنها في الواقع من عهد الأسرة العشرين، ومن جهة أخرى قد أصبح من المؤكد أن «ونتاوات» الذي كان يشغل وظيفة نائب الملك في بلاد النوبة كان يشغل حقًّا وظيفة الكاهن الأول، غير أنها لم تكن لـ «آمون رع» ملك الآلهة بالكرنك، بل لـ «آمون رعمسيس»، «وآمون خنوم واست» (راجع Grand Temple de Ramses II à Gourneh; Lefebvre Grands Pretres D’Amon. De Karnak. P. 160-61).

كهنة «آمون» الثانويون، وموظفوه في مختلف الأعمال

وقد عثرنا على أسماء بعض كهنة «آمون» في عهد «رعمسيس الثاني» من درجات مختلفة نذكر منهم:

- **زت:** الكاهن الثاني لـ «آمون»، وقد عثر على تمثال مجيب باسمه في جبانة «ذراع أبو النجا»، وهو الآن «بالمتحف المصري» (راجع Petrie Hist. III, p. 96).

- **وسرمنتو:** ويحمل لقب «خادم آمون»؛ أي كاهن آمون، وقد جاء اسمه على قطعة من بردية عثر عليها في «سقارة»، ويدل ما تحتويه على أنها كُتبت في «طيبة»، وهي من الأهمية بمكان؛ إذ تحتوي على موضوع قضية أقامها كاتب الأطعمة المسمى «نفر عابو»، وأخته بسبب قطعة أرض من أملاك معبد الإلهة «موت»، وكانا قد حُرما تثميرها مدة طويلة، على الرغم من أنها كانت هبة لهما، وعندما أراد أن يستردها هذا الكاتب ويستولي على محصولها، عارضه في ذلك «وننفر» كاهن معبد الإلهة «موت» قائلًا: إن هذه الأرض قد أصبحت ملكًا لمعبد الإلهة «موت» منذ زمن بعيد، ولكن المحكمة بعد فحص الدعوى حكمت للمدَّعي بالحق؛ وهذه من القضايا النادرة التي صادفناها في تلك الأزمان القديمة.

وقد كان «وسرمنتو» ضمن القضاة المحكِّمين في هذه القضية، وعددهم تسعة، ويلحظ أن ستة منهم كانوا من كهنة معبد «آمون»؛ مما يدل على ما كان لهذا الإله من السلطان في «طيبة»، وفي تشكيل رجال المحكمة، وقد كان على رأسها الكاهن الأكبر «باكنخنسو» للإله آمون. وقد كتبت الورقة في السنة السادسة والأربعين من عهد الفرعون «رعمسيس الثاني». وهاك الجزء الأول منها الذي لم يصبه تهشيم كبير:

> السنة السادسة والأربعون، الشهر الثاني من فصل الزرع، اليوم الرابع والعشرون في عهد جلالة ملك رب الأرضين «وسر ماعت رع ستبن رع بن رع» رب التيجان «رعمسيس» محبوب «آمون»، حاكم «هليوبوليس» المحبوب من «آمون رع» ملك الآلهة، معطي الحياة مخلدًا وسرمديًّا. في هذا اليوم في قاعة العدل للفرعون في المدينة الجنوبية المسماة «التي تنشرح بالعدالة عند البوابة لرعمسيس الثاني»، ومحكِّمو هذا اليوم هم:
>
> - (١) الكاهن الأول لآمون «باكنخنسو».
> - (٢) كاهن آمون «وسرمنتو».
> - (٣) كاهن آمون «رومع».

- (٤) كاهن معبد «موت» «وننفر».
- (٥) كاهن معبد «خنسو امنمئيون».
- (٦) الكاهن والد الإله لمعبد آمون «أمنمأبت».
- (٧) الكاهن المطهر والمرتل لآمون «أمنحتب».
- (٨) الكاهن المطهر والمرتل لآمون «آني».
- (٩) الكاهن المطهر لمعبد آمون «حوي».
- (١٠) كاتب الحسابات لقاعة العدل «حوي».

وبعد تعداد المحكِّمين يقدم المدعي دعواه، ومما يؤسف له أن المتن مهشم، ولكن أمكن فهم مغزى القضية على وجه التقريب، والواقع أن هذه الورقة تقدم لنا عددًا لا بأس به من رجال الكهانة في هذا العهد، وكيفية تشكيل المحكمة. ولا نزاع في أن الأمر هنا كان خاصًّا بأملاك المعبد؛ ولذلك نجد أن المحكمة شُكلت من أعضاء كلهم من الكهنة عدا الكاتب الذي كان بيده حساب هذه القضية على ما يظهر.[٤٣٩]

حريم «آمون» ومغنياته

ذكرنا فيما سبق ما نعرفه عن حياة الكهنة الأول لمعبد «آمون» بالكرنك، ويجدر بنا في هذا المقام أن نذكر الدور الذي كانت تقوم به أزواج هؤلاء الكهنة وبناتهم وغيرهن في خدمة الإله العظيم وغيره، والوظائف التي كانت تسند إليهنَّ.

والواقع أن كل المعابد كانت تشمل ضمن موظفيها عددًا عظيمًا جدًّا من الموسيقارات والمغنيات، وكانت وظائفهن سهلة بسيطة في ذاتها؛ إذ كانت تنحصر في الغناء أو الضرب بالصاجات في الأعياد، ولا شك في أن حضورهن كان يزيد في أبهة المحافل ورونقها. وكذلك كما يقول الأثري «بلكمان» كانت النساء على وجه التقريب اللائي كُن يسكنَّ في «طيبة»، أو ما جاورها في معابد الدولة الحديثة يقمن بوظيفة كاهنات مغنيات (راجع J. E. A. VII, p. 9)، ويجدر بنا هنا أن نذكر أن عملهن هذا كان يقابل عمل الرجال العاديين الذين كان يحمل كل منهم لقب «مغني آمون» (راجع Pierret Louvre I, p. 98 etc.)، ويكفي أن نشير هنا إلى أن بنتي الكاهن «حبوسنب» الذي عاش في عهد الملكة

«حتشبسوت»، وكذلك بنات «بتاحمس» الخمس، وزوج «رومع-روي» كن مغنيات الإله «آمون»، وتدل الوثائق — على ما يظهر — على أن هؤلاء الكاهنات كن كباقي أفراد كهنة «آمون» الصغار ينقسمن طوائف كهانة منذ الأسرة الثامنة عشرة. والواقع أنه يوجد لدينا تمثال من الكرنك من هذا العهد نُقش عليه لقب مغنية «آمون» من الطائفة الثانية (راجع Legrain Cat. Gen. No. 42122 d, 11)، وكذلك نقرأ على لوحة عثر عليها في «العرابة المدفونة» اسم مغنية من الطائفة الرابعة (راجع Lacau Cat. Gen. No. 34117) وقد بقيت الحال كذلك إلى عهد الأسرة الثانية والعشرين حينما ظهر لقب موسيقارة «آمون رع» (أخت آمون رع) (راجع Legrain Cat. Gen. No, 42189 & 42213 ff.)، ومن المحتمل أن هؤلاء المغنيات كن ضمن كهنة «آمون»، وهن غير المغنيات اللائي كن خارج هذه الهيئة، ونعلم أنهن كن ينقسمن أربع طوائف (راجع Legrain Cat. Gen. No. 42211 e).

وقد كان ضمن كاهنات «آمون» ما نسميه حريم «آمون»، أو حظياته، وهؤلاء كذلك كن مقسمات طوائف كهانة، وكان على رأس كل طائفة رئيسة، كما يدل على ذلك لقب رئيسة حريم «آمون» من الطائفة الثالثة (راجع Wreszinski Die Hohenpriester § 57 (XX-XXII Dyn?)). ومن المحتمل أن هؤلاء الحظيات كن يُنتخبن من بين المغنيات؛ إذ وجدنا أن إحدى هؤلاء الرئيسات التي كانت تلقب رئيسة الحريم مغنية لـ «آمون» (راجع Mariette Cat. des Mon. D'Abydos No. 1137).

ونعلم مما سبق أن «تويا» حماة «أمنحتب الثالث» كانت كذلك رئيسة حريم، وفي الوقت نفسه مغنية «آمون» (راجع الجزء الخامس)، ومن ثم نعلم أن هذه الوظيفة كان في الإمكان إسنادها إلى نساء عظيمات ممن ينتسبن للأسرة المالكة، وعلى وجه عام كانت زوج الكاهن الأكبر،[٤٤٠] أو إحدى[٤٤١] بناته هي التي تقوم بأعباء هذه الوظيفة، وأحيانًا كانت تسند إلى زوج الكاهن الثاني لـ «آمون».[٤٤٢]

وإنا نجهل الدور الذي كانت تقوم به هؤلاء الكاهنات اللائي لم يكنَّ قاصرات على خدمة الإله «آمون»، بل كان للآلهة والإلهات الأخرى خادمات من النساء، كما سترى بعد. ويعتقد الأستاذ «مسبرو» أن هؤلاء النسوة كن على ما يظهر يؤلفن طائفة حظيات مقدسات، شبيهات بالطوائف الفينيقية، والسورية، والكلدية (راجع Maspero Guide p. 276). ومن المحتمل أنهن كن يؤلفن حاشية فقط، أو ضيفات شرف لدى زوج الإله، التي كان يعتقد أنه كان لها اتصال جسمي مع الإله؛ ولذلك كان يظن أنها تقوم على الأرض بالدور الذي كانت تقوم به الإلهة «موت»، التي كانت تُدعى «الزوجة الإلهية للإله آمون»، وهذا الدور في الأصل كانت تقوم به الإلهة «حتحور» زوج الإله «رع». وقد انتحل «آمون» لنفسه صفة «رع» عندما علا نجمه في عهد الدولة الحديثة (راجع Blackman Ibid. p. 14). وكانت تلقب زوج الإله كذلك «اليد الإلهية»،[٤٤٣] أو المتعبدة الإلهية لـ «آمون»، وهذا الدور

الهام الذي كانت تقوم به زوج الإله الدنيوية، كانت تقوم بأدائه بطبيعة الحال الملكة؛ إذ كان المفروض أن «آمون» يتقمص الفرعون الحاكم، وكان هذا الإله أحيانًا يتفضل بمباشرة الملكة لتنجب؛ وكان الغرض الوحيد من ذلك هو تخليد سلسلة نسب ملوك مصر الإلهية. وقد كانت أمثال هذه الظاهرة تحدث لضرورات سياسية داخلية (راجع Moret du Caractere Religieux de la Royaute Pharaonique, Chap. II).

وقد ذكرنا آنفًا أولئك الملكات اللائي كن يحملن هذا اللقب في عهد الأسرة الثامنة عشرة، أما في عهد الأسرة التاسعة عشرة فلم نجد من زوجات الملوك من كن يحملن هذا اللقب إلا زوج «رعمسيس الأول»، وزوج «سيتي الأول»، ثم زوج الملك «سبتاح»، ثامن ملوك الأسرة التاسعة عشرة (راجع L. R. III, p. 9, 29, 145).

وتدل الوثائق التي في متناولنا على أن زوج الإله «آمون» كان لها الحق في إدارة كل شئون الكاهنات في معبد الكرنك، وأنها كانت المشرفة عليهن في وقت الأحفال، وكانت تقوم بدور الضرب بالصاجات، وتغني لتسر الإله، وتحمل له الأزهار (راجع A. Z. 35, p. 17; A. S. V, (1905) p. 85, 92). وكان لها بيت خاص، يديره موظف لقبه: مدير بيت الزوجة الملكية، كما كان لها موظف يحمل لقب المدير العظيم للبيت، يضاف إلى ذلك أنه كان في حيازتها معامل للصناعة، يديرها موظف لقبه: المشرف على مصانع زوج الإله (راجع Maspero Momis Royales p. 539; Urk IV, 403, 2; Daressy Recueil Cones No. 247).

وسنذكر فيما يلي بعض هؤلاء النسوة اللائي كن يحملن هذه الألقاب الدينية:

- **نفرت موت:** رئيسة حريم «آمون» (راجع Lieblein Dic. Noms. 2052).
- **تيي:** مغنية بيت الفرعون، ورئيسة حريم «آمون»، وهذه المرأة كانت ابنة الوزير «باسر»، الذي عاصر كلًّا من «سيتي الأول»، و«رعمسيس الثاني» (راجع Champ. Notices I, p. 523).

أما النساء اللائي كن يحملن لقب مغنية «آمون» فهن كثيرات في عهد «رعمسيس الثاني»، وسنذكر بعضهن على سبيل المثال، ونخص بالذكر:

- **تاكمعي:** مغنية «آمون»، ثم «تيا»، و«تويا»، و«باكآمون»، و«يي»، و«ويا»، وكلهن من أسرة واحدة (راجع Mariette Cat. Abydos No. 1128)، وكذلك «حنت محيت»،

و«نفرتاري»، و«ياي»، والظاهر أن كل هؤلاء من أسرة واحدة، وهي أسرة رئيس الشرطة «أمنمأنت» (راجع ص و.Brugsch Thesaurus p. 951 ff).

وقد كان لمعبد «آمون» طائفة خاصة من الموظفين، نذكر منهم على سبيل المثال في عهد «رعمسيس الثاني» ما يأتي:

- **ستاو:** المشرف على خزينة «آمون» ومدير أعياده، يوجد لهذا الموظف لوحة في المتحف البريطاني (No. 566)، وقد مثل عليها «ستاو» يتعبد للإلهين «رع»، و«إزيس»، وفي منظر آخر يقدم البخور، وماء الطهور للإله «أوزير»، وعلى حافة اللوحة نقشت صلوات للإله «رع حوب مأخت»، و«حتحور»، و«أنوب»، و«وبوات»، و«تحوت»؛ رجاء أن يقدموا للمتوفى قربانًا (راجع Budge. Sculptures p. 189).
- **نخت تحوتي:** المشرف على عمال بناء السفن للبحرية الشمالية، والمشرف على صياغ الذهب في ضيعة «آمون»، وقبر هذا الموظف «بالعساسيف» (راجع Gardiner & Weigall Cat. No. 189).
- **«مس» (موسى):** المشرف على أعمال رب الأرضين، في كل أثر ﻟ «آمون»، وقبره في جبانة «شيخ عبد القرنة» (رقم ١٣) (راجع G. W. Cat. No. 137).
- **آمون واح سو:** كاتب النقوش المقدسة في ضيعة «آمون»، وقبره في جبانة «شيخ عبد القرنة» (رقم ١١١) (راجع Ibid. No. 111).
- **مري خنوم:** رئيس الكتبة في معبد «آمون»، والمشرف على المدينة في الأراضي الأجنبية الجنوبية، عثر لهذا الموظف على لوحة منقوشة في صخور جزيرة «سهيل»، وقد مثل فيها واقفًا يتعبد أمام «رعمسيس الثاني» الجالس على عرشه (راجع De Morgan Cat. Mon. I, p. 99 (No. 197)).

(ب) موظفو معبد «الرمسيوم»

يدل ما لدينا من آثار باقية على أن «رعمسيس الثاني» قد رصد لمعبده الجنازي الذي أقامه لعبادته هو ولعبادة الإله «آمون» موظفين وعمالًا، وحبس عليه الأوقاف الكثيرة. وسنذكر بعض هؤلاء الموظفين، ومما يلفت النظر أن هؤلاء الرجال كانوا يقومون بأعمال حكومية أخرى، ومن المحتمل أن عملهم في هذا المعبد كان إضافيًّا أو عملًا فخريًّا كانوا يتقاضون عليه أجرًا وفيرًا، مما كان يحبس عليه من أموال طائلة، وأراضٍ شاسعة، وهذا ما يقابل في عصرنا تعيين نظار الأوقاف العظيمة التي يتقاضى القائمون عليها مبالغ ضخمة، وهذا المعبد كان يُسمى قديمًا: معبد «وسر ماعت رع ستبن رع» في بيت «آمون».

- **نزم:** كاتب الفرعون، ومدير معبد «الرمسيوم»، وجد اسمه على مجموعة مؤلفة من تمثالين مهشمين، عثر عليها في «العرابة المدفونة». (راجع Petrie Abydos II, pl. XXXVIII, p. 36).

- **نب نختوف:** مدير الأعمال في «الرمسيوم»، وحاكم البلاد الأجنبية في الشمال، ورئيس شرطة الصحراء «مازوي»، وسائق عربة جلالته، ورسول الفرعون في كل بلد أجنبي، وجد لهذا الموظف لوحة يظهر عليها «رعمسيس الثاني»، وقارب الإلهة «إزيس» المقدس، يحمله كهنة على أكتافهم (راجع Petrie Koptos p. 15-16 pl. XIX)، وقد وقف «رعمسيس» في المنظر، مقدمًا البخور «لإزيس» الكبرى، أم الإله، وقد كتب النقش التالي: ««رعمسيس» يطلق البخور لوالدته «إزيس».» وتدل شواهد الأحوال على أن «نب نختوف» قد قص على هذه اللوحة أحواله، وما أصابه من ظلم. وهاك ما تبقى من المتن المهشم: «مدير الأعمال في معبد «وسر ماعت رع» «نب نختوف» الذي وضعته … المرحومة يقول: الصلاة لك يا «إزيس» … يا صاحبة الوجه الجميل في سفينة معزت (سفينة النهار)، يا صاحبة الشجاعة العظيمة … أذرعًا ماحِيَة الشجار ومُعيدة … ومخلصة الضعيف من المتوحش … على الأرض، ومدينتك … (٧) … (٨) أنا على مصر، وإني قد وقفت بين … (٩) الأشراف، بوصفي رئيس شرطة الصحراء … (١٠)، وهذا الخادم المتواضع — يقصد نفسه — قد وصل إلى مدينته ليقدم الثناء لـ «إزيس»، وليمجد الإلهة العظيمة (١١) في كل يوم، وقد وضعتني بجانبه، وقد تعبدت إليها قائلًا (١٣): إنك قد خلصت «نب نختوف»، وإنك ستخلصين … (١٤) … وإنك ستجعلين … تأملي، لقد عملت لوحة مثلها … (١٥)، وكل طرقها قد مكنت تمامًا، ويدها لم توقف …

(١٦) تأمل، إن ما قدم له عمل لي، ولقد عملت بوصفي حاكم البلاد الأجنبية في الأراضي الشمالية، وعملت بوصفي رئيس المازوي، وكذلك بوصفي سائق عربة جلالته، والسفير الملكي لكل أرض، والمشرف على الأعمال في معبد «وسر ماعت رع ستبن رع» في معبد «آمون» (الرمسيوم)، بوصفي خادم مفيد مثل نفسي، وإن «إزيس» قد منحتني …» ومما بقي من هذه اللوحة المهشمة نعلم أن «إزيس» كان لها مكانة عظيمة في هذه الجهة، ولا غرابة في ذلك، فقد كانت منذ الدولة الوسطى تُدعى أم الإله «مين»، أعظم المعبودات في هذه البلدة، وكذلك نستنبط أن «نب نختوف» قد جاء لزيارتها في «قفط» مسقط رأسه على ما يظهر، وأنه قد شكا إليها من شيء قام عليه نزاع بينه وبين فرد آخر، وقد قضت له «إزيس» بوساطة إشارة (وحي) من تمثالها، تدل على أنه هو المحق. وما جاء على هذه اللوحة يذكرنا بما جاء على لوحة أخرى، أقامها شخص يُدعى «باسر» في جبانة «مكان الصدق» في «دير المدينة»، وقد تحدثنا عنها (راجع مصر القديمة الجزء الرابع).

- **رعمسيس نختو:** مدير معبد «وسر ماعت رع ستبن رع» في بيت «آمون» على الجهة الغربية من «طيبة» (الرمسيوم)، يوجد في متحف «بروكسل» قطعة من الحجر عليها منظر يمثل «رعمسيس نختو»، وأمامه شخص آخر يحرق البخور، وخلفه زوجه ربة البيت، ومغنية «حتحور»، سيدة الجميزة «توي» المرحومة (راجع P. S. B. A. Vol. XI, p. 261-2)، وقد كُتب على هذه القطعة من الحجر ألقاب هذا الموظف.

- **خنوم محاب:** المشرف على خزانة الرمسيوم في ضيعة «آمون»، وقبره «بجبانة العساسيف»، وقد وجد على جدرانه فضلًا عن لقبه السالف الألقاب التالية: «كاتب الملك الحقيقي، ومحبوبه، وقائد جيوش رب الأرضين في قصره.»[٤٤٤]

- **نب سومنو:** المدير العظيم للبيت، ومدير البيت في معبد «وسر ماعت رع ستبن رع»، وقبره في «الخوخة» رقم ١٨٣.[٤٤٥]

- **محو:** وكيل بيت «وسر ماعت رع ستبن رع» (الرمسيوم) في ضيعة «آمون» في غربي «طيبة»، وقبره «بالعساسيف» رقم ٢٥٧، وهذا القبر قد اغتصبه «محو» هذا من موظف آخر عاش في عهد كل من «تحتمس الثالث»، و«أمنحتب الأول» يُدعى «نفر حتب»، كان يلقب «الكاتب حاسب حبوب آمون».[٤٤٦]

والمنظر الهام فيه هو صورة المتوفى واقفًا أمام تمثال الإله «تحوت» في هيئة قرد على رأسه صورة قرص القمر والتاج، وفوق التاج صورة الهلال يتعبد إليه بوصفه رب «الأشمونين»، والكاتب الحقيقي للتاسوع، وكان يحمل لقب كاتب القرابين المقدسة لأرباب «طيبة»،[٤٤٧] ويوجد لهذا الموظف لوحة في «تورين»[٤٤٨] أيضًا.

- **«نب محيت» كاتب المجندين في «الرمسيوم»:** وقبر هذا الموظف في جبانة «ذراع أبو النجا» رقم ١٧٠.[٤٤٩]

- **نزم جر:** المشرف على الحديقة في «الرمسيوم» في بيت «آمون»، وقبره في «جبانة شيخ عبد القرنة» رقم ١٣٨،[٤٥٠] وليس في نقوش قبره ما يلفت النظر إلا منظر إلهة الجميزة تقدم طعامًا لزوج المتوفى، ومنظر حساب الآخرة، وله لوحة محفوظة الآن بالمتحف البريطاني، وهي مؤرَّخة بالسنة الثانية والستين من حكم «رعمسيس الثاني».[٤٥١]

- **بتاح مويا:** المشرف على ماشية «معبد الرمسيوم»، والكاتب الملكي للقرابين الإلهية لكل الآلهة، وقد وجدت هذه الألقاب على تمثال له عثر عليه في «العرابة»،[٤٥٢] وكذلك عثر له على لوحة محفوظة الآن «بالمتحف البريطاني».

- **«بتاح مويا» كاتب حجرة الفرعون:** وفي المتحف البريطاني لوحة باسم شخص يُدعى «بتاح مويا»، غير أنه يحمل ألقابًا أخرى غير التي يحملها سميه السابق، وهي: المشرف على الإصطبلات الفرعونية، وكاتب حجرة الفرعون، والرسول الملكي للأراضي الأجنبية، ويشاهد في أعلى هذه اللوحة الشمس المجنحة التي تتدلى منها يدان بشريتان تحتضنان اسم «رعمسيس الثاني»، كما يشاهد في أسفلها المتوفى يتعبد للآلهة «أوزير»،

و«إزيس»، و«حور»، ويقدم المتوفى القربان لأجداده الذين صفت صورهم في ثلاثة صفوف.[٤٥٣]

- **نفر رنبت:** رئيس النساجين في «الرمسيوم» في ضياع «آمون» غربي «طيبة»، وقبر هذا الموظف في «جبانة شيخ عبد القرنة رقم ١٣٣»، وقد وجد على السقف: أنه يحمل كذلك لقب المشرف على نساجي رب الأرضين، ويرى على جدران قاعة مزار هذا القبر النساجون، وهم يؤدون عملهم.[٤٥٤]

- **رعمسسو:** الكاهن المطهر، والمرتل لمعبد «الرمسيوم»، عثر على هرم من الحجر الجيري، وهو الآن «بمتحف فينا»،[٤٥٥] وقد نقش على وجوهه الأربعة صلوات للشمس المشرقة، وللشمس الغاربة، وقد مثل الشمس المشرقة هنا «آمون رع حور اختي»، ومثل الشمس الغاربة «أوزير خنت أمنتي». وقد كان «رعمسسو» صاحب هذا الهرم الكاهن المطهر، والمرتل لمعبد الرمسيوم، كما كان مدير القربان لمعبد الملك، والإله «سوكار» في «خنوم واست»، والكاهن والد الإله لـ «آمون خنوم واست» أيضًا، هذا إلى أنه كان الكاهن المطهر الأول للإله «بتاح» في «الرمسيوم».

- **باكا:** كاتب معبد «الرمسيوم».[٤٥٦]

- **باسر:** حارس البيت في «الرميسوم»،[٤٥٧] وقبره بجبانة «العساسيف».

- **باكنخنسو:** الكاهن المرتل الأول للإله «بتاح» في معبد «الرمسيوم».[٤٥٨]

- **بياي:** كاتب مخازن «الرمسيوم»، وقبر هذا الموظف في جبانة «ذراع أبو النجا»، وكان يلقب كذلك «كاتب مخزن آمون خنوم واست».[٤٥٩]

- **بارع محب:** المشرف على ماشية معبد «الرمسيوم» في ضيعة «آمون»، لم نعثر على اسم هذا الموظف إلا على تمثال مجيب من الخشب محفوظ الآن بمتحف «روان Rouen».[٤٦٠]

- **أيوبا:** مدير بيت معبد «الرمسيوم»، وقبر هذا الموظف غير معروف، ولكن وجدت له عدة آثار في متاحف العالم، منها تمثال من الحجر الجيري محفوظ بالمتحف المصري، وقد كُتب على كتفه اسم الفرعون «رعمسيس الثاني»، والإله «بتاح»، وزوجه «سخمت»، والإله «تحوت»، وزوجه «نحمت عواي»، وكتب على عمود التمثال صوات لآلهة مختلفة، وألقابه هي: كاتب الفرعون الحقيقي ومحبوبه، ومدير البيت، والمشرف على الخزانة، والمشرف على مخازن الغلال، والكاهن الماهر في عيد «آمون»، ومدير البيت في معبد «الرمسيوم».[٤٦١]

وفي «متحف بروكسل» يوجد تابوته،[٤٦٢] وقد وجدت عليه الألقاب التالية: مدير الأعمال على آثار سيده، ومدير عيد «آمون»، ومدير بيت «الرمسيوم» لمالية «آمون»، وكذلك عثر له على تمثال من الجرانيت الأسود في مجموعة (ميو Meux)،[٤٦٣] هذا إلى لوحة في «متحف تورين».[٤٦٤] وكذلك تمثال في «متحف اللوفر».[٤٦٥]

(ج) كهنة «أوزير» في العرابة المدفونة

ذكرنا فيما سبق أن كهنة «أوزير الأول» الذين عاشوا في عهد كل من «سيتي الأول»، وابنه «رعمسيس الثاني» كانوا أصحاب نفوذ وسلطان بما كان في أيديهم من قوة روحية على كلا الفرعونين، وقد تطورت هذه السلطة من روحية إلى مادية حتى إنهم أصبحوا هم المشرفين على إقامة المعابد في هذه الجهة، ثم أوغلوا في شئون الدولة نفسها ووظائفها حتى أصبح أفراد أسرتهم وفروعها يشغلون معظم الوظائف الرئيسية في الدولة من دينية وسياسية وحربية، وقد تركوا آثارًا عظيمة تحدثنا عن مقدار نفوذهم، وشغلهم لكل الوظائف العليا، وأهم متن وصل إلينا — يبين لنا تلك الفترة من تاريخ البلاد، ومقدار سلطان هذه الأسرة — هو الأثر الذي تركه لنا «أمنمأنت» رئيس الشرطة، وهو ابن الكاهن الأول للإله «آمون» المسمى «وننفر». وتدل شواهد الأحوال على أن «أمنمأنت» قد أقام هذا الأثر ليكون عنوانًا للخلف يقرءون عليه مقدار ما كان لهذه الأسرة من قوة وبطش مدة حكم «رعمسيس الثاني»، وهذا التذكار العظيم محفوظ الآن «بمتحف نابلي»،[٤٦٦] وسنورد هنا أولًا النص الذي جاء عليه، ثم نتحدث عن كهنة «أوزير» في «العرابة».

وقد بدأ «أمنمأنت» مقيم هذا الأثر بالمقدمة التالية، وهي:

> أنتم يأيها الكهنة خدام الإله، ويأيها الكهنة المطهرون، قدموا لي ماء، وضمخوني بالعطور الفاخرة؛ لأني قد عملت كل ما فيه خير للآلهة، وأنا على الأرض كما فعل والدي لأسرته جميعًا، ولقد كان أعلى موظف في «أرمنت» عليكم مثلي أمام سيدي.

وعلى إطار هذا الأثر نقرأ:

> رئيس الشرطة «أمنمأنت» المرحوم يقول: أنتم يا نواب رؤساء الشرطة العظماء، وكل شرطي من هذه البلدة، قدموا ماء وطعامًا (؟) لاسمي؛ لأني كنت أفعل الخير عندما كنت على الأرض: إلى روح «أمنمأنت».

وبعد ذلك تأتي صور الأفراد الذين يتألف منهم أعضاء أسرته، ومن يتصل بها، وقد شفع كل اسم بوظيفته، وهاك الأسماء على حسب ترتيبها التاريخي:

- (١) «وننفر»: الكاهن الأول لـ «آمون» المسمى «وننفر»، وهو والد «أمنمأنت» رئيس الرماة.
- (٢) «حورا»: مدير الأعمال، والكاهن الأول للإله «أنحور» المسمى «حورا»، وهو الأخ الأكبر لـ «أمنمأنت».
- (٣) «أمنمأبت»: الكاهن أعظم الرائين في بيت «رع» — وهذا أكبر لقب كان يحمل في «عين شمس» — الذي على عرش رب الأرضين، «أمنمأبت» أخو «أمنمأنت».
- (٤) «باسر»: ابن الملك حاكم «كوش» المسمى «باسر» أخو رئيس رماة الجيش «أمنمأنت».
- (٥) «منموسي»: الكاهن الأول للإله «مين»، و«إزيس» المسمى «منموسي»، وهو أخو والده «وننفر».
- (٦) «بن نسوت توي»: رئيس رماة بلاد «كوش» المسمى «بن نسوت توي»، وهو أخو والده (أي والد أمنمأنت).

- (٧) «خعمواست»: كاتب الكتاب الإلهي في بيت «آمون» المسمى «خعمواست» أخوه من أم واحدة.
- (٨) «ماعت رومع»: كاهن «عين»، و«إزيس» المسمى «ماعت رومع»، وهو أخو أمه (أي خاله).
- (٩) «إزيس»: أمه، كبيرة مغنيات «آمون» المسماة «إزيس».
- (١٠) …: أخته من أم واحدة زوجة مدير بيت «آمون».
- (١١) الحظية في بيت الملك: … من أم واحدة.
- (١٢) «حنت محيت»: أخته من أم واحدة المسماة «حنت محيت» زوج مدير بيت «بتاح».
- (١٣) … أخته من أم واحدة … زوج رئيس الرماة الخيالة.
- (١٤) «أمنمأنت»: رئيس شرطة الصحراء (المازوي)، ومدير الأعمال لآثار جلالته المسمى «أمنمأنت».
- (١٥) «منموسي»: الكاهن «سم» في معبد سكر «منموسي» والد زوج «أمنمأنت».
- (١٦) «أمنمأنت»: سائق عربة جلالته «أمنمأنت»، وهو أخو زوجه.
- (١٧) «حاتياي»: الكاهن الأول للإله «منتو»، «حاتياي»، وهو أخو زوجه.
- (١٨) «ثاو»: رئيس رماة جيش المشاة «ثاو» أخو والدة زوجته.
- (١٩) «بياي»: رئيس رماة الخيالة «بياي»، وهو أخو زوجه.
- (٢٠) «سونرا»: المشرف على الكهنة «سونرا»، وهو أخو زوجه.
- (٢١) «حنت محيت»: والدة زوجه مغنية «آمون» «حنت محيت»، وزوج «ستم».

- (٢٢) «وياي»: زوجه مغنية آمون «وياي» بنت «ستم».
- (٢٣) «نفرتاري»: زوجه مغنية آمون «نفرتاري» بنت «ستم».
- (٢٤) … أخت زوجه من أم واحدة … بنت «ستم».
- (٢٥) «نفرتاري»: أخت زوجه «نفرتاري» وزوج سائق عربة جلالته.

وقد عثر على آثار بعد ذلك نعلم منها على وجه التأكيد أن كهنة الإله «أوزير» كانوا ينحدرون من نسل «وننفر» الكاهن الأول لـ «آمون»، غير أن علماء الآثار وبخاصة الذين فحصوا نسب كهنة «أوزير الأول» في «العرابة المدفونة» قد اختلفوا في كيفية تفرُّع هذا النسب.[٤٦٧] ومهما يكن من خلاف فإنا نعلم أنه كان لكهنة «أوزير الأول» شأن عظيم في تسيير أمور الدولة في هذا العهد، ويعتقد كل من «بتري»، و«ويجول»، و«فيل» أن صلة النسب بين أسرة «وننفر» كاهن «آمون الأول» قد جاءت عن طريق «حورا» بن «وننفر» كاهن «آمون» الأعظم، وذلك بزواجه من امرأة تُدعى «معياني»،[٤٦٨] غير أن «لجران» ينكر هذا الزواج، مع أنه في الوقت نفسه يعترف بصلة أسرة «وننفر الثاني» «بحورا بن وننفر» الذي كان الكاهن الأول للإله «آمون»، وعلى أية حال سنورد هؤلاء الأفراد الذين شغلوا هذه الوظيفة، وما عثر عليه من آثار لهم.

- **وننفر:** ذكرنا في عهد «سيتي الأول» أن «مري» كان الكاهن الأكبر للإله «أوزير»، وأن والدته كانت تُدعى «معياني»، وزوجته تُدعى «تي»، وقد رُزق منها ولدًا يدعى «حورا» ورثه في وظيفته هذه بعد وفاته. وكان «وننفر» هذا يحمل الألقاب التالية: الكاهن الأول لأوزير، والمشرف على كل كهنة آلهة «العرابة»، وكاتم السر، وكاهن «حور» حامي والده، وكاهن الساحرة العظيمة، وكاهن الإلهة «وازيت»، والكاهن الأول في «العرابة المدفونة»، والمشرف على كهنة «العرابة»، والكاهن «سم» في معبد الإله «سكر»، والمشرف على مجلس قضاة الجبانة، ومدير بيت «أوزير». وقد ترك لنا عدة آثار ذُكر عليها اسمه، واسم أفراد أسرته ونسبتهم إليه، وبخاصة المجموعة التي تمثله هو ووالده «مري» المصنوعة من الجرانيت الرمادي، وهي الآن بمتحف «أثينا»، وكذلك مجموعة أخرى «بمتحف القاهرة» تمثله هو ووالده ووالدته وزوجه،[٤٦٩] وقد كان له من الذكور خمسة، وكلهم كانوا يشغلون وظائف كلها خاصة بالكهانة إلا واحدًا، وهم:

- (١) «رعمسسو»: رئيس الإصطبل.
- (٢) «يويو»: كاهن «إزيس».
- (٣) «ساإست»: الكاهن الثاني لـ «أوزير».
- (٤) «وتي»: الكاهن المرتل لـ «أوزير» (Ibid. 208).
- (٥) «مري الثاني»: الكاهن المرتل لـ «أوزير».

- **حورا الثاني:** ويدل ما لدينا من نقوش على أن «حورا» بن «وننفر» هو الذي خلف والده في وظيفة رياسة الكهانة في «العرابة المدفونة»، فقد وجد له تمثال «في العرابة»،[٤٧٠] ومن نقوشه نعلم أنه كان يلقب: الكاهن حامي والده، ووالدته تُدعى «تي» رئيسة مغنيات «أوزير»، وكذلك وجد له لوحة من الحجر الجيري، ويدل ما عليها من نقوش على أنها كانت قد أهديت له عندما تولى رياسة كهانة «أوزير» خلفًا لوالده وننفر الثاني، وقد مثل عليها واقفًا مرتديًا لباس رئيس الكهنة، ويقدم الاحترام والخشوع لكل من «أوزير»، وزوجه «إزيس»، وقد لقب عليها الكاهن الأول لـ «أوزير»، وتشريفي رب الأرضين. وكذلك لدينا لوحة صغيرة «بمتحف القاهرة» تحمل في نقوشها هذا اللقب، وعليها طغراء «رعمسيس الثاني» (Ibid. 214).

- **«يويو» الكاهن الأول لـ «أوزير»:** وجد لهذا الكاهن تمثال من الجرانيت الوردي، وهو محفوظ الآن «بمتحف اللوفر»، وقد مثل وهو راكع، وبين يديه محراب صغير فيه تمثال «أوزير»، وقد نقش على التمثال: الكاهن الأول لـ «أوزير» المسمى «يويو» المرحوم ابن الكاهن الأول «وننفر»، والذي وضعته مغنية «أوزير» «تي».

وبذلك نعلم أنه كان مثل والده كاهنًا أول للإله «أوزير»، كما كانت والدته مخصصة نفسها لعبادة هذا الإله أيضًا، وكذلك وجد له لوحة محفوظة الآن «بمتحف اللوفر»[٤٧١] من الحجر الجيري، وقد مثل في الجزء الأعلى من هذه اللوحة شخص راكع مرتدٍ ثوبًا مثنى وعليه فراء فهد، ويتعبد للإلهة «أوزير»، و«حور بن إزيس»، ومعه النقش التالي:

> الكاهن الأول للإله «أوزير» «يويو» المرحوم ابن الكاهن الأول «وننفر» المرحوم.

وفي الصف الثاني من اللوحة نقرأ:

> الكاهن الأول للإله «إزيس» «وننفر» المرحوم ابن الكاهن الأول لـ «أوزير» «يويو».

ومن ذلك نفهم أن «وننفر» المذكور هنا هو «وننفر الثاني» الذي سيصبح فيما بعد الكاهن الأكبر لـ «أوزير» بعد والده، وأنه يذكر لنا هنا الحظوة التي نالها من الآلهة في «العرابة» بمنحه كاهن الإلهة «إزيس».

هذا وقد وجد في «العرابة» صقر كان «أمنحتب الثاني» قد أهداه، والظاهر أن الكاهن الأول للإله «أوزير» قد وجد أن هذا الأثر قد أصابه بعض العطب بتقادم الزمن فأصلحه، وقد وجد النقش التالي على يسار القاعدة:

> جدد لهذا الإله في بيت الذهب بوساطة الكاهن الأول لـ «أوزير» «يويو» المرحوم.

وعلى اليمين:

> أنه ابنه الذي يريد أن يحيي اسمه الكاهن الأول لـ «أوزير» «يويو» المرحوم ابن الكاهن الأول لـ «أوزير» «وننفر» المرحوم.[٤٧٢]

- **«وننفر الثاني» الكاهن الأول لأوزير:** وهو ابن «يويو»، يوجد لهذا الكاهن لوحة من الحجر الجيري «بمتحف اللوفر»،[٤٧٣] وقد نقش عليها صلاة لكل من ثالوث العرابة «أوزير»، و«إزيس»، و«حور» يقدمه الكاهن الأول للإلهة «إزيس وننفر» ابن الكاهن الأول لـ «أوزير»

«يويو»،[٤٧٤] وكذلك أهدى هذا الكاهن محرابًا لوالده الكاهن الأول لـ «أوزير» «يويو» «عمله ابنه ليجعل اسمه يحيا، كاهن «أوزير» المرحوم …»

وتدل الشواهد على أن كاهن «أوزير» هذا هو نفس «وننفر الثاني» بن «يويو»، والظاهر — على حسب ما لدينا من الآثار عن هذا الكاهن — أنه تولى مناصب الكهانة التالية على التوالي — كاهن «حور بن إزيس»، وكاهن «أوزير»، وأخيرًا الكاهن الأول لـ «إزيس» في «العرابة» كما يقول «لجران».[٤٧٥]

إخوة وأخوات «وننفر» الكاهن الأول للإله «أوزير»

اتضح أمامنا من الوثائق الخاصة بالكاهن الأول «وننفر» في «العرابة» أن له إخوة وأخوات كثيرين، غير أن بعض علماء الآثار يريد أن يفهم كلمة أخ، وكلمة أخت بمعناهما الحقيقي مثل: «بتري»، و«ويجل»، والبعض الآخر يريد أن يفهمهما بمعناهما الروحي فقط مثل «لجران». وقد ترتب على ذلك أن الفريق الأول جعل «معياني» تتزوج من الكاهن «حورا» بن «وننفر» كاهن «آمون الأول»، وأنهما أنجبا «منمس»، و«بارع حتب»، ثم تزوجت «معياني» ثانية من «مري»، وأنجبت منه «مري»، وبذلك يكون «ويجل» قد استعمل على حسب زعمه هذا وثيقة سلسلة النسب المحفوظة الآن في «نابلي»، وهي التي ذكرنا أسماء أفرادها فيما سبق، وربط الأسرة بعضها ببعض. وقد نشر الأثري «ويجل» نقوش تمثال للكاهن «منمس» بن «حورا» الكاهن الأول للإله «أنحور» بالعرابة، ثم أشار الأثري «فيدمان» في مقال له إلى أن «حورا» هذا هو نفس «حورا» الذي نجده في وثيقة «نابلي»، وبذلك تكون هناك رابطة بين أسرة «وننفر»، وأسرة «أمنمأنت».[٤٧٦]

والظاهر أن هذا هو الذي دعا «ويجل» أن يجعل حبل النسب بين أسرة «وننفر»، وأسرة «حورا»، ومن يتصل به رابطة إخاء حقيقية تشبه التي تربط «وننفر» بإخوته الأربعة وأخته، غير أن «لجران» يدعي أنه لا توجد صلة بين الأسرتين إلا في شخص «حورا»، الذي يمكن توحيده مع «حورا» الذي نجده في وثيقة «نابلي»، وأن الأشخاص الآخرين ليست لهم أية صلة، وأن «معياني» لم تتزوج قط من «حورا»؛ إذ ليس لدينا مستند واحد يثبت ذلك حتى الآن، وعلى أية حال فإنا سنتحدث عن أولئك الأشخاص هنا بقدر ما وصلت إليه معلوماتنا، وبخاصة ما جمعه «لجران» من معلومات عنهم (راجع Rec. TRav. XXXI, p. 209 ff.).

- **«منمس» الكاهن الأول للإله «أنحور»:** يدل ما جاء على لوحة «وننفر» المصنوعة من الحجر الجيري السيليسي، والمحفوظة «بالمتحف المصري» على أن «منمس» كان أخا

«وننفر»، وكذلك جاء ذكره بهذه الصفة على تمثال «وننفر» المصنوع من الديوريت، والمحفوظ الآن بمتحف «اللوفر» (A 66) (راجع Rec. Trav. Ibid. p. 210).

منمس الثاني: ويحمل الألقاب التالية: الكاتب الملكي، والمرتل الأول لرب الأرضين، ومن في حجرة «شو»، و«تفنت» ابن الكاهن الأول للإله «أنحور»، وكذلك ذكر لنا «فيدمان» Ibid. p. 250 تمثالًا آخر لـ «منمس» بن «حورا»، ويظن أنه كاهن «أنحور الأول» بن «حورا» الموجود ضمن أسماء الأثر الموجود في «نابلي»؛[٤٧٧] يضاف إلى ذلك أن «بتري» يقول: إن «منمس» كاهن «ماعت»، وابن كاهن «ماعت» «حورا»، هو «منمس» الذي نحن بصدده.[٤٧٨] وأخيرًا نجد أن «منمس» يلقب كاهن «ماعت» على نقش وُجد في «العرابة»،[٤٧٩] وعليه طغراء «رعمسيس الثاني»، وكذلك على آنية وجدت في «العرابة» نقرأ عليها:

> عمله كاهن «ماعت» «منمس» أخوه، وابنه عمدة المدينة، ووزير الوجهين القبلي والبحري «بارع حتب».

والظاهر أن «منمس» هو والد «بارع»، ويقول «لجران»: إن «منمس» هذا ليس هو الذي يعنينا هنا، بل إنه شخص آخر كان يحمل اللقب «الكاهن الأول» للإله «أنحور» لا لقب كاهنة الإلهة «ماعت»،[٤٨٠] ويجب أن نبحث عنه في آثار أخرى، وقد وجد له فعلًا تماثيل مجيبة، وعليها الألقاب التالية: الكاهن الأول لـ «أنحور»، ومن في حجرة «شو»، و«تفنت»، ونقش على أكتاف هذه التماثيل: «ابنه الكاهن الثاني للإله «أنحور»، كما نقش اسم زوجه كذلك ربة بيته كبيرة حريم «أنحور» «نسوت خعي».» وقد وجد لقب زوجه هذا في نقوش الحفائر التي قام بها «أميلينو»؛[٤٨١] إذ وجد اسم «منمس». وقد استنبط «لجران» من بعض قطع أثرية عثر عليها «أميلينو» أنه كان يوجد كاهنان باسم «أمنمس»، واحد منهما ابن امرأة تُدعى «يوا»، والثاني ابن امرأة تُدعى «أنبت»، وبذلك رفض النظرية التي تقول إن «معيانى» قد تزوجت من «حورا»، وأنجبت «منمس»،[٤٨٢] ويعزز هذا الرأي ما جاء على تمثال في «متحف القاهرة» من الجرانيت الوردي باسم «منمس» من عهد

«رعمسيس الثاني»، والنقوش التي على هذا التمثال تمدنا بألقابه التالية: الأمير المشرف على كهنة الآلهة كلهم في «العرابة»، ومن في حجرة «شو»، و«تفنت»، والكاهن الأول للإله «أنحور» «منمس»، ابن الكاهن الأول «حورا» الذي وضعته «إنبت»، وعلى ذلك يكون «منمس» هذا هو «منمس الثاني».

- **«رع حتب» و«بارع حتب»:** الوزيران، وقد تكلمنا عنهما فيما سلف.

- **نب آمون:** الوزير، وهو أخو «وننفر» أيضًا، وقد تحدثنا عنه.

- **«مري» (أخو «وننفر»):** ولكنه على الآثار ابن «رعمسيس شري»، ونستخلص مما ذكره «لجران» أن الأفراد الذين يطلق عليهم لفظة «أخ» في الآثار ليسوا في الحقيقة إخوة، بل إن لفظة «أخ» تستعمل بمعناها الروحي، وبخاصة بعد فحص الأشخاص الذين نسبوا إلى «وننفر» الكاهن الأول لـ «أوزير»، ووجد أنهم ليسوا إخوته من الدم، وهذا الاستعمال شائع في مصر؛ إذ نجد الأفراد يستعملون لفظة أخ بمعناها المجازي أو الروحي.

- **«سا أست» الكاهن الأول لأوزير:** عثر له على مجموعة في «العامرة»، و«العرابة».[٤٨٣]

- **نبنماعت:** كاهن «تاور»[٤٨٤] (مقاطعة طينة والعرابة)، وحامل الخاتم المقدس في المعاملات العظيمة (؟)، والتشريفي، وكاهن «أوزير»، وقد كان لمعبد «أوزير» عمال وموظفون ذكرنا بعضهم فيما سبق، ومنهم كذلك:

- **«توري»**[٤٨٥]: مدير بيت «أوزير»، وقد عثر على تمثال في «نجع مشيخ»، وهو الآن في «متحف القاهرة»، وكان يحمل الألقاب التالية: تابع الفرعون، ومدير بيت «أوزير»، وكاتب الفرعون، وقد كان معظم أزواج كهنة «أوزير الأول» يعملن مغنيات، أو رئيسات حريم في معبد هذا الإله، وكذلك كن يعملن لزوج الإله «إزيس»، فنجد «است» مغنية «إزيس»، وقد جاء ذكرها على لوحة أخيها «حورا»، وهي المحفوظة الآن «بالمتحف البريطاني» رقم ١٣٢، وكان «حورا» هذا يحمل لقب المشرف على عطور رب الأرضين.

- **«منت» رئيسة حريم «إزيس»:** وقد وجد اسمها ولقبها على جعران.[٤٨٦]

(د) كهنة الإله «مين»

(راجع ما كُتب عن لوحة «نابلي») (رومع ومنمس).

(هـ) كهنة الإلهين «موت» و«خنسو»

- **«توي» مغنية الإلهتين «حتحور» و«موت»:** وجد لها لوحة في «العرابة المدفونة».[٤٨٧]
- **أمنمئيون:** كاهن معبد الإله «خنسو».[٤٨٨]
- **وننفر:** كاهن معبد الإلهة «موت».[٤٨٩]

(و) كهنة الإله «أنحور»

ذكرنا فيما سبق أن «حورا» هذا هو ابن «وننفر» الكاهن الأول للإله «أوزير»، وكان يحمل لقب مدير الأعمال، والكاهن الأول للإله «أنحور».

- **وسخت:** كاهن «أنحور» و«آمون» وجد له لوحة في «العرابة المدفونة».[٤٩٠]
- **أنحرمس:** الكاهن الأول للإله «أنحور»، وقد عثر له كذلك على تمثال في «العرابة».[٤٩١]
- **نب وننف:** الكاهن الأول للإله «أنحور».

(ز) كهنة الإله «بتاح»

كانت عبادة الإله «بتاح» منتشرة في أنحاء البلاد، وبخاصة أن الأسرة المالكة كانت من أهل الدلتا، وكانت «منف» تعد مقرًّا ثانيًا لهم، وكان إلهها الأعظم «بتاح» القديم يعد في نظرهم من أعظم آلهة الدولة؛ ولذلك نجد العناية كانت عظيمة بمعابده في هذه البلدة وغيرها، وكان للكهنة شأن عظيم، فقد أقاموا لأنفسهم المقابر الضخمة في هذه الجهة، وسنحاول فيما يلي سرد ما وصل إلينا غير ما ذكرناه عن كهنة هذا الإله وموظفيه.

- **حوي:** الكاهن الأكبر في «منف»، وجد لهذا الكاهن تمثال مجيب في «السرابيوم» مؤرَّخ بالسنة السادسة والعشرين من عهد «رعمسيس الثاني».[٤٩٢]

- **بتاح معي:** رئيس الكهنة المطهرين للإله «بتاح»،[٤٩٣] وقد عثر له على لوحة محفوظة الآن «بالمتحف البريطاني» (رقم ٧٢)، وعلى تمثال في «برلين» (رقم ٢٢٩٧)، ولوحة في «تورين»،[٤٩٤] وزوجه تلقب مغنية «آمون»، والممدوحة من سيد السماء، المحبوبة، وحلوة الحب «حتشبسوت» ربة البيت،[٤٩٥] وابنه «رعمسسو»، ويلقب وكيل القصر — له الحياة والفلاح والصحة — وابنته «حنت رميت»، وتلقب سيدة البيت، ومغنية «آمون»، وهذه الابنة هي التي أهدت اللوحة لوالدتها، وابنته الثانية تُدعى «أنيوهاي»، وتلقب وصيفة القصر الفرعوني — له الحياة والفلاح والصحة.

- **بتاح مس:** المدير العظيم لبيت … «رعمسيس» محبوب «آمون» في بيت «بتاح»، وكاتب الفرعون،[٤٩٦] وله لوحة «بالمتحف المصري».

- **بتاح مس:** حارس معبد «بتاح»، والكاتب، وله لوحة مقدمة للعجل «أبيس الرابع» في السنة الثلاثين من عهد «رعمسيس الثاني»،[٤٩٧] وكذلك وجد اسمه على تعويذة في مجموعة «بتري».[٤٩٨]

- **نختسو:** المشرف على مخازن «بتاح» ذكر اسمه على لوحة للعجل الرابع.[٤٩٩]

- **نفررنبت:** المشرف على مخازن «بتاح»، وقد وجد اسمه على اللوحة السالفة.

- **بتاح مس:** الكاهن الأكبر «لبتاح» العظيم، ولمعبد «رعمسيس الثاني» في «معبد بتاح»، كان «بتاح مس» هذا من أكبر الموظفين في عهد «رعمسيس الثاني»، وتدل شواهد الأحوال على أنه كان يعيش في «منف» لصلته الكبيرة بالإله «بتاح»، وقبره كان في «سقارة»، غير أن موضعه الأصلي ليس معروفًا لنا حتى الآن، وتوجد منه أحجار عدة، وتماثيل منقوشة في مختلف متاحف أوروبا، وبخاصة في «فلورنس»، و«ليدن»، و«مونيخ»، و«برلين»، و«القاهرة»؛[٥٠٠] ومن كل أيضًا هذه الآثار التي تركها؛ نعلم أنه كان يحمل الألقاب التالية خلافًا للقب الكاهن الأكبر للإله «بتاح»، الكاتب في معبد «بتاح»، والأمير الوراثي، والحاكم، والمدير العظيم لبيت «بتاح»، والحاكم العظيم في «نب حر» (منف)، ومدير البيت، ووالد الإله، والمدير العظيم للبيت، وحامل خاتم ملك الوجه

البحري محبوب رب الأرضين، والحاكم العظيم في «حكبتا» (منف)، ومدير كل أعمال الآثار لجلالته، والذي يملأ كثيرًا قلب الإله الطيب، ومن يفرح الناس عند سماع صوته، والمدير اليقظ على حراسة رب الأرضين، والسمير الوحيد، وعينا ملك الوجه القبلي، وأذنا ملك الوجه البحري، والمشرف على الخزانة، والقائد الأعلى لجيش معبد «بتاح»، والحاكم المحبوب كثيرًا من الإله الطيب، وكاتب الفرعون الحقيقي ومحبوبه، والمدير العظيم للبيت في بيت «رعمسيس مري آمون» في معبد «بتاح».

أما أسرة «بتاح مس» فهي:

- **يويو:** الكاهن والد الإله (والده).
- **موت نفرت:** ربة البيت (أمه).
- **تامي:** ربة البيت (زوجه).
- **يويو:** الكاهن رئيس المطهرين (ابنه).
- **نافي:** ربة البيت (ابنته).
- **ساوا:** (ابنته).
- **حورا:** الكاهن المطهر، وكاتب معبد «بتاح» (ابنه).
- **موت خعتي:** (ابنته).
- **أنونهت:** (ابنته)، و«نفمنتي» مرضعة «إنونهت».
- **नاممنتو:** (ابنه).
- **تاميو:** (ابنه).
- **إيا:** مطهر «بتاح» (ابنه).

- **يوسي:** والد الإله، والمطهر الأول في معبد «بتاح».
- **بتاح مريت:** (ابنته).

والقطع التي بقيت من قبر هذا الموظف الكبير معظمها يمثل مناظر جنازية، وكذلك يوجد له تماثيل تمثله هو وزوجه، والمحتمل أنها كانت منصوبة في مزار قبره، وقد عثر على واحد منها مستعمل في «دير جرماية»،[٥٠١] وكذلك يوجد له في «متحف مونيخ» تمثال يمثله جالسًا، وآخر يمثله متربعًا، وقد كتب على كتفه طغراء «رعمسيس الثاني»، ويحمل في يده صورة الإله «بتاح».[٥٠٢]

- **تحتمس:** المرتل الأول في بيت التحنيط، ذُكر على لوحة مقدمة للإله «للعجل أبيس» السنة من (١٦–٢٠)، ومؤرَّخة بالسنة الثلاثين من «رعمسيس»، وقد اشترك معه فيها «ريا».
- **ريا:** المرتل والمحنط في «البيت الجميل» (برنفر)، وقد وجد اسمه على لوحة مهداة «للعجل أبيس» في «السرابيوم»، ومؤرَّخة بالسنة الثلاثين من عهد «رعمسيس الثاني».[٥٠٣]
- **بتاحي:** الكاهن المطهر في «البيت الجميل» — أي بيت التحنيط — (Ibid. 12)، وكذلك كان يحمل لقب التشريفي في بيت العجل «أبيس»، والذي في حجرة العجل «منفيس».
- **رعمسيس:** المسمى كذلك «تحتمس» المرتل الأول في بيت التحنيط (Ibid. 71)، وكل هؤلاء الكهنة كانوا يقومون بعملية فتح الفم للعجل «أبيس».[٥٠٤]

(ح) كهنة الإله «مين»

- **حور نخت:** كاهن معبد «مين»، وجد اسمه على لوحة أخيه «حورا»، وهي الآن بالمتحف البريطاني.[٥٠٥]
- **ماعت رومع:** كاهن «مين»، و«إزيس» (راجع Thesaurus p. 951).

(ط) جبانة خدام مكان الصدق (أو عمال الجبانة الملكية)

كان أول ظهور طائفة عمال «مكان الصدق» في هذه الجبانة على الأرجح في عهد «أمنحتب الأول» كما ذكرنا في الجزء الرابع، وقد استمر هؤلاء العمال في عبادتهم الخاصة لهذا الفرعون عدة قرون، وقد عثرنا على بعض أسماء منهم من عاشوا في عهد «رعمسيس الثاني»، وخلفوا لنا آثارًا في هذه الجبانة.

- **«كاسا» و«بنبوي»:** خادما مكان الصدق على الضفة اليمنى لـ «طيبة»، وقبرهما المشترك في دير المدينة،[٥٠٦] وكان «بنبوي» يلقب حاجب كبير البلاط في مكان الصدق، ويشاهد في الكوة الداخلية من هذا القبر (المحراب) على اليمين في الصف الأعلى «رعمسيس الثاني» يقرب للإله «بتاح» وإلهة، وقد لونا باللون الأحمر، وخلف الملك يأتي المتوفى ورجل آخر. وفي الصف الثاني تحت هذا المنظر يحضر المتوفى وأخوه إلى سلسلة من الملوك القرابين، وهؤلاء الملوك هم: الملك «أمنحتب الأول»، والملكة «أحمس نفرتاري»، و«رعمسيس الأول»، و«حور محب»،[٥٠٧] وفي آخر صف نشاهد المتوفى واقفًا لابسًا جلد فهد، ويأتي بعد ذلك «كاسا» وأخوه «باي» أمام «حور».

وأسفل هذا في الصف الثاني يشاهد «كاسا» وابنه أمام الملوك «سيتي الأول»، و«رعمسيس الثاني»، و«حور محب»، وفي آخر صف من أسفل يظهر «كاسا»، وابنه أمام الإله «تحوت»، ونشاهد هنا ثانية «رعمسيس الأول»، و«حور محب» مرتبط بعضهما ببعض كارتباط الابن بالأب. وقد تكلمنا عن علاقة الملكين معًا فيما سبق. وفي «متحف تورين» محراب صغير من أعجب الآثار التي وجدت في هذا العهد باسم «كاسا»، وهو مصنوع من الخشب الملون، الغرض منه العبادة المنزلية. وقد كان المفروض أن يشمل ثعبانًا.[٥٠٨] والنقوش التي على مصراعي باب المحراب تعرِّفنا أنه كان للإلهة «عنقت» ربة السماء وسيدة الآلهة كلهم، وأمام باب المحراب بوابة مقامة على عمودين نقش عليها صيغة قربان للإله «خنوم» رب منطقة الشلال، وعلى مصراعي الباب ثلاثة صفوف من النقوش، ففي الصف الأعلى ترى سفينة الشمس، وقد وجدت فيها الإلهة «عنقت»، وفي الصف الثاني نشاهد قاربًا فيه أربعة يجدفون ومعهم بحار، ويرى على اليابسة رجلان كل منهما متجه نحو القارب مقدمًا القربان على مائدة، وواحد منهما هو «كاسا». وفي الصف

الثالث نشاهد أسرة «كاسا» وأخاه راكعين، وقد ذكرت أسماؤهم، وعلى عارضة المحراب اليمنى صفان أسفلهما ثالوث «أسوان»، وهم «خنوم» الإله الأكبر في «إلفنتين» محبوب «ساتت»، و«عنقت». وعلى جدران المحراب الخارجية دعاء يقدمه «كاسا» للإلهة «عنقت» ربة الآلهة؛ لتمنحه الحياة والعافية والصحة، وأن يدفن دفنًا جميلًا بعد حياة طويلة، ثم يقول: «أنتم يأيها الآلهة، يا أرباب «إلفنتين»، وأنتم يأيها التاسوع العظيم، يا آلهة مسقط رأسي، امنحوني الحظوة حتى يكون فمي صادقًا، وحتى ترى عيناي «آمون» في كل أعياده، فهو الإله المحبوب الذي يسمع البائس، ويقدم يد المساعدة للتعس، وينهض العاجز، والذي يعطي أجلًا ممتازًا من الحياة، ويقضي على هذه الأرض.»

والواقع أن النقش الذي على هذا المحراب يقدم لنا صفحة من حياة الطبقة الوسطى، فأصحابه قد صنعوه لعبادة الإلهة «عنقت» التي كانت تمثل في صورة ثعبان، ولا نزاع في أن هذه الأسرة كانت من أهالي أسوان، وقد نزح أفرادها إلى هذه الجهة للعمل في مقابر الملوك كما ينزح أهل الصعيد الآن إلى مختلف جهات القطر للعمل فيه، ولكنهم لم ينسوا «شيوخهم»[٥٠٩] الذين يعتقدون في بركاتهم، ولهذا نراهم يتعبدون لثالوث «أسوان»، وهم: الإله «خنوم» بارئ الخلق على عجلته، وزوجتاه «عنقت»، و«ساتت»، وقد يعزى تعبد هؤلاء الرؤساء إلى آلهة الجنوب، وبخاصة «خنوم»؛ لأن مصانع «رعمسيس الثاني» كان الكثير منها هناك لعمل التماثيل الضخمة لـ «رعمسيس»، وقد نقلوا عنهم عبادة هؤلاء الآلهة، ويمكن أن يعزى ذلك لسبب آخر، وهو: لما كان الإله «بتاح» سيد الحرف في الدلتا فقد كان الإله «خنوم» يعادله في هذا العمل في الجنوب؛ ولذلك كان يمثل أحدهما في المقبرة في ذلك العهد الذي كانت فيه المناظر الدينية صاحبة الشأن، والمطمع الوحيد في كل زينة القبور.[٥١٠]

غير أن أصحاب هذه اللوحة كانوا يعلمون تمام العلم أن صلاتهم لهذه الإلهة لا تجدي نفعًا إلا إذا شفعوا لهم عند الإله الأعظم رب الكون وقتئذ، وهو الإله «آمون رع» الذي كان يأخذ بناصر الضعيف، ويعين من أقعده العوز، وهكذا تمثل أمامنا صورة قديمة من عبادة الشعب لآلهتهم المحلية نراها الآن عند عوام الشعب المصري ماثلة أمامنا.[٥١١]

- **وازمس:** خادم مكان الصدق، وجد له لوحة محفوظة الآن بمتحف «تورين» رقم ٣٠١ يشاهد في الجزء الأعلى المستدير منها إلهان لم يعرف كنههما بعد، الأول: يسمى «نت» العظيم الذي يفعل الصدق، ويمكن الأرضين، والآخر: يسمى رب العدالة الإله الأكبر «مري ماعت»، وقد مثل كل منهما في صورة رجل، وفي الجزء الأسفل نقرأ صيغتي قربان وهما: «أقدم التحيات للإله «نت» العظيم ليعطي الحياة والعافية والصحة لروح خادم مكان الصدق «وازمس».» وعلى اليمين نجد الصلاة التالية: «أقدم التحيات لرب العدالة ليعطي الحياة والصحة والعافية لخادم مكان الصدق «وازمس»، وكذلك نجد «وازمس» هذا قد اشترك مع والده «حوي». ففي الجزء الأعلى نشاهد صورة الفرعون «رعمسيس الثاني»، وهو غض الإهاب واقفًا، يضع البخور على المجمرة أمام الإلهة «حتحور» ساكنة «طيبة»، وربة السماء، وسيدة الآلهة كلها.

وفي الجزء الأسفل نجد كلًّا من «حوي» خادم مكان الصدق، و«نب دواي» خادم رب الأرضين، و«وازمس» خادم مكان الصدق ابن «حوي»، وكذلك وجد اسمه على تمثال جنازي للملكة «أحمس نفرتاري»، قدمه لها «وازمس» بوصفها إلهة لتمنحه الحياة والعافية والصحة.[٥١٢]

ومن نقوش «وازمس» ووالده نفهم أولًا؛ أنه كان يتعبد لإلهين محليين لا نعرف كنههما حتى الآن، وثانية أن عبادة الملكة «أحمس نفرتاري» كانت شائعة في عهد الأسرة التاسعة عشرة، كما تكلمنا عن ذلك في مكانه.

- **رعمسيس:** الكاتب في مكان الصدق، وقبر هذا الكاتب في «جبانة» دير المدينة رقم ٧»،[٥١٣] ومن أهم مناظر هذا القبر منظر مثل فيه «رعمسيس الثاني» يتعبد لثالوث «طيبة»، وهم: «آمون»، و«موت»، و«خنسو»، ويتبعه الوزير «باسر» الذي يحمل الألقاب التالية: الأمير الوراثي والحاكم، وحامل خاتم الوجه البحري … وعمدة المدينة، والوزير «باسر»، ويأتي خلفه «رعمسيس» صاحب المقبرة، وأسفل هذا المنظر نشاهد المتوفى في حضرة آلهة الموتى،[٥١٤] ويحتوي هذا القبر على منظر يتعبد فيه الفرعون «رعمسيس الثاني» لبقرتين في هيئة «حتحور» (Ibid. 229)، كما يشاهد المتوفى يتعبد للطائر «بنو»، وهو الذي

يتقمص صورة إله الشمس بمثابة روح، وهو المعروف عند الإغريق بلفظة «فنكس»[٥١٥] المحرَّفة عن المصرية، وقد عثر على مائدة قربان لابن «رعمسيس» مهشمة في القبر المجاور لقبره (رقم ٢١٦).[٥١٦]

- **نفر حتب:** رئيس العمال في مكان الصدق؛ قبره في جبانة دير المدينة، وابنه «نب نفر» يحمل نفس هذا اللقب، وهذا القبر له ردهة واسعة، وفي الجدار الخلفي يشاهد على اليسار بجوار الباب «رعمسيس الثاني» يقدم القربان للإله «آمون» ملك الآلهة، وفي الحجرة الوسطى من القبر بقايا تمثالين للمتوفى وزوجه، وقد كتب على تمثال المتوفى: لقبه واسمه كبير العمال، ومدير الأعمال «نفر حتب».

- **نب نفر:** المشرف على العمال في مكان الصدق، وزوجه تُدعى ربة البيت «إبي»، وقد عثر له على لوحة في «متحف كوبنهاجن»، ويشاهد في أعلاها متعبدًا لكل من «أمنحتب الأول»، وأمه «أحمس نفرتاري» المؤلهين، والظاهر أن «نب نفر» اغتصب هذه اللوحة من آخر كان يحمل نفس ألقابه.[٥١٧]

- **قن:** نحات «آمون» في مكان الصدق، قبره في «دير المدينة»[٥١٨] (رقم ٤)، وزوجه تُدعى ربة البيت «حسي ان حتحور»، وابنه «مري مري»، ويحمل لقب نحات أيضًا، ويشاهد في قبر هذا النحات كوة في المحراب، صور فيها منظر يمثل صورة «أمنحتب الأول» «حتحور» برأس بقرة، كما نشاهد صورتي والملكة «أحمس نفرتاري»، وتحمل هنا لقب الزوجة الإلهية لـ «آمون»، وأخت الملك «مريت آمون» التي يندر وجود صورتها في المناظر التي يؤله فيها «أمنحتب الأول»، ولكن عبادتها بقيت حتى نهاية عهد الرعامسة،[٥١٩] وفي مدخل الباب على الجدار الجنوبي مثل المتوفى وزوجه على يمينه واقفين، وهذه المجموعة منحوتة في الصخر وملونة مثل كل المزار، وقد وضعت في هذا الوضع على العارضة الجنوبية ليتعبدا للشمس المشرقة التي كانت ترسم ملونة في هذا المكان، وبذلك كانت تحل محل لوحة الهرم، وعلى الجدار الشمالي الغربي نجد منظرًا يمثل «أوزير» والمتوفى راكعًا أمامه خائفًا على شريط من الرمل، وخلفه شجرة الجميز المورقة، والمحملة بالفاكهة، والإلهة «نوت» تخرج منها لتقدم الماء للمتوفى، وبين

الشجرة، و«أوزير» نشاهد مقعدًا لصورة صغيرة للإله «تحوت» في هيئة الطائر مالك الحزين، وأربعة عقارب واقفة، وبهذا نجد القربان الجنازي ممثلًا أمامنا، والآلهة الذين كانوا يقومون بأدائه، وأخيرًا نجد صورة صغيرة تمثل لنا عادة من عادات القوم الشائعة في منظر المسلة الملونة المرسومة على الجدار الجنوبي؛ إذ نشاهد أمام الثيران التي تجر الزحافة بنتًا صغيرة تحمل طفلًا رضيعًا في قطعة نسيج بيضاء، ربطتها حول كتفيها لتؤلف منها كيسًا لحمل الطفل.

وألقاب «قن» الكاملة هي: نحات «آمون» في مكان الصدق، نحات «آمون» في الكرنك، ونقاش «آمون»، وخادم مكان الصدق، وخادم «أمنحتب الأول».

أما زوجه فتسمى أخته ربة البيت «نفرتاري»، وتوجد له آثار أخرى.[٥٢٠]

- **حوي نفر:** الخادم في مكان الصدق، له لوحة في «المتحف البريطاني»[٥٢١] (٣٢٨)، ومن المحتمل أنه هو نفس الشخص الذي مثل في لوحة «تورين» (١٦٩)؛ حيث نجده يقدم قربانًا لوالده الذي يحمل نفس اللقب، ويسمى «كارس».[٥٢٢]

وفي لوحة «المتحف البريطاني» يشاهد «رعمسيس الثاني»، وحاكم «طيبة»، والوجيه «كارس»، وابنه «حوي نفر»، وكلهم يتعبدون إلى «بتاح» رب الصدق، وملك الأرضين.[٥٢٣]

- **إبي:** نحات آمون، في مكان الصدق تقع مقبرة «إبي»[٥٢٤] في منحدر التل الواقع بعد «معبد دير المدينة»، وفي ردهة هذا القبر خصص مكان ليكون حديقة للمتوفى، ينعم فيها بكل أشجارها، وماء بركتها، وكذلك يوجد في جنوب المدخل منضدة للقربان، ومصطبة مستطيلة الشكل، والدخول إلى قاعة القبر بممرٍّ مقبب في وسط خارجة الباب، أما المزار فمنخفض بعض الشيء عن الممرِّ، ويحتوي على حجرة كانت ملونة، ومنها يصل الإنسان إلى الحجرات الأخرى.
    - **المناظر التي على جدران المزار:** الجدار الغربي، وسنحاول هنا أن نصف ببعض الاختصار المناظر الباقية في هذا القبر؛ لما لها من أهمية من الوجهة الفنية، والدينية، والاجتماعية، والصناعية.

فعلى الجدار الغربي للمدخل من الخلف نشاهد «إبي»، وزوجه يتعبدان للآلهة، وعلى الجانب الشمالي من المدخل إلى القاعة الداخلية مثل «إبي» رافعًا إحدى يديه يتعبد أمام محراب، ويصب بأخرى ماء الطهور على كومة من الحبوب البيضاء المغطاة بالأوراق، ويرتدي جلد فهد مزينًا بنجوم العالم السفلي، وعلى هذا الجلد نقش طغراء «أمنحتب الأول»؛ مما يدل على أن «إبي» كان خادمًا يقوم بوظيفة كاهن جنازي لهذا الملك المؤله، وتحمل زوجه في يدها رأسًا مصنوعًا من البردي ملفوفًا عليه نبات، وإناء واسع الرقبة سد بحزمة من الأوراق المنسقة، ويحلى جيدها بالعقود، ويلاحظ أنها حافية القدمين مثل النساء الأخريات اللائي رُسمن في هذه المقبرة، وفي المحراب يشاهد إلهان، وهما: «أنوبيس»، و«بتاح».

وعلى الجانب المقابل من المدخل نرى «إبي» يحمل موقدًا للإلهة، وعليه حمام، وخبز، وشحم، ويلحظ أن الدخان الأزرق كان يتصاعد من هذا الموقد من قطع الفحم الأربع السوداء التي وضعت عليه، وكان «إبي» يلبس في هذا المنظر ملابس الكاهن، وأمامه طبق كُدست عليه الأزهار والفاكهة، أما زوجه فكانت تحمل عقد مناة، وبصحبتها ابنتها الرشيقة القوام، والهندام «أما محاب» حاملة قربًا أيضًا. والإلهان اللذان كانا في المحراب المقام على عمد كثيرة الزخرفة على هيئة حزمة البردي فهما: «أوزير خنتي أمنتي» الإله العظيم رب العدالة، و«حتحور» سيدة الجبانة الغربية، ويقف «أوزير» على قاعدة زرقاء اللون ملفوفًا في رداء أبيض بوجه أخضر يحرسه صلَّان حول رقبته لينفثا السم على العدو الذي يقترب منه، وقد كان مدينًا بسعادته في الآخرة، كما كان في الحياة الدنيا — لإخلاص المرأة — فكما كانت «إزيس» تسهر على راحته في عالم الدنيا نجد أن «حتحور» تسهر على سعادته هنا في عالم الآخرة وتحرسه. وقد لبست على رأسها علامة الغرب المميزة لها، وهي «الصقر».

أما صفوف الأقارب الذين نجدهم عادة في مقابر عهد الرعامسة فيشغلون في هذا القبر ثلاثة جدران من الأربعة الباقية، والظاهر أن كل صف كان يبتدئ بصاحب المقبرة وزوجه، ويلاحظ أن كل سيدة كانت تضم زوجها كأنها تريد ألا يفلت منها إلى الأبد.

وقد خفف ما يشعر به الإنسان من سآمة لتكرار نفس المنظر صورة طريفة فيها شيء من المداعبة اللطيفة؛ إذ نشاهد تحت كرسي آخر لسيدة جالسة على الجدار الشمالي طائرًا قام بينه وبين قط شجار، ولا بد أن هؤلاء الضيوف كانوا مشتركين في عبادة الإلهين السابقين.

- **الجدار الجنوبي — وليمة المتوفى:** ويشغل الجزء الأعلى من الجدار الجنوبي صف من الضيوف الذين ذكرناهم فيما سبق، وقد أفلح المثَّال في إخراج هذا المنظر العادي بطريقة شيقة (P. L. XXV.)، فعلى الجهة اليسرى نشاهد المتوفى وزوجه يتقبلان الطعام، وعلى اليمين المقربين للطعام والأزهار. ويحدثنا المتن عما في المنظر فيقول مقدم القربان: «تقبل طاقة أزهار قد أُهديت في معبد «آمون بالكرنك»؛ لأنك من رعايا رب الفضل، ليتك تتسلم أرغفة وأنفك يتمتع برائحة البخور يأيها النحات «إبي».» وقد كتب فوق زوجه: «زوجه المحبوبة ربة البيت، وابنته «إما محاب»، وابنه «مري مس».» ونقش على الذين يقومون بالخدمة: «على يدك ابنك المحبوب «نب نخت» ابن ابنك المحبوب النحات «آني»، وابنته المحبوبة «ورنر».» وهذان الشخصان يقدمان إناءين مُحليين بالألوان فيهما ماء، وقد سُدت فوهتهما بالأعشاب النضرة ذات الألوان المختلفة المنسقة. ويلفت النظر هنا ملابس الرجال والنساء البيضاء؛ إذ قد لُوثت بمادة حمراء مائلة إلى السمرة امتدت حتى ما بعد الركبتين، وهذه الظاهرة تشاهد في ملابس النصف الأخير من الأسرة الثامنة عشرة، وبخاصة على ملابس الأعياد والولائم، وتفسير ذلك أن هذه الملابس البيضاء قد لُوثت بالزيوت التي كانت تسيل من القمع المملوء بالعطر الذي كان يوضع فوق الرأس لنشر العطور في كل أجزاء الجسم، ولم يكن المفتن يفكر عندما رسم الرداء بهذه الصورة أن يجعله ملوثًا، بل ليظهر للناظر إليه أن الجسم الذي يستره هذا الرداء كان معطرًا؛ ولذلك لم يكن همه أن يلون البقع إظهارًا لحقيقة واقعة، بل ليظهر بجلاء أن عطر الوليمة الذي قدمه المضيف كان غزيرًا حتى إنه غمر ثياب الضيوف. ولما كان هذا برهانًا على الكرم والسرور العظيم، فإنه غطى

على قبح منظره على الملابس؛ وذلك لأن الرائحة الذكية، وما تحدثه في الحواس لها قيمتها في البلاد التي جلود أهلها جافة.[٥٢٥]

وهذه العادة قد بقيت مرعية إلى عهد الرعامسة، ولكن في صورة جديدة، وكل الدلائل تشعر بأن استعمال الزيوت العطرة كان مستمرًّا في الرأس على الأقل، وهذا التلويث الذي كانت تسببه عطور الولائم والأفراح قد بولغ فيه في هذا العهد حتى نتج عنه أن أصبح الرداء الذي بهذه الصفة يعد ملونًا، ومن ثم أصبح الثوب الملوث بالعطور لا يقتصر على الولائم، بل كان شائع الاستعمال.

- **مناظر الجدار الشرقي — الجانب الجنوبي:** ولدينا منظر يشابه الذي على جدران مقبرة «وسرحات» الذي عاش في عهد «سيتي الأول» (p. LXIII)؛ حيث نجد أن صاحب المقبرة — على ما يظهر — قد ادعى رضاء الملك عنه في الحياة، والآلهة بعد الموت لما قام به من خدمات، وما اتصف به من فضائل، ففي النصف الأعلى من المنظر الذي سنصفه هنا صدى من عهد «إخناتون» عندما كان مصير الموظفين الذين اعتنقوا مذهبه متوقفًا على مصيره هو في الحياة، وفي الممات، فقد ظهر فيه استمرار تقاليد عصره؛ إذ نشاهد بقاء ردهة القصر التي كانت تعد المكان العام للأعمال الملكية والمراسيم في عهد «إخناتون»، وهذا الشعور بالاتصال الوثيق بين الملك والشعب الذي كان يبرز بأجلى مظاهره في عهد «إخناتون» نجده واضحًا في مناظر المقابر التي أقيمت بعد عهده، ولم يكن ذلك قاصرًا على مناظر تمثل عبادة الفراعنة السابقين والحاضرين وحسب، بل كانت تشمل كذلك مناظر الشرفات التي كان يطل منها الفرعون مغدقًا الهبات على المخلصين من موظفيه، هذا بالإضافة إلى متون من التي كانت تستعمل في مثل هذه الأحوال في عهد «إخناتون».

وتدل شواهد الأحوال على أن الشخص الذي كان يقدمه الوزير هنا للفرعون «رعمسيس الثاني» في الشرفة هو «إبي» النحات، وقد ظهر وهو يمد مروحته أمام وجه الفرعون، على أنه لم يكن هو الفرد الوحيد في هذا المنظر الذي يكافأ في هذه الفرصة؛ إذ نشاهد أن الأفراد الذين كانوا يتبعونه كان ينظم هندامهم خادم، وكانوا

يلبسون كذلك أطواقًا من الذهب، ويدل المتن المهشم على أن هؤلاء كانوا كتبة وجنودًا وخدَّام معبد، ولا شكَّ في أن «إبي» كان أرقاهم في نظر الفرعون، فنرى «إبي» والوزير يتبعهما أولًا حاملا مروحتيهما، ثم اثنا عشر رجالًا يسيرون ثُلاثَ، وكلهم قد مُنحوا أطواقًا من الذهب، وجرايات من القصر، وقد أظهروا سرورهم برفع أيديهم بالدعاء، وظهر في جزء علوي من هذا المنظر هدايا أخرى منها سبعة أطواق من الذهب، وقفازان للوزير وأتباعه، وكذلك ثلاثة أكياس من الكحل، وتسعة «طشوط»، هذا إلى أربعة ثيران وخمس عشرة سمكة، وأربع موائد خبز، وأواني للشراب.

كل هذه قد أحضرت من المخازن الملكية لإقامة وليمة، ويشاهد كاتب يدون المطلوب، وستة من رجال البلاط ينتظرون أوامر الفرعون.

موكب دفن «إبي»: أما الجزء الثاني من هذا الجدار (pl. XXIII)، فقد مثل فيه موكب دفن «إبي»، وقد سار من اليمين إلى الشمال؛ أي من مكان التحنيط؛ حيث كانت المومية قد أحضرت استعدادًا لحملها في الموكب الجنازي الذي كان سيسير إلى القبر الواقع في الغرب، ويرى في المكان الذي وضع فيه التابوت نائحتان تمثلان «إزيس»، و«نفتيس»، وهما أخت المتوفى وزوجه، وكذلك شخص آخر معه صندوق الأحشاء، وقد نقش على كل من التابوت والصندوق اسم «إبي».

وعندما حل وقت الدفن شاهدنا تابوت «إبي»، وكذلك تابوت زوجه (باعتبار ما سيكون) منصوبين يقرأ عليهما الكاهن المرتل الصلاة التقليدية أمام أهل المتوفى الذين كانوا ينثرون التراب على رءوسهم علامة على مقدار حزنهم، ومصابهم الفادح، ومع ذلك فإنهم كانوا في الوقت نفسه يحملون سيقان بردي رمزًا لما يأملونه للمتوفى من السعادة الأبدية في عالم الآخرة، وبعد ذلك نشاهد التابوت يوضع في قارب حمل على زحافة يجرها أربعة رجال متجهين نحو القبر، في حين كان الكاهن ومساعده يحفظان المتوفى طاهرًا بإطلاق البخور، ورش اللبن أمامه، وكانت النسوة يصحن حزنًا وحسرة وتألمًا عند اقتراب وضع المومية في القبر المنحوت من الصخر. أما الأثاث

الذي كان سيوضع مع المتوفى في قبره — إذا صدقنا ما في الصورة — فكان محمولًا أمام الموكب، ويشمل ما يأتي:

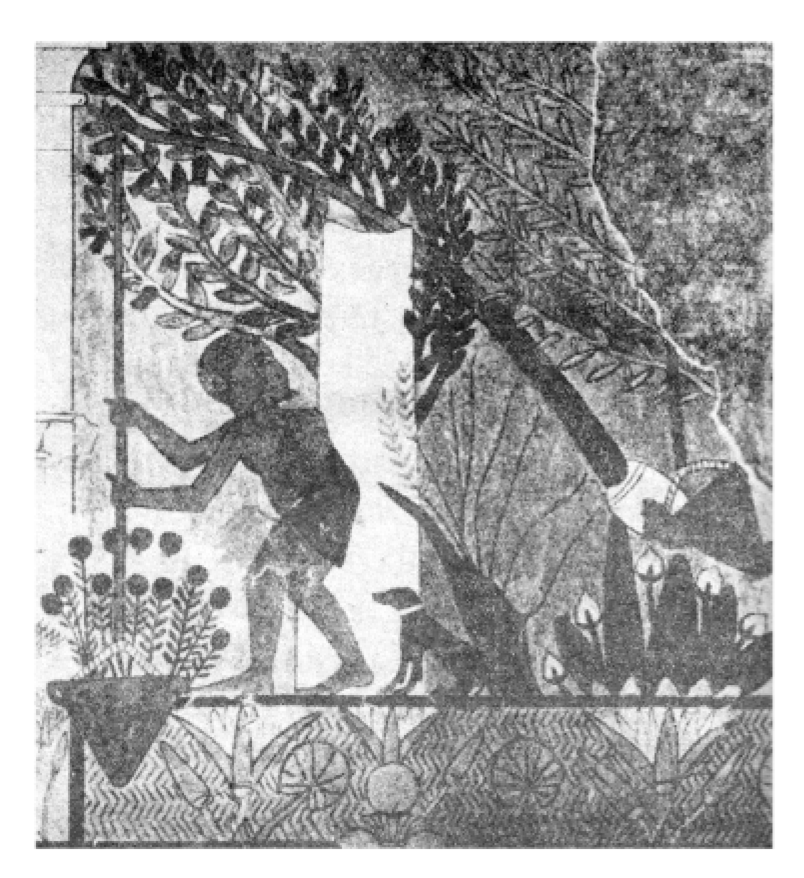
صندوقًا، وأدوات كتابة، وكرسيين، وصندوقين، وكرسيين قابلين للطيِّ، وإناءين على كرسي منجد، وزوجين من الأحذية، وسريرًا، ومخدة، ومنشتين، ثم سريرًا يحمله «آني»، ويحتمل أنه ابن «إبي»، وخلفه جماعة من أقاربه الذكور، هذا إلى عصا، وصندوقين، وكرسي.

- **بيت «إبي»:** ويشاهد في الصف الأوسط بيت مجهز بالخدم والحشم، وفي الجهة اليمنى منه جزء من مجزرة قد بقي من منظر مهشم، ويشاهد فيه قطع من لحم غريبة الشكل، وكذلك «كرشة» معلقة على قطع خشب، والخدم يزنون لحمًا بميزان يدوي لشخص أتى لتسلمه، ولا يمكن أن نفسر هذا المنظر بأنه حانوت — لأن المعاملات كانت بالتبادل — بل لا بد أن المنظر يمثل صرف جرايات أهل المنزل، فقد كان لكل نصيب معين (راجع ج٣).

ويلفت النظر هنا جمال صورة بيت «إبي» حيث نجده بعيدًا عن التنسيق التقليدي المبالغ في نظامه، فالمنظر هنا طبعي، ويقرب من الحقيقة. والواقع أن صورته تعد قطعة من الفن الرفيع بالنسبة لما حوله؛ ولذلك يظهر بين مناظر هذا الجدار — وهي التي رُسمت على حسب التقاليد الجامدة المرعية وقتئذ — كأنه جوهرة في وسط عقد من الخرز، ومن المحتمل جدًّا أنه كان يظهر في أعين أهل هذا العصر على عكس ما نراه في وسط تلك المناظر المألوفة له، ولا نزاع في أن هذا من أثر فن عهد «إخناتون» الرفيع، فالبيت والجوسق الذي يتألف منه الجزء الأوسط من الصورة يختلف عن المساكن المصرية التي حفظت لنا حتى الآن؛ وذلك لأنه صوِّر بصورة كاملة بدلًا من صورة جانبية، وهو في الواقع يتفق مع صور البيوت التي نشاهدها مصورة على جدران مقابر «تل العمارنة» في أن له واجهة ضيقة، ولكن يختلف عن البيوت الحقيقية التي كانت في مدينة «إخناتون» التي كانت تظهر واجهتها مربعة.

- **البركة والشادوف:** ولما كانت بركة المنزل قد ظهرت في الرسم، فإن البيت قد رفع في الصورة بمستوى ارتفاع البركة نفسها، ولكن لا يحتمل أنه كان على مستوى أعلى من الأرض، هذا إلى أن الدرج الذي نشاهده هو المؤدي إلى حافة الماء، ولكن لما كانت بيوت «إخناتون» الكبيرة ترسم مرتفعة عن سطح الأرض، ويصل إليها الإنسان بمرقاة أو مرقاتين، فمن الجائز أن هذه الفكرة قد استعملت في «طيبة» وذلك حماية من الحشرات والرمال التي تحملها الرياح والفيضان، ومن جهة أخرى كانت مياه النيل تنخفض دائمًا بعد الفيضان، ويتبعها في ذلك مجاري المياه فتنخفض مياه البركة تبعًا لذلك في الغالب، فلا تصل إلى رقعة الحديقة، ولذلك كان يستعمل (الشادوف) الذي نرى منه اثنين بجوار البيت. ومما يلفت النظر هنا صور الفلاحين؛ إذ قد صوروا بصور طبيعية، وأشكالهم القصيرة الممتلئة على عكس صور عِلية القوم ذوي الأجسام النحيلة، والسيقان الطويلة (راجع pl. XXVII)، وبخاصة عندما نقرن كتلة الشعر التي على رءوسهم ولحاهم المهمَلة بالضفائر المنمقة، التي نشاهدها في رءوس أسيادهم أهل اليسار وأصحاب الأموال والضياع الشاسعة، ويلبس الفلاح جلدًا لُف على وسطه مغطيًا ساقيه ليتحمل مشاق الامتياح «بالشادوف»، والكلب الذي بجانب كل من الماتحين بالشادوف يصور لنا نفسية المثال، وفهمه ما يحيط به من حياة ريفية؛ لأن ذلك لا يضيف للمنظر شيئًا سوى صدق التعبير، ومظهر الحياة الحقيقة؛ إذ إن الفلاح الذي يشكو في أيامنا قلة الخبز لا يحلم يومًا ما بأنه يستغني عن حماره أو كلبه؛ إذ هما من أهم أدوات حياته.

- **الحديقة:** أما حديقة المنزل فقد غرست بالأشجار والأزهار، ففيها الرمان، والصفصاف، وأبو النوم، ويلحظ أن رسم هذه الأشجار قد ظهر على نقيض رسم الأشجار التي كانت تصور حسب قواعد تقليدية معينة؛ إذ نشاهد هنا أن فروعها تنمو طبعية لا تنسيق فيها، وتتمايل مع الريح، ولا تقف جامدة كما هي الحال في المناظر التقليدية، هذا إلى أن سطح البركة كان مغطى كالعادة بأزهار البشنين المفتحة الأكمام.



شكل ٢٧: الشادوف (من مقبرة «إبي»).

- **منظر غسيل الملابس:** نشاهد هنا رجلًا قد أمسك بدلو شادوف، وآخر قد وضع إناء كبيرًا على قطعتين من الحجر، في حين كان آخرون يعصرون الملابس، أو يضربونها على حجر، ثم ينشرونها في الشمس لتجف، وهذه ظاهرة نادرة جدًّا في المناظر المصرية القديمة؛ لأن هذا كان من عمل النساء داخل البيوت؛ ولذلك يعد المنظر ممتعًا غريبًا، وعلى يمين هذا المنظر نشاهد أسرة «إبي» تقدم قربانًا على مائدة بجانب النهر إلى ثلاثة قوارب مقدسة زين مؤخر كل منها برأس كبش يرمز للإله «آمون رع»، وهذه ظاهرة مألوفة في مقابر عصر الرعامسة. ويلحظ أنه قد رسم في كل قارب محراب صغير للإله في صورة معبد صغير تام بمسلاته وأعلامه، وقد وضع فيه كذلك تمثال «بولهول» — الذي يمثل الفرعون — على قاعدة في هذه القوارب؛ مما يدل على ارتباط المعبد بالحكومة، وكذلك اسم الملك الحاكم يحميه ملاك، وقد نقش ولون على جدران المحراب، وبذلك أصبح تاريخ هذا القبر ينسب لعهد «رعمسيس الثاني» العظيم.

على أن تمثيل هذا المنظر هنا ليس ظاهرًا تمامًا، فوجود المائدة وقارب «آمون» لا يمكن أن يتمشى مع استقبال قارب «إبي» الجنازي بأسرته الباكية، وعلى أية حال فإن القاربين الآخرين اللذين كانا يتبعان قارب «إبي»، يحتمل أنهما كانا يحملان محرابين، أحدهما لـ «أمنحتب الأول» المؤله، والثاني لأمه «أحمس نفرتاري» المؤلهة، وهذا المنظر له نظائر في المقابر المصرية (راجع Two Ramesside Tombs at Thebes pl. XVI & p. 55).

- **الجدار الشرقي — الجهة الشمالية — الحياة الريفية (pls. XXXI):** الزرع والحصاد تبتدئ هنا قصة الزراعة السنوية التي نشاهدها مصورة على كثير من مقابر عظماء الدولة الحديثة في الصف الأعلى من هذا الجدار، فعلى اليسار نشاهد محصول كتان ناضج يحصده كل من «إبي» وزوجه، وبعد ذلك نشاهدهما يجهزان الحقل لزرع القمح، غير أن المثَّال هنا قد أخطأ في وضع هذا المنظر في موضعه الزمني؛ إذ نجد منظرًا يمثل كيل القمح قبل فصله من سنابله، والمشرف على هذه العمليات هنا هو «إبي» نفسه، وكان يعاقب بيده المذنبين، ويتسلم قائمة الأجور من رئيس العمال، ثم نشاهد عملية تذرية القمح يقوم بها رجال وعذارى، والظاهر من المنظر أن القمح كان قد كيل ووُضع في مخازنه، ومما يلفت النظر؛ الحفل الذي أقيم ابتهاجًا بالحصاد بذبح شاة، وبتقريب قربات أخرى يحتمل أنها قد قُدمت للإلهة «رنوتت» التي تمثل في صورة حية، وتعد إلهة الغذاء والكثرة (يكثر وجود الثعابين وقت الحصاد).
- **توزيع غلال المحصول:** وكان بعض هذا المحصول لازمًا لصاحب الحقل، والبعض الآخر كان يحمله إلى السوق ليبادل به سلعًا أخرى مما يحتاج إليها، وقد مثلت لنا كل هذه العملية على جدران المقبرة، فنشاهد المحصول يُحمل في سفن تسير في النيل، أو في ترع، كما تدل على ذلك الأشجار المطلة على الترع.

ويلاحظ في المنظر أن المثَّال قد اقتصد في صورته؛ إذ نشاهد صور عملية الشحن والتفريغ في آن واحد للقاربين الراسيين جنبًا لجنب عند الشاطئ، فالعملية الأولى في

المؤخرة، والأخرى في المقدمة، وقد أحضرت الغلال من الحقول على ظهور الحمير والرجال، ونشاهد فضلًا عن ذلك في السفينتين ما يحتاجه أهل الحضر من الأزهار، وحزم الخضر، فها هو ذا شاب يحلي أذنه قرط يحمل طاقة أزهار ضخمة أكبر من جسمه.

ومما يلفت النظر أن الملاحين كانوا يستبدلون — بما يأخذونه من الحصاد أجرًا لهم — أشياء أخرى كانت معروضة على الساحل، فنشاهد امرأة في كوخ من القصب وأمامها إناء ضخم من النبيذ، وآخر من الجعة، ويلحظ أنها كانت تفرغ النبيذ أو الجعة بوساطة غابتين على هيئة زاوية قائمة؛ حتى تأمن عدم وقوع أي قاذورة في سلعتها، ويخيل إليَّ أن المفتن هنا كان على علم تام بأن الملاحين لا يهمهم تقديم حقيبة قمح بأكملها مقابل فطيرتين حقيرتين، أو سمكة صغيرة أو خيارة؛ معتقدين أنهم قد غبنوا البائع. وعندما تصل السفن إلى مقرِّها محملة بالغلال لتخزن في مخازنها تحمل الحقائب على أكتاف العمال، وفي المنظر صبي عند المقدمة ينادي بالعدد للرجل المكلف بالمخزن الذي كان يتألف من ردهة مكشوفة الجدران عالية توضع فيها مختلف أنواع الحبوب، ولذلك نشاهد طفلًا يطرد الطيور التي كانت تنزل على عرم القمح فيه، ولم ينسَ المثَّال هنا أن يجعل للمعبودة نصيبًا؛ فقد حفظ مأوى في هذا المحراب لإلهة الحصاد «رنوتت»، وقد وضع أمامها إناء مملوء بالحبوب، وحزمة سنبل، وخبز مغمس فاحت رائحته حتى وصلت إلى أنف هذه الإلهة.

- **لقط ما تبقى من الحصاد:** وقد كانت العادة بعد أن ينتهي الحصاد حتى يومنا هذا، أن يتبقى في حقل القمح بعض فضلات من السنابل، كما كانت تتخلف بعض الحبوب في مكان الدرس، وقد كان من دواعي سرور الطبقة الدنيا أن يسوقوا ما عزهم إلى أرض الحصاد للقط ما تخلف من المحصول، فتنتشر الحيوانات في أرجاء الحقل باحثة عما تجد في تلك الأرض التي حُرمت الرعي مدة طويلة، فنشاهد التيس في المقدمة يقود الأجداء الصغيرة، وهي تمرح وتلعب حينما تجد مكانًا فسيحًا، وكان يقوم على حراستها أربعة من الصبية مجهزون بكل ما يلزمهم طيلة اليوم، فواحد منهم في يده

عصا الرعاية، ويتبعه كلبه، ومعه قربة ماء، ويحمل حقيبة أخرى وصفارته في كنانتها، ونشاهد آخر ينفخ في صفارته يمسكها بيد واحدة، والماعز أمامه ترتع كيف شاءت، وأكثر ما نشاهدها تأكل من ورق الشجر، وعندما كانت تأكل كل ما يمكنها أن تصل إليه من هذه الأوراق يقوم راعوها بهش الأشجار بعصيهم لتأكل منها غنمهم. ونشاهد بين هذه الماعز ألوانًا من الأحمر والأسود والأبيض، وكذلك نتاجًا مختلطًا، كما نشاهد في رقاب بعضها الزائدتين اللتين نشاهدهما تحت الرقبة في الماعز الآن (pls. XXX).

- **منظر محصول المستنقعات: صيد السمك على الشاطئ:** يشاهد على الجدار الشمالي (pls. XXXVII) المنظر العادي لصيد السمك، وقد حلي برسم الأشجار رسمًا طبعيًّا، وكذلك بعض تفاصيل خارجة على التقاليد القديمة الجامدة. حقًّا نشاهد الرجال يجرون الشبكة إلى الشاطئ بما فيها من سمك كالمعتاد، غير أننا نرى في الوقت نفسه شابًا برأس حليق يلتفت إلى آخر يناديه، كما نشاهد شابًا ثالثًا عاري الجسم، يلتقط السمك من الشبكة واحدة واحدة، ثم نشاهد السمك يكوَّم في مكان واحد، ويضعه رجال ونساء في أكياس، ويحملونه إلى السماك المسمى «نيا»، وهنا نجد رجلًا آخر ينظفها. هذا ولدينا منظر آخر لصيد الأسماك في القوارب ممثل كالمعتاد (Pls. XXXV).

- **صيد الطيور بالشبك:** ويفصل منظر صيد السمك في القوارب عن صيد الطيور بالأحابيل (بعض سيقان البردي)، وهنا نشاهد الصياد مختبئًا بين الأعشاب ينادي رفاقه ليجرُّوا الشبكة حين وقع فيها الطير، وفضلًا عن ذلك نجد أن المثال قد صور لنا صيد الطيور في قارب من البردي حيث نجد — كما جرت العادة — الرجل وزوجه يصطادان الطيور برشقها بالعصي، ويلفت النظر في هذا المنظر القطة التي كانت تأتي لصاحبها بالطير عندما يقع، وكذلك صورة البومة التي رُسمت بمثابة تمثال لإغراء الطير عندما يقع، وكذلك صورة البومة التي رُسمت بمثابة تمثال لإغراء الطير في هذا المكان ليقع في الشرك، وقد كتب على الصور التي في القارب المتن الثاني: «إبي»

نحات «آمون» في مكان الصدق في غربي «طيبة»، وزوجه ربة البيت «دوامواست». وكذلك نشاهد هنا منظر جمع الكروم، وعصير العنب، وصنع النبيذ.

- **الجدار الشمالي:** أثاث ملكي خاص (pls. XXXXI)، يوجد على هذا الجدار منظر صنع جهاز جنازي في المصانع، وهذا الأثاث لم يكن لاستعمال «إبي» فحسب، بل لدينا فيه قطعتان كبيرتان تمثلان محرابين، وعليهما طغراءان ﻟ «أمنحتب الأول» الذي كان قد مضى على وفاته — بالنسبة «لإبي» — ما يقرب من ثلثمائة سنة، ولا بد أنهما كانتا لمعبده أو لقبره؛ لأنه كان يُعبد في هذه الجبانة بوصفه إله العمال.

والآن يتساءل الإنسان عن المناسبة التي جعلت «إبي» يرسم هذا المنظر في قبره، وهل يمكننا أن نعرف من الرسم المكان الذي خُصص لهاتين القطعتين؟

والواقع أننا نعلم مما لدينا من الوثائق التي ترجع إلى عهد الفرعون «حور محب» أنه قام بإصلاح عام لكل المعابد في البلاد، وبوجه خاص نعلم أنه قام بإصلاح مقبرة الفرعون «تحتمس الرابع» (راجع مصر القديمة ج٥).

وتدل الأحوال على أن هذا الإصلاح لم ينقطع سببه بل استمر؛ ولذلك لا يبعد عنا أن ما فعله «حور محب» لأجل «تحتمس الرابع» كان هو نفس ما فعله «رعمسيس الأول»، و«سيتي الأول» لمقبرة «تحتمس الأول» (راجع pls. XVI)، ولمقبرة «تحتمس الثالث»، كما نشاهد في المقبرة رقم ٣١، وما فعله «رعمسيس الثاني» لقبر «أمنحتب الأول»، كما نشاهد في مناظر قبر «إبي»، وفي مناظر القبر رقم ١٩ في هذه الجبانة أيضًا.

وعلى أية حال فإن تحضير هذا الجهاز الجنازي سواء أكان لأجل قبر هذا الفرعون أو لمعبده، فإن «إبي» قد اتخذ من ذلك فرصة مناسبة لعمل جهازه الجنازي هو أيضًا.

- **صورة المحرابين:** مثل أمامنا في الصورة محرابان يبلغ ارتفاع الواحد منهما ثلاثة أضعاف طول الرجل، ولا يمكننا — بعد أن رأينا المحاريب التي كانت في مقبرة «توت

عنخ آمون» — أن نقول إن المحرابين المذكورين هنا ضخمان، وأولهما قد لُون باللون الأسود؛ مما يوحي بأنه من الأبنوس، غير أنه في العادة كان يصنع من الخشب العادي، ثم يلون بالقطران تقليدًا للأبنوس، وقد زين جداره بصورة وحدة مصر، فنشاهد الإلهين «حور» و«ست» ممسكين بساقين من النبات، يرمز أحدهما للوجه القبلي والآخر للوجه

البحري ، وفي الوسط يرى الملك راكعًا على علامة الوحدة (سما) بين إلهتي الوجه القبلي والوجه البحري، وهما «نخبت»، و«وازيت»، وفوقه قرص الشمس المجنح الذي يضيء الجنوب والشمال معًا، وفي أسفل نشاهد علامة بني الإنسان ممثلة في صورة الطائر «رخيت»، وقد نقش على العمودين اللذين يكنفان المحراب طغراء «أمنحتب الأول»، ويشاهد حفارون من الخشب يصنعون التفاصيل النهائية الخاصة بزينة هذا المحراب، وقد بقي لنا متن نُقش عموديًّا على جانبي المحراب، ويشمل ألقاب هذا الملك المؤله وهو:

- **على الجانب الأيمن:** الإله الطيب الشجاع ابن «آمون» … أرباب «طيبة» ملك الوجهين القبلي والبحري … ابن الشمس محبوب الآلهة «أمنحتب»، معطي الحياة محبوب «آمون رع»، رب تيجان الأرضين في الكرنك.

- **على الجانب الأيسر:** الإله الطيب ابن «آمون» الذي وضعته «موت» الواحدة العظيمة سيدة «أشرو» ملك الجنوب والشمال، وحاكم الأجانب سيد الأرضين «زسر كارع» محبوب «رع»، وابنه من ظهره «أمنحتب»، معطي الحياة محبوب «آمون رع» رب تيجان الأرضين الإله العظيم.

- **المحراب الثاني: حجرة النوم:** أما المحراب الثاني فيظهر بمحتوياته في صورة مكان للنوم قد وضع على طوار يصل إليه الإنسان بسلم، وعلى الرغم من أن حجرة النوم هذه مقببة فإنه على ما يظهر لم تكن في الأصل مخصصة لنوم الملك المتوفى، بل كان بمثابة نعش يمكن حمله ويوضع فيه المتوفى، وعلى هذا الزعم يكون الطوار الذي

تحته مصنوعًا من الخشب كبقية النعش، أما القسمان اللذان يشاهدان فوق هذه الحجرة فيختلفان في وضعهما، ويمكن اعتبارهما بمثابة حلية، ولأجل التهوية.

وتحتوي حجرة النوم على سرير عالٍ أمامه درج للصعود فوق السرير، ومخدة ومرآة من النحاس، ومائدة عليها عنقود من التين، ويلاحظ أن المخدة قد وضع على جانبيها رمزا العافية.

وصور العمال الذين كانوا يقومون بصنع هذه الحجرة التي تظهر كأنها مقامة من مواد غاية في المتانة على جانب عظيم من الأهمية، فعلى الرغم من عدم وجود متن يحدثنا عن حركات أولئك الصناع وسكناتهم، وما يقومون به من عمل، فإن نفس أوضاعهم تحدثنا بصراحة عن الدور الذي كان يقوم به كل واحد منهم، وهذه الظاهرة من مميزات فن هذا العصر عندما يكون المفتن ماهرًا.

فكما نشاهد في أيامنا الحلاق يحلق للعمال على قارعة الطريق، أو في أثناء عملهم، فكذلك نرى هنا الرجل الذي يزجج العيون بالكحل قد أخذ يكحل نجارًا بمروده الخاص. ويشاهد بجوار هذا المكحل آلات التكحيل، وتتألف من أسطوانتين في إحداهما مرود، هذا إلى كيس من مسحوق الكحل، وزجاجة لخلط الكحل المجفف، وصندوق توضع فيه كل هذه الأدوات، وفوق هذا المنظر نشاهد رئيس عمال يعطي الأوامر بصوت عالٍ، أو ينذر بوصول المشرف على العمل — نجارًا كان يستعمل إزميلًا كبيرًا لدق دسار لا داعي له.

وعلى سقف هذا المبنى نرى نجارًا يصقل الألواح بقطعة من الحجر الرملي، وبجواره أدواته البسيطة، وتحتوي على منشار من النحاس وثلاثة مناقير للثقب والحفر، وفي هذا المكان المنعزل نرى عاملًا قد اضطجع ليغفو قليلًا، غير أن «إبي» صاحب المقبرة قد لمحه فصاح موجهًا إليه اللوم، وعندئذ أسرع أحد زملائه لإيقاظه قبل أن يحدث ما لا يحمد عقباه. ويلاحظ أن العمال الذين كانوا يعملون في الجهة التي أتى منها سيدهم أظهروا نشاطًا وجدًّا في العمل. وعلى أية حال يظهر أن هاتين القطعتين من الأثاث

كان موطنهما النهائي في معبد الملك الجنازي، فإحداهما هي الناووس الذي كان يوضع فيه المحراب، والثانية هي النعش الذي عمل على هيئة حجرة نوم ليحل محل الذي عمل وقت الدفن، أو ليستعمل عند تكرار عملية الدفن في الاحتفال السنوي بيوم دفن الفرعون.

- **جهاز «إبي» الجنازي:** الصف الذي فوق هذا المنظر يبدو أنه ليحل قائمة تعدد لنا مواد الأثاث التي كانت مجهزة «لإبي» نفسه، فنشاهد على اليسار المحراب الموضوع في السفينة، وهو الذي كان مخصصًا لوضع المومية فيه، غير أن تفاصيله النهائية لم تكن قد تمت بعد، فنرى عاملًا يركب حلية مؤخر السفينة، وثانيًا ينشر الزائد من دسار تركه زميله، وثالثًا يركب الخيط الذي يثبت الحبل المستعمل لجرِّ السفينة، ورابعًا قد بدأ يجهز الرموز التي كانت توضع في إطاراتها، ويرى كذلك اثنان أو ثلاثة من العمال في الصورة يقومون بتلك العملية، وبجوار ذلك يوجد التابوتان المعدان لموميتي «إبي»، وزوجه، وبجوار التابوت نشاهد رجلًا يقطع شجرة جميز إشارة إلى أن التابوتين قد عملا من خشبها، وعلى مقربة من ذلك شاب ينفخ النار تحت إناء فيه غراء للصق النسيج المقوى على المومية، يضاف إلى ذلك أن المثَّال لم يفُته أن يضع في صورته إشارة إلى الغرض من صنع هذه القطع من الأثاث، فنشاهد مساعده ممسكًا من أسفل بالتابوت المنصوب كأنه مشيع للجنازة، على حين كان ابن «إبي» الأكبر المسمى «آني» يقرأ شعيرة فتح الفم كما كان سيفعل يوم الدفن، هذا بالإضافة إلى وجود كل الآلات اللازمة لمراسيم فتح الفم أمام التابوت.

ويشاهد خلاف ذلك مساعد يضع طبقة من الألوان على وجه صورة التابوت، وبعد ذلك نجد مخزنًا يحوي قطع أثاث تام الصنع، منها كرسيان وثلاثة عصي للمشي، وصندوقان صغيران وكرسيان يطويان، وصندوقان فيهما أدوات كتابة، ومخدتان.

أما أثمن قطعة في هذا الجهاز فيظهر أنها كانت «صدرية»، قدمها «نب نخت» لوالده «إبي»، وبعد ذلك نشاهد بقية الأثاث، ويشمل ثلاثة صناديق، وأربع قارورات من العطور مصنوعة من زجاج، أو خشب يشبه الزجاج، وكرسيًّا عليه نعلان، وطستًا

وسريرًا عليه مروحة ومخدة، وتحت هذا إناء فيه عطور للرأس وزجاجة ماء موضوعة على قاعدته، ومن أراد أن يرى أمثال هذا الأثاث الجنازي رأي العين فليذهب إلى متحف «تورين» بإيطاليا، حيث يشمل قطعًا من هذا النوع استخرجت من قبر في هذه البقعة بعينها.

(٩-٣) «بامنو» المثال الأول

وجد اسمه في النقش الذي خلفه لنا «معي» على الصخور القريبة من الهرم الثاني بالجيزة (راجع L. D. III, 142. i)، وقد نطق «بتري» هذا الاسم «باشما» (راجع Petrie Hist. III, p. 98).

(٩-٤) «أمنحتب» (حوي ددي)

سائق عربة جلالته (راجع Budge Guide to Sculp. P. 169)، وله لوحة جنازية أعلاها مستدير «بالمتحف البريطاني» أقامها لنفسه، وهو ابن «هاو نفرو»، ووالدته تُدعى «رع مريت»، وقد نقش على الجزء الأعلى من هذه اللوحة اسم «رعمسيس الثاني» وألقابه، كما يشاهَد «حوي» يقدم قربانًا لأجداده الذين مثلهم في أربعة صفوف على اللوحة، والمتن الذي أسفل هذا يشمل صلاة للآلهة «أوزير»، و«حور» حامي والده، و«إزيس»، و«أنوب»، وآلهة آخرين من أجل قربان جنازي. وكان «حوي» قد أقام هذه اللوحة تذكارًا لوالده، ووالدته، وإخوته، وكل أجداده الذين نُقشت أسماؤهم عليها كما دعا لهم أن يعيشوا مما يعيش عليه الآلهة. وتدل النقوش على أن إخوة «حوي» هذا كانوا من المقرَّبين لدى الفرعون، وبخاصة في قيادة عربته، وملاحظة إصطبلاته، ونخص بالذكر منهم الآتين: (١) «بتاح معي»: رئيس الإصطبل. (٢) «باري»: سائق العربة. (٣) «سوي»: سائق العربة. (٤) «بتاح مع»: سائق العربة. (٥) «أبوي»: رئيس البنائين. (٦) «بانحسي»: سائق العربة (راجع Lieb. Dic. Noms. No. 888).

(٩-٥) بتاح مويا

المشرف على الإصطبلات الملكية، وكاتب حجرة الفرعون، ورسول الفرعون إلى الأراضي الأجنبية، وله لوحة «بالمتحف البريطاني»، وقد نقش في أعلاها قرص الشمس المجنح، تتدلى منه يدان تضمان اسم «رعمسيس الثاني»، وقد مثل على اللوحة «بتاح مويا» يتعبد للآلهة «أوزير»، و«إزيس»، و«حور»، كما نشاهده يقدم القربان لأجداده الذين مثلت صورهم في ثلاثة صفوف (راجع Budge. Ibid. p. 169).

(٩-٦) باك عا

رئيس الإصطبل، ووالده هو المستشار «هاونفر» الذي مات في السنة الثامنة والثلاثين من عهد «رعمسيس الثاني»، وتوجد «لباك عا» لوحة «بالمتحف البريطاني» (راجع Budge. Ibid. 169-70)، ولوحة نقش عليها تاريخ السنة الثامنة والواحدة والثلاثين من عهد «رعمسيس الثاني»، كما نقش عليها صورة الإلهين «وبوات الشمال»، و«وبوات الجنوب»، وجلد الثور «تكن»،[٥٢٦] ثم اسم «رعمسيس الثاني» ولقبه، وكذلك مثل عليها المتوفى يتعبد لعشرة آلهة وإلهات مقدمًا لها القربان، وأخيرًا نقش عليها أنشودة، وصلاة للإله «أوزير».

(أ) أمنمأبت

رئيس الإصطبل، نحت لنفسه نقشًا في صخور «أسوان» مؤرخًا بالسنة الثالثة والثلاثين من عهد «رعمسيس الثاني»، وقد جاء فيه أنه رئيس الإصطبل «أمنمأبت» بن الكاهن الأول للإله «آمون» صاحب الإصطبل العظيم للقصر، ورسول الفرعون — له الحياة والفلاح والصحة — وقد كتب هذا النقش بمناسبة الاحتفال بالعيد الثلاثيني للفرعون في العام المذكور (راجع De Morgan. Mon. Cat., I, p. 88 (No. 63)).

(٩-٧) ثاثا

رئيس الإصطبل، وهو ابن الوزير «باسر» الذي تحدثنا عنه فيما سبق (راجع Champ. Notices. I, p. 523).

(٩-٨) باك

السائق الأول لجلالته، وجدت له لوحة مؤرخة بعهد «رعمسيس الثاني» (راجع Lieb. Dic. Noms. No. 897).

(٩-٩) حور

رئيس إصطبل مقر الفرعون. جاء اسمه على لوحة أخيه «حورا» الذي كان يلقب المشرف على الأراضي الزراعية لرب الأرضين، ونشاهد عليها «حورا» هذا وزوجه «تنت باتا» يتعبدان للآلهة «أوزير»، و«حور»، و«إزيس»، و«تحوت»، كما نشاهد «حورا» يقدم لوالده «رع مري»، ولوالدته «إبي» القربان. ويرى كذلك على اللوحة أخوه.

(٩-١٠) باكن آمون

الذي يحمل لقب المشرف على خيل «رعمسيس» في بيت «آمون»، يقدم له ولزوجه القربان، وكذلك نجد على اللوحة خمسة من إخوته وأختين يتعبدون له، ومعظم أفراد هذه الأسرة يحملون ألقابًا عالية، وقد ذكرنا بعضهم، وهاك البعض الآخر:

- (١) «مري»: حامل المروحة.
- (٢) «نفرر نبت»: كاتب مخازن الغلال.
- (٣) «حور نخت»: كاهن معبد «مين».
- (٤) «إزيس»: مغنية الإلهة «إزيس» (راجع Budge. Ibid. p. 188; Lieb. Dic. Noms. No. 890).

(٩-١١) حح

سائق جلالته الوحيد، ورسول الملك لكل أرض، أقام هذا السائق الفرعوني لوحة لوالده المسمى «نسو توي محب» الذي كان يلقب السائق الأول لجلالته، ويعد الأستاذ «بتري» اسم هذا الرجل الذي يعني «الملكين في عيد» برهانًا على اشتراك «رعمسيس الثاني» مع والده في حكم البلاد (راجع Petrie Tombs. Of the Courtiers. P. 11, 12 pl. XXXI).

(٩-١٢) مرنبتاح

سائق الفرعون، وكاتب الملك، وجد له تمثال بالحجم الطبعي في بلدة نبيشة، ووالده يدعى «با إمرا إحو»، ويلقب الوجيه والمشرف على البلاد الصحراوية، كما يلقب ابنه «ساوزيت» الكاهن الأول للآلهة «وازيت»، كما كانت زوجه تلقب رئيسة حريم الإلهة «وازيت» (راجع Petrie Tell Nebesheh pl. XI).

(٩-١٣) نخت مين

و «من خبر» يوجد بين نقوش «جزيرة سهيل» نقش دون عليه اسما هذين الرجلين، ويلقب الأول رسول الملك في كل أرض أجنبية، ورئيس الرماة لرب الأرضين، أما الثاني فكان يحمل لقبي: رسول الملك لكل الأراضي الأجنبية، ورئيس الخيل لرب الأرضين، وقد أرخت اللوحة بطغراء «رعمسيس الثاني» (راجع L. D. III, 175 L, K.; Lieb Dic Noms I, No. 900).

(٩-١٤) نزم

المشرف على أسفار الفرعون، ذكر اسمه على لوحة صغيرة في مجموعة «بتري» (راجع Petrie Hist. III, p. 97).

(٩-١٥) مري آتوم

وكيل إصطبل (خيل) رب الأرضين، ورسول الفرعون إلى البلاد الأجنبية، وقد جاء ذكره على قطعة حجر محفوظة بمتحف «هنوفر» بألمانيا (راجع A. Z. L XXII, p. 97. pl. VIII).

(٩-١٦) حوي

مدير أعمال كل آثار جلالته، ورئيس شرطة الصحراء، ومدير معبد «رعمسيس الثاني»، محبوب «آمون» في «برنب نهيت» — أي بيت ربة الجميزة، وهذا الاسم يطلق على حي في «منف» كان خاصًّا بعبادة البقرة «حتحور» (راجع Gauthier. Dic. Geog. II, p. 92)، والمشرف على «برن-بارع نرعمسيس» محبوب «آمون» جنوبي «منف» — وهو اسم محراب أسسه «رعمسيس الثاني» في جنوب «منف»، وقد سمى به الحي الذي فيه المحراب، (ومعناه: بيت رع لرعمسيس الثاني) (راجع Ibid. II, p. 77).

(٩-١٧) نس حتب

القائد الأعلى لجيش رب الأرضين، وجد اسم هذا القائد على لوحة في «وادي حمامات»، وكان قد أرسله الفرعون إلى جبال بخن (وادي حمامات) لإحضار مواد لإقامة آثار لجلالته، وقد وجد على النقش الألقاب التالية: … الوجيه، والكاتب الملكي، والقائد الأعلى لجيوش رب الأرضين[٥٢٧] (راجع A. S. XXXVIII p. 133).

(٩-١٨) نخت مين

رئيس الرماة وقد وجد اسمه على تعويذة من الزجاج الأحمر محفوظة الآن في مجموعة «بتري» (راجع Petrie Hist. III, p. 97)، وكذلك نقش لنفسه لوحة على صخور «أسوان»، نشاهده فيها راكعًا متعبدًا أمام «رعمسيس الثاني» الجالس على عرشه، وفي يده مروحة، وقد كُتب أمامه: «حامل المروحة على يمين الفرعون»، وخلفه: «رسول الفرعون لكل الأرض.» (راجع De Morgan. Mon. Cat. I, 14 (no. 65)). والظاهر من معظم النقوش التي كانت تكتب على الصخور في «أسوان»، وغيرها من الجهات الجنوبية أن

أصحابها كانوا يدونونها تذكارًا لرحلاتهم التي كان يكلفهم الفرعون القيام بها لأداء مهام خاصة، سواء أكانت سياسية أم حربية؛ ولذلك نجد معظم هؤلاء الذين دونوا أسماءهم على هذه الصخور من رجال الجيش، أو مكلفين ببعوث فرعونية، أو حكام في الجنوب، وكذلك تدل ألقابهم على أنهم ممن كانوا مقربين لشخص الفرعون.

(٩-١٩) أنحرنخت

رئيس الرماة، وحامل المروحة، والمشرف على البلاد الأجنبية، وله لوحة منقورة في صخور «جزيرة سهيل» (راجع Ibid. I, 88 no. 61).

وكذلك نجده يقاسم فردًا آخر يدعى «أمنمأبت» نقوش لوحة في نفس المكان، ويلقب فيها: مفتش أراضي «كوش» (؟) (Ibid. I, 88 No. 63).

(٩-٢٠) منمس

حامل المروحة، وله تمثال وجد في «نجع المشيخ» من الجرانيت، وهو محفوظ «بالمتحف المصري» (راجع Borchardt. Stat. II, pl. 91).

(٩-٢١) كتَّاب الفرعون

كان للفرعون كتَّاب كثيرون، والواقع أن كل الكتَّاب وغيرهم من الموظفين في طول البلاد وعرضها كانوا تابعين للفرعون بوصفه هو المالك لكل أرض مصر، وممتلكاتها في الخارج، غير أن كتَّابه الخاصين كانوا يميزون بنعت «كاتب الملك»، كما كان الكتاب المتصلون بالفرعون مباشرة يُنعتون «كتاب الفرعون الحقيقيين». وتدل شواهد الأحوال على أن هذه الوظيفة كانت من أرقى وظائف الدولة، وأن حاملها كان يقوم بأعمال خطيرة في شئون الحكومة، وسنذكر طائفة من هؤلاء الكتاب الذين خدموا «رعمسيس الثاني» على سبيل المثال:

- **خعي:** كاتب الفرعون الحقيقي ومحبوبه، وله تمثال وجد في «منف»، وهو محفوظ «بالمتحف المصري»، وكان يحمل فضلًا عن وظيفة كاتب الفرعون الوظائف التالية: المشرف على خزانة معبد ملايين السنين لملك الوجهين القبلي والبحري «رعمسيس الثاني» في ضيعة «آمون»، ومن يثني عليه الإله الطيب كثيرًا (راجع Borchardt, Stat. II, p. 154, 156; De Rouge Etudes Egyp. P. 30; Champ. Mon. p. 63 ff.).

- **ونتفر:** كاتب الفرعون الأول، وجد له تمثال في معبد الكرنك، ولا يحمل من الألقاب على هذا التمثال إلا لقب «كاتب الفرعون الأول»؛ مما يدل على ما كان لهذا اللقب من الأهمية العظيمة لدى الفرعون — كما ذكرنا، وأنه لم يكن يحمله إلا من كان مقرَّبًا من الفرعون جدًّا، ويلحظ في النقوش المصرية عادة أن حامل هذا اللقب كان يحمل ألقابًا أخرى خطيرة (راجع Legrain, Stat. p. 37. II. Pl. XXXIV).

- **بانحسي:** كاتب الفرعون، والمشرف على المالية، وحامل المروحة على يمين الفرعون، والمشرف على مخزن الذهب من السودان، والمراقب على الهدايا والجزية التي يدفعها رؤساء السودان، وقد عاش «بانحسي» هذا في عهد «رعمسيس الثاني»، يدل على ذلك وجود اسم هذا الفرعون على الكتف الأيمن لتمثال «بانحسي» المحفوظ «بالمتحف البريطاني». وقد مثل ممسكًا بمحراب صغير أمامه نحت فيه صور «أوزير»، و«إزيس»، و«حور» (راجع Budge, Guide to Sculp. P. 165-166). ويقول «بتري»: إن «بانحسي» هذا هو الذي أصبح فيما بعد وزيرًا في عهد «مرنبتاح» بن «رعمسيس الثاني» (راجع Petrie Hist III, p. 97,).

- **«منمس» المسمى «كانرا»:** كاتب الملك ورئيس الأسرار على الأرض وفي العالم السفلي، ورئيس الأسرار في مكان الصدق، وكاتب الملك في بيتي الجنوب والشمال، وحاسب الضرائب، وصانع تماثيل كل الآلهة، والكاتب الحقيقي لمكان الصدق.

وقد نقشت هذه الألقاب على لوحة له محفوظة الآن «بمتحف اللوفر»، وقد صور في أعلاها يتعبد للآلهة «أوزير»، و«حور»، و«إزيس»، و«تفتيس»، و«بتاح»، و«تحوت»، وفي الجزء الأسفل من اللوحة يرى ابن المتوفى الذي يدعى كذلك «كانرا» يقدم القربان لوالديه، ولخمسة آخرين من أقاربه، وتحمل والدته «أنيت» لقب «حاملة صاجات الإلهة إزيس».

(راجع T. S. B. A. VIII, p. 336 & Pierret. Rec. Insc. II p. 134).

- **«حم» و«أمنمأبت»:** ذُكر هذان الموظفان على لوحة محفوظة «بالمتحف المصري»، ومؤرَّخة بطغراء «رعمسيس الثاني»، ويلقب «حم» كاتب الملك، ومدير البيت، أما «أمنمأبت» فيلقب كاتب الملك وحسب (راجع Lieb. Dic. Noms. 2098).

- **تحوتي محب:** كاتب الملك، ذُكر اسمه على لوحة مهداة للعجل «أبيس الرابع»، وهو الإله الذي كان له صلة بالإله «بتاح»، كما كان العجل «مرور» (منفيس) له صلة بالإله «رع»، واللوحة مؤرخة بالسنة الثلاثين من عهد «رعمسيس الثاني» (راجع Mariette, Serapeum III p. 17; Lieb. Dic, Noms. No. 884).

- **ثيا:** كاتب الفرعون الحقيقي المحبوب، وجد له بعض آثار في «سقارة»، أهمها لوحة محفوظة الآن «بمتحف فلورنس» (Schiaparelli Florence, 324.)، دون عليها الألقاب والنعوت التالية: الممدوح من الإله الطيب، والمحبوب من جلالته يوميًّا، وكاتب الفرعون المحبوب منه حقًّا، والمشرف على مالية الرمسيوم، والمشرف العظيم على ماشية «آمون» ملك الآلهة، وحامل المروحة على يمين الفرعون، وكاتب الملك، والمشرف على المالية، والمشرف على مالية رب الأرضين، وله غير هذه اللوحة أخرى صغيرة في مجموعة «روجرس» نقش عليها الألقاب التالية: كاتب الفرعون، ومعلم جلالته، ومربي سيد الأرضين، وهو في البيضة، والمشرف على ماشية الإله «آمون»، ولكنا لا نعلم أي ملك كان ينشئ (راجع A. Z. XIX. 117-118).

- **سا إست:** كاتب الفرعون، والمشرف على غلال الوجه القبلي والوجه البحري، له تمثال محفوظ الآن بمتحف «فينا»، وقد نقش عليه اسم كل من «رعمسيس الثاني»، وابنه «مرنبتاح». وقد دون على التمثال صلاة للإله «وبوات»، كما كتب عليه دعاء على كل من يتعدى على تمثاله، ويصيبه بضرر ما بأن يحاكم ويعاقب على فعلته؛ وذلك لأنه كان رجلًا طيبًا لم يأتِ سوءًا في حياته، ولم يرتكب خطيئة مع أي إنسان، وكذلك يناشد كهنة معبد الإله «وبوات» على اختلاف أنواعهم أن يقدموا له قربانًا (راجع Rec. Trav. XII, p. 3-4).

- **بياي:** كاتب الفرعون، والمستشار والمشرف على الخاتم، له تمثال من الحجر الجيري الأبيض «بالمتحف البريطاني»، وقد نقش على الجزء الأمامي منه صلوات للإلهة «أوزير»، و«أنوب»، و«بتاح»، و«سكر» ليقدموا له قربانًا (راجع Budge, Guide to Sculp. P. 170; Lieb. Dic. Noms. No. 887).

- **مري بتاح:** كاتب الوثائق الفرعونية، والمشرف على ماشية بيت «رعمسيس الثاني»، وله لوحة عثر عليها في «العرابة المدفونة»، ولكنها اشتريت من «أخميم»، واللوحة مقسمة قسمين عليهما منظران، ففي القسم الأيمن الإله «حور اختي» جالسًا على عرشه يتقبل تحيات شخص راكع، ونُقش فوقه: «إني أقدم التحيات ﻟ «رع» لأجل روح كاتب الملك لوثائق القصر — له الحياة والفلاح والصحة — «مري بتاح» صادق القول، وسيد الاحترام بجانب الإله العظيم.» وعلى اليسار نشاهد «مري بتاح» راكعًا أمام أوزير، وفوقه النقش التالي: «الدعاء لأوزير لأجل روح المشرف على الماشية في معبد «وسر ماعت رع ستبن رع بتاح».» (راجع Rec. Trav. IX, p. 90).

- **ساري:** كاتب الفرعون، له تمثالان وُجِدا في خبيئة الكرنك من الجرانيت (راجع Legrain, Stat. II, p. 34 pl. XXXI & p. 35, 36, pl. XXXII)، وقد كتب اسم الفرعون «رعمسيس الأول» على الكتف الأيمن للتمثال الأول. والنقوش التي على التمثالين كلها تمنيات للمتوفى ليوهب الحياة في الآخرة، كما كان في الحياة الدنيا، وذلك بأن يوهب ثانية استعمال كل أعضائه، ويتنفس الهواء العليل، ويتمتع بكل ملاذ الآخرة.

- **بياي:** كاتب الملك، والكاهن المرتل الأول، والمشرف الأول على الكهنة المطهرين، والمشرف على القربات الإلهية، والمشرف على التحنيط، وموزع القربان.

وجد اسم «بياي» هذا مع اسم موظف آخر يُدعى «تحتمس»، أو «رعمسيس»، ويلقب الكاهن المرتل الأول في البيت الجميل — أي بيت التحنيط — على لوحة تحمل ثلاثة تواريخ من عهد الفرعون «رعمسيس الثاني»، وهي السنة السادسة عشرة، والسنة

السادسة والعشرون، والسنة الثلاثون، واللوحة من الحجر الجيري الأبيض، ومقسمة قسمين، وهي خاصة بالعجل «أبيس الرابع» في عهد «رعمسيس الثاني».

ففي الجزء الأعلى منها نشاهد ثورين مضطجعين متقابلين، وقد كتب أمام واحد منهما: «السنة السادسة عشرة، وصول جلالة العجل «أبيس»»، وكتب أمام الثاني: «السنة السادسة والعشرون، وصول جلالة العجل «منفيس»»، ونقش أمامهما سويًّا[٥٢٨] طغراء «رعمسيس الثاني».

وتحت هذا نشاهد محرابًا فيه العجل «أبيس»، وأمام المحراب مائدة قربان، وكاهن يقرأ صيغة القربان من إضمامة، وآخر يقدم إناءين، وفوقهما نقش خاص بشعيرة فتح الفم، وألقاب كل من «بياي»، و«تحتمس».

وفي الجزء الأسفل من اللوحة نشاهد شخصين واقفين بملابس فضفاضة، وفي يد كل منهما آلة لفتح الفم، وقد كتب أمامهما نقش يبتدئ بالسنة الثلاثين من حكم «رعمسيس الثاني»، وهو خاص بفتح الفم للعجل «أبيس»، والظاهر أن هذه اللوحة قد اشترك في عملها الكاهن المطهر، والمرتل في بيت التحنيط، والتشريفي في بيت العجل أبيس، ومن في حجرة بيت العجل «منفيس» «بتاحي» المرحوم، والمشرف على بيت التحنيط المرحوم «رعمسيس»، والكاهن المطهر والمرتل في بيت الفرعون «إبي» (راجع Rec. Trav. XXI, p. 70. ff.).

- **ريا:** الكاهن المطهر والمرتل في بيت التحنيط المزدوج، وله لوحة مؤرخة بالسنة الثلاثين من عهد «رعمسيس الثاني» في السرابيوم «بسقارة»، وهي خاصة بدفن العجل الرابع أيضًا، وقد جاء ذكر الكاهن «بياي» السالف الذكر عليها بألقابه (راجع Rec. Trav XXI p. 72-3).

- **باخبري خع:** كاتب مائدة الفرعون: له تمثال «بمتحف اللوفر»، وقد نقش عليه اسم والده «إزيس محب»، ومعنى الاسم «إزيس في عيد» (راجع Lieb. Dic. Noms No.

894).

- **بن نستاوي:** كاتب مائدة نائب «كوش»، وقد جاء ذكره ولقبه مع أشخاص آخرين على لوحة «ستاوي» نائب «بلاد كوش» في عهد «رعمسيس الثاني» (راجع مصر القديمة جزء ٥).

- **كاثا:** الكاتب المشرف على عبيد الأرضين في الأرض الجنوبية، له لوحة منقورة في صخور «فرس» عند الحدود الجنوبية، وقد جاء فيها ذكر والده «تحتمس» (راجع Champ. Notices 1 p. 40).

- **خعمأبت:** كاتب كتاب الإله لرب الأرضين، وكاتب تواريخ كل الآلهة في بيت الحياة (الجامعة)، ووالد الإله للإله «رع-آتوم»، وكاتب الملك والمدير الملكي، وله لوحة محفوظة الآن بمتحف «ستوتجارت» بألمانيا، يشاهد في أعلاها يتعبد للآلهة «أوزير»، و«إزيس» و«حور»، وطغراء «رعمسيس الثاني»، وفي الجزء الأسفل نشاهد ابنه «منتوحتب» كاتب معبد «منتو» رب «أرمنت» يخاطب أفراد أسرته الجالسين أمامه، وهم:

  - **بكت ورنورا:** زوجه ربة البيت، ومغنية «آمون».

  - **آمون واح سو:** والده كاتب كتاب الإله، هذا وقد ذكر اسما والدته، وزوج والده بدون ألقاب (راجع Spiegelbrg & Portner Aegyptische Grabstien und Denkstein Aus Suddeutschen Sammlungen. I, pl. XVIII,).

- **حورا:** كاتب الخزانة (راجع Pleyte. Pap. Turin 41, pl. XXIX).

- **رعمسيس نختو:** كاتب قوائم الجنود، له تمثال محفوظ الآن بمتحف «برلين» نقش على كتفه طغراء «رعمسيس الثاني» (Insch. Berlin. II, p. 72).

- **حور مين:** كاتب القصر، عثر له على تمثال في «منف»، وهو محفوظ الآن بمتحف «ليدن» (راجع Leyden Aegypt Mon. II, IX, D. 38).

- **باسحاتا:** كاتب المعبد، له بعض الآثار منها لوحة من «العرابة» (راجع Abydos Cat. 1131-1132)، ويحمل لقب كاتب معبد الإلهين «بتاح» «أنحور»، وزوجته تُدعى ربة البيت «تاكد»، وابنه يلقب الكاتب «نخت»، وولده هو الكاتب «رومع» (راجع De. Rougé. Insc. Hierog I, pl. XXXII).

- **أمنمأبت:** كاتب وثائق الفرعون، وله تمثال في متحف «سنتبيترزبرج» (راجع Lieblein. St. Petersburg Agyp. Denkmaler, 4; Papayri At Turin Pleyte Pap. de. Turin, 9).

- **أمنمس:** الكاتب الملكي لمائدة رب الأرضين، وكاتب الملك، له تمثال من الحجر الجيري الصلب من خبيئة الكرنك، وذلك يدل على أنه كان صاحب مكانة عظيمة؛ لأنه لم يكن يوضع في معبد «آمون» إلا تماثيل عظماء القوم، وقد جاء ذكر اسم والديه على تمثاله هذا، فوالده يسمى «بن زرتي»، ووالدته «موتمأنت»، وكذلك كان يشترك «أمنمس» مع كاتب آخر في لوحة وهو:

- **وررشبو:** الكاتب الملكي ومدير البيت، وقد مثل هذان الكاتبان على هذه اللوحة وأسرتاهما في ثلاثة صفوف، وكلهم يتعبدون إلى العلم، وهو الشارة التي وضعت على قمة الصندوق الذي كان يحتوي على حسب زعم القوم على رأس الإله أوزير، وعلى أحد جانبيه صورة الإله «حور»، وعلم برأس كبش، وعلى الجانب الآخر الإلهة «إزيس»، وعلم برأس كبش (راجع Budge, Guide to Sculpt. P. 205).

- **أمنمحب:** كاتب المائدة الملكية، وجد له لوحتان في العرابة، وجد إحداهما «مريت» (راجع Mariette. Cat. Abydos No. 1128)، والثانية عثر عليها «فرنكفورت»، وهي موجودة الآن بمتحف «سدني»، ويحمل فيها الألقاب التالية: قائد أعياد أوزير، والكاتب الملكي، كاتب مائدة القربان (راجع J. E. A. XIV, p. 243-4).

- **بري نفر:** كاتب المائدة الملكية، ذكر اسمه على بعض الآثار، منها لوحة عثر عليها في «العرابة المدفونة» (راجع Mar. Cat. Abydos no. 1128)، ولوحة محفوظة في معبد «بولوني» من أعمال فرنسا (راجع Wiedemann Gesch p. 56; Lieb, Dic. Noms Fo. 736). ويلاحظ أنه قد ذكر على لوحة «العرابة» عدة رجال ونساء يعملون في وظائف مختلفة، منهم الكاتب، والمغني، والضابط، كما كانت النسوة يعملن مغنيات للإله «آمون»، ومن بينهن مغنية للإلهة «حتحور» (Boulaq. Stele No. 807).

- **مري بتاح:** كاتب المائدة، له تمثال راكع في «المتحف البريطاني» (راجع Arundale & Bonomi Gallery pl. 54).

- **نفر حر:** كاتب وثائق القصر، وله لوحة محفوظة الآن «بالمتحف البريطاني»، وتلفت النظر بما عليها من نقوش هامَّة؛ فعلى الجزء الأعلى منها دونت السنة التي توفي فيها، وهي الثانية والستون من عهد «رعمسيس»، ونجد أسفل ذلك صاحب اللوحة راكعًا أمام الإله «أوزير» متعبدًا، وخلف هذا الإله تقف أختاه «إزيس»، و«نفتيس»، ثم «حور» بن «إزيس»، وفي الصف الثاني نشاهد «نفر حر» واقفًا أمام صف من أهل أسرته، مقدمًا لهم البخور، والنبيذ، والقربان على مائدة، وفي آخر صف نجده كذلك واقفًا يحمل طبقًا عليه قربان، وأمامه مائدة قربان، كذلك يقدم لطائفة من أهله، وكلهم إخوته قربانًا كما تقول النقوش (راجع Budge, Guide to Sculp p. 175. pl. XXIII; Lieb. Dic. Noms. No. 889).

- **بنتاور:** الكاتب، وهو الذي نسخ بخطه قصيدة ملحمة «رعمسيس الثاني»، التي نقشها على جدران معابده العظيمة، في طول البلاد وعرضها، وقد أسهبنا القول فيها، وقد نسب إليه بعض كتاب عصرنا خطأ أنه هو الذي ألَّف هذه القصيدة (راجع Pefrie, Hist III. p. 30)، والواقع أنه كتبها بخط يده فقط.

- **أمنمويا:** كاتب رب الأرضين، جاء ذكر هذا الكاتب مع سائر أفراد أسرته على لوحة محفوظة الآن «بالمتحف المصري» (no. 807) (راجع Mar. Cat Abydos no. 1128)، وتدل النقوش التي عليها على أن معظم أفرادها كانوا يشغلون وظائف حكومية في ذلك العهد، وسلسلة نسب هذه الأسرة هي: الوجيه «بتاح مس»، وزوجه «تنت إبت»، وقد أعقبا: (١) «بري نفر»: الكاتب الملكي لمائدة رب الأرضين. (٢) «تنرو»: الكاتب. (٣) «خعي»: كاتب القربان. (٤) «أمنمويا»: كاتب رب الأرضين. (٥) «إيا»: صف ضابط. (٦) «نفر حتب»: صف ضابط. (٧) «بنياتا»: كاتب بيت رب الأرضين. هذا بالإضافة إلى اثنتي عشرة بنتًا، تسعٌ تحمل كل منهن لقب مغنية «آمون»، وثلاث تحملن لقب مغنية الإلهة «حتحور».

- **حور نخت:** الكاتب، ذكر هذا الكاتب على لوحة مؤرخة بعهد «رعمسيس الثاني»، ومعه عدة أشخاص آخرين، ثلاثة منهم كتبة، وملاحظ واحد، غير أن صلة النسب بينهم لم تفسر في النقوش (راجع L. D. III p. 114 & Lieb. Dic. Noms No. 903).

- **وسر ماعت رع:** الكاتب الذي يدون لرب الأرضين، له لوحة رسم عليها متعبد لطغراء «رعمسيس الثاني» (راجع Newberre Scarabs pl. XXXV. P. 20).

- **نفر حتب:** كاتب مائدة رب الأرضين، له لوحة في متحف «اللوفر»، والنقوش التي عليها تلفت النظر بعض الشيء؛ إذ نجد الإله «أوزير» مصورًا عليها في هيئة الصندوق الذي كان يظن أنه يحتوي على رأس هذا الإله المدفون في «العرابة»، وهذا الأثر تحرسه هنا الإلهتان «إزيس»، و«نفتيس»، ويكنفه الرمزان الدالان على الإله «خنوم»، وخلفهما من الجهة الشمالية رسمت الإلهة «ماعت»، والإله «وابوات» (ابن آوي)، وعلى اليمين الإلهان «حور»، و«تحوت»، وكذلك نجد على اللوحة مصورًا «رعمسيس الثاني» المؤله، والإله «حور».

وقد ذكر لنا «نفر حتب» اسم جده من جهة أمه، وهو سميه، وجدته من جهة أمه، وتُدعى «تاخعيت». كما ذكر اسم والده:

- **راع آوي:** سائق عربة جلالته. أما والدته فكانت تسمى:
- **نبت نسوت حنت:** مغنية الإله «سبك»، وتُدعى زوجه:
- **تاميو:** ربة البيت، ومغنية «آمون»، وقد نقش على اللوحة أنشودة للإله «أوزير» حمدًا وتعبدًا (راجع Boreux, Cat. Guide I, p. 78-79; & Petrie Scarabs 1601).
- **بامعي:** كاتب المائدة، وله لوحة صغيرة محفوظة بمتحف «تورين» (راجع Petrie Scarabs 1601).
- **خعمواست:** كاتب العمال، له تمثال مجيب مؤرخ بالسنة السادسة والعشرين من حكم «رعمسيس الثاني» (راجع Mariette Serapeum II, p. 14).

(٩-٢٢) باك ور

الحارس الأول لمخزن الغلال، عاش في أواخر عهد «رعمسيس الثاني»؛ إذ توجد له لوحة مؤرخة بالسنة السادسة والستين من حكمه، وقد عثر عليها في «قفط»، والجزء الأعلى منها مفقود، وتدل نقوشها على أنها قد أقيمت بسبب هبة من الأرض (راجع Rec. Trav. IX, p. 100).

(٩-٢٣) أمنمس

رئيس العمال، ذكر اسمه على لوحة صغيرة (راجع Champ. Mon. p. 191, 4).

(٩-٢٤) معي

ووالده «باكنامون»، كان «معي» المشرف على الأعمال في عهد «رعمسيس الثاني»، وهو الذي أشرف على بناء معبد «هليوبوليس» على حسب أمر سيده مستعملًا على ما يظهر أحجار معبد «خفرع» الجنازي لبنائه؛ مما يدعو لدهشتنا من جهة، وعدم اكتراثه من جهة أخرى بتخريب الأماكن الأثرية، وقد ترك لنا منظرين حفرهما في الصخرة المقابلة للجهة الشمالية والغربية من الهرم الثاني تنبئان بوجوده في هذه المنطقة، ومعه رئيس المثالين، والنقش الذي في الجهة الشمالية هو:[٥٢٩] المشرف على أعمال معبد «رعمسيس» الذي يضيء

في البيت العظيم للأمير «معي» المرحوم ابن المشرف على الأعمال «باكنامون الطيبي»، رئيس المثالين «بامنو» المرحوم، والمشرف على الأعمال في بيت «رع» «معي».

والنقش الذي في الجهة الغربية هو: المشرف على أعمال بيت «هليوبوليس» «معي»، ويقول «بيكي» (راجع Egyptian Antiquities in the Nile Valley p. 134): إن والده «معي» كان يقوم بنفس التخريب في «طيبة» لمليكه. وعلى الرغم من كل ذلك نجد أن «معي» هذا قد أهدى لوحة للإله «بولهول»، ومما يؤسف له أنه لم يبقَ منها إلا جزء من الجهة اليسرى، وما بقي منها يشعر بأنها كانت مقسمة قسمين، فالقسم الأعلى كان فيه صورة «بولهول» جاثمًا على قاعدة، وتحته متن لم يبقَ منه إلا ثلاثة أسطر تبتدئ بصلاة ﻟ «بولهول»: صلاة لروحك يا «حور اختي» لروح مدير الأعمال لبيت «رع»، ورئيس المثالين في … «رعمسيس الثاني».

وهذه اللوحة لا بد أنها تعزى إلى نفس «معي»، ومن ذكر معه على النقش الذي تركه لنا على الصخر في هذه الجهة.

هذا وقد وجد له أذن جنازية مهداة ﻟ «بولهول» باسم «حور»، وقد كتب عليها: صنعها «معي»، وهي في الواقع تعد أكبر أذن جنازية عثر عليها في الحفائر التي قمنا بها في هذه الجهة (راجع [فصل: وزراء رعسميس الثاني] عن الأذن، ووظيفتها).

(٩-٢٥) ثونوري

المشرف على أعمال كل أثر ملكي، وقبره كان في «سقارة» غير أن موضعه بالضبط لا يزال مجهولًا، ولدينا منه بعض أحجار نقش عليها قائمة بأسماء الملوك المشهورين حتى عهد «رعمسيس الثاني»، وقد تحدثنا عنها سابقًا (راجع مصر القديمة الجزء الأول) (راجع Mariette Mon. Divers pl. 58 p. 19).

(٩-٢٦) أمنمأبت

مدير الأعمال في البرجين (؟)، وله تمثال من الحجر الرملي محفوظ الآن «بالمتحف البريطاني» (راجع Borchardt, Stat. IV p. 47).

(٩-٢٧) رعمسيس عشاوحب

مهندس بناء معبد «بو سمبل» جاء ذكره في نقوش إهداء هذا المعبد، وكذلك حفر لنفسه لوحة في صخور «بو سمبل» (راجع Champ Mon. IX, 2)، وقد تحدثنا عنه فيما سبق.

(٩-٢٨) بنرمر

المشرف على الخزانة، ومدير كل الأعمال الملكية، وجد له تمثال في خبيئة «الكرنك»، وقد مثل حاملًا أميرة صغيرة تُدعى بنت الملك، ومحبوبته «مريت آمون»، وكان كذلك يلقب: الأمير الوراثي، والحاكم، والسار قلب الملك بآثاره الجميلة، ومن في قلب الإله الطيب (أي موضع ثقته)، والمشرف على بيت الذهب المزدوج — أي رئيس خزانة القطرين (راجع Legrain, Stat. II p. 37, 38).

(٩-٢٩) رعمسيس-وسر-حر-خبش

المشرف العظيم على المالية في الوجهين القبلي والبحري، وجد له حتى الآن لوحة صغيرة فقط محفوظة في مجموعة «بتري» (راجع Petrie Hist III p. 101).

(٩-٣٠) إتي

حامل الخاتم، نقش اسمه على آنية محفوظة الآن «بمتحف اللوفر» (راجع Pierret, Louvre Salle Historique p. 370).

(٩-٣١) حورمس

رئيس الحراس لمالية معبد الملك «بطيبة» الغربية، يقع قبره في جبانة «شيخ عبد القرنة»، وليس له رقم خاص على ما نعلم، ويحتمل أنه يقع بين مقبرتي «إبي»، والقبر رقم ٢١٧، وقد تزوج من امرأة تدعى «موت موميا»، ورُزق منها ولدًا يدعى «كامواست»، وكان يشغل وظيفة كاتب، ومن أهم المناظر التي تركها لنا في قبره مشهد يُرى فيه وهو يتعبد للقارب المقدس للإله «سكر أوزير»، وقارب آخر يزين مقدمته رأس ملك (راجع Champ. Notices I p. 517). ويرى على جدران هذا القبر كذلك صف من الملوك قد هشمت طغراءاتهم، غير أنه يمكن قراءة بعضها مثل «تحتمس الأول»، و«تحتمس الثاني»، و«تحتمس الثالث» و«أمنحتب الثاني»، و«تحتمس الرابع»، و«أمنحتب الثالث»، و«حور محب» (راجع Champ. Notices. I, 518). والواقع أن كتابة أسماء هؤلاء الملوك على هذا الترتيب من الأهمية بمكان من الوجهتين الدينية والتقليدية؛ إذ إن هذا يبرهن لنا على أن «رعمسيس الثاني» كان يعتنق مذهب عبادة ملوك الأسرة الثامنة عشرة العظام الذين أراد هو أن يعيد مجدهم الغابر في آسيا، هذا إلى أنه من جهة أخرى أنكر حقيقة وجود «حتشبسوت» على عرش الملك؛ لأنها امرأة، ويجب ألا تتولى عرش مصر، كما أنكر حقيقة «إخناتون»، وأخلافه من الملوك الزائفين؛ لأنهم قضوا على عبادة «آمون»، وغيره من الآلهة

الذين كانوا محببين للشعب، ولا شك أن في هذا بُعد نظر من جانب «رعمسيس» مما جعل الشعب يلتف حوله.

(٩-٣٢) باكنأمون

حارس القصر، له لوحة صغيرة محفوظة ضمن مجموعة «بتري» (راجع Petrie Hist. III, p. 92).

(٩-٣٣) سحتب أتون ختف

ربان القارب، جاء اسمه على لوحة محفوظة «بمتحف اللوفر» (راجع Pierret. Les Insc. Louvre II, I. &. C. 95).

---

[١] راجع: The Coregency of Ramses II, with Seti I, and the Date of the Great Hypostyle Hall at Karnak p. 23 ff.

[٢] راجع: Breasted A. R. III. §§ 123–131.

[٣] راجع: Breasted. Ibid. § 288.

[٤] راجع: Breasted. Ibid.

[٥] راجع: L. D. III, 150 c.

[٦] راجع: J. E. A. VI, pp. 39-40.

[٧] راجع: Ed. Meyer Gèsch. II, 1 p. 547. Note. 1.

[٨] راجع: Ed. Meyer op. cit. p. 457. Note 1.

[٩] راجع: A. Z. LXII, p. 113.

[١٠] ويجد الأستاذ «حمزة» بك الجواب عن دهشته عندما وجد «رعمسيس الثاني» يغير نقوشه من بارزة إلى غائرة في النقوش التي عثر عليها في «قنتير»، وربما كان ذلك من البراهين التي تدل على أن «بررعمسيس» قد بدأ العمل في إقامتها في عهد «سيتي الأول»،

وهذا محتمل جدًّا، وبخاصة عندما نعلم أنه كان لـ «سيتي» قصر هناك، بل يحتمل أنها كانت قد تمت قبل وفاته، وأن «رعمسيس الثاني» قد اتخذها عاصمة الملك في الوجه البحري في أثناء اشتراكه مع والده، كما قد يدل على ذلك ما جاء في لوحة الإهداء التي نقشها في معبد «سيتي» «بالعرابة المدفونة».

[١١] راجع: A. Z. 48. pp. 53 ff.

[١٢] راجع: Maspero, The Struggle of the Nations p. 879. Note 5.

[١٣] راجع: Gardiner Ancient Egyptian Onomastica II, p. 171, 199, 278.

[١٤] راجع: Gardiner Ibid II, p. 173.

[١٥] راجع: Ibid, p. 278.

[١٦] راجع: ما كتبه «جاردنر» عن هذه المدينة (J. E. A. V, p. 181)، حيث يقول في سياق كلامه عنها: «لم نذكر للآن شيئًا عن النقوش التذكارية العظيمة التي نقشها «رعمسيس الثاني» على جدران معبد والده في «العرابة»؛ لأن المتفق عليه بوجه عام أنه على الرغم من إشارة النقوش إلى السنة الأولى من حكم هذا الفرعون لا يمكن أن تكون قد نُقشت إلا حوالي منتصف حكمه، وبداية هذه النقوش تحدثنا أن «رعمسيس الثاني» بعد أن مكث في «طيبة» لأجل أن يصلح آثار والده «سيتي الأول» غادر المدينة الجنوبية، وبدأ برحلة، وأقلع، وكانت السفن الفرعونية تضيء الفيضان، وولى وجهه منحدرًا في النيل نحو المكان العظيم «بيت رعمسيس» محبوب «آمون» عظيم الانتصارات، وأخذ المتن بعد ذلك يصف لنا زيارة إلى العرابة قام بها الفرعون في أثناء سيره في طريقه، ثم تحدث عن المسألة التي وضعت أمامه، وهي الخاصة بمعبد «سيتي» الذي لم يكن قد تم بعد، وقد شغلت كل ما تبقى من موضوع النقوش، وعلى ذلك نجد أن الغرض النهائي لهذه الرحلة قد اختفى، أما الإشارة إلى «بررعمسيس» فقد جيء به هنا لأجل أن يفسر لنا كيف أن الفرعون قد أتى ليزور العرابة في طريقه مما يقدم لنا برهانًا ساطعًا على أن «بررعمسيس» كانت العاصمة الشمالية في هذا التاريخ؛ فقد رسا «رعمسيس الثاني» بسفينته عند «العرابة» في خلال سياحته بين عاصمتي ملكه، وقد كان من واجبنا ألا نتحدث طويلًا عن هذه النقطة الواضحة لولا أن «جوتييه» الذي كان آخر من نشر هذه النقوش يقول عن «بررعمسيس»: إنه بناء أقامه «رعمسيس الثاني» يحتمل أنه يقع في «العرابة» نفسها، أو في إقليمها (راجع Gauthier, La Grande Insc. Dedicatoire d’Abydos Biblioth. D’Etude p. 58)، وهذا التفسير طبعًا يترك أمامنا التسمية «عظيم المكان»، والنعت «عظيم الانتصارات» بدون أي تفسير.

[١٧] راجع: A. Z. 48. pp. 52–66.

[١٨] راجع: Tresson, stéle De kouban. Bibiotheque. D’Etude; Breasted A.R.Vol. III §§ 282–293.

[١٩] راجع: L. D. III, p. 175; Breasted A. R. III § 478-9.

[٢٠] راجع: ترجمة هذه الجملة المخالفة لترجمة «برستد» (Onomastica I, p. 195).

[٢١] راجع: Mercer. Amarna Tablets: 122, 35; 123, 15.

[٢٢] راجع: Late Egyptian Misce. P. 20.

[٢٣] راجع: Anast. I, 17, 4.

[٢٤] راجع: Harris pap. 75, 1.

[٢٥] راجع: Petrie Tanis II, pl. 2. No. 78.

[٢٦] راجع: Wresz. Atlas II, 160. A, 160 B.

[٢٧] راجع: Gardiner Onomastica I, 194–199.

[٢٨] راجع: Wresz. Atlas II, 164; L. D. III, 176 c; Wresz ibid. II, 182.

[٢٩] راجع: Br. A. R. III, § 491.

[٣٠] راجع: Petrie History of Egypt III, p. 46; Holscher Libyer & Agypter. P. 61.

[٣١] راجع: Champ. Monuments, 15, 16; Rosellini Monumenti Storici 84, 85; & Br. A. R. III, § 450-451.

[٣٢] راجع: Champ. Ibid. p. 35.

[٣٣] راجع: Champ. Ibid. p. 35.

[٣٤] راجع: Selim Hassan. Le Poeme Dit De Pantaour Et Le Rapport Sur La Bataille De Qadesh. (1928).

[٣٥] وقد نشر الأثري «كونز» الملحمة والتقرير في كتاب غير أنه ينقصه ما كشفنا عنه، وكذلك لم يوازن بين روايات الملحمة والتقرير (راجع Kuentz: Bataille de Qadech).

[٣٦] أرض «خيتا»، وتُنطق بالمصرية «خت»، وقد جاء ذكرها في المتون المصرية لأول مرة في عهد «تحتمس الثالث» (راجع Urk IV, p. 701, L 11)، حيث نجد ذِكر هدايا من أميرها لفرعون مصر، ومعنى مثل هذه الهدايا يظهر لنا من فقرة على لوحة «منف» العظيمة التي أقامها «أمنحتب الثاني»، وهي التي كشف عنها حديثًا الدكتور «أحمد بدوي»؛ حيث نجد أمراء «نهرين»، و«ختي»، و«سنجار»، أي أعظم ملوك ثلاثة في شمال آسيا قد مثلوا حاضرين لمصر لوضع أسس المصادقة مع الفرعون على إثر سماعهم بانتصاراته في سوريا، وفي عهد «رعمسيس الثاني» نجد أن هذه البلاد تُذكر باسم بلاد «ختي»، كما نجد في المتن الذي نحن بصدده الآن. وهذه البلاد العظيمة عاصمتها «خاتوشا» (بوغازكوي)، وتقع على الهضبة المرتفعة التي في أواسط آسيا الصغرى شرقي نهر «هاليس» (راجع Gardiner Onomastica I, p. 127)، وتُعرف باسم «ختوشا» (راجع الجزء الخامس).

[٣٧] أرض «نهرين أو نهرن»، وهي البلاد التي يقع معظمها بالقرب من شرقي نهر الفرات في مجراه العلوي، وتنطق بالبابلية «نخريما»، أو «ناريما»، وبالعبرية «نهرايم»، وقد جاء أول ذِكر لها في المتون المصرية في عهد «تحتمس الأول» (راجع Urk. IV, p. 9, 10)، ويقصد بها المصريون بلاد «متن» في عهد الأسرة الثامنة عشرة من أول عهد «تحتمس الثالث» وما بعده، وفي عهد الأسرة التاسعة عشرة؛ أي بعد سقوط بلاد «متني» في عهد «حور أمحب» أو قبله، توجد لدينا براهين تدل على أن امتداد بلاد نهرين قد وصل إلى بلدة «حلب»، أو ما بعدها غير أننا لا نعرف سبب ذلك بالضبط (راجع Gardiner Onomastica I, 171 ff.) (راجع الجزء الخامس).

[٣٨] أرض «إرثو» (إرزاوا) بالبابلية: وهي معروفة تمامًا من خطابات تل العمارنة وسجلات «بوغازكوي»، وليست بلدة، بل أرضًا أو عدة أراضٍ، وتقع على حسب رأي «جوتس» على ساحل البحر الأبيض المتوسط في الجهة الغربية من الجنوب الغربي من بلاد «خيتا» وهي تشغل بوجه عام مكان إقليم «بامفيليا» Pamphlia الذي ظهر فيما بعد، ولغة هذه البلاد؛ أي (إرزاوا)، وقد عُرفت للمرة الأولى من خطابين من «تل العمارنة» — تُنسب إلى اللغة الهندية الأوروبية، وتُنسب إلى اللغة الخيتية أيضًا، وهي تعرف الآن باللغة اللرية (راجع Ibid. p. 129).

[٣٩] «بدس» = «بداسا» وبالخيتية «بتاشتا»، ويقول عنها «سمث» إنها تقع في الجنوب الشرقي من «خاتوشا» أي «بوغازكوي» وشمالي «إرزاوا»، وفي المصور الذي وضعه «جوتس» حديثًا في كتابه عن إقليم «كزواتنا» تقع بالقرب من أرض «إيكونيم» Iconuium خلف الحدود الشمالية الشرقية من بزيديا (Ibid. p. 128-9).

[٤٠] بلاد «دردني» (أي الدردنيل) حاليًا.

[٤١] «ماسا» تقع في «كاريا» جنوبي نهر «مياندر» على الشاطئ الجنوبي الغربي لآسيا الصغرى.

[٤٢] أرض «قرقيشا» تقع كذلك في إقليم «كاريا» جنوبي نهر «مياندر» على الساحل الجنوبي الغربي لآسيا الصغرى (راجع Onomastica I, p. 128).

[٤٣] أرض «لك» أو «لوكي» موقعها في إقليم «ليسيا» الإغريقي، ولا تبعد كثيرًا عن «كركميش» من الجنوب الشرقي على الشاطئ الجنوبي (Ibid. 128).

[٤٤] «كركميش» وهي المدينة المشهورة على أعالي نهر الفرات على مسافة تربى بقليل على مائة كيلومتر من الشمال الشرقي من حلب (Ibid. p. 132).

[٤٥] «قدي»: يقع إقليم قدي في شمال بلاد سوريا، غير أنه لا يصل إلى خليج «إيسوس»، ولكن يظهر أنه يمتد إلى مسافة بعيدة نحو الشرق من «كزواتنا»، كما عين موقعها كل من «سمث»، و«جوتس» (راجع Ibid. p. 136).

[٤٦] «إكارثا» إقليم في سوريا شمالي «قادش» شرقي نهر الأرنت (العاص).

[٤٧] «موشتات» إقليم في شمالي سوريا لا يعرف موقعه بالضبط.

[٤٨] كشكش: يوحدها جوتس ببلاد «جشجش» التي ذُكرت في خطابات «تل العمارنة»، وفي لوحة «بوغازكوي» وهذه الأرض تقع على حدود «خيتا» و«إزي»، والأخيرة تقع شمالي المنحنى العظيم في نهر الفرات أسفل «خربوت» ويقول جوتس: إن موقع «جشجش» في الشمال الشرقي من «خاتوشا» أي (بوغاركوي)، ويحتمل على ساحل البحر الأسود شرقي «سمسون» (Onomastica 1, p. 129 & Goetze. Kizzuwatna p. 22 ff, & 40).

[٤٩] بلاد «أرون» = طروادة (؟).

[٥٠] «قزودنا» = «كلكيا» أو «سلسيا». (Onomastica Ibid. p. 129).

[٥١] «إكريث» = أو جاريت وهي «رأس الشمرة» الحالية شمالي «اللاذقية» على البحر الأبيض.

[٥٢] «نجس» هي «نوخشي» المذكورة في «تل العمارنة» وهي بلاد تشغل مساحة غير معروفة بالضبط بين حمص وحلب (Ibid. p. 178).

[٥٣]هذه البلاد قد جاء ذكرها كثيرًا في خطابات «تل العمارنة» وقوم العموريين أو الأموريين كانوا يسكنون بلاد «يوده» وكذلك في ما وراء نهر «الأردن» غير أننا هنا لا نبحث عن حالهم في ذلك الوقت. ويقول الأستاذ «سدني سمث» (Sidney Smith Early Hist. Of Assyria p. 43.) عند كلامه على كلمة «آمور» إنها كانت تستعمل طوال التاريخ لتدل على هضبة صحراء «سوريا»، وكان يختلف امتدادها عندما يتحدث الإنسان عنها بوصفها وحدة سياسية في خلال الألف الثانية ق.م فقد كانت حدودها أحيانًا تنحصر في الإقليم الجبلي المعروف الآن بجبل «الدروز»، وأحيانًا كانت تشمل أراضي من البحر الأبيض المتوسط حتى «حت»، ونحن نتكلم هنا عن هذه البلاد في طورها الأخير من عهد «تل العمارنة» وما بعده، ومع ذلك لا يمكننا أن نحددها بصورة أكيدة لأن هذا الموضوع خاص بالمصادر المسمارية، ففي خطابات «تل العمارنة»، كانت بلاد «آمور» كما ذكرنا بلادًا معروفة وميناؤها «سميرة» وهي أهم مدنها، وكان لها حاكمها الخاص أو أميرها، وهو «عبدي أشرتا» وكان يعترف بالخضوع والطاعة للفرعون، غير أنه في واقع الأمر كان يخضع لنفوذ ملك «خيتا» القوي، وكان ابن «عبدي أشرتا» المسمى «أزيرو» في أول أمره يميل كل الميل إلى جانب مصر، ولكنه لما يئس فيما بعد من وصول أية مساعدة من «إخناتون» الذي كان منهمكًا في إصلاحه الديني؛ أبرم معاهدة مع الفاتح الخيتي «شوبيليوليوما»، وقد استمر «أزيرو» في حدود بلاد «آمور» حتى استولى على بلدة «تونب»، ولكنه فيما بعد خضع للفرعون وبقي سجينًا في مصر مدة، ثم عاد فيما بعد ملكًا على بلاده، ومن ثم بقي محافظًا على ولائه «للخيتا».
وقد كان أول ذكر في المتون المصرية لبلاد «آمور» في نقوش «سيتي الأول» أي بعد عهد «إخناتون» بنحو نصف قرن تقريبًا، فعلى الجدار الشمالي لمعبد «الكرنك» نجد العبارة المقتصرة القائلة إن هذا الفرعون قد سار لتخريب بلاد «قادش» وبلاد «آمور» (إمعور)، وقد عثر على معاهدتين في سجلات «بوغازكوي» تقص علينا معاملات ملوك «خيتا» لأمراء «آمور» في تلك الفترة (راجع Ed. Meyer Gesch II, 1p. 151) أما في متون موقعة «قادش» التي نحن بصددها الآن فقد ذكرت بلاد «آمور» مرتين ولكن لما لم تكن هذه الإمارة ضمن الحلف الخيتي فلا بد أنها إذن كانت إما موالية لمصر أو على الحياد — وذلك كما جاء في المتن بعد وصف مواقع الفرعون وفيالقه الأربعة قبل نشوب المعركة — ويلاحظ هنا أنه قبل ذكر حضور «خيتا» في وسط جيشه قد حشرت الجملة الغامضة التالية وهي التي قد ترجمها «برستد» (Br. A. R. III § 310)، (وقد ألف جلالته الصف الأول من كل قواد جيشه عندما كانوا على الشاطئ في أرض «آمور» وهو في هذا يشير إلى التوزيع المبدئي الذي قام به «رعمسيس» في جيشه في جنوبي «لبنان» في نقطة ما حيث سار من هناك إلى الداخل، ولكن يقول «جاردنر» في ذلك، إنه يخيل لي أن هذه الجملة تشير إلى القوة التي صوِّرت على كل مناظر المعابد وهي القوة التي وصلت — على حين غفلة — إلى المعركة، ولما وجدوا أن معسكر الفرعون محاط بالعدو هجموا على جنود «خيتا» من الخلف وقد كتب فوق صورة هذه القوة العبارة التالية: «وصول جنود الفرعون الشباب من أرض «آمور».» وقد فسر وصول هؤلاء الجنود الجدد بآراء مختلفة

(Br. Battle of Kadesh p. 8)، ومن الجائز أنهم كانوا ضمن الفارِّين من فيلق «آمون» وقد عادوا الآن بعد أن رأوا العدو لم يقتفِ أثرهم بعد، وقد ظن الميجر «برن» — كما سترى بعد — أنهم كانوا تابعين لمؤخرة فيلق «رع» غير أن «برستد» نفسه قد عارض كلا الظنين، فقال: لماذا يقال عن هؤلاء الجنود إنهم حضروا من أرض «آمور»؟ والجواب الوحيد الذي يمكن قبوله في هذا الصدد هو ما قاله المؤرخ (إدورد مير) (Ed. Meyer Ibid. p. 142)، إذ يقول: إنهم كانوا جنود ميدان خاصين وهو ما عبر عنه في المتن المصري بجملة (أول قوة ميدان) وهذه الترجمة يمكن وضعها بدلًا من ترجمة «برستد» (الصف الأول) وهذه الفرقة هي التي اندفعت على الساحل إلى ما وراء «طرابلس»، ومن ثم سارت في الداخل على الطريق الهام الذي يعبر النهر الكبير ويوصل إلى «حمص»، أو بطريق أخرى على بُعد قليل جنوبًا. وإنه لمن الطبعي أن نرى «رعمسيس» يريد هنا أن ينتهز هذه الفرصة إلى أقصى حد في وصف أعمال شجاعته فيقدم لنا تفاصيل قليلة بقدر المستطاع عن القوة التي كانت سببًا في نجاته. والظاهر أن بلاد «خيتا» قد أخضعت بلاد «آمور» (أو «عمور») في السنين التي تلت موقعة «قادش»؛ ولذلك نرى «رعمسيس» في السنة الثامنة من حكمه حكمت عليه الضرورة أن يحاصر بلدة «دابور»، وهي إحدى بلاد «آمور»، وتقع على ما يظهر في إقليم «حلب».

[٥٤] يقصد رسول «خيتا» الذي حمل الرسالة للفرعون.

[٥٥] «قادش» بلدة على نهر «الأرنت» (نهر العاصي)، وقد وحدت على وجه التأكيد بالمكان المسمى الآن «تل نبي مند» الواقع على الشاطئ الأيسر لهذا النهر داخل الزاوية التي تكونت من اتصال نهر صغير إلى هذا النهر من الغرب على مسافة بضعة كيلومترات جنوبي النهاية الجنوبية للبحيرة الصناعية المسماة بحيرة «حمس» كما برهن على ذلك «برستد» (راجع Breasted Battle of Kadesh p. 13)، وكما جاء في كتاب تاريخ «أبي الفداء» الذي عاش في القرن الرابع عشر بعد الميلاد، وكانت هذه البحيرة تسمى وقتئذ بحيرة «قدس» أيضًا، ولدينا براهين حديثة تدل على وجود هذا الاسم في هذه البقعة، فقد عملت حفائر ناجحة قام بها «بزارد Pizard» في موقع «قادش»، وعلى الرغم من أنه لم يحصل على نقوش تثبت توحيد هذا الاسم فإنه قد عثر عل لوحة ممحوة جدًّا للفرعون «سيتي الأول». وفي عهد «تحتمس الثالث» كتب هذا الاسم في تواريخه التي تركها لنا على جدران معبد «االكرنك» بلفظ «كدشو» وقد حفظ لنا الكتاب المقدس هجاء هذه البلدة بلفظ «قادش» وفي خطابات «تل العمارنة» (knutzon pp. 1118 f.) كانت تسمى هذه البلدة «كنزا» أو «كتشي» وفي روايات «كيتشا» أو «جيزا» ويحتمل أن رأي المؤرخ «إدورد مير» مصيب عند قوله إن الاسمين مميزان إذ إن الأول هو الاسم الحقيقي والثاني هو اسم معناه المحراب، من الأصل السامي «قدش» أي مقدس، وفي التوراة يلاحظ أن «قدش» و«قادش» هما اسما مكانين في جنوبي فلسطين، ومما يحتمل الشك كثيرًا أن «قادش» التي على نهر «الأرنت» قد ذُكرت هناك قط، والواقع أنه بعد عهد «رعمسيس الثاني» اختفت هذه المدينة من التاريخ عدا إشارتين فيهما شك كبير في عهد الملك «داود»

والفرعون «نخو» (راجع C. A. H. III, No. 356)؛ وذكرها في القوائم الهيروغليفية الخاصة بالفرعونين «شيشنق» و«تيرهاقا» (Simons lists XXXIII,XXXVI,) لا يخرج عن التقليد، وعلى العكس، فإنه مما لا يحتمل أن توجد إشارة إلى «قادش» في المتون أو القوائم المصرية تشير إلى أي اسم مكان، إلا إلى المعقل الشمالي العظيم المسمى «قادش»؛ إذ إن الحفائر التي عملت في هذا الموقع تدل على أن البلدة كانت قد خربت بعد الموقعة الشهيرة الذي نحن بصددها الآن ببضع عشرات السنين، وهي الموقعة التي نشبت بين «رعمسيس الثاني» و«الخيتا» وهي التي نحن بصددها الآن، ولكن جدرانها قد أقيمت ثانية في العهود المتأخرة وكان آخر عهدنا بذلك زمن الرومان.
وترجع أهمية هذه البلدة من الوجهة الاستراتيجية والسياسية لموقعها الهام في النهاية الشمالية لإقليم «البقاع»، وهو الإقليم الذي يقع بين لبنان والإقليم المقابل له، وقد كان لزامًا على الجيوش التي تمر شمالًا أو جنوبًا في هذا السهل الداخلي أن تمر بها، اللهم إلا إذا كانت تفضل السير على الساحل الضيق بطريق «إرواد» أو «رأس الشمرة».
وفي عهد «تحتمس الثالث» عرفنا أن أمير «قادش» جمع كل الأمراء الذين كانوا حوله في هذا الجزء من العالم ليصد تقدم ملك مصر، ومن البدهي أن غرض الفرعون لم يكن هذه البلدة نفسها بل كان بلاد «نهرين»، ولأجل أن يصل إليها كان لزامًا عليه أن يغزو إقليم «قادش» على نهر «الأرنت»، ولا بد من إبراز هذه النقطة هنا، وقد لاحظها تقريبًا كل المؤرخين؛ وقد أبدى بعض رجال التاريخ الحديث الرأي مرارًا في أن «قادش» التي كانت على رأس هذا الحلف لم تكن «قادش» التي على نهر «الأرنت» بل هي قادش الواقعة في شمال «فلسطين» والتي لا تزال تحمل هذا الاسم، وتقع على مسافة سبعة كيلومترات من الشمال الغربي لبحيرة «حله» (راجع Simons Lists p. 36. & Jerku p. 5 Note 2)، والظاهر أن الخطأ جاء عن طريق ذكر كلمة «قدشو» قبل «مكتي» (مجدو Magiddo) في قائمة الأقوام الشمالية الذين تغلب عليهم «تحتمس الثالث» في أول معركة له، وقد دُونت هذه الأقوام في ثلاث نسخ على جدران معبد الكرنك (Urk. IV. 779 ff.)، ففي النسخة الأولى والثالثة نجد العنوان الثاني: قائمة الممالك الواقعة في «رتنو العليا» التي حبسها جلالته في بلدة «مجدو» وهي التي أحضر جلالته أولادها أسرى أحياء إلى «طيبة» في أول حملة مظفرة له، ويمكننا أن نؤكد أن سبعة عشر ومائة اسم قد جاء ذكر أصحابها في الحملة الأولى وأن بعض الأسماء يشير إلى الأمراء الذين كانوا قد أُسروا في قلعة بلدة «مجدو»، ولا بد أن نلاحظ هنا أن لوحة جبل «بركل» تذكر ثلاثين وثلثمائة أمير بين خلفاء «قادش» وتلمح أنهم كانوا محصورين في «مجدو» مدة سبعة الأشهر التي دام فيها الحصار وإن لم يُذكر ذلك صراحة، وإذا اعترفنا بأن القائمة تحتوي أمثال هؤلاء الأمراء كنا في حِل من أن نحتم وصول الفرعون «تحتمس الثالث» فعلًا في السنة الثالثة والعشرين إلى كل البلاد المذكورة؛ إذ إن بعضها كان بعيد عما وصل إليه فعلًا (راجع مناقشة هذا الموضوع في: Gardiner Onomastica I, p. 137–141).

[٥٦] راجع: Pap. Anastasi I, pl. XVII; II, 3, 4.

[٥٧] راجع: L. D., II, pl. 149 d.

[٥٨] راجع: L. D., II, pl. 150 a.

[٥٩] راجع: Beni Hassan Vol. I, 12; II, 14, 15.

[٦٠] راجع: L. D., II, 138 c.

[٦١] راجع: L. D., II, 137 c.

[٦٢] راجع: Breasted. Battle of Kadesh p. 9.

[٦٣] راجع: Ibid. p. 10.

[٦٤] راجع: Dumichén Hist. Inschrift. I, 26-7.

[٦٥] راجع: Maspero Struggle of the Nations. p. 212. Note. 5.

[٦٦] راجع: Burne. Some Notes on the Battle of Kadesh. J. E. A. VII, p. 192. & The Art of War on Land p. 36–47.

[٦٧] راجع: Breasted. The Battle of Kadesh p. 19.

[٦٨] راجع: Breasted A. R. Vol. III, p. 128 fig. 8.

[٦٩] راجع: J. E. A., VII, p. 161.

[٧٠] راجع: J. E. A. VII, p. 194-195.

[٧١] راجع: Hogarth. Cambridge Ancient History II, p. 265.

[٧٢] راجع: Ibid. p. 266.

[٧٣] وتقع على الجانب الغربي من البرج الشمالي للبوابة الأولى من معبد «الرمسيوم» (راجع Champ. Notices I, 870-1; L., D., III, 156 & Taxte III, 127-8).

[٧٤] راجع: Muller. Asien Und Europa 220–222.

[٧٥] راجع: Gardiner Onomastica I, p. 179, 189.

[٧٦] راجع: Champ. Mon. 331 = L. D., III, 166; Br. A. R., III, § 357.

[٧٧] راجع: Zeitschrift des Deutschen Palestina Vereins XIV, p. 142 ff.

[٧٨] راجع: Gardiner Onomastica I, 179.

[٧٩] راجع: Pap. Anastasi I, 18, 8.

[٨٠] راجع: Ed. Meyer, Cesch II, 1. p. 471.

[٨١] راجع: Champ. Notices Desc. II, pp. 195.

[٨٢] راجع: Monumenti Storici Vol. III, Part II, pp. 268–82.

[٨٣] راجع: Der Bundnisvertrag Ramses II, und des Chetiterkonig in Metteilungen der Vorderasiatischin Gesellschaft (1902) 5. W. Keiser Berlin.

[٨٤] راجع: Br. A. R. III, §§ 367.

[٨٥] راجع: Brugsch Geographische Insch. II, p. 20.

[٨٦] راجع: Ed. Meyer Reich und Kultur der Chetitér pp. 127 ff.

[٨٧] يلاحظ هنا عدم الدقة في استعمال الضمائر.

[٨٨] المقصود هنا هو «مورسيلي».

[٨٩] راجع: H. H. Figulia and E. F. Weidner Keilschrifttexte aus Boghazokoi Part I, (Leipzig) p. 38, 7-8.

[٩٠] راجع: K. T. B. I, p. 37, 55–72.

[٩١] راجع: Meissner, zur Geschichte Chattireiches p. 24.

[٩٢] راجع: Weidner Studien zur Assynisch-Babylonischen Chronologie.

[٩٣] راجع: Chronique D’Egypte 45-46 Avril 1948 p. 88.

[٩٤] راجع: K. T. B. No. 29.

[٩٥] راجع: L. D. III, 195.

[٩٦] راجع: Petrie. Tanis I, VII, No. 45 & VIII, No. 49.

[٩٧] هذه الوثيقة منقوشة على لوحة عظيمة في القاعة الأولى من معبد «بو سمبل» (راجع Naville Trans. S. B. A. VII, 119 ff. & L. D, III, 194)، وقد انتحلها فيما بعد «رعمسيس الثالث»، ونقشها على البوابة الأولى من معبده بمدينة هابو (Br. A. r. III, 394 ff.) مع بعض تغييرات تتفق مع الأحوال التي قيلت بسببها. الترجمة هنا مقتبسة من النصين معًا؛ لأن النص القديم غامض في بعض النقط Dumichen Historische insch. I, 7–10; & De Rougé Inscrip Hierog II, 131 ff.

[٩٨] راجع: L. D. III, p. 196; Rec. Trav. XVIII, p. 160–166.

[٩٩] راجع: A. S. XXV, p. 182.

[١٠٠] راجع: Ibid. p. 183.

[١٠١] راجع: Papyrus Anastasi II, pl. II, 1–5; Ibid IV, pl. VI, 7–10.

[١٠٢] راجع: Sommer, Die Ahhijava Urkunden. C IV, p. 242.

[١٠٣] راجع: Cavaignac. Subbilulima, et Son Temps p. 72 ff..

[١٠٤] راجع: Rev. D’Assyr (1929) p. 168 ff..

[١٠٥] راجع: Maspero Hist. Anc. II, p. 372.

[١٠٦] راجع: Sethe. Deutsche Literaturz., (1926), p. 1873 ff..

[١٠٧] راجع: Keilschr. a. Boghazkoi II, V, I, 9-10, I. 20.

[١٠٨] راجع: Keilschr. a Boghazkoi II, II, V, I, 13.

[١٠٩] راجع: Keilschrift Urk. a. Boghazkoi XXVI, 76.

[١١٠] راجع: A. Z. (1883) p. 54; A Propos de La Stele de Bentresh, B. I. F. A. O., 34 (1933), p. 75; Hermann Die Agyptische Konigsnovelle,

Leipziger Agyptologische Studien, Helft, 10 (1938) p. 56; Chroniqu D’Egypte No. 38 (Juillet) 1944 p. 214.

[١١١] راجع التصليحات التي أُدخلت على هذه الترجمة (Chronique D’Egypte No. 38 (Juilet 1944) p. 214–218).

[١١٢] «نفرحتب» = لقب الإله «خنسو» في «طيبة».

[١١٣] راجع: Roeder, Der Felsentempel Von Bet el Wali p. 31 ff.

[١١٤] راجع: Baedeker’s, Egypt (1929) p. 420 ff.

[١١٥] راجع: Baedeker’s Egypt (1929) p. 424.

[١١٦] راجع: Baedeker’s. Egypt p. 428.

[١١٧] راجع: Ed. Meyer Gesch. II, I, p. 500; Maspero, The Struggle of the Nations p. 411 ff.

[١١٨] راجع: L.D. III, 191 m. n.

[١١٩] راجع: L. D. III, p. 187, a. b.

[١٢٠] راجع: L. D., III, 195 b. c., Petrie Hist. III. P. 81; Baedeker Egypt (1929) p. 435 f. f.

[١٢١] راجع: Sayce Recueil, XVII, 136 t., Br. A. R. III, § 502.

[١٢٢] راجع: Petrie Hist. III, p. 81.; Baedeker Ibid. p. 446.

[١٢٣] راجع: L. D. Text. IV, 37; Br. A. R, III. § 505.

[١٢٤] راجع: A. Z. (1896) p. 122–38 f.

[١٢٥] راجع: Legrain. Les Temples de Karnak Bruxcelles (1929) p. 133; Ed. Meyer, Gesch, II, I p. 428 Note 2; Petrie Hist. III, p. 20.

[١٢٦] راجع: K. Seele Coregency, § 33–38.

[١٢٧] لا نزاع في أن تأثير كهنة «آمون» وخططهم وميولهم كانت تلعب دورًا هامًّا في هذه الأمور الخاصة بالآلهة، وربما تعد قليلة الأهمية للذين يكتبون في هذا الموضوع، ولكن الواقع أن طائفة الكهنة هم الذين كانوا بلا نزاع يرشدون ويلهمون الملوك بالقيام بالمشاريع البنائية في المعابد، ونشاهد ذلك بنوع خاص في العهد الذي أعقب إعادة ديانة «آمون»، بل من الجائز أنهم كانوا هم القوة العاملة وراء الفرعون، فكانوا في مكانة تؤهلهم أن يملوا على الملوك ما يشاءون في هذا الصدد، وبخاصة من عهد «توت عنخ آمون» حتى عهد «رعمسيس الثاني»، وهي الفترة التي كان التحمس فيها للدين القديم على أشده من العنف والتعصب.

[١٢٨] السياق غير متصل، هكذا بالأصل.

[١٢٩] راجع: Ancient Egyptian Masonery p. 91.

[١٣٠] راجع: Br. A. R. III §§ 510–512.

[١٣١] راجع: Champ. Notices II, p. 79.

[١٣٢] راجع: Budge: Some Account of Egyptian Antiquities in the Possession of Lady Meux p. 143.

[١٣٣] راجع: Baedeker Egypt 1929. p. 101 ff.

[١٣٤] راجع: Spiegelberg Hieratic Ostraca, 139, 141, 168, 230.

[١٣٥] راجع: Spiegelberg Heiratic Ostraca, 134–7.

[١٣٦] راجع: L. D. III, 183-4; Sharpe Egyptian Insc. II, p. 53; A. Z. (1883) p. 32; Br. A. R. III, § 514 ff.

[١٣٧] راجع: Quibell Ramesseum, 6, 1.

[١٣٨] راجع: Petrie Hist. III, p. 45; Baedeker, Egypt (1929) p. 327.

[١٣٩] راجع: Baedeker, Egypt (1929) p. 350.

[١٤٠] راجع ما كُتب حديثًا عن سبب ارتفاع صحن المعبد Chronique d’Egypte No. 34 (Juillet 1942) p. p. 169–76) وهذا المعبد له شهرة كبيرة عند كتَّاب اليونان، فقد ذكر «ديدور الصقلي» بأنه قبر «أوسيماندياس Osymandyas» كما ذكرنا، وقد حقق

«مسبرو» أن المقصود هو «رعمسيس الثاني»، والواقع أن اسم معبد هذا الفرعون كان يدعى «حات وسر ماعت رع مري آمون» (أي قصر «وسر ماعت رع» محبوب «آمون») وقد درس «جو دفروى جوسنس» وصف «ديدور» لهذا المعبد، وقال عنه: إنه نقله عن «هكاتا أبدير» اليوناني، واستخلص النتيجة التالية بعد قرنه «بمعبد الرمسيوم»: إن معبد «الرمسيوم» قد استعمل بمثابة محجر منذ تاريخ لا يمكن معرفته على وجه التأكيد، غير أننا نعلم أن «رعمسيس الثالث» قد نقل منه بعض أحجار إلى معبده بمدينة «هابو»، ومن المحتمل أن اقتفى أثر هذا الملك ملوك آخرون منذ أن عاد النشاط إلى إقامة هذا المعبد في عهد الأسرة الرابعة والعشرين؛ فنرى أنه لم يمضِ خمسون عامًا على موت «رعمسيس الثاني» حتى بُدئ بتخريب معبده في «الرمسيوم»، وبعد ذلك بألف سنة لم يبقَ من هذا المعبد قائمًا إلا نصفه، وفي أيامنا لا نرى منه إلا خرائب باقية، وتماثيله الشامخة أصبحت طريحة الأرض بعد ذلك البهاء الذي انطفأ مصباحه، وهاك ترجمة النقوش التي قرأها «ديدور» على تمثاله الضخم: إني «أوسيمانديَاس» ملك الملوك «فليفوقني فرد ما في عمل من أعمالي …»

فهل هذه ترجمته من نسج خيال الكاتب القديم، أم خرافة؟ نعم إنها كذلك ولكنها تعبر عن روح هذا الفن الزخرفي الذي يمثل الفخر الكاذب، والغرور اللذين كانا يمثَّلان في النظام الحكومي الذي أوحى بهما، وأعني بذلك تلك العظمة التي أرادها «رعمسيس» من الأحجار (راجع Ibid. P. 177)، ومع ذلك فإنا نجد ضمن ألقاب «رعمسيس الثاني» أنه كان يدعى «حاكم الحكام»، أو بعبارة أخرى ملك الملوك في بعض نقوشه (راجع ص٣٨٧ و Hall, Egyptian scarabs p. 223).

[١٤١] راجع: Baedeker. Egypt (1929) p. 324 ff.

[١٤٢] راجع: Deverid. Biblioth. Egypt. IV, 292-3; Champ. Notices I, 694; Brugsch. Recueil de Mon. 513; L. D. III 152, A., Br. A. R. III § 516 ff.

[١٤٣] راجع: Piehl Inscrip. I, 145 A. f.

[١٤٤] راجع: Champ. Ibid. I 296; L. D. III 152 b.

[١٤٥] راجع: Champ. Ibid. I, 307. 704; L. D. III, 152 G; Br. A. R. III § 521.

[١٤٦] راجع: Champ. Ibid. I, 705; Br. A. R. Ibid.

[١٤٧] راجع: Mariette Abydos I, 1, Sculptures II-XX.

[١٤٨] راجع: Budge Guide to Sculptures p. 163 (No. 592 (117).

[١٤٩] راجع: Mariette Abydos II pl. 3 (ef Ibid) 11 & 139; Mariette Voyage dans La Haute Egypte 1 p. 29.

[١٥٠] راجع: Brugsch. Recueil de Monuments I, pl. XII.

[١٥١] راجع: Br. A. R. III § 529.

[١٥٢] راجع: Ny Carlsberg Museum. Morgensen. La Collection Egyptienne pl. VII, p. 8.

[١٥٣] راجع: Petrie, Memphis V, pl. LXXVII; VI, pl. LXI, 33.

[١٥٤] راجع: Petrie Ibid. p. 10; A. S. III, p. 25.

[١٥٥] راجع: Ibid. p. 25.

[١٥٦] راجع: Ibid. 28–31.

[١٥٧] راجع: Porter & Moss III, p. 219.

[١٥٨] راجع: Porter & Moss Ibid. p. 219.

[١٥٩] راجع: Ny Carlsberg Mus. Ibid. pl. XXXI, p. 39–4.

[١٦٠] راجع: Porter & Moss Ibid. p. 220.

[١٦١] راجع: A. S., XX, 167-8.

[١٦٢] راجع: Borchardt. Stat. II, pl. 93 p. 101.

[١٦٣] راجع: Porter & Moss Ibid. p. 226.

[١٦٤] راجع: Maspero, The Struggle of the Nations p. 422; Baedeker Egypt (1929) p. 154.

[١٦٥] راجع: Speiegelberg, Recueil 17, 158. Pap. Turin 19, 2.

[١٦٦] راجع: A. S., III, p. 27, 28.

[١٦٧] راجع: Naville Festival Hall of Osorkon II, pl. XXIII (sed feast).

[168] راجع: Legrain Stat II, Go 42144 pl. VI.

[169] راجع: Legrain Ibid. 42143,42142 & J. E. A., XVI, p. 31 ff.

[170] راجع: Prsse, Monuments XI, 5.

[171] راجع: Le febure, L'Arbre Sacré D'Heliopolis in Sphinx V, p. 6.

[172] راجع: A. S. XLII, p. 359–63.

[173] راجع: Gardiner Onomastica II, p. 171, 199, 278 ff.

[174] راجع: J. E. A. V, 127 ff; 179, 242 ff.

[175] راجع: J. E. A. XIX, 122 ff.

[176] راجع: Kemi IV, p. 199.

[177] راجع: A. S., XXX, p. 31 ff.

[178] راجع: W. C. Hayes, Papers of the Metropolitan Museum of New York No 3 (1937).

[179] راجع: J. E. A., XXV.

[180] راجع: Gardiner, Onomastica II, p. 174; J. E. A., V, p. 131.

[181] راجع: Gardiner, Onomastica II, p. 279.

[182] راجع: Sethe, A. Z., XXVI (1898) p. 64.

[183] راجع: Orientalistische. Literaturzeitung Band IV Col. 9.

[184] راجع: Ed. Meyer. Gesch II, I p. 139.

[185] راجع: Les Obelisques de Ramses II, Kemi V (1936) pl. XXIII.

[186] راجع: Sharpe Egyptian Inscreptions II, 60.

[187] راجع: L. D. III, 148 a.

[١٨٨] راجع: Ausfuhrliches Verzeichnis des Berliner Museum 40.

[١٨٩] راجع: Mariette, Mon. Div. V, 70 No. 17 = L. D. Text. IV, 125 (b).

[١٩٠] راجع: L. D. III, 175; Brugsch. Thesaurus V, 1127; Champ. Notices I, 252.

[١٩١] راجع: Champ. Notices I, 162; Sharpe Egyptian Inscriptions II, 58; L. D. texte IV, 175, Brugsch Recueil II 83, 3.

[١٩٢] راجع: Brugsch Thesaurus V, p. 1128.

[١٩٣] راجع: Champ. Monuments. p. 116.

[١٩٤] راجع: Champ. Ibid. p. 115.

[١٩٥] راجع: Champ. Ibid. 118; Brugsch Recueil des Mon. II, 83.

[١٩٦] راجع: Onomastica II, p. 173.

[١٩٧] راجع: Mariette Monuments Divers 71 No. 33.

[١٩٨] راجع: L. D., III, 174 d.

[١٩٩] راجع: Temples of Armant (Text) pl. 163.

[٢٠٠] راجع: Ibid p. 163.

[٢٠١] راجع: Naville, The Festival Hall of Osorkon II E. E. S. Tenth Memoire, London (1892) pl. II, & p. 11.

[٢٠٢] راجع: Gardiner & Peet Sinai pl. LXX, No. 256.

[٢٠٣] راجع: Ibid, pl. LXIX No. 254.

[٢٠٤] راجع: Ibid. pl. LXX, No. 253.

[٢٠٥] راجع: Ibid. pl. LXX No. 255.

[٢٠٦] راجع: Ibid. pl. LXXI; 258 & pl. LXIX, No. 257.

[٢٠٧] راجع: Ibid. pl. LXIX, 257.

[٢٠٨] راجع: Ibid. pl. LXXI, No. 260.

[٢٠٩] راجع: Ibid. pl. LXVIII, No. 250.

[٢١٠] راجع: Ibid. pl. LXXII, No. 263.

[٢١١] راجع: Ibid. LXXII, No. 263 & No. 264.

[٢١٢] راجع: Weil Recueil Inscription Sinai 126–9.

[٢١٣] راجع: A. S. V, p. 114-115.

[٢١٤] راجع: Ibid. p. 116.

[٢١٥] راجع: Ibid. p. 121.

[٢١٦] راجع: Ibid. p. 121.

[٢١٧] راجع: L. D. Texte I, 3.

[٢١٨] راجع: L. D. III, 142 ac.

[٢١٩] راجع: Daressy Statues de Divinités Cat. Cairo pl. II, p. 266.

[٢٢٠] راجع: Briccia Alexandrea. Ad Aegyptum (1922) p. 152.

[٢٢١] راجع: Porter & Moss IV, p. 5.

[٢٢٢] راجع: Petrie, Nebesheh in Tanis pl. 1 i.

[٢٢٣] راجع: Ibid pl. X,7.

[٢٢٤] راجع: Murry Guide to Egypt. p. 146.

[٢٢٥] راجع: A. S. V, p. 129.

[٢٢٦] راجع: Gardiner Naukratis II, 78, 82.

[٢٢٧] راجع: Montet. Tanis p. 20.

[٢٢٨] راجع: Montet Tanis p. 20.

[٢٢٩] راجع: Naville Goshen, 5; Porter and Moss IV p. 11.

[٢٣٠] راجع: Porter & Moss IV, p. 14.

[٢٣١] راجع: Roeder. Ramses Als Gott in A. Z. LXI, pl. IV, (3), pl. V, 3, 4 & p. 59, 62, 63.

[٢٣٢] راجع: Roeder. Ibid. p. 65.

[٢٣٣] راجع: Naville Bubastis pl. XXXVIII, (B) p. 40-1.

[٢٣٤] راجع: Ibid. p. 38-9.

[٢٣٥] راجع: Ibid. pl. XXXVI (E) pp. 39–4.

[٢٣٦] راجع: Tanis. p. 12.

[٢٣٧] راجع: Naville Ibid. p. 60–62.

[٢٣٨] راجع: Naville Ibid. p. 18.

[٢٣٩] راجع: Tanis. p. 26.

[٢٤٠] راجع: Naville, Ahnas el Medineh p. 31.

[٢٤١] راجع: A. S., XIII, p. 123 (1–5).

[٢٤٢] راجع: Gardiner. A. Z. L. 1, pl. IV, p. 49 ff..

[٢٤٣] راجع: A. S., XI, p. 165 ff..

[٢٤٤] راجع: Ibid. p. 278.

[٢٤٥] راجع: A. S., XI, p. 277.

[٢٤٦] راجع: Roeder, Agyptische Insch. Berlin Museum II, 236.

[٢٤٧] راجع: Desc. de L’Egypte Antique, V, pl. 29 (6–8) cf Texte V, p. 146.

[٢٤٨] راجع: Tanis. p. 15-16.

[٢٤٩] وقد ظن هذا الأثري أن هذا المعبد هو مجدل (برج) مقلد من حصون سوريا، وأنه المجدل الذي مر بجواره الإسرائيليون قبل أن يصلوا إلى «بلسفون»، والواقع أن المبنى الذي كشف عنه لا يخرج عن أنه معبد مصري عادي.

[٢٥٠] راجع: Petrie. Hykos & Israelite Cities pls. XXIX, XXXI, p. 31 & pl. XXXII, p. 30.

[٢٥١] راجع: Petrie Ibid. pl. XVI & p. 8.

[٢٥٢] راجع: Naville, Mound of the Jews & Griffith Tell el Yahudiyeh pl. XXI (10, 11) & p. 66.

[٢٥٣] راجع: Montet Tanis p. 9 ff.

[٢٥٤] راجع: Petrie. Heliopolis pl. III, p. 6. (13).

[٢٥٥] راجع: Griffith Tell el Yahudiyeh in Naville Mound of the Jews p. XXI, p. 65.

[٢٥٦] راجع: L. D. Texte I, p. 5.

[٢٥٧] راجع: Petrie. Ibid. pl. V, (27–9) p. 6.

[٢٥٨] راجع: Petrie. Ibid. pl. VIII, p. 7.

[٢٥٩] راجع: Vyse, Operations Carried at the Pyramids in 1837 Vol. III, p. 117.

[٢٦٠] راجع: Br. A. R. III, § 224 & Spiegelberg Rec. Trav. 17 p. 158.

[٢٦١] راجع: Br. A. R. III, § 224 & Spiegelberg Rec. Trav. 17 p. 158.

[٢٦٢] راجع: Budge, Guide to Sculptures (1909) pp. 163-4, L. D. Texte I, p. 221.

[٢٦٣] راجع: A. S., XIII, p. 281.

[٢٦٤] راجع: Roeder, Aegyptische Inschriften aus den Koniglicher Museen Zu Berlin II, pp. 28 ff.

[٢٦٥] راجع: Speelers. Rec. des Inscrip. Egyp. p. 66.

[٢٦٦] راجع: Petrie, Ehnasya. pp. 9-10.

[٢٦٧] راجع: Porter & Moss IV, p. 118.

[٢٦٨] راجع: Borchardt, Stat. Cat. Cairo II, pl. 99. p. 131.

[٢٦٩] راجع: A. S., XVII, pp. 36–8.

[٢٧٠] راجع: Porter & Moss. IV, p. 129.

[٢٧١] راجع: Maspero, Guide (1914) pp. 4-5, 151.

[٢٧٢] راجع: Roeder, Hermopolis (1929-30) pls. XV (b), XVI (b), XVII (b) p. 95, 109.

[٢٧٣] راجع: Gayet. L'Exploration des Ruines. D'Antinœ et La Decouverte d'un Temple de Ramses II, Ann. Mus. Guimet XXX, 2[m] pattie (19–48); & Johnson. J. E. A., I, p. 173, pl. XXIII.

[٢٧٤] راجع: Rock Tombs of Shiekh Said, pp. 149 ff. fig. I.

[٢٧٥] راجع: Chronique D'Egypte July 1931. pp. 237–43.

[٢٧٦] راجع: Chronique D'Egypte July 1930. p. 224.

[٢٧٧] راجع: Petrie & Quibell, Nagada & Ballas pl. LXXV, p. 67-8.

[٢٧٨] راجع: Rec. Trav. IX, p. 100.

[٢٧٩] راجع: Porter & Moss V, p. 132.

[٢٨٠] راجع: Maspero, Guide 1914 p. 159 (592); & Borchardt Stat. Cat. II, pl. 93.

[٢٨١] راجع: Petrie, Koptos pl. XVII (1) p. 15.

[٢٨٢] راجع: Champ. Notices Desc. II, 290.

[٢٨٣] راجع: Rapport Sur les Fouilles de Medamoud (1929) p. 117; & 1931 & 1932 fig. 36 p. 5 ff.

[٢٨٤] راجع: Porter & Moss V, p. 37.

[٢٨٥] راجع: Guide, (Cairo Museum) A Brief Description of the Principal Monuments (1932) p. 19.

[٢٨٦] راجع: Rec. Trav. XIX, p. 14.

[٢٨٧] راجع: J. E. A., Vol. VIII, p. 24 ff.

[٢٨٨] راجع: Porter & Moss V, p. 175.

[٢٨٩] راجع: L. D., III, 174 a cf. Text IV, p. 40.

[٢٩٠] راجع: J. E. A. VIII, p. 18; Porter & Moss V, p. 187-8.

[٢٩١] راجع: Champ. Mon. C VII; L. D. III, 17 e.

[٢٩٢] راجع: Porter & Moss V, p. 210.

[٢٩٣] راجع: Griffith, Notes on a Tour in Upper Egypt in P. S. B. A. XII, p. 49.

[٢٩٤] راجع: Champ. Notices Desc. IV, p. 124.

[٢٩٥] راجع: L. D. Texte IV, p. 124.

[٢٩٦] راجع: Budge, Guide to Sculp. (1909) p. 161.

[٢٩٧] راجع: L. D. III, p. 52.

[٢٩٨] راجع: Champ. Notices I, 230.

[٢٩٩] راجع: De Morgan, Mon. 96 (153), 48 (8).

[٣٠٠] راجع: Lanzone, Turin. Cat. No. 1380.

[٣٠١] راجع: Marieite Abydos II, pl. 14 p. 10.

[٣٠٢] راجع: L. D. III, 179 b-d.

[٣٠٣] راجع: A. Z., XLIV, p. 30–5.

[٣٠٤] راجع: Baedeker's Egypt (1929) p. 344.

[٣٠٥] راجع: Chronique d'Egypte No. 33 Janv. 1924 p. 74.

[٣٠٦] راجع: Gauth. L. R. III, 96-97.

[٣٠٧] راجع بعض آثار هذه الملكة في Porter & Moss V, p. 74, 210, 217, 246.
راجع: The Queens of Egypt pp. 151 ff..

[٣٠٨] راجع: Ancient Egypt (1925) pp. 100–104.

[٣٠٩] راجع: Petrie. History of Egypt III, p. 35, 83.

[٣١٠] راجع: A. S. II, 194.

[٣١١] راجع: The Coregency of Ramses II with Seti I, p. 34–8.

[٣١٢] راجع: Petrie, Hist. III, p. 84.
راجع: Champ. Notices Desc. II, 122, 132, & Brugsch Recueil Mon. I, pl. 29 & Br. A. R §. 350.

[٣١٣] راجع: Champ. Monuments p. 14.

[٣١٤] راجع: Pierret. Louvre Catal. Historique 633.

[٣١٥] راجع: De Morgan. Cat. Mon. I, p. 41 (186).

[٣١٦] راجع: Schiaparelli. Cat. Florence p. 332, 333.

[٣١٧] راجع: Brugsch Recueil I, V, 2 Col. 2; A. Z. XXIII, p. 80.

[٣١٨] راجع: Mariette Serapeum p. 13.

[٣١٩] راجع: Newberry, Scarabs pl. XXXV, No. 20 p. 182.

[٣٢٠] راجع: Petrie, Hist. III, p. 35.

[٣٢١] راجع: A. S. XLI, p. 21 ff..

[٣٢٢] راجع: A. S., XVI, p. 255.

[٣٢٣] راجع: Maspero, The Struggle of the natiors p. 426.

[٣٢٤] راجع: Petrie Medum pl. XX.

[٣٢٥] راجع: Mariette, Serapeum III, 10, 11, 13.

[٣٢٦] راجع: Mariette, Monuments Divers 36 d.

[٣٢٧] راجع: Budge, Egyptian Sculptures in the British Museum pl. XXXVI, p. 170 & Studies Presented to Griffith p. 128 ff..

[٣٢٨] راجع: Ancient Egypt (1930) p. 65 ff..

[٣٢٩] راجع: Griffith. The Story of the High Priests of Memphis.

[٣٣٠] راجع: The Struggle of the Nations p. 425 Note 5.

[٣٣١] راجع: Wiedemann, Aegyptische Gesch. 464 ff..

[٣٣٢] راجع: Leyden: Aegyp. Monuments p. 179; Chabas Melanges Egypte I, 3.

[٣٣٣] راجع: L. D. III, 166; Br. A. R. III, 361.

[٣٣٤] راجع: Naville, Bubastis p. 43.

[٣٣٥] راجع: L. D. III, p. 168.

[٣٣٦] راجع: Ibid, 168; Champ. Notices II, 123.

[٣٣٧] راجع: Rec. Trav. XVI, p. 31. & p. 65.

[٣٣٨] راجع: Rec. Trav. Ibid. p. 31.

[٣٣٩] راجع: Mariette Abydos I, 4.

[٣٤٠] راجع: Schiaparelli. Cat. Florence p. 430 ff.

[٣٤١] راجع: De Morgan, Cat. Mon. I, p. 41 (182).

[٣٤٢] راجع: L. D., Texte p. IV, 85.

[٣٤٣] راجع: Chronique, D'Egypte No. 33 Jan. 1942 p. 75 fig. 3.

[٣٤٤] راجع: L. D., III, 168.

[٣٤٥] راجع: Rec. Trav. XIV, p. 31.

[٣٤٦] راجع: Mar. Abydos I, p. 4.

[٣٤٧] راجع: Rec. Trav. XVI, p. 64.

[٣٤٨] راجع: Ibid. p. 65.

[٣٤٩] راجع: Fraser, Scarabs, 310.

[٣٥٠] راجع: Newberry. pl. XXXV, No. 19 p. 182.

[٣٥١] راجع: L. D., III, p. 179; Mar. Abydos I, p. 4.

[٣٥٢] راجع: Legrain Stat. I, p. 4, 5 pl. II.

[٣٥٣] راجع: Petrie Hist. III, p. 37.

[٣٥٤] راجع: Newberry Scarabs pl. XXXV, No. 2 p. 182.

[٣٥٥] راجع: L. D. III, p. 174 e.

[٣٥٦] راجع: Ibid p. 175 h.

[٣٥٧] راجع: L. D. III, p. 186.

[٣٥٨] راجع: Lepsuis Konigsbuch, XXII.

[٣٥٩] راجع: Petrie Hist. III, p. 37.

[٣٦٠] راجع: Porter & Moss I, p. 48; Gauthier L. R. III, pp. 102-3.

[٣٦١] راجع: L. D. III, p. 168.

[٣٦٢] راجع: L. D. III, p. 184.

[٣٦٣] راجع: Rec. Trav. XVI, p. 32.

[٣٦٤] راجع: L. D. III, p. 174.

[٣٦٥] راجع: Porter & Moss I, p. 47 No. 68.

[٣٦٦] راجع: Lepsius Konigsbuch, XXII.

[٣٦٧] راجع: Rec. Trav. XVI, p. 32.

[٣٦٨] راجع: L. D. III, p. 186.

[٣٦٩] راجع: L. D. III, p. 184.

[٣٧٠] راجع: Rec. Trav. XI, p. 81.

[٣٧١] راجع: Gauth. L. R. III, p. 106; Porter & Moss I, p. 45.

[٣٧٢] راجع: Champ. Monuments 114, 121.

[٣٧٣] راجع: Baedeker’s Egypt p. 377.

[٣٧٤] راجع: L. D. III, p. 184.

[٣٧٥] راجع: Pierret. Louvre Catalogue Sall. Historique 547.

[٣٧٦] راجع: L. D., III, 184–6.

[٣٧٧] راجع: Petrie History III, p. 38 نذكر منهن على حسب الترتيب: (١٣) «حتحور بنتأتت»، (١٤) «رنبت نفر» (١٥) «مرينسخت» (١٦) ... (راجع Rec. Trav. XVI, 32) (١٧) «موت تويا» (وقد وجد لها قطع من تمثال في معبد أوزير بالعرابة راجع Arundale & Boromi Gallery XXXIX) (١٨) «مري بتاح» (١٩) «بارع رنبت نفر» (راجع Rec. Trav. XVI, p. 32). وغير ذلك من الأسماء التي جاءت من غير ترتيب.

[٣٧٨] راجع: Champ. Notices Desc. p. 520 ff; L. D. Texte III, 254.

[٣٧٩] راجع: Weil, Die Viziere pp. 89–92; Rec. Trav. XIV, pp. 172–4.

[٣٨٠] راجع: Lefebvre, Histoire des Grands Pretres pp. 136-137.

[٣٨١] راجع: Dumichen. Hist. Insch. II,pl XLIII.

[٣٨٢] راجع: L. D. pl. 132 r.

[٣٨٣] راجع: Champ. Notices Desc. II, pp. 520–26 & Schiaparelli Funerali. p. 298 (XXV) b.

[٣٨٤] راجع: Champ. Notices Desc. II, p. 544; Porter & Moss V, p. 210.

[٣٨٥] راجع: De Morgan. Cat. Mon. I, 97, 173.

[٣٨٦] راجع: L. D. III, 114, e, f, h. Corrected in L. D. Texte V, 179-180.

[٣٨٧] راجع: J. E. A. Vol. XXI, p. 147-148.

[٣٨٨] راجع: A. Z., 67, pp. 2 ff..

[٣٨٩] راجع: A. Z., Ibid. p. 8.

[٣٩٠] راجع: Weil, Die Viziere des Pharaonen pp. 94-5.

[٣٩١] راجع: Rosellini, Mon. d. Culto XXXII (4).

[٣٩٢] راجع: A. S., IX, p. 108.

[٣٩٣] راجع: A. Z., 70 pp. 47 ff.

[٣٩٤] راجع: Mariette Abydos No. 1138.

[٣٩٥] راجع: Sedment II, 28 Tomb B, 201.

[٣٩٦] راجع: Ibid. pl. 84.

[٣٩٧] راجع: Petrie, Abydos II, 45, pl. 37.

[٣٩٨] راجع: Rec. Trav. 32, p. 35 ff.

[٣٩٩] راجع: L. D. III, 191 ff.
راجع: L. D. III, 189 e.

[٤٠٠] راجع: L. D. III, 191 n.

[٤٠١] راجع: L. D. III, 200 a.

[٤٠٢] راجع: Ibid. 200. c.

[٤٠٣] راجع: A. Z., 61, pp. 62-3.

[٤٠٤] راجع: Weil, Die Viziere p. 96 ff.

[٤٠٥] راجع: Brugsch Thesaurus V, 950-1.

[٤٠٦] راجع: Rénouf. P. S. B. A., XIV, p. 163.

[٤٠٧] راجع: Ibid. 163.

[٤٠٨] راجع: Weil Die Viziere pp. 99–101.

[٤٠٩] راجع: Petrie & Brunton Sedment pp. 28–31, Plan id, ib. pl. XXXIV, Upper Left.

[٤١٠] راجع: Rec. Trav. XXX II, p. 36.

[٤١١] راجع: Legrain Stat. II, pp. 32, 33, pl. XXIX.

[٤١٢] راجع: Northampton, Spiegelberg & Newberry Theban Necropolis p. 39 fig. 31 pl. XVII.

[٤١٣] راجع: Brugsch Thesaurus p. 1128.

[٤١٤] راجع: Rec. Trav. XXVI, p. 219 Note 3.

[٤١٥] راجع: Brugsch Thesaurus 1128.

[٤١٦] راجع: Legrain Stat. pl. XXIX.

[٤١٧] راجع: Legrain Ibid. pl. XXX.

[٤١٨] راجع: Weil Die Viziere p. 102.

[٤١٩] راجع: G. W. Catalogue No. 157.

[٤٢٠] راجع: A. S., XXX, p. 35.

[٤٢١] راجع: Champ. Notices I, p. 535; L. D., texte III, p. 239; & A. Z. (1907) Vol. XLIV, p. 30 ff.

[٤٢٢] راجع: Legrain B. I. F. A. O. T. XII, (1917) pl. III, 4.

[٤٢٣] راجع: A. Z. 58, p. 54.

[٤٢٤] راجع: Sethe A. Z., 44 p. 30.

[٤٢٥] راجع: Sethe A. Z., 44 p. 30.

[٤٢٦] راجع: Petrie, Qurneh 1909 pl. XXXIII & XLVI, p. 18.

[٤٢٧] راجع: Porter & Moss I, p. 147.

[٤٢٨] راجع: Brugsch Thesaurus p. 951–6.

[٤٢٩] راجع: Lefebvre Histoires Des Grands Pretres 250 ff.

[٤٣٠] راجع: Legrain. cat. gen. Statues. II. No. 42156.

[٤٣١] راجع: Mariettes Monuments Divers pl. 72 No. 49 & p. 24; Brugsch Thesaurus 1215.

[٤٣٢] راجع: Histoires des Grands Pretres D’Amon de Karnak p. 127 Note 2.

[٤٣٣] راجع: A. S., XL, p. 507 & Ibid. p. 639.

[٤٣٤] راجع: Brugsch Thesaurus p. 1240, Br. A. R. III § 561 ff.

[٤٣٥] كان تمثال الإله يوضع في سفينة صغيرة في محراب فيها، ثم يوضع في قدس الأقداس بالمعبد.

[٤٣٦] راجع: Legrain. Cat. Gen. II, No. 42185-6.

[٤٣٧] راجع: L. D. III, p. 237.

[٤٣٨] راجع: Legrain Cat. Gen. No. 42185 42186; Lefbvre Inscrip No. 10.

[٤٣٩] راجع: Erman A. Z. XVII, p. 72; Peet. J. E. A. Vol. X, p. 118 & Bahor. A. S. XLVIII, p. 477.

[٤٤٠] راجع: Histoire des Grands Pretres p. 248-9, 255.

[٤٤١] راجع: Ibid. p. 247.

[٤٤٢] راجع: Ibid. p. 25 note 3.

[٤٤٣] المقصود هنا أن اليد كانت تستعمل لاستمناء الرجل، كما استعمل الإله «آتوم» يده في إحدى الروايات عند برء الخليقة.

[٤٤٤] راجع: G. W. Cat. No. 126 & L. D. Texte III, 249.

[٤٤٥] راجع: G. W. Cat. No. 183.

[٤٤٦] راجع: Engelbach Supplement to Topographical Catal. of private Tombs No 257.

[٤٤٧] راجع: L. D. Texte III, p. 25.

[٤٤٨] راجع: Lanzone. Cat. Turin 1465.

[٤٤٩] راجع: G. W. Cat. No. 170.

[٤٥٠] راجع: Porter & Moss I, p. 138.

[٤٥١] راجع: Petrie Hist. III, p. 97.

[٤٥٢] راجع: Petrie Abydos I, p. 45 pl. LXVII.

[٤٥٣] راجع: Budge, Guide to Sculptures p. 169.

[٤٥٤] راجع: Porter & Moss I, p. 143; & A. S. VI, 84.

[٤٥٥] راجع: Rec. Trav. IX, p. 51.

[٤٥٦] راجع: Petrie Hist. III, p. 97.

[٤٥٧] راجع: Ibid. III, p. 98.

[٤٥٨] راجع: Rec. Trav. IX, p. 51.

[٤٥٩] راجع: Engebach. Ibid. No. 263.

[٤٦٠] راجع: Rec. Trav. II, p. 151.

[٤٦١] راجع: Borchardt Stat. II, p. 117-18.

[٤٦٢] راجع: Speelers. Rec. Insc à Bruxcelles p. 67.

[٤٦٣] راجع: Meux Budge Egyp. Antiq in the Possession of Lady Meux p. 105.

[٤٦٤] راجع: Lanzone. Cat. Turin 1465.

[٤٦٥] راجع: Pierret Rec. Insc. Louvre II, 11.

[٤٦٦] راجع: Brugsch Thesaurus p. 953 ff.

[٤٦٧] راجع: Legrain. Rec. Trav. XXXI, p. 201; Weil, Die Viziere p. 100 ff. حيث قد ذكر سلسلة نسب هذه الأسرة وارتباط بعضها ببعض في حين تجد لجران يناقضه في ذلك.

[٤٦٨] راجع: Petrie Hist. III, p. 90.

[٤٦٩] راجع: Rec. Trav. XXXI, pp. 204-5.

[٤٧٠] راجع: Ibid. p. 213.

[٤٧١] راجع: Boreux, Guide-Cat. I, p. 82-3. C. 218.

[٤٧٢] راجع: Les Nouvelles Fouilles, D'Abydos p. 169 & 172.

[٤٧٣] راجع: Pierret, Recueil D'Insc. II, p. 54.

[٤٧٤] راجع قائمة النسب التي نشرها الأثري «فيل» في كتابه عن وزراء مصر Weil, Die Viziere p. 100.

[٤٧٥] راجع قائمة النسب التي نشرها الأثري «فيل» في كتابه عن وزراء مصر Weil, Die Viziere p. 100.

[٤٧٦] راجع: Rec. Trav. XXXI, p. 209.
راجع: P. S. B. A. (1901) p.13.

[٤٧٧] راجع: Brugsch. Thesaurus p. 951–5.

[٤٧٨] راجع: Petrie Hist. III, p. 95.

[٤٧٩] راجع: Rec. Trav. XXIV, p. 164.

[٤٨٠] راجع: Rec. Trav. XXXI, p. 31.

[٤٨١] راجع: Amelieneau Nouvelles Fouilles p. 40.

[٤٨٢] راجع: Rec. Trav. Ibid. p. 32.
راجع: Rec. Trav. XXXI, p. 33.

[٤٨٣] راجع: Petrie Hist III, p. 102.

٤٨٤ راجع: Petrie Abydos II, p. 36, 45 pl. XXXVII.

٤٨٥ راجع: Borchardt. Stat. IV; 1141 p. 78.

٤٨٦ راجع: Newberry Scarabs pl. XXXV, No. 18 p. 182.

٤٨٧ راجع: Lieb. Dic. Noms, No. 967; Mariette. Cat. Abydos No. 1128.

٤٨٨ راجع: A. Z., XVII, p. 72.

٤٨٩ راجع: Ibid. p. 72.

٤٩٠ راجع: Lieblein Dic. Noms. No. 2130.

٤٩١ راجع: Ibid. No. 2130.

٤٩٢ راجع: Mariette Serapium III, 10.

٤٩٣ راجع: Lieblein, Dic Noms. 811.

٤٩٤ راجع: Lanzone. Cat. Turin 1572.

٤٩٥ راجع: Roeder. Berlin Insch. II, No. 2297.

٤٩٦ راجع: Lieblein, Ibid. No. 883.

٤٩٧ راجع: Mariette, Ibid. III, p. 18.

٤٩٨ راجع: Petrie Hist. III, p. 100.

٤٩٩ راجع: Mariette, Ibid III, p. 18.

٥٠٠ راجع: Porter & Moss Memphis p. 192.

٥٠١ راجع: Porter & Moss. III, p. 193.

٥٠٢ راجع: Ibid. p. 193.

٥٠٣ راجع: Chassinat. Rec. Trav. XXI, p. 72-3.

[٥٠٤] راجع: Ibid. p. 72.

[٥٠٥] راجع: Leiblein Dic. Noms. No. 890.

[٥٠٦] راجع: Bruyere, Fouilles de Dier el Medineh (1923-4) p. 61–4, G. W. Cat. No. 10 L. D. Texte III, p. 290.

[٥٠٧] راجع: L. D. III, p. 173 c.

[٥٠٨] لم يزَل الثعبان يعد عند العامة حارس البيت، ويعتقد البعض أن لكل بيت ثعبانًا حارسًا.

[٥٠٩] الواقع أن فكرة التوحيد كانت في مصر منذ القدم، أما الآلهة الأخرى التي نشاهدها فتعادل في معتقدنا «المشايخ».

[٥١٠] راجع: Bruyere, Fouilles de Dier el Medineh 1923-4 p. 21.

[٥١١] راجع: Rec. Trav. II, p. 197-8.

[٥١٢] راجع: Ibid. p. 171-2 & 188.

[٥١٣] راجع: Porter & Moss I, p. 55; G. W. Cat. No. 7.

[٥١٤] راجع: P. S. B. A., VIII, p. 229.

[٥١٥] راجع: A. Z. 45. P. 85.

[٥١٦] راجع: Fouilles de Dier el Medineh (1923-4) p. 46.

[٥١٧] راجع: Rec. Trav. II, p. 180–2.

[٥١٨] راجع: G. W. Cat. No. 4.

[٥١٩] راجع: L. D. III, 2, a; Champ. Notices p. 864–6.

[٥٢٠] راجع: Bruyère Fouilles 1224-5 p. 179 ff; figs 120–2; Porter & Moss I, p. 55.

[٥٢١] راجع: Rec. Trav. II, p. 188.

[٥٢٢] راجع: Ibid. p. 196.

[٥٢٣] راجع: Budge, Guide to Sculptures p. 168 (609).

[٥٢٤] تشمل مقبرة هذا الموظف عدة مناظر طريفة تقدم لنا صورة عن هذا العصر وقد آثرنا التوسع في وصفها وقد كتب عنها ديفز مقالًا ممتعًا (راجع The Tomb of Apy. Two Ramesside Tombs at Thebes p. 33 ff.).

[٥٢٥] ومن الطريف أننا نجد ما يشبه ذلك في الأرياف الآن، إذ نشم رائحة اللحم المطبوخ في أيدى بعض الأشخاص الذين أكلوه ولم يغسلوا أيديهم عمدًا ليعرف من يخالطهم أنهم أكلوا لحمًا.

[٥٢٦] راجع: Davies & Gardiner. The Tomb of Amenemhet., p. 50 ff.

[٥٢٧] وتوجد «في متحف تورين» ورقة عليها مصور جغرافي بـ «وادي الحمامات»، وما فيها من مناجم لقطع الأحجار، غير أنها مما يؤسف له ممزقة، ولكن ما بقي منها يدلنا على أنها خاصة بقطع الأحجار في «وادي الحمامات» (راجع A. S. XXXVIII, p. 133 fig. 12).

[٥٢٨] ومما تجدر ملاحظته هنا أن العلاقة بين العجل «أبيس»، والإله «بتاح» إله الأرض، وكذلك العلاقة بين العجل «منفيس»، وإله الشمس كانت مختلفة؛ فلم نجد قط الإله «بتاح» مصورًا في صورة عجل، أو كان يعتقد أنه يتقمص عجلًا، بل كل ما نعرفه أن العجل أبيس كان يسمى «أبيس» الحي حاجب «بتاح»، ومن يحمل الصدق إلى أعلى لصاحب الوجه الجميل، وكذلك كان العجل «مرور» (منفيس) كان يحمل لقبًا مماثلًا بالنسبة لرع (راجع H. Frankfort, Ancient Egyptian Religion p. 10).

[٥٢٩] راجع: Brugsch Thesaurus p. 1243.

كهنة معابد الفراعنة

(١) نفرر نبت

الكاهن الأكبر لمعبد الفرعون «تحتمس الأول» (راجع Petrie. Hist. III, p. 92).

(٢) بانحسي

كاهن تمثال «أمنحتب الأول» في الردهة الأمامية، قبره في جبانة «ذراع أبو النجا» (راجع G. W. Cat. No. 16)، ولدينا بعض مناظر طريفة في قبره منها؛ منظر ثيران تدرس القمح، ويرى المتوفى وهو جالس على كرسي يلاحظ العمل مرتديًا ثوبًا أبيض فضفاضًا، وقد وضع على رأسه الحليق ثوبًا مطويًّا ليحميه من حرارة الشمس (راجع Wresz. I, pl. 72) وكذلك يرى كاهن مطهر يحرث الأرض بزوج من الثيران قد برك على الأرض، واحد منهما يضربه شخص بعصا لينهض، وخلف الكاهن تسير زوجه ناثرة بذور القمح وراء المحراث من سلة تحملها، وقد غطت شعرها بقطعة نسيج بيضاء وقاية من التراب الذي يثيره المحراث، وحفظًا من حرارة الشمس، وأسفل هذا المنظر منظر آخر فيه رجال يقطعون أشجارًا (Wresz. I, Pl. 112.)، كما يشاهد «بانحسي»، وروحه الذي صور في هيئة طائر برأس إنسان يتسلمان الشراب والطعام من الإلهة «نوت» (الإلهة التي تسكن الجميزة وقد خرجت من الشجرة)، وخلفهما تل يمثل الجبانة، وقد هشم، ولم يبقَ من رسومه إلا لوحتان على اليمين وعلى اليسار، ونفهم من الرسوم الباقية أن البقرة «حتحور» كانت ممثلة خارجة من التل، ولكن لم يبقَ من رسمها إلا جزء من الريشتين اللتين كانتا على رأسها، وتحت هذا المنظر يرى مدخل معبد الإله «آمون رع»، وعلى جانبيه البرجان، وفي الجهة اليسرى نصبت موائد قربان عليها الخبز والطيور، وبينها وضعت الأزهار، وفوق ذلك كتب اسم المتوفى وألقابه (راجع Wresz. I, pl. 113).

(٣) خنسو

الكاهن الأول للفرعون «من خبررع» (تحتمس الثالث)، وقبره في جبانة «شيخ عبد القرنة» رقم ٣١ (راجع G. W. Cat No. 31)، ونقوش هذا القبر لها أهمية عظيمة، وبخاصة

سلسلة النسب التي دونها على جدرانه، ومنها نعلم أن ابنه «وسرمنت» كان يشغل منصب الوزارة على ما يظهر في عهد «مرنبتاح» بن «رعمسيس الثاني»، وتدل النقوش على أن «خنسو» هذا قد تزوج من خمس سيدات، وترك وراءه منهن أسرة عظيمة العدد، وكانوا يشغلون وظائف عالية في المعابد، وفي أعمال الحكومة، وقد صور لنا في قبره استقبال تمثال سيده «تحتمس الثالث» في معبده الجنازي (راجع Wresz. I. pl. 129).

وتدل شواهد الأحوال على أن هذا القبر كان في الأصل لموظف آخر يحمل لقب المشرف على الماشية في عهد «تحتمس الرابع»، ولكن اغتصبه فيما بعد «خنسو» هذا الذي نحن بصدده بوضع طبقة من الجص على النقوش الأصلية، وكانت هذه عادة شائعة في ذلك الوقت شاهدناها في بعض المقابر، وبخاصة مقبرة «تحوتي محب» الذي سنتكلم عنه فيما بعد — ولا غرابة في ذلك فالناس على دين ملوكهم، وقد ترك لنا «خنسو» في قبره المغتصب قائمة بأسماء أزواجه وأولاده (راجع Schiaparelli Funeralli II, 292-3; Weil Die. Viziere p. 103). وهاك أسماء أزواجه وما تناسل منهن:

- (١) **«ريا»:** زوجه، وقد رُزقت منه ما يأتي:
  - **وسر منتو:** الكاهن المطهر، والمرتل للإله «منتو».
  - **وسر منتو:** الكاهن الأول للإله «سبك».
  - **تاي:** الكاهن الأول للفرعون «تحتمس الأول».
  - **إوي:** الكاهن الأول للفرعون «تحتمس الأول».
  - **منتوحتب:** الكاهن المرتل للفرعون «أمنحتب الثاني».
  - **وسر منتو:** رئيس إصطبل بيت رب الأرضين.

  أما بناته فهن:

  - **وياي:** مغنية «آمون».
  - **ويا:** مغنية الإله «منتو».
  - **تاوسرت:** مغنية الإله «آمون».

- (٢) **«تاوسرت»:** زوجته الثانية، وتحمل لقب مغنية «منتو»، وأولادها هم:
  - **خنسو:** الكاهن الأول للإله «منتو» سيد زرتي (الآلهة).
  - **تنتي أبونت:** ابنتها، وتلقب مغنية «منتو».
- (٣) **«معي»:** زوجه الثالثة مغنية «آمون»، وقد رزق منها «خعمواست» الكاهن الثاني للفرعون «تحتمس الثالث».
- (٤) **«معيا»:** زوجه الرابعة، وتحمل لقب مغنية «آمون»، وقد رزقت «وسر منتو» الأمير الوراثي، وحاكم المدينة، والوزير، وقد تقلد كرسي الوزارة في عهد الفرعون «مرنبتاح».

  «حوي»: كاهن «منتو» رب «أرمنت».

  «إي»: بنتها، وتلقب مغنية «آمون».
- (٥) **أما والدة «خنسو»:** صاحب المقبرة فتُدعى «تاوسرت» مغنية «منتو» رب «أرمنت».

  أما اسم والده فلم يُعرف بعد.

  هذا ونستخلص من سلسلة نسب أفراد هذه الأسرة، ووظائفهم أن عبادة الإله «منتو» كانت منتشرة مزدهرة في هذا العصر، وبخاصة في «أرمنت»، كما نستخلص أن ملوك الأسرة التاسعة عشرة كانوا محافظين على استمرار قيام الشعائر الدينية في معابد ملوك الأسرة الثامنة عشرة، وأن الذين كانوا يقومون بأدائها أسر خاصة، كما لاحظنا ذلك من قبل، اللهم إلا شواذ قليلة.

(٤) بكتنا

مغنية الفرعون «تحتمس الثالث» (راجع Lieb. Dic. Noms. No. 2052).

(٥) «تحوتي محب»[١]

المشرف على مصانع الملابس.

يقع قبر هذا الموظف في جبانة «شيخ عبد القرنة» رقم ٤٥، والواقع أنه قبر مغتصب من موظف آخر يُدعى «تحوتي» عاش في عهد الفرعون «أمنحتب الثاني» (راجع مصر القديمة جزء ٤).

ويعد هذا القبر من أهم الوثائق التصويرية التي في متناولنا للموازنة بين العهد الأول من الأسرة الثامنة عشرة، وبين عهد الرعامسة الأول من حيث العادات والأخلاق، والزي، والدين؛ إذ توجد على جدران هذا القبر صور بعض الفتيات الرشيقات اللائي مثلن قائمات بالخدمة في وليمة، وقد دل الفحص الدقيق على أن أجسامهن كانت في الأصل عارية، ثم كُسيت فيما بعد. وتدل شواهد الأحوال على ذلك مما تبقى من آثار الصور الأصلية قبل كسائها، وقد يظن الإنسان لأول وهلة أن هذا العمل قد قام به سكان هذه المقابر في العهد المسيحي عندما كان رجال الدين يتخذون هذه المقابر مأوى لهم، ويضعون طبقة من الملاط على الصور التي كانت تُعد خارجة عن حدود الوقار والحشمة، ولكن الواقع أننا لم نكن لنهتم بهذه التغييرات الجديدة لولا وجود سلسلة كبيرة منها دل الفحص على أنها قد عملت قديمًا عن قصد في عهد آخر من عهود التاريخ المصري القديم، وهو عهد «رعمسيس الثاني».

حقًّا وجدنا في عهد الدولة الحديثة فتيات صورن بملابس محبوكة تُجَسِّم تفاصيل الجسم، كما وجدنا صور فتيات عاريات في مناظر القبور؛ ولذلك يتساءل المرء: هل كان يوجد أناس في العهد المصري القديم يستحيون من رؤية هذه الأجسام العارية؟ وهل المنظر الذي أمامنا في هذا القبر يدل فعلًا على تقى القوم، وورعهم على الأقل في العهد الذي سترت فيه هذه الأجسام بطبقة من الألوان جعلتها تظهر مرتدية بملابس تدل على الحشمة والوقار؟ ولا نزاع في أنه لدينا أمثلة مشابهة للمنظر الذي أمامنا في غير هذا القبر، فعلًا تدل على الخلاعة التي كان يبرزها المثَّال في صوره، وهي التي كانت قد انعكست ظلالها على فكره وعقله من جراء الفتوح السورية، وما جرت على الفاتحين من أنواع الانهماك في التهتك والخلاعة، وقد قلدت ذلك فيما بعد الأسرة المالكة، فنجد أفرادها يمثلون الشعب في مظاهره وخلاعته في عهد «إخناتون». وقد استمر المثالون بضع عشرات السنين يقومون بتصوير مثل هذه الصور بما فيها من فن وإبداع، وإغراق في أنواع الخلاعة والبذخ، ولكن نجد من جهة أخرى أنه منذ عهد «أمنحتب الثالث» أخذ القوم ينحرفون بعض الشيء عن تمثيل مثل هذه الصور في ولائمهم التي كانوا يصورونها على جدران مقابرهم، وقد يكون السبب في ذلك هو الميل إلى التقى إلى أن جاء عهد «إخناتون»، وهز أركان الحياة الاجتماعية والسياسية من أساسها، وأخذ يُدخل على الفن تعاليم جديدة كلها تهدف إلى محاكاة الطبيعة في كل مظاهرها؛ ولذلك وجدنا روحًا جديدًا ظهر في نقوش المقابر وتصاويرها. وبعد انقضاء عهد هذا الفرعون نجد انقلابًا عظيمًا في مناظر المقابر

يميل بكليته إلى إظهار التدين والورع في جملته، ولم نجد إلا أمثلة قليلة فريدة من المناظر التي تمثل إقامة الحفلات التي تظهر فيها الفتيات والمغنيات، والراقصات عاريات (راجع Vandier D’Abadie Rev. D’Egypte 3 p. 27 ff & 31 pl. 4. Comp. Brunner. Traut Der Tanz in Alten Aegypten Aegyptologische Forschungen, Scharff. Heft 6. p. 47 note 1, p 82).

ومن ذلك الحين أصبحت تقدم عليها الموضوعات الأخرى التي نجد صورها في «كتاب الموتى»، وعلى جدران المعابد، ومقابر الملوك التي تدل على التدين والوقار، والآن يتساءل الإنسان؛ هل معنى ذلك أن اشتداد الروح الديني والتقى إلى حد بعيد وصل إلى قلب الصور القديمة التي من عهد «أمنحتب الثاني» إلى صور توافق عهد «رعمسيس الثاني»، ومثله في التدين؟ وسنحاول أن نُجيب على هذا السؤال من المناظر التي أمامنا في هذا القبر التي ترجع إلى عهدين مختلفين؛ لكل طرازه وتقاليده الخاصة، فهذا القبر — كما قلنا — يشمل مناظر مثلت على جدرانه لشخصين استولى الواحد منهما بعد الآخر عليه، ونسبه لنفسه، فصاحب القبر الأصلي كان يعمل كاتبًا في عهد «أمنحتب الثاني»؛ أي في العصر الذي كانت الإمبراطورية المصرية قد بلغت منتهى عزها وسلطانها، ويُدعى «تحوتي»، وكان — فضلًا عن ذلك — يعمل في معبد «آمون» في وظيفة رئيسية؛ إذ كان مدير بيت الكاهن الأول لـ «آمون» المسمى «مري»، وقد تحدثنا عنه من قبل (راجع الجزء الرابع). ويشمل قبر «تحوتي» هذا على حجرتين صغيرتين لم ينقش فيهما إلا جزءان صغيران من القاعة الأولى، وهما النصفان الشماليان من طول الجدار، ويحتويان على صور لهذا الموظف، وقد رسمت معه والدته محبوبته مرة واحدة، وكانت تُدعى كذلك «تحوتي»، ولا نعلم إذا كانت زوجه قد رُسمت معه في المناظر الأخرى التي عملها له ابنه أم لا؛ لأن مغتصب القبر كان قد غيَّرها كلها تقريبًا إلى صور أخرى تتمشى مع مقاصده، ومع روح العصر الذي عاش فيه، هذا ونشاهد منظر الوليمة الذي كان تنتسب إليه في الأصل امرأتان يحتمل أنهما بنتاه، وقد مثلتا واقفتين أمامه.

أما الموظف الآخر الذي استولى على المقبرة اغتصابًا فكان يُدعى «تحوتي محب» (أي تحوت في عيد)، وقد كان كذلك في خدمة معبد «آمون» إذ كان يشغل فيه وظيفة المشرف على صُناع الملابس، ونجد عددًا كبيرًا من أبنائه وبناته وأحفاده قد مثلوا على جدران المقبرة، كما كتبت كذلك أسماؤهم وأسماء الضيفان الذين معهم في منظر الوليمة القديمة الذي كان قد نقشه صاحب المقبرة الأول. وتدل كل النقوش والصور على أن إتمام صور القبر والتغييرات التي أحدثت فيه قد عملت في عهد «رعمسيس الثاني» (راجع G. W. Cat, p. 21) الذي كان نفسه صاحب شهرة عظيمة في إصلاح معابد الآلهة، وآثار أجداده، كما كان ذات صيت عظيم في اغتصاب آثار أسلافه، ونسبتها إلى نفسه.

وتبلغ المدة التي انقضت بين البداية في إقامة هذه المقبرة والانتهاء من زخرفتها حوالي مائتي سنة، وهذه الفترة تحفظ لنا في ثناياها أحداثًا جسامًا من الأهمية بمكان في تاريخ

البشرية؛ إذ في خلالها قام «إخناتون» بإصلاحه الديني المشهور الذي زلزل أركان الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية في مصر وخارجها، وهذا العهد بتأثيره في الحياة القومية يشبه عهد الهكسوس واحتلالهم لمصر.

والواقع أننا نشاهد في الصور التي بقيت لنا على جدران هذه المقبرة متجاورة اختلافًا بيِّنًا عند فحصها في الزي والعادات، فالصور القديمة منها تمثل الحياة في النصف الأول من الأسرة الثامنة عشرة، كما تمثل الحياة الحديثة في مجد الأسرة التاسعة عشرة — عهد «أمنحتب الثاني». ثم في عهد «رعمسيس الثاني»، وبين هذين العهدين يقع عهد «إخناتون» الذي جاء في ختام الأسرة الثامنة عشرة. ويلفت النظر أن صور العصر الأول تدل على الخلاعة والمجون في الحياة الاجتماعية، كما تدل الصور الأخرى على حياة التقى والتدين؛ ولا غرابة في ذلك لأن المفتن كان يسير بوحي من عصره في تمثيل صوره.

ففي الجزء الذي أتمه «تحوتي» صاحب المقبرة الأول، وهو الجزء الشمالي والجزء الجنوبي من جدار الحجرة الأولى نكشف عن تغيير في صوره إلى أخرى غيرها تدل على التعبد والتقى؛ إذ نرى فيها صاحب المقبرة وزوجه راكعين أمام الإله «أنوب» متعبدين، كما نشاهد أنه بدلًا من عمل صورتين جديدتين لعيد الجبانة قد صور على الجدار الشمالي منظر للصيد في البر والبحر، على ما يظهر، وعلى الجدار الضيق المقابل للأخير (الجدار الغربي) نجد صورة لوحة جنازية عليها صورة الإله «آمون رع حور اختي» برأس صقر، وهي التي لم نجد مثيلتها قبل عهد الملك «آي» في المقابر. وفوق هذا المنظر رسم مثالو عهد الرعامسة صورًا جديدة منها نرى الفرق البيِّن بين طراز العهدين، هذا فضلًا عن أنه قد شغل كل الأماكن الخالية على سطح الجدران بصور جديدة.

ولم يترك مثالو عصر الرعامسة صورًا من عهد «أمنحتب الثاني» دون تغيير فيها إلا صورة واحدة. أما الصور التي تناولها التغيير فقد جعلها تعطينا معنى آخر جديدًا مخالفًا لما وضعت له في الأصل في عهد «تحوتي» صاحبها الأول، والصورة الوحيدة التي تركها لنا دون تغيير تقع في الجزء الشمالي من الجدار الغربي (راجع Taf. XII)، (انظر الصورة (١))، وتمثل صاحب المقبرة جالسًا مع والدته على المائدة، وكانا يرتديان ملابس العيد على حسب زي عصرهما، فقد ظهرت الأم في ثوب طويل ضيق محبوك، يفسر تفاصيل الجسم، وله حماله يبدو منها أحد ثدييها. أما ابنها «تحوتي» فكان يلبس قميصًا قصيرًا، وفوقه ثوب آخر وضع طرفه على كتفه.

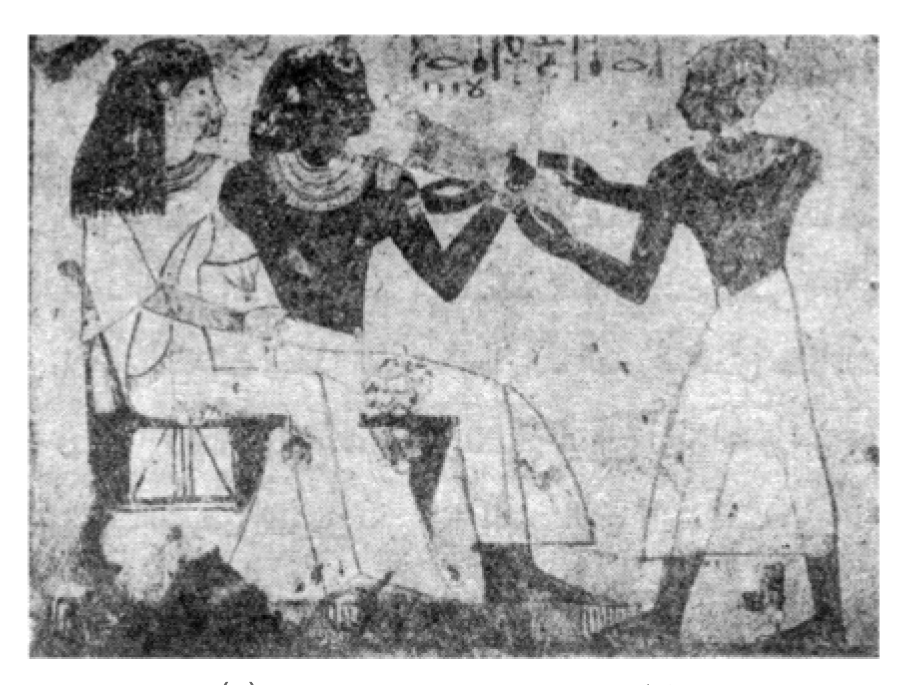
ومن جهة أخرى نشاهد في منظر إحراق القربان (Pi. XII, a.) (انظر الصورة (٤))، وفي نفس الصورة سيدة ترتدي ثوبًا لا يمكن أن يكون من طراز عهد «أمنحتب الثاني»؛ إذ كان ثوبًا واسعًا فضفاضًا عريضًا من أسفله، أسدل على كل جسمها فشمله من الكعب حتى النحر، وقد شدت على صدرها شريطًا عريضًا ينتهي بهدابات منمقة الأطراف قد أرخي على كلا الجانبين، غير أن كل تفاصيل الجسم — وبخاصة الرأس والشعر واليدين — تدل على أن المثَّال الذي أخرجه من عصر الأسرة الثامنة عشرة، في حين أن الملابس كانت من طراز

آخر يُنسب إلى الأسرة التاسعة عشرة، وإذا أنعم الإنسان النظر في هيكل هذه الصورة وجد أنه لا فرق بينها وبين صورة والدة «تحوتي» التي تركت بدون تغيير فيها، والواقع أن هذا الثوب الواسع الفضفاض الذي ترتديه قد ألبسها إياه مفتن عصر الرعامسة عندما أراد تغيير الصورة؛ لأنه كان من طراز ملابس السيدات في هذا العصر، وعلى هذا النحو غير مفتن عصر الرعامسة ملابس صورتين أخريين (راجع Ibid pl. XI, b, & d,) انظر الصورة (٢).

وهذا الثوب العريض الطويل يمكن قرنه بالثوب الذي كانت تلبسه زوج «تحوتي محب» التي مثلت جالسة؛ لأنه يشبهه في كثير من التفاصيل (راجع Ibid pl. XI, c. b.). يضاف إلى ذلك أن قميص صاحب المقبرة الأول وثوبه قد غُيرا، وليس في هذا ما يدهش؛ لأن ملابس الرجال في ذلك العهد كانت قد غُيرت بعض الشيء أيضًا. فإذا وازنا بين الثوب الذي كان يرتديه «تحوتي»، والثوب الذي كان يرتديه «تحوتي محب» وجدنا أن ثوب الأخير كان يظهر فيه بعض الانحناء والاتساع من عند الركبة، ولم يقتصر هذا التغيير على صور الأشخاص البارزين، بل نجده ظاهرًا كذلك في جلباب ابن صاحب المقبرة (pl. XI. b.) المرسوم على الجدار الشرقي، كما نجد تغييرًا في الأزهار التي كان يقدمها لوالده (راجع pl. Xi b, XII b.). (انظر الصورة (٢))، فنلحظ أن هناك تغييرًا في كلتا الحالتين عن الملابس الأصلية التي نشاهدها في مناظر «تحوتي» الأصلية، فثوب الخادم قد زيد في طوله، وأصبح ينتهي بانحناء بعد أن كان يُرسم أفقيًا. أما ملابس السيدات اللاتي كن يجلسن على الحصير في الوليمة (راجع Wresz I pl. 169) (انظر صورة ٣ الوليمة)، فقد وجد المثَّال على ما يظهر مشقة في تغيير صورهنَّ؛ لأن المنظر لم يكن من المناظر المألوفة في عصره؛ ولذلك كان التغيير الذي قام به طفيفًا؛ إذ اقتصر على الزيادة في طول الثوب حتى النحر، وبذلك غطى الثدي الذي لم تستره الحمالة في ثوب زي الأسرة الثامنة عشرة، أما الفتيات اللائي كن يقمن على خدمة هؤلاء السيدات فقد ألبس المثال كلًّا منهن جلبابًا ستر به كل الجسم الذي كان في الأصل عاريًا، وهذا التغيير في صور القبر يعد أهم شيء يسترعي النظر، ويتطلب إيضاحًا شافيًا.



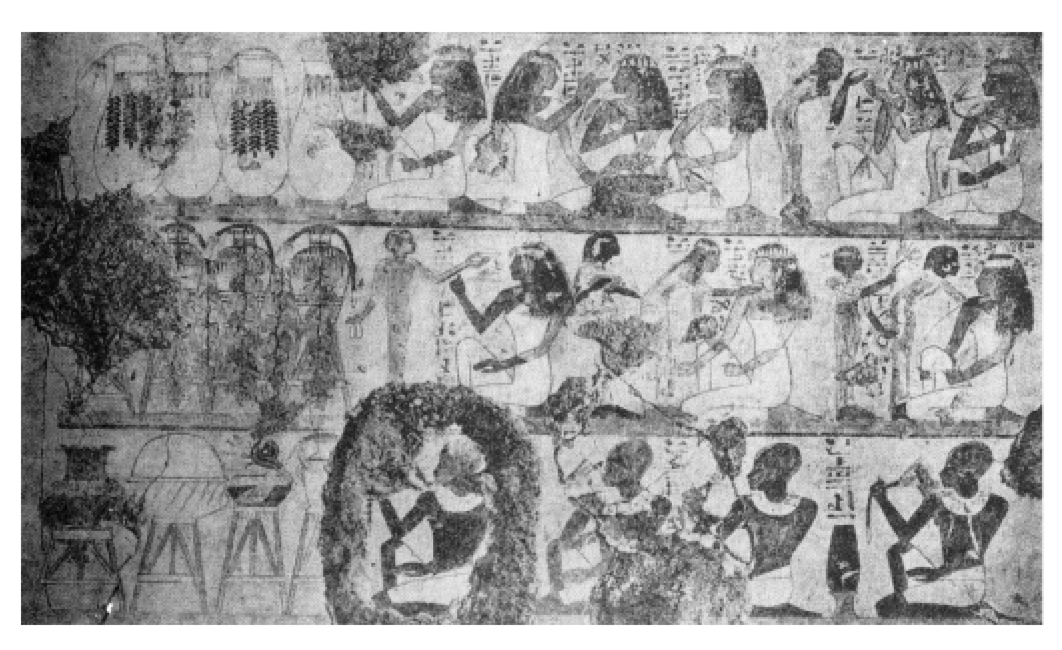
شكل ١: «تحوتي» ووالدته.



شكل ٢: «تحوتي محب» وزوجه (؟).

أما مواد الوليمة التي كُدست على الموائد، وقوارير العطور، والأباريق التي كانت موضوعة على قواعد؛ فقد بقيت على حالها دون تغيير، هذا على الرغم من أنها كانت قد تغيرت في عهد العمارنة من حيث الشكل والاختيار. وكذلك نلحظ أن كرسي الجلوس الخاص بصاحب

المقبرة وزوجه في عهد «أمنحتب» قد غُير بإضافة رِجل للكرسيّ الأصلي حتى أصبح يظهر في الصورة وكأنه كرسيان يجلس على واحد منهما الرجل، وعلى الآخر زوجته؛ وذلك تمشيًا مع تقاليد عهد الرعامسة. وهذا فضلًا عن أن طاقة الأزهار التي كانت في يد صاحب المقبرة قد غيرت صورتها لتتفق مع طراز عصر الرعامسة أيضًا؛ إذ قد أبدلت من برعومة بشنين إلى طاقة مفتحة، وأهم تغيير ظهر في الجزء الشمالي من الجدار الغربي (pl. XII, c.) هو أن المثَّال قد غير معظم المنظر فقلبه إلى صورة أخرى لا تمت للأصل بصِلة؛ إذ نرى الآن مغنيتين (انظر الصورة (٥)) قد رجلتا شعورهما بصورة غريبة، وهاتان المغنيتان الأولى «باكنخنسو» زوج «تحوتي محب» التي كانت تلقب مغنية «آمون رع» ملك الآلهة، وزوجه «موت»، وابنه «خنسو»، والأخرى ابنته، وقد كانتا تقدمان في المنظر الصاجات، و«عقد منات» السحري لإلهة جالسة أمامها على عرشها. ويلاحظ أن «عقد منات» ينتهي برأس يمثل صورة الإلهة «موت» متوجة، وكُتب فوق المنظر: «موت» سيدة السماء، و«سخمت» محبوبة «بتاح»، و«باستت» عين «رع»، ومعنى ذلك: أن هاتين السيدتين كانتا تقومان بالغناء والرقص لكل هؤلاء الإلهات في وقت واحد.



شكل ٣: منظر الوليمة التي في مقبرة «تحوتي».

ويدل ما لدينا من معلومات تاريخية على أن وجود مثل هذه الصورة في المقابر التي من عهد النصف الأول من الأسرة الثامنة عشرة كان معدومًا؛ إذ لم يكن من المألوف وجود صور آلهة الكرنك في المقابر قبل عهد العمارنة. حقًّا كان يتضرع الناس بالأدعية للإله «آمون»، ولإلهة الجبانة «حتحور» وحسب، غير أننا لم نجد تضرعات للإلهة «موت» إلا نادرًا (راجع A. Z. 75. p. 104. Note 1). وهكذا غيرت الصورة الأولى إلى أخرى تمثل الاحتفال

بإقامة شعيرة من الشعائر التي كانت تُعقد في المعبد، وهذا هو السبب في وجود صورة المغنيتين والإلهة، وهذا النوع من المناظر كان شائعًا في المقابر بعد عهد «إخناتون»، أو على الأقل كان قد بدأ يظهر بعد ختام هذا العهد. ويدل ما تبقى من الصورة القديمة على وجود آثار يستطيع الإنسان بها معرفة أصل هذه الصورة، فيشاهد بين صورة الإلهة والسيدتين مائدة وضع عند قاعدتها أباريق خمر، وسيقان خس؛ وكذلك يلحظ أن مفتن عهد الرعامسة قد أبرز صورة طاقة البشنين مفتحة أكمامها — لتتمشى مع تقاليد العصر — على المائدة، وطلى الأوزة التي عليها بطلاء جديد، ولا بد أن هذه المائدة كانت في الأصل موضوعة أمام صاحب المقبرة «تحوتي»، وزوجه أو والدته، وهما اللذان قد احتلت مكانهما الإلهة في المنظر الجديد، يدل على ذلك وجود جزء من قدميه الظاهرتين في الرسم تحت الصولجان الذي تمسك به الإلهة في يدها، كما تظهر أمامنا كذلك نهاية الحصيرة الخضراء التي كان عليها كرسيه. ولا نزاع في أن الوليمة التي كان يحتفل بها في الجهة الأخرى من هذه الصورة خاصة بصاحب القبر؛ حيث نشاهد فتاتين تقدمان كأسين من الشراب، وأكاليل من الأزهار. وما بقي من المتن والنقوش التي على المنظر يدل على أن المحتفَل بهم كانوا «يمضون يومًا جميلًا»، ويتلخص المنظر فيما يأتي: يُرى أمام صاحب المقبرة أهله يتمتعون بوليمة أقيمت لهم كما كانت العادة في عهد الأسرة الثامنة عشرة (راجع مصر القديمة الجزء الرابع). وقد نظم المنظر هنا في ثلاثة صفوف: الصف الأعلى وما يليه للنساء خاصة، والأخير للرجال المدعوين، وقد صُفت أمام المحتفل بهم أواني الشراب؛ فنشاهد في الصف الأول أباريق الشراب التي حليت بأوراق العنب، وغيرها موضوعة على قواعد خاصة في هيئة حلقات من القش أو من الخشب، وفي أسفل هذا على اليسار نشاهد إناء من حجر أو معدن (؟) قاتم اللون بشريط حلزوني، وبجانب ذلك قارورة من المرمر فيها عطور. (انظر صورة ٣ الوليمة في مقبرة «تحوتي»).

وفي الصف الأعلى من اليمين نشاهد سيدة تتقبل عطورًا من قارورة صغيرة تقدمها لها فتاة، وفي الصف الثاني من اليسار نرى فتاة تقدم طبقًا غريبًا كانت تملؤه من زجاجتين في يدها الأخرى لإحدى السيدات، وكانت السيدة التي بجانبها تعطرها فتاة أخرى، وتحمل لها أمة نوبية باحتراس الإناء الأسود المنقط بالأبيض الذي كان يحتوي العطور، أما السيدة الجالسة في الطرف فكانت تحلي نحرها بأكاليل من الأزهار جارية سوداء تلبس في أذنيها قرطًا كبيرًا، ويشاهد خلفها جارية أخرى تحمل هذا الإكليل.

أما في الصف الأسفل فنشاهد طائفة من الرجال يتمتعون بشم الرياحين، وأمام الأخير منهم على اليمين إبريق جعة وضع على حمالة.

ويلحظ هنا أن الفتيات اللائي كن يقمن على خدمة المدعوات يظهر عليهن أنهن من الأجنبيات، كما يدل على ذلك بشرة جلودهن السوداء، أو المائلة للشقرة. ونعلم من الصورة والنقوش التي فيها أن «تحوتي محب» قد دعا إلى الوليمة أربعة رجال وتسع سيدات، وهم بلا شك أولاده وأحفاده، وقد يجهل الإنسان الدور الذي كانت تلعبه الفتيات لأول وهلة، ولكن نلحظ أن إحداهن — وهي الرابعة في الصف الثاني — كانت حفيدة «باكنخنسو»

زوج صاحب المقبرة، وتدل شواهد الأحوال على أن المثَّال قد أخطأ في وضع لون الفتاة التي تليها؛ وذلك أن مثَّال عهد الرعامسة قد صبغ أجسام الفتيات الجميلات على وجه عام بلون أبيض فوق اللون الأزرق الذي كان هو اللون الأصلي؛ ولذلك لم يكن في استطاعته التخلص منه.



شكل ٤: زوج «تحوتي محب».



شكل ٥: صورة زوج «تحوتي محب» وابنته أمام الإلهة «موت».

والآن يتساءل المرء: هل نحن أمام حالة استحياء وحشمة؟ وهل يفهم الإنسان من ستر أجسام الفتيات اللائي كن يحتفلن بالسيدات المدعوات أن المثَّال قد قصد أن يجعل هذا المنظر محتملًا، ولا تزوَر عنه العين استحياء ليتمشى مع ما كان عليه القوم وقتئذ من تقى وتدين؟ وقد أجاب الأثري «ديفيز» عن هذا السؤال عند التحدث عن راقصة مقبرة «نخت» بقوله: إن من حقنا أن ننكر أن هذه الصورة تدل على مظهرها الحقيقي، بل يجب أن نعدها مثلًا من أمثال الحرية في الرسم لا عادة اجتماعية، وأن الفتاة كانت في الأصل تلبس رداء.[٢] ولكن من جهة أخرى نعلم أن تملك جسم أبدع خلقة كان من الأشياء المرغوب فيها، وبخاصة من الإماء والراقصات؛ ولذلك يحتمل أن المفتن كان من وقت لآخر يخلع عنهن ملابسهن لأسباب فنية، ونحن من جانبنا نعلم أن المفتن كانت لا تعوقه الملابس عن إظهار تفاصيل جسم السيدات.

ولذلك فإن ما نشاهده في الصورة التي في قبر «تحوتي» من تغير في الرسم الأصلي ليس في الواقع إلا احتجاجًا على عمل فني أكثر منه غلطًا في توخي الحشمة؛ لأن لدينا من العصر الذي بعد عهد العمارنة مقابر قد صُورت فيها الأطفال والفتيات[٣] عاريات (راجع Bruyere Fouilles (1930) Tome. VIII, pl. 17, p. 57).

ولكن مع ذلك نجد أن المثَّال في عهد الرعامسة كان يستر الجسم بملابس واسعة لا يظهر منها ثدي المرأة، ولم تكن محبوكة حتى تكشف عن طيات البطن، وعلى ذلك لا يمكن أن نفسر هنا ستر أجسام هؤلاء الفتيات بأنه نوع من الحشمة والاستحياء، بل الواقع أنه كان تغييرًا في كل الملابس القديمة جملة، كما يدل على ذلك تغيير ملابس الرأس، وزينته، وقد شمل ذلك الفتيات والسيدات جميعًا.

ومع ذلك إذا حكمنا على هذا التغير في الملبس بأنه يدل على استحياء، فإن ذلك ممكن إذا نظرنا إليه من ناحية أخرى، فمنذ عهد العمارنة نلحظ أن «التمتع بيوم جميل في بيت الأبدية» قد اختفت الصور الدالة عليه في المقابر جملة، أما ما نجده من إقامة حفلات في مناظر المقابر فكان قاصرًا على أفراد الأسرة، ولم يبقَ لدينا من آلات الطرب والغناء مصورًا على جدران المقابر إلا الضارب على العود الذي كان ينشد الأغاني بصوت عالٍ (راجع J. Vandier, Rev. D'Arch. III, p. 27 ff, p. 31 pl. 4) — ولم يشذ عن ذلك إلا حالات فردية، ولم يكن يحتفل في أغانيه لا بآلهة السكر، ولا بالإله «آمون»، بل كانت نغماته على الرغم مما فيها من الحث على التمتع بملاذ الحياة تمثل لنا نغمة التشكك التي كنا نسمعها في عصر الانقلاب الاجتماعي الذي تلا سقوط الدولة القديمة، وهو العصر الذي يمكن أن نقرنه بعصر العمارنة الذي كان يعد عهد زيغ في نظر المصري وقتئذ، وعلى ذلك نجد أن المرح والترف في عهد الرعامسة الأول كان له حدود معينة، وهذا هو السبب الذي من أجله نجد أن أناشيد الضارب على العود، وعويل المرأة المحزونة لم تعد الآن مقصورة على الدفن، بل اتخذت لها مكانة في ولائم القبور، وكان شعارها التدين، وإظهار الحزن، ومن ذلك نستنبط أن كل مناظر الوليمة المرحة لا تمت لعصر الرعامسة بصلة، ولا يمكن نسبتها له، وأن ما كان يجرى فيه يخدش الآذان، وتزور عنه الأعين، ولم نعرف لها نظيرًا في مقابر هذا العصر بوصفها أعيادًا، كما أنه لم يكن منها الولائم التي كانت تقام في داخل البيوت، ولا يمكن إذن إلا أن نعدها عيدًا لإقامة شعائر آلهة من التي كانت تقام في مصر القديمة حتى أواخر عهودها، ويظهر فيها القوم ورعهم وتقاهم، وعلى هذا الزعم قَلَب مفتن عصر الرعامسة الصورة الأصلية الدالة على إقامة وليمة بذخ وخلاعة إلى صورة تقى وعبادة. ومن التغيرات المختلفة يظهر أن هذا العيد كان للإلهة «موت» التي نصب تمثالها في معبدها، واحتفل به في داخل المعبد لا في القبر، ومن هنا يمكن الإنسان أن يحكم على أن السيدات اللائي اشتركن في إقامة هذا العيد الإلهي كن يقمن بوظائف مغنيات في الاحتفال بإقامة الشعائر، وأن الفتيات اللائي كن يمرحن في داخل بيوتهن عاريات الأجسام قد سترن أجسامهن بمناسبة هذا الحفل.

ولا نزاع في أن مناظر هذا القبر التي شرحناها فيما سبق تضع أمامنا صورة واضحة عن بعض نواحي الحياة الدينية والاجتماعية في عصرين مختلفين لم يكن ليتسنى لنا معرفتها بدون ذلك التغيير الذي أحدثه المفتن في نقوش هذا القبر ومناظره، وهكذا تتفتح أمامنا السبل للوقوف على عادات القوم وتقاليدهم من أمثال صور هذا القبر الذي حفظته لنا الصدف من حد معاول الهدم والتخريب الشائعة في جبانة «طيبة» حتى يومنا هذا.

[١] راجع: A. Z. 75. P. 100 ff.

[٢] راجع: N. De. G. Davies. The Tomb of Nacht at Thebes p. 58. Note. 1.

[٣] ونذكر هنا أن الجسم العاري في حفلات الرقص كان يشاهَد عند المصريين منذ الأسرة الخامسة كما يُرى في مقبرة «كادوا» (راجع Excavations et Giza Vol VI, Part III. P. 84, fig 71. pl. XLIX).

المدنية

نظرة عامة في مدنية عصر «رعمسيس الثاني» ووالده «سيتي الأول»

(١) علاقة مصر بأقاليم إمبراطوريتها في الشمال والجنوب

كان الصلح الذي عُقد بين مصر وبلاد «خيتا» آخر مظهر حقيقي لبسط نفوذها، وتوطيد سلطانها على الأقاليم الأسيوية التي تدين لمصر بالطاعة، وتؤدي لها ما عليها من جزية سنوية، ومنذ اللحظة التي وقَّع فيها «رعمسيس الثاني» شروط هذه المعاهدة التاريخية الخالدة في السنة الحادية والعشرين من حكمه، أخذ يحصر همه، ويركز نشاطه وقوته في تثبيت دعائم هذه الأقطار التي فُتحت بجيوش والده وجيوشه، كما أخذ في استغلالها والإفادة منها من كل الوجوه إلى أقصى حد ممكن مترسمًا في ذلك خطوات سلفه العظيم «أمنحتب الثالث».

والواقع أنه تعوزنا التفاصيل الأكيدة التي تستند إلى مصادر أصلية عن سير نظم الحكم وقوانينه (ماعت)، والذي لا شك فيه أن نظام الضرائب، ومراكز الأمراء التابعين للفرعون في هذه الأصقاع النائية قد استمر يجري على ما كان عليه من قبل في عهد أسلافه فراعنة الأسرة الثامنة عشرة. هذا إذا استثنينا التغيرات التي أحدثها «آي» و «حور محب» (راجع الجزء الخامس).

على أنه من الطبعي أن تحدث في داخل الممتلكات النائية الاضطرابات، وتقوم الثورات الفينة بعد الفينة بسبب المنازعات التي كان يخلقها التنافس، أو بسبب تراخي الحكام المصريين وضعفهم، أو بسبب ما فطر عليه أهل هذه الجهات من النزوع للحرية، وعدم التقيد بالنظم القانونية، ففي «فلسطين» كان البدو (شاسو) يقومون بحركات هجرة لا ينقطع نشاطها، ونخص بالذكر من بين هؤلاء القبائل الرُّحل قبيلة «إسرائيل» التي وفدت من الشرق، واستوطنت إقليم «إفريم»[١] الجبلي الذي لم يكن يسكنه من قبل إلا نفر قليل جدًّا، وهؤلاء القبائل كانوا في العادة خارجين لا يخضعون لأحكام، ولا يمكن كبح جماحهم بسهولة.

وقد ذكرهم الفرعون «مرنبتاح» بن «رعمسيس الثاني» في لوحته المشهورة بلوحة «بني إسرائيل»، وهي التي عدَّد لنا فيها الأصقاع التي قهرها، وتسلط عليها في «فلسطين»، وقد جاء فيها خاصًّا بقبيلة إسرائيل العبارة التالية: «وإسرائيل قد خربت وليس لها بذرة (أي خلف).»[٢]

وهذه هي الوثيقة الوحيدة التي جاء فيها ذكر إسرائيل في النقوش المصرية في هذا العهد، ولا جدال في أن هذا برهان مبين على أنهم استوطنوا بلاد فلسطين قبل عهد «مرنبتاح» بزمن بعيد. والحقيقة أنه كانت تنقض على هذه البلاد من الشرق ومن الجنوب عصابات لصوص أخرى بلا انقطاع، وتحدثنا الوثائق التي من هذا العهد عن وعورة المسالك الجبلية، وما كان ينتاب مجتازها من مخاطر، وما كان يلاقيه مبعوثو الفرعون ووفوده ضباطًا كانوا أم مدنيين من أخطار البدو الذين كانوا يسيطرون على تلك الجهات الوعرة، ويكمنون فيها لكل من سار بالمرصاد ابتغاء السلب والنهب.[٣]

من أجل ذلك كان الفراعنة يقومون بالحملات على هؤلاء القبائل القاطعين للطرق، ويخضعونهم بحد السيف كلما استطاعوا لذلك سبيلًا؛ ولذلك كان من مفاخر هؤلاء الفراعنة أن يصوروا على جدران معابدهم تلك الانتصارات التي أحرزوها على البدو (شاسو)، ففي معبد «بيت الوالي»[٤] ببلاد النوبة نشاهد انتصار الفرعون «رعمسيس الثاني» عليهم، كما نشاهد منظرًا آخر على جدران معبد «الكرنك» يمثل الفرعون «رعمسيس الثاني» وهو يطأ بقدميه قبائل «شاسو». كما يشاهدون مجدلين على الأديم تحت سنابك خيله. وقد ذكر لنا على لوحة له انتصاراته على البدو (شاسو) نقتطف منها الكلمات الختامية التالية: «وقد وقعت مذبحة عظيمة في أرض «شاسو» (البدو)، ونُهبت تلالهم، وقُتلوا عليها، وأقام المباني في مدنهم باسمه المخلد» (راجع J. E. A. Vol. V, p. 267 Note 1).

ولكن من جهة أخرى نعرف من الوثائق الأكيدة أنه كان يوجد بجانب هؤلاء القبائل والطوائف المعادية أقوام مسالمون — كما ذكرنا من قبل — في عهد الدولة الوسطى،[٥] ثم في عهد «حور محب»[٦] قد وفدوا على مصر بقصد التجارة، أو لرعي قطعانهم، وقطنوا الحدود المصرية، ونخص بالذكر من بين البقاع التي استوطنوها «وادي طميلات» الواقع شرقي أراضي الدلتا، وهو واد ضيق تجري على جانبيه قناة متفرعة من النيل شرقًا حتى البحيرات المرَّة، وهو بمثابة مدخل لمصر من آسيا، وقد كان هذا الوادي موضع عناية «رعمسيس الثاني» من جديد فأقام فيه عدة حصون جميلة. ففي وسطه أنقاض مبانٍ في «تل رطابة»، وعلى مقربة منه شرقًا نجد بقايا مدينة «برآتوم» («بيت أتوم»، وهي المعروفة باسم «بتوم»)، وعلى مسافة منه شرقًا تصادفنا أنقاض «تل المسخوطة» المعروفة باسم «سكوت»، وبالمصرية القديمة «سكو».

وقد ذكر لنا أحد الموظفين في خطاب حكومي يُنسب إلى عهد الفرعون «مرنبتاح» أنه كتب لرئيسه قائلًا: «إن بعض بدو (شاسو) «إدوم» قد سُمح لهم على حسب التعليمات التي لديه أن يجتازوا الحصن الذي في إقليم «سكوت» (تل المسخوطة) في «وادي طليمات» ليتاح لهم رعي ماشيتهم بالقرب من «بتوم» (بيت آتوم)». ومما يؤسف له أن البردية التي فيها هذا الخطاب قد وُجدت ممزقة؛ ولذلك لم يتسنَّ ترجمتها كلها على الوجه الأكمل، وهاك ما تبقى منها، وهو ما لخصناه:

أمر آخر يسر سيدي، لقد انتهينا من ملاحظة مرور قبائل «شاسو» التابعين «لأدوم» من حصن «مرنبتاح حتب حر ماعت» — له الحياة والفلاح والصحة — في «سكوت» نحو برك «بتوم» لأجل أن يطعموهم، ويطعموا قطعانهم في ضياع الفرعون — له الحياة والفلاح والصحة، وهو الشمس الطيبة لكل أرض … ولقد جعلتهم يحضرون …

(راجع Br. A. R. III, § 638).

ويلاحظ هنا أن اسمي المكانين قد أطلق عليهما اسم الملك الحاكم وقتئذ، والظاهر أن هذه كانت عادة متبعة نشاهدها كثيرًا، ولا بد أنهما كانا قبل ذلك يسميان باسم «رعمسيس الثاني» خلال حكمه، ثم غُيرا عند تولي ابنه الملك. وهذه الفقرة من الخطاب السالف تدل صراحة — كما لاحظ ذلك الأستاذ «جاردنر» — على أن هذين المكانين ليسا موحدين، بل يدلان على مكانين مختلفين؛ إذ يقول: إن «سكوت» (سكو) هو اسم قلعة على الحدود، ولا تزال جدرانها باقية إلى الآن في «تل المسخوطة»، وأن «بتوم» ليس اسمًا آخر لنفس المكان، بل هو مكان آخر يقع على مسافة قريبة نحو الداخل.

ولدينا أمثلة لهجرة أمثال هؤلاء البدو إلى مصر جاء ذكرها في الأساطير الإسرائيلية تشبه ما ذكرنا، فقد جاء في سفر التكوين، الإصحاح السابع والأربعين، الفقرات (١–١٢) ما يأتي:

> فأتى يوسف وأخبر فرعون، وقال: أبي، وإخوتي، وغنمهم، وبقرهم، وكل ما لهم جاءوا من أرض «كنعان»، وهوذا هم في أرض «جاسان»، وأخذ من جملة إخوته خمسة رجال، وأوقفهم أمام الفرعون، فقال فرعون لإخوته: ما صناعتكم؟ فقالوا لفرعون: عبيدك رعاة غنم، نحن وآباؤنا جميعًا، وقالوا لفرعون: جئنا لنتغرب في الأرض؛ إذ ليس لغنم عبيدك مرعى؛ لأن الجوع شديد في أرض «كنعان»، فالآن ليسكن عبيدك في أرض «جاسان» (جوشن).
>
> فكلم فرعون «يوسف» قائلًا: أبوك وإخوتك جاءوا إليك، أرض مصر قدامك، في أفضل الأرض أسكن أباك، وإخوتك، ليسكنوا في أرض «جاسان»، وإن علمت أنه يوجد بينهم ذو قدرة فاجعلهم رؤساء مواشٍ على التي لي.
>
> ثم أدخل «يوسف» «يعقوب» أباه وأوقفه أمام فرعون، وبارك «يعقوب» فرعون، فقال فرعون «ليعقوب»: كم هي أيام سني حياتك؟ فقال يعقوب لفرعون: أيام سني غربتي مائة وثلاثون سنة، قليلة وردية كانت أيام سني حياتي، ولم تبلغ إلى أيام سني حياة آبائي في أيام غربتهم، وبارك فرعون، وخرج من لدن فرعون.
>
> فأسكن «يوسف» أباه وإخوته وأعطاهم مُلكًا في أرض مصر، في أفضل أرض في أرض «رعمسيس» كما أمر فرعون، وعال «يوسف» أباه وإخوته، وكل بيت أبيه بطعام على حسب الأولاد.

وهذه الصورة التي جاءت في الأساطير الإسرائيلية قريبة الشبه بالتي ذكرناها في عهد «حور محب»، كما تصف لنا حالة المعيشة في أرض «فلسطين»، وقلة مواردها بالنسبة لمصر، ولا جدال إذن في أن أتباع «أَلُهيم» الذين كان لديهم فكرة عن مصر وخيراتها قد نزحوا إليها، وقاموا ببناء مدينة المخازن «بتوم» و«رعمسيس»؛ مما جعل بعض المؤرخين يظن أن مدينة «رعمسيس» تقع في وادي «طميلات»؛[٧] وقد سموا «سكوت» أول محط خروج بني إسرائيل، كما سموا السهل الذي استوطنوه «جوشن»، وهو اسم اشتق من اسم مدينة «شسم» عاصمة[٨] المقاطعة العشرين المدني من مقاطعات الوجه البحري الواقعة شرقي الدلتا عند مدخل «وادي طليمات»، وقد أصبحت علمًا على كل الوادي، فسُمي «وادي جوشن»، أو «غوشن».

وتدل الوثائق التي وصلت إلينا على أن الحراسة في هذا الوادي كانت شديدة إلى حد بعيد، وكذلك كانت المراقبة عظيمة على الطريق الرئيسية إلى آسيا في قلعة «سيلة» (تل أبو صيفة الحالي)؛ إذ وصل إلينا بعض نتف من يوميات موظف في إحدى المدن الواقعة على حدود «فلسطين» من عهد الفرعون «مرنبتاح»، دوَّن فيها أسماء المبعوثين، والأعمال التي كلفوا أداءها ممن يجتازون هذا الحصن في طريقهم إلى سوريا.[٩] وقد كان المرور منه محرَّمًا في عهد «رعمسيس الثاني»، فكان الهاربون أو اللاجئون إلى بلد أجنبي يعادون ثانية إلى أوطانهم، ويسلمون إلى رجال الحكومة على حسب الاتفاقات الدولية وقتئذ، فقد شاهدنا الاتفاقات الدولية الخاصة بذلك ضمن معاهدة الصلح التي عُقدت بين مصر في عهد «رعمسيس الثاني»، وبين بلاد «خيتا» في عهد عاهلها «خاتوسيل الثاني»، يضاف إلى ذلك أنه كانت قد نمت وقويت العلاقات التجارية المتينة في داخل البلاد المصرية، كما كانت عظيمة منتشرة بينها وبين الدول المجاورة، وبخاصة مع بلاد «خيتا»، وبلاد «بابل»، ومملكة «آشور»، وفي مدن فينقيا الساحلية العظيمة التجارة نمت المبادلات التجارية الناجحة بينها وبين مصر؛ مما مهد لهذه المدن السبيل للظهور، وبناء مجدها التجاري في العصور التي تلت العصر الذي نحن بصدده الآن. وليس لدينا من الأدلة ما يثبت قط أن الكتابة الفينيقية قد ظهرت وازدهرت في هذا العهد، بل كان ذلك الازدهار في العصور التالية لعهد «رعمسيس» بزمن[١٠] على الرغم من العثور على إناءين للأحشاء من المرمر في قبر الملك «أخريم» ملك «ببلوص»، كتب اسم «رعمسيس الثاني»؛ إذ لا يدل ذلك على أنه كان يعيش في عهد ذلك الفرعون عليهما، أو أنه كان تحت الرعاية المصرية، بل الواقع أنهما من عصر أقدم من ذلك. والحروف الأبجدية التي عثر عليها في قبر هذا الأمير تعد أقدم حروف أبجدية فينيقية وصلت إلينا حتى الآن، ولا يمكن أن تكون أقدم من نقوش «مشع» (حوالي ٨٥٠ق.م) بأكثر من مائة إلى مائتي سنة.[١١]

أما في «فلسطين» فقد قامت مصر فيها بنشر ثقافتها ومدنيتها بغيرة وحماس بالغين منذ أقدم العهود. وقد أقام الفرعون «رعمسيس الثاني» على غرار والده «سيتي الأول» معبدًا في «بيت شان»، وفي العام الرابع والثلاثين من حكم «رعمسيس»، وهو العام الذي أحكمت

فيه أواصر المصادقة بين «رعمسيس الثاني»، وعاهل خيتا «خاتوسيل الثاني» بزواج الأول من ابنة الثاني، أقيمت لوحة تذكارية، وقد مثل عليها «رعمسيس الثاني» وهو يقدم للإله «آمون» أواني مزخرفة؛ ولا بد أن هذا الفرعون قد أقام بجوار هذه اللوحة مكانًا لعبادة هذا الإله، وأقام كذلك على مقربة من اللوحة التي أقامها والده «سيتي الأول» في «حوران» لوحة أخرى في قرية «الشيخ سعيد» في إقليم «عشتارت» من حجر البازلت، غير أنه قد تآكل ما عليها من نقوش، ويلاحظ أنه قد مثل عليها وهو يتعبد لإله محلي غامض الاسم،[١٢] ولدينا أمثال هذه الآثار والمدن التي أسست في عهد «مرنبتاح» في بلاد «فلسطين».

وكانت مصر وقتئذ تملك أسطولًا تجاريًّا وحربيًّا عظيمًا يمخر عباب البحر الأبيض المتوسط، وكان يرسو في ميناء عاصمة «رعمسيس» الجديدة التي سماها باسمه «بررعمسيس»، وهو الذي أنشأها، وأتم تشييدها، وقد جاء ضمن أوصافها ومزاياها ما يدل على ذلك فاستمع إليه:[١٣] «وسفنها تروح وتغدو في الميناء، وهي المدينة التي يجتمع فيها مشاتك (يقصد رعمسيس)، وفيها ترسو سفن جنودك عندما تأتي محملة بالجزية.» وقد كان لمصر غير ذلك نشاط آخر في التجارة البحرية مع مواني السواحل الأسيوية، وعالم بحر «إيجه»، فقد استمر تصدير الأواني الفخارية الميسينية بأطراد متزايد في بلاد «فينيقية»، «وفلسطين»، ومصر؛ حيث كان يرغب فيها كثيرًا لدرجة أنها كانت تقلَّد محليًّا، كما كانت تقلد أواني الفخار الصينية في القرن الثامن عشر في «أوروبا»، وقد عثر على صور أوانٍ ميسينية مقلدة مرسومة في قبر «رعمسيس الثالث»،[١٤] على أننا من جهة أخرى لم نجد اسمًا واحدًا من ملوك الأسرة التاسعة عشرة مذكورًا في العالم «الإيجي»، كما أننا لم نجد اسم هذه الجهات نفسها في نقوش «رعمسيس الثاني» الفخرية، ويرجع ذلك إلى أن العلاقات السياسية والتجارية التي كانت بين مصر و«كريت» في عهدها الذهبي قد انقطع معينها، ولم تعُد تفد إلى مصر البعوث منها حاملة الهدايا، كما كانت الحال في عهد «تحتمس الثالث». والواقع أن سقوط «كريت»، وانقطاع معاملتها مع مصر كان مفاجئًا لدرجة تحمل على الظن أنها قد اختفت من عالم الوجود، ولكن من جهة أخرى نجد أن العلاقات بين مصر وبحر «إيجه» قد بدأت تظهر، وقد استمرت لمدة قرن ونصف قرن من الزمان حتى في عهد «إخناتون» المضطرب وأخلافه، ولكن في عهد الفرعون «مرنبتاح» كانت مصر مهددة بالهجمات اليائسة التي كان يقوم بها أقوام البحر، وبخاصة «قرصان الشردانا» الذين تحدثنا عنهم فيما سبق، ومن ثم أخذت العلاقات تتغير بين البلدين؛ إذ قد بدأ سكان البحار يشعرون بقوميتهم، ومن ثم بدأ النضال بين أوروبا والشرق.[١٥]

ومن الغريب المدهش حقًّا أنه لم يأتِ ذكر بلاد «بنت» فيما لدينا من الآثار حتى الآن، لا في عهد «سيتي الأول» أو «رعمسيس الثاني»، حتى في النقوش الفخرية المعتادة كالتي كان يدونها الفرعون لمجرد حب العظمة في عهد الأسرة الثامنة عشرة إلا نادرًا، وكذلك لم يأتِ ذكرها في قوائم الفتوح التقليدية مع الشعوب الأفريقية التي كان يدعي الفراعنة عادة أنهم قهروها وأصبحت تحت سلطانهم.

حقًّا كانت تقوم الرحلات التجارية في هذا العهد إلى البحر الأحمر، ولكنها لم تكن رحلات مباشرة، بل كان يتخللها محاط، وقد كان المصريون يعرفون ويقدرون من قديم الزمان فوائد البخور والبلسم، اللذين يُجلبان من «بنت»، وكذلك كانوا يعلمون أن البحر العظيم الذي يسبح فيه الإنسان إلى «بنت» يصل حتى مصب نهر «الفرات»، وإن كانت السياحة بحرًا لم تمتد إلى هناك قط. وفي ورقة هارس الكبرى التي كُتبت في عهد «رعمسيس الثالث» (ص٧٧ سطر ٩) نجد عند الكلام على الرحلة إلى بلاد «بنت» أنه سمي نهر الفرات «البحر العظيم ذا الماء المقلوب»؛ أي الذي يجرى على عكس نهر النيل، ولكن الجزية التي كانت تأتي من «بنت» حتى عهد «حور محب» كانت لا ترد في تلك الفترة التي نحن بصددها حتى أعادها «رعمسيس الثالث» بإرساله بعثة إلى هناك، كما سنرى بعد.

(١-١) العناصر الأجنبية في مصر

وفي أثناء هذه الفترة من تاريخ البلاد نلحظ أن عناصر أجنبية كانت تفد على مصر بلا انقطاع، وتقيم فيها بوصفهم أسرى حروب يستخدمون عبيدًا للآلهة وللجنود ولعِلية القوم، أو بوصفهم من التجار والجنود المرتزقة الذين كانوا يعملون في الجيش المصري بجانب الجنود الوطنيين، وكذلك كان يفد على البلاد طوائف من البدو استوطنوا «وادي طليمات»، وكل هؤلاء كانت تزخر بهم المدن المصرية الكبيرة، ففي مدينة «بررعمسيس» عاصمة الملك (قنتير الحالية)، وفي «منف» وغيرهما من المدن قد أنشئت أحياء كاملة لأولئك المهاجرين من الكنعانيين، والفينيقيين الذين جاءوا إلى مصر، مصطحبين معهم آلهتهم، وأربابهم المحليين. من أجل ذلك نجد أن الجنس المصري قد اعتراه تغيرًا ماديًّا باختلاط الدم الأجنبي به، وقد كان هذا الاختلاط لا ينقطع وفوده من الجنوب (أهل النوبة والسودان). ولا أدل على ذلك من أن هذا الاختلاط قد ظهر في الدم الملكي نفسه، وهذا ما نلحظه في مومية الملك «سيتي الأول» التي تدل على وجود دم نوبي في عروقه، ونلحظ فضلًا عن ذلك أنه في العهد الذي تلا عصر «رعمسيس الثاني» قد اختلط الدم المصري بدم الأقوام الذين كانوا يسكنون غربي مصر، وهم اللوبيون، كما نجد نفس الظاهرة شائعة من جهة الحدود الشرقية؛ فقد اختلط الدم المصري بالدم السامي؛ ولكن على الرغم من كل هذا الاختلاط في الدم نجد أن المصري من جهة أخرى قد تغلب عقليًّا وخلقيًّا بما له من ثقافة قديمة، ومدنية عريقة وطيدة الأركان ثابتة الدعائم على هؤلاء النزلاء من كل الجهات، وصبغهم بثقافته، وجعلهم جزءًا منه، ولكن نلحظ من جهة أخرى في هذه الثقافة أن تيارًا أجنبيًّا لا ينقطع قد ظهر في المنتجات الصناعية التي كانت تأتي من هذه البلاد الأجنبية، وكان غريبًا عنها، وبخاصة من العالم السامي.

والواقع أن بلاد «فينيقية»، وبلاد «فلسطين» لم يكن لهما فن أو صناعات خاصة بهما، ولكن كل صناعاتهما كانت تنحصر في مصنوعات عادية آلية ليست من مبتكرات البلاد؛ ولذلك لم تترك صناعة هذين القطرين أثرًا في الصناعة المصرية، كالذي تركته الصناعات المبتكرة الكريتية فيها خلال الأسرة الثامنة عشرة، غير أن هذه الأصقاع كان لها أثرها في مصر من

ناحية أخرى، وهي اللغة؛ إذ نجد أن الكلمات الكنعانية كانت تتدفق بمقدار عظيم على اللغة المصرية، ولم يكن ذلك قاصرًا على أسماء السلع والبضائع، والأسلحة والخيل، والعربات، وأدوات الحرب من بلط ودروع، بل تخطى ذلك إلى أن الألفاظ السامية التي تستعمل في أداء التحية مثل كلمة «السلام»، وكذلك الألفاظ الدالة على الشباب، هذا إلى حشر العبارات المنمقة من اللغات الأجنبية التي تدل على حسن الذوق، والثقافة العالية في اللغة المصرية. كما نلحظ في أيامنا هذه في استعمال الطبقة الراقية للألفاظ الأجنبية للتعبير عن أشياء خاصة، وإقحامها في لغتنا. وقد ضرب لنا كاتب «ورقة أنسطاسي» الأولى التي تنتسب إلى عهد «رعمسيس الثاني» الأمثلة الكثيرة في هذا الصدد.

والواقع أن ما جاء في هذه الورقة يكشف لنا عن صفحة جديدة في تطور الثقافة المصرية، وصلتها بالبلاد المجاورة، وبخاصة «سوريا» و«فلسطين»، وسنورد ملخصها عند الكلام على الأدب المصري.

وكذلك نجد أن الآلهة الساميين أخذ يزداد دخولهم في زمرة الآلهة المصريين بصفة مطردة، فنجد مثلًا الإلهة «قادش»،[١٦] وإله الحرب «رشب»، والإلهة «عنتا»،[١٧] وكانت هذه الآلهة موضع تبجيل المصريين أنفسهم، وبخاصة عندما نعلم أن الفرعون «رعمسيس الثاني» نفسه قد سمى إحدى بناته «بنت عنتا»، وقد تزوج من ابنته هذه فيما بعد كما ذكرنا، وكذلك نلحظ أنه سمى بعض خيله وكلابه بأسماء آلهة؛ ومن هذه الآلهة كذلك الإلهة «عشيت»، وكانت تمثل ممتطية جوادًا، وفي يدها حربة، وعلى رأسها قبعة، وتحميها درع (راجع L. D. III, 138. a.)، والظاهر أنها كانت زوج الإله «عشو»، وصورة هذه الإلهة وجدت في «معبد الردسية» الذي أقامه «سيتي الأول».

أما الإله «بعل» السامي الأصل فكان موحدًا عند المصريين مع الإله «ست» الذي كان يعد إله البلاد الأجنبية، وهو الذي عبده الهكسوس عندما احتلوا مصر، ثم هوت عبادته للحضيض بعد طرد الهكسوس، ولكن لم تلبث أن أحييت عبادته ثانية في عهد الرعامسة، كما فصلنا القول في ذلك (راجع الجزء الرابع)، ولدينا كذلك اسم إلهة تُدعى «بعلات سابون» كانت تُعبد في «منف»، ولا بد أنها كانت زوج «بعل».

وقد سمي «سيتي الأول» باسم إله المقاطعة التي نشأ منها، كما أقام «رعمسيس الثاني» لهذا الإله المعابد في أنحاء القطر، وقد ظهرت كذلك الإلهة «عشتارت» إلهة الحياة والفزع بصورة واضحة في تلك الفترة؛ فقد كان لها معبد في الحي السامي من مدينة «منف»، ويقع جنوبي معبد الإله «بتاح»، وكانت تلقب ابنة هذا الإله الأخير، وقد بقيت لنا قطعة من قصة تنتسب إلى هذه الإلهة، تدل على ما كان لها من مكانة سامية بين الآلهة السامية؛ إذ كان لها تاسوع خاص بها، ولكن مما يؤسف له جد الأسف أن هذه الورقة قد وُجدت ممزقة، ويدل ما تبقى من الورقة على أن هذه القصة تخبرنا كيف أحضرت «عشتارت» إلى مصر من بلادها، وإذا كان هذا التفسير صحيحًا كانت قصتها قد أُلفت على نمط خرافة اللبؤة التي هربت إلى بلاد النوبة، ثم أحضرها الإله «تحوت».[١٨] ويظهر من القطعة الأولى من

البردية أن إلهًا كان يطلب الجزية بوصفه ملكًا، كما يظهر أنه كان هناك قضية خاصة بذلك في المحكمة (راجع كتاب الأدب المصري القديم جزء١).

والواقع أن عبادة هذه الإلهة كانت كذلك سائدة منتشرة في عهد الأسرة السادسة والعشرين، وقد بقيت عبادتها قائمة في «منف»، و«السرابيوم» حتى العهد الإغريقي في مصر،[١٩] ويلاحظ هنا أن لفظة «عشتارت» رُسمت بتاء التأنيث فيها، ولكنها حُذفت في المصرية، وهو اسم كنعاني تثبت فيه التاء الدالة على المؤنث.

والواقع أن عبادة الآلهة الأجنبية كانت منتشرة مما يدل على أهميتها في نظر المصري، ولا أدل على ذلك من إحياء عاصمة «رعمسيس الجديدة»، وهي «بررعمسيس» (بيت رعمسيس) كانت معلمة بمعبد «آمون» في الغرب، ومعبد الإلهة «بوتو»، وهي الإلهة الحامية للدلتا في الشمال، ومعبد الإلهة «عشتارت» في الشرق،[٢٠] ومعبد الإله «ست» في الجنوب. وقد كان كل من «سيتي الأول»، وابنه «رعمسيس الثاني» يطلق اسم إله المقاطعة التي نشأت منها أسرتهما، وهو الإله «ست» على أحد الفيالق الأربعة التي كان يتألف منها جيشه، أما الفيالق الثلاثة الأخرى فكان يطلق على كل منها اسم أحد الآلهة الثلاثة الآخرين أصحاب النفوذ والقوة في مصر، وهم: «آمون»، و«رع»، و«بتاح»، وذلك يدل على مقدار تعظيم المصريين للإله «ست» الذي كان فيما مضى يعد أبغض الآلهة للمصريين في الجهات الأخرى من القطر؛ لأنه كان يعد قاتل الإله «أوزير» إله الآخرة، وهو أخوه في الوقت نفسه.

(١-٢) التجارة مع آسيا الصغرى

وقد أسعدنا الحظ بالعثور على خطاب نموذجي من الخطابات التي كان يلقنها التلاميذ[٢١] في هذا العهد، وفي تضاعيفه صورة ناطقة على المبادلات التجارية التي كانت قائمة بين مصر وآسيا الصغرى في هذا العهد، كما تكشف لنا عن البذخ والترف الذي كان يعيش فيه القصر الفرعوني بما كان يرد من هذه البلاد، وقد أوردنا هذا الخطاب بأكمله في كتاب الأدب المصري القديم (راجع الجزء الأول)، فقد ذكر لنا فيه من هذه الأشياء والتحف أثاثًا مطعمًا من بلاد الأموريين، ومن بلاد «قدي» أيضًا، وأسلحة من بلاد «خيتا»، وخمرًا وفاكهة من أرض «خيتا» أيضًا، وزيتًا من سهول بلاد سوريا، وكلها تحمل على سفن، وكانت ترد الجعة من «قدي»، والنحاس من «قبرص»، والخيل من «سنجار» (بابل)، والثيران من بلاد «خيتا»، وعبيد شبان من «كركيسيا» (؟) (قرقش) ممن كانوا يمتازون بجمالهم، وحسن هندامهم لخدمة الفرعون، وعندما يتقدم سنهم كانوا يوضعون في المطابخ، ويكلفون صنع جعة «قدي». ولا نزاع في أن هذه الطرائف الخاصة بزينة الفرعون وقصره كانت تُعد من الأشياء النادرة التي تُجلب من البلاد القاصية، وكان لها قيمتها في مصر، ولا سيما الغلمان الكنعانيون، والسود الذين كانوا يرتدون أبهج الملابس وأجملها، ويحملون المراوح ليروحوا بها على الفرعون في الأحفال الرسمية، وغيرها.

(٢) الإدارة الحكومية في عهد «رعمسيس»

إن ما لدينا من وثائق أصلية لا تشعرنا بأن «رعمسيس الثاني» قد غير شيئًا يلفت النظر في نظم البلاد وقوانينها التي كانت تمثل في الظاهر النظام الأولي الذي يعبر عنه بكلمة «ماعت»، وتشمل في تضاعيفها العدل، والحق، والصدق، وحسن النظام، وأداء الواجب؛ والواقع أن النظام البيرقراطي الذي كانت تسير عليه البلاد في عهد الأسرة الثامنة عشرة لم يعتوره تغير ما يذكر في أساسه على الرغم من تسلط طبقة الجنود على البلاد في نهاية الأسرة الثامنة عشرة، ونزعهم السلطة من طبقة الموظفين الذين كانوا يسيطرون على كل أعمال الحكومة. والظاهر أنها كانت سحابة صيف لم تلبث أن تقشعت فعادت الأمور إلى مجاريها الأصلية، ولا شك في أن أساس نظام الحكم كان قوامه تعليم الكتابة والقراءة لإخراج كتَّاب يشغلون الوظائف الحكومية؛ وقد كانت هذه هي السبيل الوحيدة لفتح الباب أمام الذين يريدون علوًّا في الوظائف الحكومية. وقد سارت هذه الإدارة في طريقها القديمة بما فيها من محاسن ومساوئ على الرغم من مناهضة رجال الجيش هذا النظام مدة قصيرة كما ذكرنا كانوا في خلالها هم يقبضون على زمام الأمور جملة، غير أننا بجانب هذا نرى أن بعض المراكز العالية كان يشغلها دائمًا كثير من الأفراد الذين كانت تتألف منهم بطانة الفرعون، وحاشية قصره مثل «ساقي الفرعون»، وغيره من الأشخاص المقرَّبين جدًّا لشخص الفرعون، وتلك علامة ظاهرة على أن المحسوبية في الحكم المطلق ليس في الإمكان تلافيها؛ فقد كانت هذه هي الحالة السائدة في عهد «تحتمس الثالث»، وغيره من ملوك الأسرة الثامنة عشرة كما أوضحنا ذلك في غير هذا المكان (راجع الجزء الخامس)، فقد وضعوا كثيرًا من المقرَّبين لديهم في الوظائف العالية، وهذا هو نفس المنهج الذي سلكه «رعمسيس الثاني»، وغيره من ملوك الأسرة التاسعة عشرة.

على أن الأمر لم يقتصر في عهد هذا الفرعون على تنصيب المقرَّبين منه في إدارة الحكم، بل خطى خطوة أخرى إلى الأمام؛ فعين بعض الأجانب في وظائف الدولة العالية، وفي استطاعتنا تمييز هؤلاء الموظفين بما يحملونه من أسماء سامية، والظاهر أن الجم الغفير منهم كانوا من طبقة الموالي، كما نجد ذلك فيما بعد شائعًا في تركيا، وفي مصر في عهد المماليك البرجية والبحرية.

(٢-١) عاصمة الملك

وقد كانت عاصمة الملك — كما ذكرنا من قبل — في عهد «رعمسيس الثاني» في بادئ الأمر «طيبة»، ثم نقلها في الشمال على مقربة من حدود الإمبراطورية الأسيوية الشرقية؛ أي بين أرض الخوريين (سوريا) ومصر. وقد وصف موقعها بأنه بداية الأرض الأجنبية، ونهاية مصر. وقد وصلت إلينا وثائق عدة تصف لنا هذه العاصمة الجديدة التي سماها «رعمسيس» باسمه «بررعمسيس» (بيت رعمسيس) وصفًا شيقًا ممتعًا يشبه في حسنه وإمتاعه ما كُتب في وصف «الإسكندرية» في عهد البطالمة. وسنورد هنا بعض هذه

الأوصاف ليرى القارئ بنفسه كيف كان المصري ينظر إلى عاصمة بلاده، وما كانت عليه من أبهة وجلال وضخامة وعزة لا تدانَى، إذا ما قُرنت بعواصم الممالك الحديثة، مع مراعاة الأحوال والزمان، وقد وصلت إلينا هذه الأوصاف في خطابات نموذجية كانت تُدرس في المدارس للنشء الحديث، فاستمع لما جاء في واحد منها:

> إن الكاتب «بيبسا» يحيي أستاذه الكاتب «أمنمأبت» بالحياة والفلاح والصحة الطيبة! إنه خطاب أضع فيه معلومات لسيدي.[٢٢]
>
> تحية أخرى لأستاذي أخبره فيها أنني وصلت «بررعمسيس» محبوب «آمون» (ليته يعيش سعيدًا وفي صحة)، وقد ألفيتها غاية في الازدهار. حقًّا إن موقعها جميل منقطع النظير، وهي شبيهة «بطيبة»، وقد أقامها «رع» نفسه. ومقر الملك تُحب الإقامة فيه؛ فحقوله مملوءة بكل شيء طريف، ومجهز بالأغذية الوفيرة يوميًّا، ومياهه الخلفية تزخر بالسمك، وبركه مزدحمة بالطيور، ومراعيه نضرة أعشابها.
>
> ويبلغ طوله ذراعًا، وطعم فاكهته المغروسة في حقوله كالشهد بعينه، ومخازن غلاله مكدسة بالقمح والشعير، وتناهض عنان السماء في سموها، والبصل والكراث في ال … طاقات أزهار في الخميلة (؟)، وفيه الرمان، والتفاح، والزيتون، والتين من البستان، ونبيذ «كنكمي» الحلو الذي يفوق الشهد، والسمك الأحمر من بحيرة مقر الملك (؟) والناس يعيشون على البشنين،[٢٣] وعلى أنواع عديدة من السمك المختلفة أسماؤه مما يخرج من مياه «عظيمة الانتصارات» (العاصمة). أما مياه «حور» فيستخرج منها الملح والنطرون، وسفنها تروح وتغدو إلى الميناء، والطعام الوفير فيها كل يوم. حقًّا إن الإنسان ليبتهج بالسكنى فيها؛ إذ لم ينقصها رغيبة تخطر على بال راغب، وقد تساوى فيها الصغير مع العظيم. تعالَ؛ دعنا نحتفل بأعيادها السماوية، وأعياد باكورة الفصول، فمن أعشاب مستنقعاتها يؤتى لها بالبردي، ومن مياه «حور» يُجلب لها اليراع، ومن الحدائق تجيء نباتات «سبر»، ومن الكروم تقطف الأكاليل، وتجلب إليها الطيور من إقليم الشلال، وإنهم يخوضون في … والبحر يزخر بسمك «بح»، وسمك «عز»، والأراضي المستنقعة تقدم لها … وشباب «عظيمة الانتصارات» (يعني العاصمة) في ملابس عيد يوميًّا، وزيت الزيتون الحلو على رءوسهم التي رجل شعرها حديثًا؛ ويقف الأهلون بجانب أبوابهم وأيديهم مثقلة بالأزهار النضرة، وبالخضر من بيت «حتحور»، وبطاقات الأزهار من مياه «بحر»، وقد كان كل فرد متفقًا مع زميله في إعلان مطلبه في اليوم المخصص لدخول «وسر ماعت رع ستبن رع» (رعمسيس الثاني) «منتو» (إله الحرب) رب الأرضين؛ أي في صبيحة عيد «كيهك» (وهذا المطلب هو): جعة حلوة من «عظيمة الانتصارات»، وكانت جرع كئوسها مثل «شاع»، أما شرابها المسمى «خور» فطعمه مثل طعم شراب «إنو» يفوق الشهد حلاوة، وجعة «كليكيا» تُجلب إليها من الميناء، والنبيذ من الكروم، وعطور مياه «سجين» اللطيفة، وأكاليل من الخميلة (؟)، والمغنون

والمطربون كانوا من «عظيمة الانتصارات» من الذين تعلموا في «منف»، فاتخذها إذن موطنًا، فكن سعيدًا فرحًا فيها، ولا تغادرها يا «وسر ماعت رع ستبن رع»، يا «منتو» يا رب الأرضين «رعمسيس» محبوب «آمون» يأيها الإله!

ولدينا غير هذا الخطاب الشيق إشارة أخرى في بردية تتحدث عن هذه العاصمة بعض الشيء[٢٤] جاءت في سياق مديح موجه للفرعون «مرنبتاح»، وهذا الفرعون هو الذي — على ما يظهر — قد كُتبت معظم الأوراق البردية الخاصة بهذا العصر في عهده، ويلاحظ أن هذا المديح لا يجد فيه القارئ شيئًا خاصًّا موجهًا للفرعون «مرنبتاح» ينطبق عليه، بل الإشارة هنا إلى المكان المسمى «بررعمسيس»، وتشير بوضوح تام للملك «رعمسيس الثاني» بأنه هو الشخص الأصلي الذي من أجله كُتب هذا الشعر، وهاك النص فاستمع لما جاء فيه من أوصاف لهذه العاصمة الجميلة:

أنت السفينة الرئيسية، والمقمعة التي تهشم، والسيف الذي يذبح سكان الصحراء، والسكين الطيعة، والذي نزل من السماء، والذي ولد في «هليوبوليس»، ومن كُتبت له الانتصارات في كل أرض! ما أسعد يومًا من أيام عصرك، وما أجمل صوتك عندما تتحدث، وأنت تشهد أنك قد شيدت «بررعمسيس-محبوب آمون»، والجبهة الأولى لكل أرض أجنبية، ونهاية مصر، والمدينة ذات الشرفات الجميلة، الساطعة بالقاعات من اللازورد والزمرد، ومسرح خيالتك، ومحاط مشاتك، ومرسى سفن جنودك، وهم يحضرون لك الجزية، المديح لك عندما تخرج بين فِرق رماتك ذوي النظرات المفترسة، والأصابع الملتهبة (حماسًا)، ومن يتقدمون عندما يرون الأمير واقفًا يحارب، وعندئذ لا تستطيع الخيالة أن تقف أمامه، وأنهم يخافون بطشك يا «بنر رع» محبوب «آمون»، وأنك ستبقى مثل بقاء الأبدية! وإن الأبدية ستمكث كما تمكث، وأنت ممكن في مكان والدك «رعي حور اختي».

وأخيرًا لدينا وصف لهذه العاصمة جاء في بردية أخرى (راجع J. E. A. Vol. V, p. 187)، فاستمع لما جاء فيها:

بداية ذكر انتصارات رب مصر: لقد شيد جلالته لنفسه قلعة اسمها «عظيمة الانتصارات»، وتقع بين «زاهي»، وأرض الدميرة (مصر)، وهي تزخر بالطعام والمؤن، وهي مثل «أيون» الوجه القبلي (أرمنت؟)، وبقاؤها مثل بقاء «منف»، والشمس تشرق في الأفق منها، أو تغرب (ثانية) فيها، وقد هجر كل إنسان بلدته، وسكن في إقليمها، وحيها الغربي هو «بيت آمون»، وحيها الجنوبي هو «بيت سوتخ»، والإلهة «عشتارت» في شرقها، والإلهة «بوتو» في حيها الشمالي، والقلعة التي فيها مثل أفق

السماء، و«رعمسيس مري آمون» فيها إله؛ وهو «منتو في الأرضين» بمثابة مبلغ، و«شمس الأمراء» هو الوزير (نعتان للفرعون «رعمسيس الثاني»)، وبهجة مصر، ومحبوب «آتوم» هو العمدة (فيها)، والأرض ترحل إلى مكانه، ورئيس «خيتا» العظيم يرسل إلى رئيس بلاد «قدي» (قائلًا): استعد ودعنا نسرع إلى مصر، ونقول: «إن إرادة الإله تعلو»، دعنا نتحدث برفق لـ «وسر ماعت رع»، فإنه يمنح النفس من يشاء، وكل أرض مفعمة بحبه، و«خيتا» في قبضته وحده، ولا يتسلم عطاياه غير الإله، وأنها لا ترى ماء السماء؛ لأنها في قبضة «وسر ماعت رع» الثور الذي يحب الشجاعة.

وفي هذه المدينة كان يرابط جنود الفرعون، ومن بين هؤلاء حرس «شردانا»، وقد كان كل شباب المدينة يتدفق أمام جلالته كالسيل بملابس الأعياد، حاملين أغصان النصر في أيديهم في موكبه الفخم، منشدين الأناشيد الحماسية في أيام الأعياد عندما كان يسير في موكبه الحافل في هذه المدينة، أو عندما كان يخرج قاصدًا إلى «طيبة» العاصمة الدينية ليقدم لـ «آمون» الأسرى والغنائم الخاصة به.

(٢-٢) المدن الأخرى التي أقامها

وقد أقام «رعمسيس الثاني» غير مقر حكمه مدنًا أخرى جديدة في مختلف جهات القطر، وبخاصة في الدلتا، كما أضاف مباني جديدة في المدن القديمة، فقد أضاف كثيرًا في مباني مدينة «تانيس»، ومدن وادي «طليمات» السالفة الذكر، هذا إلى أنه قد استمر في إقامة العمائر في بلاد النوبة السفلية حتى الشلال الثالث إلى أن استكمل تشييدها. وفي الحق أقام «رعمسيس الثاني» في هذا الجزء من إمبراطوريته ما لا يقل عن خمسة معابد نحتها في الصخر، كما فصلنا القول في ذلك عند وصفنا كلًّا منها؛ وقد كان بطبيعة الحال من مستلزمات بقائها إقامة مساكن تابعة لها لتقوم على تعميرها، وأداء الشعائر المفروضة فيها، كما كانت توضع حاميات من الجنود للسهر على المحافظة عليها، كل ذلك كان مؤداه إنشاء بلدة بجوار كل معبد، نذكر منها «بيت الوالي» القريبة من «كلبشه»، و«جرف حسين»، و«السبوعة»، و«الدر»، و«بو سمبل». يضاف إلى ذلك معبد «اكشه» الصغير الحجم القائم بذاته بالقرب من مدينة «وادي حلفا». ومن الطريف أن «رعمسيس الثاني» كان يعبد في هذه المعابد بوصفه إله الجهة بجانب الآلهة «رع»، و«بتاح». ولا يفوتنا أن نذكر هنا المعابد التي أقامها فراعنة الأسرة الثامنة عشرة في النوبة، وبخاصة معابد «كلبشه»، و«أمدا»، ومعبد «بوهن» الواقع بالقرب من «وادي حلفا»، هذا بالإضافة إلى حصن «سمنه»، ومعبده الواقع عند الشلال الثاني، من كل هذا نعلم أن هذا الجزء من بلاد النوبة كان آهلًا بالسكان بقدر ما كانت تسمح به طبيعة هذا الإقليم من خصب.

ومما يدعو للدهشة حقًّا أننا لا نجد في بلاد النوبة التي أقام فيها «أمنحتب الثالث» معبدًا في مدينة «صولب» بالقرب من «سدنجا»، حتى مدينة «نباتا» عند الشلال الرابع أي أثر

يرجع تاريخه إلى عهد الأسرة التاسعة عشرة، اللهم إلا إذا استثنينا «معبد الشمس» الذي كان قد رفع بنيانه «إخناتون» في «سيسبي»، ثم جاء بعده «سيتي الأول» فأقام فيه معبدًا لـ «آمون» انتقامًا من «إخناتون» وإلهه، ولا تزال أسس المدينة التابعة لهذا المعبد باقية، وكان يطلق عليها اسم «جم آتون»، ويرجع عهدها كما يدل اسمها إلى عهد «إخناتون».[٢٥]

وقد استغل «رعمسيس الثاني» مناجم «وادي علاقي» الغنية بالذهب، كما استغل مناجم شبه جزيرة سينا مما فصلنا فيه القول في مكانه.

(٣) إقامة المعابد، وما تستلزم من مصانع وأيدٍ عاملة

لقد شنَّ كل من «سيتي الأول» وابنه «رعمسيس الثاني» حروبًا طاحنة واسعة النطاق لها شهرة عظيمة في تاريخ الحروب العالمية، وكان الغرض منها إعادة الإمبراطورية المصرية في آسيا شمالًا، وفي بلاد السودان جنوبًا، وتمكين حدودها التي كانت عليها في عهد أباطرة الأسرة الثامنة عشرة الأماجد، غير أنهما لم يتمكنا من الوصول إلى هذا الغرض كاملًا غير منقوص، ولكن من جهة أخرى قد أفلح «رعمسيس الثاني» في إعادة ما كان لمصر من سؤدد ثقافي كرَّة أخرى؛ إذ إن الثقافة المصرية قد انتشرت وازدهرت بصورة بارزة حتى وصلت إلى أعلى درجة من السمو والرفعة في عهده، فحاولت أن تفوق ثقافة عهد «أمنحتب الثالث»، وكان من مظاهرها أن أصبحت الحكومة من جديد ثابتة الأركان، كما مكنت النظم العالمية التي كان يرغب الآلهة في نشرها في البلاد، ويعبر عنها بكلمة «ماعت» التي تدل على الحق والعدل والصدق، وهو النظام الذي وضعه والده «رع» عند بدء الخليقة، وسار عليه من أتى بعده من الملوك الذين ينسبون إليه (أولاد رع)، وبذلك أصبح من السهل تثمير موارد الدولة وأرزاقها إلى أقصى حد ممكن لتعظيم شأن الآلهة وأبنائهم الملوك الذين كان يربطهم بهم رباطًا لا انفصام له، وهو صلة الأبناء بالآباء، وقد كان جل همِّ «رعمسيس الثاني» أن يشيد لنفسه مجدًا مؤثلًا يفخر به بين أبناء إمبراطوريته مدة حياته، ويتحدث به أخلافه في الأزمان التالية.

والواقع أنه قد أُنشئت في عصر «رعمسيس الثاني» عمائر على نطاق ضخم لم يشهد العالم ما يماثله في اتساع رقعته وعظمته في كل أرجاء الوادي، فنعلم أنه في عهد «حور محب» قد بُدئ بوضع أساس قاعة العمد العظيمة القائمة للآن بمعبد الكرنك، واستمر في تنفيذ بنائها «رعمسيس الأول»، وفي عهد «سيتي الأول» بُنيت عمائر دينية في «منف»، و«هليوبوليس»، وغيرها من أمهات المدن في جهات القطر مثل معبد «أوزير» بالعرابة المدفونة، وكذلك شرع في إقامة معبده الجنازي في طيبة (معبد القرنة)، كما نحت قبره الضخم الذي يمتاز بفخامته، ودقة نقوشه في هذه الجهة أيضًا، فلما تولى بعده ابنه «رعمسيس الثاني» قام بإتمام كل هذه المباني التي بدأها والده، ثم شيد العمائر لنفسه ولآلهته في كل بلدة عظيمة في أنحاء الوادي على وجه التقريب من أول الدلتا شمالًا حتى

الشلال الثاني جنوبًا، فنراه يقيم المعابد الجديدة من جهة، ويصلح المعابد التي كانت قد هُدمت مع الزيادة في رقعتها، ونقش اسمه عليه. وقد أسهبنا القول عن كل مبانيه في الدلتا، وبلاد النوبة في مكانه.

ويدل ما بقي لدينا حتى الآن من الآثار التي أقامها في «منف» و«هليوبوليس» — وهي التي لم يبقَ منها إلا دمن ضئيلة، على أنها كانت غاية في الفخامة والضخامة؛ أما مبانيه في «العرابة المدفونة» فلا يزال بعضها باقيًا؛ فقد أقام بجوار المعبد الفخم الذي رفع بنيانه والده وأتمه هو من بعده؛ معبدًا صغيرًا لإقامة الشعائر الجنازية الخاصة به في بلدة «أوزير» المقدسة؛ ومع صغره فإنه من آيات الفن والإبداع. وفي معبد الأقصر الذي أقامه «أمنحتب الثالث»، وأصلحه من بعده «توت عنخ آمون»، و«حور محب»، بني «رعمسيس الثاني» ردهة عظيمة، أقام أمامها بوابة هائلة لا تزال باقية حتى الآن، وقد اضطر لتنفيذ مشروعه في هذه الجهة إلى اغتصاب مقصورة صغيرة كان قد أقامها «تحتمس الثالث» العظيم.

وفي الكرنك أتم بعض مباني قاعة العمد العظيمة، كما أنهى كل نقوشها وزينتها، أما المشروع الضخم الذي بدأه على حسب أحدث البحوث «حور محب»، وهو إقامة معبد كامل من كل الوجوه للإله «آمون»، فلم يتم إنجاز الجزء الأمامي منه الذي كان يعد تتميمًا للبناء إلا في العصور التي أعقبت عصر «رعمسيس» بزمن طويل؛ أي في عهد الأسرة الثانية والعشرين، وذلك عندما أقام ملوك هذه الأسرة ردهة أمامية أمام قاعة العمد، وبوابة هذه الردهة بُدئ العمل فيها في عهد البطالمة، وقد اكتفى بذلك على ما يظهر، وأقيم أمام هذه البوابة الأخيرة طريق كباش تمثل الإله «آمون رع» في صورة «بولهول» وأيضًا برأس كبش، وتصل هذه الطريق إلى النيل القريب من المعبد.

وقد أقام «رعمسيس الثاني» غير معابد الآلهة السالفة الذكر معبدًا آخر لنفسه في «طيبة» الغربية، وهو معبده الجنازي المعروف الآن باسم «الرمسيوم»، وهو الذي تحدثنا عنه فيما سبق. والواقع أنه لم يبقَ من مبانيه إلا الشيء اليسير الذي يحدثنا عن ضخامته وعظمته الغابرة، وقد ترك لنا «هكاتا أبديرا Hekataeos Abdera» وصفًا مدهشًا لهذا المعبد نقله عنه «ديدور» المؤرخ.[٢٦]

ولا بد من التنويه هنا بأن هذه المعابد كلها كانت تقام على طراز واحد كما فصلنا القول في ذلك في الجزء الخامس عند التحدث عن معبد «أمنحتب الثالث»،[٢٧] وكذلك كان فن العمائر قد بقي طرازه على ما كان عليه في عهد الأسرة الثامنة عشرة، اللهم إلا أشكال العمد التي كانت تقام على صورة حزم سيقان البردي الظاهرة سيقانها متجاورة في الحزمة، مما كان يبينه المفتن في هيئة خطوط تدل على سيقان حزمة البردي، فقد حل مكان هذا الطراز من العمد؛ عمد سيقانها مستديرة الشكل ليس فيها أي تفصيل، وكان يحمل على قمتها السقف، والفكرة القديمة التي تفسر وجود هذه العمد على هذه الصورة القائلة بأنا تمثل نباتًا ينبت من الأرض، وينتهي بزهر أو تكون في هيئة حزم يراع يرتكز عليها السقف المصور في صورة سماء كانت لا تزال باقية، غير أن السقف في الواقع لم يكن يعتمد مباشرة على رأس

العمد النباتية، كما في الصورة السالفة الذكر، بل كان يعتمد على كتل من الحجر مستطيلة ملصقة بالسقف مباشرة، ويلاحظ في قاعة العمد العظيمة في الكرنك أن تأثير منظر هذه العمد في مجموع البناء كان نابيًا لعدم تناسب تاج العمود مع ضخامة محيطه، ولكن رصَّ العمد متجاورة بكثافة بالغة — وقد وضعت عن قصد لتعوق المتفرِّج فيها عن إحاطته بنظرة عامة لكل أرجاء القاعة كما يقول البعض — جعلتها تبدو ثقيلة على النفس لا تُشعر بشيء من الأناقة والرونق. وقد كانت كل هذه العوامل عقبة في بلوغ المنزلة الفنية التي عليها معبد الأقصر من حسن الانسجام، وتناسب الأجزاء والروعة التي تستهوي النفس، وعلى الرغم من كل ذلك نلحظ أن هذه العمد في ذاتها قد أصبحت كاملة البهجة بالكتابات والنقوش، التي زينتها مما رفع من شأنها وأضفى على شكلها الأصلي صورة خلابة في ذاتها، ولفهم هذا الارتباك، وتلك البلبلة في نظام المعبد، وازدحامه بالعمد من غير داعٍ فني — يجب أن نفهم الفكرة الدينية في بناء المعبد وتكوينه، وسنشرح ذلك ببعض الاختصار.

(٣-١) الفكرة الدينية في أصل المعبد وتكوينه

والواقع أن العمد النباتية الشكل على الرغم من أن تفاصيل أجزائها تجعلها صالحة لتقوم بهذه الوظيفة لا تزال موضع نقاش — على أقل تقدير — عند رجال الفن المحدثين، ويتساءل الإنسان: أكان من المحتم أن تحوَّل البراعيم الغضة والأزهار اليانعة حتى تصير قادرة على حمل أثقال من الحجر، أم لا داعي إلى ذلك؟ ولكن المصريين في الأحوال القليلة التي استعملوا فيها، فيما بعد، ساق شجرة النخل بمثابة عمود نموذج في مبانيهم لم يجعلوا عوارض السقف ترتكز على سيقان العمد، بل وضعوها على تيجان العمد المؤلفة من الجريد؛ ومن أجل ذلك لم يقل استحساننا لها من حيث عدم ملاءمتها للقيام بوظيفتها، ومع ذلك فإنه من الأمور المدهشة أن هذا النوع من العمد لم يطغَ عليه نوع آخر من العمد النباتية. والنباتات المزهرة في كل مكان تقريبًا تبعث في النفس فكرة الفناء والذبول، وهذا ما حاول المصري إبعاده؛ ولذلك يجب أن تستنبط أن كلًّا من زهرة البشنين والبردي كان لهما روابط ذات طابع مختلف حدت بالمصري ألا يجعل طبعية هذه النباتات الفانية تأخذ المكان الأول في فكره.

والمفتاح لفهم العمد النباتية الشكل نجده في كيفية نظامها في المباني، والواقع أن ترتيب العمد في المباني المصرية ينحرف بصورة بارزة عن استعمالنا. حقًّا إن المصري كان ينسق عمده أحيانًا بطريقة تدعو إلى إعجابنا، وبخاصة ما نشاهده منها في البيوت الخاصة، وفي المقابر المنحوتة في الصخر، وما تزين به خارج المعابد، وحتى عندما كان يستعمل نماذج هذه العمد في قطع الفن الصغيرة مثل صنع يد صغيرة للمرآة في هيئة عمود من ساق البردي، أو البشنين فإنها كانت تظهر جميلة خلابة.

وإذا فرض علينا أن نتحدث عن العمد النباتية الشكل التي تعد أهم خواص الفن البنائي المصري، فإنا نفكر في الحال في تلك العمد المتراكمة في المعابد التي أقيمت في الألفين

الأخيرين قبل الميلاد. والواقع أن الإنسان عندما يلقي نظرة على عمد أحد هذه المعابد يشعر بحرج في النفس من جرَّاء ضيق المسافات التي بين هذه العمد الضخمة التي تزدحم بها قاعة العمد، والطرقات الأخرى بطريقة لم تفسر حتى الآن تفسيرًا مرضيًا إذا نظرنا إلى الطول المحدود للأحجار التي كانت ترتكز على تلك الأعمدة، ولا نزاع في أن فنًّا حيًّا كالفن المصري لم يكن مقيدًا بقيود المواد التي يستعملها، بل على العكس كان ينتخب المواد التي تساعده على أن يمثل في أكمل صورة، وعلى ذلك يجب أن نسلم أن المصري لم يجد غضاضة في تكديس المعابد بالعمد، بل إن هذه الخاصية التي تمتاز بها معابدهم كان لها قيمة إيجابية في نظرهم. وفي الحق نجد أن المصريين في استعمالهم لهذه العمد التي هي من ابتكارهم، وهم الواضعون لفكرتها؛ كانوا منقادين بميول غريبة بالنسبة لنا لم تخطر على بال، مفتن عادي لا علم له بعقائد القوم وديانتهم، ويمكن الإنسان فهم هذه الميول فهمًا جيدًا عندما يفحص تأثير العمد في تصميم المعبد. والتصميم الأصلي للمعبد المصري منطقي، وسهل الفهم.

فأهم جزء في المعبد هو «قدس الأقداس»، وكانت فكرته أنه يعد بمثابة «التل الأزلي»؛ أي أول رقعة من أديم الأرض ظهرت من مياه العدم في يوم خلق العالم، ولما كانت الكائنات كلها قد ذرأت من هذه البقعة عدت مصدر قوة لا حد لها، صالحة لظهور الإله فيها.

ونجد فكرة تمثيل المحراب (قدس الأقداس) «بالتل الأزلي» موضحة في أسماء معظم محاريب مصر الشهيرة، وفيها نجد تفسير خواص فن بناء المعبد المصري، وبخاصة استعمال العمد النباتية الشكل، فمياه العدم (نون)، و«التل الأزلي» يتألف منهما نوع من «البراح الأزلي» Landscape الذي مثل دورًا عظيمًا في خيال المصريين الديني كالدور الذي لعبه جبل «جولجوثا» (المكان الذي صُلب عليه المسيح) في الديانة المسيحية، و«البراح المصري» الديني يتألف من رقعة فسيحة الأرجاء من المستنقعات نجد الإشارة إليه في كل مكان في الأدب المصري الديني. ففي عقيدة الحياة الآخرة نجده في صورة «حقل الغاب»، وهو المنظر الذي تظهر فيه الصورة القديمة للإلهة «حتحور» الممثلة في هيئة بقرة وحشية مقتحمة أدغال الغاب برأسها، وهو نفس المنظر الذي له أثر في صور إله الشمس في أحوال كثيرة، فقد كان الاعتقاد مثلًا أنه قد ظهر في صورة طفل جالس في زهرة البشنين، وكذلك كان يظن أنه يعبر السماوات في قوارب مصنوعة من الغاب، وكذلك كان الإله «آمون رع» يظن أنه أحيانًا قد خرج من بيضة كانت فوق «التل الأزلي»، ثم طار في صورة أوزة على المياه، وكان صياحها أول صوت خُلق.

وقد كان كل من نبات البشنين والسقي (البردي) من العناصر الأصلية التي يتألف منها هذا «البراح الأزلي» (Landscape) الهام الذي لا يعتريه التغير، على أن ما كان له أثر فعال في نفس المصريين هو أنه لم تكن طبيعتهما قابلة للفناء والذبول، بل على العكس كان الذبول الذي يعتري كل نبات على حدته حادثًا لا معنى له في نظرهم، إذا ما قرن بدوام

فصيلته في المنظر الذي نشأ منه العالم، وهو الذي كان في الواقع دائم الوجود في فكر الإنسان بوساطة الصورة الدينية التي ذكرناها.

ففي عمد المعبد المصنوعة من الحجر قد تغلب المصري على صفة الزوال بإقامتها من الحجر، وفي الوقت نفسه قد حفظت أهميتها الحقيقية، وهذه العمد كانت بمثابة إعلان في البراح الديني عن موقع المعبد، كما أن نظامها الذي يدل على تكتلها قد زاد في تأثيرها.

والواقع أن المعبد المصري كان محل قوة وعظمة؛ لأن الآلهة كانوا موجودين في كل شيء في الطبيعة على حسب الاعتقاد المصري، وعلى ذلك كان من الصعب وضعهم في مكان بعينه، وكأن المعبد إذا ألقى بتعويذة على مكان معلوم يمكن الاقتراب من الآلهة فيه، وهذا يفسر لنا الارتباك الذي نشاهده في المعابد المصرية الرئيسية مثل: معبد الكرنك، ومعبد الأقصر، وهو ذلك الارتباك الذي يصبح من المستحيل فهمه إذا نظرنا إلى هذه المعابد بوصفها عمائر فنية. وقد رأينا أن التصميم الأصلي للمعبد المصري بسيط ومنطقي، ولكن المعابد التي كانت تتمتع بأعظم نفوذ في عهد الدولة الحديثة كانت تظهر كأنها مبانٍ متراكمة على نظام منحرف عن تلك البساطة، فنرى فيه أن طريق المعبد من مدخله حتى حجرة قدس الأقداس قد زِيد في طولها بإضافة ردهات جديدة، وبوابات عظيمة في حكم ملوك متتالين، أو حتى في عهد الملك المؤسس الأول للمعبد.

والواقع أنه كانت تقام محاريب ثانوية في جوانب المعبد، أو في داخل المنطقة الحرام عندما كان يُزاد في رقعتها، وبذلك نفقد في هذه الوحدة البنائية المترامية الاتساع روح التناسب، والشعور بتناسق أصلي يضع حدودًا معينة للإضافات التي يمكن أن يقبلها التصميم الأصلي، ولكن النقوش التي على المباني الفرعونية تدل على أن المصري كان يشعر بأن أي إضافة في المعبد لم تكن مما يزيد في قدر بانيها وحسب، بل كانت فضلًا عن ذلك تعد ذات قيمة للمعبد؛ لأنه إذا كانت قوة «آمون» السامية قد عبر عنها بضخامة حجم معبد الكرنك المتناهية، فإن المعبد كذلك كان يكتسب قوة، وعلى ذلك فإن مجهودات الأجيال المتراكمة في هذا المعبد الهائل قد زادت في قوة التعويذة التي جعلت الإله غير المستقر في مكان، وهو الذي كان يمثل في الهواء والنور، ويسهل الاقتراب منه في الكرنك؛ أي الإله «آمون».

وعلى أية حال كانت توجد صورة أخرى غير الصورة المرتبكة التي يظهر فيها معبد الكرنك وملحقاته، فإذا كان الحجم والجرم يمثلان القوة، فإنه كان من المستطاع إشباع الرغبة في طلب الضخامة دون خلق أي بلبلة أو مسخ في التصميم الأصلي، ويمكن عمل هذا إذا أجبر الجرم على اتخاذ صورة واضحة وبسيطة. والواقع أن هذا الحل كان هو المتبع عندما أقام ملوك الدولة القديمة مقابرهم في صورة أهرام، ولا نزاع في أن الهرم مثله كمثل المحراب في ارتفاعه يرمز به «للتل الأزلي»، غير أن الوصف والتصوير يعجزان عن إعطاء هذه الآثار حقها، وحجمها الحقيقي يعد عنصرًا هامًّا في التأثير الجارف الشامل الذي تحدثه عندما يفلح الإنسان في تأملها من جانب الصحراء، وعندما يكون بعيدًا عن تشتيت الفكر الذي

يضطر الإنسان إلى أن يقع فيه لسوء الحظ عندما يقترب منها. ويجب ألا ننسى أنها كانت في الأصل مكسوة من قواعدها حتى قممها بأحجار ملساء، كان لا يمكن الإنسان أن يميز الفواصل بينها، وهكذا نجد أن هذه الرموز الدالة على المكان الذي نشأت منه كل الحياة كانت خالية من كل تفصيل قد يدعو الفكر إلى حالة أخرى، بل كان يخطئها التغيير (راجع Frankfort, Ancient Egyptian Religion p. 152 ff.).

(٣-٢) نقوش «رعمسيس» وتماثيله في المعابد الأخرى

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن الفرعون «رعمسيس الثاني» قد تسلط عليه الصلف، وركبه الغرور، وحب العظمة بدرجة بالغة؛ مما جعله لا يتورع عن نقش اسمه بطريقته المحببة إليه بحروف غائرة قبيحة، غاب عنا السبب في إغرامه بها في قاعة عمد «أمنحتب الثالث» بجانب النقوش والصور الفنية الرفيعة الأنيقة التي حلى بها الأخير هذه القاعة في معبد الأقصر، وبذلك شوَّه منظر هذا المبنى الممتاز، وألبسه صورة آية في القبح، وإن كان في الوقت نفسه قد أبرز لعين المفتن، بل لعين المتفرِّج العادي جمال نقوش «أمنحتب الثالث»؛ فبضدها تتميز الأشياء.

وقد كانت تلاصق هذه العمد دعامات مستطيلة الشكل عظيمة الحجم، تتركز عليها تماثيل للإله «أوزير»، أو للملك نفسه، ونخص بالذكر منها التماثيل الهائلة التي كانت تُنحت واقفة أو جالسة لـ «رعمسيس الثاني»، وقد ملأ بها معابده، ويلفت النظر من بينها تماثيله الستة الضخمة التي أقامها أمام معبد الأقصر، ويبلغ طول الواحد منها أربعة عشر مترًا، وسبعة منها في قاعة العمد في نفس المعبد؛ ارتفاع كل منها سبعة أمتار، وقد أقام في «الرمسيوم»، وفي «منف» تماثيل تضارع تمثالي «ممنون» اللذين أقامهما «أمنحتب الثالث»، ولكن تمتاز عنهما بنحتها في مادة الجرانيت الصعبة التناول على الحفار، على أن ما أقامه من تماثيل لآلهته في مختلف المعابد لا يقل عددها عن عدد ما أقامه لنفسه، ولم يفُته قطع المسلات الشامخة في علوها من «أسوان»، وإقامتها في معابد الآلهة، وقد كانت جدران تلك المعابد بما في ذلك جدران البوابة العظمى التي تُعد المدخل الرئيسي مزينة بالمناظر والنقوش الملونة، وقد كان جزء منها خاصًّا بالمناظر الدينية، والجزء الآخر صور عليه انتصارات الفرعون على الأعداء، والنقوش التي تمجد أعماله، وترفعه في أعين الشعب، وتخلد ذكره على كر الأيام في أعين الخلف.

(٣-٣) المعابد المنحوتة في الصخر

وقد ظهر بين هذه المباني التي أقامها «رعمسيس الثاني» نوع جديد لم يكن شائع الاستعمال من قبل، وهو المعابد المنحوتة في الصخر. حقًّا كان المصري — كما ذكرنا من قبل — ينحت لنفسه المقابر والمزارات في الصخر، ويزينها بالمناظر والنقوش في كل العصور السالفة للعصر الذي نحن بصدده على نطاق ضيق، غير أن ذلك كان قاصرًا على

المقابر بوجه عام، وقد ازداد نحت هذه القبور في الصخر في عهد الأسرة الثامنة عشرة في جبانة «طيبة» بدرجة عظيمة جدًّا، كما زادت النقوش والمناظر التي كانت ترسم على جدرانها، يدل على ذلك ما نشاهده في مقابر ملوك هذه الأسرة، وقد بلغ هذا الطراز أوجه في الأسرة التاسعة عشرة كما نشاهد في مقبرة «سيتي الأول» التي نحتها لنفسه في «وادي الملوك»، وتعد من آيات الفن والنحت معًا. وقد اتخذ «رعمسيس الثاني» هذا الطراز من المباني في إقامة معابد بلاد النوبة، وعممه هناك، ولم يسبقه في هذا المضمار إلا الفرعون «حور محب» الذي أقام لنفسه مقصورة ضخمة في «السلسلة»، وقد رسم عليها انتصاراته على النوبيين، كما زينها بالمناظر الدينية (راجع الجزء الخامس)، وكذلك أقام محرابًا آخر في «جبل أدة» بالقرب من «أبو سمبل» (راجع الجزء الخامس).

وتدل شواهد الأحوال على أن طبيعة أرض بلاد النوبة هي التي حتمت على «رعمسيس الثاني» أن ينحت المعابد لآلهته في الصخر الصلد؛ وذلك لأن الشريط الضيق من الأراضي الزراعية الذي يفصل النيل عن التلال الصخرية التي تشرف عليه قد جعله ينحت المعابد في الصخر لضيق المكان من جهة، وربما كان يقصد منها من جهة أخرى أن يجعلها تناهض الدهر في بقائه وسرمديته، وبذلك يخلد اسمه على صفحة الزمن. ودلت الحقائق الواقعة على أنه لم يخطئ فيما قصد إذا كانت هذه هي فكرته، وهو الرأي الذي نرجحه، كما تدل عليه آثاره الأخرى.

والواقع أن هذه المعابد التي نحتها «رعمسيس» في الصخر لا تختلف في شيء عن المعابد التي كانت تقام بالأحجار في الأراضي المنبسطة، فقد كان كل محتويات المعبد من بوابة، وردهة، وقاعة عمد، وحجرات العبادة، والحجرات الجانبية التابعة لها تُنحت في الصخر على غرار المعابد الأخرى، على أن هذا الطراز الجديد من المباني تتجلى فيه بوضوح الفكرة الأصلية المقصودة منه، وهي أنه الطريق المؤدية للأماكن الخفية المظلمة الموجودة في أعماق المعبد، وهي التي يؤوي إليها الإله، كما أن تأثيرها من الخارج كانت تتجلى روعته في البوابة العظيمة المقامة أمامه ببرجيها الضخمين.

وقد نحت هذا الفرعون بجانب المعابد الصغيرة التي حفرها في «بيت الوالي»، و«جرف حسين» الذي أقامه ابن الملك صاحب «كوش» المسمى «ستاو»، ومعبد «وادي السبوع»، و«معبد الدر» المعبد الهائل الذي يطلق عليه اسم معبد «بو سمبل»، ولا نكون مبالغين إذا قررنا هنا أنه أضخم بناء على وجه البسيطة منحوت في الصخر. والواقع أن الألفاظ تعجز عن وصف ما عليه هذا المعبد من بهاء وفخامة وضخامة؛ فقد أقيم على طوار قدٍّ من الصخر أربعة تماثيل للفرعون «رعمسيس الثاني»، يبلغ ارتفاع كل منها عشرين مترًا، ثم نشاهد على مكان عالٍ فوق الجدار الخلفي الأملس السطح عددًا من تماثيل القردة محيية بأكفها إله الشمس المشرق عندما ينفلق الإصباح، ويرتفع ضوء الشمس وئيدًا حتى يدخل بوابة المعبد الضخمة التي لا تزال تكنفها التماثيل الضخمة، ثم القاعة الداخلية من المعبد، وهي التي ترتكز على ثمانية عمد، وكذلك يستند على هذه العمد ثمانية تماثيل تمثل الفرعون في هيئة الإله «أوزير»، وكلها منحوتة مثل العمد في الصخر الصلد، وعلى الرغم

من ضخامة هذه التماثيل التي كانت في داخل المعبد وخارجه فقد نجح المفتن في تصوير محيا «رعمسيس الثاني» في وضوح وجلاء وإتقان، هذا إلى أن بعضها قد نحت بمهارة ممتازة. ومما يلفت النظر من بين النقوش التي كانت تزين بها الجدران الداخلية للمعبد — وقد كانت في العادة موضوعات دينية أو تاريخية — (انظر لوحة موقعة قادش في معبد «بو سمبل»)، وضخامة معبد «أبو سمبل»، وما احتواه من حجرات ونقوش في الواقع تدهش عقول أهل الجيل الحاضر، حتى إنهم يتساءلون أحيانًا: كيف تسنى لـ «رعمسيس الثاني» إتمام هذا العمل الفذ في بضع عشرات السنين؟ ولا جدال في أن هذا العمل بمفرده كان كافيًا ليكون عنوان مجد وفخار لكل عصور التاريخ المصري الأخرى؛ وهو لم يزَل باقيًا في مكانه بكل عظمته وضخامته لم يمسه سوء بجانب المعابد الأخرى الصغيرة التي تتضاءل بجانبه، وبخاصة عندما نقرنه بالمعبد الصغير الذي أقامه لزوجه «نفرتاري» بالقرب منه، وقد زين مدخله بثلاثة تماثيل للملك والملكة التي شُيد من أجلها.

ومن جهة أخرى، لا يسع المرء أمام كل هذه المباني الهائلة الضخمة التي نحتها «رعمسيس» في جوف الصخر إلا أن يبدي دهشته وعجبه من جديد متسائلًا عن عدد الأيدي العاملة التي سُخرت للقيام بإتمام مثل هذا العمل الجبار من قاطعي أحجار، وبنائين، وحفارين، ورؤساء عمال، وكذلك من التلاميذ الذين كانوا يتلقون الدروس في المدارس الخاصة بالبناء، والتلوين، والنقش، هذا إلى الرسامين الذين كانوا يكلفون وضع التصميمات، وملاحظي العمل، والمفتنين الذين كانوا ينحتون التماثيل ويصقلونها، فكل هذه الأعمال تحتاج إلى عدد هائل من الأيدي العاملة المدرَّبة من أهل البلاد، وغيرهم من الأجانب، على أن هذا النوع من المباني والأعمال الفنية اللازمة له لم تكن قاصرة في هذا العصر على الفراعنة وحدهم، بل كانت شائعة ذائعة بصورة واضحة عند عِلية القوم ووجهائهم الذين كانوا يعتنون أحيانًا عناية خاصة بحفر مقابرهم في الصخور على مقربة من مقابر الفراعنة، وبخاصة ما نشاهده ماثلًا حتى الآن أمام أعيننا في جبانة «طيبة» الغربية من آثار الفن الذي يعد من الطراز الأول أحيانًا، وقد يرجع سبب هذا الإتقان، وحسن الذوق الذي يبدو أمامنا في مقابر عِلية القوم أحيانًا إلى ما تركه فن عصر «إخناتون» من أثر على الرغم من عودة الأحوال إلى ما كانت عليه في مصر بعد القضاء على عهد «إخناتون» البغيض من جهة الفنون، والصناعات، والدين، وما كانت تحاط به قوانينها من قدسية جامدة. والواقع أن رجال الفن لم يتقيدوا بتلك القيود القديمة العتيقة التي ضربت عليهم، وأرادت أن تغل أيديهم، وتستعبد عقولهم وعبقريتهم، بل ضربوا بهذه القيود عرض الحائط، وأفسحوا لمواهبهم الفنية المجال، وهي تلك المواهب التي كسبوها من تعاليم «إخناتون» الفنية، وما انطوت عليه من حسن ذوق، وميل إلى إظهار الأشياء التي تحذقها أيديهم على حقيقتها، كما تشاهَد في الطبيعة لا كما تقتضيه القواعد الموضوعة التي فرضتها عليهم الأجيال السالفة، والشعائر الدينية الجامدة الجافة إلى حد ما.

وقد ظهرت تلك الحرية الفنية بأجلى مظاهرها في الصور التاريخية الملكية. والواقع أن فن الصناعة القديم نفسه لم يطرأ عليه تغيير يُذكر، كما يشاهد ذلك في كثير من المقابر؛ إذ

كانت الأشكال تثبت على جدران المعابد بالنحت البارز، أو النحت الغائر، ثم تلون بالألوان المناسبة؛ مما يكسبها صبغة فنية جميلة، ولكن يلفت النظر عند تصوير المناظر الخاصة بالحياة ومباهجها مثل مناظر حفلات الولائم، أو عند تصوير سير موكب جناز المتوفى، ما نشاهده في تلك الحالات من كثرة الألوان الزاهية المختلفة، وكذلك نلحظ أن المثال قد نفث فيه أحيانًا بآلته روحًا جميلًا يشعرنا بتأثير فن «إخناتون»، وصوره الواضحة الناطقة، ومن أجل ذلك ظهرت في عالم الوجود قطع فنية من الطراز الأول، منها منظر الموكب الجنازي الذي عثر على قطع منه تنسب إلى مقبرة الكاهن الأعظم للإله «بتاح» في «منف» المسمى «نفررنبت»، وهذه القطعة تمثل أمامنا منظرًا فريدًا من موكب جناز هذا الكاهن الذي كان يسير في موكبه كل عظماء الدولة، وقد مثل كل منهم مميزًا عن الآخر بهيئة تلفت النظر، فلم نلحظ فيها هذا التشابه الممل في الصور التي تبدو أمامنا في مواكب الدفن العادية التي نشاهدها ممثلة على جدران معظم وجهاء القوم في مقابر «طيبة» وغيرها.

ففي الصف الأسفل نشاهد منظر سير الموكب الجنازي، غير أنه مما يؤسف له لم يبقَ من السفينة التي تحمل المومية إلا جزء ضئيل يدل عليها، ولم تبقَ لنا كذلك من النقوش الجميلة التي تصف لنا يوم الحزن هذا إلا جزء يسير، وهو: «ولم ينقطع أحد عن البكاء حتى يأتي الإنسان إلى …» وخلف التابوت نجد أهل المتوفى الأقربين يندبون ويبكون، وقد محي اسم أول فرد منهم، وبقي لنا الاسم الثاني، وهاك النص الذي كان يردده ابنه: «ابقَ معي لأنك ملكي للأبدية، أنت يا والدي، ويا مرشدي.» وهذا ما كان يقوله ابنه الذي كان يحمل لقب كاهن والد الإله في معبد «باست»، ويدعى «ساي». ونشاهد أولاد المتوفى، وكبار رجال الدولة الذين حضروا لتشييع المتوفى، فكان يسير في المقدمة كاتب الفرعون الأمير الوراثي، والقائد الأعلى للجيش، ويحتمل أنه هو ولي العهد نفسه كما يظن «أرمان»، ثم يليه عمدة المدينة والوزير، ثم وزير آخر؛ أي وزير الوجه القبلي، ووزير الوجه البحري.[٢٨] ثم كاتب الملك، وحامل الخاتم، فمدير المخازن، وقائد الجيش الأعلى، ومدير الإدارة، والمشرف على بيت المال، وكان يلتفت إلى زميله السابق متحدثًا معه، ثم يلي هؤلاء أربعة كهنة عظام، منهم اثنان ذكر لقب كل منهما، وهما أعظم الرائين، والكاهن «سم»؛ أي كاهن الإله «بتاح» الأكبر، ثم يأتي بعد كل هؤلاء الوجهاء «حاكم منف»، ويلاحظ أنه قد التفت إلى كهنة «بتاح» مخاطبًا إياهم، وكان في الوقت نفسه يداعب شعره هو. وعلى أية حال لا يمكننا أن نخمن ما كان يتحدث به، ولكن يحتمل مع ذلك أنه كان قد لاحظ ارتفاع عويلهم عندما كانوا ينتحبون قائلين: «إلى الغرب، إلى الغرب؛ أرض النعيم أنت يأيها الأعظم للإله «بتاح» سيد الصدق، إنك أنت والدنا.»

ولسنا في حاجة إلى التعليق على هذا المنظر الطريف، وما فيه من تفاصيل تسترعي النظر، وبخاصة ترتيب كبار رجال الدولة على حسب درجاتهم، وكذلك ما يحتويه من أدوات وملابس أنيقة جميلة الصنع، وما أبرزه المثَّال من ملامح ناطقة، وأهم من كل هذا مهارة المفتن في تمثيل هذه الأشياء بطريقة رائعة؛ إذ الواقع أن ما في هذا المنظر من جمال يدل على أن المفتن الذي أبرزه لم يكن من طبقة المفتنين العاديين، بل كان على ما يظهر

مسيطرًا على فنه لدرجة أنه كان في استطاعته تمثيل الحزن وآلامه، وحرقته بصورة محسة ناطقة، وبخاصة عندما نلحظ أنه بجانب تلك الصورة التي مثل فيها الجزع والألم قد مثل لنا صورة عِلية القوم، ورجال البلاط خلف أولاد المتوفى الذين كانوا ينتحبون، ويصيحون يمشون في هدوء وخشوع، كما أنه لم يفُته أن يصور لنا حاكم المدينة، وهو يداعب شعره المرجل في وسط هذا الحزن الشامل حتى لا تفوته النكتة التي كانت من سجايا المصري حتى في أشد المواقف وأدقها، غير أن هذا المنظر لا ينسبه الأستاذ «شبيجلبرج» إلى عهد «رعمسيس الثاني»، بل إلى عهد قبله يعتقد أنه عهد «توت عنخ آمون»، كما يؤكد أن ولي العهد والقائد الأعلى هنا هو «حور محب»، وذلك (راجع A. Z., 60 p. 56. ff.) للأسباب الوجيهة التي ذكرها.

(٤) تصوير المواقع الحربية

وقد خطى مثَّال الفرعون خطوة أخرى واسعة في تصميم المناظر، وإبرازها على حقيقتها بعد أن كان مقيدًا بالتقاليد الموروثة من قديم الزمان، فقد رأينا عند الكلام على التأثير المباشر الذي حدث في تصوير المواقع الحربية، وفي مناظر الصيد في الفن المصري، عن طريق الفن الكريتي الميكاني (أي المسيني) تدرُّجًا في الفن؛ مما أدى إلى ما نشاهده من رسم «سيتي الأول» على جدران معبد الكرنك في مناظر حروبه في سلسلة مناظر كل واحد منها على حدة، وهي تفسر لنا مجرى سير حروبه في ميدان القتال من أول الأمر حتى تقديم رؤساء الأسرى جميعًا مكبلين ومصفدين في الأغلال إلى الإله «آمون»، ثم طرح الفرعون إياهم أرضًا ليجهز عليهم على حسب التقاليد القديمة التي نشاهدها منذ القدم، ولكن «رعمسيس الثاني» تقدَّم خطوة إلى الأمام في تمثيل هذه المناظر الحربية، فمثل لنا لأول مرة في تاريخ الحروب المصرية سير موقعة «قادش» التي أظهر فيها من ضروب الشجاعة والإقدام ما جعله يشيد بذكرها، ويفخر بها على كل ما سواها من الأعمال الجليلة التي تمت في تاريخ حياته، في منظرين منفصلين بعضهما عن بعض نقشهما على أهم معابده في طول البلاد وعرضها، بل كان يكررهما في المعبد الواحد مرات.

ويمثل المنظر الأول الحوادث التي وقعت في المعسكر منذ استجواب جواسيس الأعداء حتى هجوم «خيتا» المعادين على جيشه. أما المنظر الثاني فيمثل أمامنا الموقعة التي دارت رحاها أمام الحصون التي تحيط بالنهر حتى إحضار الأسرى، وتعداد الأيدي التي كانت تقطع من أجسام الجنود الذين سقطوا صرعى في ميدان الواقعة. وقد مثل «رعمسيس الثاني» مناظر هذه الموقعة أكثر من ست مرات على جدران معابده العظيمة كما قلنا، ففي معبد الأقصر نجدها ممثلة على جدران بوابته العظيمة التي أقامها «رعمسيس» نفسه، وكذلك على جدران هذا المعبد الخارجية، ثم مثلها في معبد «الرمسيوم» على البوابة مرة، وعلى الجدران الداخلية للردهة الثانية من نفس المعبد مرة

أخرى، وفي «العرابة المدفونة» نجدها منقوشة على جدران معبده الخارجية، وفي معبد «أبو سمبل» العظيم مثلت على جدرانه الداخلية.

ويلاحظ بعض الفروق البسيطة في التفاصيل في تصوير هذه الموقعة في المعابد المختلفة، فأحيانًا نجد تفاصيل أكثر على جدران أحد المعابد لم نجدها في غيره، وقد يعزى ذلك إما إلى مساحة الرقعة التي كانت في متناول المثال لينقش عليها الصورة التي أمامه، أو إلى ذوق المثَّال وعبقريته إلى حد لا يخل بالتصميم الأصلي؛ إذ لم نجد في منظر من كل المناظر التي تمثل هذه الواقعة ما يدل على نقص فاضح.

ولا زلنا حتى الآن في حاجة إلى درس تفاصيل هذه الموقعة درسًا علميًّا تامًّا بما فيه من ألوان ودقائق لم تحلل بعد فنيًّا. وعلى أية حال فإن الفكرة التي تصورها لنا هذه الموقعة في مجموعها بوصفها لوحة مثالية كالتي نشاهدها في صورة انتصار «نارامسن»، أو الفسيفساء الذي يمثل موقعة «الإسكندر» لم تكن لتخطر على بال المثَّال المصري من جهة، كما أنها من جهة أخرى تبعد عن صورة المثال الذي تصور موقعة «ماريتون»، وتخريب «طروادة»، أو أي صورة مما أخرجته عبقرية مفتني القرون الوسطى حتى بداية عصر «إحياء العلوم» في أوروبا، ومع كل ذلك فإن الناقد البصير لو نظر إلى صورة موقعة «قادش» بعين فاحصة لوجد أنها تمثل كل الأحداث الرئيسية التي جرت في أثناء الموقعة بصورة أخاذة مثيرة للعواطف، حتى إذا ما قرنها بلوحة حروب «سيتي الأول» التي تتألف من سلسلة مشاهد، وجد أن المنظرين اللذين تتألف منهما موقعة «قادش» قد مُثلا بطريقة شيقة، وأن لهما معًا تأثيرًا بينًا؛ إذ نشاهد في وسط كل من المشهدين صورة الفرعون بحجم هائل بالنسبة لمن حوله (انظر موقعة «قادش» في الكرنك، و«الرمسيوم»، و«بو سمبل»).

ففي المعسكر نجده جالسًا على عرش من ذهب يحيط به حرسه الخاص من الجنود المصريين، وجنود «شردانا»، وبجانبه كبار رجال الدولة، وعظماء حاشيته مؤنبًا إياهم على إهمالهم عدم تفقد جيوش العدو ومواطنه، في حين نجد الأسرى الذين تسللوا إلى المعسكر المصري ليتجسسوا مواقع جنود الفرعون كانوا يضربون بالعصي لتُنتزع منهم الاعترافات عن مواقع الأعداء، وعن سبب مجيئهم. أما في مشهد المعركة فنراه وهو في العربة الملكية التي تجرَّها الجياد الصافنات، في وسط المعمعة بين الأعداء مرسلًا عليهم وابلًا من سهامه الفتاكة. ونشاهد في المنظر بجوار مكان القتال المتون المفسرة التي لم تحدثنا عن شيء من أعمال الفرعون، وما أتاه من ضروب الشجاعة تارة شعرًا وأخرى نثرًا، وبخاصة ما لاقاه من معونة إلهه الأعظم «آمون رع» في اللحظة التي كان فيها جنوده قد استولى عليهم الجزع، وخلع قلوبهم الجبن، ففي اللوحة صورة مدهشة حقيقية تمثل الملحمة على حقيقتها تمامًا؛ إذ كان العدو يقاتل بحق مقتحمًا معسكر الفرعون، حتى إن الأمراء الموالين للفرعون فرُّوا مدبرين، وقد استدعى فيلق الإله «بتاح» على جناح السرعة، وقد خفف الوطأة على المصريين اجتيازهم نهر «نعرنا» في الوقت المناسب، غير أن هذا الحادث قد سكت عنه التاريخ تمامًا، ولا يبعد أن المثال الذي وضع تخطيط هذه الموقعة كان حاضرًا في معمعة القتال؛ إذ قد ظهرت في اللوحة نفسها بعض أفكار توحي بذلك، ومع كل ذلك

فقد اختلفت آراء الباحثين في وصف هذه المعركة، والطريق التي اتخذتها حتى النهاية، وقد أوردنا هذه الآراء في مكانها (انظر الصورة ٦).

على أن هذه الصورة ليست الوحيدة من نوعها في حروب «رعمسيس الثاني»، فهناك ما يماثلها في حروبه التي شنها بعد موقعة «قادش»، ونخص بالذكر المنظر الذي يمثل ما أحرزه من النصر في «ساتورنا»، وهي موقعة وقعت عند حصار بلدة في وسط سهل مقفر، وأهم منها حصار بلدة «دابور» الذي تكلمنا عنه في مكانه، ففي هذا الحصار نشاهد الخطوات المميزة لسير القتال من البداية حتى النهاية، وقد ربطت بعضها ببعض بصورة بارزة قوية تترك في النفس أثرًا بالغًا، فنشاهد الفرعون وهو يطارد الأعداء، ثم يقفز من عربته في ملابس رثة لا يحميه درع، ويفوق سهامه على الأعداء المدافعين في داخل الحصن، في حين كان المحاربون الآخرون يقاتلون بجانب أبناء الفرعون الذين كانت تحميهم الدروع في أثناء مهاجمتهم أبراج الحصن، ثم نشاهد هذه المعاريج مطروحة على الجدران ليعرج عليها جنود آخرون للاستيلاء على الحصن عنوة، أما المدافعون فكانوا يجاهدون بكل ما أوتوا من قوة لحماية أنفسهم بإلقاء المقذوفات، والأحجار على المهاجمين، ولكن كان الحظ قد أخطأهم إذ كان المصريون الأبطال قد وصلوا في تسلقهم المعاريج إلى أعلى برج في الحصن، وعندئذ لم يبقَ للمحاصرين إلا طلب الأمان والتسليم.

---

[١] و «إفريم» اسم مكان لا اسم قبيلة، وهو مشتق من «افرات»، وهو المكان الجبلي الواقع ما بين «راما» وبيت «إيل»، وفيه قبر «راشيل» كما جاء في سفر التكوين (الإصحاح ٣٥ سطر ١٦ إلخ).

[٢] راجع كتاب الأدب المصري القديم جزء ٢ ص٢١٨.

[٣] راجع كتاب الأدب المصري القديم الجزء الأول (٣٩٢-٣٩٣).

[٤] راجع: Roeder, Der. Felsentempel Von. Bet. El-wali Taf 27; & Ed. Meyer Gesch II, I, p. 487.

[٥] راجع مصر القديمة الجزء الثالث.

[٦] راجع مصر القديمة الجزء الخامس.

[٧] راجع: Petrie, Hyksos and Israelits Cities p. 5.

[٨] واسم العاصمة الديني هو «برسبد»، ومن ثم الاسم الحالي «صفت الحنا»، أما كلمة حنا فيرجع أصلها إلى الاسم المصري «سختيو حنو»، ومعناه: «حقل الحنا»، وكان يطلق على الإقليم الذي فيه بلدة «صفت الحنا» الحالية (راجع Gauthier Dic. Geogr. V. p. 56)، وأقسام مصر الجغرافية في العهد الفرعوني ص٩١.

[٩] راجع: Pap. Anastasi III, Verso 6; & Br. A. R. III, § 629.

[١٠] راجع: Dussaud Syria V, 1924. p. 135 ff.

[١١] راجع: Spiegelberg Orient Lit. Zeit. (1926) p. 735 & Lidzbarski ebenda 1927. p. 453.

[١٢] راجع: Schumacher Z. D. Pal. Ver. 14, 142. F.; & Erman ebenda 15. P. 205. ff.; & A. Z. 31. P. 100;. & Gressmann Altor Bilder No. 90 f. 97. F. 103.

[١٣] راجع: J. E. A. Vol. V, p. 185. ff. p. 252.

[١٤] راجع: Fimmen. Kretish. Myk. Kultur 208. f. Abb. 202, 203.

[١٥] راجع: J. E. A. Vol. XVI, p. 91. & Ed. Meyer Gesch II, 1, p. 490.

[١٦] راجع: Ed. Meyer. II, 1, p. 101.

[١٧] راجع: Muller Asien & Europa p. 315.

[١٨] راجع: Junker, Onorislegende.

[١٩] راجع: Wilchen. Urkunden der Plolemaerzeit I, p. 37.

[٢٠] راجع: J. E. A. Vol. V, p. 187.

[٢١] راجع الجزء الخامس من مصر القديمة.

[٢٢] راجع كتاب الأدب المصري القديم الجزء الأول ص٣٦٨.

[٢٣] كان يصنع من لباب البردي خبز للخاصة.

[٢٤] راجع: Pap. Anastasi III, 7 (1–10) & J. E. A. Vol. V, p. 186 ff, No. 16.

[٢٥] راجع: American. Journ. Of Semetic Lang, XXIII, 1906 & XXV, 1908.

[٢٦] راجع: Diodor. I, 47–49.

[٢٧] راجع مصر القديمة الجزء الخامس.

[٢٨] راجع: Erman A. Z. 33. P. 18 ff.

الفن

أما صناعة نحت التماثيل وصقلها فإنها كانت تتضاءل أمام فن الرسم، ولكن كان يوجد بلا شك في هذه الفترة بجانب صناعة التماثيل الهائلة عدد عظيم من التماثيل بالحجم الطبعي للفرعون والآلهة على السواء قد أبدع في إخراجها، ونخص بالذكر منها تمثال «رعمسيس الثاني» الجالس، وهو محفوظ الآن بمتحف «تورين»، وقد استطاع المفتن أن يصور في محياه الأريحية والجلال الممتاز، والنشاط بدرجة عظيمة من الإتقان والدقة، ولكن مع ذلك لا نجد التمثيل الصادق الذي كان يطبعه المثال في محيا ملوك الأسرة الثانية عشرة من ألم وحزن، وتقدم في السن، وشباب غض، وغير ذلك من الملامح التي كان ينفرد بها مثالو الدولة الوسطى، يضاف إلى ذلك أن مثالي عصر «رعمسيس» لم يصلوا في تعبيراتهم إلى تصوير تلك السحنة التي يمكن للإنسان أن يرى من خلفها روح الحاكم التي كانت تميز تماثيل «إخناتون»، وغيرها من صور هذا العهد الذي امتاز بصدق التعبير، ومحاكاة الطبيعة.

(١) نظام العمل، والعمال المفتنون

وقد أتحفنا «رعمسيس» نفسه بلوحة مؤرخة بالسنة الثامنة من حكمه عثر عليها في منشية الصدر (راجع Hamada A. S. XXXVIII, p. 217. ff.) تحدثنا عن الأعمال المختلفة التي كانت تجري في الأحجار المتنوعة، وعن شغف «رعمسيس» العظيم بالحصول على محاجر جديدة تساعده على إقامة آثار باضطراد متزايد، كما تخبرنا عن الهدايا التي كان يوزعها على مهرة عماله وصناعه. ومن جهة أخرى تظهر لنا شغف العمال بإنتاج أعمال غاية في الإتقان، ثم تتحدث لنا النقوش كذلك عن الأوضاع المختلفة التي كانت تمثل فيها تماثيل العصر، وعن المعابد التي كانت تهدى إليها هذه التماثيل، ثم تنتقل النقوش إلى الكلام عن أنواع الأطعمة المختلفة التي كانت تقدم للعمال في المحاجر؛ وفضلًا عن كل ذلك تكشف لنا هذه اللوحة عن مقدار القوة والسلطان، والثروة التي كان يتمتع بها «رعمسيس»؛ فكان في مقدوره أن يصدر الأوامر لآلاف من العمال بنحت تماثيل له، وليس له غرض من هذا إلا إشباع رغباته، وصلفه، وحب العظمة الذي كان يطغى على كل مشاعره لدرجة أنه ألَّه نفسه، وعبد صورته، ويمكن أن يدل إغفال ذكر أسماء المفتنين الذين كانوا يعملون للفرعون على تفسير الفكرة السائدة وقتئذ، وهي أنه لا يوجد فرد في الأمة صاحب مكانة أو قدر إلا الفرعون الذي كان يمثل نظام «ماعت» في الأرض، وهو النظام الذي وصفه والده «رع» أول ملك حكم على الأرض، وقد بني على العدل، والحق، والصدق، وأداء الواجب.

هذا مغزى ما جاء في هذه اللوحة، وتدل شواهد الأحوال على أنه من المحتمل جدًّا أن هذا هو الدافع الحقيقي إلى عدم ذكر أسماء المفتنين، غير أنَّا وجدنا هذه الظاهرة سائدة في كل عصور التاريخ المصري، اللهم إلا شواذ قليلة نجد الكثير منها في عهد «إخناتون»، ولما كان هذا المتن يكشف لنا عن حقائق ممتعة عن العمل والعمال والفن، فضلًا عن أطماع «رعمسيس»، فإنا سنورده هنا، فاستمع لما جاء فيه:

> السنة الثامنة، الشهر الثاني من فصل الشتاء، اليوم الثامن من حكم ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع ستبن رع بن رع رعمسيس محبوب آمون»، في هذا اليوم عندما كان جلالته في «هليوبوليس» يقوم بأداء الأحفال لوالده «حور اختي»، وللإله «آتوم» رب «هليوبوليس»، وحينما كان جلالته يسير في صحراء «هليوبوليس» جنوبًا من معبد «رع»، وشمالًا من معبد التاسوع، وأمام معبد «حتحور» سيدة الجبل الأحمر؛ إذ ذاك عثر جلالته على قطعة حجر ضخمة في محاجر «بيا» لم يوجد مثيلها منذ زمن رع، وكان ارتفاعها أعظم من ارتفاع مسلة من الجرانيت الأحمر، وقد كان الكاشف لها هو جلالته نفسه عندما كانت تسطع مثل أفقه، وعندئذ سلمها جلالته لنخبة رجال مهرة في السنة الثامنة، الشهر الثالث من فصل الصيف، اليوم الواحد والعشرين. وفي السنة التاسعة، الشهر الثالث من فصل الصيف، اليوم الثامن عشر — أي مدة سنة — قد تم تمثال عظيم لـ «رعمسيس محبوب آمون»؛ وبذلك أصبح الإله في عالم الوجود لأجله، وعلى ذلك كافأ جلالته المشرف على العمال هذا، والصناع الشجعان الذين كانوا يصنعونه بكثير من الفضة والذهب، وبالعطف الملكي، ولما كان جلالته يحميهم دائمًا فإنهم كانوا يعملون لجلالته — أي ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين «رعمسيس محبوب آمون» — بقلوب مُحبة، وعندما وجد جلالته بجواره (أي الحجر) محجرًا آخر (صالحًا) لعمل تماثيل من حجر «بيا» الذي يفوق شجرة الصنوبر (في متانته)، فإنه أهداه لمعبد «بتاح»، وقد أطلق عليهم اسم جلالته العظيم أي «رعمسيس محبوب آمون» بن «بتاح»، وقد أهدى بعض تماثيل أخرى منه لمعبد «آمون رعمسيس مري آمون»، ولمعبد «رعمسيس مري آمون»، في مدينة «بررعمسيس». وقد ملأت معبد «رع» بتماثيل «بو الهول» عديدة، وبالتماثيل التي نُحتت في وضع تقدم فيه الزيت، ومقربة طبقًا فيه طعام.

وهذا ما يقوله «وسر ماعت رع ستبن رع رعمسيس مري آمون»: أنتم يأيها العمال الشجعان المهرة الذين يقطعون لي آثارًا بكل كمية؛ وأنتم يا من يعشقون العمل في الحجر الثمين الممتاز، ويا من يتعمقون في شغل الجرانيت الأحمر، والمتمرنين على حجر «بيا»، ومن هم أصحاب شجاعة وقوة في صنع الآثار لأملأ بها كل معابدي التي أبنيها مدة حياتهم، أنتم يأيها الرجال الطيبون، يا من لا يعرفون التعب، ويا حراس العمل طول الوقت، ويا من

ينفذون تمامًا وبإتقان واجباتهم، وأنتم يا من يقولون إننا نعمل بعد التروي للذهاب لهذه الخدمات في الجبال المقدسة، لقد سمع ما يقوله بعضكم لبعض، وإن فيكم لبركة؛ لأن الأخلاق تظهر على حسب الكلام، وإني «رعمسيس مري آمون» الذي ينشئ الشباب بإطعامهم، والأغذية وفيرة أمامكم، وليس بينكم من يرغب فيها بشدة، والطعام غزير حولكم، ولقد كفيت حوائجكم من كل وجه صحيح حتى تعملوا لي بقلوب محبة، وإني دائمًا المحافظ على حوائجكم، وإن المؤن قد أصبحت لديكم أثقل من العمل نفسه؛ لأجل أن تتغذوا وتصبحوا عمالًا صالحين للعمل؛ لأنى أعرف تمامًا وجيدًا عملكم الذي يمكن أن ينشرح له كل من يعمل فيه عندما يكون البطن مملوءًا، فالمخازن مكدسة بالغلال لكم حتى لا يمر عليكم يوم تحتاجون فيه للطعام، وكل واحد منكم عليه عمل شهر، ولقد ملأت لكم المخازن من كل شيء من خبز، ولحم، وفطائر، ونعال، وملابس، وعطور لتعطير رءوسكم كل أسبوع (الأسبوع عشرة أيام)، ولأجل كسائكم كل سنة، ولأجل أن تكون أخمص أقدامكم صلبة دائمًا، وليس من بينكم من يمضي الليل يئن من الفقر، ولقد عينت خلقًا كثيرًا ليموِّنوكم من الجوع، وكذلك سماكين ليحضروا لكم سمكًا وآخرين بمثابة بستانيين لينبتوا لكم الكروم، وصنعت أواني واسعة على عجلة صانع الفخار، مسويًا بذلك أوعية لتبريد الماء لكم في فصل الصيف، والوجه القبلي يحمل لكم حبًّا للوجه البحري، والوجه البحري يحمل للوجه القبلي حبًّا وقمحًا وملحًا وفولًا بكميات وفيرة، ولقد قمت بعمل كل هذا لأجل أن تسعدوا وأنتم تعملون لي بقلب واحد. وعندما ذهبت إلى «إلفنتين» انتخبت جبلًا طيبًا لأجل أن أسلم لكم العمل في محجره، ثم أمرتكم أن تعملوا في المحجر الذي يحمل اسمي، ويسمى محجر «رعمسيس مري آمون المحبوب مثل رع»، وقد عثرت لكم على محجر بجواره فيه جرانيت أسود يصلح لعمل تماثيل كبيرة منه، وتيجانها المزدوجة تكون من حجر «بيا»، وهو الذي يسمى محجر «رعمسيس مري آمون حاكم الأرضين»، وعثرت لكم على محجر آخر يحتوي على … لونه مثل الفضة النظيفة، ويسمى محجر «رعمسيس الثاني مري آمون المحبوب مثل بتاح»؛ أي ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع ستبن رع رعمسيس مري آمون معطي الحياة».

تعليق: ولسنا في حاجة إلى التعليق على ما جاء في هذا النص عن نشاط «رعمسيس» في إقامة التماثيل، والمعابد، ومعاملته لطبقة العمال الذين يعملون لحسابه، ولن نكون مبالغين إذا قلنا إن هذه المعاملة هي التي تصبو إليها نفوس عمال أرقى دول العالم؛ إذ هي في الواقع معاملة نموذجية، فالغذاء والكساء، والتشجيع الأدبي، والراحة بالتناوب كانت كلها متوفرة بدرجة لا يكاد الإنسان أن يصدق وجودها في تلك الأزمان العتيقة، ولا غرابة إذن في أن نجد الإنتاج في عصر «رعمسيس الثاني» قد ضرب الرقم القياسي في كل عصور التاريخ المصري القديم، ويرجع الفضل في ذلك إلى توفير كل أسباب السعادة لطبقة العمال الذين كانوا يعملون له بقلوب مفعمة بالحب والإخلاص العميق، وقد كان كلما بالغ «رعمسيس» في راحتهم والسهر على مصالحهم؛ ازداد إنتاجهم؛ مما شجع الفرعون من جهة أخرى على البحث لهم عن محاجر جديدة في طول البلاد وعرضها ليصنعوا له ولآلهته التماثيل، ويقيموا لهم من المعابد ما يجلب رضاهم، ويرفع من شأن الفرعون نفسه. وإذا

صدقنا كل ما جاء في هذه اللوحة من حسن معاملة العمال، فإن ما ينسبه الخلف من سخرة وظلم للفراعنة يصبح لا أساس له من الصحة.

ويدل ما لدينا من الآثار على أن «رعمسيس الثاني» لم يكن يستخدم في نحت تماثيله عمالًا مصريين وحسب، بل لدينا من مظاهر الفن نفسه، وما حدث فيه من تغيير ما يدل على أنه استخدم مفتنين أجانب من البلاد الأجنبية التي جاء منها الآلهة العديدون الذين نشاهد «رعمسيس الثاني» يتعبد إليهم في عاصمة ملكه الدينية «تانيس»؛ ولذلك سنتكلم هنا عن تأثير الفن الأسيوي في نحت تماثيله، وقرنه بالفن المصري الأصيل.

(٢) تماثيل «رعمسيس الثاني»، وتأثير الفن الأسيوي فيها

تدل البحوث التي قام بها الأثريون، ورجال الفن على أن تماثيل «رعمسيس الثاني» كانت لها ميزات خاصة من حيث الضخامة والصناعة، وأنها كانت تتشكل حسب البيئة التي تحيط بها، وبخاصة تماثيله العديدة التي أقامها في مدينة «تانيس» المقدسة القريبة من حدود مصر من جهة الشمال؛ إذ نجد في تصويرها ونحتها أثرًا أجنبيًّا ناطقًا، والظاهر أن الطابع الفني الأجنبي الذي طُبعت به هذه التماثيل كان قاصرًا على عهد «رعمسيس»، وبموته اختفى هذا الطابع الخاص، وعادت صناعة التماثيل إلى ما كانت عليه من قبل.

والواقع أن أول من درس تماثيل «تانيس»، وفهم ميزاتها الخاصة هو الأثري «مسبرو» (راجع G. Maspero Essai Sur. L’art Egyptinne Paris. 1912 p. 11–15; Egypte dans Ars Una. P. IX, 201.). ومنذ عهد «مسبرو» توالت الحفائر في هذه البلدة المقدسة، وقد جاءت كلها معززة وجود تأثير أجنبي، وأنها كانت مركزًا دينيًّا هامًّا منذ عهد الدولة القديمة (راجع Montet Nouvelles Fouilles de. Tanis (1929–32) Paris 1933 p. 164-5.)؛ حيث وجدت بقايا معبد قديم فيه آثار لكل من «خوفو»، و«خفرع»، و«بيبي الأول»، و«بيبي الثاني» من الجرانيت، ولكن لما نقل «رعمسيس الثاني» مقر حكمه إلى «بررعمسيس» اتخذ «تانيس» عاصمته الدينية في الدلتا، وعني بأمرها كل العناية، وبخاصة أنها كانت مقر عبادة «ست» الذي تُنسب إليه أسرة «رعمسيس»، وقد قطع لتماثيله الضخمة أحجارًا من محاجر الكوم الأحمر مقر عبادة الإلهة «حتحور»، كما ذكرنا من قبل، ولم يكن ذلك بالأمر الصعب عليه، كما لو كان قد قطعها من أسوان، ومن المحتمل أن «رعمسيس الثاني» كان يقصد من إقامة تماثيل له ولآلهته في هذه الجهة أن يقلد ملوك الشرق الذين كانوا لا يعقدون معاهدة إلا إذا أشهدوا عليها كل الآلهة المعروفة وغير المعروفة؛ ولذلك أراد «رعمسيس» أن يقيم في عاصمته الدينية عددًا عظيمًا من الآلهة الحامين له هناك مثل: «آتوم»، و«بتاح»، و«برع»، و«آمون»، و«وازيت»، و«عنتا»، وغيرهم.

وقد كتب على هذه التماثيل الألقاب العادية التي كان يلقب بها كل إله، فكان الإله «آتوم» يلقب مثلًا «سيد الأرضين» في «هليوبوليس»، على أن ذلك لا يعني أن هذا الأثر قد انتزع من «هليوبوليس»، ووضع في «تانيس» بل عمل محليًّا.

وسنحاول هنا أن ندرس بعض مميزات تماثيل «رعمسيس الثاني»، وبخاصة تماثيله في بلدة «تانيس» حتى يمكننا أن نصل إلى التأثير الأجنبي الذي لوحظ فيها، والواقع أن «رعمسيس الثاني» قد ترك لنا تماثيل عدة في هذه المدينة كشف منها حتى الآن ما يربى على ثلاثة وعشرين تمثالًا، وهذه التماثيل قد وجدت في ثلاث جهات من المدينة القديمة: (١) البوابة الضخمة. (٢) في داخل المعبد الكبير. (٣) وفي معبد الإلهة «عنتا»، وسنتحدث عنها فيما يلي، ثم نقرنها بتماثيله الأخرى.

(٢-١) التماثيل التي وجدت جهة البوابة

تدل الكشوف الأثرية على أن كل التماثيل التي أقيمت في هذه الجهة قد أتي بها من جهات أخرى من المدينة؛ فنجد أن بعضها قد جاء بها الفرعون «شيشاق» الذي أقام البوابة إلى هذا المكان لتكسيرها، وللاستفادة منها، فمن ذلك التمثال الضخم المصنوع من الجرانيت الذي كان يبلغ ارتفاعه أكثر من عشرين مترًا، ولم يبقَ منه إلا بعض قطع صغيرة (راجع Petrie Tanis I, pl. 14 No. 4. p. 22; Les Nouvelles Fouilles de. Tanis Pl. 47 & p1. 17, 2.). ولم يبقَ من القطع التي عليها نقوش من هذا التمثال إلا قطعتان نقرأ عليها اسمي الإلهين اللذين يحبان الفرعون، وهما «آمون رع» ملك الآلهة، والذي في قلب «منف»؛ و«بتاح» رب العدالة، وصاحب الوجه الجميل في «عنخ تاوي»، وهذان الإلهان من آلهة «منف»، ووجودهما هنا يعزز نظرية «دارسي» القائلة بأن «تانيس» لم تلعب قط دورًا هامًّا، ولكن مما لا شك فيه أن آلهة «رعمسيس» كانوا قد ذُكروا بحروف أضخم على أجزاء أخرى من التمثال (راجع A. S. (1917) p. 164 ff.) لم تصل إلينا.

وفي هذه البقعة كذلك وجد تمثالان ضخمان من الجرانيت الوردي طول الواحد منهما حوالي سبعة أمتار، وقد نُقلا ونُصبا أمام البوابة، وقد هُشما طبعًا (راجع Les. Nouvelles Fouilles de Tanis p. 56-7 & pl. 22-23.)، ومع ذلك بقي الجزء الأعظم منهما في مكانه، ولم يوجد مستعملًا منهما إلا قطعة بمثابة عتب باب، وهذان التمثالان يمثلان الفرعون واقفًا مستندًا بظهره على عمود عريض لابسًا تاج الوجه البحري، وفي يده اليمنى أسطوانة، وكذلك وجد في هذا المكان ثالوث من الجرانيت يمثل «رعمسيس الثاني» واقفًا بين الإله «حور اختي»، والإله «بتاح» (راجع Ibid. p. 58-9, pl. 24, 25. No. 5). ومن الجائز أن هذه المجموعة كانت في مكانها الأصلي، وكذلك ثالوث آخر وجد منه رأسان واحد للملك، والآخر للإله «خبري» (راجع Ibid. p. 59 pl. 25 No. 3-4)، ولكن من المؤكد أن الملك «شيشاق» كان يقصد تكسيرها، والاستفادة منها على

حسب الحاجة، هذا إلى ثالوث آخر قد وجد منه «بتري» رأسًا (راجع Petrie Ibid. I, pl. 14. No. 2). وفي الجهة الغربية على مسافة من البوابة وجد تمثالان من الحجر الرملي الملون، ويبلغ طول أحدهما على أقل تقدير نحو ثمانية أمتار؛ (Nouvelle Fouilles Ibid. p. 55. pl. 19.)، أما التمثال الثاني الذي كان في الجهة الشمالية فمن الجرانيت، وكان أقل بكثير من الأول في ارتفاعه، وقد كتب على كليهما اسم الإله «آتوم سيد الأرضين» في «هليوبوليس»، و«حور اختي» محبوب «رعمسيس».

(٢-٢) في داخل المعبد الكبير

وسنضرب صفحًا هنا عن التماثيل التي اغتصبها «رعمسيس» مثل: «بولهول» متحف اللوفر، و«بولهول» متحف القاهرة، وكذلك التمثالين رقم ٤٣٠ و٤٣٢ الموجودين بالمتحف المصري، كما سنهمل كذلك التمثال رقم ٦١٦ الذي نسبه «بورخارت» للفرعون «رعمسيس الثاني» (راجع Statuen Und. Statuetten Von. Konigen und Privaten p. 163)؛ وذلك لأنه ليس عليه ما يثبت شخصية هذا الفرعون؛ وكذلك التمثال الذي يمثل فرعونًا راكعًا يدفع رمزًا إلهيًا أمامه، وقد نسبه «بتري» إلى هذا الفرعون، غير أننا وجدنا عليه اسم «شيشاق»، ولسنا متأكدين منه؛ هل اغتصبه هذا الفرعون، أو هو من صنعه؟ (راجع Petrie Tanis I, pl. 14. 3).

أما تماثيله الأصلية التي وُجدت في هذه البقعة، فمنها تمثالان من الثلاثة التي نقلها «برستي» إلى «المتحف المصري»، وقد دونا هناك برقمي ٥٧٣ و٥٧٥، والأول: يمثل الملك جالسًا على عرش مربع، ويداه مبسوطتان على فخذيه، أما الثاني: فقد مثل واقفًا وقابضًا على عصا بمثابة رمز في كل من يديه (راجع Jequier Les. Temples Ramesides et. Saites pl. 42).

أما التماثيل الأربعة الضخمة المصنوعة من الحجر الرملي التي عثر عليها «مريت باشا» في الأركان الأربعة للردهة الثانية فقد بقيت في مكانها (راجع Mariette Rec. Trav. IX, 12 (1887))، وقد نصب الجزء الأسفل من التمثال الذي كان في الجهة الشمالية الشرقية، ويمكن الإنسان أن يشاهد عليه صورة الملكة «مريت آمون»، وبنت ملك «خيتا»، مات «نفر ورع» زوج «رعمسيس الثاني».



شكل ١: («رعمسيس الثاني» في طفولته يحميه الإله «حورون»).

وكذلك وجد «ريفو» تمثالًا يحتمل أنه من هذه البقعة، وهو الآن بمتحف اللوفر (A 20)، وهو يمثل «رعمسيس الثاني» لابسًا على رأسه لباس الرأس المسمى «نمس»، وجالسًا على عرش بظهر قصير، ويداه مبسوطتان على فخذيه، وكذلك يوجد له تمثال في «متحف اللوفر» يقال إنه مغتصب (راجع Boreux Louvre Catalogue Guide p. 40)، غير أن ملامحه تدل على أنه لـ «رعمسيس الثاني».

وقد وجد في البيوت التي على حافة ردهة هذا المعبد أغرب تمثال عثر عليه لـ «رعمسيس الثاني» في «تانيس»، وقد كشف عنه «مونتيه» عام ١٩٣٤ ميلادية، وهو يمثل هذا الفرعون في هيئة طفل بملامح تدل على الابتهاج، تتدلى من رأسه خصلة شعر، وأعضاؤه ممتلئة؛

مما جعله يظهر صغيرًا جدًّا أمام الإله الحامي له، وهو صقر ضخم واقف فوق رأسه، على أن الفكرة القائلة بأن الفرعون هو ملاك الآلهة تصادفنا من وقت لآخر في «تانيس»؛ فنقرأ «ملاك آتوم» على إحدى المسلات (راجع A Guide to the Egyptian Galleries Sculpture 599). وقد مثل النحات المصري هذه الفكرة بصورة ساحرة في هذا التمثال،

ولكنه أضاف شيئًا آخر على ذلك، فالطفل الذي يسمى بالمصرية «مس» ( ) يحمل قرص

الشمس الذي يسمى «رع» ( ) على رأسه، ويقبض بيده اليسرى على نبات «سو» ( )، فإذا جمعت هذه الرموز معًا قُرأت على حسب القراءة المصرية «رع مسسو»؛ أي إن هذا الفرعون كان تحت حماية هذا الإله. والواقع أنه يوجد في المتحف البريطاني (راجع Petrie. Tanis I, pl. 10, 53) تمثال من «تل المسخوطة»؛ حيث نجد اسم «رعمسيس الثاني مري آمون» قد وضع على صقر، وهي نفس الفكرة، ولكن أخرجها مثال حرم قوة الخيال، ويلاحظ أن الإله الذي على تمثال «تانيس» — وهو الذي صور في هيئة الطائر «حور» — يحمل اسمًا غريبًا، وهو «حورون رعمسيس»، وهذا الاسم كان يطلق على تمثال «بولهول» في منطقة الجيزة، وقد كتب أيضًا «حول»، و«حورنا»، وهو من أصل كنعاني، وقد تكلمنا عنه من قبل مرارًا.

(٢-٣) معبد «عنتا»

ومعبد الإلهة «عنتا» الأسيوية الأصل يقع في الجهة الجنوبية القريبة من المعبد الكبير، وقد بقي لنا فيه تمثالان من الجرانيت الأسود يشبه أحدهما الآخر تقريبًا، ويمثلان «رعمسيس» جالسًا على قاعدة مربعة، ويدا كل منهما قد وُضعتا على فخذيه مبسوطتين والتمثالان يعيدان إلى الذاكرة التمثال رقم ٥٧٣ المحفوظ في المتحف المصري، وكذلك التمثال .A 20) الموجود «باللوفر»، ونقرأ في نقوشهما اسمي الإلهين «رع»، و«آتوم». وكذلك استخرج من نفس المكان أربع مجاميع من التماثيل؛ حيث نجد في كلٍّ أن «رعمسيس» قد مثل مع آلهة: (١) فنجد «رعمسيس»، والإلهة «وازيت» من الحجر الرملي بحجم أصغر من الطبعي بكثير، والمجموعة مشوهة جدًّا. (٢) و«عنتا»، و«رعمسيس» من الجرانيت الرمادي، وهنا تضع الإلهة «عنتا» يدها على كتف الملك، وتسمى «ملكة السماء، وسيدة آلهة «رعمسيس»» (راجع Les Nouvelles Fouilles Ibid p. 107, pl. 47, 2; 53; 55.). (٣) و«عنتا»، و«رعمسيس» بالحجم الطبعي (راجع.Ibid p. 125 pl. 70–2). (٤) والآلهة «سخمت» و«رعمسيس» جالسين متجاورين، وهما من الجرانيت الوردي (راجع Ibid p. 113, pl. 55, 59, 60).

(٢-٤) طراز تماثيل «رعمسيس» وصناعتها

يلاحظ أن بعض هذه التماثيل يستند على عمود مستطيل وعريض كان يستعمل وجهه لكتابة النقوش، فكان يكتب عليه ألقاب الفرعون التي كانت تشغل جزءًا كبيرًا من كل سطر بوجه عام، ومن ذلك التمثالان المصنوعان من الجرانيت الوردي الموجودان في المدخل، وكذلك المجاميع التي هناك. ولكن في استطاعة الإنسان أن ينشر العمود الذي تستند عليه التماثيل دون الإضرار بجسم المجموعة. وقد وجدنا في الدولة القديمة تماثيل تستند على عمد مثل هذه عريضة، ولكن أخذت هذه العمد تضيق شيئًا فشيئًا حتى اختفت في نهاية الأمر، وأصبح التمثال بلا عمود؛ ولذلك نجد أن المثَّالين العظام في الدولة الحديثة قد وصلوا إلى الاستغناء عن العمود في كثير من الحالات، وعلى الرغم مما نجده من نقوش تدل على أن هذين التمثالين من عمل «رعمسيس»، فإنه من المحتمل إذن أنهما من صناعة العهود القديمة، والواقع أن الوجه الأكثر حفظًا منهما يدل على أنه من صناعة الدولة القديمة، أو بداية الدولة الوسطى أكثر مما يدل على وجه «رعمسيس».

والمجاميع التي تشمل «رعمسيس» مع إله أو أكثر قد صُنعت بطريقة مغايرة لذلك، فمثلًا في الثالوث العظيم الذي في المدخل، ويتألف من «بتاح»، و«رعمسيس»، و«حور اختي» نجد أن البارز من جسمهم جزء يسير؛ لأن معظم أجسامهم قد غار في السنادة التي وراء ظهرهم، فأجسامهم لا تكاد تبرز إلا بضعة سنتيمترات من حجر السناد، وكذلك يلحظ أن الذراعين واليدين لم تظهر بصورة واضحة في التمثيل، وأن السيقان اليمنى قد بقيت حبيسة في الحجر، والأقدام اليسرى تخطو إلى الأمام بصورة أقل من المعتاد، وتظهر الرءوس مفرطحة، ولا نزاع في أن مثل هذه الصناعة تُنسب إلى صناعة الحفر أكثر منها إلى صناعة التماثيل المجسمة، غير أنها مع ذلك لا تخضع لقوانين الحفر البارز عند المصريين، وهي التي تضع رأسًا مصورًا تصويرًا جانبيًّا على كتفين مصورتين تصويرًا كاملًا. وتلفت اليدين اللتين صُورتا تصويرًا كاملًا، والقدمين اللتين صورتا جانبيًّا، ولكنا هنا في هذه المجاميع لا نرى أي اعوجاج في التمثيل؛ إذ نجد الشخصيات الثلاثة ينظرون إلى الناظر إليهم بوجوههم كاملة، والوجه والجذع، وكل الأعضاء تُرى من الأمام واليدان مفتوحتان، ويلحظ أن الجوانب الصغيرة للأثر تخضع لنفس الصناعة، فعلى اليمين نشاهد الإله «حور اختي»، وعلى اليسار صورة «بتاح»، وقد مثلا بالنقش البارز دون أي تشويه؛ إذ نجد الكتف في مكانه الحقيقي.

والملاحظات السابقة تنطبق على المجموعتين الأخريين اللتين لم يبقَ منهما إلا قطع، وكذلك على المجموعة التي مثل فيها الآلهة «عنتا»، و«رعمسيس» المحفوظة «بمتحف اللوفر»، وتمثال «رعمسيس الثاني» «بمتحف القاهرة» الذي يحمل رقم ٥٧٥ قد صُنع بهذه الطريقة أيضًا، وصور الأناث اللائي نقشن بصحبة التماثيل الضخمة المصنوعة من الحجر الرملي الموجودة في الردهة الثانية، وكذلك صورة الملكة «مريت آمون» مع التمثال الذي في الجنوب الشرقي، وصورة الملكة «بنت عنتا» على التمثال الذي في الجنوب الغربي، كل هذه قد مثلت بالحفر من غير تشويه؛ والمجموعتان الجالستان وهما: «عنتا»، و«رعمسيس»، و«سخمت»، و«رعمسيس» يظهر أنهما تؤلفان مجموعتين أمرهما وسط بين

التمثيل بالحفر نصف البارز، والتماثيل المجسمة فعلًا؛ إذ نجد أن السنادة التي يرتكز عليها التمثالان ليست على قدر عرضهما، فالكتف اليسرى للآلهة، والكتف اليمنى للملك تشاهَد كلها منفصلة تمامًا من الحجر، ولكن المثَّال قد حفر الرقعة التي بين التمثالين حفرًا غير متقن، وقد عمل الجزء الأوسط كله بالحفر، وقد مثل مثالو الدولة الحديثة في معظم الأحيان المجاميع التي وجدت خارج «تانيس» مرتكزة تماثيلها إما على سنادة أو على الجدار الخلفي لكوَّة، وهذه التماثيل قد عملت مجسمة كما كانت الحال في العصور السالفة، ولكن عندما كان المثال لا يهتم بالتعمق في رقعة الحجر — وذلك إما لتراخيه، وإما لعدم حذقه — فإن الأشخاص الممثلين يظهرون كأن نصفهم مختفٍ في الحجر، مثال ذلك: التماثيل التي تحمل الأرقام التالية بمتحف القاهرة: ٤٢٠٦٥، ٤٢٠٦٦، ٤٢٠٨٠، ٤٢٠٩٧، وكلهم من عهد الأسرة الثامنة عشرة، وقد عثر عليهم في «الكرنك».

وكذلك لدينا مجموعة «بمتحف اللوفر» (A. 47.) (راجع Boreux Ibid I, p. 52)؛ ويحتمل أنها من عهد الأسرة الثانية عشرة، وتمثال في متحف القاهرة (يحمل رقم ٦٠٥)، وتعد ضمن الحفر البارز وحسب، وعلى أية حال يجب أن تنتظر حتى عهد «رعمسيس الثاني» لنجد تماثيل صُنعت على غرار مجاميع «تانيس»، ففي «أهناسيا المدينة» عثر على ثالوث ضخم يمثل «رعمسيس» بين الإله «بتاح»، والإلهة «سخمت» زوجه وهو موجود «بمتحف القاهرة» (راجع Jequier Les. Temples ramesides et. Saites pl. 42)، ويكاد يكون صورة مطابقة لثالوث «تانيس»؛ إذ نجد أن ثلاثة الأشخاص الذين مثلوا في الحجر قد التصقوا فيه، ويظهرون بوجوههم كاملة للناظر، هذا إلى أن الأيدي والأذرع قد مثلت بسمك بسيط بارز من الحجر، وتوجد مجموعة صغيرة الحجم ضمن آثار «تجران» (راجع Danios Pacha Collection d’Antiquités Egyptiennes de. Tigrane Pacha d’Ako Paris Leroux 1911 pl. 27-28 p. 9. No. 69)، ونشاهد فيها «رعمسيس الثاني» ممسكًا بيده الإله «حور اختي»، والإلهة «باستت» سيدة «بوبسطة»، وهؤلاء الأشخاص الثلاثة قد حفروا بالطريقة السالفة، ولا شك في أنه توجد أمثلة أخرى من هذا الطراز، ولكن تدل شواهد الأحوال على أنها لم تكثر منذ الآن إلا في عهد «رعمسيس الثاني» وحسب، وبخاصة في «تانيس». والواقع أنها نشأت في مدينة هذا الفرعون المقدسة، ومن ثم انتشرت أولًا في المدن المجاورة مثل «بوبسطة»، ووصلت إلى أماكن أخرى بعيدة، غير أنه لم يكن لها شأن يذكر في «طيبة»، وقد ظهر من بين تماثيل خبيئة الكرنك تماثيل كبيرة وصغيرة من عهد الرعامسة تمثل شخصًا ممسكًا في يده مذبحًا، أو محرابًا صغيرًا فيه تمثالان، أو ثلاثة لآلهة جالسين أو واقفين منفردين، أو يمسك بعضهم بأيدي بعض (راجع Legrain Stat. II, 42111, 42144, 42153, 42176, 42178).

وهذه التماثيل قد نُحتت مجسمة، وأجسامها وأعضاؤها مثلت بحجمها الطبعي.

ومما يلفت النظر أن وجوه «رعمسيس» في كل تماثيله في «تانيس» ليست موحدة، ولكن كثيرًا منها يشبه بعضه بعضًا، فالتمثال الضخم الجميل الذي في المدخل المصنوع من الحجر الرملي، والتماثيل الأربعة الضخمة التي في الردهة الثانية، والتمثال رقم ٥٧٣ «بمتحف القاهرة»، والتمثال (A. 20.) الموجود «بمتحف اللوفر»، وتمثالا «رعمسيس» الجالسان بمعبد «عنتا»، وتمثال «رعمسيس» الجالس في مجموعة «عنتا» «رعمسيس»، كل هذه يظهر فيها وجه «رعمسيس» كبيرًا وممتلئًا، وملامحه ليست بارزة تمامًا، فالعينان قد مثلتا أحيانًا طبعيتين، وأحيانًا مكحلتين ومعبرتين عن الرزانة والطيبة معًا، وهذا الوصف ينطبق على تماثيل «منف» الضخمة، وعلى تماثيل الأقصر، وعلى التمثال رقم ٥٨٣ الموجود «بالمتحف البريطاني» الذي أُتي به من «الرمسيوم» (راجع Egyptian Sculp. In Br. Mus. Pl. XXI,). وعلى ذلك نجد أن معظم المثالين في «تانيس» قد نحتوا تماثيلهم عن أصل ثابت، ومع ذلك فإن التمثالين الجالسين في معبد «عنتا» ليسا موحدين في التمثيل، فنجد على الأقل أن الذي نحت التمثال الأكثر حفظًا منهما لم يصل مثل زميله إلى نقل النموذج الذي كان أمامه؛ إذ نجد أنه قد مثل الفرعون — على غير رغبة منه — بملامح قبيحة، والعينين بخاصة مثلتا بارزتين كما تمثلان في الحفر، وعلى المسلات، وعلى لوحات «تانيس» (راجع Kemi Iv, 195).

وفي مقابل هذه السلسلة نجد في مجموعة «رعمسيس»، والإله «خبري»، ومجموعة «رعمسيس وسخمت»، وتمثال القاهرة رقم ٥٧٥ أن «رعمسيس» قد مثل فيها بوجه عرضه أكبر من طوله، وكذلك مثلت العينان صغيرتين، والشفتان غليظتين، ومنخفضتين في نهايتهما، على أن ما يبرز وجه الشبه في هذه التماثيل الثلاثة ﻟ «رعمسيس» هو أن لباس الرأس موحد فيها جميعًا، ويشمل شعرًا مستعارًا ثقيلًا يغطي الأذنين، ويؤلف على الجبهة كتلة من الشعر أفقية، على أن كثيرًا من تماثيل ملوك الدولة الحديثة قد تحلَّت بلباس الرأس هذا، ولكن يجب أن نقرن بتماثيل «تانيس» تمثالين ﻟ «رعمسيس الثاني» محفوظين «بالمتحف المصري»، وأعني بذلك الرأس الذي يحمل رقم ٦٤٠ المستخرج من تل «نبيشة» على مسيرة أربعة عشر كيلومترًا من «صان الحجر» (تانيس)، والرأس رقم ٦٣٦ الذي وجد في «تل بسطة» (راجع Borcharat Stat. u. Statuellen S. V,)، فنشاهد فيهما نفس الوجه الذي عرضه أكبر من طوله، والمثلث الهيئة، وكذلك نجد أن رسم العينين والشفتين واحد، ومن المدهش أن سكان «صان الحجر» الحاليين قد فطنوا في الحال عند كشف المجموعة «رعمسيس سخمت»، و«خبري، رعمسيس» وجه الشبه الذي بين المجموعتين، والواقع أن جسم التمثال في كلٍّ قد أُبرز بصورة قوية، وإن كانت التفاصيل فيه مختصرة بعض الشيء. والواقع أن كتفي تمثال «عنتا» جديرتان بأن تكونا كتفي محارب، ولكن الجسم دقيق وجذاب. هذا ويلاحظ على تمثال «متحف القاهرة» رقم ٥٧٣، وتمثال «متحف اللوفر» رقم (A 20)، والتمثالين الجالسين، وكل التماثيل الضخمة المصنوعة من الحجر الرملي أنه يوجد على كل كتف من أكتافها علامة مؤلفة من ثلاث إشارات محفورة بعمق

يخيل للإنسان أنها تؤلف العلامة   تقريبًا. والواقع أنه لا يوجد تمثال فيه هذه العلامة خلاف تماثيل «تانيس» إلا تمثال واحد، وهو كذلك تمثال لـ «رعمسيس الثاني» عثر عليه في «الإسكندرية» عند عمود «بمبي» (Ibid II, 165-6). وكذلك يلاحظ أن سمَّانَتي الساقين في كل من تمثالي «رعمسيس» الجالسين، اللذين عثر عليهما في معبد «عنتا» قد مثل عليهما خط مستقيم في طولهما يشبه العصا، وكذلك في التماثيل الضخمة الجالسة المصنوعة من الحجر الرملي.

وهذا اصطلاح قد شاع كذلك في عهد «رعمسيس الثاني»، ولكنه لم يقتصر على تماثيل «رعمسيس» في «تانيس»، أو الدلتا الشرقية، بل نشاهده على تمثال الإسكندرية، وتماثيل «ميت رهينة» الضخمة، وكذلك في أقاصي الإمبراطورية المصرية جنوبًا، على تماثيل معبد «بو سمبل» الضخمة.

أما تمثال «رعمسيس» في مجموعة «حورون»، فلا يعد بين واحدة من هاتين السلسلتين، بل من المحتمل أنه التمثال الوحيد في «تانيس»، الذي يقدم لنا صورة تشبه الفرعون؛ إذ لا يعد صورة منقولة عن نموذج عام متفق عليه، أو صورة من طراز محلي، وهذه الميزة تقرِّبه من تمثال «رعمسيس» الجميل، المنقطع القرين، المحفوظ في «تورين» الآن. غير أن تمثال «تورين» يمثل الملك وهو في عنفوان الشباب، في حين أن التمثال الذي يحميه الإله «حورون» قد مثل في هيئة طفل، وقد كان في مقدور المثَّال أن يوضح تصوير عمر تمثاله بالعلامتين الخاصتين، اللتين تدلان على الطفولة، وهما خصلة الشعر، والأصبع التي توضع في الفمِّ، ولكنه قد أفلح فلاحًا عظيمًا في تمثيل جسم ممتلئ قوي لطفل قد بلغ الثانية عشرة من عمره، وأسبغ على وجهه الإشراق والحيوية اللذين ينطبقان على وجه أمير فتيٍّ عزيز على الآلهة.

وخلاصة القول في كل ما ذكرنا: أن الآلهة الذين صُوروا بجانب الملك، أو ذُكرت أسماؤهم على قواعد تماثيله، أو على العمد التي تستند عليها مجاميع تماثيل الآلهة والملك، لم تكن قد اختيرت عفو الخاطر، فصورة الإلهة «عنتا» — الدالة على الأمومة، عندما تضع يدها على كتف «رعمسيس»، أو عندما يضع الملك يده عليها، فهي إلهة كنعانية، وهي زوج الإله «ميكال» رب «بيسان» (راجع R. P. V incent, Le Baal Cananeen de. Beisan et. Sa. Paredre, Revue Biblique (1929) 512–544). أما وجود الإله «حورون»، فقد جاء ذكره في «أورشليم» وفي «صيدا»، وكما ذكرنا كان يُعبد في مصر في صورة «بولهول»، والواقع أن آلهة هذه الأقطار الأسيوية، كانت لهم مكانة ممتازة في عاصمة «رعمسيس» كما ذكرنا، وكذلك نقرأ على المسلات، وعلى واجهات المعابد، وعلى اللوحات أن الملك هو رضيع «عنتا» (راجع Les Nouvelles Fouilles de. Tanis p. 70)، ومحبوب «عشتارت»، أما الإله «ست»، وهو على ما يظهر أخ لبعلات سوريا، فقد كان

جد أسرة «رعمسيس» كما فصلنا القول في ذلك، ولكنه من أصل مصري بحت، ولم يكن له أية علاقة بالآلهة الأجنبية في بادئ الأمر إنما جاء ذلك بعد.

والآلهة المصريون الذين نُحتوا بجانب «رعمسيس الثاني» مثل: «بتاح»، و«حور اختي»، و«خبري»، و«سخمت»، و«وازيت»، وكذلك الذين ذُكرت أسماؤهم مع العمد، التي تستند عليها التماثيل، مثل: «آتوم»، و«آمون رع»، هم نفس الآلهة الذين يراهم الإنسان غالبًا على المسلات، وفي الحفر، وكلهم آلهة الدلتا، فنجد «خبري» مع ثالوث تل «المسخوطة» (راجع Petrie Tanis I, pl. 16 No. 3)، والإلهة «وازيت» كانت تقدس في المدينة القريبة من «أميت» (إبطو الحالية) (راجع Petrie Tanis II, Nebesheh pl. X-XI)، كما أن الكاهن الأكبر للإله «ست» في «أواريس» كان المكلف بإقامة الاحتفالات له، والإلهة «سخمت» كانت من أعظم الإلهات في «بوبسطة»، وفي «تانيس» نفسها قد وجدت بقايا ستة تماثيل في معبد «عنتا» تمثلها، وكذلك يوجد لها تمثال آخر في المعبد الكبير (راجع Rec. Trav. IX. (1887) p. 13). أما الإله «آمون رع» هنا، فليس برب «الكرنك»، الذي كان يخشى الفرعون أطماعه، بل هو رب سكان «منف»، ولا نجد شاذًّا عن كل ما ذكرنا إلا التمثال رقم ٥٧٥ الذي أقامه الأمير «مرنبتاح» لوالده، وقد جاء فيه ذكر الإلهين «وبوات»، و«حتحور»، وهما إلها مقاطعة «أسيوط».

والواقع أن تماثيل بلدة «تانيس»، يوجد أوجه شبه بينهما وبين تماثيل «رعمسيس»، التي عثر عليها في مدن أخرى من مدن الدلتا، وتفسير ذلك هو إما أن المثالين الذين كانوا في المدن المجاورة لـ «تانيس»، قد أسرعوا في تقليد ما كان يُصنع في العاصمة، أو أن «رعمسيس» في الوقت الذي جمع فيه آلهة الدلتا في عاصمة ملكه الدينية، قد جمع فيها مفتني هذه المدن الذين كانوا يسيرون على حسب تقاليد واحدة، وطرق واحدة، في تمثيلهم لهذه الصور، وإذا كان هذا التفسير مقبولًا وجب علينا كذلك أن نتساءل إذا كانت مدينة مثل «تانيس» التي فتحت بصدر رحب أبوابها لهذا العدد العظيم من الآلهة الأجنبية، الذين يعملون على حسب عوائد كنعانية، مثل الضحية التي كانوا يضعونها ضمن ودائع الأساس، وهو ما يتنافى مع العادات المصرية، لم يتأثر المثالون المصريون فيها بأولئك المفتنين الذين وفدوا من البلاد التي تعبد فيها الإلهة: «عنتا»، و«عشتارت»، و«بعل»، و«حورون»؟ والواقع أن مصر في عهد الدولة الحديثة منذ بداية حكم «تحتمس الثالث»، كانت قد غرقت في بحر من المنتجات السورية، وتدل النقوش التي على جدران مقابر «طيبة» ومعابدها، على أن الإله «آمون» رب «الكرنك»، قد جمع منها ثروة عظيمة، ولكن في عهد «رعمسيس الثاني» نجد أن الكثير من هذه المنتجات لم يتعد حدود العاصمة الشمالية التي كان يمكث فيها الفرعون طويلًا، وحيث استقبل الأميرة الخيتية، وكل الهدايا التي جاءت في ركابها، ولا نزاع في أن المفتنين الشرقيين كانوا يعرفون رسم الأجسام بوجوه كاملة، ولا أدل على ذلك من نقوش «خورساباد»، التي تمثل «جلجمش» وهو يخنق أسدًا. (راجع Contenau. L’art de. L’Asie Occidentale Ancienne Paris (1928) pl. 38)). وهذا نقش حديث نسبيًّا، ولكن الأسطوانات السورية الخيتية، تظهر لنا

أن هذا الطراز كان موجودًا منذ الأزمان التي أوغلت في القدم، وأن هناك أشخاصًا آخرين من ملوك وآلهة، قد مثلوا بالحفر بوجوه كاملة. (راجع Contenau Manuel d’Archeologie Orientale Paris 1931 P. 611 ff, 686–91)، وكذلك نجد في «ببلوص»،[١] و«زنديرلي»،[٢] و«أرسلان تاش»،[٣] و«بوغازكوي»،[٤] تماثيل «بولهول»، وأسودًا وملائكة، تؤلف جزءًا من الآثار التي تحرسها، كما يؤلف ثالوث «تانيس»، جزءًا من الآثار التي تؤلف جزءًا منها.

وهكذا نجد في «تانيس» أن الفن يلقي ضوءًا على مهام الفرعون السياسية والدينية، فلأجل أن يحوز المفتن رضى الفرعون، نجده قد مثله في هيئة ابن خاضع مبجل للآلهة الأجنبية، وقد استفاد فن هذه الممالك من التقديس الذي كان لهذه الآلهة، وهكذا أصبح هذا الطراز هو الشائع لمدة قصيرة في الصور الممثلة بالحفر البارز، والفن المصري الذي لم يعرف هذا الطراز من قبل قط قد انقطع الإنتاج فيه عندما اختفى «رعمسيس الثاني» من مسرح الحياة؛ إذ إنه هو الذي أدخله في البلاد، وشجع على انتشاره في أرجاء إمبراطوريته.

(٣) قيمة فن النحت في عهد «رعمسيس الثاني»

وعلى الرغم مما أحدثته كثرة الأعمال التي أنجزها «رعمسيس الثاني» من الأثر في نفوس القوم، من جهة الضخامة والعظمة، فإنها من جهة أخرى لم تكن لها في غالب الأحيان قيمة فنية تُذكر، ويرجع السبب في ذلك إلى أن الأعمال الهائلة العدد، التي كان يقوم بتنفيذها في وقت واحد، كانت بلا ريب تدعو إلى السرعة السريعة التي لا تنتج إلا أعمالًا أقل ما يقال عنها إنها لم تكن من طراز جميل، بل كانت تعبر عن الكثرة والضخامة وحسب، ولا يتجلى فيها الاعتناء والدقة والذوق السليم الذي كان يمتاز به فن النحت والنقش والعمارة في عهد «أمنحتب الثالث»، وهو نفس ما نشاهده في فن عهد «سيتي الأول» في معبده «بالعرابة المدفونة»، وفي قبره «بطيبة» الغربية، ولا يخرج عن ذلك إلا أشياء فردية، ونخص بالذكر منها غير صور موقعة «قادش»، معبده الذي رفع بنيانه في «العرابة المدفونة»؛ إذ نجد فيه التقاليد الفنية الجميلة التي نشاهدها في فن عهد «سيتي الأول» والده، وبجانب هذا الفن الجميل نجد من جهة أخرى أن مناظر معبد «بو سمبل» على ضخامتها قد نقشت نقشًا سمجًا، وزينت بمناظر عارية عن رفعة الفن، هذا إلى أن الجزء الأعظم من مناظره قد رُسم رسمًا تخطيطيًّا وحسب، كما لوحظ أن المتون اللغوية تزخر بالأخطاء؛ مما يدل صراحة على أن الذين كانوا يقومون بالعمل كانوا صناعًا محليين، ليس لهم دراية المفتنين، الذين نقشوا مناظر معبده «بالعرابة»، وهم الذين تعلموا على ما يظهر بالوراثة؛ ليكونوا مفتنين فقط، كما ذكرنا من قبل؛ ولذلك نجد أن كثيرًا من معابد بلاد النوبة التي نُحتت في الصخر مثل معبد «الدر»، ومعبد «جرف حسين»، وغيرهما قد زُينت

بتماثيل فجة تزوَر عنها العين؛ مما يدل على السرعة من جهة، وعدم كفاية الذين قاموا بنحتها من جهة أخرى، فبدلًا من التأني والاتزان في العمل، اللذين كانا يمتاز بهما مفتنو العصر السابق، حلت في عهد «رعمسيس الثاني» السرعة السريعة؛ وذلك لأن روح هذا الفرعون كان مفعمًا بحب العظمة التي لا نهاية لها؛ مما جنى على أعمال الفن التي كانت يانعة مزهرة بما أنتجته من الآيات البينات، فأصبحنا في عصره لا نرى إلا جبالًا مكدسة من التماثيل التي انعدم في معظمها الروح الفني جملة، هذا فضلًا عن اغتصابه للقطع الفنية التي تُنسب للملوك السالفين، ونقش اسمه عليها، وكان قصده في ذلك أن يجعل ذاته الإلهية يسطع بهاؤها، ويلمع ذكرها في كل أرجاء البلاد، بما يقيمه من مبانٍ ضخمة، وتماثيل هائلة مما لم يسبقه إليها أحد أسلافه حتى إنه لم يترك فرصة لأحد أخلافه أن يباريه في هذا المضمار، كما أنه فاق في آن واحد كل من سبقه حتى «تحتمس الثالث»، و«أمنحتب الثالث».

وقد كان «رعمسيس الثاني» طوال مدة حكمه يعمل جهد الطاقة في إنتاج هذا النوع الرخيص من أعمال الفن والصناعات العادية، وعدم الاكترات بالإنتاج الفني الراقي؛ مما أدى إلى تدهور الفن تدهورًا ملموسًا، وقد كان من نتائج هذا الغلو الفاحش في إقامة المباني، وعمل التماثيل، وغيرها استهلاك كثير من مواد الصناعة؛ مما أدى إلى نفاد مالية البلاد في السنين الأولى من حكمه، وقد يظهر ذلك جليًّا للباحث عندما يكشف أن الشطر الأول من تاريخ حياته كان مفعمًا بإقامة الآثار التي يخطئها العد، وهي التي نقرأ عنها في الوثائق الكثيرة التي دونها هو أو تركها لنا أفراد علية القوم، في حين نجد من جهة أخرى أن الجزء الأخير من حكمه قد قلت فيه إقامة الآثار، وقد يكون ذلك من الأسباب التي جعلته يغتصب آثار غيره لنفسه، ولأفراد أسرته. ولم تحدثنا الوثائق التي تركها لنا في هذه الفترة إلا عن آثار قليلة له حقيقية بدرجة تلفت النظر.

ولذلك لا يسع الإنسان أمام هذه الحقيقة الناصعة إلا الحكم على عهد هذا الفرعون المعمر من حيث الفن والعمارة بأنه كان في بدايته مزدهرًا يانعًا بالكثرة البالغة، ثم انحط إنتاجه في سنيه الأخيرة حتى إنه بانطفاء مصباح حياته ذبل معه العصر الذهبي للدولة الحديثة، وراح يترنح نحو الهاوية السحيقة.

(٤) فن التصوير الجنازي في مقابر الشعب في عهد «رعمسيس الثاني»

كثيرًا ما يمثل المؤرخون عهد حركة الإصلاح الديني التي قام بها «إخناتون» بتصدع جيولوجي أصاب مجرى التاريخ المصري المستقيم، ولكن من وجهة الفن لا يمكن أن ينطبق هذا القول على التغيرات التي ظهرت منذ بداية الأسرة التاسعة عشرة؛ أي منذ ختام القرن

الرابع عشر، بل إن أقل ما يقال عنها إنها تطور؛ وذلك لأن هذه التغيرات التي حدثت فيه كانت ثابتة عميقة الصبغة، اللهم إلا إذا كنا نقصد بكلمة تطور شيئًا يدل على العنف مما يجعله عرضة للزوال والفناء.

والواقع أننا إذا أردنا أن نتناول بالبحث كل الصور التي خلفتها لنا مدنية هذا العصر، أو نقتصر حتى على فني النحت والتصوير كان لدينا محصول جدير بالتقدير العظيم الذي يرفع من شأن هذا العصر الجديد في هذه الناحية من الحضارة، ولكن عندما نتناول الفنون الجنازية بالبحث كشفت لنا النتيجة عن انحطاط مشين؛ إذ نجد أن الإنتاج الدال على حسن الذوق في المقابر التي لا تزال حافظة لألوانها ممثلة طراز عصر الرعامسة بصورة بارزة معدوم لحدٍّ ما، وأن جدران المقابر قد كُدست بصور أكثر مما يجب أن تحتويه.

ولا يمكننا أن نتحدث هنا عن الأسباب الأصيلة التي أدت إلى هذا الانحطاط في التصوير الجنازي، كما لا يمكننا أن نشرح هنا الطريقة التي بها أخذ سلطان الأشكال الفنية الجديدة يحتل مكانة قوية، وأخيرًا ليس في الإمكان هنا أيضًا أن نفصِّل القول عن مقدار ما كان لمدرسة «إخناتون» الفنية البغيضة في أعين الشعب وقتئذ، ولا عن أثر بقايا تقاليد مدرسة الفن الطيبية القديمة في تكوين طراز الفن الجديد الذي ظهر في عهد «رعمسيس الثاني»؛ إذ إن كل ذلك خاص بكتب الفن المطولة، وقد تحدثنا عن ذلك في مناسبات مختلفة بقدر ما سمحت به الأحوال، وكل ما يمكن التنويه عنه هنا هو أنه على أثر انتصار «إخناتون» أخذ أتباع الإله «آمون» بعد أن حرم عليهم تزيين مقابرهم بصور الطراز القديم، يجدون لأنفسهم منفذًا لاظهار شعورهم الديني من طريق أخرى؛ وقد كان أهم مظهر لذلك تزيين أوراق البردي التي كانت تدفن معهم بكل تعاويذهم، وأساطيرهم السحرية والدينية، وقد كان يساعدهم على استحضار الصور اللازمة لهذا الغرض الكهنة الذين كانوا لا يزالون على الولاء لإلههم «آمون»، حتى إنه لما عادت المياه إلى مجاريها برجوع الدين القديم إلى ما كان عليه من قوة وسلطان كان لهذه الصور أكبر الأثر في التصوير الجنازي الذي كان يُرسم على جدران المقابر.

ولما لم يكن هذا الأثر من الأشياء التي نتجت عن طموح فني إنساني مشبع بالروح الدنيوي، وكذلك لم يكن قد نما وترعرع في أحضان الحياة العامة، فإنه قد ترك الفن الجنازي راكدًا جافًّا إلى أقصى حد، ولا نستثني من ذلك إلا تلك الصور الخاصة التي كان يقوم بتصويرها المفتن، وهي التي كان ينقلها من عالم الدنيا إلى مناظر أخرى خاصة بعالم الآخرة، فكان يصور لنا حقول الجنة أو الحديقة التي يجمع فيها بين الإله والناس. والواقع أن تحديد مجال صور المفتن على هذا النمط كان ضربة مميتة للفن، ولسنا ننكر أن عمل الرسام المصري كان يجري على حسب خطط موضوعة، وتقاليد مرعية، غير أنه على الرغم من كل ذلك كان يستند في إبراز صوره إلى حد ما على قوة الملاحظة. وهنا يتساءل الإنسان: أي إلهام يستطيع المفتن أن يجده في رسم الإلهة والشياطين المختصين بعالم الآخرة، أو في أثاث المعبد الجنازي، والشعائر الدينية، وفي دمى أسرة رب المعمل؟ ومع ذلك بين ما ذكرنا أشياء عارضة هامة تصادف الرسام تصور في معظم الأحيان بهيئة شيقة؛

إذ نجد في كثير من المقابر التي صورت بصور مظلمة مثل مقبرة «حوي»، ومقبرة «وسرحات» صورًا أخرى تصل إلى حد الجمال والإشعاع، وذلك عندما يتناول المثال منظرًا تمثيليًّا يقوم فيه الفرعون بدور البطل، غير أن هذه المناظر أخذت في الاختفاء بصورة بينة.

أما الميزة الحسنة التي برزت في الفن الجديد فقد ظهرت فيما ناله المفتن من حرية في إخراج صورة في بادئ الأمر كما ذكرنا من قبل؛ فلم يكن المفتن في هذا العصر مجبرًا على السير على حسب نماذج قديمة لها أوضاعها ونسبها الخاصة، كما أنه لم يكن مقيدًا في رسم خطوطه على حسب قوانين الفن القديم؛ إذ كان في استطاعته في هذا الوقت رسم الأشكال دون أن يضع هياكلها مرتبطًا بلون خاص، وفي حدود معينة. ولا نزاع في أن التخلص من هذه القيود العتيقة كان يفسح المجال للرسام في إبراز صورة جميلة إذا كان المفتن قد تربى على حب الجمال بدلًا من تمرين مواهبه في إصدار صور تقليدية وحسب، وهذه الحرية كانت بمثابة مجال واسع لتقدم الفن. غير أن المدارس التي كانت تلقنه لم تكن قادرة على الاستفادة من فك قيود الماضي عنها، وقد كان من جراء ذلك أن انقلبت النتيجة إلى تراخٍ وعدم دقة، واستغلال التحلل من القيود القديمة في تغطية كثير من الأخطاء، وعدم الكفاية في الفن. وعلى أية حال فإن الغريزة قد حولت الفن القديم إلى وحدة متزنة؛ ولا نزاع في أن الفن الجديد كان غير متناسق؛ وذلك لأن الحرية التي أعطيها في استعمال خطوطه تطلبت إعادة توزيع اللون، ومن ثم نجد أن المصور قد نال إعجابنا في إخراج الصور المختصرة المرسومة بالحبر، ولكنه في تصويرها بالألوان لم يتعد رسم هيكل صورته بخطوط سمجة خشنة.

(٤-١) سخاء المفتن في استعمال الألوان

ولدينا مظهر آخر يبرز أمامنا في صور هذا العهد، وهو استعمال اللون بسخاء، فقد كان المفتن الماهر يسمو أحيانًا في استعمال الألوان إلى حد الجمال، كما أنه في أحوال كثيرة أخرى كان يسيء استعمالها إلى حد القبح والانحطاط الفني، ففي كهوف «طيبة» الغربية المظلمة نلحظ أن الرقعة القانونية الخاصة بأمثال هذه الصور كانت كبيرة، ولكن مفتن عصر الرعامسة كان يفلح دائمًا في تجاوزها. وقد كان مما يزيد في جمال هذه الصور وضع اللون الأبيض الناصع بدلًا من اللون الأبيض الهادئ. غير أن ما أعطي باليمين كان يُنتزع بالشمال؛ وذلك لأن إضافة تفاصيل في الصور قد أصبح وقتئذ ضربًا من الجنون، وبخاصة أنها كانت إضافات مرتبكة تدل على جهل، فنجد أن عمدًا مخصصة لكتابة المتون التي تعد بمثابة زخرف قد تُركت خالية، أو لونت كلها بلون واحد. ولا نزاع في أن الألوان الأساسية عندما تكون زاهية ومحاطة بإطار أسود لا تعطي العين المتعبة أية راحة، وهذا ما نشاهده في المقابر الفقيرة؛ حيث نجد أشكالًا ثابتة متشابهة لونت بالألوان الحمراء والصفراء القبيحة المنظر، ولكن عندما تكون الألوان أكثر اتزانًا، ونجد أن الألوان الزرقاء المعدنية، وكذلك الخضراء تختلط بالألوان الزاهية، فإنه يصير من الممكن أن يفلح المفتن في إبراز

صورة جميلة، وهذه هي الحالة بوجه عام في بعض الإطارات النباتية التركيب، وكذلك في مناظر السقف الجميلة التي من خواص هذا العهد. وقد كان غرام المفتن بالأعشاب ورسم الشجر بصورة طبعية، من مكاسب هذا العهد في الفن، والأمثلة لدينا كثيرة في مقبرتي «وسرحات»، و«إبي»، وقد تحدثنا عنهما فيما سبق.

(٥) مظاهر الضعف في الرسم في هذا العهد

ومن المساوئ الرئيسية التي نشاهدها في مدرسة فن عصر الرعامسة طريقة تحضير الجدران للرسم عليها، فقد كان أهم ما يصبو إليه المثال في إبراز صورته أن تكون رخيصة مبهرجة في مظهرها، ومن ثم نعلم أنه لم يهتم بالإشراف على تأليف الرقعة التي كان سيضع عليها رسمه، ولو وفق في ذلك لكان خيرًا لإبراز مهارته؛ ولذلك لم نعد نشاهد تلك الرقعة الفاخرة التي كان بناءو عهد الأسرة الثامنة عشرة يحضرونها بإتقان وفن لدرجة أنها لو سقطت على الأرض وكُسرت وديست بالأقدام؛ فإنها لم تفقد شيئًا من جمالها. وعلى العكس نشاهد أن طبقة الطين التي كانت توضع على الجدار في عهد الرعامسة كانت تُخلط بالقش الخشن الذي كان يجتذب الحشرات القارضة، ثم تدهن بطبقة رقيقة من اللون الأبيض، أو اللون الأصفر الذي كان يمحى بمجرد أي احتكاك، أو رطوبة تصيبه؛ ولذلك نجد — كما هي الحال في أي عمل نفذ بإهمال — أن أي قبر مخرَّب من عهد الرعامسة يكون منظره محزنًا، يضاف إلى ذلك أن الألوان التي كانت تستعمل في تلوين الجدران لم تطحن بدقة، وتخلط بمادة تكسبها تماسكًا وليونة وثباتًا.

وقد كان من الجائز أن نعتبر حذف المفتن للمتون المفسرة — وهو أمر ظاهر في صور عهد الرعامسة — كسبًا حقيقيًّا إذا جعل المصور المنظر في هذه الحالة يتحدث عن نفسه، ولا يحتاج إلى تفسير كتابي، غير أن المفتن كان لا يهتم أحيانًا بالموضوع الذي يمثله فتجيء النتيجة عكسية، فالصلوات والصور التي تمثل الأعمال الخارقة للمألوف كانت من نصيب لفافات البردي، أما المناظر التي كانت تصور على الجدران فلا تحتوي إلا صورًا مكبرة من عناوين مصورة من كتاب الموتى وغيره، أو صورًا بمثابة حلية تلون بالألوان الزاهية. والواقع أن المتوفى ليس له تاريخ ينقش في المقبرة وقتئذ، وكل ما نعرف عنه أنه كان مؤسس الأسر، وأولاده هم خدَّامه الأقوياء، وقد كان ينتج عن عدم الدقة في الغرض والتنفيذ؛ عدم الدقة في التعبير، ولذلك لا يمكن الاعتماد على مقابر عهد الرعامسة في إمدادنا بوثائق صادقة للحوادث، أو لشكل الأشياء المصورة ولونها.

(٥-١) خواص أخرى لهذا العهد

ويلاحظ أن المادة في مقابر عهد الرعامسة لم تكن موحدة، ولم توضع على حسب فكرة مرسومة من قبل بالدرجة التي نلحظها في المقابر التي قبل هذا العهد؛ إذ نجد أن المادة

كلها كتلة من الموضوعات كان هناك بعض سبب لرسمها على جدران المقبرة؛ من أجل ذلك كان حذف بعض الاقتباسات من المقابر التي من قبل عصر الرعامسة يفقدها شيئًا من قيمتها، ولكن إذا حدث ذلك في عهد الرعامسة أعطى الصورة ميزة بارزة، ولما كان الرسم الذي يمكن فصله عن الأصل، وكذلك التفاصيل المزدحمة في الصور تحتاج إلى رقعة أوسع كانت الصور التي تُرسم بمقياس كبير أكثر جاذبية وأبهى منظرًا، ولكن على العكس من ذلك إذا كبر مفتن عصر «رعمسيس الثاني» صورة صندوق «توت عنخ آمون» المنقطعة النظير، وهو الذي صور عليه مناظر الصيد والحرب خمسين مرة على حسب طريقته التي يظهر فيها الظلال المتغيرة في الأشكال المحفورة بمثابة صور مختصرة والصباغات الخشنة؛ شعر الإنسان بأنه قد نزل بهذه الأشكال إلى الحضيض، وإذا وازنا بين صور المنظرين عددنا الأولى جواهر، والأخرى إعلانًا عنها.

ومن الممكن الحط من قيمة تصوير عصر الرعامسة بسهولة لقلة الأمثلة التي حُفظت لنا في حالة جيدة، على أن عدم بقاء الكثير منها في ذاته يعد من مساوئ هذا الفن، ولكن من جهة أخرى نلحظ أن الميول الحديثة في الفن قد تميل إلى مظاهرة التجارب التي ظهر أنها خائبة بنسبة تسعة من عشرة، ومن باب أولى نستطيع أن نرحب بمثل هذا الحكم فيما يخص الفن القديم، ولا سيما أن التجربة الوحيدة الناجحة تكون بمثابة تخفيف وراحة للنفس من تلك الأشكال المتشابهة التي تتوالى أمامنا في صور العهد القديم.

وإذا كانت هذه هي مظاهر فن الرسام بعد عهد الإصلاح، وقبل القضاء عليه تمامًا، فإن هناك كذلك عهد انتقال قصير تضمن حكم «رعمسيس الثاني»، وقد كان في خلاله أثر مدرسة «إخناتون» الثابت على التصوير في عهد الرعامسة مضاعفًا؛ إذ نقل ما فيه الكفاية من الموضوعات الإنسانية، والغرائز الفنية الرفيعة، فأتيحت له أعمال ذات قيمة عظيمة في ذاتها، وزاد إضافات جديدة للأشكال المحددة التي دونها لنا التاريخ المصري، وكل ذلك يمكن مشاهدته في مقبرتي «وسرحات»، و«إبي» اللتين تكلمنا عنهما ببعض التفاصيل فيما سبق؛ لأنهما هما عنوان فن التصوير في هذا العهد.

---

[١] راجع: Montet Byblos et Egypte p. 239.

[٢] راجع: Ausgrabungen in Sendschirili XLVI-XLVIII, XVI-LVII. LXIV-LXV.

[٣] راجع: Arslan-Tash pl. II-VI.

[٤] راجع: Contenau L’art de. L’Asie Occidentale. Pl. III.

الجعارين في معتقدات الشعب في عصر الرعامسة الأول

وجد للفرعونين «سيتي الأول» وابنه «رعمسيس الثاني» عدد عظيم من الجعارين منقوش عليها اسمهما وألقابهما، كما نقش على جعارين أخرى من هذا العهد عبارات قصيرة تشير إلى حوداث تاريخية، أو رموز دينية شائعة في معتقدات القوم مؤرخة باسميهما.

والواقع أن هذه الجعارين كانت على جانب عظيم من الأهمية في تحديد بعض الحوادث التاريخية الغامضة، أو تأكيد الحوادث المعلومة للباحثين في تاريخ الكنانة؛ ولذلك رأينا لزامًا علينا قبل أن نستعرض بعض هذه الجعارين، وما عليها من نقوش أن نضع هنا مختصرًا بسيطًا عن معنى هذه الجعارين من حيث المعتقدات الدينية، وكيف أصبحت لها قيمة تاريخية، وسنضرب صفحًا هنا عن استعمالها أختامًا للعامة والخاصة.

استعمل المصري منذ فجر التاريخ أسطوانات من الطين المنقوش لختم الأشياء التي كان يريد المحافظة عليها من أيدي العابثين كأواني الخمر، والزيت، وغيرها، ولكن على مر الأيام لاحظنا أنه استعمل بدلًا من هذه الأسطوانات أختامًا في هيئة جعارين،[١] ولا نعلم حتى الآن على وجه التأكيد سر هذا الانتقال؛ هذا فضلًا عن أننا لا نعلم ما للأسطوانات من أهمية دينية أو سحرية، في حين نعرف أن الجعران كان يعد في نظر القوم تعويذة قوية المفعول، والواقع أن الجعران أو الجعل الممثل في الحجر أو القيشاني كان يعد في نظر أفراد الشعب المصري ممثلًا لإله الشمس الخالق لكل شيء، والموجد لنفسه، ووالد شخصه؛ ولذلك كان يطلق عليه «خبري»؛ أي الخالق. وكلمة جعران تقابل في المصرية «خبر»، وهي مشتقة من الفعل خلق أو أوجد إلخ.

وتدل شواهد الأحوال على أن هذا الإله كان في الأصل إلهًا مميزًا عن الإله «رع» إله الشمس في مدينة «هليوبوليس»، ومن المحتمل أنه كان معبودًا شمسيًّا أصليًّا مميزة عبادته عن عبادة «رع» الذي كان مقرُّه الدلتا، وعلى أية حال فنجد في عهد الدولة الحديثة أن «خبري» كان أحد مظاهر الشمس في خلال اليوم؛ إذ كانت الشمس في الصباح «رع»، ووقت الظهيرة «خبري»، ووقت الغروب تُدعى «آتوم» على وجه التقريب.

وقد لفتت عادات الجعل الخاصة منذ القدم نظر المصري، فزعم أن في دحرجة هذه الحشرة لكرة الروث العظيمة التي ترى أمامه كثيرًا على الأرض تفسير لدحرجة إله الشمس كرة الشمس العظيمة في عرض السماء. وقد قال القوم: إن القوة التي تحرِّك كرة الشمس فتدحرجها قد مثلت على الأرض في الجعل؛ ولذلك أطلقوا على إله الشمس اسم «خبري»، يضاف إلى ذلك أعجوبة أخرى خاصة بطبائع الجعل أضفت عليه أهمية بعيدة المرمى، عظيمة التأثير في عقول سكان وادي النيل الأول؛ وذلك أنه كان يخرج من كرة الروث التي كان يدحرجها الجعل أمامه جعرانًا صغيرًا عندما كانت تحل ساعة فقسه، وهذا الرأي العتيق

وجدناه فيما كتبه الكاتب «هورابولو»، غير أن الكاتب «فبر» قد برهن أن هذا الرأي خاطئ من أساسه (راجع M. J. H. Fabre, Souvenir Entomologique V. (1897) pp. 85–1)؛ إذ يقول: إن الكرة التي يدحرجها الجعل على الأرض لم تكن وظيفتها إلا طعامًا لهذه الحشرة، وكانت تتغذى بها في جحرها. أما البيضة التي تضعها أنثى الجعل فكانت في كرة من الروث أيضًا، ولكن كانت كمثرية الشكل، ولا ترى قط على ظهر الأرض؛ إذ كانت الأنثى تحضر هذه الكرة، وتضع البيضة في الحجر، وكان الروث الذي يحيط بها بطبيعة الحال وظيفته إطعام الدودة في بادئ تكوينها.

والواقع أن المصري لم يلحظ ذلك، بل فكر أن الجعل قد خرج من الكرة التي ترى على ظهر الأرض بصفة جعران صغير، ومن ثم ظن المصري القديم أنه ليس هناك فرق بين ذكر الجعل وأنثاه، فكانت كل الفصيلة في نظره تدحرج كورها المصنوعة من الروث أمامها، وتحمل فيها صغارها. وعلى هذا زعم المصري القديم عندما رأى الجعران الصغير خارجًا من الكرة أن فصيلة الجعران كانت كلها ذكورًا وحسب، وأن الجعل قد خلق أولاده بدون أنثى؛ أي إنها جاءت من كرة الروث التي وضعها هو نفسه، وعلى أية حال فإن الفكرة القائلة إن خالق الشمس كان خالقًا لنفسه قد علقت بذهن المصريين الأول، ومن ثم أصبح الجعل مصدر فكرة تكاثر ونمو في العقائد الدينية. ومن الغريب أن الفكرة القائلة بأن الجعل لا يضع إلا بيضة واحدة قد اتخذها الكتَّاب المسيحيون وسيلة تيسر لهم القول بأن الجعل في خلقه ما هو إلا طراز للمسيح؛ أي إنه ابن الإله الذي لم يلد غيره، ولا غرابة في ذلك فقد وجدنا الكتَّاب ينعتون المسيح أحيانًا بالجعل الطيب، أو جعل الإله (راجع St. Lukés Gospel. Budge The Egyptian Mummy P. 233 n. 1).

ولدينا فكرة أخرى يظهر أن لها علاقة بالجعل في الأزمان المتأخرة، وهي فكرة حياة الإنسان ثانية في عالم الدنيا، ولكن مما لا شك فيه أن المصري منذ أقدم عهوده لم يقرن الجعل بأية فكرة تدل على تجديد الحياة على الأرض، بل كان اعتقاده ينحصر في تجديد الحياة في العالم السفلي؛ ولذلك يوضع «جعل القلب»؛ أي الجعل الذي كان يحل محل قلب المتوفى من الحجر، وهو رمز للحياة المتجددة بدون مساعدة؛ لأن فصيلته كانت تلد نفسها بنفسها بدون مساعدة بخروج الجعل بكثرة من الكرة التي كان يدحرجها أمامه كما ذكرنا. وكان الجعل يمد نسله بالحياة كما تمد بني الإنسان كرة الشمس التي تتدحرج في عرض السماء، وعلى ذلك كان المصري يرجو بعد وفاته بمساعدة الجعل الذي يوضع في مكان قلبه أن يكون نصيبه محاكمة عادلة في قاعة العدل المزدوجة التي كان يحاكم أمامها يوم الحساب. وكذلك كان يرجو ألا تكون قوى الشر التي في العالم السفلي حربًا عليه، وأن تكون نتيجة وزن قلبه أمام حراس الميزان مرضية، غير أن هذا الأصل في محاكمة عادلة وحياة مجددة في العالم السفلي قد بدأت فكرته تبدو مرتبكة بدخول فكرة أجنبية عن تجديد الحياة على هذه الأرض، وقد زاد في ارتباكها ثانية فكرة المسيحيين حول بعثهم بأجسامهم الأصلية يوم القيامة؛ وهذا هو ما حدا بهم إلى القول بأن المسيح هو الجعل، وأن الجعل هو رمزه (راجع Hall. Catalogue of Egyptian scarabs p. XIX).

وقد أصبح الجعل منذ أن استُعمل خاتمًا، أو تعويذة للوقاية موحدًا بخرافات مختلفة خاصة باسم الإنسان. والنقوش التي نقرؤها على كثير من الجعارين شواهد عدل على تأثير مثل هذه الخرافات على عقل المصري، وعلى وجه عام يظهر أن الجعارين الصغيرة قد أخذت تعد بمثابة تعاويذ أكثر منها أختامًا؛ ولذلك كان يظن أنها تحمي حاملها من كل أنواع الأذى في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة. وفي الوقت نفسه إذا كانت حسنة النقش والتنسيق كانت تجلب السعادة كل السعادة لحاملها. فنجد مثلًا على جعران نقشًا يتضرع فيه للإله أن يمنح صاحبه «بداية سنة سعيدة»، كما نجد أن بعض السيدات كن يتزين بالجعران ليُرزقن غلمانًا، وكان الرجال يلبسون الجعل لأجل أن تبقى أسماؤهم على الأرض، وتخلد بيوتهم. وكان الحُجاج الأتقياء يلبسونها لتضع لهم سياحة سعيدة لبيت الإله «آمون» بالكرنك. وأحيانًا نجد مكتوبًا على الجعل بكبرياء ما يُشعر بأبدية مدينة «منف» مقر الإله «بتاح». ويلاحظ أن الإلهين اللذين كان المصريون يخصونهما بالذكر والتضرع إليهما في نقوش الجعارين هما: الإلهان «آمون رع»، والإله «بتاح»، وقد كان التضرع منصبًا على طلب حفظ حامليها من الأذى؛ وكذلك نجد أن التضرع للإلهة «باست» إلهة «تل بسطة»، (وتعد بنت «رع» وعينه)، والإله «خنسو» الذي كان يمثل القمر، وابن «آمون» كان شائعًا عند عامة القوم؛ ولذلك كان وجود اسم أي إله من هذه الآلهة تعويذة قوية المفعول. هذا ونجد بدرجة أقل أسماء الإلهة «موت» زوج «آمون»، والإلهة «بوتو»، «وازيت» إلهة الوجه البحري، والإلهة «إزيس» ممثلة حاملة ابنها «حور» الطفل، أما الإله «أوزير» إله الموتى فلم يظهر على الجعارين إلا نادرًا، ولم يرَقَّط اسمه على جعارين صغيرة، وهذا يدل على أن الجعارين الصغيرة العادية الاستعمال كان الغرض الأول منها هو حماية الأحياء لا الموتى، ولم يظهر شخص «أوزير» إلا على جعارين القلب التي كانت توضع على قلب المتوفى.

وكان الجعل بوصفه شيئًا دينيًّا يمثل في صورة الإله «خبري» غالبًا في أوراق البردي الخاصة بكتاب الموتى، وكذلك على جدران المقابر والمعابد، فكان الإله «خبري» يمثل في صورة جعل برأي إنسان أحيانًا، وأحيانًا أخرى يمثل بصورته الأصلية بوصفه معبودًا (راجع Book of the Dead C6ap. XXX)، يضاف إلى ذلك أن الجعارين الضخمة المصنوعة من الحجر كانت تنصب في المعابد، ولدينا أمثلة منها معبد الكرنك، وفي «المتحف البريطاني»، وبخاصة الجعران رقم ٧٤، وهو من الجرانيت الأخضر، ويبلغ طوله خمسة أقدام، وارتفاعه قدمان وتسع بوصات، وعرضه قدمان وعشر بوصات، وكذلك جعران آخر باسم «رعمسيس الثاني» (رقم ١٢٣١)، ويبلغ طوله قدمان، وارتفاعه قدم واحد.

(١) الجعارين، وأهميتها التاريخية

والأهمية الأخرى للجعارين تنحصر في علاقتها بالتاريخ المصري، وترجع مكانتها التاريخية كذلك للدور الذي تقوم به في الديانة المصرية؛ وذلك أن اسم الفرعون الحاكم كان يعد من

أهم القوى الحافظة من الشر عند المصريين، وقد كان ينعت بالإله الطيب لأنه ابن الشمس، وكان عند توليه العرش يظهر مثل «رع» بين هتاف رعيته وفرحهم؛ لأنه كان يحكمهم على حسب نظام «ماعت» فيمنحهم به الحياة الرخية، وعلى ذلك كان الاسم الملكي يظهر عادة على الجعارين، وفيه من القوة ما فيه. ونلحظ أن كل فرد في حيازته جعارين عليها اسم فرعون يفتخر بعظمة بأنها كانت فعلًا في الأصل لملك من هؤلاء الملوك الذين كُتبت بأسمائهم. والواقع أن هذه الجعارين — إذا استثنينا منها عددًا قليلًا — لم تكن ملكًا لهؤلاء الفراعنة، والحقيقة في ذلك أن اسم الفرعون الحاكم كان ينقش على الجعارين بصفة تعويذة كما كان يُوضع اسم الآلهة عليها، ويشمل ذلك الملوك المتوفين مثل الملك «منكاوورع»، و«تحتمس الثالث»، و«أمنحتب الثالث»، و«رعمسيس الثالث»، وهم الذين أصبح الشعب يعبدهم في حياتهم، أو بعد مماتهم؛ لما لهم من مكانة ممتازة في أعينهم.

الجعران في الفن: يمكن الموازنة بين الطرائف الصغيرة والعملة اليونانية القديمة التي كانت تعد بمثابة عالم مصغر عند الإغريق بما عليها من صور ونقوش، وبين الجعارين المصرية القديمة، وما عليها من نقوش وصور ورسوم، وأنها كانت تعد كذلك عالمًا مصغرًا تكشف عن كثير من أحوال الشعب المصري. ولا نزاع في أن دقة صنع الجعارين، أو خشونة نحتها يدل دلالة قاطعة على ما كان عليه القوم من مهارة، أو انحطاط فني، وذلك كالأشياء الأخرى التي نعلم منها تطور الفن.

وقد كانت المادة المختارة التي تُصنع منها الجعارين هي حجر استياتيت المطلي، أو من القيشاني؛ كما كانت تُصنع من حجر الدم، والجمشت، والفيروزج، والسام، والفضة، والذهب، واليشب، والبازلت، والزجاج، وغير ذلك من الأحجار المصرية.

ويدل ما لدينا من الجعارين التي بقيت من عهد «رعمسيس الثاني»، ووالده «سيتي الأول» على أنها كانت مصنوعة من حجر استياتيت الأزرق، والمائل للخضرة المطلي، ومن القيشاني الأزرق، وحجر اليشب ذي اللون الأحمر، ومن اللازورد وغيرها مما ذكرنا من الأحجار المعادن، وكذلك صنعت الجعارين والألواح الصغيرة التي عملت لزوجه «نفرتاري» (راجع Hall. Cat. Scarabs no. 2206–2263)، وزوجه «مات نفرو رع» بنت ملك «خيتا» من هذه الأحجار، وكان ينقش عليها في غالب الأحيان إما اسم «رعمسيس» ولقبه، أو لقبه فقط، ومعه نعت، أو صفة من صفات الفرعون. فعلى الجعران رقم ٢١٥٧ «بالمتحف البريطاني» تقرأ: «وسر ماعت رع محبوب آمون الأسد القوي»، و«وسر ماعت رع ستبن رع محبوب حتحور سيدة عين رب الأرضين».

وكان «رعمسيس الثاني» يجري على سنن أسلافه في عمل الجعارين التذكارية لتخليد حادثة معينة، فنجد مثلًا أنه صنع جعرانًا تذكاريًّا بمناسبة عيده الثلاثيني الثامن (Ibid 2117)، وقد جاء عليه «سيد العيد الثامن الثلاثيني رب الأرضين وسر ماعت رع ستبن رع» (رعمسيس الثاني)، أو كان يصنع جعلًا تذكارًا لإقامة معبد، فتقرأ مثلًا على جعل: «تأسيس المعبد الذي أقامه أثرًا لـ «آمون»» (يقصد معبد «آمون» بالكرنك)، كما كان يعمل

لوحات صغيرة تحل محل الجعل لتخليد حادث معين، مثل: اللوحة التي ذكر عليها زواجه من بنت ملك «خيتا» كما أشرنا إلى ذلك من قبل، وكان يقلد في ذلك ملوك الأسرة الثامنة عشرة، وبخاصة «أمنحتب الثالث».

ومن الطريف أن «رعمسيس الثاني» كان لا يعد نفسه ابن إله مثل الملوك السابقين وحسب، بل كان يعد نفسه إلهًا، فقد وجدنا منقوشًا على جعل له «ليت الشمس «وسر ماعت رع ستبن رع» يفلح أرواح كل أرض.» ومن المحتمل أنه في هذه الحالة قد استعمل لفظة الشمس لتعبر عنه تشبهًا بملك «خيتا» الذي كان يدعى الشمس (راجع Ibid 2120).

وكثيرًا ما كان يظهر اسم الإله «بتاح» مع اسم «رعمسيس الثاني» على الجعارين، فيشاهد «رعمسيس» متعبدًا لهذا الإله، مقدمًا إياه القرابين (راجع Ibid 2198)، يضاف إلى ذلك أنه كان يظهر مع الإله «آمون» في صورة «بولهول» برأس كبش (راجع Ibid 2227–2232)، ولا غرابة في ظهوره بهذين المظهرين؛ لأن الإله «بتاح» كان أعظم آلهة الدلتا مسقط رأس هذا الفرعون، كما كان آمون أعظم آلهة الدولة جميعًا.

وكانت الجعارين تقلد في عهد «رعمسيس الثاني» على نمط جعارين عهد الهكسوس، وكان الغرض من ذلك على ما يظهر إحياء وعبادة الإله «ست» معبود الهكسوس، وهو الذي كانت تنتسب إليه ملوك هذه الأسرة كما أسلفنا (راجع Ibid 2234).

وقد كان لـ «رعمسيس الثاني» شهرة عظيمة بوصفه قائدًا حربيًّا، غير أن ضخامة شهرته كانت تتضاءل أمام عظمة «تحتمس الثالث» وشهرته؛ ولذلك لم نجد له جعارين كثيرة مكتوبة بعد عهده كما وجدنا لـ «تحتمس الثالث»، ولكن مع ذلك عثر له على جعارين نقش عليها لقبه (راجع Ibid 2251 p. 226)، يرجع تاريخها إلى عهد الأسرة السادسة والعشرين. كما وجد له من نفس العهد لوحة صغيرة كانت مستعملة تعويذة كتب على أحد وجهيها: «إني خادم الإلهة «باست»» (القطة)، كما نقش عليها اسم الإله «آمون» في صورة مسلة، وعلى الوجه الآخر طغراء «رعمسيس الثاني». وقد عثر على هذه اللوحة في «نكراتيس» (كوم جعيف الحالية)، وتنتسب للأسرة السادسة والعشرين أيضًا.

وكان من خواص جعارين عهد الرعامسة الأول تحلية إطاراتها بحلقات صغيرة، وربما كان ذلك تقليدًا لعهد الدولة الوسطى المتأخر، وعهد الهسكوس (راجع Ibid 2237–2241).

ولدينا طراز آخر من الجعارين يتمثل فيه أمامنا شغف ملوك الأسرة التاسعة عشرة بـ «تحتمس الثالث»، فقد كان كل من «سيتي الأول» وابنه «رعمسيس الثاني» يقرن اسمه باسم هذا الفرعون على الجعارين (راجع Ibid 2091–2093)، كما نجد كذلك الأجيال التي تلت عهد «سيتي الأول» تقرن اسمه، وكذلك اسم ابنه «رعمسيس الثاني» باسم «تحتمس الثالث» الذي كان اسمه يعد أقوى تعويذة في أعين المصريين، كما نجد جعارين

نُقش عليها اسم كل من «سيتي الأول»، و«رعمسيس الثاني» (راجع Ibid 2052–75; 2083–2089).

وقد وجدنا لـ «رعمسيس الثاني» بعض جعارين كبيرة خاصة بتأسيس عاصمة ملكه، أشرنا إليها في سياق الكلام عن «بررعمسيس» حاضرة ملكه التي أسسها في الدلتا، وكذلك وجد بعض الجعارين بأسماء بعض أفراد أسرته، وهي كثيرة، ويطول الحديث عنها.

---

[1] عثر على أقدم جعل من عهد الأسرة السادسة في العرابة، وهو محفوظ في المتحف البريطاني (No. 49336) ومصنوع من العاج.

الأدب في عهد الأسرة التاسعة عشرة

لقد اتخذ الأدب وجهة جديدة في عصر الدولة الحديثة على وجه عام غير التي كان يسير فيها قديمًا، فقد كانت مادة الأدب، إلى هذا الوقت، اللغة الفنية العالية في كل ألوانها كالقصص، والأمثال، والحكم، والتأملات، وقد كانت هذه اللغة تقترب من لغة المحادثة إذا تناولت وثائق حيوية، أو صورت قصصًا شعبية.

أما في العصر الحديث فقد احتجبت اللغة الفنية، ولم يعد أحد من الشعب يفهمها، أو يستسيغها، وقد كان أول ظهورها بشكل بارز في عهد «إخناتون»، فقد بدأ القوم يكتبون الشعر بلغة العامة، وقد أُلفت بهذه اللغة أنشودة الشمس التي تضم في طياتها منهاج الإصلاح الديني الذي تحدثنا عنه في الجزء السالف مليًّا (راجع الجزء الخامس)، ولقد استقر نظام الكتابة بلغة العامة، وكُتب له البقاء، وفي عهد الأسرة التاسعة عشرة ظهر أدب قوي مكتوب بتلك اللغة الجديدة التي أطلقنا عليها «المصرية الجديدة»، فكُتبت بها الرسائل، والقصص، والعلوم، وشعر غزلي، وديني، ودنيوي، وكذلك المكاتبات الحكومية عامة، وقد بقي للمدارس خطرها كذلك في عهد المصرية الحديثة، ولكن أساليبها دبت فيها الحياة بقدر ما ذاق المصريون من حلاوة الحياة في هذا العصر، إذ رأوا الدنيا بعين الرضى فتعشقوها، وشغفوا بها.

والأدب الحديث خلو من الأفكار العميقة، والبحوث الفلسفية إلى حد ما، وقد يسوق الله إلينا كشفًا جديدًا بغير هذا الرأي، فإن حال مصر في ذلك الوقت تدعو إلى نقيضه.

ولم تدُم سيطرة اللهجة المصرية الجديدة على الأدب طويلًا، فإن الأدباء حنُّوا إلى العهود الأولى كما يحن كتاب عصرنا إلى عهد الشعر الجاهلي، أو الشعر الأموي، فأخذوا يرصعون عباراتهم، وينتقون لها أصفى الألفاظ والأساليب، وقد زينوها بالألفاظ الأجنبية على سبيل التظرُّف، أو إظهارًا لتمكنهم من مادتهم، وكان أبرز مثال في هذا الباب هي المساجلة الأدبية التي يطلق عليها الآن اسم ورقة «أنسطاسي الأولى» (راجع كتاب الأدب المصري القديم ص٣٧٦). وتعد هذه الوثيقة من أروع ما كُتب في الأدب المصري في عهد الدولة الحديثة، وتدل شواهد الأحوال على أنها كتبت في النصف الأول من عهد الأسرة التاسعة عشرة، فقد وجدنا أن «رعمسيس الثاني» قد ذُكر فيها عدة مرات، وقد عثر على عدة «أستراكا»، وقطع من البردي كتب عليها أجزاء من هذه المناقشة، وتاريخها كلها لا يتخطى منتصف الأسرة العشرين، على أن مجرد الاقتباس منها في هذا العصر لدليل ناطق على انتشارها في مدارس عهد الرعامسة.

ومن يقرأ تاريخ الأدب في هذا العصر يسهل عليه أن يعرف السبب في شيوعها، فنلاحظ أولًا أن الموضوع الذي تدور حوله المناقشة هو حرفة الكاتب، وهو الهدف الذي كان يرمي إليه بخاصة كل تلميذ في عصر الرعامسة؛ إذ كانت تعد أعظم المهن وأشرفها، فالمناقشة

التي نحن بصددها الآن تعد من جهة نوعًا من الكتابات التي كانت تفيض بها كتب هذا العصر لحث التلميذ على الجد في الوصول إلى حرفة الكتابة، ومن جهة أخرى تعد نموذجًا للأسلوب الحسن، ولتعليم الإملاء؛ لما ظهر فيها من غزارة المادة، وتنوع المفردات. يضاف إلى ذلك أن استعمال الألفاظ الأجنبية بكثرة، والتفاخر بالعلم، واستعراض أسماء البلاد الأجنبية غير المألوفة أحيانًا يتفق مع ما نعرفه عن ميول هذا العصر الأدبية. وأخيرًا نرى التهكم اللاذع منتشرًا في نواحي هذه الوثيقة، ويرجع منشؤه إلى حب الأجوبة المسكِتة عند المصري، وميله إلى التهكم. ونرى ذلك واضحًا في المحاورات القصيرة التي نجدها مدونة فوق المناظر المصورة على جدران المقابر، وفي الصور الملونة والتحف، وفي الصور الهزلية التي بقيت لنا من رسومهم، وكذلك الشأن في أدبهم.[1] غير أننا لم نجد في كل هذه المصادر ما يشفي الغلة في باب التهكم، والنكت مثلما بدا في وثيقتنا هذه.

ولكن مما يؤسف له أن الوثيقة في صورتها التي وصلت إلينا لا يمكن ترجمتها ترجمة مرضية إلى أية لغة حديثة، حتى ولو كنا أكثر تمكنًا من مفرداتها مما وصلنا إليه الآن.

والوثيقة كما هي غامضة في كثير من جُملها؛ وذلك لجهلنا بكثير مما ترمي إليه الكلمات الحقيقية، وقد زاد الطين بلة؛ تعدد الفجوات التي في الورقة، والأغلاط التي في المتن نفسه.

ولكن على الرغم من كل هذا سيجد القارئ الشرقي في هذه المناقشة لذة لا يشعر بها القارئ الغربي الذي لا يمكنه أن يتذوق تمامًا ما فيها من النكات والمداعبات، فضلًا عن أنها تعرض أمامنا سلسلة صور هامة عن العالم المتمدين في هذا العصر، وبخاصة موضوع الرحلة في فلسطين، وإن بُولغ في تصويرها ووصفها.

وسنكتفي هنا بإعطاء ملخص لهذه الوثيقة التي وضعها «حوري»، أما خصمه فيدعى «أمنمؤبي»، وهذا ما اتفقت عليه كل النسخ التي وقعت تحت أيدينا.[2]

كان الكاتب «حوري» من حملة الأقلام، وكان موظفًا في الإصطبلات الملكية، وقد كتب لصديقه «أمنمؤبي» كتابًا تمنى له الفلاح والحياة السعيدة في الدنيا والآخرة.

وقد رد عليه «أمنمؤبي» مظهرًا أسفه لهبوط مستوى كتابة صديقه مع عجز «أمنمؤبي» عن الانفراد بالرد عليه، واستعانته بكثير من المساعدين؛ وعندئذ قام «حوري» بدوره يصلى مساجله «أمنمؤبي» قوارص الكلم، ولاذع التهكم، مصرحًا بعجزه مرة ومكنيًا أخرى، متتبعًا ما عالجه «أمنمؤبي» من الأمور، ومظهرًا ما فيه من نقص؛ ولم يكن «أمنمؤبي» بالكاتب المتحفظ الذي يلتزم أدب التراسل والمساجلة، فإنه حذف السلام العادي من صدر رسالته، وعبر عن احتقاره لمقدرة «حوري»، وتمكنه من مادته، فما كان من هذا الأخير إلا أن تهكم عليه ما وسعه التهكم، وسرد أمثلة عدة لأناس وصلوا إلى أعلى المراتب مع ما فيهم من نقص عقلي وجسمي، وفي ذلك تعريض بـ «أمنمؤبي» الذي وصل إلى مرتبة سامية على غير كفاية رزقها. واندفع «حوري» يرد هجمات «أمنمؤبي» بقسوة لاذعة، وطلب أن يحكم بينهم

الإله «أنوريس»، وتابع تحديه لزميله بأن ينفرد بحل مسألة حسابية تتناول بناء مطلع، أو نقل مسلة، أو إقامة تمثال ضخم، أو غزوة لبلد أجنبي، وما تتطلبه من المؤن والذخائر.

وعندئذ ادعى «أمنمؤبي» أنه يحمل لقب «ماهر»؛ فاتخذ «حوري» من هذا الادعاء مادة لإثبات عجز منافسه وجهله، فسرد على «أمنمؤبي» عددًا عظيمًا من بلدان شمال سوريا التي يجهلها، وصور له المتاعب التي سيتعرض لها في حياته بحمله هذا اللقب، ثم سأله ساخرًا من ضآلة معارفه عن بلاد «فينيقيا»، والبلاد التي إلى الجنوب منها، وبلاد أخرى كان يختلف «الماهر» إليها، ثم تصور «أمنمؤبي» في صورة خيالية يقاسي فيها تجاريب الحياة التي يسببها له هذا اللقب، فسيتعرَّض لاختراق أقاليم جبلية، ولمخاطر الحيوان المفترس، ولتحطيم عربته، ثم وصوله إلى «يافا»، وإصلاح العربة، وابتداء رحلة جديدة.

ولم يكتفِ بذلك «حوري»، بل واصل استجواب صديقه عن أسماء الأماكن التي تقع على الطريق العام الموصل إلى «غزة» فيتضح جهله كذلك بها.

وإلى هنا قد وصل «حوري» إلى هدفه من إظهار فوقه على مُناظره، ويأخذ في الإجهاز عليه بأن يقف منه موقف الناصح، فيسأله ألا يغضب، ويطلب إليه أن يستمع في هدوء حتى يتعلم، ويستطيع التحدث عن البلاد الأجنبية، ويقص حوادث السياحة.

هذا ما حدث بين الأديبين. ويؤسفنا أننا لم نصل أحيانًا إلى الكنه الحقيقي لبعض الأساليب؛ لأن لكل أمة في لغتها طريقتها الخاصة في التعريض والتلويح والتلميح والرمز والإشارة، وما إلى ذلك؛ مما يكسب الكلمات معنًى مجازيًّا قد يكون بينه وبين المعنى الحقيقي مراحل واسعة، وعلى أية حال فإن ما جاء في هذه الورقة يضع أمامنا صورة واضحة عن الميول الأدبية والعلمية في هذا العهد.

وبجانب أمثال هذه المساجلات التي تدل على العلم الغزير، والاطلاع الواسع كان هناك نوع آخر من الأدب هو القصص. والواقع أنه لم تصل إلينا الحياة العقلية في مصر سلسلة متصلة الحلقات حتى نتبعها من أولها إلى آخرها، ونسلط عليها أشعة البحث والدرس، ونخرج منها بنتيجة نقطع بها ونؤمن بصحتها، ولكنها وصلت إلينا وبها حلقات مفقودة، فلا نستطيع إلا درس ما وصل إلينا وبناء أحكامنا عليه. والمتتبع لتاريخ القصص في الأدب المصري لا يرى أمامه أي مثال للقصة في الدولة القديمة، ولا ما سبقها من العهود، وإن كانت ظواهر الأحوال وإشارات متون الأهرام تدلنا على أنه كانت هناك أساطير وأقاصيص عن الآلهة، ويرجع عهدها إلى ما قبل التاريخ، ومن يدري؟! فلعل الأرض تبوح بسرها، وينشق جوفها عما نلتمسه الآن فلا نجده، إن لم تكن عوادي الزمن قد طغت عليه.

أما القَصص التي وصلت إلينا عن عهد الدولة الوسطى فإنه قصص ناضج يدل على أن هذا الفن بلغ في عهد هذه الدولة ذروته، وقد ضربنا منه الأمثال الكثيرة في الجزء الثالث من هذا المؤلف (راجع مصر القديمة ج٣).

وبعد عهد الدولة الوسطى وجدنا بعض الركود على ما يظهر في فن القصة، فلم نعثر حتى الآن في عهد الدولة الحديثة إلا على سلسلة من القصص بعضها تاريخي، وبعضها خرافي محض، ولكنها بسيطة في موضوعها، ويظهر أنها كانت تُعد لتُلقى في قصور الملوك للتسرية عنهم في أوقات الفراغ، وربما كان الغرض منها مجرد الدعاية، كما نرى في قصة الملك «خوفو» والسحرة (راجع كتاب الأدب ص٧٥)، أو لإظهار الحق في ثوب المنتصر على الباطل بسرد أعمال عظيمة خارقة للعادة قام بها الآلهة، وتنتهي بهذه النتيجة. وقد كتبت كلها باللغة المصرية الحديثة، أو اللغة العامة، وكانت اللغة المستعملة وقتئذ كما ذكرنا آنفًا.

فمن القصص التاريخية قصة الملك «أبوفيس»، والملك «سقنتر رع»، وقد أوردناه في الجزء الرابع من المؤلف (راجع مصر القديمة ج٤)، وكذلك قصة الاستيلاء على «يافا»؛ وتتضمن أن الملك «تحتمس الثالث» قاهر الأعداء يرسل قائده «تحوتي» ليستولي على «يافا» ذلك الثغر العظيم الواقع جنوب فلسطين، فيحاصر هذا القائد المدينة، وتمتنع عليه فيعجز عن اقتحامها؛ فيلجأ إلى الحيلة التي تشبه الحيلة التي استولى بها على طروادة، ويغري أمير المدينة بالخروج إليه لمحادثته، ولما تقابلا أكرمه، واحتفى به، وأدخل في روعه أنه سينضم بجنوده إليه، وأنه سيسلمه زوجه وأطفاله؛ وباشتراكه مع عصا «تحتمس الثالث» التي كانت تشبه عصا موسى تغلب على العدو، وفتح البلدة بعد خدعة حربية رائعة (راجع كتاب الأدب المصري القديم ص١٠٩–١١٢).

ومن القصص الخرافية التي نسمع أمثالها تُحكى للأطفال في بيوتنا حتى الآن قصة الأمير المسحور، وتتلخص في أن ملكًا اشتاق أن ينجب ذكرًا بعد أن حُرم ذلك دهرًا طويلًا، فأعطاه الإله ما يتمناه، ولكن قدر على هذا المولود أن يلقى حتفه على يد تمساح، أو حية، أو كلب، وعرف والده ذلك فأفرده في بيت بناه له في الصحراء حتى شب، فرأى في الطريق كلبًا يتبع صاحبه، ولم يكن له عهدًا بسحنة الكلاب، فسأل عنه، ثم طلب واحدًا من جنسه، فأمر له والده بجرو صغير حتى يأمن عليه من ناحية، ولا يغضبه من ناحية أخرى. كبر الطفل فاشتاق إلى الحرية، وطلب الخروج إلى أرض الله الواسعة، فأجيب إلى طلبه. سافر الطفل وأبعد في سفره حتى وصل إلى رئيس بلاد «نهرين»، وكانت له ابنة جميلة جعل صداقها استطاعة المرء أن يقفز إلى شرفة بيتها التي ترتفع عن الأرض ستة وخمسين ذراعًا، فلم يستطع أحد من أولاد رؤساء «سوريا» ذلك، واستطاعه ذلك الشاب الوافد من مصر، فتزوج من البنت بعد لأي وامتناع من جانب والدها، وأحبته وأخلصت له، وسهرت على راحته، وحفظت حياته من الحية مرة، ومن التمساح أخرى، ولكن على ما يظهر انتهى أجله بإحدى الطرق التي كانت مقدورة له من قبل، وإن كان في ذلك شك؛ لأن نهاية البردية كانت مهشمة، ولم تحدثنا عن النهاية على وجه التأكيد.

ومن القصص الخرافية الذائعة الصيت في الأدب المصري قصة الأخوين؛ لأنها تشبه قصصًا كثيرة أخرى حُكيت في الزمن الحديث، وهي بلا شك أكثر دلالة على أصلها المصري من مثيلاتها التي رُويت لنا من عهد الفراعنة، وهي قطعة من الشعر القصصي العام، ترجع إلى عهد الأسرة التاسعة عشرة، وتحلِّق بوقائعها الخيالية في عالم الخرافات، وقد نقلها الكاتب

«أنانا» تلميذ كاتب الخزانة الملكية «كاجبو»، وقد ظن البعض أن قصة يوسف — عليه السلام — مشتقة منها، غير أن ذلك مجرد ظن وتوافق خواطر على ما يظهر.

وتتلخص القصة فيما يأتي: يضم بيت واحد أخوين مخلصين، كبيرهما متزوج ويسمى «أنوب»، وصغيرهما أعزب، ويسمى «باتا»، وكان ساعد أخيه الأكبر في فلح الأرض وزراعتها، وتربية أنعامها. وفي يوم كانا يزرعان في الحقل فاحتاجا إلى بعض البذر، وذهب الأخ الصغير إلى البيت ليحضره، وكانت زوج أخيه الكبير تمشط شعرها، فما رأته يحمل قدرًا كبيرًا من البذر على ساعديه حتى راقها جماله، وأعجبت بقوته؛ فراودته عن نفسه، وغلقت الأبواب، وقالت: هيت لك. قال: معاذ الله، إن أخي الكبير رب نعمتي، وقد أحسن مثواي، فلا أخونه في زوجته، فأضمرت المرأة في نفسها الكيد لهذا الفتى الذي فوت عليها ما كانت تريد من اللذة والمتاع. وقابلت زوجها في المساء متمارضة متباكية متظاهرة بالألم، وادَّعت أن أخاه الصغير راودها عن نفسها، وما جزاء من يفعل ذلك إلا القتل أو عذاب أليم. فصمم الأخ الأكبر على قتله عندما يعود بالماشية، واختبأ وراء الباب لهذه الغاية، وما أن قرب الصغير من البيت حتى أخبرته بقرة من التي كان يسوقها بما دُبر له، ففر «باتا»، وتبعه «أنوب» بسلاحه، ولكن إله الشمس حجز بينهما بخلق بحيرة مملوءة بالتماسيح، فعجز «أنوب» عن اللحاق به، وجرت بينهما محادثة برأ فيها «باتا» نفسه، وجب عضو التناسل منه، وأبان عزمه على الرحيل إلى وادي الأرز، وأنه سيضع قلبه على زهرة في أعلى إحدى أشجاره، وعين له علامة إذا حدثت كانت دليلًا على وفاته. وعلى الأخ الأكبر حينئذ أن يذهب إلى وادي الأرز، ويبحث عن قلبه، ويضعه في الماء؛ فتعود إلى «باتا» الحياة ثانية، وينتقم لنفسه من القاتل.

وبعد هذه المحاورة رجع «أنوب» إلى قريته فقتل زوجته انتقامًا لأخيه. أما «باتا» فقد سعى إلى وادي الأرز، ولما رأته الآلهة وحيدًا في هذا الوادي أشفقت عليه وجعلوا الإله «خنوم» يسوي له زوجة، وقد خالفته هذه الزوجة فخرجت إلى البحر على الرغم من تحذيره لها من هذا العمل، فأراد البحر أن يختطفها، ولكن «باتا» أنقذها منه، وكل ما استطاع البحر أن يأخذه خصلة من شعرها طفت على وجهه حتى وصلت إلى مصر، وهناك فاح شذاها، وانتشر رياها؛ فشغف الفرعون بصاحبتها، وأرسل إلى وادي الأرز في طلبها، فحضرت زوجة «باتا» مع الرسول وصارت خطيبة الفرعون، ولما كانت تخاف بأس زوجها أغرت الفرعون بقطع شجرة الأرز التي تحمل قلبه، فسقط قلبه بسقوطها ومات. وعندئذ حدثت العلامة التي كان قد ذكرها لأخيه ليعلم بها أمر موته — وهو فوران إبريق من الجعة — فسعى في الحال «أنوب» إلى وادي الأرز لينقذ قلب أخيه، وبعد سنين وجده في صورة فاكهة، فأعاده إلى الحياة بوضعه في الماء، ثم صير «باتا» نفسه ثورًا، وحمل أخاه إلى مصر، وأفصح لزوجه عن شخصيته، فأغرت الفرعون بذبحه؛ فتطايرت منه نقطتان من الدم نبتتا بعد شجرتين من الأثل سكن فيهما «باتا»، وأسرَّ إلى زوجته بأمره، فأغرت الفرعون بقطع الشجرتين، وصنع أثاث لها منهما ففعل، وفي أثناء صنع الأثاث تطايرت شظيتان من الخشب دخلتا في فم الزوجة فحملت وأنجبت صبيًّا صار وليًّا للعرش، وعند

وفاة الملك نُصب هذا الصبي خلفًا له ملكًا على البلاد، ولم يكن ذلك الصبي إلا «باتا» نفسه، فانتقم لنفسه من زوجته الخائنة بقتلها.

وهذه القصة كانت تعد فذة في بابها؛ لأنها من الأساطير الدينية القليلة التي وصلت إلينا، والواقع أن كل مشتغل باللغة المصرية القديمة يدرك أن القصص الخرافية التي ينحصر أبطالها في محيط الآلهة وحدهم قليلة أو نادرة. ومن أهم القصص التي كُشف عنها حديثًا؛ قصة المخاصمة بين «حور وست»، ولها علاقة بقصة «مأساة أوزير»، ومصدر الأخيرة الذي لا يشفي غلة ما ورد عنها في كتاب «ديدور الصقلي»، و«بلوتارخ» من مشهوري كتَّاب اليونان لولا ما دُس فيها من العناصر الدخيلة التي شوهتها. وإذن فليس لنا مرجع لهذه القصة إلا النتف اليسيرة المبعثرة في المتون المصرية، وبخاصة الدينية منها، والسحرية التي تبدو كالشعرات البيض في الفرس الأشهب، وهي مع ذلك لا تخلو من تناقض واضطراب، وقد بقيت المصادر الإغريقية هي السند الوحيد لدينا إلى أن كُشف عن القصة في بردية من عصر الرعامسة. وتتلخص فيما يأتي: اشتد النزاع بين الأخوين «أوزير» و«ست» على عرش مصر، فاغتال «ست» «أوزير»، ولكن الحياة دبت ثانية في جسمه بفضل أخته «إزيس»، فترك دنيا الغدر وما فيها، وهبط يحكم في العالم السفلي بعد أن نزل عن عرش مصر لابنه «حور». ولقد كان من الطبعي أن يبدأ النزاع من جديد بين «ست» و«حور» على العرش مرة ثانية؛ فتشاحنا وتخاصما إلى محكمة الآلهة التي كان يرأسها الإله «رع». وكان «حور» يعتز في عراكه بعدالة قضيته، وبإرثه الشرعي، وبمساعدة «إزيس». وكان «ست» يعتد بقوته وجبروته، ومعاضدة الإله «رع» له، ومن ثم كانت الأحكام الأوَّلية في هذه القضية في جانبه خشية بأسه، وفرارًا من أذاه، حتى إذا ضاقت الحلقة وتضافرت الأدلة كلها عليه بعد تهديد «أوزير» لـ «رع» ومجلسه، ولم يجد القضاة من الآلهة فرجة ينفذون منها إلى مناصرته، أصدروا حكمهم في جانب الحق، فآل مُلك مصر إلى وارثه الشرعي «حور بن أوزير» (راجع كتاب الأدب المصري القديم عن درس هذه القصة ومتنها جزء أول ص١٢٧–١٦٠).

ولا بد أن يكون القاص لقصتنا هذه قد أراد أن تكون غذاء للعامة، فانحدر بأسلوبها إلى مستواهم كما يفعل قاصُّو القرى الآن في مجالس الفلاحين، وقصتنا من ناحية أخرى لها أهمية خاصة غير التي كسبتها من موضوعها، وأبطالها، وممثليها، وهي أنها صورت لنا حياة البلاط الفرعوني، وسياسته في العهد الإقطاعي، ولكن بصورة مقنعة (راجع كتاب الأدب ص١٣٧ إلخ).

والواقع أن قصة المخاصمة بين «حور» و«ست» تعد ملحمة أدبية إذا ما قرنت بالملاحم الأخرى في أدب العالم؛ إذ في هذه القصة قد امتزجت الخرافة والحقيقة وانصهرتا معًا، وصُبتا في قالب واحد؛ فنبت فيه شخصية كل من المزيجين فظهرا في صورة واحدة لا تتميز فيها إحداهما؛ إذ بينما نجد الحوادث فيها تجري على يد الآلهة وحدهم نرى ظل هذه الحوادث نفسها ينطبق على حادث تاريخي معين وقع في مصر في وقت معين، فإذا أبدلنا بالإله «رع»، ومن مثل معه من الآلهة في هذه القصة — ملكًا جاء في بداية الأسرة الثانية

عشرة، ومعه حكام الإقطاع — رأينا أن هذه الرواية التي مثل الملك وحكام الإقطاع فصولها تنطبق تمام الانطباق على أختها التي كان «رع» وأتباعه من الآلهة أبطالها ونجومها.

(١) الشعر الغزلي

وفي عهد الدولة الحديثة ظهر أمامنا لأول مرة حتى الآن شعر غزلي، وتدل البحوث في الأدب العالمي قديمه وحديثه على أن أغاني الحب لم تحتل مكانتها في الأدب الراقي إلا بعد فترة طويلة من الزمن في حياة الأمم، ويرجع ذلك إلى ضرورة انقضاء آماد تتطور فيها مشاعر الأمة، وتتربى في أثنائها عواطفها، ومن ثم تأخذ في أسباب التعبير عن وجدانها، متأثرة ببيئة الشاعر، وبوحيه الذي يعيش فيه. ففي بلاد اليونان — مثلًا — نشاهد وفرة في إنتاج الشعر الذي يخرج عن دائرة الغزل، وذلك قبل أن يكون لها إنتاج في الشعر الغنائي المعبر عن العواطف والوجدان، ويدل ما لدينا على أن الشعر الغزلي كان معروفًا في مصر منذ الدولة الحديثة على الأقل، ولا نزاع في أنه كان موجودًا قبل هذا العصر بزمن بعيد، ولكن كان لزامًا على علماء اللغة المصرية القديمة، والباحثين في الأدب المصري أن ينفقوا أكثر من قرن زمني ليثبتوا للعالم الحديث أن التحنيط لم يكن هو الموضوع الفذ الذي شغل بال المصري القديم مدة حياته. ومع أنه قد ظهر لنا أن المصريين القدامى كانوا أهل فرح ومرح، وكانوا مولعين باللعب والتمتع بكل نواحي الحياة وبالموسيقا، فإن الأثر الذي نقرؤه في أذهان كثير من أهل زماننا عن المصريين أنهم كانوا جامدين متزمتين، وقد ساعد على رواج هذه الفكرة ما نراه من الجمود الظاهر في كثير من تماثيلهم وصورهم، وفي الأساليب الجامدة التي جروا عليها فلم تتغير بتغير العصور، والواقع أن اتخاذ الفن وأسلوب الكلام أساسًا للحكم على الأمم القديمة مقياس ناقص؛ لأن المرونة في الفن، وفي التعبير هي آخر شيء يرقى عند الأمم؛ ولذلك لا يتخذ ذلك مقياسًا لقوة الأمم في عهودها المختلفة، فمن الواجب إذن أن نُعرض عن تلك الفنون الجامدة الفينة بعد الفينة، ونقف أمام أشخاص أحياء لنتلمس فيهم حقيقة رقيهم وعواطفهم. ولا أدل على ذلك مما لدينا من الأغاني المصرية التي حُفظت لنا في الأوراق البردية، وبخاصة مجموعة «شستر بيتي» التي عثر عليها حديثًا، وتعد أحسن نموذج في هذا الموضوع وصل إلينا سليمًا في جملته مفهومًا من هذا العصر الذي نحن بصدده، وقد وصل إلينا قبل ذلك مجاميع من الأغاني الغزلية يرجع عهد أقدمها إلى الأسرة الثامنة عشرة، غير أن معظمها مهشم، ومحشو بالأغلاط (راجع كتاب الأدب المصري ج٢ ١٥٤ إلخ)، ومع ذلك فإنا نجد فيها العواطف الإنسانية ممثلة بقوة وحرارة.

والظاهر أن الأغاني الغرامية التي يرجع عهدها إلى الدولة الحديثة التي حفظت لنا على استراكا «متحف القاهرة» رقم ٢٥٢١٨ وفي ورقة «تورين» ٧٩–٨٢، وفي ورقة «هاريس» رقم ٥٠٠، وكذلك في ورقة «شستر بيتي» المحفوظة «بالمتحف البريطاني» من الصعب أن

نفصل كنه إنشائها، فالغزل الذي نقرؤه على استراكا القاهرة، وكذلك ما جاء في ورقة «هاريس» رقم ٥٠٠ الغرض منه أن يوقظ الشعور، ويلفت النظر بالحقائق، ويري الإنسان ما لم يكن في الحسبان. وسلسلة المقطوعات في هذه الأغاني الغزلية ليس بينها روابط تربطها إلا صبغتها الغرامية، وكذلك تتغير النغمة من الرقة إلى الشدة، ومن المداعبة إلى حرقة الشوق وحرارته. والمجموعة الثالثة من ورقة «هاريس» رقم ٥٠٠ تعدد طائفة من الأشعار ليس لها روابط داخلية تربط بعضها ببعض إلا بكلمات ثورية تربط بداية كل مقطوعة بأزهار حديقة، أو طاقة أزهار من المفروض أن منشدها كان ينظر إليها الواحدة تلو الأخرى. وما أشبه اليوم بالبارحة، فإن هذا المنظر يذكرنا بما يحدث الآن عندما تناجي إحدى المغنيات الأزهار واحدة بعد الأخرى وهي تقطفها، كما نشاهد الآن في قصة «فاطمة» على الشاشة البيضاء.

ومجموعة أناشيد «تورين» تجعل كل شجرة من أشجار الخميلة تتحدث بنفسها. ونشاهد من جهة أخرى الروابط التي تربط مجموعة مقطوعات ورقة «هاريس» الثانية رقم ٥٠٠ تظهر بعض الشيء؛ حيث نجد على الأقل أن المقطوعات الأولى تُنسب إلى عذراء واحدة قد هزها الشوق ونار الحب. وأخيرًا نجد أن مقطوعات قصيدة الشعر العظيمة التي نقرؤها في ورقة «شستر بيتي» الأولى — وهي التي تغنَّى بها العاشق تارة، ومحبوبته تارة أخرى — تؤلف قصة شعرية غنائية متصلة الحلقات، تسودها فكرة واحدة متماسكة تنتهي إلى غرض.

ولكن كل هذه المجاميع من المقطوعات الغزلية قد طُبعت بطابع مشترك، وهي أنها تعد قصيرة لتُقرأ مرة واحدة دون أن تتعب صوت ملقيها، أو التفات المستمعين؛ ولذلك يخيل إلي أنه من المحتمل جدًّا أنها تمثل مباهج أعياد، فكان كل منها صالحًا لوسط خاص في مناسبات خاصة. ولا نزاع في أن المتفرغين للملاهي من ممثلين ومحدثين ومفتنين الذين يُدعون لإقامة الحفلات السارَّة كان لديهم قائمة بالمناهج التي كانوا يعرضونها، ومن الممكن أن بعض هذه المقطوعات الشعرية كانت لها منزلة عظيمة خاصة حتى إنها عُدت ضمن قطع الأدب.

والواقع أن أنشودة الأناشيد تذكرنا كثيرًا بالأشعار المصرية الغرامية؛ إذ نجد كثيرًا من الموضوعات، وبعض التعابير متشابهة في كلتيهما، ولا غرابة في أن نجد هذا التشابه عندما نذكر على وجه خاص السيطرة الطويلة الأمد، سياسية كانت أو ثقافية، التي كانت لمصر على «فلسطين»، هذا إلى التأثير الذي نلحظه في معالم كثيرة، وأكثرها ما نشاهده في كتاب الأمثال ونصائح «أمنمؤبي» (راجع كتاب الأدب المصري القديم جزء أول ص٢٧١–٢٨٠). ومن الجائز إذن أن ما اقترحناه عن أنشودة الأناشيد والشعر الغزلي المصري لا يبعد عن الصواب، ويعزز ذلك أن قطع أنشودة الأناشيد لا يوجد بينها روابط تربطها؛ إذ إنها مناهج أعياد مختلفة، وهي أحفال زواج، أو أفراح أخرى، ويحتمل أن أكثرها كان يكرر مثل ما كان يحدث في مصر لمجرد تمضية «يوم سعيد» يجتمع فيه الخلان في بيت واحد منهم،[٣] ونضع أمام القارئ بعض ما جاء في ورقة «شستر بيتي»؛ ليرى مقدار ما وصل إليه

المصري من الحس المرهف، والعاطفة الملهبة؛ فنجد العاشق يصف لنا أولًا محبوبته، فاستمع إليه:

أول كلام النديم العظيم

إنها فريدة — أخت منقطعة القرين

أرشق بني الإنسان

تأمل، إنها كالزهراء عندما تطلع

في باكورة سنة سعيدة

ضياؤها فائق، وبشرتها وضاءة

وإنها تفتن بلحظ عينيها

والسحر في حديث شفتيها

لا تنبس بكلمة فضول

فرعاء العنق، ناعمة الثدي

شعرها أسود لامع

وذراعاها تفوق الذهب طلاوة

وأصابعها كأنها زهر البشنين

عظيمة العجز، نحيلة الخصر (هيفاء مقبلة، عجزاء مدبرة)

لها ساقان تفوقان ما فيها من جمال آخر

رشيقة الحركة عندما تتبختر على الأرض

لقد أخذت بلبي في قبلتها

تجعل أعناق كل الرجال

تنثني لتشاهدها

سعيد من يقبلها

فإنه يكون على رأس الشباب القويِّ

ويشاهدها الإنسان ذاهبة إلى الخارج

كأترابها، ولكنها وحيدتهنَّ.

ثم ترد عليه العذراء، فاستمع إليها وهي تناجيه:

إن المحبوب يهيج قلبي بصوته

وقد جعل المرض يتملك مني

وإنه جار بيت والدتي

ومع ذلك ليس في استطاعتي أن أذهب إليه

وجميل يا والدتي أن تهاجميني في ذلك

قائلة: أقصري عن التفكير في ذلك

تأمل! فإن قلبي يتوجع عندما يتحدث لي عنه

وحبه قد أسرني

الأم: تأملي إنه مجنون مجنون

البنت: ولكني مثله

وإنه لا يعرف مقدار شغفي بتقبيله

وإلا لكان في استطاعته أن يرسل لوالدتي

آه يا حبيبي، إن مصيرى إليك

وقد قضت بذلك إلهة النساء الذهبية «حتحور»

تعال إلي حتى أشاهد جمالك

وسيفرح بك الناس عامة

وسيُسرون بك يأيها المحبوب.

وهكذا تستمر هذه المساجلة الغرامية في سبع مقطوعات (راجع كتاب الأدب الجزء الأول ص١٧٣ إلخ).

وقد ذكرنا بعض مدائح هذا العصر في سياق التاريخ، ويجد القارئ كثيرًا منها في كتاب الأدب (الجزء الأول ص١٩٠ إلخ).

وعلى وجه عام نجد أن الأدب في هذا العصر قد طُبع بطابع جديد من حيث الأحاسيس الإنسانية والشعور بالمسئولية الخلقية؛ ولذلك ظهر نوع جديد من النصائح يربط الحياة الدنيا بالآخرة، وما فيها من عقاب وثواب، ونخص بالذكر منها نصائح «آني».

(٢) نصائح «آني»

يفتتح هذا الحكيم كتابه معددًا لابنه ما تحمله نصائحه من فوائد، وما سيعود عليه منها لو اتبعها فيقول: «إنى مخبرك بكل فاضل، وبما يجب أن تعيه في لبك، فاعمل به، وبذلك تكون محمودًا، ويبتعد عنك كل شر … وسيقال عنك — إذا اتبعت ما أقول: «إنه على خلق عظيم»، ولن يقال: «إنه قد أتلف، وإنه بليد»، وإذا تقبلت كلماتي فإن كل شر سيبتعد عنك.»

ثم يتلو هذه النصيحة الأولى عدة نصائح أخرى في الحذق في الكلام وقلته، وعدم التفاخر بالقوة، غير أنها كلها قد استعصى علينا فهمها، إلى أن نصل إلى نصح حكيمنا لابنه في أن يتخذ لنفسه زوجة، وهو لا يزال في ريعان الشباب ليكون له خلف صالح يسعد بهم، ويربيهم في حياته، فيقول:

> اتخذ لنفسك زوجة، وأنت لا تزال شابًّا لتنجب لك ولدًا، ويجب أن تنتجه لك، وأنت لا تزال صغير السن، ويجب أن تعيش لتراه قد صار رجلًا (؟)، فما أسعد الرجل الكثير النسل؛ فهو يُحترم بسبب أولاده.

وبعد أن تكلم لابنه عن تأسيس الأسرة أراد أن يذكره بجانب ذلك بتقوى الله، وأداء ما عليه من الواجبات نحوه فيقول:

> احتفل بعيد إلهك، وإن الله يغضب على من يستخف به، واجعل شهودًا يقفون عند قربانك التي تقرِّبها لله؛ فإنه لأحسن شيء لمن يؤديه؟ وإن الغناء والرقص والبخور لمتعلقة بخدمته (؟)، أمَّا تقبله الاحترام فمن حقوقه، فقدمها للإله حتى تعظم اسمه.

وجاء في القرآن الكريم: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾.

ينتقل بنا بعد ذلك «آني» إلى تعليم ابنه المعاملات الاجتماعية، فيعلمه أولًا أدب الزيارة، فلا يدخل بيتًا إلا بعد استئذان، وعندما يدخل يغض طرفه عن كل عيب، ولا يتكلم عن شيء رآه معيبًا في زيارته، فيقول:

> لا تدخلنَّ بيت غيرك … ولا تمعنن في النظر إلى الشيء المنتَقد في بيته؛ إذ يمكن لعينك أن تراه، ولكن الزم الصمت، ولا تتحدثن عنه لآخر في الخارج؛ حتى لا تصبح جريمة كبرى تستحق الإعدام عندما تُسمع (؟).

وبهذه المناسبة يحذره الزنا، ويذكره بأن المرأة لغز ملتوٍ فلا ينخدع بإغرائها، وبأن ارتكاب الفاحشة يعاقب عليه بالقتل أمام القانون، فيقول:

> خذ حذرك من المرأة الأجنبية، تلك التي ليست معروفة في بلدتها، ولا تغمزن لها بعينك، ولا تبغ معها (؟)؛ فهي ماء عميق لا يعرف الرجال التواءاته (تياراته). والمرأة البعيدة عن زوجها تقول لك كل يوم: «إني جميلة»؛ ولذلك عندما تكون بعيدة عن أعين الرقباء تقف أمامك لتوقعك في حبائلها … وإن ذلك «الزنا» لجرم عظيم يستحق الإعدام عندما يرتكبه الإنسان، ثم يعلم بذلك الملأ؛ لأن الإنسان يسهل عليه بعد ارتكاب تلك الخطيئة أن يرتكب كل ذنب.

يتحدث بعد هذا «آني» في فقرة صغيرة عن سمعة الرجل أمام القضاء بعد أن تكلم عن سمعته أمام الناس بالنسبة للمرأة فيقول:

> لا تدخلنَّ وتخرجنَّ في قاعة العدل (المحكمة) حتى لا يفوح اسمك — من كثرة القضايا، ولا تتكلمن كثيرًا، وكن صامتًا لتكون سعيدًا، ولا تكن ثرثارًا.

ويطالعنا بعد ذلك بتعليم ابنه معنى التقوى الحقيقية نحو الله، ثم نحو أبويه، فيقول:

> إن بيت الله يمقت الهرج، فصلِّ بقلب محب، ولا تجهر بصلاتك، وبذلك ستقضي كل حوائجك، وسيسمع الله ما تقول، ويتقبل قربانك.

هذا عن الإله، أما عن الأبوين فيقول:

> قرِّب الماء لأبيك وأمك اللذين يسكنان في وادي الصحراء (الجبانة) … ولا تنسَ أن تؤدي هذا حتى يعمل لك ابنك بالمثل.

ثم نرى «آني» يحض ابنه على الابتعاد عن المسكرات، شارحًا له في صورة حية ناطقة ما يبدو على السكير من سوء الحال، فيقول:

> لا تلزمن نفسك — من باب الفخر — بأنك تستطيع أن تشرب إبريقًا من الجعة، فإنك بعد ذلك تتكلم ويخرج من فيك قول لا معنى له، وإذا سقطت وكُسرت ساقك فلن تجد أحدًا يمد إليك ليساعدك، أما إخوانك في الشراب فيقفون قائلين: «أبعدوا هذا الأحمق»، وإذا حضر إنسان ليبحث عنك ليستجوبك وجدك طريح الثرى، ومثلك في هذا كالطفل الصغير.

ثم يذكره بعد هذا بألا يتردد على البيوتات المريبة، فيقول:

> لا تخرج من بيتك إلى بيت لا تعرفه (؟)، واجعل كل بيت تحبه معروفًا؛ حتى لا يرتاب أحد في سلوكك.

وبعد أن تكلم عن كل هذه الأشياء الفاضلة التي يجب على ابنه أن يرعاها في الحياة، انتقل إلى تذكيره بالموت، وأنه يجب عليه أن يعد لنفسه قبرًا ليُثوى فيه. وهذا أمر كان يهتم به كل مصري قديم طوال حياته؛ إذ كان إعداد القبر في المنزلة الأولى، فيقول:

> أعد لنفسك مأوًى جميلًا في وادي الصحراء، وهي الحفرة التي ستواري جثمانك، فاصنعه أمام عينيك في مشاغلك … مثل السلف العظام الراقدين في مدافنهم (؟)، وإن الذي يبني القبر لنفسه لن يقابل باللوم على ذلك، وإنه لجميل أن تعد لنفسك كذلك على هذا النحو قبرًا، وسيأتي إليك الرسول (الموت)، وسينصب نفسه أمامك فلا تقولن: «إنى لا زلت صغيرًا جدًّا لتختطفني»؛ لأنك لا تعرف حتفك، والموت يأتي، ويختطف الطفل الذي لا يزال يرضع ثدي أمه، كما يختطف الرجل عندما يصبح مسنًّا.

يأتي بعد هذه الفقرة فقرة طويلة بعض الشيء ينصح فيها «آني» ابنه بأن يكون يقظًا في المعاملات الاجتماعية، غير أن معظمها غير مفهوم لنا تمامًا:

> تأمل! إني أقص عليك أشياء أخرى طريفة يجب عليك أن تعيها في لبك، فأدها؛ وستكون بذلك سعيدًا، وسيبتعد عنك كل سوء …

ثم يشير على ابنه بعد هذه المقدمة بأن يتخير صديقه بعد التجربة على ألا ينزل إلى طبقة العبيد، ويأخذ منهم صديقًا، فيقول:

> ابتعد عن الرجل المعادي، ولا تتخذنه خدنًا لك، بل اصطفِ لنفسك صديقًا مستقيمًا عادلًا، وعندما ترى ما فعله (؟) … ولا تتخذن لنفسك صديقًا كان عبدًا لآخر سيئ السمعة … فإذا اقتفى أثره إنسان ليقبض عليه، وليأخذ من كان في بيته — أي العبد — صرت تعسًا، وتقول: ما العمل؟

وينصح بعد ذلك «آني» ابنه بألا يغتر بالمال، وأنه ليس مصدر سعادة، وألا يعتمد على مال غيره، ولا يبني قصورًا على ما سيرثه من مال جده، فيقول:

> يبني الإنسان بيتًا لنفسه، وَهَبْ أن قطعة أرض صارت ملكًا لك، وقد حوطت بسياج من النبات المزهر أمام حقلك الخصب، وغرست فيها شجرة الجميز … وأنك قد ملأت يدك بكل الأزهار التي تتصورها العين، ولكن مع كل هذه الأشياء قد يكون الإنسان شقيًّا … لا تتكلن على مال إنسان آخر، واحذر أن تفعل هذا، ولا تعتمدنَّ على متاع الآخر … ولا تقولنَّ: «إن والد أمي له بيت» … لأنه إذا جاءت القسمة مع إخوتك فإن نصيبك لا يكون إلا مخزنًا، «وإذا أراد الله أن يولد لك طفل …»

ثم يحض حكيمنا ابنه على احترام غيره فيقول:

> لا تقعدنَّ إذا كان غيرك أكبر سنًّا واقفًا، أو آخر يشتغل في مهنة معك زمنًا أقدم منك.

وينتقل بنا «آني» إلى موضوع المعرفة، ومكانتها في المجتمع، والكاتب وسمو حرفته، فيقول:

> إذا كنت ماهرًا في الكتابة فإن الناس أجمع يفعلون كل ما تقوله؛ إذن خصص نفسك للكتب، وضعها في لُبك، وبذلك يكون كل ما تقوله ممتازًا، كل وظيفة يُعيَّن فيها الكاتب فإنه لا بد يستشير فيها الكتب؛ وبذلك يلازمه النجاح، فليس هناك ولد لملاحظة الخزانة، ولا وارث لملاحظة الحصن … الوظائف لا أولاد لها … وفي هذه الحالة يحصل عليها الأكفاء الذين تعلموا كثيرًا.

ثم يعود «آني» إلى تحذير ابنه ليكون محترسًا في كلامه؛ خوفًا من الخطل في القول، ويعلمه أن جوفه يتسع لحفظ كل ما يريد أن ينطق به لسانه، فيقول: «لا تفضينَّ بما في قلبك إلى … رجل … فإن كلمة خاطئة خرجت من فيك إذا أعادها من سمعها جعلتْ لك أعداء، وإن الإنسان ينزل به الخراب من جراء لسانه. وإن بطن الإنسان أوسع من مخزن الغلال؛ فهو مفعم بكل أنواع الأجوبة، وعليك أن تنتخب خير الكلام، وتتحدث به، واجعل القبيح سجينًا في بطنك، وفي الحق ستكون دائمًا معي، وستجيب من يضرني بقول الكذب، ومع ذلك فإن الله يحكم في صالح الحق، وعندئذ سيأتي عقابه، ويلحق به (يظهر أن المؤلف يشير إلى عدو قد ألحق به ضررًا. وقد ذكر في الجزء المفقود من نصائحه في أول الكتاب).» وبعد ذلك يعود مرة ثانية إلى العلاقة التي يجب أن تكون بينه وبين ربه، فيحثه على تقديم القربان، وعلى ألا يغتال حقوقه، ولا يسأل عن صورة ربه، ولا يمشي الخيلاء في موكبه؛ مما يذكرنا بقوله — عز وجل: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾، وإن الله هو الذي يجعل من يشاء عظيمًا، ثم يشير من طرف خفي إلى أن الله واحد ممثل في الشمس، وأما الآلهة الذين على الأرض فهم صور مختلفة له فيقول:

> قدم قربانًا لآلهتك، واحفظ نفسك من التعدي على حقوقه، ولا تسأل عن صورته، ولا تمشِ الخيلاء حينما يخرج في موكبه (أي الإله)، ولا تتزاحم على حمله في الموكب … ودع عينك تعرف قيمته، واحترم اسمه؛ لأنه هو الذي يعطي القوة ملايين المخلوقات، وسيقصر العظمة على من يجعله هو عظيمًا، إن إله هذه الأرض هو الشمس التي في الأفق، ولكن صورته على الأرض، فليقرِّب إليها البخور كل يوم.

وبعد أن عرَّف حكيمنا ابنه كيف يعامل ربه انتقل به إلى معاملة الوالدة، وما لها من فضل عليه في حمله وتربيته؛ مما يذكرنا بقول الله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، فيقول: «ضاعف مقدار الخبز الذي تعطيه والدتك، واحملها كما حملتك، ولقد كان عبؤها ثقيلًا في حملك، ولا تتركه لي قط أبدًا، وحينما ولدتك حملتك كذلك ثانية بعد شهور حملك حول رقبتها، وقد أعطتك ثدييها ثلاث سنوات، ولم تشمئز من برازك، ولم تكن متبرمة ولم تقل «ماذا أفعل أنا»، ولقد ألحقتك بالمدرسة عندما تعلمت الكتابة، وقد وقفت هناك يومًا (خارج المدرسة)

… بالخبز والجعة من بيتها، وحينما تصبح شابًّا وتتخذ لنفسك زوجة، وتستقر في بيتك اجعل نصب عينيك كيف وضعتك أمك، وكيف ربتك بكل الوسائل، فليتها لا تضرك بألا ترفع أكف الضراعة إلى الله، وليته لا يسمع عويلها.»[٤] ثم عرج بعد ذلك الحكيم ناصحًا لابنه أن يكون شفيقًا على الناس كذلك، وألا يثق بالثروة؛ لأنها كمجرى الماء لا يبقى على حال، فمن يكون غنيًّا اليوم قد يصبح فقيرًا في الغد، فيقول: «لا تأكلنَّ الخبز إذا كان هناك آخر يتألم من عدمه دون أن تمد يدك إليه بالخبز، فواحد غني وواحد فقير … ومن كان غنيًّا في السنين الخوالي قد أصبح هذا العام سائسًا، ولا تكن شرهًا فيما يختص بملء بطنك. وإن مجرى الماء الذي كان يجري فيه الماء في السنة الماضية قد يتحول هذا العام إلى مكان آخر، وقد أصبحت البحار العظيمة أماكن جافة، وأصبحت الشواطئ هوات (أي بحارًا) …»

ثم يعود «آني» ثانية إلى التحدث عن الزيارة وآدابها، فيقول لابنه:

> لا تذهبن إلى بيت إنسانٍ بحرِّية، بل ادخله فقط عندما يؤذن[٥] لك، وحينما يقول هو لك (أي رب البيت) أهلًا بك بفمه … (وتأتي بعد ذلك جملة مبهمة) أعطه الإله، وأعطه يومًا ثانيًا للإله والغد مثل اليوم، وسترى ما يفعله الإله إذا لطخ اسم الذي لطخك.

ويحتمل أن هذا الكلام يشير هنا إلى إنسان قد ارتكب خطيئة، وسيتولى الله عقابه عليها.

وينصح بعد ذلك «آني» ابنه بأن يتجنب الشغب، فيقول:

> لا تدخلنَّ في زحام إذا رأيت أنهم مستعدون للضرب … حتى لا تُلام في المحكمة أمام القضاء بعد تأدية الشهادة (؟)، ابتعد عن أهل الشر …

ثم ينصح ابنه بعد أن أصبح رب بيت أن يكون حكيمًا في سلوكه مع زوجه؛ حتى يبتعد عن كل شجار، أو خلاف، فيقول:

> لا تمثل دور الرئيس مع زوجك في بيتها إذا كنت تعرف أنها ماهرة في عملها، ولا تقولنَّ لها: أين هي، أحضريها لنا إذا كانت قد وضعتها في مكانها الملائم، واجعل عينك تلاحظ في صمت حتى يمكنك أن تعرف أعمالها الحسنة، وأنها لسعيدة إذا كانت يدك معها … وبذلك يتجنب الرجل تحريك الشجار في بيته.

ثم يذكر «آني» في الوقت نفسه ابنه بأن يحذر النساء الأجانب فيقول:

> لا تذهبن وراء امرأة حتى لا تتمكن من سلب لبك.

ولم يفُت «آني» أن يضع لابنه الخطط في معاملة الرئيس حتى يكون سعيدًا معه، فيقول:

> لا تجيبن رئيسًا في حال غضبه، بل ابتعد من أمامه، واذكر حلو الكلام حينما ينطق بمرِّه لأي إنسان، واعمل على تهدئة قلبه؛ فإن الأجوبة الشديدة تحمل غضبًا — تؤدي إلى ضربك، وبذلك تنهار قواك. وإن الغضب يصوِّب نفسه نحو أعمالك فلا تنغصن نفسك على أن الرئيس سيلتفت ويثني عليك بسرعة بعد فوات ساعته المخيفة (ساعة غضبه)، وإذا كانت كلماتك مهدئة للقلب، فإن القلب يميل لاستيعابها، وجد في أن تكون صامتًا، واخضع لما يفعل.

وبعد أن رسم له الطريقة الرشيدة في معاملة رئيسه لم يفُته أن يلفت نظره إلى أن يكون على وفاق مع رجال الشرطة، فيقول:

> اتخذ من شرطة شارعك صديقًا، ولا تجعلنه يثور عليك، وأعطه من طرائف بيتك حينما يكون منها في بيتك (في أيام العيد)، ولا تتغاض عنه وقت صلاته، بل قل له: «المديح لك.»[٦]

يتلو ذلك قطعة غير مفهومة، ثم محادثة هي خاتمة الكتاب، وبعد أن فرغ «آني» من إلقاء نصائحه على ابنه أجابه ابنه بأنه يتمنى أن يكون مثله، ولكن شتان ما بينه وبين والده الذي كان صاحب همة عالية، ومطامح سامية، وأنه ربما يتعذر عليه أن يصر إلى ما وصل إليه «آني» فيقول:

> آه، يا ليتنى مثلك … حتى أعمل حسب تعاليمك، وحتى يرقى الابن إلى مرتبة والده … إنك رجل صاحب مطامح عالية، فكل كلماتك مختارة، وإن الوالد الذي يتصور خبثًا في نفسه يقول … في الكتب … إن كلماتك مريحة لقلبي، ولبي يميل إلى استيعابها، وإن قلبي لفرح، ولكن لا تجعلن نصحك يتجاوز الحد في غزارته … إن الولد لا يعمل حسب التعاليم التي ثقفته حتى لو كانت كل الكتب على لسانه.[٧]

غير أن الوالد لما سمع هذا الجواب من ابنه أخذ القلق يساوره، وأخذ يضرب له الأمثلة الطريفة في الطاعة، ويحثه على اتباع ما ألقاه عليه من النصائح، فيقول «آني» مجاوبًا ابنه

«خنسوحتب»:

> ولا تثقنَّ في هذه الأشياء (؟) الخطرة، وتجنب أن تعود إلى الشكوى؛ فإن قلبي لا يصغي إليها، فإن الثور المحارب الذي قتل ما في الحظيرة من ثيران لا يمكنه أن يغادر الحلقة؛ إذ يجب عليه أن يأخذ أوامره من سائقه، وكذلك الأسد المفترس يخفف من ثورته، ويمر بكابة على الحمار، والجواد يخضع لنيره … والكلب يصغي للكلام، ويتبع سيده، والحيوان «كيري» يحمل … إناء الذي لم تتحمله والدته، والأوزة تحط على البركة الباردة حينما تُصاد، وبذلك تنتفض في الشرك (حزنا)، والعبيد قد تعلموا الكلام المصري، وكذلك السوريون، وكل الأجانب، وقد تكلمت كذلك عن كل الحِرف التي يمكن أن تسمع عنها، وأعرف ما يجب أن يفعل.

أما الجواب الذي أجاب به «خنسوحتب» أباه فمُبهم، ومن المحتمل أنه يشير إلى الحقيقة القائلة: بأن كل الناس لا قيمة لهم. فيقول:

> إن هناك جمًّا غفيرًا من الأدنياء، وليس هناك فرد يعرف تعليمه، وإذا وجدت إنسانًا حازمًا فإن الأكثرية أغبياء.

(ومن المحتمل إذن أن يعاهد والده على الطاعة) فيقول:

> كل كلماتك ممتازة … وإني أعطيك المواثيق بأن أضعها على طريقتك التي رسمتها.

وعلى ذلك يجيب الكاتب «آني» على ما قاله ابنه ببعض أمثال حكيمة لا تزال تأخذ بالألباب، وتستهوي النفوس؛ لأنها تنفذ إلى الأعماق فيقول:

> أدِر ظهرك لتلك الكلمات الكثيرة التي ينبو عنها السمع، فإن العصا المعوجة الملقاة في الحقل، والمعرضة للضِّح والفيء يحضرها الصانع، ويجعلها مستقيمة، ويصنع فيها سوطًا للشريف، ولكن قطعة الخشب المستقيمة هي التي يُصنع منها لوحًا للكتابة. آه، أيها القلب الذي لا يمكنه أن يتبصر في العواقب، هل كانت آراؤك في أن تعطي المواثيق أو أن تفشل؟[^]

[1] راجع: Pap. Bibl. Nat. 198, 2 Spiegelberg Correspondence du. Temps des. Rois Pretres p. 68–74.

[2] يجد القارئ ترجمة كاملة لهذه الوثيقة في كتاب الأدب المصري القديم الجزء الأول ص٣٨٧ إلخ.

[3] راجع Chronique. D’Egypte No. 45-46 Avril 1948. P. 22 والأدب المصري القديم الجزء الأول ص١٥٤ إلخ.

[4] في هذه النصيحة إشارة لما تلاقيه الأم من ألم الغيرة عندما يتزوج ابنها، وتلك سنة طبيعية تجدها في كل زمان ومكان.

[5] قد جاء في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا﴾ الآية.

[6] وهذا ما يقابل عند المسلمين قول الإنسان «حرمًا».

[7] ومعنى هذه الفقرة أن الولد يقول لوالده لا تغال في طلباتك، وإلا فعلى الرغم من أني أعي حكمتك في فمي، فلن يتسنى لي أن أعمل على حسب ما جاء فيها.

[8] ويقصد الكاتب أن الانسان يمكنه أن يثقف كل إنسان وإن كانت النتيجة تختلف، وبقي أن نعرف هل الحكيم يفضل السوط الجميل أو اللوح؟

حالة الشعب في عهد «إخناتون» وتأثير ديانته في نفوس الشعب

لقد كان من جراء قيام مذهب «إخناتون» أن وقف مجرى سير الحياة الدينية فجأة، وحوِّل إلى اتجاه غريب، على الرغم من قوة اندفاعه التي كانت لا تقاوَم لتؤصل العقائد القديمة في نفوس الشعب عدة آلاف من السنين، فقد خربت أماكنهم الطاهرة، ودنست مزاراتهم المقدسة، وأوصدت معابدهم، وطردت كهنتها، وانمحى ذلك النظام العتيق جملة، وقد كانت الجماعات العظيمة العدد في كل مكان تسير مدفوعة بالغرائز التي كانت مشبعة بها عقولهم منذ قرون يخطئها العد وفق عادات وأخلاق موروثة، فلما ذهبوا لزيارة أماكنهم المقدسة بعد قيام مذهب «إخناتون» وجدوها كأن لم تغن بالأمس، ينعق فيها البوم والغربان، فوقفوا في عرصاتها ذاهلي العقول أمام تلك المعابد الموصدة الأبواب في وجوههم، ولعمري فإن هذه الردهات المحترمة، والقاعات الفسيحة الأرجاء التي تحتويها تلك المعابد القديمة التي كانت تزخر بجماهير الشعب، وتقام فيها الأفراح أيام الأعياد المقدسة في عهد طفولتهم في «أسيوط»، وغيرها — كما فصلنا ذلك — قد أصبحت الآن صامتة خاوية. وهكذا نرى أن الإله «أوزير» الذي كان يعد الملجأ، والمعزي، والصاحب، والمدافع عن الأموات أمام كل خطر قد نُفي من الأرض، ولم يعد في إمكان إنسان أن يذكر اسمه حتى في الأيمان التي كان يعقدها القوم، تلك الأيمان التي كانت قد اختلطت في دمائهم مع لبان أمهاتهم في الرضاعة، فقد كان محظورًا عليهم أن تنبس شفاههم بتلك الأسماء التي تنطلق بها ألسنتهم عفوًا، فكان لا بد ألا يشمل اليمين القديم أمام القاضي في المحكمة إلا اسم «آتون» فقط. وكان كل ذلك في نظر القوم كما لو طُلب الآن إلى رجل من عصرنا أن يعبد الله، ويحلف باسم صنم. ولا بد أن كثيرًا من الكهنة المتذمرين الذين كانوا يكظمون غيظهم الشديد في صدورهم قد مزجوا غيظهم ذلك بغيظ جمٍّ غفير من جماعات بأسرها من التجار الحانقين كالجنازيين الذين لم يعودوا يكسبون عيشهم من بيع فطائر الشعائر الدينية، كما كانوا يفعلون قديمًا خلال أيام الأعياد التي كانت تقام في المعابد. وهكذا كان حنق الصناع الذين لم يعد في مقدورهم الآن بيع تعاويذ الآلهة القدامى عند أبواب المعابد كما كان يحصل قديمًا.

وناهيك بحقد الحفارين والمثَّالين المرتزقة الذين كانوا يصنعون تماثيل الإله «أوزير»، فقد أصبحت مصفوفة مكدسة تحت الأتربة المتراكمة في كثير من المعامل التي أصبح عاليها سافلها، وكذلك الحجارين الذين وجدوا أن ما صنعوه من شواهد قبور مزخرفة بنقوش خالية من كل ذوق نقلوها من كتاب الموتى قد استبعد من مدينة الأموات، ثم الكتَّاب الذين كانت إضماماتهم البردية المخطوطة المنقولة من «كتاب الموتى» تعد في ذلك الوقت لعنة لمن يستعملها؛ لأنها مفعمة بأسماء الآلهة القدامى، أو لأنها كانت تشمل كلمة الآلهة في صيغة الجمع، هذا إلى رجال الكهانة المسرحيين والممثلين الذين طُردوا من تلك الأماكن المقدسة في الأيام التي اعتادوا فيها أن يمثلوا للشعب تمثيلية (موت «أوزير» وبعثه ثانية)،

وطوائف الحجاج المتذمرين الذين كانوا يحجون إلى «العرابة المدفونة»، وهم الذين كان من أقدس واجباتهم أن يشتركوا في تلك التمثيلية التي تعبر عن حياة «أوزير» وموته، ثم بعثه من بعد الموت بصفة مؤثرة خلابة، وكذلك الأطباء الذين حُرموا كل أسهم تجارتهم الخاصة بالأحفال السحرية التي كانت تستعمل بنجاح منذ أقدم العهود؛ أي قبل ألفي سنة من العصر الذي نحن بصدده، فقد كان حنقهم وغيظهم شديدًا. ولا يفوتنا ذكر الرعاة الذين أصبحوا لا يجسرون بعد أن يضعوا رغيفًا معه إناء من الماء تحت شجرة راجين بذلك الفرار من غضب الآلهة ساكني الشجرة، وهي التي كان في مقدورها، على حسب الاعتقادات القديمة، أن تنزل المرض بأهل المنزل عند غضبها، وكذلك الفلاحون الذين كانوا يخافون أن ينصبوا صورة ساذجة للإله «أوزير» في الحقل ليطردوا بها الشياطين المؤذية المسببة للجدب والقحط، هذا إلى الأمهات اللائي يدللن أطفالهن عند الشفق، وهن خائفات أن ينطقن بتلك الأسماء المقدسة القديمة، وبالصلوات التي تعلمنها في طفولتهنَّ؛ حتى يبعدن عن أطفالهن شياطين الظلام الراصدة لاختطافهم.

وفي هذا الوسط المظلم الملبَّد بسحب التذمر الخانق ضرب هذا الملك الشاب المدهش هو وطائفة انتخبها من بين بطانته، وحاشيته المحيطة به سرادق مذهبه الجديد في رائعة النهار في هدوء لا شعور معه بذلك الظلام الدامس المتراكم طبقات بعضها فوق بعض، وهو الذي شمل كل ما حوله، غير أنه كان في الوقت نفسه يزداد ظلمة في كل يوم منذرًا بشرٍّ مستطير، ونهاية محتومة؛ لأنها سرادق أقيم على شفا جرف هار.

وإذا نظرنا إلى حركة «إخناتون» وما قام به من انقلاب ديني في ذاته عظيم، على أساس ذلك التذمر الشعبي الذي وصفناه، ثم أضفنا إلى تلك الصورة معارضة الكهانة القديمة التي كانت تقوم في الخفاء، وكانت خطرًا مباشرًا عظيمًا، ومعارضة حزب «آمون» الذي لم يكن قد غُلب على أمره تمامًا، ومعارضة طائفة الجنود الأقوياء الذين كانوا ساخطين على سياسة الملك السلمية في آسيا، وقبضهم على زمام الأمور في داخل البلاد أدركنا شيئًا عن تلك الشخصية القوية التي كان يحملها في نفسه ذلك القائد الروحي الأول في تاريخ الإنسانية بقدر ما وصلت إليه معلوماتنا المستقاة من المصادر الأصلية المدونة على الآثار.

ويعد حكمه أقدم محاولة لسيطرة الآراء الفردية التي لا تحفل بحالة الشعب الذي فُرضت عليه تلك الآراء، وبدون معرفة مدى استعداده لقبولها أو رفضها. وقد عبر عن ذلك الكاتب الإنجليزي «مثيو أرنولد Mathew Arnold» تعبيرًا حسنًا عند تعليقه على الثورة الفرنسية المشهورة بقوله:

> ولكن الولع بالإسراع في القيام بتطبيق سياسي لكل تلك الآراء الجميلة التي كان يمليها العقل كان خطرًا … فالأفكار لا يمكن أن تُقدر فوق قيمتها بمفردها، أو في حد ذاتها. كما أنه لا يستطيع الإنسان أن يعيش في حدودها أكثر مما يجب. ولكن إذا

نقلت تلك الأفكار فُجاءة إلى تجربة سياسية وخبرة حيوية بقصد قلب نظام العالم بما تحويه من الأوامر، فإنها تحدث نتيجة أخرى بالمرة.

والواقع أنه لم يكُن لدى «إخناتون» ماضٍ يسير على هداه مثل الماضي الذي كان خلف الثورة الفرنسية يرجع إليه، بل كان هو نفسه أول ثوري عالمي، وقد كان مقتنعًا في قرارة نفسه تمامًا بأنه في مقدوره أن يضع عالم الديانة، والفكر، والفن، والحياة في قالب جديد بعزم ثابت لا يقهر، وذلك بجعل آرائه ذات تأثير فعلي في الحال بتنفيذها بكل ما أوتي من قوة، ومضاء عزيمة.

وعلى هذا الأساس أقام مدينة «إخناتون» الجميلة، فكانت جزيرة خيالية للمنعمين، ولكن في وسط بحر من التذمر والسخط، بل كانت حلمًا جميلًا مملوءًا بالآمال المحببة لدى عقل غاب عنه تمامًا أن الماضي لا يمكن محوه، وأن تجاهله لا يغني عن الحق شيئًا.

والأمر العجيب أن ظهور مثل هذا الرجل لم يكن إلا في الشرق أولًا، وبخاصة في مصر؛ حيث لم يكن فيها رجل يستطيع نسيان الماضي غير «إخناتون»، على أن أمم البحر الأبيض المتوسط التي كانت مصر تسودها وقتئذ لم تكن أحسن استعدادًا لقبول ديانة دولية أكثر من سادتها المصريين.

ويعيد إلى ذاكرتنا خيال «إخناتون» الدولي بآمال «الإسكندر الأكبر» الذي جاء بعده بألف سنة تقريبًا، ولكنه كان سابقًا لعصره بعدة قرون، على أن الحقيقة التي كانت تحيط به والمركز المهدد الذي دعا حزبه لتبصره يوميًا قد صور في وصف كتبه «توت عنخ آمون» بعد موته بمدة، فاستمع إليه: «وعندما أشرق جلالته الآن ملكًا كانت معابد الآلهة والإلهات من بداية «إلفنتين» حتى مناقع الدلتا قد أهمل شأنها؛ إذ قد أصبحت محاريبها خاوية، وصارت أراضي تغشاها أعشاب «كات» (؟)، ومعابدهم أصبحت كأن لم تغن بالأمس، وحجراتهم كانت طرقًا معبدة، والبلاد كانت في ارتباك، وهجرت الآلهة الأرض، وإذا أرسل جيش (؟) إلى «زاهي» ليمد من حدود مصر لم ينَل أي نجاح قط؛ وإذا دعا اللهَ إنسان ليطلب إليه حاجة، فإنه لا يأتي إليه بأية حال، وإذا تضرع إنسان لآلهة فإنها كذلك لا تجيب تضرعه بأية حال؛ لأن قلوبهم كانت ضعيفة من نفسها بالغضب؛ فخربوا ما عمل» (راجع الجزء الخامس). وكان أتباع «إخناتون» يدعون في أحوال مثل هذه أن يستمر حكمه حتى تصير البجعة سوداء ويصير الغراب أبيض، ويستنوق الجمل، وإلى أن ترتفع الجبال وتسير، ويصعد الماء إلى التل!

والواقع أن سقوط هذا الثوري العظيم، والمبتكر الفذ يحوطه الغموض التام.

وكانت النتيجة المباشرة لسقوطه — وقد كان ذلك طبعيًا — هي إعادة عبادة «آمون» على يد خلفه «توت عنخ آمون»، ذلك الشاب الضعيف زوج ابنته «عنخس ان آمون»، ثم إرجاع النظام الديني القديم بأكمله إلى ما كان عليه قبل تولي «إخناتون» عرش الملك.

والبيان الذي فاه به «توت عنخ آمون» عن إعادة عبادة الآلهة الأقدمين يعد إعلانًا هامًّا عن الحالة العقلية والدينية لقادة رجال الأعمال عندما اختفى «إخناتون» من مسرح الحياة؛ إذ يشير «توت عنخ آمون» في لوحته المشهورة لنفسه قائلًا عن الإله «آمون»: «إنه الحاكم الطيب الذي يعمل الأشياء النافعة لوالده «آمون»، ولكل الآلهة، وهو الذي جعل ما خرب صالحًا بمثابة أثر خالد مدى الدهر، وقضى على الأعمال الخاطئة في كل الأرضين، ووطد الحق، وجعل الكذب ممقوتًا في كل البلاد، كما كانت الحال في بادئ الأمر.»

وبذلك كان يعد سقوط «إخناتون» في نظر أعدائه المنتصرين إعادة للنظام الخلقي القديم، وهو العدالة «ماعت»، وإقصاء للظلم. وبعد ذلك أخذ «توت عنخ آمون» يصف تلك الحالة — كما ذكرنا آنفًا — (راجع الجزء الخامس)، وهكذا شاءت سخرية القدر أن تلعن ذكرى ذلك الرجل العظيم صاحب المثل الأعلى في التدين الحقيقي الذي يسير عليه العالم الآن في مجموعه، ولم يسمح ملوك مصر بأن يظهر اسم «إخناتون» في القوائم العظيمة المسجلة على الآثار، وفي إضمامات البردي بين أسماء ملوك مصر السالفين، وأدهى من ذلك أنه إذا حتمت الأحوال ذكر اسمه في الوثائق الحكومية في عهد الفراعنة الذين خلفوه كان ينبذ باسم «مجرم» (إخناتون). ولسنا في حاجة إلى القول بأن فرح كهنة «آمون» باسترداد سلطانهم كان عظيمًا، ولدينا أنشودة لـ «آمون» من ذلك العهد دوَّن فيها فوز أتباعه، وتظهر فيها شماتتهم بأعدائهم، فاستمع لما جاء فيها خاصًّا بذلك:

> إنك تصل إلى من يبغي عليك؛ والويل لمن يهاجمك، ومدينتك تبقى، ولكن من يهاجمك يهوى؛ وشمس من لا يعرفك تغيب … «يآمون»! من يعرفك يضيء، ومعبد من هاجمك في ظلمة، حينما تكون جميع الأرض في نور.[١]

(راجع British Mus. Ostracon 5656. A z. XIII, p.106). ففي هذه الأنشودة يظهر جليًّا حقد أعداء «إخناتون» المشبع بالانتقام والسخرية المملوءة بالشماتة عندما يقول: «وشمس من لا يعرفك (يعني «إخناتون») تغيب … «يآمون».» ومعبد من هاجمك (يعني «إخناتون») في ظلمة. وهكذا كانت حالة معبد الشمس «بتل العمارنة» الذي كان مفتنو «إخناتون» يصورونه دائمًا منغمسًا في بحر لجيٍّ من ضوء الشمس عندما كان «آتون» مشرقًا فوقه بأشعته العظيمة التي كانت تحيط به، وتغمره ضامَّة إياه في أحضانها.

ولم يبقَ حتى الآن شيء من معبد ذلك النور الأبدي، الذي كان يومًا ما ساطعًا مشرقًا إلا دمنه الأساسية، التي تشبه الوشم في اليد. والآن نتساءل: هل بقي شيء آخر من آثار هذا الأثر العقلي، وهل تجرى أقدم ثورة فكرية للعقل الإنساني مجراها دون أن تترك خلفها نتيجة باقية؟

حقًّا إن ثورة «إخناتون» كانت عنيفة إلى أبعد حد في طرقها، ومن أجل ذلك لم يخلد ما أحدثته من انقلاب، فالفن المدهش الذي أحدثته كان مهذبًا أكثر مما كان يلزم في التصور،

وقوة النظام؛ ولذلك لم يستمر، ولم يعِش طويلًا جميعه. وقد كشفت لنا مصانع «إخناتون» «بتل العمارنة» حب المفتنين الملكيين المدهش لهذا الفن الذي لقنه لهم هذا الفرعون نفسه، وقد ترك عملهم هذا أثره في فن العصر الذي جاء بعد اختفاء هذا الفرعون، وإن كان فنا النحت والتلوين لم يستردا قط تلك الحرية التامة التي تمتعا بها في عهد «إخناتون»، كما أنهما لم يشعرا ثانية بتلك الحقيقة الدقيقة التي كانت تدب في فن معامل «تل العمارنة» أمثال معمل «تحتمس» وغيره. أما في الأخلاق فلم يعد تعظيم الصدق الذي كان شعار «إخناتون» بتلك الدرجة السامية التي بلغتها في تصور هذا الفرعون الموحد، ولا جدال في أن ميله العاطفي نحو الجمال والخير اللذين شاهدناهما في أعماله الإلهية قد تركا أثرًا؛ فلم يكن من السهل نسيانهما دفعة واحدة، وليس في استطاعتنا أن نشك في أن تلك الأنشودة التي تتحدث عن وحدانية الله قد بقيت موجودة في شكل ما بعد موت «إخناتون»، حتى إنها كانت معروفة بعد موته بقرون عند العبرانيين، وقد استعملها مؤلف المزمار الرابع بعد المائة — كما ذكرنا آنفًا، وبذلك نعلم أن روح «آتون» لم يختفِ دفعة واحدة. وسنذكر فيما يلي برهانًا آخر عن تأثيره.

ومهما يكن من أمر، فإن عنف هجوم «إخناتون» الذي كان ينم عن تعصبه لمذهبه بشدة بالغة على التقاليد الموروثة قد جعل من الطبعي أن ينزل عليه وعلى حركته التي كان يريد بها الإصلاح، الانتقام الجزائي الذي كانت خاتمته الدمار التام لمذهبه، وخراب البلاد في الداخل والخارج. ولذلك لا يمكننا أن نعجب من هبوب تلك العاصفة الهوجاء التي اكتسحت في طريقها على وجه التقريب كل الآثار التي أسسها أقدم باحث عن المثل الأعلى. وليس لدينا في الواقع ما نقصه عنه إلا القليل خلافًا لما أبقته يد التخريب من بقايا مدينة «إخناتون» التي كانت مركزًا منعزلًا للمثل العليا التي لم يدركها غيره، ولم يعرفها إلا بعد مضي قرون عدة، حينما تألف أولئك البدو الذين كانوا إذ ذاك ينزحون إلى أقاليم «إخناتون» الفلسطينية، وكونوا لهم أمَّة كان لها ما لها من الطموح الاجتماعي، والخلقي والديني، وكان من نتائجها ظهور أولئك الرسل العبرانيين، وأصحاب المزامير ليسيروا بالروح والرؤيا اللذين سبق بهما أصحاب الأحلام الاجتماعيون من المصريين القدامى.

وكان من جرَّاء انغماس «إخناتون» في معنويات مذهبه العظيم أن عكف على التأمل والانهماك في الأحلام بقصر الشمس في «إخناتون»، في حين أن «خيتا» أعداء البلاد الجدد، الذين كانوا قد أصبحوا ذوي بأس شديد في غربي آسيا، قد قاموا بالإغارة على دولة مصر الأسيوية، وكذلك الكهنة والجنود من بين شعبه نفسه، قد قوضوا سلطان الأسرة الثامنة عشرة تقويضًا تامًّا، وهي تلك الأسرة التي كانت سيدة الشرق، نحو مائتين وثلاثين عامًا، وبهدم سلطان «إخناتون» بدأت مصر عصرًا جديدًا، ولم يكن لها في تلك الأقاليم إلا سلطان اسمي، ولكن مع ذلك كانت أصداء مذهب «إخناتون» لم تنقطع بعد تجاربه، وكانت علاقته بالمذهب الشمسي الذي كان موطنه الأصلي في «هليوبوليس» لا يزال معترفًا بها اعترافًا غير مباشر؛ وذلك لأن نفس الأنشودة المحتوية على الفوز المفعم بالشماتة الذي أحرزه كهنة «آمون» على مذهب «إخناتون» تنمُّ عن اتصالها بالمذهب الشمسي القديم،

وكذلك التعبير الأبوي عن «رع» عندما تسترسل في مديح «آمون»، وتصفه بأنه الراعي الطيب، و«النوتي». وهذه الأفكار كانت قد ظهرت في أثناء الحركة الاجتماعية التي قامت في العهد الإقطاعي المصري، كما سبق ذكره.

والواقع أنه على الرغم من إعادة عبادة «آمون»، لم تختفِ الأفكار والاتجاهات التي نشأت عنها ثورة «إخناتون» الدينية كلية، حقًّا لم يكن في الإمكان اتباعها في شكل توحيد يشمل القضاء على الآلهة القدامى، غير أن نواحي «آتون» الإنسانية والخيرية في عنايتها بكل البشر كانت قد استولت على خيال الطبقة المفكرة، وبذلك نجد نفس تلك الصفات التي كانت لـ «آتون» أصبحت تُنسب آنئذ إلى «آمون»، حيث كان الناس يرتلون له ما يأتي:[٢]

سلام لك يا «رع» رب الصدق

… … … … … … … … … … …

الذي أمر فوحدت الآلهة

يا «آتوم» الذي خلق الناس

والذي حدد صورهم

والذي ميز لون كل جنس عن الآخر

والذي يسمع دعوة المأسور

والذي قلبه رحيم عندما يدعوه الناس

والذي يخلص الضعيف من المستكبر

والذي يبعد الضعيف من القوي

رب المعرفة الذي في فمه الأمر السائد

رب الملاحة عظيم الحب

والذي يحيا البشر بمجيئه.

ومن ثم نرى أن الجمل الدالة على التوحيد مبعثرة في هذه الأنشودة، وهي بلا شك تتضمن ذلك، وإن كانت دائمًا تشير إلى الآلهة في صيغة الجمع:

الصورة الفريدة الخالق لكل كائن

الواحد الأحد الفرد الصمد، خالق كل موجود

والذي نشأ الناس من عينيه

وخرجت من فمه الآلهة

وصانع الأعشاب للماشية

وشجرة الحياة لبني الإنسان

والذي يضع قوت السمك في النهر

والطيور التي تخترق السماء

والذي يمنح ما يوجد في البيضة النفس

ويجعل ابن الدودة يعيش

والذي يصنع ما يعيش عليه النمل

وكذلك الدود والحشرات

والذي يمد الفيران بحاجاتها في أجحارها

والذي يعول الطير في كل شجرة فتعيش

… … … … … … … … …

سلام عليك يا من خلقت كل ذلك

أنت يا واحد يا أحد، يا ذا الأذرع العديدة

وأنت — يا نائم — تيقظ مع أن كل الناس نيام

فالماشية جميعها تقول: السلام عليك

وكل مملكة تقول: السرور لك

بمقدار علو السماء، وعرض الأرض، وعمق البحر.

ولدينا أنشودة، أو عدة أناشيد للإله «آمون رع» كُتبت بعد عهد «إخناتون»، ولكنا نرى فيها تأثير ديانة هذا المصلح الداعية للتوحيد، وإن كانت باسم «آمون»، وذكرت فيها آلهة أخرى.

وسنذكر هنا أنشودة «آمون» العظمى، ثم نقفوها بأناشيد لهذا الإله نفسه كُشف عنها حديثًا؛ ليرى القارئ مقدار تأثير ديانة «إخناتون» في عقائد القوم بعد القضاء على مذهبه، وإن كنا في الواقع نجد أن بعض الأفكار التي جاءت في هذه القصائد لم تكن من أثر عبادة «إخناتون» مباشرة، بل كانت ترجع إلى عهود أقدم من زمنه، كما شرحت ذلك في كتاب

الأدب (ج٢ ص٩٢–٩٤)؛ إذ أثبتنا وجود رواية أخرى لأنشودة «آمون» الكبرى سنذكرها هنا، وهذه الرواية نُقشت على قاعدة تمثال يرجع عهده إلى أواخر عهد الهكسوس. نص قصيدة «آمون رع الكبرى»:

(١) متن الأنشودة «آمون رع»

- **المقطوعة الأولى:** (راجع كتاب الأدب المصري القديم جزء ٢ ص٩٤ إلخ).

الحمد لك يا «آمون رع» رب «الكرنك» الذي يسيطر على «طيبة»! ثور أمه، والأول في حقله،[٣] واسع الخطى، والأول في مصر العليا، رب أرض «المازوي»،[٤] وأمير «بنت» أكبر الأجسام السماوية، وأسنُّ من في الأرض، رب الكائنات الذي يسكن في كل شيء.

والوحيد في طبيعته … بين الآلهة، وثور تسعة الآلهة الطيب،[٥] ورئيس كل الآلهة.

رب الصدق، ووالد الآلهة الذي خلق بني الإنسان وسوَّى الحيوان.

رب كل الكائنات الذي يخلق شجرة الفاكهة، والذي من عينه خرجت الأعشاب التي تزوِّد الماشية.

وهو الصورة الجميلة التي سواها «بتاح»،[٦] والشاب الجميل المحبوب الذي تثني عليه الآلهة، وهو الذي خلق من هم أسفل، ومن هم أعلى.[٧]

والذي يضيء الأرضين، وهو الذي يخترق القبة الزرقاء في سلام، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «رع» المنتصر.[٨]

رئيس رؤساء الأرضين، عظيم القوة، الذي يبعث على الاحترام، والرئيس الذي برأ الأرض قاطبة.

والذي يحسب الخطط أكثر من أي إله آخر، ومن تبتهج الآلهة بجماله، وهو الذي يقدم له الثناء في «البيت العظيم»، والذي ظهر في «بيت النار»[٩] أو التقديس.

ومن يحب الآلهة شذاه حينما يأتي من بلاد «بنت»، الأمير العظيم الشذي، حينما ينزل من بلاد «ماتو»[١٠] الحسن الوجه حينما يأتي من أرض الإله (بلاد بنت)، ومن يسجد عند قدميه الآلهة حينما يعرفون أن جلالته هو سيدهم، وهو رب الخوف العظيم الإرادة، القوي الطلعة، النضر القرابين، وخالق الطعام عندما تهلل لك الناس.

يا خالق الآلهة، ورافع السموات، وباسط الأرض.

- **المقطوعة الثانية:** أنت يا من استيقظ معافى! يا «مين آمون»، يا رب الأزلية، وخالق الأبدية! ورب المديح الذي يسيطر على تاسوع الآلهة.[١١]

صاحب الذيل المستعار، الحسن الوجه، رب التاج «وررت» (أي العظيم)، طويل الريشتين، ومن له شريط جميل، وتاج أبيض عالٍ، ومن على جبينه الصل «محنت»، وثعبانا «بوتو»، ومن شعره ذكر العطر، ومن يجعل التاج المزدوج ولباس الرأس، والتاج الأزرق قوية، الحسن الوجه، الذي يتسلم التاج «آتف»، ومن يحبه تاج الوجه القبلي وتاج الوجه البحري، رب التاج المزدوج الذي يتسلم الصولجان «آمس»، رب جعبة الوثائق، ومالك السوط «نخخ».

الأمير الجميل الذي يظهر بالتاج الأبيض، رب الأشعة، خالق النور الذي يقدم له الآلهة الثناء، والذي يمد يده (أشعة الشمس) لمن يحبه، ومن يحرق أعداءه بالنار، ومن عينه[١٢] تقهر الثائرين، وترشق حربتها فيمن ابتلع المحيط السماوي، وتجعل الثعبان (نيك)[١٣] يلفظ ما ابتلعه.

الحمد لك يا «رع»، يا رب إلهة الصدق (ماعت)، يا من مقصورته خفية، يا رب الآلهة، يأيها الإله «خبر»[١٤] في سفينته، والذي يلحظ الكلام، وبه يخلق الإله، أنت يا «آتوم» خالق الإنسانية ومميز أخلاقهم، وبارئ الحياة، والذي فصل الألوان الواحد عن الآخر،[١٥] سامع تضرعات من في السجن، الشفيق القلب عندما يناديه إنسان.

ومن ينجي الخائف من الظالم، والقاضي بين التعس والقوي.

رب العظمة، ومن فمه السلطة، ومن يأتي النيل الحلو حبًّا فيه، والمحبوب كثيرًا، وعندما يأتي تحيا الناس.

هو الذي يجعل كل العيون تفتح … وكرمه يخلق النور، الآلهة يبتهجون بجماله، وقلوبهم تحيا حينما يشاهدونه.

- **المقطوعة الثالثة:** إيه يا «رع» المبجل في الكرنك، ومن يظهر عظيمًا من بيت «بنبن»، يا صاحب «عين شمس»، يا رب اليوم التاسع من الشهر، ومن يحتفل الناس إكرامًا له باليوم السادس واليوم السابع من الشهر.

أيها الملك رب كل الآلهة، والصقر في وسط الأفق، سيد بني الإنسان … اسمه مخفي عن أولاده، باسمه «آمون».[١٦]

الحمد لك يا حسن الحظ … يا رب السرور، القوي في طلعته، رب التاج، السامي الريش، ذا الإكليل الجميل، والتاج الأبيض الطويل.

الآلهة يعشقون التأمل فيك، حينما يكون التاج المزدوج على جبهتك.

حبك منتشر في كل الأرضين، وأشعتك تضيء في العيون.

إنها نفحة للإنسانية عندما تشرق، والوحوش تتباطأ حينما تضيء،[١٧] إنك محبوب في السماء الجنوبية، ولطيف في السماء الشمالية، جمالك يأسر القلوب، وحبك يجعل الأذرع متباطئة، وشكلك الجميل يجعل الأيدي ضعيفة، والقلب ينسى حينما ينظر الإنسان إليك.[١٨]

إنك أنت الواحد الأحد الذي خلق كل الكائنات، وإنك الواحد الأحد الذي صنع كل ما يوجد. الناس خُلقوا (خرجوا) من عينه، ومن فمه أتت[١٩] الآلهة إلى بارئ الكلأ للماشية، وشجر الفاكهة للإنسان، خالق ما يعيش عليه السمك في النهر، والطيور في القبة الزرقاء،

مانح النفس من في البيضة، ومغذي ابن الدودة، صانع ما يحيا به النمل، والدود والذباب أيضًا، صانع ما تحتاج إليه الفيران في أجحارها، ومغذي الطيور على كل شجرة.

الحمد لك يا صانع كل هذا، الواحد الأحد فحسب، والممتاز بالأيدي العديدة الذي يقضي الليل ساهرًا باحثًا عن أحسن الأشياء لماشيته[٢٠] حينما يكون الناس نيامًا.

يا «آمون» الذي يسكن في جميع الأشياء! يا «آتوم»! يا «حور اختي»! احترام لك في كل ما يلفظون به ابتهالًا لك؛ لأنك تتعب نفسك معنا! وخشوع لك لأنك خلقتنا، وكل وحش يقول (؟) الثناء عليك، وكل قفر ارتفاعه السماء، وعرضه الأرض، وعمقه البحر، يقول ابتهالًا بك: الآلهة يخشعون طوعًا لجلالتك، ويتمدحون بقوة خالقهم، ويفرحون حينما يقترب منهم خالقهم، وهم يقولون لك: مرحبًا في سلام، يا والد آباء كل الآلهة، يا من رفعت السموات، وبسطت الأرض، وصنعت كل كائن، وخالق كل ما يوجد.

يأيها الملك رئيس الآلهة، إنا نحترم قوتك لأنك خلقتنا، إنا نصيح فرحًا بك؛ لأنك سويتنا، إنا نقدم الحمد لأنك أجهدت نفسك معنا. الحمد لك يا خالق كل كائن، يا رب الصدق، ووالد الآلهة، بارئ الإنسان، وخالق الحيوان، رب الحب، وموجد زاد وحوش الصحراء.

يا «آمون»، أيها الثور ذو المحيا الجميل،[٢١] العزيز في الكرنك، وعظيم الطلعة في بيت «بنبن» المتوج ثانية في «عين شمس»، والذي قد حكم بين الاثنين[٢٢] في القاعة العظمى، ورئيس التاسوع الأعظم الواحد الأحد لا غيره، المنقطع النظير، المتربع في «طيبة»، و«الهليو بوليتي»، وأول تاسوعه، والذي يعيش يوميًّا على الصدق.[٢٣]

يا ساكن الأفق، ويا «حور» الشرق![٢٤] والصحراء تُخلق له (تُخرِج له) الفضة والذهب واللازورد الحقيقي حبًّا فيه، والعطر والبخور المخلوطين من بلاد «مازوي»، والعطر الجيد لأنفك، يا حسن الوجه حينما يأتي من بلاد «المازوي»!

يا «آمون رع»، يا رب الكرنك المتربع في «طيبة» «الهليو بوليتي» المهيمن على حرسه (؟)!

المقطوعة الرابعة: أنت أيها الملك الأحد … بين الآلهة، المتعددة أسماؤها التي لا يعرف لها عدد، المشرق في الأفق الشرقي، والغائب في الأفق الغربي، المولود مبكرًا كل صباح، القاهر أعداءه كل يوم.

الإله «تحوت» يرفع عينه،[٢٥] ويبهجه بسموه، والآلهة تتمتع بجماله، والقردة «هتت» تهلل بمديحه.[٢٦]

رب سفينة الليل، وسفينة الصباح[٢٧] اللتين تسبحان في «نون» من أجلك في سلام، بحارتك يفرحون حينما يرون كيف هزم عدوك،[٢٨] وكيف قطعت أوصاله بالمدية، وقد التهمته النار، وعذبت روحه أكثر من جسمه.

وهذا المارد قد قضي على ذهابه، والآلهة تصيح فرحًا وبحارة «رع» مرتاحة من أجل ذلك.

إن «عين شمس منشرحة»؛ لأن عدو «آتوم» هزم، و«طيبة» مسرورة، و«عين شمس» مبتهجة أيضًا لذلك، و«سيدة الحياة»[٢٩] مرحة؛ لأن عدد سيدها قد هزم، وآلهة «بابليون» في ابتهاج، وآلهة «ليتوبوليس»[٣٠] يقبِّلون الأرض حينما يرونه، وإنه قوي في سلطانه، وأعظم الآلهة بطشًا، الواحد العادل (؟)، رب «طيبة»، باسمك يا من خلقت العدل أو الحق.

يا رب الزاد، وثور الأرزاق باسمك هذا «ثور أمه».

خالق جميع الناس الكائنين، وبارئ كل كائن، باسمك «آتوم خبر»، يأيها الصقر العظيم الذي يجعل الجسم مبتهجًا![٣١] الحسن الوجه، والمُدخل الفرح على الصدر، ذو الشكل اللطيف، والريش السامي … الصلان على جبهته.

ومن تسكن قلوب الناس حوله، والذي أذن لبني الإنسان أن يخرجوا منه، ومن يسر الأرضين بطلعته.

الحمد لك يا «آمون رع»، يا رب «الكرنك» الذي تحب مدينة إشراقه.

أما الأناشيد الأخرى للإله «آمون» التي كُشف عنها حديثًا فهي:

(٢) أناشيد للإله «آمون رع»[٣٢]

«الحمد لك يا «آمون-رع-حور اختي».

الذي تكلم بفمه، ومن ثم خلق بني الإنسان، والآلهة، والماشية، والماعز جميعها، وكل ما يطير وما يحط.

أنت الذي خلقت الأمطار، وجزر البحر الأبيض المتوسط، وأهلها قاطنون في بلادهم، وكذلك جعلت المراعي خصبة بوساطة «نون»،[٣٣] ثم آتت أكلها فيما بعد، وكذلك خلقت الأشياء الحسنة التي لا حد لتعدادها لتكون رزقًا للأحياء.

وإنك راعٍ شجاع ترعاهم إلى أبد الآبدين، وبذلك أصبحت الأجسام مملوءة بجمالك، والعيون تبصر بك، وسرى الخوف منك إلى كل الناس، وقلوبهم تتطلع إليك، وإنك طيب في كل زمان، وكل بني الإنسان يعيشون لمشاهدتهم إياك.

وكل إنسان يقول: إننا ملكك؛ يتساوى في ذلك الشجاع والجبان، والغني والفقير بصوت واحد، وهكذا يقول كل شيء، ورقتك في قلوبهم، وكل إنسان يرى جمالك.

ألم تقل الأرامل: «إنك لنا زوج»، والأطفال: «إنك لنا أب وأم»؟ والغني يتفاخر بجمالك، والفقير يتعبد إلى وجهك، والسجين يتطلع إليك، والذي أصابه المرض يناديك.

اسمك سيكون حاميًا لكل وحيد، وصحة وعافية لمن يسبح على المياه، منجيًا إياه من التمساح، وهو ذكرى نافعة في وقت الشدة، منجيًا إياه من فم الحمَّى، وكل إنسان يلتجئ إلى حضرتك ليتضرع إليك.

وأذناك مفتوحتان لتسمعا، وتعملا حسب رغبتهم (أي الناس)، يا إلهنا «بتاح» الذي يحب صناعته، والراعي الذي يحب رعيته. حقًّا إن جائزته هي أن يمنح القلب الذي يرتاح إلى الحق دفنًا طيبًا.

وغرامه أن يكون قمرًا في مستهله، يرقص له كل بني الإنسان، والمتكففون يجتمعون في حضرته، وسيكشف خبايا القلوب، والأشياء النامية تتحول شطره لتصير مزدهرة، والزئبق يفرح به.

وغرامه أن يكون ملك الآلهة في «إبت أسوت» (الكرنك)، ومحياه بهي (؟)، ومحراب ريح الشمال ملكه، والنيل تحت أصابعه يأتي من السماء كما أمر حتى يصل إلى الجبال، مقدام

في قوته، ضار تحت خاتمه (سيطرته)، وبطشه سيوجه إلى الخبيث للقضاء على العصيان، والإنسان يشرب حسبما أمر، ويأكل الخبز على حسب رغبته الحسنة، والقلوب والأجسام في قبضته، ولا فرح بدونه، والسرور ملكه، والابتهاج لمن في حظوته.

وغرامه أن يكون «حور اختي» مضيئًا في أفق السماء، وكل إنسان منصرف إلى مديحه، والقلوب تبتهج به، وهو شفاء لكل العيون، وعلاج ناجع يظهر أثره في الحال، وهو مجمل منقطع القرين ساحق للمطر والعاصفة.[٣٤]

ألم تأتِ من حكم العالم السفلي يا «حور» الفتي، يا حامل الصولجان (؟). ألم تحمل فيك أمك «نوت» ليلًا، ووضعتك كثور صغير؟ لقد أضأت القطرين بعينيك،[٣٥] والمحيط العظيم (الفرات؟) مفعم بجمالك؟

ألم تمضِ اليوم راعيًا لبني الإنسان إلى أن ارتحت في حياتك (غاب كالشمس؟)، دعنا نبتهج بك في الغرب حينما تسلمنا إلى الليل، تعال إلينا في حياة وثبات وقوة حتى تسمع شكايتنا.

إن أمك يا «آمون» هي الصدق، وهي ملكك الوحيدة الفريدة؛ أي الصدق، وأنها خرجت منك،[٣٦] وثار ثائرها لتقضي على من يهاجمك، إن الصدق (ماعت) فريد يا «آمون» يعلو كل إنسان وجد.

من هذه النقطة نجد أن كل مقطوعة تبتدئ بصيغة تعجبية تُكرر غالبًا ثلاث مرات يتخللها نداء. ما أعظم ارتياحك! ما أعظم ارتياحك! يا «آمون» ما أعظم ارتياحك! لقد سرك أن تعمر القطرين، لقد نظمت عليه القوم، وثبت البلاد على حسب أمرك الصائب، إنك واحد راضٍ.

ما أعظم حرارتك![٣٧] ما أعظم حرارتك! يا «آمون»، ما أعظم حرارتك! إنك صبور، وبك تُخلق الحياة، والطيش بعيد عن جلالتك، وسيكون على الأرض وارثون، ما أطيبك! ما أطيبك! يا آمون ما أطيبك! إنك طيب لكل إنسان أنت أيها الراعي الذي يفهم الرحمة، والسامع لصياح كل من ينادي، ومن يستميل القلب، وجاعل نفس الحياة يأتي.

ما أجملك! إنك في سلام؛ لأني أتيت بكل بني الإنسان إلى الوجود، والدنيا هي جزيرتك الجميلة، والشر والعنف قد سقطا.

ما أجملك إلهًا! إن «آمون» هو «حور اختي»، مدهش سابح في السماء، حاكم على أسرار العالم السفلي، والآلهة يأتون أمام وجهك (؟)، ويتمدحون بالصور التي تقلبت فيها، فلتضئ من جديد على يد «نون»، وأنت خفي في صورة «خبري»،[٣٨] وواصل إلى أبواب «نوت»،[٣٩] وجميل في جسمك، وأشعتك تبشر بك في أعين الأقطار، وجزر البحر الأبيض المتوسط، وسكان العالم السفلي[٤٠] يتعبدون حولك، والأحياء يخرُّون سجدًا عند إشراقك، وأهل الشمس يرقصون أمام وجهك.[٤١]

وعامة القوم وعِليتهم يمدحونك، والماعز والماشية تتطلع إليك، والأشياء الطائرة تنطلق عاليًا نحوك، وكل النباتات النامية تلتفت إليك لجمالك، ولا حياة لمن لا يراك.

ما أشجعك! ما أشجعك! يا إلهنا «رع» ما أشجعك! لقد حكمت العالم السفلي، ووهبت ساكنيه الحياة، واستجبت لشكايات المتعبين فيه.

ما أشجعك! ما أشجعك يا إلهنا يا «رع»! ما أشجعك بإشراقك في الصباح! أنرت المحيط، لقد أيقظت كل الأشياء التي أتت إلى الوجود، ولقد فتحت سبلها بوصفك راعيهم، ولقد بعثتها إلى الحياة مرة ثانية لأنك حاميهم.

ما أشجعك يا إلهنا يا «رع»! أنت يا رب السماء، وأنت أيها الراعي الذي يعرف كيف يكون راعيًا، أليست أذناك تميلان إلى قلوبهم؟ وإرشادك (؟) في كل جسم وبطشك متيقظ لكل سيئ النية، وليس هناك شيء تجهله على الأرض.

ما أقدسك في الغرب يا «رع»! يارب السلام، لقد فتحت أبواب «مسكت»[٤٢] بينما أصبح «حور» منتصرًا، و«وننفر» (أوزير) مفعمًا بالفرح، وأرباب العالم السفلي في عيد، والأرض الصامتة في حبور بأشعتك الجميلة عالم الموتى.

ما أقدسك في الغرب! أنت يا من يغني الأبدية، والشكاوى تُجمع إليك؛ أنت يا قاضي الصدق، أنت يأيها الإله العظيم حاكم (البوابة)، يا من تميل إلى من يناديك، وعندما ينبثق فجر النهار يكون قد أفنى الأعداء الناهبين، فلا يجعل لهم وجودًا، وهو يأمر بأن يحكم الصدق في أرض الجبانة.

ما أقدسك في الغرب! أنت أيها الراعي الذي يعرف كيف يكون راعيًا، لقد وضعت السعادة على كل عين، وأعدت قاعاتهم السرية (؟)، وقد صارت قوتك حمايتهم، وأنت الذي عمله لا يخيب قط، وكل الناس الذين استولى عليهم الإغماء تعود إليهم الحياة ثانية عند شروقك.

ما أجمل شروقك في الأفق! فإننا نكون في حياة متجددة! لقد دخلنا في «نون»،[٤٣] وتجدد الإنسان كما كان في الأول طفلًا، فالواحد يخلع، والآخر يلبس،[٤٤] إنما نمجد جمال وجهك، ابحث عن الطريق، وأرشدنا إليه حتى نتمكن من حسبان كل يوم.

ما أجمل شروقك يا «رع»! إنك البارئ الذي يخلق السعادة، والملتفت إلى صوت كل من يصيح نجِّ أنت من … والراعي قد وضع أمامه إلى أن وصل إلى المعبد.[٤٥]

ما أجمل إشراقك يا «رع» يا ربي! يا من يعمل راعيًا في مراعيه، والإنسان يشرب من مائه، تأمل إنى أتنفس من الهواء الذي يمنحه، وهو مالك الحياة التي تذهب سويًّا مع حمايته (؟) إلى كل فرد يلتف حولك (؟).[٤٦]

ما أجمل شروقك يأيها الراعي العظيم! تعالي جميعًا، أيتها الماشية، تأملي إنك تمضين اليوم في المراعي تحت حراسته، وقد أبعد عنك كل أذى، إنه يغيب في سلام إلى أفقه، وأراضيكم …

ما أجمل إشراقك يا «رع»! إنك تجعل اللصوص يرتدون، وهاتان العينان تنظران وتبكيان (؟) … ليل نهار في الأراضي، والأرض الصامتة … صانع الجمال ألم تضئ، وبذلك تنبعث الحياة (؟) …

ما أجمل إشراقك يا «رع»! يأيها الراعي المحبوب! … والماعز، والماشية، والطيور تصيح له … مصر، ونوره الجميل يأتي إلى الوجود (؟).»

والظاهر أن معظم بقية هذه الورقة قد مُزق قصدًا أو اتفاقًا.

والواقع أن هذه الأناشيد في جملتها تشبه أناشيد ورقة «ليدن»؛ إذ نجد في هذه الورقة أن «آمون-رع» قد ذُكر باسمه الشائع هذا مرة واحدة، وإن كان هو الإله الوحيد الذي كان يقصد المؤلف تبجيله، والإشادة به، وقد ذُكر غير مرة باسم «آمون» فحسب، أو باسم «رع».

ولا غرابة في أن نراه يُذكر في بعض الأحيان في أنشودة «ليدن» باسم «حور اختي»، و«آتوم»؛ لأنه كان يمثل إله الشمس، ولكن الذي يلفت النظر هو أنه قد وصف في حالتين بأوصاف الإله «بتاح» بصفة قاطعة.

وهذه المميزات تظهر لنا ثانية في هذه الأناشيد؛ إذ نجد أن اسم «آمون رع» لم يُذكر إلا مرتين، على حين أن الاسم المركب «آمون-رع-آتوم-حور اختي» يظهر في سياق الكلام على أنه يدل على اسم واحد مسيطر؛ وقد سمى هذا الإله «بتاح» عندما نُعت بأنه الصانع العظيم، كما أنه ينعت بالنيل عندما يتخذ صفات الإله «حعبي» (أي النيل)، ولكن على الرغم من كل ذلك فإن أعظم مظهر له هو الشمس؛ إذ إنها إذا غابت انحلت قوى بني الإنسان وماتوا، وإذا أشرقت انتعشت كل المخلوقات. والواقع أن الحياة بدون الشمس المشرقة تصبح مستحيلة، وقد استمرت الصور الخرافية القديمة عن إله الشمس تُذكر في هذه الأنشودة، فهو يسبح في الماء في سفينة، ويرسل لهيبه على الثعبان «أبوبي» عدوه الأكبر الذي يعترض سيره في الماء، هذا إلى أن الإلهة «نوت» ربة الماء تحمل فيه ليلًا، وتلده كل صباح في شكل ثور صغير، ولكن إذا كان له جسم سماوي ظاهر نهارًا، فإنه في أثناء الليل يحكم في العالم السفلي، وهو كذلك يُعد كإله القمر، ويسر سرورًا خاصًّا في أن يظهر نفسه هلالًا، وربما كان ذلك إشارة للإله «خنسو» إله «طيبة» الذي كان يُعد ابن «آمون»، و«موت»، ومنهم جميعًا يتألف ثالوث «طيبة».

ونجد كذلك في هذه الأنشودة إشارة للإلهة «موت» المكملة للثالوث، فهي أم الإله المتلَون كالحرباء (أي المتعدد الصور)، وكذلك نجد في فقرة أن إلهة الصدق قد عدت أمًّا وأختًا له. وقد ذكرنا سابقًا أن الإلهة «نوت» إلهة السماء قد حملت فيه، وقد ذكرت معه عدة آلهة

أخرى، غير أنها تلعب دورًا ثانويًا، وقد جيء بذكرها هنا لتمجيد الإله الأعظم، وقد ذُكر «آمون رع» في هذه الأناشيد بوصفه إلهًا نافعًا، وقد اتصف بأنه «راعٍ طيب» مرارًا وتكرار، وأنه أقرب الأقرباء إلى بني البشر، والحيوان، والنباتات من مخلوقاته.

وهو الذي يحفظ كيان الحياة، ويمد الإنسان بأرزاقه؛ ولذلك تعبده الطبيعة كلها. وهو عدو قاسٍ للثائر والخبيث، وهو يمنح كل من يواليه الفرح والسرور، وهو قاضٍ مسيطر عادل، وأذناه مفتوحتان لتسمعا الشكايات.

على أن أكبر ظاهرة تسترعي النظر في هذه الأنشودة هي التأكيد الذي يظهره بأنه «رب الكون». ولا يغرب عن ذهن أي باحث أن يرى بشكل بارز كثرة ورود التعبيرات: «كل واحد»، و«كل إنسان»، و«كل بني الإنسان».

وكما أنه لا يفرق بين الفقر والغنى، فإنه كذلك يمد سلطانه على الأجانب خارج الحدود المصرية، وقد ذكر أهل البحر الأبيض المتوسط ثلاث مرات.

وأظن أن كل ما ذكرناه كافٍ لبيان أن فكرة الوحدانية قد عبر عنها في أناشيد «آمون رع» التي على ورقة «ليدن» بجانب فكرة تعدد الآلهة التقليدية في الديانة المصرية، وليس هناك تضارب ظاهر في التعبير عن هاتين الفكرتين في متن واحد.[٤٧]

ولا شك في أننا نشاهد في هذه الأناشيد تأثير فكرة التوحيد التي ظهرت في «تل العمارنة»، ومع أنها أُخمدت بكل شدة وعنف إلا أنها تركت أثرها في أذهان القوم بصفة جلية.

على أنه توجد أنشودة للإله «أوزير» من نفس ذلك العصر مخاطبة له بما يأتي:

أنت أب الناس وأمهم

وهم يعيشون من نفسك

وفي كل ذلك نجد روح العناية الإنسانية قد ظهرت مبكرة — كما ذكرنا فيما تقدم — منذ التعليم الاجتماعي في العهد الإقطاعي المصري، يضاف إلى ذلك أن تفضيل المستضعف على المستكبر والمتجبر، والأمر السائد، والمعرفة، وهي الامتيازات الملكية الإلهية، قد عثرنا عليها من قبل في المقالات الاجتماعية التي فاه بها أمثال «أبور»، و«خعخبر رع سنب»، و«نفرروهو»، وكذلك في الوثائق الحكومية، وبخاصة في الدستور الذي وضعه الفرعون للوزير في عهد الأسرة الثانية عشرة، وسار عليه الملوك فيما بعد. والحقيقة أن التعبير عن الإله بأنه هو الأب والأم لمخلوقاته يرجع إلى ما كان عليه الاعتقاد في مذهب «آتون».

ومع أن أمثال هذه الأناشيد لا تزال كذلك تحتفظ في ثناياها بالعقيدة العالمية، وبعدم الالتفات إلى حدود البلاد القومية، وبالنظرة الواسعة البعيدة المرمى، وهي الأشياء التي ذكرناها في تعاليم «إخناتون»، فإنها على الرغم من ذلك تكشف لنا عن ثقة شخصية تدل على طيبة الإله، وهي بذلك برهان هام على طموح الإنسان الشخصي في عون الله ورحمته، ومن ثم تكشف لنا عن بداية العصر الجديد للتدين الانفرادي الذاتي، وهو مناجاة الله مناجاة سامية خالصة تدل على الورع، والخوف منه، والتوسل إليه في كل ما يحيق بالإنسان من ضر.

والواقع أننا عندما ننعم النظر في العقائد البسيطة التي لا تتصل بالكهانة كثيرًا في خلال القرنين الثالث عشر والثاني عشر؛ أي في القرنين اللذين أعقبا عصر «إخناتون»، نجد أن ثقة المتعبد في عناية إله الشمس بكل المخلوقات حتى صغيرها قد تطورت إلى روح نقية خالصة، وشعور فياض من الاتصال بالذات الإلهية، وهو الذي ظهرت آثاره من قبل حينما قال «إخناتون» لإلهه: «وإلى الآن فإنك لا زلت في قلبي.»

وعلى ذلك نرى أن نفوذ مذهب «آتون» الباقي، وعقائد العدالة الاجتماعية التي تجلت في العهد الإقطاعي — عندما طالب الشعب بحقوقه — قد سمت وقتئذ بظهورها في أعمق تعبير مؤثر للروح الدينية الورعة التي لم يصل إليها قبل رجال مصر قط، يضاف إلى ذلك أنها على الرغم من تأصلها في تعاليم فئة قليلة محصورة، فإن تلك المعتقدات التي كانت ذات علاقة شخصية وثيقة بين العبد وربه قد صارت آنئذ بمرور القرون منهاجًا بطيئًا متدرِّجًا، منتشرة انتشارًا واسعًا بين الشعب، وكانت النتيجة انبثاق فجر عصر التعبد الانفرادي، والإلهام الباطني بين الله وعامة خلقه، وذلك يعني التحنف والتعبد لاستصلاح النفس والروح، وتحليتهما بالأخلاق الفاضلة عن طريق العبادة، والورع، والزهد، والتنسك، وهو ما يُعرف بالتصوف عندنا الآن.

ومما يؤسف له جد الأسف أن الوثائق التي في أيدينا عن هذا التنسك والتعبد لم نجدها حتى الآن إلا في مكان واحد وهو «طيبة»، ويمكننا أن نتعقب هذا المظهر الجديد من الديانة الحقة في تلك الجهة، ولا يخلو ذلك من فائدة؛ إذ أصبح في استطاعتنا معرفة مدى أرواح عامة الشعب الذين كانوا يملئون الطرقات والأسواق، والذين كانوا يحرثون الحقول، ويزرعونها، ونهضوا بكثير من الصناعات العالمية، وكذلك الذين كانوا يمسكون بدفاتر تدوين الحسابات، ودوَّنوا السجلات الرسمية، أو الذين كانوا يقطعون الأخشاب، ويمتحنون الماء، وغير ذلك.

وهؤلاء هم الرجال والنساء الذين وقع على كواهلهم عبء تلك الحياة المادية الشاق المنهك للقوى في حاضرة البلاد المترامية الأطراف، في خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر قبل الميلاد. فنجد مثلًا أن كاتبًا في إحدى مستودعات الخزانة في جبانة «طيبة» يدعو الإله «آمون» فيقول:

أما من جهة الذي يأتي إلى الصامت

والذي ينجي الفقير

ويعطي النفس كل إنسان يحبه

... ...

نجني واسطع عليَّ

لأنك تخلق قوَّتي

... ...

وأنت الإله الأحد لا إله غيرك

فأنت نفس «رع» الذي يشرق في السماء

و«آتوم» خالق البشر

... ...

الذي يسمع دعاء من يدعون

والذي ينجي الإنسان من المتكبر

والذي يجري النيل لأجل من هو منهم

والهادي لجميع الأنام

... ...

وعندما يشرق يعيش البشر

وقلوبهم تحيا عندما يرونه

والذي يمنح النفس ما في البيضة

والذي يجعل البشر والطيور تعيش

والذي يرزق الفيران بحاجاتها في أجحارها

والديدان والحشرات أيضًا.

ومن ذلك نفهم أن الإله الذي يوجه عنايته إلى كل شيء حتى المحافظة على العصافير، مثل «إله عيسى»، كان في استطاعة أهل «طيبة» أن يشكوا إليه مصائبهم وهمومهم في

حياتهم اليومية؛ واثقين في شفقته وحنانه، وفيض رحمته.

على أن أهم هذه اللوحات التي يمثل فيها التعبد والتقرُّب إلى الله زلفى لإغاثة الملهوف عند اشتداد الكرب، لوحة محفوظة الآن في متحف برلين (Berlin No. 23077)، وقد عثر عليها في مجموعة معابد مصنوعة من اللبن أقيمت للإله «آمون»، وهذه المعابد قد أقيمت لعمال الجبانة الطيبية. ويحتمل أن معظم اللوحات التي من هذا القبيل قد جيء بها من هذه الجهة. وقد أهدى الرسام «نب رع» هذه اللوحة للإله «آمون»، وقد اشترك في الإهداء ابنه «خعي»، وذلك لشفاء «نخت آمون»، وهو ابن آخر لـ «نب رع»، وفيها نرى بوضوح كيفية نجاة نجل هذا الرسام العظيم من مرض ألمَّ به بفضل «آمون»، وشفقته العظيمة. وقد كان «آمون» يعد في نظر ذلك الرسام الإله الجليل الذي يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، ويجيب الفقير المعذب إذا استغاث به، ويمنح من قوس الدهر قناته النفس، وهو في هذا النقش يقصُّ علينا قصة طيبة الإله «آمون» ورحمته، فاستمع إليه. في أعلى اللوحة يشاهَد «آمون» على عرشه أمام بوابة عظيمة، وعليه النقش التالي:

«آمون» رب الكرنك

والإله الأعظم في «طيبة»

والإله السامي الذي يسمع الدعاء

والذي يأتي عند نداء القانع والمعتر

والذي يمنح البائس النفس.

ويشاهَد «نب رع» راكعًا أمام «آمون»، وفوقه النقش التالي:

تقديم المديح لآمون رب «الكرنك»

وهو الذي في «طيبة»:

الخشوع لـ «آمون المدينة» الإله العظيم

سيد هذا المحراب العظيم والعادل

ليجعل عيني ترى جماله

لأجل روح رسام «آمون» «نب رع» المنتصر.

وفي أسفل اللوحة المتن التالي:

تقديم المديح لآمون

سأضع له الأناشيد باسمه

وسأمدحه حتى عنان السماء

وعرض الأرض

وسأعلن قوته لمن ينحدر في النهر

ومن يسبح مصعدًا

فاحذروه أنتم

وأخبروا بذلك الابن والابنة

والكبير والصغير

وحدثوا عنه أجيالًا بعد أجيال

ومن لم يوجد بعد

وعرفوا به السمك في النهر

والطيور في السماء

وقدموه لمن لا يعرفه

واحذروه أنتم!

إنه «آمون» ربك الصامت

ومن يأتي عندما يناديه المعتر

وإني أناديك عندما أكون في ضنك

وإنك تأتي حتى تنجيني

وحتى تعطي النفس لمن أصابه البؤس

وحتى تخلصني أنا الذي في الأغلال

وإنك «آمون» رب طيبة

الذي ينجي حتى من في العالم السفلي

لأنك أنت الرحيم

فإذا ناديتك

فإنك أنت الذي تأتي من بعيد.

أقامها رسام آمون في «مكان الصدق» «نب رع» المرحوم ابن الرسام في مكان الصدق «باي» المرحوم باسم سيده «آمون»، رب طيبة الذي يأتي عند سماع صوت المتواضع.

لقد وضع الأناشيد باسمه

بسبب عظم قوته

وقدم التضرعات الخاشعة أمامه

أمام كل الأرض

لأجل الرسام «نخت آمون» المرحوم

الذي رقد مريضًا حتى الموت

والذي كان في قبضة سلطان «آمون» بسبب إثمه.

وقد وجدت أن رب الآلهة قد أتى مثل النسيم، والرياح الجميلة أمامه بغية أن يشفي «نخت آمون» رسام الإله «آمون» المرحوم ابن رسام «آمون» في مكان الصدق «نب رع» المرحوم، وهو الذي وضعته السيدة «بشد» المرحومة، فيقول:

على الرغم من أن الخادم كان ميالًا لفعل الشر

فإن الرب كان مهيأ ليكون رحيمًا

ولن يمضي رب «طيبة» يومًا كاملًا في حنق

إذ إن حنقه ينصرف في لحظة، ولا يبقى منه شيء

ويعود الهواء ثانية برحمته

ويعود «آمون» بهوائه

وبحياة روحك كن رحيمًا!

وليت ما قد أبعد لا يعود!

وعلى ذلك قال الرسام في «مكان الصدق» «نب رع» المرحوم:

سأقيم هذا التذكار باسمك

وأضع لك هذه الأنشودة مدونة عليه

لأنك شفيت لي الرسَّام «نخت آمون»

وهكذا قلت أنا، وقد أصغيت لي

فاعلم الآن أني أنفذ ما قد قلته

وأنك رب من يناديك

مرتاح في الصدق يا رب «طيبة».

وهكذا صار إله الشمس، أو «آمون» الذي يقوم مقامه؛ لأنه يسمى كذلك «آمون رع» ملاذ المحزونين، ويسمع الشكوى، ويجيب دعاء من يستغيث به، وهو الذي يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، وهو الذي يقبل صلاة المصلين، ويمد يده إلى الفقير والمعتر، ويشفي المريض، ويعفو عن المذنب.

والواقع أن العدالة الاجتماعية التي أنتجتها الثورة الاجتماعية في العهد الإقطاعي كانت آنئذ حقًّا يدافع عنه كل فقير أمام الإله الذي صار هو نفسه قاضيًا عادلًا لا يقبل رشوة، رافعًا من شأن الحقير، وحاميًا الفقير، غير باسط يده للغني.

ولدينا نص يحدثنا عن ذلك فاستمع لما جاء فيه:[٤٨] «يا «آمون»، أعِر أذنك فردًا واقفًا وحده في المحكمة (خصمه) غني، والمحكمة تظلمه بالفضة والذهب إلى كاتب الحساب، والملابس إلى الحجاب (هذه هي الرشوة التي يطلبونها)، غير أنه عرف أن «آمون» يحول نفسه إلى وزير — وكان يعد القاضي الأعلى — ليجعل الرجل الفقير ينتصر، وقد وجد أن الرجل الفقير قد أُنصف، وأن هذا الفقير قد تفوق على الغني. أنت يأيها النوتي الذي يعرف الماء! «آمون» يأيها المجداف المحرِّك … الذي يعطي الخير من ليس عنده، وكذلك يغذي خادم بيته، إني لا أتخذ عظيمًا ليحميني في كل … إني أعرف واحدًا قويًّا، وإنه لخادم قوي الساعد، وهو وحده القوي، أنت يا «آمون» الذي يعرف الخير (؟) أنت … من يناديه «آمون»، يا ملك الآلهة، أنت أيها الثور القوي الساعد، ومحب القوة.»

ومن هذا النص نفهم أن كلًّا من الغني والفقير يحيق بهما غضب الإله على السواء إذا وقعت منهما خطيئة.

وكذلك نجد أن اليمين الذي يصدر استخفافًا أو كذبًا يجلب غضب الإله؛ إذ يصيب الحانث المرض، أو العمى، وذلك لا يمكن النجاة منه إلا إذا أتبع الإنسان ذلك بالتوبة والندم، ثم

التجأ إلى التذلل والخضوع؛ ليحوز عطف إلهه.

ولدينا الأمثلة الكثيرة على ذلك، ففي «المتحف البريطاني» لوحة لشخص يُدعى «نفرابو»، قدمها للإله «بتاح»، جاء على أحد وجهيها ما يأتي:[٤٩]

إهداء الحمد لـ «بتاح» رب الصدق، وملك الشاطئين

جميل الوجه الذي على عرشه العظيم، والإله الواحد بين التاسوع، والمحبوب بوصفه ملك الأرضين

ليته يمنح الحياة، والفلاح، والصحة، والذكاء، والحظوة، والحب

وليت عيني ترى «آمون» كل يوم (يقصد الشمس)

كما يعمل لرجل عادل

يضع «آمون» في قلبه

وبذلك يكون الخادم في «بيت الصدق» «نفرابو» منتصرًا.

وعلى ظهر نفس اللوحة نقرأ: هنا يبتدئ الاعتراف بقوة «بتاح» القاطن جنوبي جداره من الخادم في «بيت الصدق» في غربي «طيبة»، المسمى «نفرابو» المرحوم، فيقول:

إني رجل قد حلف كذبًا بالإله «بتاح»، رب الصدق

ولذلك جعلني أرى ظلامًا خلال النهار

وإني سأعلن قوته لمن لا يعرفه، ولمن يعرفه

واحذروا «بتاح» رب الصدق

فإنه لن يترك جانبًا موتى أي رجل

فأعرضوا عن النطق باسم «بتاح» كذبًا

تأمل، فإن من ينطق به بهتانًا

يسقط في الهاوية

فقد جعلني مثل كلاب الشارع

وقد كنت في قبضته

وقد جعل الناس والآلهة ينبذونني

بوصفي رجلًا قد أذنب في حق سيده

وقد كان «بتاح» رب الصدق عادلًا معي

وعندما عاقبني.

فكن رحيمًا بي، وانظر إلي لترحمني!

ومن هذا نجد لأول مرة أن الوعي قد تحرَّر تمامًا؛ لأن المخطئ يعتذر عن جهله، وارتكابه للإثم، ويدل على ذلك — فضلًا عما ذكرنا — أنشودة استغفار للإله «رع»؛[٥٠] إذ يقول المذنب: «أنت أيها الواحد الأحد، لا أحد غيره، يا حامي آلاف الآلاف، ومخلص من يناديه، يا رب عين شمس لا تعاقبني من أجل ذنوبي الكثيرة، إنني شخص لا يعرف نفسه (؟)، وإنني رجل لا عقل له؛ إذ أتبع فمي طول اليوم كالثور الذي تبع علفه …»

ومما تجدر ملاحظته هنا على الفور المقابلة الظاهرة بين ذلك الاعتراف، وما جاء في «كتاب الموتى» الذي لا يعترف فيه الروح بأي خطيئة، بل يدعي البراءة التامة من كل الآثام الإنسانية، ولكن هذا الموقف الذي يعترف فيه الإنسان بخطيئته مع التذلل والخضوع والمسكنة لأكبر دليل على وجود اتصال بين العبد وربه آناء الليل وأطراف النهار.

وكما أننا نجد العبري التقي يحب بيت المقدس، والمسلم الورع يتجه بقلبه إلى الكعبة بمكة، كذلك كان المصري القديم يولي وجهه شطر مدينة عين شمس العظيمة التي نشأ منها مذهب آبائه منذ أقدم العهود، فاستمع لأحد الأفراد، وهو يقدم صلاته للإله «رع»، موليًا وجهه شطر عين شمس إذ يقول:

تعالَ إلي يا «رع حور اختي» لترشدني، إنك أنت الفعال، وليس أحد سواك يفعل شيئًا، إنك أنت فحسب الذي يفعل كل شيء.

تعالَ إلي يا «آتوم» … إنك أنت الإله السامي، وإن قلبي يتطلع نحو عين شمس، ونفسي سعيدة ولبي منشرح.

إن التماساتي تسمع، وكذلك تضرعاتي اليومية (لديك)، وإن صلواتي بالليل، وأدعيتي التي لا ينفك فمي يرددها تسمع اليوم.[٥١]

فنجد في تلك الأناشيد القديمة التي كانت في الواقع تتألف من أوصاف ظاهرة، ومقتبسات من الأساطير، ومن إشارات إلى حوادث خرافية عتيقة، وكلها أمور خارجية بالنسبة لحياة المتعبد، إنه كان في مقدور كل إنسان أن يؤدي نفس الصلاة، غير أن هذه الصلاة صارت وقتئذ بمثابة محاسبة باطنية، أي إنها كانت تعبيرًا يقصد به الاتصال المباشر الذاتي بين

العبد وربه، وهذا الاتصال هو الذي يرى فيه العبد أن ربه واحد يغذي روحه، كما يغذي الراعي قطعانه، فنجد مثلًا لذلك فيما يأتي:

يا «آمون»، أنت يا مخرج القطعان في الصباح

ومرشد المتألم إلى المرعى

وكما يقود الراعي القطعان إلى المرعى تفعل فأنت كذلك

يا «آمون»، أرشد المتألم إلى الطعام؛ لأن «آمون رع»

يرعى من يتكل عليه

يا «آمون رع»، إني أحبك، وقد ملأت قلبي بك

وستنجني من أفواه الناس في اليوم الذي سيفترون فيه عليَّ الكذب

لأن رب الحق يعيش في الحق

وإني لن أستسلم للخوف الذي في قلبي

لأن ما قاله «آمون» فيه فلاح.

---

[١] راجع كتاب الأدب جزء ٢ ص١٤٩.

[٢] راجع كتاب الأدب المصري القديم جزء ٢ ص٩٩، ١٢٧ إلخ. الأناشيد التي ذكرت بعد عهد «إخناتون»، وتأثير ديانته فيها.

[٣] الشمس زوج إلهة السماء، وفي الوقت نفسه ابنها بوصفه شمس اليوم التالي، وهو كثور يسيطر على الحقل؛ حيث يوجد المرعى، وعلى ذلك فهو يسيطر كذلك على السماء كأكبر جسم فيها.

[٤] «المازوي»: أقوام من بلاد النوبة، أما «بنت»، فهي بلد الروائح العطرية.

[٥] أي الزعيم، وبطل الآلهة الكبيرة.

[٦] «بتاح» إله الحرف قد منح «آمون» صورته، ولذلك يسمى «بتاح جميل الوجه».

[٧] أي الرجال والنجوم.

[٨] تنصرف الإشارة هنا إلى الملك الراحل بوصفه إله الشمس «رع» يغيب في الغرب، ويحيا ثانية في الشرق.

[٩] «البيت العظيم»: اسم محراب يرجع تاريخه إلى عصر ما قبل التاريخ خاص بالوجه القبلي، ومكانه «هيراكنوبوليس» (الكاب الحالية)، أما «بيت النار» فهو كذلك اسم محراب الوجه البحري، ومكانه «بوتو» أي «أبطو» الحالية القريبة من «دسوق»، ويحتمل أن هذه الجملة تشير إلى ملك، وقد استولى على البلدين بعد أن انتصر على أعدائه (راجع Les Hymnes, Religieux du Moyen Empire p. 166).

[١٠] إن الإله «مين» الذي يقع محرابه في «قفط» التي تخرج منها الطرق المؤدية إلى أصقاع الصحراء الشرقية كان يعتبر حامي هذه الطرق، فكان هو الذي يجلب العطور.

[١١] الذي يشاهد مدلى من حزام الملك، وما يليه يصف تاج الإله مزينًا بالقرون، والريش، والتيجان، والثعابين.

[١٢] عين الشمس كأنها إلهة الحرب.

[١٣] ثعبان (نيك) صورة من الثعبان «أبوبي» الذي يشرب المحيط السماوي؛ حتى لا تستطيع سفينة الشمس أن تسبح عليه.

[١٤] «خبر» هو الشمس في الصباح.

[١٥] هي الفكرة التي تكررت بوضوح في نشيد العمارنة حتى البرابرة هم أبناء الإله الذي يعولهم.

[١٦] يقصد هنا تورية؛ لأن «آمون» يمكن أن تؤدي معنى «الواحد الحق».

[١٧] هنا وفي المقطوعة التي تليها يظهر أن التعبير «تصبح متباطئة» يقصد به معنى حسنًا.

[١٨] أي للآلهة التي تسكن هناك.

[١٩] على حسب الأسطورة: خُلقت الناس من دموع إله الشمس والإلهان «شو» و«تفنوت» من عظمته وتفلته.

[٢٠] هو راعٍ حتى في الليل يبحث عن مكان فيه أكل لماشيته التي لا بد أن تكون للإله لأجل أن يخلق تلك الأشياء الكثيرة للناس.

[٢١] في جهة أخرى هذه هي صيغة «بتاح» إله الخلق.

[٢٢] «خور» و«ست».

[٢٣] وهذا هو مبدأ حياته.

[٢٤] ما يتبعه ينطبق عليه، راعي الصحراء الشرقية، والبلاد التي تؤدي إليها طرقها.

[٢٥] المعنى غامض.

[٢٦] القردة التي تحيي الشمس عند شروقها، وكذلك عند غروبها.

[٢٧] سفينتنا إله الشمس، أما «نون» فهو المحيط الأزلي.

[٢٨] الثعبان «أبوبي» عدو الشمس.

[٢٩] ثعبان الشمس.

[٣٠] مدينتان قريبتان من القاهرة الحديثة (مصر عتيقة، وأوسيم).

[٣١] أشعته تدفئ الجسم.

[٣٢] راجع كتاب الأدب المصري القديم جزء ٢ ص١٣٦.

[٣٣] يعني النيل هنا.

[٣٤] يظهر من هذه الكلمات الأخيرة أن «شفاء» و«علاج» و«مجمل» مستعملة هنا مجازًا، وأن الإشارة الحقيقية هنا هي لإله الشمس بوصفه متغلبًا على الجو الرديء.

[٣٥] الشمس والقمر: فالعين اليمنى هي النهار، واليسرى هي الليل.

[٣٦] لقد جعل المؤلف هنا الصدق أم الإله وابنته.

[٣٧] المقصود هنا الحرارة الطبيعية التي تسبب الخصب والنماء؛ لأنه هنا يعتبر إله الشمس.

[٣٨] اسم للشمس في الصباح.

[٣٩] السماء.

[٤٠] المتوفون.

[٤١] يقصد هنا الماء الذي يحيط بالعلم أي «نون».

[٤٢] إقليم في السماء ربما كان الأفق.

[٤٣] الظاهر أن الفكرة في ذلك هي أن مصير الإنسان يتبع إله الشمس الذي يدخل في نون (محيط العالم السفلي) ليلًا، ثم يولد ثانية طفلًا ممتلئًا حياة في الصباح.

[٤٤] أي إن الرجل المسن يلقي به في عالم الآخرة والصغير يلبس ليكون في الحياة الدنيا.

[٤٥] المعنى غامض.

[٤٦] المعنى غامض.

[٤٧] وهذا يطابق ما نشاهده عند عامة الشعب المصري الجاهل، فإنهم يعتقدون بوحدانية الله، ولكنهم في آن واحد يتوسلون إلى أولياء الله معتقدين أنهم ينفعونهم، أو يضرونهم.

[٤٨] راجع: Pap. Anastasi. II, 8, 5. ff.

[٤٩] راجع: (J. F. A. Vol. III, p. 88).

[٥٠] راجع: Pap. Anastasi IV, 10, 5 ff.

[٥١] راجع: Pap Anastasi II, 10. 1 ff.

مختصر المصادر الأفرنجية[1]

- **A. A. S. O. R.:** “Annual of the American Schools of Oriental Research”. (New-York, 1920–).
- **A. J. S. L:** “The American Journal of Semetic Languages and Literatures”. (Chicago, 1884–).
- **Albright:** From the Stone Age Mo Christianity.
- **Am:** Knudtzon, “Die El-Amarna Taflen”. (Leipzig, 1907–1915).
- **Arundale and Bonomi, “Gallery”:** Arundale and Bonomi, “Gallery of Antiquities Selected from the British Museum”, (London).
- **A. S:** “Annales du Service des Antiquities de l’Egypte”. (Cairo, 1901–).
- **A. Z:** “Zeitschrift für Agyptische Sprache und Altertumskunde”. (Leipzig, 1863–).
- **Baikie, “History”:** Baikie, “A History of Egypt”. (London, 1929).
- **B. A. S. O. R:** “Bulletin of Schools of Oriental Research”. (South Hadly, Mass., 1919).
- **Benson and Gourlay, “Temple of Mut”:** Benson and Gourlay, “The Temple of Mut in Asher”. (London, 1899).

- **B. I. F. A. O:** “Bulletin de l’Institut Française d’Archeologie Orientale”. (Cairo, 1901–).
- **Birch, “Pottery”:** Birch, “History of Ancient Pottery, Egyptian, Assyrian, Greek, Etruscan and Roman”. (London, 1858).
- **Bisson de La Roque, “Medamoud”:** Bisson de la Roque, “Les Fouilles de Medamoud”, (Cairo).
- **Boeser, “Leyden”:** Boeser and Holwerda, “Beschreibung der Aegyptischen Sammlung des Niederlandischen Reichmuseums der Altertumer in Leiden”. (Copenhagen, 1908–1918).
- **Borchardt, “Statuen”:** Borchardt, “Statuen und Statuetten von Konigen und Privalueten”. Catalogue General des Antiquities Egyptien du Musee du Cairo, (Berlin, 1911–1925).
- **Breasted, A. R:** Breasted, “Ancient Records of Egypt.” (Chicago, 1906-7).
- **Brugsch, “Thesaurus”:** Brugsch, “Thesaurus Inscription um Aegyptiacarum”. (Leipzig, 1883–1891).
- **Brugsh, “Recueil”:** Brugsch and Dumichen, “Recueil de Monuments Egyptiens”. (Leipzig, 1865–1885).
- **Budge. “Guide”:** Budge, “A Guide to the Egyptian Collections in the British Museum”. (London, 1909).

- **Budge, "Sculpture":** Budge, "A Guide to the Egyptian Galleries (Sculpture)", (London, 1909).
- **Budge, "The Book of Kings":** Budge, "The Book of the Kings of Egypt". (London, 1908).
- **Budge, "History":** Budge, "A History of Egypt from the End of The Neolithic Period to the Death of Cleopatra VII, B. C. 30". (London, 1902).
- **Champollion, "Notices":** Champollion, "Notice Descriptive des Monuments Egyptiens du Musee Charles X." (Paris, 1827).
- **Champollion, "Letters":** Champollion, "Letters à M. le Duc de Blacas d'Aulps relatives au Muse Royal de Turin". (Paris, 1824).
- **Coregency of Ramses II:** Coregency of Ramses II with Seti I and The Date of The Great Hypostyle Hall at Karnak, By Kieth C. Seele.
- **Davis, "Tomb of Hatshepsut":** Davis, "Excavations at Biban el Moluk. The Tomb of Hatshepsut". (London, 1906).
- **Evans, "Palace of Minos":** Evans, "The Palace of Minos at Knossos". (London, 1921).
- **Fraser, Coll:** Fraser, "A Catalogue of the Scarabs Belonging to G. Fraser", (London, 1900).

- **Gardiner, “Onomastica”:** Gardiner, “Ancient Egyptian Onomastica, (Oxford, 1947).
- **Gardiner and Peet, “Sinai”:** Gardiner and Peet, “The Inscriptions of Sinai”. (London, 1917).
- **Gardiner and Weigall, “Catalogue”:** Gardiner and Weigall, “A Topographical Catalogue of the Private Tombs of Thebes”. (London, 1913).
- **Gauthier, “Dict. Geog”:** Gaurthier, “Dictionnaire des Nom Geogradhiques Contenus dans les Texte Hieroglyphiques”. (Cairo, 1925).
- **Griffith, “Kahun Papyri”:** Griffith, “Hieratic Papyri from Kahun and Gurob”. (London, 1898).
- **Hall, “Catalogue of Scarabs”:** Hall, “A Catalogue of Scarabs in the British Museum”. (London, 1913).
- **Hall, “Ancient History”:** Hall, “The Ancient History of the Near East”. (London, 1920).
- **J. E. A:** “The Journal of Egyptian Archaeology”. (London, 1914–1947).
- **J. P. O. S:** “The Journal of the Palestine Oriental Society”, (1923–).

- **Keith, Seele:** Coregency: The Coregency of Ramses II, With Seti I and the Date of the Great Hypastyle Hall at Karnak.
- **Helk:** Hans Wolfgang Helk; Der Einfluss Militarfuhrer in der 18 Agyptischen Dynastie.
- **Lanzone, “Cat. Turin”:** Lanzone, “Catalogo generale dei Musei di antichita = Regio Museo di Torino”.
- **L. D:** Lepsius, “Denkmaler aus Aegypten und Aethiopien. (Berlin, 1894).
- **Legrain, “Stalues”:** Legrain, “Statues et Statuettes de Rois et de Particuliers” Catalogue General des Antiquities Egyptiens du Musee du Caire. (Caire, 1906–1914).
- **Legrain, “Repertoire”:** Legrain, “Repertoire Geneologique et Onomastique du Musee Egyptien du Caire”. (Geneva, 1908).
- **Lepsius, “Auswahl”:** Lepsius “Auswahl der wichtigsten Urkunden des agyptischen Altertums” (Leipzig, 1842).
- **Lepsius, “Letters”:** Lepsius, “Letters from Egypt, Ethiopia and the Peninsula of Sinai”. (London, 1853).
- **Lieblien, “Dict. Noms”:** Lieblien, “Dictionnaire des Noms Hieroglyphiques en Order Genealogique et Alphabetique”. (Christiania, 1871).

- **Macailister, “Gerza”:** Macailister, “The Excavations of Gerza”. (London, 1912).
- **Mariette, “Abydos”:** Mariette “Catalogue General des Monuments d’Abydos Decouverts pendant les Fouilles de cette Ville”. (Paris, 1880).
- **Mariette, “Abydos II.”:** Mariette “Abydos. Description des Fotilles Executees sur l’Emplacement de cette Ville” (Paris, 1869–1880).
- **Mariette, “Monuments”:** Mariette, “Monuments Dilers Recueilles en Egypt et en Nubie”. (Paris, 1889).
- **aspero, “Bib. Egypt”:** M Maspero, “Bibliotheque Egyptologique”, OVII. (Paris, 1904).
- **Maspero, “Temples Immerges”:** Maspero, “Les Temples Immergés de la Nubia Rapports relatifs a la Consolidation des Temples”. (Cairo, 1909–1911).
- **Maspero, “Guide”:** Maspero, “Guide du Visiteur au Muse du Caire”. (Caire, 1915).
- **Maspero, “Momies Royales”:** Maspero, “Les Momies Royales de Deir el Bahari”. (Paris, 1889).
- **Maspero, “Melanges d’Arch”:** Maspero, “Melanges d’Archeologie Egyptien”.

- **Massi, “Description”:** Massi, “Description des Musees de Sculpture Antique Greque et Romaine. Musee du Vatican”. (Rome, 1891).
- **Mem. Miss. Franç:** Memoires Publiés par les Membres de la mission Archeologiques Française au Caire.
- **Mercer, “Amarna”:** Mercer, “The Tell el Amarna Tablets”. (Toronto, 1939).
- **Meyer, “Gesch”:** Meyer, “Geschichte des Altertums”. (Stuttgart, 1928).
- **Meyer, “Hist. de l’Antiq.”:** Meyer, “Histoire de l’Antiquite”. (Paris, 1912–1926).
- **M. M. A:** “The Bulletin of the Metropolitan Museum of Art”. (New York, 1909).
- **Morgan (De), “Cat. Mon.”:** Morgan (De), “Catalogue des Monuments et Inscriptions de l’Egypte Antique”. (Vienna, 1894–1909).
- **Murray, “Handbook”:** Murray, Handbook for Travellers in Egypt”. (London, 1880).
- **Newberry, “Timins Collection”:** Newberry, “The Timins Colleciton of Ancient Egyptian Scarabs and Cylinder Seals”. (London, 1907).

- **O. I. P:** “The Chicago University. The Oriental Institute. The Oriental Institute Publications”. (Chicago, 1924–).
- **“Paintings”:** Davies, Paintings from the Tomb of Rekh-mi-Re at Thebes”. (New York, 1935).
- **Petrie, “Scarabs”:** Petrie, “Scarabs and Cylinders”. (London, 1917).
- **Petrie, “Six Temples”:** Petrie, “Six Temples at Thebes, 1896”. (London, 1897).
- **Petrie, “Illahun”:** Petrie, “Illahun, Kahun and Gurob” (London, 1890).
- **Petrie, “Hist. Scarabs”:** Petrie, “Historical Scarabs”. (London, 1927).
- **Petrie, “History”:** Petrie, “A History of Egypt”. (London, 1927).
- **Petrie “Season”:** Petrie, “A Season in Egypt, 1887”. (London, 1888).
- **Petrie “Kahun”:** Petrie, “Kahun, Gurob and Hawara”. (London, 1890).
- **Petrie “H. I. C.”:** Petrie, “Hyksos and Israelite Cities”. (London, 1906).
- **P. E. F. Q. S:** “The Palestine Exploration Fund Quarterly Statement”. (London, 1869–).

- **Piehl, “Recueil”:** Piehl, “Inscriptions Hieroglyphiques recueillies en Europe et en Egypt”. (Stockholm, 1886–1903).
- **Pierret, “Rec. d’Inscriptions”:** Pierret, “Recueil d’Inscriptions Inedites du Musee Egyptien du Louvre”. (Paris, 1874–1878).
- **Porter and Moss, “Bibliography I”:** Porter and Moss, “Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Inscriptions, Texts, Reliefs and Paintings”, I. “The Theban Necropolis”. (Oxford, 1921).
- **Porter and Moss, “Bibliography II”:** “The Theban Temples”. (Oxford, 1929).
- **Porter and Moss, “Bibliography III”:** “Memphis” (Oxford, 1931).
- **Porter and Moss, “Bibliography IV”:** Lower and Middle Egypt. (Oxford, 1934).
- **Porter and Moss, “Bibliography V”:** Upper Egyptian Sites”. (Oxford, 1937).
- **P. S. B. A:** “The Proceedings of the Society of Biblical Archaeology”. (London, 1879–1918).
- **R. E. A:** “Revue de l’Egypte Ancienne”. (Paris, 1929).
- **Rec. Trav:** “Recueil de Travaux Relatifs à la Philologie et a l’Archeologie Egyptiennes et Assyriennes”. (Paris, 1870–1923).

- **Rev d'Arch:** "Revue d'Archeologie".
- **Rouge (De), "Monuments":** Rouge (De), "Notice de Monuments Exposés dans la Galerie d'Antiquties Egyptiennes au Musee du Louvre. (Paris, 1885).
- **S. A. O. C:** "Chicago University. The Oriental Institute. Studies in Oriental Civilization". (Chicago, 1931–).
- **Schafer. "Aeg. Insch. Berlin":** Schafer, "Aegyptische Inschriften aus den Koniglichen Museen zu Berlin". (Leipzig, 1924).
- **Schiaparelli, "Catalogue":** Schiaparelli, "Catalogo Generale dei Musei di Antichita di Firenze". (Rome, 1887).
- **Sethe, "Das Hatschepsut-Problem":** Sethe, "Das Hatschepsut-Problem noch Einmal Untersucht". (Berlin, 1932).
- **Sethe, "Untersuchungen":** Sethe, "Untersuchungen zur Geschichte und Altertumskunde Aegyptens". (Leipzig, 1896–1917).
- **Sethe, "Urkunden IV, or Urk. IV":** Sethe, "Urkunden des Agyptischen Altertums". (Leipzig, 1906–1914).
- **Sethe, "Pyramidentexte":** Sethe, "Die Altagyptischen Pyramid-entexte". (Leipzig, 1908–1922).
- **Sethe, "Achtung":** Sethe, "Die Achtung feindlicher Fursten-Volker und Dinge auf altagyptischen Tongeffasscherben des

Mittlerern Reiches”. (Preussische Akademie der Wissenschaften Philos-Hist. Klass, 1926).

- **Sharpe, “Inscriptions”:** Sharpe, “Egyptian Inscriptions”, (London, 1837–1855).
- **V. S:** Vorderasiatische texte. Berlin.
- **W. B:** Erman and Grapow, “Wörterbuch der Aegyptischen Sprache”. (Leipzig, 1925).
- **Weigall, “Guide”:** Weigall, “A Guide of the Antiquities of Upper Egypt” (London, 1913).
- **Weigall, “History”:** Weigall, “A History of the Pharaohs” (London, 1925).
- **Weigall, “Lower Nubia”:** Weigall, “A Report on the Antiquities of Lower Nubiain 1906–1987”. (Oxford, 1907).
- **Weil, “Veziere”:** Weil, “Die Veziere des Pharaonenreiches”. (Leipzig, 1908).
- **Wiedemann, “Geschichte”:** Wiedemann, “Agyptische Geschichte”. (Gotha, 1884).
- **Wiedemann, “Kleinere Agypt. Insc.”:** Wiedemann. “Kleinere Inschriften aus der XIII-XIV Dynasie”. (Bonn, 1891).
- **Wilkinson, “Thebes”:** Wilkinson. “Topography of Thebes and General View of Egypt”. (London, 1835).

- **Winlock, “Dier el Bahri”:** Winlock, “Excavations at Dier el Bahri”. (1943).
- **Wreszinski, “Atlas”:** Wreszinski, “Atlas zur Altagyptishen Kulturgeschichte”, (Leipzig, 1923–1936).
- **W. D. V. O. G:** “Deutsche Orient-Gesellschaft, Berlin Wissenschaftliche Veroflentichungen”. (Leipzig, 1900–).

---

١ .List of Abbreviations